



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

المحرم سنة ١٣٤٨ هـ ٢٠ برج الجوزاء سنة ١٣٠٨ هـ ش ٧ يونيه سنة ١٩٢٩

فاتحة المجلد الثلاثين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، الذي ختم به النبيين ، وأكمل به الدين ، وأرسله رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الهادين المهديين ، ومن تبعهم في هديهم إلى يوم الدين

أما بعد فان العدد الاول من مجلتنا هذه قد صدر في العشر الأخير من شوال سنة ١٣١٥ الموافق لشهر مارس (آذار) سنة ١٨٩٨ ميلادية ، بشكل صحيفة أسبوعية ذات ثماني صفحات كبيرة ، وفي السنة الثانية جعلناها مجلة أسبوعية بشكلها الذي هي عليه الآن وأصدرنا أول جزء من السنة الخامسة في أول المحرم سنة ١٣٢٠ (١٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢) واستمر ذلك الى السابعة عشرة فقد صدر الجزء الثاني عشر منها بتاريخ

ذي الحجة سنة ١٣٣٢ (نوفمبر سنة ١٩١٤) وكانت قد أضرمت نار الحرب المدنيـة الكبرى فاختل في أثنائها نظام صدور المنار في أوائل سنيه وأواخرها، وجعلنا اجزاء السنة عشرة، لأن الورق والحبر غلا سعرهما حتى تضاعف أضعافاً، وامتنع وصول الصحف المصرية الى كثير من الممالك والاقطار، وساءت معاملات الناس، ومن سنة ١٣٣٣ الى سنة ١٣٤٧ لم يصدر من المنار الا ١٢ مجلداً، في ١٥ سنة، فنقص من مجلداته ثلاثة أدمجت أو أدغمت في هذه السنين، ولولا ذلك لوجب أن يكون المجلد الذي نفتتحه اليوم المجلد الثالث والثلاثين .

ولـكننا اذا اعتبرنا في تاريخه السنين الشمسية يكون هذا المجلد هو الحادي والثلاثين، فالذي نقص من مجلدات المنار عن سنيه القمرية ثلاثة، وعن سنيه الشمسية اثنان فقط، ونحمد الله تعالى أن قدرنا على استمرار اصداره في تلك السنين النحسات ، فمن المعلوم أن أكثر قرائه المؤدين لحقوقه هم خيار المسلمين المستنيرين، الذين يشعرون بشدة الحاجة إلى إصلاح حال أمتهم بالجمع بين سعادة الدنيا وهداية الدين وهم قليلون ومتفرقون، والموسرون منهم هم الاقلون، ومن عداهم لا يؤدي الحق إلا مادمت عليه قائمـا، وكان المتقاضي له ملازما، (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا)

ونرجو من فضل الله تعالى أن نثبت على هذا التاريخ في اصداره مادمنا متمتعين بالصحة، بعد ان من علينا بدار صالحة للسكنى وللمطبعة، وقد تأخر صدور بعض أجزاء المجلد الماضي لما عرض لنا من المرض في أول عامه والنقلة في آخره .

وأما الذي نذكر به القراء في فاتحة المجلد الثلاثين من الشؤون الاسلامية على عادتنا في هذه الفواتح - فهو أن الحملة على الاسلام قد اشتدت في هذا العهد من خصومه في الداخل والخارج ، أعني من قبل دول الاستعمار ودعاة النصرانية وهم طلائعها وحداتها ، ومن أعوانهم وأنصارهم وتلاميذهم في البلاد الاسلامية نفسها ، ولست أعني بهؤلاء من يستخدمهم المبشرون من نصارى القبط والسوريين والارمن وغيرهم ، بل أعني من هم أشر منهم وأضر ، وأدهى وأمر ، من ملاحدة المسلمين ، من الترك والايرانيين والافغانيين ، ودعاتهم وأخدانهم من المصريين ، وأشباههم من السوريين والعراقيين ، ومن الهنود والافريقيين ، وسائر الشعوب الاسلامية ، الذين سممتهم التربية الافرنجية ، وأفسدتهم الآراء المادية ، وخنثهم الاسراف في الشهوات البدنية ، ونحن نطلق لقب الالحاد على كل من يسمي خطة هؤلاء الكماليين في نبذ الشريعة الاسلامية برمتها من حكومتهم ، والتمهيد لمحو عقائد الاسلام وآدابه وعباداته من نابتة شعبهم ، بمنع اللغة العربية من جميع بلادهم ، وترجمة القرآن بما لا يؤدي حقائق معانيه من لغتهم ، وكتابته كغيره بالحروف اللاتينية ، للاجهاز على ألفاظه وأساليبه المعجزة - بل كل من يسمي هذه الخطة إصلاحا ويحسنها ويدعو اليها فهو عدو للاسلام وولي لاعدائه ، وعداوة الاسلام أعم من الارتداد عنه ، والكفر به ، فان كان مع هذا زنديقا يدعي الاسلام ويخفي الكفر ، فإفساده أعم وأكبر من افساد الكافر الاصلي والمرتد ، لان الجاهلين بحقائق الاسلام من المسلمين يغترون بكلامه ، فيفتنهم عن دينهم أو يشككهم فيه

واننا نرى ملاحدة بلدنا هذا طبقات بدداً ، تسلك طرائق قدداً :

(الطبقة الاولى) المجاهرون بالكفر والصد عن الدين، والطعن في عقائده، وإلقاء الشكوك والشبهات فيها، بما يكتبون في الجرائد والمجلات المختلفة، ومنهم صاحب مجلة زمطابعة في مصر معروف. وفي حلب مجلة حديثة مثلها يظهر أن صاحبها مقلد ينقل أقوال أشهر الكتاب من ملاحدة مصر، وتعمائد شيخ ملاحدة العراق وأمثالهم، ويثني عليهم وينوه بآرائهم، ولكنه لا يتجرأ على التصريح بكل مايصرحون به بامضائه.

ومنهم أحد محرري الجرائد اليومية المأجورين، الذي كتب مقالات في تقبيح النص في الدستور المصري على جعل الدين الرسمي للحكومة المصرية الاسلام، وطلب أن تكون حكومة معطلة (لا دينية)، ومقالات في سن قانون مدني للاحوال الشخصية، لا يتقيد فيه بشيء من الاحكام الشرعية الاسلامية، وقد كان من أركان محرري السياسة ويقال إن له صلة وعلاقة ببعض جمعيات اليهود. وأفراد هذه الطبقة لا يدعون التدين ولا يمتعضون لوصفهم بالتعطيل، بل منهم من يفتخر بذلك.

(الطبقة الثانية): الزنادقة الذين يظهرون الاسلام، ويمتعضون إذا وصفوا بالزيغ والالحاد، وهم مع ذلك يطعنون في أصوله، ويجحدون بعض ماهو مجمع عليه ومعلوم بالضرورة منه، ويشككون في بعض آيات القرآن، وهم لافراد من الطبقة الاولى اخوان، وأخدان واعوان، ويسمون الترك الكماليين، ومقلدتهم مصلحين، ويدافعون عنهم بألسنتهم وأقلامهم، أو أقلام أفراد الطبقة الاولى

ويرى هؤلاء في الدين أنه رابطة اجتماعية سياسية يجب أن يكفى في الاعتراف لاهلها به، وافتتهم الجمهور في بعض الشعائر والمشخصات العامة،

كالتجمل والزيارات في الاعياد وإن لم يصل صاحبها صلاة العيد، واحتفال الجنائز وما تمها ، وقراءة القرآن فيها ، وان اشتمل ذلك على أعمال كثيرة يحرمها الدين، وكزيارات ليالي رمضان وطواف المسحرين فيها، ولكن الصيام نفسه ليس ركنا من هذه الشعيرة ولا شرطا لها ، وكذلك الصلوات الخمس -حتى الجمعة- والزكاة لا يدخلان في هذا الدين الرسمي من باب ولا طاق ، فانهما عندهم من الامور الشخصية ، وتعد كاستباحة السكر والقمار وغيرهما من المنكرات والفواحش مما تتناوله الحرية الذاتية، كما أن ما تقدم من الطعن في الدين وخلفائه وأئمته مما تتناوله حرية الافكار، ويباح الخوض فيه للالسنة والاقلام، ونشره في الكتب والرسائل، والمجلات والجرائد، قال بعضهم ما معناه : إذا تكلمت بلسان الدين أقول ان ما في القرآن من كذا وكذا صحيح مسلم ، واذا تكلمت بلسان العلم والعقل أقول إنه غير صحيح وغير مسلم، يعني أن هذا الذي يثبته القرآن صحيح في اعتقاد المسلمين ومسلم عندهم بمحض التقليد ، ولكنه غير صحيح ولا ثابت بدليل عقلي ولا علمي بل ربما يبطله الدليل .

ولولا أن قائل هذا زنديق ذو لسانين يسر الكفر بوحي الله وإن قال أحيانا قال الله قال رسول الله ، لما استباح التشكيك فيه بمثل هذا من قوله ، بل لكان اثبات كتاب الله تعالى للشيء أقوى برهان عنده على ثبوته في نفسه، وان لم يثبته أحد من خلقه بنظريات فكره ، وما وصلت اليه مباحث علمه ، فان علم الله محيط بكل شيء من خلقه ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا باذنه، اي بما وهبهم من اسباب كسبه من الحس والعقل ومن المعلوم الذي لا مراء فيه أن كل ما ثبت عند البشر من هذين الطريقين

الكسبيين لهم، كان مجهولا قبل ذلك عندهم، وذلك لا يقتضي عدم ثبوته في نفسه ولو لم يثبته الوحي الصحيح فكيف اذا أثبته.

(الطبقة الثالثة) الغماليج الإمعون من مرضى القلوب المقلدين، الذين يشايعون المؤمنين اذا كانوا معهم، ويجارون الملاحدين اذا وجدوا بينهم، فلا يعرف لهم رأي ثابت مستقر ينصرونه ويردون ما خالفه، وأماسيرتهم في العمل فهي تابعة لتربيتهم في بيوتهم، وحال عشرائهم من لداتهم وأترابهم، ورفاقهم في المدارس وجيرانهم، فتراهم يجمعون بين الكفر والاسلام، ومنهم من يصلي الصلوات الخمس لانه تربى على ذلك، ثم يقر ماهو كفر باجماع المسلمين، وينصر الملاحدة القائلين به، فاسلامهم تقليدي، وإلحادهم تقليدي، والغالب على أمرهم، من يكون أكثر معاشرة وارتباطاً بهم، ومساعدة لهم على أهوائهم ورغائبهم، ومنهم منهوم المال، ومفتون الجاه، وثم طبقات أخرى مدغم بعضها في بعض، فيعسر الحكم عليها بالقطع، على تفاوت الافراد فيها في العمل والفكر

وطالما ضربت مثلا لمسلمي الامصار المتفرنجة وطبقات الملاحدة: اختلاط الماء الحلو بالماء الملح، في مثل شط العرب من جهة البصرة، وساحلي رشيد ودمياط من مصر، فما كان بين العذب الفرات والملح الاجاج من المائين يتفاوت على نسبة القرب والبعد من كل منهما، وهكذا نرى بعض هؤلاء المسلمين المتفرنجين، منهم ما غلب عليه أجاج الكفر، فصار من أهله مسراً له أومعلنا، ومنهم المزّ بين عذوبة الايمان، وملوحة الالحاد، والمزازة فيه على درجات، بعضها مقطوب لا تكاد تشربه الا مقطبا، وبعضها مغلوب اذا تجرعته لا تكاد تسيغه إلا متهوعا

ومما ثبت عندنا بالخبر المستفيض ، والخُبْر الطويل العريض، أن من أفراد أولئك الملاحدة دعاة للكفر، وسماة للصد عن الاسلام، وان منهم من يأخذ على ذلك جعلا من جمعيات التبشير بالنصوانية، ومنهم من يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود الباشفية أو الصهيونية ، ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ أجره منها ، وأعظم هذه الاجور المناصب والوظائف في البلاد المسيطرة عليها، ومنهم من لذته في ذلك التشبه ببعض فلاسفة الافرنج وكتابهم الاحرار ، والحظوة عندهم ، والثناء عليهم في كتبهم وصحفهم ، وهم لا يثنون إلا على من كانوا عونا لهم على اقوامهم؛ ألم تر الى المستعمرين والمبشرين ، من السكسون واللاتينيين، كيف نوهوا وينوهون بعلي عبد الرازق وكتابه المعلوم كما رأيت في البرقيات العامة في ابان ظهوره ، وكما ترى في المقال الاول من مقالات هذا الجزء مترجما عن كتاب افرنسي جديد ، ألف للاغراء بهدم الاسلام وتنصير المسلمين .

كان المرحوم الاستاذ الشيخ محمد مهدي وكيل مدرسة القضاء الشرعي أول من أنبأني بأنه وجد في مصر جماعة تتعاون على الصد عن الاسلام، بالطعن في شريعته ، وفي حكومته ، وفي لغته ، وفي أئمته، وفي كل من نوه بهم التاريخ من الخلفاء ، وكبار العلماء والادباء ، وفي جمهور سلفه في أرقى العصور ، ثم ظهرت آثارهم الخفية في بعض الصحف العامة ، وفيما نشروا من المصنفات الخاصة ، وكان تعاونهم بمقتضى تعارفهم وتوادهم ، وانتماء بعضهم الى حزب سياسي ينصرهم

ألم تر أن الوزارة الائتلافية كادت تسقط ويتمزق نسيج وحدة الامة بانتصار أعظم أركانها لمؤلف ذلك الكتاب الرجس الذي جهر ملفقه

بالطعن في القرآن ، ترجيعا لاصوات بعض أعدائه من المبشرين بالانجيل؟

وقد أخبرنا من خبر حالهم، وعاشر رجالهم، بطرق الدعوة التي يفتنون بها الشبان عن دينهم، ولا سيما الاذكياء الفصحاء منهم، وسنبينها في مقال آخر ، ومما بلغنا من أمرهم أنه لم يكن لهم نظام للدعاية الى عهد غير بعيد ثم وضعوه.

وقد علم الجمهور أنه كان قد تألف في مصر حزب لحرية الفكر ، كان الملاحدة هم المؤسسين له بالطبع ،من حيث لا يدري كثير ممن انتظم في سلكه ، أو جعل نوتيا لتسيير فلكه، ولكن بعضهم تجرأ فيه على كلام ساء بعض من حضره من النصارى ، فانتصروا لدينهم بالفعل، وكان ما كان من التشاجر الذي أفضى الى القضاء على ذلك الحزب ،

وقد نشرت جريدة السياسة الاسبوعية في مارس من سنة ١٩٢٨ مقالا لأحد أركانهم صرح فيه بأنه يوجد في مصر تعصب ديني (اسلامي) ضار، وان جماعة كانوا الفوا حزبا لمقاومته وتوطيد دعائم الحرية ، وهذه الجماعة لا تزال تعمل لهذه الغاية

ولما الفت في مصر جمعية الشبان المسلمين ، عارضوها بتأليف (جمعية الشبان المصريين) لاجل القضاء عليها بدعاية الوطنية، قبل ان تشب عن الطوق ، وتشب نارها فلا يكون لهم بها طوق، ولكنهم لم يقاوموا جمعية الشبان المسيحيين بقول ولا عمل ، بل وجد فيها من يكبر شأنها، ويلقي المحاضرات في ناديها .

وليس الالحاد في مصر بحديث العهد ، بل نبت قرنه مع التفرنج منذ أكثر من قرن، وما زال يرتفع ويقوى حتى طمع أهله باطفاء نور الدين، وقد استباحه من استباحه باسم الحرية، وفند الاستاذ الامام جهالتهم ببعض مقالاته

في الوقائع الرسمية ، كان غربيا غريبا، فأصبح شرقيا قريبا، او كان سيلا أتياً، فأمسى ينبوعا وطنيا ، وكان شر مظاهره وأشدها خطرا مافاه به بعض ملاحدة المسلمين في مجلس النواب ، من الطعن في الشرع وفي نفس القرآن، اذ فاه فض الله فاه، وسل لسانه من قفاه ، ولا رحمه ولا رحم مجلسه الموؤد ، بتلك الكلمة تقشعر منها الجلود ، : انه لا يحترم أو قال يحتقر كتابا يبيح تعدد الزوجات، ولكن ذلك الملحد الاباحي لا يحتقر قانونا يبيح الزنا للرجال والنسوان ، وتعدد البغايا والاخدان ، مع اعتراض آخر منهم على من طلب وقف الجلسة بضع دقائق لاجل اداء فريضة المغرب، وتصريحه بأنهم لا يبغون الصلاة مطلقا أو في ذلك المجلس، ووافقه الجمهور على ذلك ، فكان الافراد الذين يحافظون على الصلاة على قلتهم يتسللون من الجلسات فيصلون فرادى ويعودون اليها

وانما الحديث عندنا هو تأليف الاحزاب وتعاون الجماعات، على بث الدعوة الى الاباحة والالحاد ، ونشر الجرائد والمجلات لمقالاتهم المسمومة ، وإلقاء المحاضرات في ذلك ونشر الكتب الملعونة ؛ حتى انني كتبت في المنار انه لا فرق بين ملاحدة الترك الكماليين ، وملاحدة هذه البلاد المفتونين والمقلدين ، الا ان أولئك أولو قوة عسكرية ، فينفذون إلحادهم بالقوة القهرية ، ولا سلاح هنا الا بيد السلطة الاجنبيه ، ولقد كان بمجلس النواب في الاستانة مسجد خاص يصلي فيه الاعضاء وتقام فيه الجماعة، كما كان يوجد في دور الحكومة مساجد يصلي فيها أهلها جميع الصلوات التي تدركهم فيها .

تجديد ملاحدتنا وتجديد الافرنج

إن مافعله ملاحدة الترك من هدم معالم الاسلام من حكومتهم ، وماظهر في حكومتي الافغان والايران من بوادر الاقتداء بهم، وما ذكرنا القاريء به مما حدث في مصر ،بل سرت عدواه الى كل قطر ، — هو الذي أطمع المستعمرين ودعاةالنصرانية في أوربة بالاجهاز على الاسلام ، والتذفيف على مابقى من مظاهر الحكم الاسلامي في جميع بلاد المسلمين ، وتجديد النصرانية وتعززها في الغرب والشرق . وهاك اشارة الى بعض مافعلوا في تجديد دينهم مما يعد أكثره ذريعة للتعدي على ديننا

(١) عقد دعاة البروتستانتية من الانكليز وغيرهم مؤتمرا بعد آخر في القدس مهد النصرانية للتشاور في تعميم تنصير المسلمين، ونشرت جمعية لهم في لندن بيانا ذكرت فيه انه لم يبق للاسلام رسوخ ولا ثبات إلا في جزيرة العرب ، وانها تحتاج الى مائة بشر من المجاهدين لنشر النصرانية في هذه الجزيرة والقضاء عليه في مهده الاول ، ومعقله ومأرزه الأخير

(٢) أعادت الدولةالفرنسية للجمعيات الكاثوليكية ماكانت صادرته من أموالها وأوقافها لتنشيطها على نشر النصرانية في مستعمراتها الافريقية وسورية

(٣) ألفت كتب جديدة باللغة الفرنسية وغيرها في الطعن على الاسلام، والحث على تنصير المسلمين ولو بالقهر والاكراه، وقد نشرنا فصول بعض هذه الكتب في هذا الجزء وفيما قبله ، وسننشر بعضها فيما بعده ،

(٤) صالحت الدولة الايطالية ، دولة الفاتيكان الكاثوليكية، واعادت للبابا سلطانه السياسي في دائرته ومئات الملايين مما كانت اختانته من أموال دولته؛فتجدد للكنيسة الرومانية بعض سيادتها وسياستها،وهذا بدء

انقلاب جديد في تجديد النصرانية في الشرق والغرب ، وذلك لا يضيرنا الا اذا اعتدوا علينا ، وهو أهون من التعطيل والالحاد عندنا

(٥) نشطت الجمعيات التي تدعو الى توحيد كنائس المذاهب النصرانية في الشرق والغرب وسارت في سعيها خطوات الى الامام

(٦) إن حركة تجديد الدين في انكلترة تلي في العناية حركة إيطالية وقد اشتهر ما كان من اقتراح تعديل كتاب الصلاة المتبع في الكنيسة الرسمية ورد مجلس الامة (البرلمان) له المرة بعد المرة · وقد ألفت جمعيات أخرى للبحث في العقائد المسيحية وتقاليد الكنيسة وتقريب ذلك من العلم واستمداد العصر

(٧) تبارت الامتان الايطالية والانكليزية في الرجوع الى آداب الدين في أزياء النساء وعاداتهن ، ومقاومة ما أحدثن من الاسراف في التبرج والخلاعة ، المفضية الى الاباحة ، فكتب بعض كبار الكتاب من الانكليز في ذلك مقالات نشرت بعضها الجرائد المصرية

واما ايطالية فقد منع رجلها المجدد ووزيرها الاكبر كثيرا من هذا الاسراف في الازياء والرقص والسباحة ـ تجديدا للدين والاخلاق لتجديد قوة الامة وعظمتها ، وذلك مما يحمده كل فاضل له ولها

العبرة في تجديد اوربة وتجديد ملاحدتنا

وأما ملاحدة بلادنا ودعاة الكفر والاباحة فيها ، فالتجديد الذي يدعون اليه هو هدم كل ما يربط الامة ويشد أزرها ، ويجمع كلمتها ، ويهذب أخلاقها ، من روابط الدين ، والمحافظة على العرض ، ويسمون الكفر والفجور واباحة الاعراض تجديدا طريفا ، ومدنية وتقدما وترقيا ، ويسمون ما يقابل ذلك من التقوى والعفة والصيانة قديما باليا ، وقد استشرى عيثهم وفسادهم ،

وعظم خطرهم بكثرة الجرائد والمجلات التي ينفثون فيها سمومهم، على صغر شأنهم، وسوء سيرتهم الشاف عن خبث سريرتهم، فانه لا مزية لاحد منهم في علم نافع، ولا عمل صالح، وانما هي خلابة الالفاظ، التي وافقوا فيها اهواء كبار الفساق وصغار الاحداث، وان اهل الرأي والبصيرة عندنا يجزمون بان جل زعزعة العقائد وفساد الاعراض وإباحة النساء، يناط بفساد اكثر الجرائد والمجلات، فياحسرتا على جريدتي المؤيد واللواء، ويا حسرتا على شعب يعد من أرقى شعوب الشرق ثروة وحضارة وعلما ووطنية، تعجز الاكثرية الساحقة فيه عن ايجاد جريدة يومية، تدافع عن عقائده وشريعته وآدابه الملية، على حين نرى لكل الاقليات الملية المتعددة فيه جرائد متعددة تقوم بهذه الوظيفة حق القيام وهذه الاقليات بجملتها لا تبلغ عشر هذه الاكثرية الساحقة لها، وانما تفوقها في ثروتها النسبية وجامعتها،

خطر إباحة النساء أو تحريرهن

ان مسألة فوضى النساء التي يعبرعن دعايتها بتحرير المرأة وبتفضيل تهتكها المعبر عنه بالسفور، على صيانتها وعفتها المعبر عنها بالحجاب، قد هبطت بالقطر المصري وغيره من شعوب الشرق المتفرنجة إلى مهواة من اشد المهاوي خطرا على أعراضها، وتكوين بيوتها (عائلاتها)، وعلى ثروتها وصحتها، وان سمى المفسدون دعاة الاباحة والدياثة هذا الخطر تجديدا وتمدينا، فقد صار النساء من ربات البيوت والامهات، ومن العذارى المتعلمات، يمشين في الشوارع بالليل والنهار، مخاصرات للرجال، ويغشين الملاهي والمتنزهات، وهن كاسيات عاريات، مائلات مميلات ومنهن من يسبحن

في البحر حيث يسبح الرجال أو معهم ، وحيث يراهن المارون بقرب الشواطئ منهم ، ومنهن من يختلفن الى المراقص المشتركة فيرقصن معهم ، وهن اشد من الاجنبيات عريا وتهتكا وخلاعة ومجونا ورقاعة ومنهن من يدخلن في خلوات الحلاقين حيث يقصون لهن شعورهن ويحلقون لهن اقفيتهن ، ويزينون لهن نحورهن وصدورهن ، وهنالك يلتقين بأخدانهن ، ولا تسل عن حديثهما جهراً ، وتواعدهما سراً ، دع ذكر تعدد المواخير السرية ، على كثرة الجهرية ، ومن المخادنات الشخصية ، والجرائد والمجلات الكثيرة تغري بهذا أو تذكر من وقائعه مايجرئهن عليه

وكان أول ماأعقبه هذا الفساد من الخطر قلة الزواج ، المهدد للامة بالوقوف عن النماء ، فالانقراض والفناء ،

ان خصوم الاسلام القاعدين له كل مرصد يضحكون سرورا مما اصابه من الخزى بأهله ، الذين يمهدون لهم السبل لاستعبادهم ، والاستعمار لسائر بلادهم ، ويرقبون كل نبأة للاصلاح تخرج من فم احد حكمائهم ، أو حركة للتجديد الحق يختلج بها بعض أعضائهم ، فيبادرون الى تحذير دولهم منها ، وحضهم على تلافي مايخشى من تأثيرها ، ثم انهم يطعنون فيمن صدرت عنه لصد المسلمين الغافلين عنها . كما ترى في مقال (مايقال عن الاسلام في أوربة) من هذا الجزء نقلا عن (جول سيكار) العسكري الفرنسي ، و (الاب لامنس) القس الجزويتي ، والدكتور (سنوك) السياسي الهولندي ، من كلامهم في الاستاذ الامام وصاحب المنار ، وما قاما به من دعوة الاصلاح ، ورأيهم في المجلة وتفسيرها ، ورسالة التوحيد وتحقيقها ، وتعزية انفسهم بان حركة التفرنج العصرية ، قد أخذت تنتقص الاصول

الدينية، وبأن افكار الشيخ محمد عبده التي تغلغلت في عقول المفكرين، وكان لها المجال الواسع لدى الشبان المسلمين ، تلقى اشد الانكار من أرباب العمائم الجامدين ، قالوا « ولهذا نجد مريدي الشيخ عبده متضائلين لا يقدرون ان يجهروا بأفكارهم ، لقلة عددهم ، ولشدة مقاومة الجامدين لهم »

بشائر الاصلاح

وانا نبشر هؤلاء الشامتين ، الذين يتربصون ريب المنون بالاسلام والمسلمين ، معتمدين على مساعدة الملاحدة المتفرنجين، بأن طلائع النصر قد رفعت أعلامها على رءوس المصلحين ، وانتهت رياسة علماء الدين الى أحد تلاميـذ الاستاذ الامام، ونوابغ مريديه الاعلام ، وهو الاستاذ الاكبر ، الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر، وقد لقي من جلالة ملك مصر وحكومته من المساعدة، بقدر ما كان يلقى الشيخ محمد عبده نفسه من المناهضة والمعارضة ، فصارت ميزانية الازهر تبلغ مئات الالوف من الجنيهات، وصار للمتخرجين فيه نصيب في مصالح الحكومة. فنكس الجامدون على رءوسهم ، وارتكست فتنهم بين جرائيم شيوخهم ، وانطلقت في المعاهد الدينية ألسنة العلماء المستقلين، وصارت رسالة التوحيد تدرس في الازهر للقسم العالي من الطلبة النظاميين ، وتفسير المنار هو المرجع لمدرسي التفسير فيه ، وكتب شيخ الاسلام ابن تيمية متغلغلة في أحنائه ومناحيه، بل صارت مرجعا للفتاوى الرسمية ، وأخذ ببعضها في اصلاح الاحكام الشخصية للمحاكم الشرعية

هذا وان مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين،

معدود من هؤلاء المريدين، وكذلك رئيس المجلس الاسلامي الذي أنشيء أخيراً في بيروت

وهنالك بشارة أخرى في تحول الاحوال، ونصر حزب الله على أحزاب الشيطان، من الشيوخ الجامدين، والمتصوفة الخرافيين، والمتفرنجين الملحدين الفاسقين، وهو تأليف جمعية الشبان المسلمين، وتمدد فروعها في الاقطار العربية من شرقية وغربية، وفوق ذلك كله يقظة الامة العربية في جزيرتها، وشروعها في تنظيم قوتها، واتفاق إماميها في الجنوب والشمال، على شد أواخي وحدتها باليمين والشمال. والامم اذا عرفت نفسها، وتعارفت شعوبها، تعذر على غيرها القضاء عليها والاستبداد فيها، فلا يستعجلن سيكار الفرنسي وسنوك الهولندي وأمثالهما باغراء دولهما بسرعة القضاء على المسلمين، فربما كان هذا الاستعجال قضاء على سلطان مجترحيه فيهم لا عليهم ولو بعد حين، وربما كانت مجاسنتهم، والتوسعة عليهم، في حرية دينهم، ومساعدتهم على تنمية ثروتهم، أقرب الى طول العهد على الاستفادة منهم.

وليعلموا أن المنار ليس عدواً لدولة من الدول، ولا خصما لشعب من الشعوب ولا لعلوم الغرب وفنونه المنزهة عن فسقه ومجونه، - كما يقول سيكار وأمثاله - وانما هو صديق لامته ولمن يصدق في ودها. وليسأل ان شاء مسيو (روبيردوكيه) اشد خصم المسلمين في سورية واقوى داعية الى استعمارها، عما نصحت به له وذاته دليه في سنة ١٩٢٠ من الطريق المعقول لكسب فرنسة مودة المسلمين عامة والعرب خاصة، وسورية بالاخص: عما يعلي نفوذها الادبي والاقتصادي في الشرق كله، وعن قوله لي ان هذا مشروع معقول لا خيالي، وانه يمكن تنفيذه اذا وجدنا ومنكم من يقوم به.

ثم ليسأل مسيو (هانوتو) عما كتبته اليه بهذا المعنى في جنيف سنة ١٩٢١ فاذا علم هذا وعقله حكم بانه يوجد فيمن يعدوهم اعداء لفرنسة من هم خير لها من بعض ضباطها وقسوس جزويتها ، الذين يسخرون نفوذها لمنافعهم دون مصلحتها ـ والعاقبة للتقوى . والسلام على من اتبع الهدى

هذا واننا على ما عهد قراء المنار منا وهو ما عاهدناهم عليه منذ سنته الاولى من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم . وهم اول من يتلقاها منهم ، ويدخل في ذلك الدفاع ببيان حقائق التنزيل . وما بينه من سنة الرسول ، ومقاومة البدع والخرافات . وابطال شبهات الزندقة والالحاد والتحذير من أخطار الاستعمار . والدمدمة على ضلالات المبشرين . وفضيحة مخازي المتفرنجين . وتزييف مغالطات الماديين . وتأييد حرب الاصلاح والمصلحين والاصغاء لانتقاد المخلصين . ونرجو من اهل الغيرة على الامة والحرص على احياء مجد الملة من اخواننا العلماء . وسائر افراد القراء . ان يشدوا أزرنا . ويؤدوا النا حقنا فقد آن لهم أن يعتبروا بتعاون الملحدين والمفسدين على باطلهم ، وتظاهرهم على من يرد على احد منهم ، بل آن لحزب الاصلاح ، الوسط بين حزب الجمود والتقليد ، وحزب التفرنج الملقب بالتجديد ، أن يجمعوا كلمتهم . ويوحدوا شتيتهم . ويتعارف شرقيهم بغربيهم وجنوبيهم بشماليهم . فان يد الله على الجماعة . وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وارجو ان يكون آخر المنار خيراً من أوله . وان يزيده الله توفيقا باحسانه وفضله . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

مايقال عن الاسلام في أوربة

(ووجوب اطلاع المسلمين عليه)

لامير البيان ، ومدره سلائل عدنان وقحطان ، الأمير شكيب ارسلان

سبق لنا مقالة في المنار عن بعض الكتب التي أخرجت حديثا في أوربة بشأن الاسلام والمسلمين ومن جملتها كتاب لرجل يقال له « جول سيكار » من كبار تراجمة الجيش الفرنسي في المستعمرات الفرنسية سماه « العالم الاسلامي في المستملكات الفرنسوية »

وقد رددنا على شيء مما تضمنه هذا الكتاب ووعدنا باكمال البحث ونشر ماقاله المؤلف المذكور عن الاستاذ الامام الشيخ محمدعبده رحمه الله وعن خلفه الاستاذ الحجة صاحب المنار أمتع الله ببقائه

قال في الصفحة ٧٣ تحت عنوان « الطور الديني الجديد » مايأتي :

« إن المسلمين الحاضرين هم من حيث السواد الاعظم على مذهب السنة والجماعة الا أن روح الحرية والنزوع الى المبادىء العصرية قد ظهرا في أكثر من نقطة واحدة من العالم الاسلامي

وقد كان مبدأ هذه الحركة في الهند ثم في فارس ومنها سرت الى مصر والى السلطنة (العثمانية) المنحلة . وسواء أكان هنالك أم هنا يجتهد المسلمون الاحرار أن يثبتوا الوئام الواقع بين الاسلام والترقي وبين العقيدة القرآنية والمقتضيات العصرية ، ومن ضمن كلامهم خال أنه ليس ثمة الا سوء فهم أدى الى التناقض ، وأنه من الخطأ البين الاهتمام ببعض جزئيات ليست لها الا مكانة ثانوية ، وأن يظن أن بعض الاصول التي أولدها

الاحتياج في وقت معين تعد قواعد سرمدية، وأن يغفل عن سنة التحول التي عليها مدار الاجتماع البشري

وهؤلاء العصريون modernistes الذين يليق بهم اسم «المعتزلة الجدد» ينتقدون انتقاداً لاغبار عليه شدة جمود المقلدين وعماية هؤلاء، ويحاولون تخليص قواعد الاسلام الاساسية وتطبيقها على مقتضيات الحياة والعلم الحديث. وقد امتاز في هذا المشرب رجلان أحدهما أمير علي في الهند والآخر وهو الأهم الشيخ محمد عبده الطائر الصيت في جميع شمالي أفريقية مؤلف رسالة التوحيد

فالشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) مفتي مصر الاكبر هو أنبغ تلاميذ المحرك الافغاني جمال الدين (١٨٩٧ - ١٨٣٩) باعث فكرة الجامعة الاسلامية. وله طريقة خاصة به في تحقيق مصدر العقيدة وهي طريقة صارمة في ذاتها كما يقر هو بذلك لانه لايسلم بصحة شيء من مصادر الدين «الا ما كان في القرآن مع عدد قليل من الاحاديث المتعلقة بحياة الرسول»

وخلاصة مذهبه وجوب التسامح بين جميع مذاهب الاسلام المختلفة

وأما فلسفته الادبية فستمدة من المذاهب الحرة لاسيما مذهب الغزالي المتكلم الكبير المتوفي سنة ١٢٧٧ (مسيحية) الذي له أكثر اليد في التسامح بين مذاهب الاسلام المختلفة وهذه الفلسفة مشتقة من الاعتزال الذي هو وليد المحاكمة العقلية في علم الكلام الاسلامي والذي يقول بالاختيار المطلق لكنه مذهب اضمحل أخيراً على أثر المصارعة الهائلة التي وقعت بين حزب المفكرين وبين الجماعة المتشددة التي كان لها الغلبة في نهاية الامر

«والشيخ محمد عبده كان أبصر الخطر الذي أحدق بعقيدة المسلمين من جراء زحف العلوم الغربية (نقل المؤلف هذه العبارة بنصها عن الاب لامنس المستشرق اليسوعي) فنشط الى اجراء تمييز ينقذ به مذهب السنة والجماعة وشرع بالقاء دروس في الازهر استجلبت الانظار أولا الا أنه توقف عنها على أثر مقاومة العلماء الجامدين . فعند ذلك أسس بمساعدة تلميذه المقدم السوري السيد محمد رشيد رضا طريقة اصلاحية لسان حالها مجلة شهرية اسمها « المنار » ومنزع هذه الطريقة في الدين هو تجديد المذهب الوهابي الذي لايزال رشيد رضا يؤيده بمعارضه بالسنة . وأما في السياسة فهي مبنية على الجامعة الاسلامية والجامعة العربية وبالحريّ على عداوة الاجانب ولك أن تقول على مقاومة الغرب

وهي تميل الى فكرة المصريين بتعديل الشريعة الاسلامية على مايوافق ضرورات الوقت ولكنها تنشد اعتمادها في مساحة الوهابيين وتستمد من مذهبهم حججها على « المتفرنسين » فمن الوهابيين تأخذ مقاومة الخرافات الحشوية والتدمير على المعتقدين بتأثير الاولياء وعلى الطرق الصوفية والمنار تطبع وتعيد طبع تآليف ابن تيمية التي كانت منسية والتي هي أشد الكتب تهييجا . هذا ورشيد رضا هو سيد أي من ذرية محمد ﷺ وهو نفسه يعلن كونه عربيا قرشيا

والمنار في استمساكه بالجامعة العربية مقيم على ايجاب اعادة الخلافة كما انه في مخالفته للمنازع القومية التي تخالف برنامجه الاسلامي العربي يشير بتوحيد مذاهب الفقه الاربعة في مذهب واحد وضم شتات الفرق الاسلامية الى جماعة كبرى يمكنها أن تقاوم أوربة وأن تقاتل ثقافتها المتقدمة

وهو يعترف بانحطاط الاسلام لكنه يزعم معالجة دائه بالرجوع الى عقيدته الاصلية على أن يفهمها الناس حق الفهم مستمدة من الكتاب والسنة . ويقول : لماذا نلجأ الى علم الغرب الموجب للشبهات فكل شيء هو في القرآن . والمنار ينشر تفسيراً لا بأس به فيقول مثلا عند مايشير كتاب الله الى الصاعقة: يلزم أن نفهم منها الكهربائية . كذلك المنار يشير بالاهتداء بأشعة رونتجن لتقوم مقام « العدة » وهي مدة الثلاثة الاشهر التي يأمر بها القرآن أن تكون فاصلة بين طلاق المرأة وزواجها من غير زوجها الاول (هذا غير صحيح) ولما كانت العلوم العصرية لا تستغني عن التصوير اللازم في التعليم وفي ادارة الجيش وفي ادارة الامن العام فالمنار يستنتج جواز ذلك للمسلمين . وهو يوجب على الطرق الصوفية الاشتغال بالمصالح العامة من مؤاساة وتعليم الخ وبهذه الافكار الجريئة الشاذة (تأمل أيها القاريء) تزعم مجلة القاهرة (أي المنار) متابعة طريقة المصلح الذي هو الشيخ محمد عبده وصرف النظر عن تعصبها الوهابي وشنآنها للاجانب . فهذا هو التجديد بالمقلوب (تأمل أيضا)

فالاسلام اذا هو على ملتقى الطرق ، ونراه غير شاعر كثيراً بأنه أصبح مضطراً أن يطرح من وسقه لينجو . فأما ما كان من أمر الخلافة فالذي ألحظه أن التضحية بها تمت بدون ضوضاء ومثل ذلك تم العدول عما كان الهنود المسلمون يطالبون به من الامور المتعلقة بهذه الفكرة الجبروتية

بقيت الاحوال الشخصية (تعدد الزوجات والميراث والعقود) فهذه هي التي تمنع المسلمين في البلدان غير الاسلامية من الاستفادة من المساواة التامة المفروضة عليهم . فكتاب الشيخ المصري علي عبد الرازق يشير

عليهم بان يتقدموا براحة وجدان الى قبول تشريع جديد بناء على كون الذي لم يلاحظ جميع الامكنة ولا جميع الازمنة . وهذا هو رأي كثير من مفكري الاسلام . فهل يتغلب رأي هذه الطبقة المفكرة فيجر معه جماهير الاسلام أم يبقى دون بلوغ الغاية ؟ الجواب ان أوربة تخطىء بعدم مراقبة سير هذه الحركة عن كثب . وقد تجد اوربة في هذا الرأي مايساعدها على سياسة اسلامية ذات فائدة حقيقية . ولولم يكن منها سوى الاستغناء عن سن قوانين مأخوذة من شريعة الاسلام لكفى . وهي المسئلة التي تورطت فيها فرنسة في افريقية ونشبت منهامنشب سوء (انتهى مانقله سيكار عن المستشرق اليسوعي لامنس)

ولنذكر هنا رأى المستشرق الشهير سنوك هوركرونجه الهولاندي(١) الذي قال في هذه المسألة قوله الفصل

« ان الشريعة الاسلامية سواء من جهة النص او من جهة الروح تعتمد على القهر والاكراه في نشر العقيدة (تأمل أيها القارىء) لان هذا الدين يعد كل الناس غير المؤمنين اعداء لله . ويوجد اليوم عصابة صغيرة من المسلمين تحاول تطبيق الاسلام على الافكار العصرية لكن هؤلاء النفر تمثيلهم للدين الذي ولدوا فيه لايزيد على تمثيل « المجددين » modernistes للدين الكاثوليكي . والحقيقة أنه لا يوجد فرق في هذا الموضوع بين فقهاء المذاهب المختلفة »

---

(١) المنار : هو الذى كان ادعى الاسلام وجاور في مكة المكرمة يطلب العلم في الحرم الشريف عدة سنين لاختبار بواطن المسلمين لتكون دولته على بصيرة في معاملة عشرات الملايين منهم وهو ممن يفترون الكذب على الاسلام وهم يعلمون

ماهية اصلاحات الشيخ محمد عبده

يقول أحد مادحيه إن المزية التي اشتهر بها الاستاذ هو الدقة النادرة التي يميز بها بين ماهو في الديانة جوهري وما هو عرضي أو طارىء عليها الدين . وهو في أشد اقتراحاته جرأة لم يتعرض بشيء للقسم الجوهري من العقيدة ولا ترك نفسه يهاجم اركان الدين الاساسية نظير كبار مصلحي القرن التاسع عشر كميرزا علي محمد « الباب » المولود في فارس سنة ١٨٢١ مؤسس البابية وبهاء الله مؤسس البهائية في تركيا الذي صلبته الحكومة الفارسية سنة ١٨٥٠ (هذا خلط عظيم فالذي صلبته الحكومة الفارسية هو الباب لا بهاء الله وهذا قد توفي حتف أنفه في عكا منذ نحو أربعين سنة) أو ميرزا غلام أحمد في الهند . بل الشيخ محمد عبده بقي دائما ضمن حظيرة الاسلام بل ضمن مذهب السنة والجماعة(١) وانما كان عمله الوعظ والحث على التسامح الديني والدفاع عن حقوق العقل واحياء فضائل الدين وتطبيق الاسلام على العلم الحديث

ومما لا جدال فيه أن الشيخ محمد عبده قد دافع عن الاسلام دفاعا شديداً ذاهبا الى حد ترجيحه على النصرانية . فهو ينتقد مافي النصرانية من الحث على الغلو في حب القريب وأماتة الحواس والزهد في الدنيا غافلة عن طبيعة الانسان والغرائز التي هو مفطور عليها

وهو يقول : « انه لما جاء الاسلام خاطب العقل والادراك وأشرك معهما العواطف والحواس آخذاً بيد الانسان الى سعادة الدنيا والاخرى »

---

(١) هذا هو الذي أسخط المستشرقين الهولندي والفرنسي على اصلاح الاستاذ الامام وكانا يودان كأمثالهما خروجه عن الاسلام كالباب والبهاء أو عن بعض اصوله كالقادياني

ولكن الشجرة تعرف بثمارها . وهذه الجملة تكفي في هذا المختصر على الاقل لتنفيد انتقادات الشيخ محمد عبده . فهل مآثر الاسلام تتحمل القياس مع مآثر النصرانية ؟ لا شك أن التاريخ الذي لا ضلع له يجاوب جوابا فصيحا على هذه المسئلة . وان أراد القراء المسلمون الادلة والوثائق فما عليهم الا أن يختاروا . فان الكتب الحديثه المنوهة بمآثر النصرانية جديرة بالاعتبار

(وذكر المؤلف سيكار في الحاشية اسم كتاب في تاريخ الاديان وكتاب آخر في بيان فضائل الدين الكاثوليكي ولكن الجواب عن هذه القضية ـ وهي أن الشجرة تعرف بثمارها والتي معناها عزو تقدم أوربة الى النصرانية وعزو تأخر المسلمين الى الاسلام ـ هذا الجواب سهل علينا وسنذكره بعد الانتهاء من ترجمة هذا الفصل ، وهما قد رأيا فيه حجج الاستاذ الامام)

ولم يغب عن الشيخ ان حالة المسلمين الحاضرة هي بعيدة جداً عن الصورة التي يعطيها هو عن الاسلام . وفي الفصل الذي عنوانه « إيراد سهل لا يراد » تجد منه أمرّ انتقاد لهذه الحالة الا أنه يعزو هذا الانحطاط الى انحراف المسلمين عن جادة دينهم ويقول : انهم طيلة ما كانوا سائرين عقتضاه كما يجب كانت جيوشهم لا تعرف الا الغلبة والظفر وكان سلطانهم فائقا في الدمان كل ماتقدمه من المدنيات وكان مفكروهم في مقدمة الحركة الفكرية التي كانت في عصرهم »

صدى الحركة المصرية في شمالي أفريقية

ان الحركة المصرية قد أخذت تنتقص المبادىء الدينية ولكن انتقاصها محدودا وعقدار مختلف بين تونس والجزائر ومراكش . فأفكار الشيخ عبده تغلغلت في عقول المفكرين ووجدت مجالا واسعا لدى الشبان على حين

نرى أرباب العمائم منكرين لها أشد الانكار ، ولهذا نجد مريدي الشيخ عبده متضائلين لا يقدرون ان يجهروا بأفكارهم نظراً لقلة عددهم واشدة مقاومة الجامدين لهم (لكن نفوذهم هو الغالب حتى غلب على الازهر ولله الحمد)

وهؤلاء الجامدون(١) بعداوتهم لكل ماليس به نص صريح في القرآن ينقمون أشد النقمة على اتباع الطرق الصوفية تقديس الاولياء والطواف حول قبورهم . وكل مقصدهم هو تطهير الدين من جميع الخرافات ومن جميع الشعائر التي يعدونها نصف وثنية والتى قد شوهت عقيدة الاسلام الاصلية وهي التى نجاحها قد كان بسبب شدة تنزيهها الباري تعالى عن مشابهة مخلوقاته فالشيخ محمد عبده يقول : إنه إذا كان لا يجوز لمسلم ان يتشكك في النبوة والمعجزات التى ثبت وقوعها على يد النبي ﷺ فانه حر ان يعتقد او ان لا يعتقد كرامات الاولياء »

ثم انه يضاف الى ماتقدم من الملاحظات كون مسلمي شمالي أفريقية لا يبرحون أمناء للاسلام وان كان بعض الفتور قد بدأ يظهر في عقيدتهم نفسها ، وهذا الفتور ان هو لم يخالط العقيدة فقد ظهر في الشعائر . مثال ذلك صوم رمضان الذي كان يتمسك به أقوام تمسكا بالدين قد مالت اليوم حباله الى الارتخاء »

ثم ان سيكار صاحب الكتاب عقد فصلا نحو صفحتين لخص فيه كتاب الشيخ علي عبد الرازق في أصول الحكم والخلافة ، ولما كان هذا الكتاب معروفا عند القراء لم نجد حاجة الى ترجمة كلامه . ثم انتقل الى موضع آخر أهم من كل ماتقدم وهو تنصير المسلمين وهل هو مستحب أم لا ،

(١) كذا وهو مخالف للاصلاح فان المصلحين هم الذين ينقمون من أهل الطرق خرافاتهم الوثنية وأما الجامدون فيتأولون لهم بل يوافقونهم على أكثرها

وهل هو ممكن أم لا ؟ وقد كانت النتيجة التي وصل اليها بعد مباحث أخذت ١٥ صفحة ان تنصير المسلمين مستحب وفيه من الفوائد الدينية والسياسية ما لا يخفى . كما أنه ممكن ايضا خلافا لما يذهب اليه بعضهم من استحالته وان كان في حد نفسه أصعب من تنصير الوثني، وفي كلامه لوم ظاهر للحكومة الفرنسوية التي لم توجه الى هذا الامر الجلل العناية الكافية بزعمه .

هذا ماذكره هذا الضابط الفرنساري المسمى جول سيكار المترجم الكبير في الجيش الافرنسي في افريقية الذي ليس بقس ولا راهب بل هو من مأموري حكومة تعلن انها لادينية أو «لايكية» ... فتأمل

وسنرسل الفصل المتعلق بتنصير المسلمين الى المنار لاجل البحث فيما تضمنه لانه يحتوي مباحث كلامية أو على رأيهم لاهوتية صاحب المنار أولى بالحكم فيها . أما انا فاني أعلق على الفصل الذي ترجمته الملاحظات الآتية

أولا ـ ليس لسيكار وبخاصة ليس للراهب لامنس اليسوعي أن يتكلم عن قضية جمود الاسلام ولا عن مخالفة نصوص كتابه للعلم الحديث فليس في القرآن ولا في الشريعة ما يخالف العلم الحديث . بل القرآن ملآن بالحث على العلم مطلقا لا يختص به نوعا من الانواع وليس في الدنيا كتاب دعا الى النظر والسير وتدبر أسرار الكون مادعا اليه القرآن فهل يقدر ان يقول لامنس اليسوعي والضابط سيكار شيئا من ذلك عن الكتب المقدسة عندهما ؟ وهي التي الف علماء من المسيحيين مؤلفات ذات أجلاد ضخمة على تناقض نصوصها وقواعدها مع قواعد العلم الطبيعي الحديث ؟ أيريان القذى في أعين غيرهما ولا يريان الخشبة التي في أعينهما ؟

أيتكلمان في الجمود ونسيان كل ما أورده المسيحيون من تاريخ الكنيسة في محاربة العلم؟ لم نكن نود التعرض الى هذا الموضوع لولم يحرجانا فيخرجانا اليه لان الذي يقرع الباب يسمع الجواب

ثانياً – قضية ان الشجرة تعرف من ثمارها لا تنطبق على ما نحن فيه فنحن لا يخطر لنا على بال أن ننكر ما في الانجيل الشريف من مبادىء سامية وفضائل بمثلها يرتفع قدر الانسانية وان المسلمين يجب عليهم ديناً ان يقدسوا الانجيل المنزل ومبادءه الثابتة ويؤمنوا بصاحبه ﷺ كما يؤمنون بمحمد وابراهيم وموسى ونوح صلوات الله عليهم جميعاً، ولكن نسبة تقدم أوربة وتفوقها على غيرها في الاعصر الاخيرة الى ثمرات الدين المسيحي ونسبة انحطاط العالم الاسلامي الحاضر الى ثمرات التعليم الاسلامي كلاهما محض خطأ فلو كان ذلك كذلك للزم أن تتقدم أوربة وتترقى منذ دانت بالنصرانية والحال أنه كان مضى عليها الف وخمسمائة سنة – مدة نظنها كافية للتأثر والتأثير – وهي دائنة بالدين المسيحي وكانت لا تزال متأخرة متقهقرة لا بل قسم منها كان بعد متوحشا فأين كانت ثمار تلك الشجرة طيلة الف وخمسمائة سنة؟ ومن الغريب ان أوربة لم تبدأ بالترقي – وهو رقي لا يعدو في الحقيقة المادة والصناعة – الا بعد ان تراخت فيها حبال العقيدة المسيحية بخلاف الاسلام الذى كان راقيا فائزا يوم كان أهله شديدي الاعتصام به واصبح متقهقراً ضعيفا عند ما قعد أهله عن القيام بعزائمه. ثم ان المدنية اليونانية قبل النصرانية كانت أعلى جداً من المدنية اليونانية بعد ان تنصر اليونان. فهل يريد سيكار ولامنس ان ينسبا ذلك الى تأثير الديانة؟ إذا تكون الميتولوجيا اليونانية أعلى من النصرانية! وهذا غير

معقول وان مدنية رومة كانت لعهد وثنيتها أرقى جداً من مدنيتها بعد
ان تنصرت . لا بل كان دخول رومة في النصرانية موافقا عهد بداية
انحطاطها ، أفنقول كما قال بعض مفكرى أوربة ومنهم أناتول فرانس :
ان ظهور النصرانية كان وقفا لسير المدنية في العالم وان بوار الدولة
الرومانية كان من آثار ديانتها الجديدة ؟ نحن لا نعتقد ذلك بل نذهب إلى
ان لانقراض الدولة الرومانية عوامل اخرى . كما ان انحطاط المدنية
الاوربية في القرون الوسطى لم يكن المسؤول عنه الانجيل . وكما أن
انحطاط الاسلام الحالي ليس بالمسؤول عنه القرآن بل هناك عوامل كثيرة
وان نسبة درجة رقي الامم الى تأثير الديانة تفضي بنا الى القول بأن ترقي
اليابان الحالي هو من ثمرات مذهب شينتو . هذا ما عدا المدنيات القديمة
كمدنية الصين والهند والمدنيات البائدة نظير مدنية بابل ونينوى والنبط
والفينقيين وكل هؤلاء كانوا وثنيين فهل نجعل الوثنية مصدر هذه الثمرات ؟
إذا لم يبق فضل للنصرانية على الوثنية

اذا البرهان على انحطاط الاسلام من جهة انحطاط المسلمين اليوم هو
برهان ساقط بأدنى تأمل . وليس الاسلام بمسؤول في القرون الاخيرة
عن انحطاط المسلمين أكثر مما كانت النصرانية مسؤولة عن سقوط رومة
وانحطاط الاوربيين في القرون الوسطى . ولو عمل المسيحيون حق العمل
بمقتضى مباديء الانجيل ، ولو عمل المسلمون حق العمل بأوامر القرآن
ونواهيه لافلحت كل من الامتين في الدنيا والعقبى ونالتا سعادتي المادة والمعنى

(ثالثا) الكلام المنسوب الى سنوك هورگرونجه المستشرق الهولاندي
مستغرب من جهة الزعم بأن الاسلام يعتمد في نشر عقيدته على الاكراه

وذلك أن قاعدة الاسلام النظرية والتي جرى العمل بها من صدر الاسلام هى « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » نعم قاتل النبي ﷺ لاول الامر المشركين لانه نهاهم عن الشرك بالله وعن عبادة الاصنام فلم ينتهوا عنها وكان دعاهم الى ذلك بالحسنى والقول اللين فلم يستمعوا له بل ثاروا به وقاتلوه فاضطر أخيراً ان يقاتلهم بالسيف دفاعا وأن يحطم أصنامهم بالسيف حتى يكون الدين كله لله . ومن المصائب أن بعض الناس يقرءون القرآن فتمر بهم آيات لا يفهمون معناها أو يؤولونها بغير معناها الحقيقي إما عن ضعف ملكتهم العربية وهى ملكة لا بد منها لمن أراد أن يفهم القرآن العزيز أو لعدم اطلاعهم على أسباب النزول والوقائع التى من أجلها وقع الوحي . وهذه المعرفة ضرورية لمن أراد أن يفهم كتاب الله حق الفهم فينشأ من جهل هؤلاء بهذين الامرين خلط كثير رأيناه في أكثر التآليف التى صنفها غير المسلمين في امر القرآن

أما المستشرق الهولاندي سنوك هوركرونجه فهو من أعرف الاوربيين بالكلام العربي والشرع الاسلامي فاذا كان صدر كلام كهذا عنه فهو عن تجاهل لا عن جهل وعن تعام عن الحقيقة لا عن عماية . فسنوك هوركرونجه يريد قبل كل شيء أن يخدم سياسة هولاندة التى من مقتضاها لاجل استتباب سلطتها على الجاوى وسومطرة توهين العقيدة الاسلامية واستئصالها ان أمكن . ولكن سنوك هوركرونجه يذهب في ايهانها أو استئصالها مذهب الحيلة لا مذهب البطش فيقول ان من الخطل العظيم أن تسن الدول الاستعمارية للمسلمين الذين استولت على بلادهم قوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية بمعنى أن هذه الشريعة

فيها من المرونة ما تسع معه احتياجات هذا العصر . بل يجب على الدول الاستعمارية أن تعدل عن هذه الخطة وتجتهد في اقناع المسلمين بأن شريعتهم أصبحت ثوبا باليا لا يقيهم حراً ولا برداً فان أرادوا أن يعيشوا كسائر الامم المتمدينة لم يكن لهم مندوحة عن طرح الاسلام تدريجا . وبذلك تكون دول أوربة الغالبة اليوم على الاسلام اتقت خطر انتقاض المسلمين عليها وأمنت مستقبل سلطتها عليهم .

وفي كلامه هذا الذي لخصناه في حواشي « حاضر العالم الاسلامي » شيئان جديران بالتقييد (أحدهما) ان سن قوانين عصرية مستمدة من الشريعة الاسلامية غير موافق لا من جهة عدم مرونة هذه الشريعة أو عدم اتساعها لذلك بل من جهة أنه لا ينبغي أن تسن لادارة أمور المسلمين أنظمة عصرية يوقنون بها ن شريعتهم قد تتلاءم مع العصر الحالي فيزدادون بها تمسكا وعليها عضا بالنواجذ . والحال أنه يجدر بالدول المستعمرة أن تبذل كل جهدها في اقناع المسلمين بأن شريعتهم أصبحت لا تصلح أصلا لهذا الزمان فهم بين أمرين لا ثالث لهما : اما أن يموتوا واما أن ينبذوا شريعتهم ؟ فالمسألة اذاً ليست حقيقة علمية بل حيلة سياسية .

(والامر الثاني) هو في كلام هذا الرجل الاعتراف بأن الخطر الوحيد الذي يتهدد الاستيلاء الاوربي ليس روح القومية بل روح الاسلام ، فاذا ذهبت روح الاسلام من الامم المسلمة هان عليها خضوعها للاجانب ولم يتكاءدها فقد استقلالها .

وبعبارة أخرى ان رابطة الاستقلال في العالم الاسلامي متوقفة على حياة الدين الاسلامي . فان ذهب الاسلام ذهب الاستقلال وأمن

المستعمرون شر الانتقاض في المستقبل . فهذا الاعتراف من مستشرق عظيم نظير سنوك هوركرونجه ثمين جداً يزيد قيمته اعتبارا أنه لسان حال دولة أوربية مستضعفة لـ ٤٠ مليونا من المسلمين

بقي نقطة ثالثة في كلام هذا المستشرق الهولاندي وهي قوله «ان بعض المجددين الذين عندهم أفكار عصرية من المسلمين لا يمثلون الدين الاسلامي أكثر مما تمثل فرقة المصريين modernistes في النصرانية الكنيسة الكاثوليكية»

يريد أن يقول ان التعاليم الكاثوليكية مخالفة للمبادىء العصرية وإن الذين يحاولون هذا الامر من الكاثوليك يحاولون المحال تقريبا

فليس اذاً لسيكار ولا للامنس أن يتكلما في عدم انطباق الدين الاسلامي على العلم الحديث وعلى الاوضاع العصرية . ويكونان قد احتجا بكلام رجل شهادته جاءت على الكاثوليكية كما جاءت على الاسلام أو أشد. ولهذا قلنا انه ليس لهذين وأمثالهما أن ينعتا الاسلام بالجمود وحب التقليد

ونضيف الى ذلك أنه ليس لسنوك هوركرونجه أيضاً ولا للهولانديين ولا للبروتستانت أن ينبزوا المسلمين بالجمود . فان البروتستانت المتخرين على الكاثوليك بالاخذ بالمبادىء العصرية وبالعمل بالعلم الحديث لا يفترقون عن الكاثوليك في شيء من جهة أساس العقيدة المسيحية وان أكثر ما بين الفريقين من الخلاف انما هو في عقائد ثانوية . ولسنا الآن في حاجة الى تفصيل هذه الامور . اذاً هذه الفرقة مثل تلك الفرقة من جهة الجمود على القديم وحب التقليد . ولكنهم أولعوا بنقد الاسلام والمسلمين ونسوا أنفسهم

وفي هذا الفصل الذي ترجمناه مظان أخرى تركنا الملاحظة عليها لفهم القارىء

شكيب أرسلان

السنة والشيعة - أو - الوهابية والرافضة

— ٤ —

نموذج من نقوله في الطعن على ابن تيمية

أول شيء نقله الرافضي العاملي في طعن العلماء على شيخ الاسلام ابن تيمية كلمة للفقيه أحمد بن حجر الهيتمي المكي وهي دعوى التجسيم

فنقول في الكلام عليها (أولا) هل يعد الرافضي العاملي كلام ابن حجر هذا في الدين ورجاله حكما صحيحا مع ذمه بما قاله في كتابه الصواعق وفي كتابه مناقب معاوية في بدع الشيعة وتضليلهم الخ أم يقبل قوله في ابن تيمية وحده دون معاوية ودون الشيعة كلهم كما هي عادة أمثاله من المتعصبين الذين لا يقبلون الا ما يوافق أهواءهم ؟

نحن لا ننكر أن ابن حجر الهيتمي طعن في ابن تيمية، وما هو من طبقته في علم من العلوم لا علوم الحديث ولا التفسير ولا الاصول والكلام ولا الفقه أيضا فابن حجر هذا فقيه شافعي مقلد لمذهب الشافعي غاية شأوه بيان ما قاله من قبله في المذهب وبيان الراجح من المرجوح والصحيح وغيره، وأما ابن تيمية فمن أكبر حفاظ السنة ومع كون طبقته في فقه الحنابلة أعلى من طبقة ابن حجر في فقه الشافعية فهو حافظ لفقه الأئمة ومن أهل الترجيح بينها بل هو مجتهد مطلق كما اعترف له أهل الانصاف من علماء عصره ومن بعدهم وان أنكر عليه بعضهم بعض المسائل المخالفة لمذاهبهم وما من امام مجتهد إلا وقد أنكر عليه المخالفون بعض أقواله وهم خير من

يقلدونه ويعدونه كالمعصومين في عدم مخالفته في شيء مما ثبت عنه

ومع هذا نعتقد أن ابن حجر الهيتمي هذا لم يطلع على كتبه وانما قال فيه ماقال اعتماداً على ما أشاع عنه خصومه من المبتدعة ومتأولة الاشاعرة ومغروري المتصوفة ، فمن أعظم سيئاته عند هؤلاء رده على الشيخ محي الدين بن عربي وبيانه لضلالة وحدة الوجود المشهورة عنه وعن أمثاله

وأما قوله باظهاره للعامة على المنابر دعوى الجهة والتجسيم فهو مقلد فيه لأولئك الخصوم في تسميتهم إثبات العلو لله تعالى جهة مستلزمة للتحيز والتشبيه للتنفير والتشهير بشناعة الالفاظ كتسميتهم لاثبات الاستواء على العرش والنزول الى سماء الدنيا ونحوهما تجسيماً أي بطريق اللزوم ، فان كان يلزم من اثبات نصوص الكتاب والسنة ماذكروا كما زعموا فهل يترك المسلمون نصوص الكتاب والسنة لأجل نظرياتهم في هذه اللوازم ؟ ثم هل يقولون بضلال سلف الامة وحصر الهداية بالمبتدعة المتأولين ، مع العلم بأن مذهب السلف ونصيرهم ابن تيمية نفي هذه اللوازم كلها ؟

وهذا دين ماناظره فيه العلماء الذين شكوا أمره الى سلطان مصر : قالوا إنه يذكر للعوام آيات الصفات وأحاديثها من غير تأويل وطلبوا منه هو عدم التصريح بذلك للعوام فأبى عليهم ذلك لأنه كتمان لما أنزله الله والله تعالى يقول في كتابه (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وأي طعن في الدين وجناية عليه أعظم من القول بوجوب كتمان صفات الله المنزلة في كتابه بناء على أن المبتدعة ومغروري المتكلمين قالوا بوجوب تأويلها

وقد قال الرافضي العاملي بعد نقل ماذكر عن ابن حجر الهيتمي :
وقال ابن حجر أيضا في (الدرر الكامنة) على ماحكي إن الناس افترقت في ابن تيمية فنهم من نسبه الى التجسيم الخ

ونقول في هذه الكلمة (أولا) إن ابن حجر صاحب الدرر الكامنة ليس ابن حجر الهيتمي المكي كما يدل عليه قوله «أيضا» بل هو الحافظ ابن حجر العسقلاني وكتابه (الدرر الكامنة) تاريخ له في اعيان المائة الثامنة وهو مشهور وان جهله الرافضي العاملي المدعي - فما أجهل هذا الرافضي برجال أهل السنة وكتبهم!

(وثانيا) إن الحافظ ذكر في تاريخه هذا ماتقوله الناس على ابن تيمية وما طعنوا به عليه كما يذكر هو وغيره من المؤرخين مثل ذلك في غيره من الائمة حتى المعصومين عند الشيعة ولكنه هو يثني عليه أجل الثناء . وقد رأيت كلامه في الانتصار لمذهب الحنابلة وهو مذهب السلف في الصفات الالهية ومنها صفة العلو وكذا في مسألة الحرف والصوت في شرحه للبخاري الذي نقلناه آنفا ولكن الرافضي يعمي عن رؤية ذلك ويوهم قراء كتابه ان الحافظ ابن حجر شيخ الاسلام وأستاذ أشهر العلماء والحفاظ في عصره يطعن في ابن تيمية ويقول بكفره ، لعدم تأويله للآيات والاحاديث الواردة في صفات الرب تعالى، كما أوهم مثل ذلك في الحافظ الذهبي اذ قال بعد ماتقدم نقله عنه في ص١٣٢ من كتابه مانصه:

« ورد أقاويله وبين أحواله الشيخ ابن حجر في المجلد الاول من الدرر الكامنة والذهبي في تاريخه وغيرهما من المحققين »

(وثالثا) ننقل من ترجمة الحافظ ابن حجر لابن تيمية ومن ترجمة الحافظ الذهبي فيها مايعرف به الحق من الباطل في مزاعم هذا الرافضي الكذاب فنقول

ترجمة

شيخ الاسلام ابن تيمية

قدس الله سره

للحافظ ابن حجر في تاريخه الدرر الكامنة(١)

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس بن شهاب الدين بن مجد الدين

ولد سنة احدى وستين وستمائة وتحول به أبوه من حران سنة سبع وستين وستمائة فسمع من ابن عبد الدائم والقاسم الاربلي والمسلم بن علان وابن أبي عمر والفخر في آخرين . وقرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود ، وحصل الاجزاء ، ونظر في الرجال والعلل ، وتفقه ، وتمهر ، وتميز ، وتقدم ، وصنف ، ودرس ، وأفتى وفاق الاقران ، وصار عجبا في سرعة الاستحضار ، وقوة الجنان ، والتوسع في المنقول والمعقول ، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

وأول ما أنكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة: قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحموية وبحثوا معه ومنع من الكلام ، ثم حضر القاضي امام الدين القزويني فانتصر له وقال هو وأخوه جلال الدين : من قال عن الشيخ تقي الدين شيأ عزرناه

(ثم ذكر ما وقع له من الاضطهاد والحبس والاطلاق بتواريخه مفصلا فعلم منه أن سببه سعاية بعض الجامدين على التقاليد الاشعرية والفقهية والمتصوفة الى السلطان في انتصاره لمذهب السلف وفي انكاره على الصوفية ولا سيما ابن عربي وفي مسئلة الطلاق الثلاث حتى أتهموه بطلب الخلافة كما سيأتي ، ذكر وان جميع الحنابلة كانوا يضطهدون معه وكان بعض المنصفين ينتصرون له لما امتازوا به من الاستقلال في العلم .

(١) كان عندنا أصل من هذه الترجمة منقول من نسخة من الدرر الكامنة في بغداد كثيرة التحريف والتصحيف صححناه على نسخة دار الكتب المصرية ونسخة الازهر

حتى إن الحكومة أكرهت الحنابلة كلهم على الاقرار بأنهم على معتقد الامام الشافعي. وذكر أن ابن تيمية نفسه كتب بخطه أنه على معتقد الشافعي. وهذا تخلص حسن إن صح ،الشافعي كان على مذهب السلف في اعتقاده بلا شك، وذكر أن ممن انتصر لابن تيمية في دمشق قاضي الحنفية شمس الدين الحريري أنه توفي معتقلا في القلعة لعشرين ليلة خلت من رجب سنة ٧٢٨ ثم قال:

قال الصلاح الصفدي كان كثيرا ما ينشد

تمرت النفوس بأوصابها ولم يدر عوا ها مابها
وما أنصفت مهجة تشتكي أذاه الى غير أحبابها

وأنشد له على لسان الفقراء:

والله ما فقرنا اختيار وانما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى وأكلنا ماله عيار
يسمع منا اذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

وسرد أسماء تصانيفه في ثلاثة أوراق كبار وأورد فيه من امداح أهل عصره كابن الزملكاني قبل ان ينحرف عليه وكابن الوكيل وغيرهما، قال ورثاه محمود بن علي الدقوقي وتجير الدين الخياط وصفي الدين عبد المؤمن البغدادي وجمال الدين بن الاثير وتقي الدين محمد بن سليمان الجعبري وعلاء الدين بن غانم وشهاب الدين بن فضل الله العمري وزين الدين بن الوردي وجمع جم، واورد لنفسه فيه مرثية على قافية الضاد المعجمة

قال الذهبي ما لخصه: كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه قال وما رأيت اسرع منه انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها ولا اشد استحضار اللمتون وعزوها منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه

بعبارة رشيقة لا يسبقه بها غيره وعين مفتوحة وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه

واما اصول الديانة ومعرفة اقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه هذا مع ماكان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد بل أكثر . وكان قوالا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم (ثم قال) ومن خالطه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ، ومن نابذه وخالفه قد ينسبني الى التغالي فيه ، وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده

وكان أبيض أسود الرأس واللحية قليل الشيب ، شعره الى شحمة أذنيه ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال ، بعيد مابين المنكبين ، جهوري الصوت ، فصيحاً سريع القراءة ، تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم (قال) ولم أر مثله في ابتهاله واستعانته بالله وكثرة توجهه . وأنا لا اعتقد فيه عصمة بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية فانه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشراً من البشر تعتريه حدة في البحث وغضب وسطة للخصم تزرع له عداوة في النفوس وإلا لو لاطف خصومه لكان لحلمه اجماع ، فان كبارهم خاضعون لعلمه ، معترفون بتفوقه ، مقرون بندور خطئه ، وأنه بحر لا ساحل له ، وكنز لا نظير له ، ولكن ينقمون عليه أخلاقا وأفعالا ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا رسول الله (ص)

(قال) وكان محافظاً على الصلاة والصوم معظما للشرائع ظاهراً وباطناً ، لا يؤتى من سوء فهم فان له الذكاء المفرط ، ولا من قلة علم فانه بحر زاخر ، ولا كان متلاعبا بالدين ، ولا ينفرد بمسئلة من التشهي ، ولا يطلق لسانه

عما اتفق ، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن ويناظر أسوة من تقدمه من الائمة فله أجر على خطئه وأجران على اصابته

الى أن قال: تمرض أياما بالقلعة بمرض حاد الى أن مات ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة وصلي عليه بجامع دمشق وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل وأقل ماقيل في عددهم أنهم خمسون ألفا

قال الشهاب بن فضل الله لما قدم ابن تيمية على البريد الى القاهرة في سنة سبعمائة نزل عند عمي شرف الدين وحض أهل المملكة على الجهاد وأغلظ القول للسلطان والامراء ورتبوا له في مدة اقامته في كل يوم دينارا ومخفقة طعام فلم يقبل من ذلك شيئا، وأرسل له السلطان بقجة قماش فردها

(قال) ثم حضر عنده شيخنا أبو حيان فقال مارأت عيناي مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديهة وأنشده إياها

لما أتانا تقي الدين لاح لنا ... داع الى الله فرد ماله وزر

على محياه من سيما الأُلى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر

حبر تسربل منه دهره حبراً ... بحر تقاذفُ من أمواجه الدرر

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم اذ عصت مضر

واظهر الحق إذ آثاره اندرست ... وأخمد الشر اذ طارت له شرر

يامن يحدث عن علم الكتاب أصخ ... هذا الامام الذي قد كان ينتظر(١)

قال ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فأغلظ ابن تيمية القول في سيبويه فناظره أبو حيان وقطعه بسببه ثم عاد ذامّاله وصير ذلك ذنبا لا يغفر

---

(١) وفي نسخة

كنا نحدث عن حبر يجيء بها ... انت الامام الذي قد كان ينتظر

(قال) وحج ابن المحب سنة ٢٤ فسمع من أبي حيان أناشيد فقرأ عليه هذه الابيات فقال قد كشطتها من ديواني ولا أذكره بخير فسأله عن السبب في ذلك فقال ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيبويه فقال يفشر سيبويه ، قال أبو حيان وهذا لا يستحق الخطاب. ويقال ان ابن تيمية قال له : ما كان سيبويه نبي النحو ولا معصوما بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ماتفهمها أنت. فكان ذلك سبب مقاطعته اياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذلك في مختصره النهر. ورثاه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائية مليحة وترجم له ترجمة هائلة تنقل من المسالك إن شاء الله تعالى ورثاه زين الدين بن الوردي بقصيدة لطيفة طائية

وقال جمال الدين السرمري في أماليه: ومن عجائب ماوقع في الحفظ من أهل زماننا أن ابن تيمية كان يمر بالكتاب يطالعه مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه .

وقال الاقشهري في رحلته في حق ابن تيمية: بارع في الفقه والاصلين والفرائض والحساب وفنون أخر وما من فن إلا له فيه يد طولى وقلمه ولسانه متقاربان . قال الطوفي سمعته يقول من سألني مستفيداً حققت له، ومن سألني متعنتا ناقضته فلا يلبث أن ينقطع فأكفى مؤنته : وذكر تصانيفه وقال في كتابه ابطال الحيل: هو عظيم النفع . وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر مالا يقدر أحد أن يورده في عدة مجالس كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها مايشاء ويذر منها مايشاء

ومن ثم نسبت أصحابه الى الغلو فيه واقتضى له ذلك العجب بنفسه،

حتى زها على أبناء جنسه ، واستشعر انه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم ، قديمهم وحديثهم ، حتى انتهى الى عمر فخطأه في شيء فبلغ الشيخ ابراهيم الرقي فأنكر عليه فذهب اليه واعتذر واستغفر . وقال في حق علي أخطأ في سبعة عشر شيئا (كذا) ثم خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها أطول الأجلين

وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع في الاشاعرة حتى إنه سب الغزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه. ولما قدم غازان بجيوش التتر إلى الشام خرج اليه وكلمه بكلام قوي فهم بقتله ثم نجا واشتهر أمره من يومئذ

واتفق ان الشيخ نصراً المنبجي كان قد تقدم في الدولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فيه فبلغه ان ابن تيمية يقع في ابن العربي(١) لانه كان يعتقد فيه انه مستقيم وان الذي ينسب اليه من الاتحاد أو الالحاد من قصور فهم من ينكر عليه ، فأرسل ينكر عليه وكتب اليه كتابا طويلا نسبه واصحابه الى الاتحاد الذي هو حقيقة الالحاد فعظم (٢) ذلك عليهم واعانه عليه قوم آخرون ضبطوا عليه كلمات في العقائد مغيرة وقعت منه في قواعده وفتاويه فذكر أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين وقال كنزولي هذا (٣) فنسب الى التجسيم ورده على من توسل بالنبي ﷺ واستغاث . فأشخص من دمشق في رمضان سنة ٦٩٨ فجرى عليه ماجرى وحبس مرارا فأقام على ذلك نحو اربع سنين او اكثر وهو مع ذلك يشتغل ويفتي

(١) لعله سقط من هنا شيء (٢) قد نشرنا في المنار كتاب ابن تيمية للشيخ نصر هذا من قبل (٣) الصحيح انه قال : لا كنزولي هذا – كما نقله بعض المؤرخين وهو الموافق لما صرح به في مواضع من وجوب الجمع بين امرار النصوص ونفي التشبيه . فحرف كلامه اعداؤه ولعل بعضهم لم يسمع حرف « لا » فنقله مثبتاً

الى أن اتفق ان الشيخ نصراً قام على الشيخ كريم الدين الآيلي شيخ خانقاه سعيد السعداء فاخرجه من الخانقاه وعلى شمس الدين الجزري فأخرجه من تدريس الشريفية فيقال ان الايلي دخل الخلوة بمصر اربعين يوما فلم يخرج حتى زالت دولة بيبرس وخمل ذكر نصر. وأطلق ابن تيمية الى الشام

وافترق الناس فيه شيعا(١) فنهم من نسبه الى التجسيم لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرها ، من ذلك قوله في اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وانه مستو على العرش بذاته، فقيل يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال انا لانسلم ان التحيز والانقسام من خواص الاجسام، فألزم بانه يقول بتحيز في ذات الله تعالى

ومنهم من نسبه الى الزندقة لقوله : النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يستغاث به ، وان في ذلك تنقيصا ومنعا من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس عليه في ذلك النور البكري ، فانه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين: يعزر ، وقال البكري : لا معنى لهذا القول فانه إن كان تنقيصا يقتل وإن لم يكن تنقيصا لم يعزر

ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله في علي ماتقدم ولقوله انه كان مخذولا حيثما توجه ، وأنه حاول الخلافة مراراً ولم ينلها، وانما قاتل للرياسة لا للديانة، ولقوله انه كان يحب الرياسة،وان عثمان كان يحب المال، ولقوله في أبي بكر أسلم شيخا يدري مايقول ، وعلي أسلم صبيا والصبي لا يصح

(١) اقتصر الرافضي العاملي من هذه الترجمة الحافلة على ذكر هذه المطاعن المنقولة التي سيأتي فيها مايدل على بطلانها من كلام العلامه العمري وقد شاهدنا في عصرنا مثلها في شيخنا الاستاذ الامام وشيخه السيد جمال الدين

اسلامه على قول، وبكلامه في قصة خطبته بنت أبي جهل وما بها من الثناء وقصة أبي العاص بن الربيع وما يؤخذ من مفهومها فانه شنع في ذلك فألزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم « لا يبغضك إلا منافق »

ونسبه قوم الى أنه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه، وكان له وقائع شهيرة وكان اذا حوقق وألزم يقول لم أرد هذا وانما أردت كذا فيذكر احتمالا بعيداً

(قل) وكان من أذكياء العالم وله في ذلك أمور عظيمة منها أن محمد ابن بكر السكاكيني عمل أبياتا على لسان ذمي في إنكار القدر أولها

أيا علماء الدين ذمي دينكم   تحير دلوه بأعظم حجة
اذا ماقضى ربي بكفري بزعمكم   ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

فوقف عليها ابن تيمية فثنى إحدى رجليه على الأخرى وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم بمائة وتسعة عشر بيتا أولها

سؤالك ياهذا سؤال تعنت   يخاصم رب العرش باري البرية

وكان يقول أنا ماقرأت في الاقفاص

وقال شيخ شيوخنا الحافظ أبو الفتح العمري في ترجمة ابن تيمية:

حدا بي يعيش المزي على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، او حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه . كان يتكلم في التفسير،

فيخضر مجلسه الجم الغفير ، ويروون من بحر علمه العذب النمير . ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير ، الى أن دب اليه من أهل بلده داء الحسد ، وألب أهل النظر منهم على ماينتقد عليه من امور المعتقد ؛ فحفظوا عنه في ذلك كلاما ، اوسعوه بسببه ملاما ، وفوقوا لتبديعه سهاما ، وزعموا أنه خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعوه ، وقاطع بعضهم وقاطعوه ، ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر الى طريقة ، ويزعمون أنهم على أدق ناظر منها وأجلى حقيقة ، فكشف تلك الطرائق ، وذكر لها على زعمه بوائق ، فآضت الى الطائفة الاولى من منازعيه ، واستغاثت بذوي الضغن عليه من مقاطعيه ، فوصلوا بالامراء أمره ، وأعمل كل منهم في كفره فكره ، فرتبوا محاضر ، وألبوا الرويبضة(١) للسعي بها بين الاكابر ، وسعوا في نقله الى حضرة المملكة بالديار المصرية فنقل ، وأودع السجن ساعة حضوره واعتقل ، وعقدوا لاراقة دمه مجالس ، وحشروا لذلك قوما من عمار الزوايا وسكان المدارس ، مابين مجامل في المنازعة ، ومخاتل في المخادعة ، ومجاهر بالتكفير مبادر بالمقاطعة ، ليسومونه ريب المنون ، وربك يعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون ، وليس المجاهر بكفره ، بأسوأ حالا من المخاتل وقد دب اليه عقارب مكره ، فرد الله كيده في نحره ، ونجاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره ، ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم

(١) العبارة غير واضحة وهي اشارة الى حديث ورد في امارات الساعة منه « وإن تنطق الرويبضة » قيل وما الرويبضة يارسول الله ؟ قال الرجل التافه ينطق في أمر العامة » قال في النهاية والتافه الخسيس الحقير . والمراد ان ادعياء العلم المقلدين الحاسدين صاروا يتكلمون في ذم امام كشيخ الاسلام نابغة الاعصار

يزل ينتقل طول عمره من محنة الى محنة، الى أن فوض أمره إلى بعض القضاة فتقلد ما تقلد من اعتقاله ، ولم يزل بحبسه ذلك الى حين ذهابه الى رحمة الله تعالى وانتقاله ، والى الله ترجع الأمور ، وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وكان يومه مشهوداً ضاقت بجنازته الطريق ، وأتى لها المسلمون من كل فج عميق ، يتقربون بمشهده يوم يقوم الاشهاد، ويتمسكون بسريره حتى كسروا تلك الاعواد ،

قال الذهبي مترجما له في بعض الاجازات: قرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في العلوم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين ، وصنف التصانيف وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وتصانيفه نحو أربعة آلاف كراسة وأكثر

وقال في موضع آخر: وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الاربعة فليس له نظير

وفي موضع آخر وله باع طويل في معرفة أقوال السلف وقل أن يذكر مسألة الا ويذكر فيها مذاهب الائمة وقد خالف الائمة الاربعة في عدة مسائل صنف فيها واحتج بالكتاب والسنة

ولما كان معتقلا بالاسكندرية التمس منه صاحب سبتة أن يجيز له بعض مروياته فكتب له جملة من ذلك في عشرة أوراق بأسانيده من حفظه بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر من يكون وأقام عدة سنين لا يفتي بمذهب معين

وقال في موضع آخر: بصير بطريق السلف واحتج له بأدلة وأمور لم يسبق اليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها غيره ، حتى قام عليه خلق من العلماء المصريين فبدعوه وناظروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي بل يقول الحق اذا

أداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته فجرى بينهم حملات حربية، ووقعات مصرية وشامية ، ورموه عن قوس واحدة ، ثم نجاه الله تعالى ، وكان دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوي التوكل رابط الجأش ، له أوراد وأذكار يديمها يومية وجمعية

وكتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فأجابه ومن جملة الجواب: وأما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبر قدره ، وزخارة بحره ، وتوسعه في العلوم العقلية والنقلية ، وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل فن ، ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف ، والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل ، مع ما جمعه الله له من الزهادة ، والورع والديانة ، ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض في هذا سواه ، وجريه على سنن السلف وأخذه بذلك المأخذ الأوفى وغرابة مثله الزمان بل من أزمان .

وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين العلائي في ثبت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء الدين عبد الله بن محمد بن خليل مانصه: وسمع بهاء الدين المذكور على الشيخين شيخنا وسيدنا وامامنا فيما بيننا وبين الله تعالى شيخ التحقيق ، السالك بمن اتبعه أحسن الطريق ، ذي الفضائل المتكاثرة ، والحجج القاهرة ، التي أقرت الامم كافة أن هممها عن حصرها قاصرة ، متعنا الله تعالى بعلومه الفاخرة ، ونفعنا به في الدنيا والآخرة ، وهو الشيخ الامام العالم الرباني ، والحبر البحر القطب النوراني ، امام الائمة ، بركة الامة ، علامة العلماء ، وارث الانبياء ، آخر المجتهدين ، أوحد علماء الدين ، شيخ الاسلام ، فخر الاعلام ، قدوة الانام ، برهان المتكلمين ، قامع المبتدعين ، سيف المناظرين ، بحر العلوم ، كنز

المستفيدين ، ترجمان القرآن ، أعجوبة الزمان ، فريد العصر والاوان ، تقي الدين، امام المسلمين، حجة الله على العالمين، اللاحق بالصالحين، والمشبه بالماضين ، مفتي الفرق ، ناصر الحق ، علامة الهدى، عمدة الحفاظ ، فارس المعاني والالفاظ ، ركن الشريعة ، ذو الفنون البديعة، أبو العباس ابن تيمية

وقرأت بخط الشيخ برهان الدين محدث حلب قال اجتمعت بالشيخ شهاب الدين الاذرعي سنة ٧٩ لما أردت الرحلة الى دمشق فكتب لي كتبا الى الباسوقي والحسباني وابن الجابي وابن مكتوم وجماعة الشافعية اذ ذاك فحصل لي بذلك منهم تعظيم وذكر لي في ذلك المجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية وأثنى عليه وذكر لي شيئاً من كراماته وذكر أنه حضر جنازته وأن الناس خرجوا من الجامع من كل باب وخرجت من باب البريد فوقعت سرموذتي فلم أستطع أن أستعيدها وصرت أمشي على صدور الناس ، ثم لما فرغنا ورجعت لقيت السرموذة وذلك من بركة الشيخ رحمه الله تعالى انتهى

(يقول ابو محمد شفيع صاحب المنار) هذا ماقاله الحافظان الذهبي وابن حجر وما نقلاه من ثناء الحفاظ والمؤرخين المنصفين في شيخ الاسلام احمد تقي الدين ابن تيمية وما نقلاه من تقولات حساده وخصومه من المشايخ المقلدين الجامدين، وما حققه بعضهم من اسبابها . ومنه يعلم كنه كذب السيد محسن العاملي الرافضي وتعصبه وجهله ، فانه أوهم قراء كتابه الملفق ان الحافظين الذهبي وابن حجر كانا يطعنان في عقيدته ، وأنه لم يوجد في المسلمين من زكاه الا تلاميذه ثم الشيخ محمد عبد الوهاب ثم صاحب المنار، وحسبنا هذا في بيان كذبه وافترائه عليه وعلى العلماء وعلى الوهابية عن عمد وعلى جهل. ومازال غلاة الشيعة أكذب الفرق وأبعدها عن طلب الحق في خلافها لغيرها كما قال احد علماء الالمان المستشرقين

وأما طعنه علينا فاننا نفوض الى الله تعالى أمر جزائه عليه (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لايحب كل مختال فخور)

(تمت الرسالة الاولى)

العيد الذهبي

لشيخ الشعراء ونادرة الادباء ونابغة الفيحاء عير...

نشرنا في ص ٢٣٨ م ٢٩ الاذاعة التي نشرتها اللجنة ... الشام للاحتفال بهذا العيد الادبي الوطني، وكنا ننوي حضوره ... علينا الحقوق الشخصية الموروثة ، علاوة على الحقوق الوطنية والقومية والادبية ، فشاعرنا الكبير في مقدمة أصدقائنا الاوفياء بالتعارف الروحي الادبي والتوارث عن الآباء والاجداد

كان والده الشيخ عبد الغني يكرمني تكريمه لاعز أنجاله وأنجب تلاميذه ، ويثني علي في بداية طلبي ثناء كنت أخجل من ذكره ، وكانت الزيارات والمودة متصلة من قبل بين الآباء والاجداد ، وعهدته مصطافا بدارنا في القلمون مع أهل بيته بمقام سيد الدار وكبير الاسرة

ثم قد بلغت بيني وبين الشيخ محمد كامل الرافعي الشقيق الاكبر لعبد الحميد بك درجة الكمال كما ذكرت ذلك في ترجمته رحمه الله تعالى، وكان نادرة المثل في هذا العصر في الاشتغال بالعلوم العالية ، والتخلق بالاخلاق السامية ، حتى انني لما زرت الوطن في عام الدستور العثماني (سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م) لم يكن يسمح لي أن أبيت عند والدتي الا ليالي قليلة فكنت في معظم المدة التي أقمتها في طرابلس أبيت عنده في حجرة نومه، وكان جل حظنا من هذا المبيت المذاكرات العلمية فالاجتماعية والسياسية قبل النوم وبعد صلاة الفجر في أول وقتها بالجامع الكبير المجاور لدارهم. دع تلك المسامرات والمساجلات الجميلة ، في تلك الليالي الشتائية القصيرة الطويلة ،

في تلك الدار التي كان عبد الحميد بك نجم سمائها المتألق، وغيث آدابها المتدفق.

وكنت لما اقترن عبد الحميد بك نظمت وأنا تلميذ مبتدىء موشحاً كالموشحات الاندلسية في تهنئته أنشدته بنفسي في حفلة الزفاف وهي أول تهنئة نظمتها، وأول قصيدة أنشدتها، في أرق محفل، وأكرم منزل، أذكر بعض ما أحفظ منها، وتشفع لي البداية في ضعفها

أسقيط الطل في نبت الحمى	أم لآل فوق بسط السندس
أم نجوم تتراءى في السما	أم ثغور زينت باللعس

* * *

ياعُريبا تخذوا نبت اللمى	عند فقد الحرث منه بدلا
وبقلبي قد تركتم ألما	لم يغادر انجاني أملا
لي منكم غادة لم يدرما	بفؤادي طرفها قد فعلا
حيث قالت حين زارت ريثما	تقف الانجم بعد الغلس
احذر الانس بنيري إنما	كنت إنساناً لفرط الانس

* * *

ان نجم الكأس فيما قد حوى	هز منها العطف إذ تغتبق
غربت شمس الطلا لماهوى	فبدا في وجنتيها الشفق
وبجفنيها لارباب الهوى	ان تأملت عدو أزرق
دائما يفخر في سفك الدما	ويباهي بهلاك الأنفس
يسلب الروح برفق مثلما	تسلب الراحة عقل المحتسي

ومنه في مدحه :

لسن ان نظم الشعر غدا	يتراءى فوق طوق البشر

تنصت الناس إذا ما أنشدا كيف تصغي لاستماع السور
كلما كرر يحلو مورداً وهو لم يهجر لفرط الحصر
ما أبو الطيب إما نظما وابن هاني شاعر الاندلس
ليس يهنئك اذا شعرهما وبه لم تاق طيب الانفس

فاذا كانت باكورة شعري في التهاني قد انشدت في عيد زفافه فأجدر بي أن أكون أول السابقين الى حضور حفلة عيده الذهبي ، وأول الساجعين بمناقبه، ومناقب أبيه وأخيه وبيته، ولكن أحكام القدر القاهرة ذالبتي على أمري ، ـ وما زالت غالبة لكل الخلق ـ ، فحالت دون ماتصبو اليه نفسي ، ويوجبه على روحي وعقلي ، وما كان الا خيراً يسرني به أخي وصديقي . فقد أنعم الله تعالى علي بشراء دار بل قصر ، في حي الانشاء من مصر ، وكان من قضائه وقدره أن انتقل اليها بالعيال والمطبعة والمكتبة في الشهر الذي أقيمت فيه حفلة العيد الذهبي له ، وان أجدد بجانبها بناء للمطبعة ، ولا أزال حتى كتابة هذه السطور في العشر الاخير من ذي الحجة مشغولا بذلك ، وقد اعتذرت للجنة الاحتفال ببرقية تليت عقب افتتاحها هذا نصها :

لجنة يوبيل الرافعي (بطرابلس المدينة)

أساهمكم بروحي وجناني، وقلبي ووجداني، ما حال القدر القاهر دون السعي له بجثماني، من الاحتفال بيوبيل شاعرنا الاسمى ، وصديقي الأوفى ، محيي أدب العرب ، ووارث مجد العلم عن خير أب وجد

رشيد رضا

خبر الوفد المصرى للعيد

هذا وإنى كنت قد اتفقت مع امير الشعراء احمد شوقى بك وشاعر القطرين خليل بك المطران ثم مع احمد شفيق باشا وكيل الرابطة الشرقية على تأليف وفد منا وممن يرغب السفر الى طرابلس معنا للاشتراك في هذا الاحتفال ، وجعله في نظامه الحلقة الثانية من حلقات مؤتمرات الادب العربي اذ كانت حفلة شوقي هي الاولى منها ، وانا الذي اقترحت بالاتفاق مع هؤلاء تأخير موعد الاحتفال من شهر كانون الثاني (يناير) الى شهر نيسان ، لان السفر فى عنفوان الشتاء مما يشق على كل انسان، ثم عرض لي من العذر ماأشرت اليه من قبل وعرض مثله لاحمد شفيق باشا ، فقد انتهت اجارته للدار التى كان يسكنها وتجتمع فيها الرابطة الشرقية ، وتم بناء الدار التى أنشأها فى روضته من شبرا على ضفة النيل، واحتاج الى الانتقال اليها فى شهر ابريل ، كما انه استأجر مكانا للرابطة الشرقية نقلت اليه فيه ، وعرض لخليل بك المطران عذر يتعلق بوظيفته الرسمية . وكنت كلمت أيضا نصيري العرب والادب احمد زكي باشا وحمد الباسل باشا فاظهرا لي الرغبة القلبية فى السفر ، ولكن فاجأني خبر تحديد السابع من الشهر للحفلة فى اليوم الثالث منه فتعذر تأليف الوفد فى بقية الاسبوع ممن لم تمنعهم الاعذار القاهرة . وكان أحمد زكي باشا قد شرع فى الدعوة الى حفلته الشرقية الغربية التي اشتهر خبرها ، وبقي الى يوم الجمعة وهو اليوم الخامس منه يرجو أن يتمكن من السفر فلم يتح له ، وتأخر أحمد شوقي بك في نظم قصيدته فلم يدرك بها الاحتفال فنشرت في الجرائد —

فهذا عذر مصر وعذر عارفي فضل الرافعي وآل الرافعي من المصريين في تقصيرهم

ثم رأيت من الواجب علي أن أنوه بهذا العيد السعيد في المنار، وأبلغ خبره ما يبلغه من الاقطار، فأذكر فيه شيئا مما كنت أحب أن اقوله فيه، وأحسن ما أنشد الشعراء في مناقب صاحبه وذويه ، ولولا انني تركت نظم الشعر منذ ثلث قرن بالتقريب فلم أنظم بعد أن هاجرت من طرابلس قصيدة ولا مقطوعة ، فلا مطمع لي الآن في وصل ما بكته بعد طول هذه القطيعة، لأديت هذا الواجب بقصيدة أودعها ما أستطيع بيانه من شعوري ، وأحملها ما استطيع حمله من آيات سروري ، وكنت وعدت بأن أقول هنالك كلمة في تاريخ الاسرة الرافعية ومكان بيت الشيخ عبد الغني منها ، تعريفا لمن يجهل من وفود عيد هذا الكوكب الدري من كواكبها ، بعض ما أعرفه دونهم من غرر مناقبها ، والآن فات المقتضي لذلك التفصيل ، والموانع الشواغل لا تأذن من الاجمال الا بالقليل

مكانة الرافعية وبيت شاعرنا منها

الاسرة الرافعية أشهر بيوتات العلم في ديار الشام ومصر . فهي اذا أشهرها في الامة العربية ، والاقطار الاسلامية ، وكان جل شهرتها في فقه الحنفية ، وقد تولى كثير من رجالها مناصب القضاء والافتاء في الديار المصرية والممالك العثمانية ، واشتهر بعض شيوخها بالارشاد والصلاح ، ولكن بيت الشيخ عبد الغني قد اجتمع فيه من المناقب والفضائل مالم يتفق لاحد منهم، وقلما اتفق مثله لغيره من غيرهم

كان الشيخ عبد الغني آية في الذكاء والزكاء، والهمة والمضاء ، طلب العلوم العربية والشرعية ففاق فيهما الاقران، وسلك طريق الصوفية ففات أهل

العرفان، وانما سلكها بالمجاهدة العملية ، دون الرسوم والمظاهر الصورية ، فكان من أولي الفرقان في درجات العرفان ، بعد أن قطع المراحل، متنقلا في المنازل، حتى ذاق طعم الفناء وبلغ حال الجمع ، ثم ارتقى الى مقام الفرق بحكم الشرع . كما أنه اشتغل من تلقاء نفسه بآداب اللغة كآداب النفس ، وراض جواد يراعه في ميداني النثر والنظم، وقد سمعت منه أنه قرأ كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي ثلاثين مرة . وقرأ احياء العلوم للغزالي مراراً كثيرة ، — وناهيك ببلاغة عبارتهما، وحسن انشائهما ، فكان كاتبا يستخرج الدرر من أعماق البحور، كما كان شاعرا ينظمها كالعقود في نحور الحور ، ولا أدري أي دواوين الشعراء كان يحفظ ، وانما أعهد أنه كان حسن الاختيار ، لكل مايراجع ويطالع من الدواوين والاسفار .

وقد ولي منصب القضاء في ولاية صنعاء اليمن وأقام فيها عدة سنين عاشر في أثنائها علماء الزيدية وناظرهم ، ورأى مالم يكن يعرف من المصنفات في خزائن عاصمتهم ، فعاد الى طرابلس الشام بعلم جديد كانت تصبو اليه سلامة فطرته ، وينبو عنه أو يحول دونه حال وطنه ودولته ، ألا وهو الاستقلال الاجتهادي في العلم وفقه الحديث، وكان الذي هداه الى هذا كتاب نيل الاوطار للامام الشوكاني الصنعاني يظهر أنه جاء به من اليمن وهو مطبوع في مصر، وكان يقرؤه درسا في بهو داره فيحضره المنتهون من طلاب العلم من أنجاله وغيرهم ، وقد حضرت بعض دروسه بالاتفاق ، وكان ذلك قبل شروعي في طلب العلم ، ولم أنس جرس صوته ولا اشارة يده عند نطقه بالكلمة التي يكررها الشوكاني في التعبير عن الترجيح بين الاقوال المتعارضة في المسائل ، بعد المعادلة بين

الدلائل ، أعني كلمة « وهو الحق » إذ كان الشيخ يرفع بها صوته ويخفض يده اقراراً لها واستحسانا .

نعم كان مستعداً بفطرته الذكية واخلاصه في طلب العلم للاستقلال في الفهم واتباع الدليل ، وزادته قراءة الاحياء فكتب الشيخ عبد القادر الجيلي استعدادا له ونفورا من التقليد ، ثم كمل له ذلك بقراءة نيل الاوطار في فقه الحديث ، فكان في آخر عهده محدثا فقيه النفس ، صوفيا مصفى من من آفات النفس ، ولم يكن في يوم من الايام صوفي تقاليد وحلقات أذكار ، وسماع دفوف أو أوتار ، وإنما تصوفه علم وأخلاق

كان من أزهد الناس في الدنيا بقلبه ، واصدقهم توكلا على ربه ، على كونه أطيبهم عيشا في مطعمه ومشربه ولباسه وزينة داره . وكان أشد الناس تواضعا للفقراء والمساكين ، على كبر جاهه ورفعة مقامه عند الحكام المتكبرين ، والكبراء المفنقين المتأنقين . فكان يضع يده في يد من يعاشرونه من الفقراء كالشيخ صديق الافغاني ويماشيه في السوق ، ويذاكره في آفات النفس والمعرفة وفلسفة الاخلاق ، مذاكرة الاقران للاقران ، وقد سبق لي ذكر غير هذا من مناقبه وفضائله في المنار

وقد ورث كل نجل من أنجاله ، ماشاء الله أن يرث من شمائله وخلاله . واقتبس من أدركه منهم من معارفه وأدبه وحكمته . ماهو مستعد له بعقله وذوقه وغريزته . كما أشرت الى ذلك في رثائه :

فللمعارف والارشاد كاملهم ... من حالف العلم فيه الهدي والعملا
وفي البلاغة كم عبد الحميد سما ... وللتحدي بها آي البيان تلا

ولم أر مثلا لامتياز بيت عبد الغني في رافعية سورية إلا امتياز بيت

عبد اللطيف في رافعية مصر، فهو قد أنجب عالمين سياسيين حقوقيين كاتبين بليغين مؤلفين، خدما مصر في صحفها ومصنفاتها التاريخية السياسية أجل خدمة. وهما أمين بك صاحب جريدة الأخبار رحمه الله، وعبد الرحمن بك صاحب المصنفات المشهورة حفظه الله، وكل منهما حافظ على شرف أسرته، بقوة عقيدته، والمحافظة على عبادته، فتم بهما للأسرة الرافعية خدمة أمتهما العربية، في وطنيهما مصر وسورية، من جميع الطرق الدينية والدنيوية

عبد الحميد الرافعي

امتاز عبد الحميد الرافعي بحب الفصاحة، وعشق البلاغة، على ذوق في البيان دقيق، وأسلوب في الشعر رشيق، وسليقة كانت تنبجس من عين غريزته، وتستمد من بحر والده، وكانت كتب الأدب وفنونه، والشعر ودواوينه، لا ترتقي في عهد طلبه للعلم عن كتاب الجوهر المكنون الى شرحي التلخيص للسعد إلا قليلا، ولا تتجاوز خزانة ابن حجة ودواوين البها زهير وابن الفارض وأمثالها الا نادرا. فهو أول من عني ثم بديواني المتنبي والبحتري، ومارس ديواني الشريف الرضي وتلميذه مهيار الديلمي. ولكن مجال الشعر في عصر نشأته كان ضيق الساحة، وحرية الكلام كانت في الدولة التركية قليلة المساحة. والباعث على إجادة المنظوم، كان في حكم المعدوم، ولم يكن أحد من كبراء الدنيا مغرما به، مغرى باستمالة اربابه، إلا الشيخ ابا الهدى الصيادي، ولم يكن يرضيه منه إلا ما مزج بالخرافات، وانتحال الكرامات، وقد ابتلي به أديبنا فحاول احتكاره لنفسه، وقصر أكثر شعره على مدح الرفاعي ومدحه، حتى كان يستحي من نشر ديوانه من بعده،

ولو نشأ عبد الحميد في مصر، لفاق جميع شعراء العصر، في جميع مناحي الشعر،

فبذ البارودي في الفخر والحماسة ، وشوقي في السياسة والكياسة ، وحافظا في الاجتماعيات، وخليلا في المدنيات، ورافعي مصر في الخياليات . كيف وهو على ماذكرنا من معارضة الزمان والمكان والسلطان ، مصداق لقول الغزالي: ليس في الامكان ابدع مما كان .

كان والده يفضل الشيخ عبد القادر الجيلاني على جميع شيوخ الصوفية، وكان الشيخ نجيب الزعبي الجيلاني من شيوخ والده في العلم. فأراد عبد الحميد أن يرضي روح والده بنظم قصيدة في مدح الجيلاني، فكانت قصيدته بما بث فيها من روح الاخلاص، أعلى من كل مامدح به الرفاعي والصيادي بباعث القهر والاكراه، وكان من أبياتها التي لاأنكر معانيها قوله

أجل رجال الله في منتدى العلى مقاما وخذ مني على ذلك الفتوى
تزاحم وفد العارفين بنهجه سراعا ولم يبلغ له أحد شأوا
مآثره في جبهة الدهر غرة فلاذكرها يبلى ولاصحفها تطوى
تطيب بذكراها المسامع واللهى فدونك ماشئت الحلي أو الحلوى
سليل بنى الزهرا ولله نسخة لقد قوبلت بالاصل في اللفظ والفحوى

فلما بلغت هذه القصيدة أبا الهدى كاد كجهنم يتميز من الغيظ . وكتب الى الناظم أبياتاً يهدده فيها بطعنة من حربة الرفاعي المسمومة ، أراد بها سعيه الى عزله من عمله في الحكومة . وكان يومئذ مستنطق لواء طرابلس (أي قاضي التحقيق) فاضطر الى السفر الى الاستانة لاسترضائه ، وتقرب اليه بالقصيدة الدالية الشهيرة التي نظمها في وصف سفره ومدحه

قعد الحظ به حتى اقتعد غارب السعي ومن جد وجد
سامه الدهر خمولا فنبا ولقد يخمل في الغاب الاسد

فلما دخل عليه كان أول ما خاطبه به قبل رد السلام : أصرت تفتي ياعبد الحميد؟ يشير إلى البيت الاول من هذه الابيات التي هاجت حسده ، فأحرق كبده ، وفرض عليه أن يكفر ذنب هذه القصيدة بنظم ديوان في مدح الرفاعي من جميع حروف الهجاء ففعل

صفة الاحتفال

كان الاحتفال بهذا العيد الادبي الوطني العربي في يوم من أجمل أيام الزمان ، وهو السابع من شهر نيسان ، إذ الشمس في برج الحمل ، والدنيا تزدان من سندس الربيع بأبهج الحال ، قد تفتحت أزهارها ، وتفاوحت أنوارها ، وتناوحت اطيارها ، وصفت من كدورة الشتاء أنهارها ، ورقش بساطها الاخضر ، بالشقيق الاحمر ، والعرار الاصفر ، والبنفسج الازرق ، والاقاح الابيض الخ وطرابلس الفيحاء ، تمطر جواء الارجاء باريج رياضها الغناء ، وجنانها التي تضرب بها الامثال ، وتشد اليها الرحال ، وناهيك بها في زمن البرتقال ، وقد أخرجت في هذه الايام أزهارها ، وادخرت للضيوف بقية من ثمارها ، فكانت أشجارها كالقبب ، قد تدلت فيها قناديل الذهب ، وعلاها من الزهر مايشبه اللهب ، ممتدة بين البحر الابيض ، وجبل لبنان الانضر ، في سهوب لايحيط بها الطرف ، ولا يدرك دقائق محاسنها الوصف

كانت الفيحاء في ذلك اليوم كسوق عكاظ : تزاحمت فيها وفود الادباء ، وتبارت في عيد شاعرها فحول الشعراء ، وقد جلس في صدر المحفل رئيس الاحتفال . صاحب السماحة الشيخ محمد الجسر وهو رئيس

مجلس نواب البلاد ، وبجانبه الاستاذ المحتفل به وهو رئيس الادباء ، فافتتح الجلسة بما يناسب المقام من الثناء على صاحب العيد بما هو أهله ، وجدارته باحتفاء الامة العربية به . ثم قال : إن فخامة رئيس الجمهورية الاستاذ دباس كان مزمعا ان يؤم الفيحاء ليرأس حفلة اليوبيل لولا موانع قاهرة ، وقد أناب عنه حضرة وزير المعارف والصحة والاسعاف الدكتور أبو الروس ، وذكر أنه أهدى إلى السيد عبد الحميد الرافعي وسام الاستحقاق اللبناني وشكر للحكومة ذلك . وحينئذ نهض وزير المعارف فقلده الوسام ، مع كلمة ثناء تليق بالمقام .

ثم تلا الرئيس برقيات التهاني والاعتذار، الواردة من مختلف البلاد والاقطار ، ثم أذن للادباء والشعراء، بانشاد ما لديهم من القصائد الغراء ، فانشد أحد الادباء قصيدة شاعر القطرين خليل بك مطران ، فقصيدة أمير البيان الامير شكيب أرسلان ، وهما غنيان عن وصفهما، وعن بيان مزايا شعرهما

ثم أنشد الاستاذ أبو الاقبال اليعقوبي شاعر فلسطين وعميد وفدها قصيدة حافلة الريّ ، متينة الروي، قيل إنها تزيد على مائة بيت ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد ، وهو فيها بيت القصيد :

انما العرب في الوجود قصيد فيه عبد الحميد بيت القصيد

وتلاه وفد حماه فانشد قصيدة شاعرهم الاستاذ الشيخ طاهر النعساني ، فكان فيها خير موقظ يقظان ، فقصيدة الاديب بدر الدين حامد

وفي خلال ذلك عزف بعض المطربين بالبيانو بما يطرب كالبيان ، ويروح الانفس ويرهف الاذهان، ثم أنشدت قصائد أدباء طرابلس نفسها، وقد قدمت اللجنة ضيوف البلد على أبنائها .

فصل هزلي غير مضحك

ثم قد قام في أثر الجمع محمود أفندي عزمي الصحفي المصري أحد دعاة الالحاد والتفرنج ، وإباحة التهتك والتبرج ، الذي يروجه هو وأمثاله بعنوان التجديد ، خلابة للنساء والأحداث المفتونين بالتقاليد ، وكل ما يدعون إليه قديم في جنسه ونوعه ، وإنما بعضه حديث في صنفه ووصفه ، قام فقال :

أيها السادة

ـ وسكت هنيهة متكلفا متعمداً ـ ثم قال : اعذروني إذا أرتج علي فلقد كنت أريد ان أقول : أيها السيدات والسادة — يعرّض بتقصير اللجنة ، أو بتقصير البلد فيما كان يجب عليها بزعمه من الجمع بين الرجال والنساء في هذه الحفلة ، ثم إنه لم يقف عند هذا الحد في التعريض بالنميزة في النقد ، بل صرح بما مؤداه أنه جاء ليقتحم أو ليفتح معقلا من معاقل المحافظة على القديم ، ليبني بأنقاضه مسرحا من مسارح التجديد ، فبدت على وجوه الحاضرين كآبة الامتعاض ، ومنعهم أدب الضيافة وكرامة المجلس من الرد عليه جهراً بما تهامس به بعضهم سراً ، ولو أنه أطال ، لشوه رونق الاحتفال

ولم يكتف بما فعل هنالك بل عاد الى مصر فنشر في جريدة الاهرام مقالات سخيفة تجاوز بها ما يليق بالبلاد ، الى النيل من بعض الافراد ، ولعل بعض الاسباب التي خرجت به عن صوابه ، إلى ما لا يعهد من آدابه ، أنه ذهب الى طرابلس لحضور يوبيل الرافعي موفداً من جريدة العلم للقراء ، وأخذ نفقة لسفره من إدارتها أربعين جنيها مصريا ليرسل إليها أخبار الاحتفال

بلسان البرق ، فتسبق غيرها من الجرائد الى نشرها ، وتعطير جو مصر بنشرها . فرأته قد خدعها وذهب ليدعو الى رأيه السقيم ، وينعي على المعتصمين بعروة الدين ، ايسميه جمودا على القديم. ومن مناقب آل الرافعي المحتفل بأكبر أدبائهم ، أنهم أنصار الدين ، وحملة لواء الشرع الحكيم ، وهم في مصر من أعلام الحزب الوطني الذي تمد جريدة العلم من أعلامه المرفوعة للدين والوطنية معاً .لذلك عزلته إدارتها من قلم تحريرها ، فلجأ الى جريدة الاهرام فنفث نفثته المسمومة على صفحاتها

(انتهى الفصل)

ثم ختم الاحتفال بانشاد الاديب سمير الرافعي نجل صاحب اليوبيل لقصيدة والده في شكر المحتفلين فكانت مسك الختام

وقد ذكرت الصحف من مناقب عبد الحميد المحتفل به وشممه أن بعض الفضلاء ومحبي الادب تبرع له بسبعين ألف قرش سوري بمناسبة اليوبيل الذهبي ، فأبى أن يأخذها ، وعهد الى لجنة الاحتفال بأن تنفقها في خدمة الادب بالطريقة التي تستحسنها ، فأكبر الناس ذلك من اريحيته ، وابائه وعفته ، فلا زال قدوة لامته ، في أدبه وبلاغته . وكرم نفسه وعلو همته .

وسننشر في الجزء التالي قصيدة أحمد شوقي بك أمير الشعراء فانها من آيات بيانه ، التي فاق بها على أقرانه . وقصيدة الشيخ اسماعيل الحافظ شيخ الفقهاء ، وأستاذ الادباء ، وشاعر العلماء ، فانها غرة القصائد ، وأجمعها لسمو المناقب وعلو المقاصد ، وقصيدة الاستاذ عبد الحميد ، صاحب العيد . وهي الرحيق المختوم ، ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

مسالة قتل اليهود الانبياء بغير حق

وطريقة الازهريين في المناقشات والفهم

أخطأنا بتحكيمنا مدرسي التفسير بالازهر في هذه المسألة إذ فتحنا للازهريين وأمثالهم باب المناقشة الازهرية فيها فقد كتب الينا اثنان من طلاب قسم التخصص فيه رسالتين في ذلك إحداهما طويلة والثانية قصيرة. وعاد الاستاذ المنتقد الاول لعبارة تفسيرنا فأرسل الينا رسالة أخرى في الانتصار لنفسه

قرأت من هذه الرسالة بضعة اسطر ومن رسالة الطالب الازهري مثلها الاول أو أكثر فرأيت انني أسفه نفسي اذا قرأت امثال هذه الرسائل كلها، واكون جديرا بأن يحكم على بالخرف أو الجنون اذا نشرتها ورددت عليها، فقد كان مذهبي منذ انشأت المنار الى اليوم تخطئة الازهريين والتشنيع عليهم بجمل جل حظهم من طلب العلم المناقشات في عبارات الكتب وايراد الاعتراضات عليها والاجوبة عن هذه الاعتراضات، وقد قلت مرارا ولا أزال أقول عن علم وبصيرة ان هذه الطريقة العوجاء هي التي اضاعت العلم في الازهر، ونقلت عن شيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى انه كان يقول: انهم يتعلمون كتبا لا علما. وقال في درس رسالة التوحيد في الازهر انه لا يسمح لاحد ان يشرحها ولا يكتب لها حاشية ومن فعل ذلك فلا سامحه الله، دع ما يثيره الرد من ضغن وحقد، ولاسيما الرد على المنتقد الاول الذي كبر عليه أن أقول انه لم يفهم عبارتي التي أراد اثبات كفري بسوء فهمه لها:

وقد لقيت أمس أخانا الاستاذ الفاضل الشيخ علي محفوظ من كبار المدرسين في قسم التخصص من الازهر وقد مضت عدة سنين لم القه فيها فتذكرنا ايام تلاقينا في دروس الاستاذ الامام رحمه الله وأطراني الاستاذ وهضم نفسه تواضعا عن رفعة . ثم اثنى على تفسير المنار وذكر من مزايا مؤلفه لصديق له حيث كنا من دار الكتب المصرية (١) أنه لم يحاب أحداً حتى استاذه فيه فتعقبه في مواضع (٢) أنه شديد الانكار على التقليد لا يترك سانحة من التأويل تساعده على إبطاله والنعي على أهله إلا اغتنمها (٣) أنه يذكر من معاني الالفاظ ونكت البلاغة فيها ما يساعد على فهم الآيات ويجعل كل همه بيان المعنى وما فيه من الهدى الذي هو المراد من كتاب الله بخلاف جماهير المفسرين الذين يشغلون القارىء لتفاسيرهم بالمباحث اللفظية الصارفة عن فهم القرآن وعن هدايته (٤) تحاميه ذكر الاسرائيليات والروايات التى لا تصح فيه (٥) بيانه لما فيه من المسائل والسنن الاجتماعية وقد انفرد بهذا دون جميع التفاسير . ذكر الاستاذ هذه المعاني كلها بعبارة مجملة مدمجة، والغرض من ذكرها الامر الثالث ولولاه لم نذكرها على قرب العهد بسماعها . فاذا نحن فتحنا باب الجدل والمراء في عبارة تفسيرنا لآية قتل الانبياء بغير حق نكون قد أضعنا مزية من أهم المزايا الاصلاحية التي يعرفها لنا أهل البصيرة والاستقلال ، بيد أني أذكر في الموضوع بعض المسائل التي يتجلى بها الحق لطالبه مخلصاً فيه فأقول :

(١) ليفهم كلمة الحق معرّفة ومنكرة من شاء كما يشاء، وليفهم معنى التشبيه في قولنا «إن قتل الانبياء لا يكون إلا بغير حق كما يقول المفسرون»

كما يشاء ـ فنحن نصرح بأن مرادنا من العبارة في جملتها أن نكتة البلاغة في تقييد قتل الانبياء بكونه بغير حق هي تعظيم شأن الحق، وانها من قبيل قوله تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) فانه تعظيم لشأن البرهان وكون المدار عليه في اثبات الدعاوي بصرف النظر عن موضوعها، وقوله تعالى (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) فانه تعظيم لشأن العلم كذلك، ومن المعلوم بالعقل والنقل ان دعاء غير الله تعالى لا يكون عن برهان، وان الشرك به لا يكون مبنيا على علم بل هو محض الجهل، فاذا كانت عبارتنا تؤدي ما أردنا كما نعتقد فالفضل لله تعالى وان كانت لا تؤديه فالجهل والتقصير منا ونستغفر الله تعالى

(٢) خطر ببالي عند كتابة هذا التنبيه أن أراجع تفسير الامام فخر الدين الرازي لآية آل عمران وآية البقرة فانه يوجد فيه من أمثال هذه الدقائق ما لا يوجد في غيره أحيانا فراجعته فاذا هو يحيل في الثانية على الاولى لتقدمها فأكتب ما أورده فيها من سؤال وجواب في موضوعنا وهو السؤال الثاني قال رحمه الله تعالى

(السؤال الثاني) لم قال بغير الحق وقتل الانبياء لا يكون إلا على هذا الوجه ؟ الجواب من وجهين[1] (الاول) أن الاتيان بالباطل قد يكون حقا لأن الآتي به اعتقده حقا لشبهة وقعت في قلبه، وقد يأتي به مع علمه بكونه باطلا. ولا شك أن الثاني أقبح. فقوله (ويقتلون النبيين بغير الحق) أي أنهم قتلوهم من غير أن كان ذلك القتل حقا في اعتقادهم

(١) قال من وجهين وجاء بثلاثة فلعل كلمة وجهين من غلط الطبع

وخيالهم بل كانوا عالمين بقبحه ومع ذلك فقد فعلوه (وثانيها) ان هذا التكرير لاجل التأكيد كقوله تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به) ومستحيل أن يكون لمدعي الاله الثاني برهان (وثالثها) أنه تعالى لو ذمهم على مجرد القتل لقالوا أليس أن الله يقتلهم ؟ ولكنه تعالى قال القتل الصادر من الله قتل بحق ما ومن غير الله قتل بغير حق .

ذكر في آخر تفسير الآية مارآه في نكتة تعريف الحق في موضع وتنكيره في آخر ما نصه :

(فان قيل) قال ههنا (ويقتلون النبيين بغير الحق) ذكر الحق بالالف واللام معرفة . وقال في آية آل عمران (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) نكرة ، وكذلك في هذه السورة (ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء) فما الفرق ؟

(الجواب) الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل قال عليه السلام « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بأحدى معان ثلاث : كفر بعد إيمان ، وزنى بعد إحصان ، وقتل نفس بغير حق » (١) فالحق المذكور بحرف التعريف إشارة إلى هذا . وأما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم

(١) هكذا أورد الحديث ولا أذكر هذا اللفظ لاحد من مخرجيه وهو قد ينقل الاحاديث بالمعنى إذ ليس من رجال الحفظ والرواية ومن أنكر ألفاظه « ثلاث معان » وهو في الصحيحين والترمذي من حديث ابن مسعود بلفظ « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » ولمسلم نحوه عن عائشة ورواه أبو داود والنسائي والحاكم عنها بلفظ « لا يحل قتل مسلم إلا في احدى ثلاث خصال : زان محصن فيرجم ورجل يقتل مسلما متعمداً فيقتل ورجل يخرج من الاسلام فيحارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الارض »

أي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المؤمنون ولا غيره البتة اهبحروفه

وما ذكره من تقسيم الحق الى ما كان حقا في شرعنا وما كان حقا في اعتقادهم وخيالهم فهو في معنى تقسيمنا اياه الى ما كان حقا في الواقع وما كان حقا في العرف وان لم يكن حقا في الواقع، وهو يرد زعم من يقول ان الحق لا ينقسم وما قلناه اوجه . ويبقى ان يقال ان الحق عند اليهود ما وافق شريعة التوراة لا ما وافق شريعتنا وهو ما نبينه في الفائدة الثالثة وهي

(٣) بينا في مقالنا الدقيق الذي نشرناه في المجلد التاسع من المنار في تحقيق معاني الحق والباطل والقوة ان الحق يدخل في معان منها المعنى الشرعي وهو يختلف باختلاف الشرائع - وان لم يعقل هذا من لا وقوف لهم على الشرائع ولا على العلوم والحقائق - وقد كان القتل عقابا في شريعة التوراة التي كان يدين بها اليهود الذين ذمهم القرآن بقتل الانبياء بغير حق على ذنوب لا يقتل فاعلها في شريعتنا . ففي الفصل ٢١ من سفر الخروج ما نصه:

« ١٢ من ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا ١٣ ولكن الذي لم يتعمد بل اوقع الله في يده فأنا اجعل له مكانا يهرب اليه ١٤ وأذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه الموت (١٥) ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا ١٦ ومن سرق انسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا ١٧ ومن شتم اباه وأمه يقتل قتلا » الى ان ذكر في عدد ٢٩ ان الثور « ان كان نطاحا واشهد على صاحبه فلم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه ايضا يقتل » الخ فما يقول في هذا من يزعمون ان القتل بحق لا يكون الا واحدا في كل زمن وكل امة وكل شريعة فيجعلونه كالحق في الايمان بالله وصفاته مثلا ؟

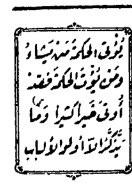
(٤) اننا قد صرحنا في تفسير (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) في الآية ١١٢ من سورة آل عمران بمعنى ماقاله الرازي في آية البقرة وذكرناه آنفا من تحريهم الباطل وتعمدهم إياه مع مخالفتنا إياه في كون الحق المنفي فيها ماوافق شريعتنا واعتمادنا انه ماوافق شريعتهم لانهم مؤاخذون بها لا بماجاء بعدها. وهذا نص عبارتنا(ص٢٩ج٤ من التفسير) «أي ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء بغير حق تعطيهم اياه شريعتهم . وفي التنصيص على كون ذلك بغير حق مع العلم به تغليظ عليهم وتشنيع على تحريهم الباطل وكون ذلك عن عمد لا عن خطأ» اه وهو صريح في اعتقادنا في المسألة لا يحتمل المراء

اعتذار عن قلة مباحث هذا الجزء

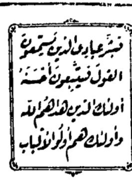
قد اضطررنا الى جمع أكثر مواد هذا الجزء من حرف ٢٤ لانها جمعت قبل اتمام تنظيم المطبعة في مكانها الجديد ، واضطررنا الى كتابة فصل طويل في الاحتفال بالعيد الذهبي لصديقنا الرافعي ونشره كله في هذا الجزء لان لجنة الاحتفال ألحت علينا بطلبه لتنشره في كتابها الذي جمعته في شأن هذا الاحتفال وما قيل وكتب فيه ، وجاءت فاتحة المجلد الثلاثين ضعفي المعتاد في أكثر فواتح المجلدات ـ فلهذا اختصرنا في التفسير ولم نفتح باب الفتاوى وأرجأنا مقالات ورسائل أخرى ومباحث العالم الاسلامي منها كلمة في الدستور المصري وكون البرلمان الذي عطل كان مخالفاً للاسلام ومصلحة المسلمين في شخصه الصوري لا المعنوي وهو ماأشرنا اليه في الفاتحة

تعزية في مصاب زميل كريم

توفي في فترة احتجاب المنار الزميل الكريم ابن الكريم الاستاذ راغب المدهون صاحب جريدة النذير البيروتية الغراء فكانت وفاته في عنفوان الشباب والقدرة على الجهاد خسارة على صحائف البلاد ، لا يجهل كنهها ، من عرف قلة الاكفاء من المنتحلين لها . فنعزي والده الجليل والامة بأسرها ، ونحمد الله تعالى ان الجريدة لا تزال تصدر ، فأطال الله عمرها







قال عليه الصلاة والسلام « ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق »

صفر سنة ١٣٤٨ هـ ١٦ ر* برج السرطان سنة ١٣٠٨ هـ ش ٨ يوليه سنة ١٩٢٩

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي

شبهة للشيعة في المسألة

ان بعض الشيعة يكبرون هذه المزية لعلي عليه السلام كعادتهم ويضيفون اليها ما لا تصح به رواية ، ولا تؤيده دراية ، فيستدلون بها على تفضيله على ابى بكر رضي الله عنهما وكونه أحق بالخلافة منه ، ويزعمون أن النبي (ص) عزل أبا بكر من تبليغ سورة براءة لان جبريل امره بذلك وانه لا يبلغ عنه الا هو أو رجل منه ولا يخصون هذا النفي بتبليغ نبذ العهود وما يتعلق به بل يجعلونه عاما لأمر الدين كله مع استفاضة الاخبار الصحيحة بوجوب تبليغ الدين على المسلمين كافة كالجهـاد في حمايته والدفاع عنه ، وكونه فريضة لا فضيلة فقط، ومنها قوله (ص) في حجة الوداع على مسمع الالوف من الناس « الا فليبلغ الشاهد الغائب» وهو مكرر في الصحيحين وغيرهما ، وفي بعض الروايات عن ابن عباس: فوالذي نفسي بيده انها لوصيته الى أمته «فليبلغ الشاهد الغائب » الخ وحديث « بلغوا عني ولو آية » رواه البخاري في صحيحه والترمذي ،

*) جعل اول المحرم فى الجزء الاول ٢٠ الجوزاء والصواب ١٧

فتاوى المنار

أسئلة من أوروبه

(س ١ — ٥) من صاحب الامضاء أحد علماء المسلمين في (إيبك — يوغوسلافيا)

حضرة العالم الفاضل ، شيخ الاسلام ، مرشد الأنام ، قطب المحققين ، غوث المدققين ، سيدي الشيخ رشيد رضا أدام الله بقاءه ونفعنا به وبعلومه والمسلمين آمين

(١) كيف كان السلف الصالح يصلون الجمعة ؟ يعني كم ركعة من الرواتب للجمعة ؟ يصلون قبل فرض الجمعة أربع ركعات ، هل هذه من تحية المسجد أو من سنة الجمعة ؟ وهل من السنة المؤكدة أن تصلي شيئاً بعد فرضها ؟ أنا أريد منكم أن تتفضلوا بالجواب بالقرآن والسنة لا من أقوال أصحاب المذاهب

(٢) ما قولكم في رجل لم يكن مستطيعاً للحج فحج بدلا عن غيره قبل أن يحج عن نفسه ، لانه ما كان مكلفاً به عند الحنفية ، ثم رجع بعد الحج الى وطنه وما أقام في مكة لاداء مناسك الحج في السنة الآتية عن نفسه ، فهل يكون مأموراً البتة ومكلفا به عن نفسه أم لا ؟

(٣) أربع ركعات قبل العشاء ، هل لها حديث ثابت عن رسول الله ﷺ ، أكان النبي ﷺ يصلي هذه ؟

(٤) الاحتقان في رمضان هل يفسد الصوم أم لا ؟

(٥) ما حكم الجبة في الشرع وهل تعد من الحرير أم لا ؟

أقدم لفضيلتكم هذه الاسئلة راجياً الجواب عنها بأسرع ما أمكن وأسترحم جنابكم العالي قبول تحياتي واحتراماتي الفائقة الخالصة

يحيى سلامي

(أجوبة المنار)

(١) هل للجمعة راتبة قبلها وبعدها ؟

سبق لنا بحث في هذه المسألة طال عهده ونقول الآن إنه لم يرد نص عن الشارع بطلب عدد معين من الركعات قبل الجمعة والمعروف في الصحاح أن النبي ﷺ كان يخرج من بيته لصلاتها فيبتدر المنبر فيؤذن بين يديه فيخطب فينزل

فيصلي فينصرف إلا أن يتأخر لسبب غير الصلاة . ولكن وردت الآثار في التنفل قبلها . فكان السلف من الصحابة ومن بعدهم يبكرون في السعي إلى المسجد قبل الزوال فيصلي كل مابدا له لما ورد في السنة من الترغيب في التبكير إلى المسجد وصلاة ماتيسر فيه ، وكانوا إذا خرج الامام إلى المسجد يقطعون الصلاة لما تقدم الا تحية المسجد لمن دخله فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أنه ﷺ أمر بها من دخل المسجد وهو يخطب رواه الجماعة كلهم وقال ﷺ « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيها » رواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث جابر (رض) وفي رواية « وقد خرج الامام » بدل « والامام يخطب » متفق عليها .

وجملة القول أن صلاة النفل قبل الجمعة مأثور ، ومن كرهه من العلماء بعد الزوال فليس له عليه دليل خاص ، وكون النبي ﷺ كان يخرج عند الزوال فتنقطع الصلاة بخروجه إلا تحية المسجد ليس نصاً في اطراد ذلك . ومن قال إن لها راتبة معينة كراتبة الصبح والظهر بحيث يستحب قضاؤها إذا فاتت لا يمكنه أن يأتي بنص يثبته أيضا وانما قصاراه قياس الجمعة على الظهر

وأما الصلاة بعدها ففيه حديث أبي هريرة المرفوع « إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات » رواه مسلم وأصحاب السنن — وحديث ابن عمر « أن النبي ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته » رواه الجماعة كلهم . وكان ابن عمر يفعل هذا لشدة تتبعه لآثاره ﷺ إلا اذا كان في المسجد الحرام فانه كان يصليهما فيه وعلل بان سببه رغبته في البقاء في المسجد مثلا . وورد أنه ﷺ كان يطيل هاتين الركعتين بعد الجمعة . فالافضل لمن ينصرف من الجمعة إلى بيته أن يصلي فيه ركعتين ، أو أربعا ، وقال بعض الصحابة وفقهاء الأمصار : بل له أن يصلي مايشاء ولكنه ينوي بالركعتين الاستنان به ﷺ ، وبالاربع امتثال أمره الذي هو هنا للندب ، وأن نشط للزيادة كان عاملا بالترغيبات العامة في صلاة النفل

(٢) من حج عن غيره ولم يكن حج عن نفسه

في هذه المسألة أقوال أقواها قول الجمهور : من حج عن غيره ولم يكن حج عن نفسه وقعت حجته عن نفسه دون غيره سواء كان قبلها مستطيعا أم لا ، ودليلهم حديث ابن عباس فيمن سمعه رسول الله ﷺ يقول : لبيك عن شبرمة . قال « من شبرمة ؟ » قال أخ لي أو قريب لي . قال : « حججت عن نفسك ؟ » قال لا . قال « حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » رواه احمد وابو داود

وابن ماجه وصححه ابن حبان والبيهقي والراجح عند أحمد وابن المنذر والطحاوي وقفه . ولامحل على هذا القول لبقية السؤال فان هذا الرجل قدسقطت عنه فريضة الحج ، وقال أصحابه انه يجب عليه رد ماعساه أخذه من المال أجرة ممن حج عنه .

وقال بعض الفقهاء من الحنفية وغيرهم إن حجه عن غيره صحيح فعلى هذا يجب عليه أن يحج عن نفسه إذا استطاع الحج بعد عودته الى وطنه

(٣) راتبة العشاء

روى أحمد وأبو داود والنسائي من حديث عائشة (رض) قالت : ما صلى النبي (ص) صلاة العشاء قط فدخل عليّ الا صلى أربع ركعات أو ست ركعات ، ومن حديث ابن عباس في حديث صلاة النبي (ص) في الليل عند البخاري أنه قال : بت في بيت خالتي ميمونة الحديث وفيه فصلى النبي (ص) العشاء ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات ، وفي المسألة أحاديث أخرى ضعيفة يقويها تأييد الصحيح لها

(٤) الحقن في رمضان

الحقن في رمضان إذا كان تحت الجلد في اليد أو الرجل أو غيرهما كما هو المعهود في طب هذا العصر فلا وجه للقول بافطار الصائم به

وأما الحقن في البطن وهو المعهود من زمن لا نعرف أوله فمقتضى قواعد الفقهاء أنه يفطر الصائم بل غلا بعضهم كالشافعية فقالوا ان كل ما يدخله الصائم في جوفه أو غيره باذنه من منفذ أو غير منفذ كالمسبار فانه يفطر به ، ومن المعلوم ان الصيام الشرعي عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والوقاع وفي معناه الاستمناء ، وقد يكون امتصاص الدخان في معنى شرب الماء ونحوه لان الاجسام الدخانية (الغازية) قريبة من الاجسام السائلة ولذلك يسمى امتصاصها بالفم شربا في العرف العام . وهي تؤثر في الاعصاب كتأثير السائلات المخدرة كالقهوة والشاي والمنبهة كالخمر ، وتفيد متعاطيها شيئاً من قوة الغذاء ، وحقن السائلات في الامعاء معروف وهو يكون تارة لتطهيرها من الفساد ، وتارة لازالة مايعرض لها من القبض والجفاف ، وقد يكون للتغذية والتقوية اذا كان في المعدة مرض يمنع من قبولها الطعام والشراب فهو يقوم مقامهما في التغذية

وجملة القول ان الصيام الشرعي معروف ، والغرض منه معروف ، ومفسداته معروفة ، وكل مايستحدثه الناس مما ينافيه ويكون كالطعام والشراب في إزالة الجوع

والظمأ فحكمه حكمها، وليس منه فيما أرى ما يكون من الحقن تحت الجلد لتقوية المريض على مرضه أو ضعفه إذا لم تكن هذه التقوية كالتغذية والري فان كانت مزيلة للجوع والظمأ كالطعام والشراب فللقول بافسادها للصيام وجه ظاهر، وان كان الحقن لاجلها يباح للمريض كما يباح له الاكل والشرب وعليه القضاء، وقد يقال إنه لما لم يكن هذا الحقن أكلا ولا شربا ولا وقاعا في حقيقته ولا في صورته ولا لذته، فهو لاينافي حقيقة الصيام ولا حكمته والغرض من فرضه وهو الامساك عن هذه الشهوات الغالبة تعبداً واحتسابا لوجه الله تعالى وما يترتب عليه من تربية الارادة واكتساب ملكة التقوى المشار اليها بتعليل فرض الصيام بقوله تعالى (لعلكم تتقون)

(٥) الجعة خمر يحرم شربها

الجعة هي الخمر الذي يتخذ من نقيع الشعير المسماة عند الافرنج (بالبيره) والمشهور أنها من الاشربة التي يسكر كثيرها دون قليلها، والتحقيق ان ما أسكر كثيره فقليله حرام، وان كان لايسمى قبل بلوغه درجة الاسكار خمراً كنبيذ التمر والزبيب ونحوهما (أي ماينقع منه بالماء ليحلو) فانه متى صار يسكر كثيره دخل في عموم معنى اسم الخمر على التحقيق الذي بيناه في تفسير آيات المائدة في تحريم الخمر القطعي، وان قلنا إنه لا يدخل في عموم اسمها كان تحريمه من باب سد الذريعة كتحريم ربا الفضل الذي هو ذريعة لربا النسيئة الذي من شأنه أن يتضاعف وهو الربا القطعي المحرم بنص القرآن كما بيناه في تفسير آية آل عمران فيه

وقد بلغنا أنهم يصنعون في بعض البلاد جعة (بيرا) لاجل ادرار البول لاتسكر لخلوها من الغول (الكحول)، فهذه لاوجه للقول بتحريمها، إذ هي كنبيذ التمر والزبيب (أي ماينقع منهما في الماء) الذي كان يشرب منه النبي (ص) والصحابة (رض) حتى اذا ماتغير طعمه بطول المكث وخشي تأثيره واسكار كثيره تركوه. وهو الذي صار الفساق من الملوك والامراء والاغنياء يشربونه بعد تغيره ووصوله الى درجة الاسكار لمن أكثر منه، ووجدوا من شذوذ بعض فقهاء الكوفة ماجرأهم عليه إذ قالوا إن ما يسكر كثيره لا يحرم منه الا القدر المسكر، وتفلسف بعضهم فقال انما المحرم الجرعة او الحسوة التي يحدث بها السكر دون ماقبلها، فاغتر بذلك المتهاونون حتى وقعوا في السكر إذ لا يمكن لاحد ان يعرف الجرعة التي يحدث بها السكر، بل السكر لا يحدث بالجرعة الأخيرة وحدها لانها في ذاتها كالجرعة الاولى وانما يحدث بالمجموع فهو كله حرام وقد شرحنا ذلك بالتفصيل في تفسير آيات المائدة فيراجعها من شاء (ص ٥١-٥٥ ج٧ تفسير)

أسئلة في اهداء قراءة القرآن للموتى وبالأجرة

(س من ٦ الى ١٠)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، محمد بن عبد الله (وبعد) فمن محمد أحمد عبدالسلام مؤسس الجمعية السلفية المؤلفة لاحياء السنة المحمدية بعزب فابريقة السكر بالحوامدية الى حضرة صاحب الفضل والفضيلة مفتي الانام، وشيخ مشايخ الاسلام، وامام الائمة الاعلام، محيي السنة وآثار السلف، ومميت البدعة وآراء الخلف، سيدي ووالدي الشفيق بأبنائه المسلمين الذي أرجو من ربي وأتمنى عليه يريني وجهه قبل مماتي والذي يصير الاسلام بعده يتيم الابوين، المجتهد الكبير، والعلم الشهير، الذي جعل الله الحق على لسانه (السيد محمد رشيد رضا)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فاني سائل فضيلتكم عن الآتي وأرجو التكرم علي بالاجابة في أول عدد ينشر من مناركم وعدم الحاقي على مجموعتكم لاني عار منها ولاني شارع في طبع كتاب اسمه المنحة المحمدية في بيان المنافاة الشرعية من البدعية وأريد اثبات فتواكم بهذا الكتاب (وصورة المسألة)

١ — هل قراءة القرآن واهداء ثوابها للاموات مشروعة أم لا ؟

٢ — هل كان النبي (ص) عند زيارته للقبور أو عند موت أحد أصحابه يقرأ له القرآن أو يعمل له ختمة أو عتاقة أو سبحة أم لا؟ بين لنا ما كان عليه النبي (ص)

٣ — هل ما أورده عبد الحق الازدي في كتاب العاقبة عن أبي بكر أحمد ابن محمد المروزي أنه سمع أحمد بن حنبل يقول (إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم) ومارواه النسائي والرافعي في تاريخه وأبو محمد السمرقندي في فضائل سورة الاخلاص من حديث علي (رض) (من مر على المقابر وقرأ قل هو الله احد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للاموات أعطي من الاجر عدد الاموات) كما في شرح الاحياء — ج ١٠ ص ٣٧١ — وما ذكره القرطبي في تذكرته عن ابن عمر (رض) أنه أوصى أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها. وما روى عنه (ص) أنه قال: من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات. وما يروى عن عبد الله بن عمرو (رض) (أنه أمر ان يقرأ عند قبره

سورة البقرة) كما في رسالة جلاء القلوب للبركوي المطبوعة على هامش شرح شرعة الاسلام (ص ٩٤) هل ياسيدي كل هذا وما شاكله صحيح أو موضوع لا يعمل به ؟ وإذا قلتم بالوضع فمن الذي قال به من علماء المحدثين أو غيرهم وفي أي الكتب نجد ذلك ؟

٤ — هل يوجد في الكتاب أو السنة دليل صحيح قطعي ينافي الاحاديث المتقدمة فى وصول القراءة للاموات ؟ ان قلتم يوجد فاذكروا لنا ما تقتنع به ويقطع لسان المبتدعة .

٥ — ماحكم الله فيمن يقرءون القرآن بالاجرة فى المآتم وفى ليالي رمضان والذين يقرءونه بالقرص والرغفان والبرتقان والالايم والنياكل. أدركني ياسيدي بالفتوى لعلي أدرك اثباتها فى مؤلفي فى موضعها أوالحقها به قبل اتمام طبعه جعلك الله ذخراً للسلمين وأراني وجهك قريبا في خير والسلام عليكم ورحمة الله

٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٧

«أجوبة المنار»

الحمدلله ،وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وبعد فاني اعتذر للقراء عن نشر اطراء هذا السائل ومن قبله لي بما لست أهلا له ولا لجزء منه ، وارجو أن لا يعودا إلى مثله ، ولولا ما بينته في مجلد سابق من أسباب التزام نشر الاسئلة بنصوصها ومنه الاقتداء بمثله من كتب فتاوى جميع العلماء لما نشرتها ، ثم أقول :

٦ — أما الجواب عن السؤال الاول فهو النفي وقد فصلت أدلته فى آخر تفسير سورة الانعام (من ص ٢٥٥ — ٢٧٠ ج ٨ تفسير) فيراجع فيه اذ لايمكن اعادته

٧ — وكذلك الجواب عن السؤال الثاني وهو يدخل فى تفصيلنا المشار اليه آنفاً وأزيد عليه انني لاأعلم أن احداً ادعى أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن على القبور عند زيارتها أو يعمل ختمة أو عتاقة أو سبحة على كثرة الروايات الموضوعات والواهيات التي يدعيها أصحاب أمثال هذه البدع

وأما كان يفعله (ص) عند زيارة القبور ويأمر به فهو معروف في دواوين السنة وهو السلام عليهم ودعاء الزائر لهم وله بالعافية وغير ذلك مما لاحاجة الى ذكره لشهرته

٨ — إن من اضاعة عمر الانسان ان يبحث عن كل مايراه فى كتب المتأخرين من الاخبار والآثار الشاذة والمنكرة المخالفة للاصول العامة المقررة فى القرآن المجيد والسنن الثابتة ليعلم ماعسى أن يكون لها من رواية وماذا قيل فى اسنادها وذلك

مثل كتب المروزي والسمرقندي والبركوي المذكورين في السؤال وأضرابهم

فأما حديث علي في قراءة قل هو الله أحد فلا نعرفه في سنن النسائي ولم نجده في فضائلها من كتاب فضائل القرآن ولا كتاب الجنائز من كنز العمال الذي جمع فيه مؤلفه أحاديث الجامع الكبير كلها والرافعي والسمرقندي يرويان كثيراً من الاحاديث الواهية والموضوعه وكتاباهما ليسا في أيدينا لننظر أسانيدهما له ان وجد فيهما وكذلك حديث «من دخل المقابر فقرأ سورة يس الخ لم نجده في فضائلها من كنز العمال وأما حديث النسائي في قراءتها على المحتضر فقد ذكرناه في بحثنا المشار اليه آنفاً . ولم يذكر العلامة الحافظ ابن القيم هذين الحديثين فيما اورده من الاحتجاج على وصول ثواب القراءة للموتى ، وناهيكم بسعة اطلاعه ، ولا ذكرهما غيره من العلماء الذين يعتد بنقلهم في استدلالهم على ذلك ، ولا وصفهما الزبيدي بصحة ولا حسن كعادته. وأما سائر ماذكرتم من الآثار فان ثبت لا يعد حجة. وقد صرح ابن القيم أيضاً بأنه لم يصح شيء عن السلف في القراءة على الموتى وأجاب عنه باحتمال إخفائهم لهذا العمل حتى لم يعلم به رواة الآثار وقد بينا ضعفه في بحثنا المذكور ونقلنا أقوال فقهاء الحنابلة في المسئلة. ومن المقرر عند العلماء أنه لايجوز لاحد الاخذ ولا العمل بحديث لا يعرف صحة سنده وموافقة متنه للقطعيات من الكتاب والسنة، ومن احتج علينا بامثال هذه الروايات نجيبه بالقاعدة الآتية :

(٩) القاعدة عند أهل العلم أن يطلب الدليل ممن يدعي اثبات الشيء لا ممن ينفيه فانهم يكتفون من النافي بالمنع . والذي بيناه من قبل وفاقا لائمة الفقه أن آية الانعام التي ذكرنا هذا البحث في سياق تفسيرها وآية سورة النجم (أن لا تزر وازرة وزر أخرى * وان ليس للانسان الا ما سعى) تدلان على عدم وصول ثواب قراءة القرآن الى من يهدي ثوابها لهم من الموتى أو الاحياء ، وقد بينا هنالك وجه الدلالة بالتفصيل وما يؤيدهما من الآيات الكثيرة في كون جزاء كل أحد بعمله لا بعمل غيره له ثوابه وعليه عقابه، وكون المدار في ثواب الاعمال على تأثيرها في تزكية النفس وهذه نصوص قطعية تؤيدها الاحاديث الصحيحة فان فرضنا أن الحديثين اللذين أوردتموهما في السؤال الثالث في فضل سورتي الاخلاص ويس مرويين فانهما لا يصلحان لمعارضة هذه النصوص وهذه القاعدة المأخوذة من قوله تعالى (قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها)وان صح سندهما فكيف وهما لا يعرفان في شيء من دواوين السنة ؟

(١٠) قراءة القرآن عبادة كالدعاء والتهليل والتسبيح وغيرهما من الاذكار ، ومن المعلوم من الاسلام للخاص والعام أنه لا يجوز أخذ الانسان أجرة على العبادة المحضة ولا أن يؤدي العبادة لاجل غيره، ولاسيا إذا كان على عمل غير مشروع كجعله للموتى وناهيك بأخذ أجرة خسيسة حقيرة تنافي مايجب من تعظيم القرآن . وقد منع الحنفية تحريم أخذ الاجرة على تعليم القرآن بناء على أنه عبادة أيضا وأجازه الجمهور ومما استدلوا به حديث تزويج النبي (ص) المرأة التي وهبت نفسها له لمن لم يجد مالا يصدقها به بما معه من القرآن على ان يعلمها ذلك وبحديث إباحة أخذ الاجرة على الرقية بالفاتحة مع حديث « احق ما أخذتم عليه اجرا كتاب الله » وكلاهما في صحيح البخاري وغيره ، وما ورد في سنن أبي داود من الوعيد على أخذ الاجرة على تعليم القرآن لا يرتقي الى الصحة التي يعارض بها هذا وهو غير صريح في المسألة . ولا يبعد أن يعد من قبيل التعليم الارشادي للقرآن ماجرت به العادة من اختلاف بعض الحفاظ كل يوم الى بعض البيوت في رمضان وغيره يقرءون فيها شيئا من القرآن ليسمعه أهلها وسماع القرآن مفيد في تقوية الايمان ومن السامعين له من يستفيد منه علما وأدباً بقدر استعداده . فاذا قصد القارىء ذلك مع التعبد والاتعاظ بنفسه أرجو ان يباح له أخذ مايعطى في كل شهر وهو يكون بغير عقد خسيس يخل بقدر حافظ القرآن ، ولعل أكثر الاغنياء لا يسمعون القرآن الا بهذه الوسيلة، وهو هجر له وناهيك به من مصيبة .

هل يكفر تارك الصلاة ؟ حكم التوسل بالرسول ﷺ . الوهابية

(س ١١ — ١٢) من محمد افندي جمعه الزيلع التاجر في ميناء طرابلس الشام

مولاي الاستاذ المعظم السيد رشيد افندي رضا الافخم

اني لست منساركم الأغر فوجدته يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء . لقد أضاء مناركم على الشرق والغرب فأصبحتم بنعمة الله حكيمها ، لازلتم مصدراً للعلم والعرفان ، مكللا بالنصر المؤزر من الرحمن الرحيم .

مولاي : سؤالين أعرضهما على ساحتكم أيها البحر الزاخر علماً ، وأسترحم بيانهما على صفحات مجلتكم الغراء لتعم الفائدة والله ولي التوفيق :

(١١) اني كلما أرتل هذه الآية الكريمة قوله تعالى (منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) وعندما أتلو هذه الاحاديث

الشريفة التي منها قوله عليه السلام « ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة فاذا تركها فقد أشرك » عن أنس صححه في الجامع الصغير ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حماد بن زيد : ولا أعلمه الا قد رفعه إلى النبي ﷺ قال « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » رواه أبو يعلى باسناد حسن ، ورواه سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن عمر ابن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس مرفوعا وقال فيه : من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » رواه احمد باسناد جيد والطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان في صحيحه .

فيرتعش فؤادي عندما أريد تطبيق ما ذكر على حالتنا الحاضرة معشر المسلمين فأجدنا غافلين عن الاسلام وتعاليمه فحسبنا الله تعالى ، وبعد هذا فيعترض البعض على قوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) فأين المؤمنون يا ترى ؟ فما قول مولانا في صحة ماتقدم فان كان صحيحا هل يجوز شرعا أن نعقد زواج بنتنا على الرجل الذي يترك الصلاة ؟ وهل برئت الذمة منه ؟

(١٢) الدعاء إلى الله تعالى بالتوسل هل فيه شك أو ريب إذ دعوت الله قائلا : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد اني قد توجهت بك الى ربك في حاجتي هذه لتقضى ، اللهم فشفعه في واقض حاجتي هذه بجاهه عندك وصلى الله على سيدنا محمد وآله ؟

أريد أن أزجر بهذا السؤال بعض الافاكين الذين يقولون عن اخواننا المؤمنين القائمين بالكتاب والسنة كبني نجد الكرام ، وامامهم العظيم خادم العلم الصحيح ونابذ البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ، فكثير من الناس يقولون مالا يعلمون عن هذا الامام المعظم أدامه الله ذخراً للاسلام فيقول البعض إن الامام وقومه يمنعون ذكر الرسول وتعظيمه عليه السلام ، وهذا مالا أعتقده فان أمثال الامام الكريم القائم بأمر الله وسنة نبيه لا يكون إلا محباً للرسول عليه

السلام حيث قال تعالى (فاتبعوني يحببكم الله) اذاً محبة الله ورسوله هي القيام بما أمر الله ورسوله لا بنشر البدع التي عمت وأصبحت من الاسلام بنظر الجاهلين حقيقة الدين وتعاليمه فحسبنا الله .

نسأل الله ان يلهمنا الرشد انه سميع مجيب وأقبل أيادي مولاي في البدء والختام .

المخلص — محمد جمعه الزباع

(١١) الكفر بترك الصلاة

يرى السائل في تفسير القرآن الحكيم من هذا الجزء بحثاً مستفيضاً في مسألة الكفر بترك الصلاة والزكاة والصيام وخلاف العلماء في ذلك وأن التحقيق في المسألة أن من ترك الصلاة وكذا غيرها من أركان الاسلام جاحداً أو مستبيحاً لذلك غير مبال بالدين فهو كافر باجماع المسلمين وان من ترك بعض الصلوات دون بعض يكفر في قول بعض الأئمة دون بعض، ومن لا يكفر بترك الصلاة لا يكفر بترك غيرها لانها عمود الاسلام وأعظم أركانه، وقد بينا أنه لا يعقل أن يتركها مؤمن صحيح الايمان مذعن صحيح الاسلام إلا أن يكون جاهلا مغروراً بالاعتماد على المغفرة والشفاعة. ومثل هذا لم يكن يعد عذراً شرعياً أيام كان الاسلام اسلاماً معروفاً وقد يعد صاحبه في هذا الوقت ممن لم تبلغهم دعوة الاسلام على الوجه الحق التفصيلي لعموم الجهل ، والاحاديث التي استدلوا بها على كفر تارك الصلاة كثيرة ذكرنا في هذا البحث أصحها، وما ذكره السائل منها لا يصح كله.

فمن علم من رجل أنه لا يصلي ولا يصوم لفساد عقيدته الدينية، وعدم مبالاته بما أوجب الله وما حرم ، فليس للمسلم أن يزوجه ابنته أو موليته . ولكنه إذا علم أنه مؤمن مغرور متكل على المغفرة أو الشفاعة مثلا فليس له أن يجزم بكفره بل ينصح له ويعلمه ما يجهله من ضروريات الدين وكونه بدون اقامة أركانه لا وجود له

وطالما أقمنا الدلائل وبينا الآيات في اثبات أن الكثيرين من مسلمي البلاد الاسلامية ، ليس لديهم من الاسلام الحقيقي إلا الاسم ، واطلقنا عليهم لقب « المسلمين الجغرافيين »

(١٢) التوسل بالنبي ﷺ

واما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم باللفظ الذي ذكرتم فله اصل في حديث الاعمى الذي طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره وأرشده

صلى الله عليه وسلم الى أن الصبر على مصيبته خير له في الآخرة فأبى الا أن يدعو له صلى الله عليه وسلم فدعا له صلى الله عليه وسلم وعلمه أن يدعو الله تعالى بهذه الالفاظ أو ما يقرب منها فدعا ورد الله عليه بصره بدعاء نبيه ودعائه هو بان يشفعه الله تعالى فيه . والحديث في سنن الترمذي والنسائي وغيرهما من حديث عثمان بن حنيف الصحابي (رض) وله روايات عند غيرهما ، والتحقيق أن هذا توسل بدعائه (ص) لا بشخصه ولا يتأتى مثله لاحد بعد وفاته فغير مشروع أن يطلب منه (ص) بعد وفاته دعاء لم يصح عن أحد من الصحابة ذلك بل صح في حديث توسلهم بالعباس في الاستسقاء ما يدل على امتناع التوسل بمثل ذلك بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه إذ قال عمر : اللهم انا كنا اذا جدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا . والحديث في صحيح البخاري ولو كان التوسل بشخصه (ص) أو بدعائه بعد موته مشروعا معروفا عندهم (رض) لما عدلوا عن الاستسقاء به (ص) الى الاستسقاء بدعاء العباس رضي الله عنه

ولكن بعض العلماء المتأخرين لم يفطنوا لهذا الفرق بين التوسلين فاستدلوا بحديث الاعمى على جواز التوسل بشخص النبي صلى الله عليه وسلم وبطلب دعائه وشفاعته بعد وفاته فهم معذورون باجتهادهم وان كان خطأ ، وقد بينا تحقيق هذه المسألة من قبل في المنار وهي مفصلة بأدلتها ومنها روايات حديث الاعمى ما صح منها وما لم يصح في كتاب التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فليراجعها من شاء وما ذكرتم من التقول والبهتان على الوهابية وملكهم امام السنة ومحييها فهو من غرائب افتراء أناس يدعون الاسلام ، وقد عرف كذبهم في هذا العصر الملايين من الناس باختبار الحجاج الصادقين واخبارهم وما تنشره الجرائد منها

﴿ حكم من تبرأ منهن النبي صلى الله عليه وسلم كالنائحات، ومدة الحداد ﴾

(س ١٣ — ١٤) من صاحب الامضاء في مزارع أولاد عليوه (برديس)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المحترم الفاضل الشيخ السيد رشيد رضا

بعد السلام وواجبات الاحترام

نعرف حضرتكم أنه استشكل علينا الامر فيما يأتي :

(١) في صحيح البخاري حديث « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ، واني بريء من الصالقة والحالقة والشاقة جيبها والداعية بالويل

والثبور(*) واختلف الناس في ذلك فنهم من قال ان الفاعلة ذلك طالقة من زوجها لا تحل له الا من بعد أن تستتاب وبعد عقد جديد، ومنهم من قال بطريقة التوبة فقط

فنرجو منكم بيان ذلك بياناً شافياً في عدد من أعداد مجلتكم الغراء قريباً ولكم منا الشكر ؟

(٢) وأيضاً في حديث الحدة المروي في البخاري « لا تحد امرأة فوق ثلاثة أيام الا على زوج فانها تحد أربعة أشهر وعشراً » (١)

منهم من أجاز الاحداد لسبعة أيام على الاب ومنهم من منع ذلك . فنرجو من فضيلتكم البيان الشافي في ذلك وما الحكم في المحدود مع ما ذكر لان الناس استغرقت في هذ الامر استغراقا كثيراً حتى قل من ينهى زوجته وأقاربه عن ذلك

فلهذا نرجو من فضيلتكم كل الاهتمام في هذا الامر ولنرى ماتتبع في ذلك وسلامنا على جميع من يسأل عنا وعنكم والسلام على من اتبع الهدى ودين الحق

أحمد محمود أبو ستيت السافي السني

جواب المنار :

(١٣) وردت أحاديث كثيرة في الزجر عن المعاصي والرذائل وفي التقصير في الفضائل بلفظ ليس منا من فعل كذا وبلفظ البراءة، منها ما ذكر في السؤال (ومنها) « ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال » رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بسند صحيح (ومنها) « ليس منا من غش » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم بهذا اللفظ ، ورواه الترمذي بلفظ « من غش فليس منا » كلاهما صحيح من حديث أبي هريرة (ومنها) « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » رواه البخاري من حديثه وغيره عن غيره ، (ومنها) « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا » رواه أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمر والترمذي بلفظ « ويوقر كبيرنا » من

(*) قوله واني بريء حديث آخر رواه البخاري عن أبي موسى (رض) بلفظ اني أبرأ ممن بريء منه محمد (ص) ان رسول الله (ص) بريء من الصالقة والحالقة والشاقة وليس في هذا الحديث ذكر الويل والثبور ولكنه ورد في حديث آخر ، والصالقة التي ترفع صوتها بالبكاء أو التي تضرب وجهها والحالقة التي تحلق رأسها عند المصيبة والشاقة التي تشق ثوبها (١) لفظ الحديث « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا » وفيه ألفاظ أخرى

حديث انس وكلاهما صحيح (ومنها) « ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » رواه ابو داود من حديث جبير ابن مطعم بسند حسن ولا يقول أحد يعرف أصول الاسلام وفروعه ويفهم نصوصه إن هذه الاعمال أو التروك كفر وارتداد عن الاسلام وانما اتفقوا على أن هذه الصيغة وأمثالها للتغليظ والتشديد في هذه الامور التي هي من أعمال الجاهلية وشؤونها فترى شراح البخاري يقولون في « ليس منا » ان معناه ليس من أهل سنتنا وطريقتنا وليس المراد به اخراجه عن الدين وانما المراد به المبالغة في الردع . وقال بعضهم في حديث التبري انه وعيد للمتبرأ منه بأنه (ص) لا يدخله في شفاعته . فمن قال إن المرأة المسلمة ترتد عن الاسلام وتبين من زوجها بالنواح والندب ونحوهما من أعمال الجاهلية المحرمة فهو جاهل ، وانما ينبغي للمسلم الحريص على دينه وعلى زوجه أن يختبر عقيدتها فيما يخل بتوحيد الله تعالى مما نشأ في النساء والرجال من عقائد الوثنية كدعاء غير الله تعالى والذبح لغير الله تعالى وغير ذلك مما شرحناه في المنار والتفسير مراراً كثيرة

يجب العمل في الحداد بما صح في الحديث وعدم الالتفات الى من أجاز مخالفته بهواه (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

النفس الواحدة التي خلق منها الناس

(س ١٤) من صاحب الامضاء في (زنجبار) في ذيل كتاب خاص

بسم الله الرحمن الرحيم

(ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)

ماقولكم في معنى النفس الواحدة هل هي نفس آدم ؟ وهل حواء من تلك النفس ؟ وهل هي من تلك الطينة التي هي نفس آدم ؟ أو هي من ضلعه الايسر على مايزعمون ؟ افيدوا بالجواب الشافي ولكم مني جزيل الشكر والسلام .

محمد عبد الله قرنح

(ج) يطلق لفظ النفس في اللغة على روح الانسان وعلى ذاته وعلى الدم. قال في المصباح المنير : والنفس انثى ان اريد بها الروح قال تعالى (خلقكم من نفس واحدة) وان أريد الشخص فمذكر ولا تطلق النفس على الطينة مطلقا . فالفيومي صاحب المصباح فسر النفس في الآية بالروح بدليل وصفها بواحدة ويظهر

انه يريد بها جنس النفس كأنه يقول انه خلقكم من جنس واحد وحقيقة واحدة فأصلكم واحد فلا ينبغي لكم ان يتكبر بعضكم على بعض ويفتخر عليه بنسبه وأما قوله تعالى (وجعل منها زوجها) فهو كقوله تعالى (فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا) أي جعل لكل جنس من الاحياء زوجين لاجل التناسل كما قال (ومن كل شيء خلقنا زوجين) والذي عليه جمهور المفسرين ان المراد بالنفس الواحدة هنا آدم عليه السلام ، وهو تفسير مراد مبني على الاعتقاد أن أبا البشر هو آدم عليه السلام لا تفسير بمدلول اللغة ولا بنص مأثور عن الشارع وما صح في الحديث من كون آدم أبا البشر لم يرد تفسيراً للآية، وتفسير النفس بآدم في هذه الآية لا يظهر في آية الاعراف (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به) الآية - فان النص يقتضي ان النفس الاولى هي الانثى وان زوجها الذي خلق منها هو الذكر بدليل تغشيه إياها وحملها بالولد ، دع ما فيها من الحكم بالشرك عليهما وعلى ولدهما. وتجد في هذا الموضوع بحثا طويلا في تفسير الآية وهي أول سورة النساء في الجزء الرابع من تفسيرنا .

وأما قوله تعالى (وخلق منها زوجها) فهو على القول بان النفس الواحدة آدم لا يدل على أنها خلقت من ضلعه ولا من طينته بل معناه على كل حال ان هذا الزوج من جنس هذه النفس كما قال في سورة الروم (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) فليس معناه ان زوج كل واحد من البشر بضعة من جسمه بل المعنى أنها من جنسه الذي هو علة سكون كل من الزوجين الى الآخر الذي هو مقدمة الاختلاط الذي يكون سبب النسل بمقتضى سنة الله تعالى في خلقه كما بيناه في التفسير وفيه أن جمهور المفسرين الذين قالوا إن المراد بالنفس آدم عليه السلام يقولون: ان المراد بزوجها حواء وأنها خلقت من ضلعه الايسر وهو نائم ، وان هذا قول مأخوذ من الفصل الثاني من أسفار التوراة الذي لا يعرف أحد كاتبه على سبيل القطع وما ورد في حديث الوصية بالنساء من الصحيح من خلقهن من ضلع فالتحقيق أنه من قبيل قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) كما بيناه في المنار من قبل، وفي لفظ للحديث من البخاري انه (ص) قال «إنما المرأة كالضلع» الخ بالتشبيه ، ونحن نقول بان آدم عليه السلام أبو البشر وان حواء عليها السلام أم البشر كما هو المشهور عندنا وعند أهل الكتاب وانما نقول إن الآية ليست نصاً في هذا المعنى ولا هو المعنى الظاهر المتبادر منها بحسب مفهوم اللغة والله أعلم بمراده

الجمع بين مسألة الذكران والاناث في المدارس

(ومسألة التجديد والتجدد)

(مجمل محاضرة ألقيناها في نادي جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة)

إن مسألة جمع البنات مع البنين في مقاعد التعليم الثانوي والعالي من أعظم الاغراض التي يرمي اليها دعاة الثورة اللادينية المدنية باسم التجديد المراد به هدم القديم من مقوّمات الامة من دين وتشريع وأدب وسياسة، ومشخصاتها من العادات والازياء وغير ذلك، والتجديد سنة من سنن الاجتماع، كما أن التجدد من مقتضى الفطر والطباع، ومثلهما مقابلهما من المحافظة على القديم ولكل منهما موضع فلا تناقض بينهما ولا تضاد، اذا وضع كل منهما في موضعه بغير تفريط ولا إفراط

من التجدد في نظام الفطرة أن كل أحد يخالف خلق والديه وأخلاقهما بعض المخالفة - ولولا ذلك لم يكن ما نرى من التفاوت العظيم بين البشر - ومن حفظ الاصل مالا يجهل من إرثه لهما وشبهه بهما في بعض صفاتهما الجسدية والنفسية، ولولا ذلك لوقع من التباين بين أفراد الناس ما يكاد يكون به كل منهم نوعا مستقلا بنفسه

ومن حفظ القديم في الاعمال وراء سنة الوراثة ما تقتضيه غريزة التقليد من مشاركة الانسان لمن يعيش بينهم من أول سن التمييز الى نهاية أجل الشيخوخة، ثم تقليد الجماهير لمن يرونهم أوسع منهم علما، أو أعلى مكانة وقدراً - ولولا هذا لما تكونت البيوت والفصائل والشعوب والقبائل، بما يربط بعضها ببعض من المشاركات في الأعمال، التي تطبع في

الانفس ملكات الاخلاق والعادات ، فتكون رابطة الوحدة ، التي تجتمع بها وشائج الكثرة ، فتكون بها الفضائل قبيلة والبيوت أمة

ومن التجديد في الاعمال البشرية ماتهدي اليه غريزة الاستقلال المقابلة لغريزة التقليد ، والميل إلى الاستنباط والاختراع ، ولولاه لكانت جماعات البشر كأسراب الطير ، ومساكنهم لاترتقي عن خلايا النحل وقرى النمل

فالتجديد الاجتماعي والسياسي والمدني والديني كل منها حاجة من حاج الجماعات البشرية بمقتضى غرائزها واستعداد نوعها ، به يرتقون في مدارج العمران ، ويصعدون في معارج العلم والعرفان ، حتى إن الدين الالهي الذي يستند الى وحي الرب الحكيم بمحض فضله ، لبعض من أعدّ أرواحهم القدسية لذلك من اصفياء خلقه ، قد سار مع غرائز الجماعات البشرية في ترقيها من طور الى طور حتى اكمله تعالى لهم بالاسلام عندما وصل مجموعهم الى سن الرشد والاستقلال ،

ومع هذا الإكمال يروي لنا المحدثون عن خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، انه قال « ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه ابو داود في سننه والحاكم في مستدركه والبيهقي في المعرفة وغيرهم من حديث أبي هريرة وأشار السيوطي في جامعه الصغير الى صحته. والمراد بتجديد الدين تجديد هدايته ، وبيان حقيقته وحقيته ، ونفي ما يعرض لأهله من البدع أو الغلو فيه او الفتور في إقامته ، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شرعه . وبهذا المعنى أعد نفسي داعية تجديد ديني مدني ، وعدواً مجاهداً

للجمود على التقليد ، والاصرار على ما ثبت بطلانه أو ضرره من القديم ، فلا يحسبن احد من شبابنا اني احكم في موضوعنا بتأثير الجمود على كل قديم ،

أول شاهد لي على هذا مقدمة العدد الاول من صحيفتي المنار التي كتبتها في مثل هذا الشهر (*) (شوال) أي سنة ١٣١٥ منذ ثلاث وثلاثين سنة ، فقد أشرت في أولها الى الجديد والتجديد المدني بهذه الكلمة :

« أيها الشرقي المستغرق في منامه ، المبتهج بلذيذ أحلامه ، حسبك حسبك ، فقد تجاوزت بنومك حد الراحة ، وكاد يكون إغماء أو موتا زؤاما

« تنبه من رقادك ، وامسح النوم عن عينيك ، وانظر الى هذا العالم الجديد ، فقد بدلت الارض غير الارض ، ودخل بها الانسان في طور آخر خضع له به العالم الكبير »

ثم أشرت فيها الى جملة المخترعات الصناعية ، وما تجدد في العلوم الطبيعية ، وانتقلت من ذلك الى بيان اغراضي من إنشاء الصحيفة ، مبتدئا بقولي « وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين » هكذا بتقديم ذكر البنات على البنين ، فأنا داعية الى تجديد من اهم قواعده ترقية مدارك النساء بالتربية والتعليم ، وفي المنار مقالات كثيرة وفتاوى في ذلك من اشهرها مقالات (الحياة الزوجية) التي أودع بعضها الاستاذ الاجتماعي الاقتصادي محمد طلعت بك حرب الشهير كتابه (تربية المرأة)

فأنتم ترون انني كنت منذ ثلث قرن داعية تجديد ، وذلك قبل

(*) كنت كتبت هذا بطلب الجامعة المصرية في شوال العام الماضي ليكون موضوع مناظرة فيها فنعتها الحكومة لسبب سياسي عارض ، ثم القيته في جمعية الشبان المسلمين في المحرم الماضي مع زيادات تناسب المقام

شيوع هذا اللفظ في هذه السنين ، وقد تفضل علي بلقب (المجدد) بعض الكتاب والمحبين ، قبل أن ينتحله ويريد احتكاره بعض المعاصرين ، ولكني أسير في كل من التجديد والمحافظة على سنن الطبيعة التي أشرت اليها آنفا ، فأقول في الدين بقاعدة الامام مالك رحمه الله تعالى وهي الوقوف في العقائد والعبادات عند نصوص القرآن وبيان السنة النبوية له وسيرة السلف الصالح فيه قبل حدوث الآراء والبدع — ومراعاة مصالح الامة العامة في الاحكام الدنيوية من مدنية وسياسية وغيرها

وأما مافوضه الشارع إلى الناس من أمور دنياهم ، ووكله إلى علمهم وتجاربهم في قوله ﷺ «أنتم أعلم بأمور دنياكم» وقوله صلوات الله وسلامه عليه «انما انا بشر مثلكم اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر» رواهما مسلم في صحيحه ، أما هذا فأنا أدعو فيه إلى أحدث ماانتهت اليه علوم البشر وفنونهما ، وإلى مالا يعرف له حد من الزيادة عليها ، بقصد إعزاز الامة واعلاء شأن الملة بها. ولا بد فيه من المحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها التي كانت بها أمة في وسائلها ومقاصدها .

أومأت الى هذا التجديد في مصالح الدنيا وهداية الدين، ومقاومة التقليد الديني للكتب والمؤلفين ، بقولي في تلك الفاتحة بعد الحث على تربية البنات والبنين «واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم ، والتنشيط على مجاراة الامم المتمدنة في الاعمال النافعة وطروق ابواب الاقتصاد، وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الامة ، والاخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها، والتعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد ، والتأويلات الباطلة التي

شبهت الحق بالباطل ، حتى صار الجبر توحيداً ، وانكار الاسباب ايمانا وترك الاعمال المفيدة توكلا ، ومعرفة الحقائق كفراً والحاداً ، وايذاء المخالف في المذهب دينا ، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً ، واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفانا ، والذلة والمهانة تواضعاً ، والخنوع للذل والاستبدال للضيم رضى وتسليما ، والتقليد الاعمى لكل متقدم علماً وايقانا »

وعلى هذا الاساس المتين، أبني رأيي في موضوع تعليم البنات والبنين، فأقول

تقليدنا للافرنج وما يجب نظره فيه

اني أرى أن مايقال في فائدة الجمع بين الذكران والاناث في مقاعد التعليم في جميع درجاته أقرب الى الخيال منه الى الحقيقة ، وانه ناشيء عن تقليد للافرنج ، لا عن خبرة تامة واستقلال في الرأي، ولا موازنة بينه وبين مايعارضه في الضر والنفع ، ولا نظر دقيق في الفروق بيننا وبين أولئك القوم . واني خصم للتقليد الديني والدنيوي معا ، وقد كان من أول نظمي للشعر في عهد طلب العلم في طرابلس الشام قصيدة هذا مطلعها

ليس التمدن تقليد الاوربي فيما انتحاه من العادات والزّي
إن المقلد لاينفك مرتكسا في الضعف يخبط في ليل دجوجي
بل التمدن ملزوم التقدم مد عاة الرفاهة منفاة الألاقي(١)
روح شريف به تحيا الشعوب بما يبث فيها من العلم الحقيقي
حتى ترى كثرة الآحاد راجعة لوحدة والفرادى كالاثاثيّ(٢)
والاختلاف بآراء الرجال لاجـ ل الاتفاق على نيل الاماني

(١) الألاقي جمع ألقية وزان أمنية وهي الشدائد والدواهي (٢) الاثاثي الجماعات الكبيرة

نعم ان الباعث الاول على التقليد هو احتقار المقلد لنفسه ، وتعظيمه لشأن من يقلده، سواء أكان المقلد فرداً أو جماعة كبيرة أو صغيرة وهي الامة . فمن وطن نفسه أو أمته على التقليد فقد حكم عليها بالذل، وأن تكون تابعة لا متبوعة ، مستعبدة لا مستقلة ،قاصرة لا رشيدة، وقد عقد حكيمنا العربي الاجتماعي ابن خلدون في مقدمته الشهيرة فصلا خاصا في بيان «أن المغلوب، ولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر عوائده»

فيجب علينا أن نتقي هذا الخطر في حكمنا الاستقلالي على ماندعى اليه من اتباع غيرنا ، مما أشار اليه حكيمنا ، وأن نكون على حذر في كل تغيير في مقومات أمتنا ومشخصاتها ،وأن نعتبر في ذلك بسير الامم العزيزة في كل انقلاب حدث فيها، ونوازن بين نفعه وضره، وما ينطبق وما لا ينطبق علينا منه ، ولا يجب مثل هذا فيما نحتاج اليه من الفنون الصناعية والزراعية والاقتصادية والعسكرية ونحوها لأن الحاجة اليها في جميع الامم واحدة وهما تكن أديانها وآدابها ولغاتها وتقاليدها

وأول مثل يجب أن نعتبر به الامة الانكليزية التي هي أعز أمم الافرنج وأعظمها حضارة وسلطانا، فاننا نراها أشد الامم اعتصاما بكل مايتعلق بروابطها الملية والقومية، من دينية ودنيوية .ومن أهم ذلك مسألة التغيير في كتاب الصلاة التي كثر الخوض فيها أخيراً. ورفض البرلمان قبول اقتراح التغيير فيه مع العلم بانه من وضع الكنيسة وتقاليدها، وكون تنقيحه عما يحتج به المقترحون من المصلحة الدينية العامة لا يتضمن تغيير شيء من كتب العهدين القديم والجديد التي هي عندهم ينابيع الدين

ودون هذا ما يصر عليه الانكليز من مقاييسهم وموازينهم لانه

انكليزي وعدم قبولهم ما يخالفه من المقاييس والموازين البشرية على أفضليته وتسهيلها لوسائل التعامل العام بين البشر - لانها من صنع اللاتين لا من صنع الانكليز

ولنلق نظرة عجلى على تعليم النساء عندهم نجدهم الى منتصف القرن التاسع عشر قلما كانوا يعدُّون في تعليم البنات الابتدائي شغل الابرة والرقص والعزف بالبيانو — ثم زادوا في منهاج تعليمهن الدين والاخلاق وتدبير المنزل . وفي ذلك العهد أسست في انكلترة مدارس البنات الابتدائية ، وفي العشر الأواخر منه بدىء بتأسيس مدرستين كليتين لهن وتلاهما غيرهما — ونجد ان مدرستي كمبردج واكسفورد الجامعتين كانتا تمتنعان عن إعطاء البنات الدرجة العلمية التي يستحققنها بالامتحان، الا ان الثانية رجعت عن هذا الحرمان لهن في سنة ١٩٢٠ أي بعد ان عظم سلطان النساء في أوربة كلها بما أبلين في عهد الحرب الكبرى، وبقيت الثانية مصرة عليه الى العام الماضي على ما رأيت في بعض المجلات العلمية، ولا أذكر انني رأيت نصا في رجوعها عنه

ومما يجب ان ينظر فيه في مسئلتنا نظرة تدقيق واعتبار ما بين نسائنا ونساء الافرنج من الاختلاف في العلم والعمل والتقاليد ، ومن أهمه مشاركة النساء للرجال عندهم في الكسب ، وهو يسوغ من مشاركتهن لهم في التربية والتعليم ما لا يسوغه حال نسائنا

حجة القائلين باختلاط الجنسين

ان الذي أعلمه ان اقوى حجج القائلين باختلاط الجنسين في جميع مراحل التعليم وزعمهم أنه خير وسيلة للتربية الصحيحة ، ان كلا منهما يختبر

الآخر حق الاختبار ، فيقف على اخلاقه وآدابه وآرائه ومقاصده من الحياة ، فيكون من فوائد ذلك ان تبنى البيوت (العائلات) التي تتكون منها الامة على اساس ثابت صحيح لا تقوضه أهواء جهل كل منهما بما ذكر وما ينجم عن هذا الجهل من خلاف وشقاق

والذي أراه ان هذه نظرية خيالية، تنقضها الخبرة والتجارب العملية، ولو ثبتت من بعض الوجوه لكان ما يعارضها من غوائل الاختلاط في امتنا أحق وأولى بالترجيح عليها، وهو ماسأشير اليه بالاختصار بعد نقضها

أقول في هذا النقض (أولا) إن كلا من الفريقين الشقيقين يعرف في بلادنا ماعليه الفريق الآخر في جملته من الاخلاق والآداب والعادات والتقاليد العامة وأغراض الحياة ومنازعها بما يسمعه كل منهما ويراه ويبلوه من معاشرة الاقربين والجيران وغيرهم، وأما معرفة كل فرد منهما لكل فرد من الآخر فلا سبيل اليه بالاختلاط في المدارس ، ولا فيما سيكون عاقبة له من الاجتماع في المحافل والمجامع .

(ثانياً) كانت هذه النظرية مسلمة عند جماهير المتفرنجين وكثير من غيرهم فيمن يريدان التزاوج وقد بينا بطلانها في مقالات الحياة الزوجية بما يؤيده مافشا في هذه السنين من قلة الزواج و كثرة الطلاق في العالم الافرنجي القديم والجديد وفي الشعوب المقلدة له وفي مقدمتها شعبنا المصري، واني في غنى عن ايراد الشواهد وسرد الاحصاءات المخيفة في هـذا بما تنشرة الصحف منها في هذه الأيام نقلا عن صحف أوربة والولايات المتحدة الاميريكانية (*)

(*) يراجع قراء المنار ما نشرناه من احصاء الطلاق في الولايات المتحدة الامريكانية في ص ٣٠٨ من المجلد ٢٩

(ثالثاً) ان من المعلوم بالاختبار أن كلا من الجنسين يتجمل ويرائي الآخر في معاشرته له منذ يشعران بالميل الغريزي الذي جعله الخالق الحكيم داعية التناسل فيهما، فيخفي كل منهما عن الآخر مايعهد أو يظن أنه يكرهه أو يستنكره، ويتوخى اظهار مايرجو أن يحبه ويؤثره، ولاسيما اذا كانا يميلان الى الاقتران، وقد شرحت هذا في مقالات الحياة الزوجية

وإننا نرى علماء الافرنج الاحرار يصرحون بأنه قلما يوجد عندهم زوجان يعيشان كل عمرهما أو جله متحابين متوادين كما يصوره كتاب القصص الخيالية التمثيلية وغيرها، ومنهم من قال إن الاتفاق الودي بين الزوجين لا يكاد يزيد عن ثلاث سنين، ومنهم من مدّ في أجله الى خمس سنين، ولعل كثيرا من السامعين لهذه المحاضرة قد وقفوا على ما كتبه ذلك الحكيم الالماني الذي صور فقد السعادة الزوجية من بيوت عاصمتهم بطارق أبواب كل بيت منها قائلا لاهله : انني سمعت أن السعادة هبطت على الارض ودخلت بيتكم فأرجو أن تأذنوا لي بالدخول لزيارتها، وبان جواب أهل كل بيت منهم كان واحداً : ان السعادة لم تدخل بيتنا ولم نرها وقد نشرت جريدة السياسة من عهد غير بعيد اقوالا لبعض الرجال والنساء من الانكليز في الحياة الزوجية تؤيد هذا

والذي نعلمه عن الحياة الزوجية في الشعب الالماني أنها خير منها في غيره من شعوب أوربة، كما حدثنا بذلك صديقنا المرحوم الدكتور الشيخ حامد والي الذي تزوج ألمانية رزق منها بعدة اولاد وكان مغتبطا بها كما كانت مغتبطة به

ويظهر لي أن فضلاء الافرنج ولا سيما القائمين بحقوق الزوجية بما

يرضاه كل من الزوجين من الآخر إنما يعملون بحكمة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وانلم يقفوا عليها ، ذلك أن امرأة كانت تختصم اليه مع زوجها فغلبها الغضب على الجهر بأنها لا تحبه. فقال عمر : اذا كانت احداكن لا تحب الرجل منا فلا تخبره بذلك فان أقل البيوت مابني على المحبة ، وإنما يتعاشر الناس بالحسب والاسلام . والمراد بالحسب الشرف ولا سيما اذا كان موروثا ـ والمعنى أن شرف الزوجية والاسرة يدعو كلا من الزوجين لحفظ كرامة الآخر وشرفه وان العمل بما تدعو اليه أحكام الاسلام كاف لهناء المعيشة من فرضه المعاشرة بالمعروف والمساواة في الحقوق بين الزوجين إلا رياسة الاسرة الخاصة بالرجل ، واحصان كل منهما للآخر الذي يمنع بطبعه تطلعه الى غيره ، وكذا توزيع الاعمال بينهما بجعل الخارجية للرجل والداخلية للمرأة

وأما غير الفضلاء منهم فلا يطيق الزوجان منهم الصبر على الحياة الا باطلاق كل منهما الحرية للآخر حتى في اتخاذ الاخدان ، واتباع خطوات الشيطان ، وقد سرت عدواهم في بلادنا الى بعض المتفرنجين ، المجردين من هداية الدين

بعد هذه الاشارة الى تفنيد نظرية التماس السعادة الزوجية بالاختلاط بين الجنسين في المدارس أشير الى غوائله الشخصية والملية فأقول

غوائل الاختلاط بين الجنسين

(الغائلة الاولى) من المعلوم أن الشعور بالميل الفطري في كل من الجنسين الى الآخر يبتدىء في سن المراهقة ويقوى بعد البلوغ ، والقرب يذكي ناره ، والمعاشرة تضرم أواره ، فاذا جمع بينهما في مقاعد التعليم

كان لكلٍ منهما من شغل القلب ومسارقة النظر ، ومساوقة الحديث الشاغل للفكر، ما يكون صارفاً لعن توجيه قوة الذهن كلها الى العلم

ولعل هذا هو السبب في اباحة اليابانيين للجمع بينهما في التعليم الابتدائي، والمنع منه في التعليم الثانوي، على انه ليس عندهم من صيانة الحجاب ولا من شدة المحافظة على الاعراض ما عندنا بوازع الدين والوراثة والوجدان، فنحن أولى بمنعه في جميع الاطوار والاحوال

(الفائدة الثانية) ان قرب السَّواد من السواد، يدعو الى المناجاة وطول السِّواد، ويثير فيهما ذكرى الوساد(١) فيفضي إما الى التبكير بالزواج لمن تيسر وفيه من الصد عن العلم ما فيه، دع ما يذكره الاطباء وغيرهم من المضار الاخرى له، وإما الى مفاسد أخرى من دينية وصحية واقتصادية واجتماعية، بدأ الباحثون يشكون بوادرها، ويتوقعون بما يتوقع من عواقبها

وإنا لنعلم أن من دعاة ثورة التجديد، والاباحة المنية من التحرير ، من لا يبالون هذه العواقب ، وان منهم من يكابر الحس، ويماري في غرائز النفس، فيدعي أن اختلاط الجنسين أقوى وسائل العفة والصيانة، يكسب كل منهما حصانة أي حصانة ، يعنون أنه كالتلقيح بمصل بعض الادواء المعدية والتسمم بميكروبها ، يكسب صاحبه مناعة تحميه من التعدي بوبائها . وهذا قياس مع الفارق فان ما نحن فيه هو أشبه بالتعرض لعدوى الوباء في عنفوان شدته، منه بالتلقيح ببعض ميكروبه مع البعد عنه

---

(١) السواد بالفتح هنا الشخص وشبح انسان والسواد بالكسر المسارة في الكلام فهو مصدر ساوده أي ساره وبالضم اسم منه. والوساد بالكسر بل بالتثليث المخدة والمتكأ وهو هنا كناية عن الفراش ظاهرة المعنى

ولو شئنا لسردنا ماعلمنامن الشواهد التي نقرؤها في الجرائد، أو نسمعها من كل مختبر اومشاهد على ما منيت به بلادنامن شرور الاباحة، وضروب التهتك والوقاحة، وما أراني إلا من أقل السامعين لحاضر تي علما بها

وانني أذكر من تنفعه الذكرى بأن تأثير هذا الاختلاط في مثل أمتنا أدهى وأمر من مثله في أوربة بقدر ما بيننا وبين أهلها من التفاوت في العقائد والتقاليد والعادات ، وناهيكم بسرعة الانتقال من طور الى طور وما تقتضيه من غلو وإسراف ، وقد ثبت أن الذين ابتلوا بعصبية السكر من المسلمين في الكبر ، كانوا أشد اسرافا فيه ممن اعتادوه وكانوا يستحلونه من أول النشأة ، وهذا يرجع الى السنة المعروفة في الطبيعة والاجتماع بناموس رد الفعل

ومنه ماحدثني به عالم اجتماعي مؤرخ في سورية قال: اننا نحن النصارى لما هتكنا ما كنا نجاري فيه اخواننا المسلمين من حجاب النساء لم يبق في مدينتنا امرأة منا إلا ولها خدن أو أخدان ، وقد هبط هذا الاسراف الآن . قال هذا منذ عشرات من الاعوام ، ولا بد أن يكون الاسراف قد عم وطم بما تجدد من حرية الاباحة بعد الاحتلال الاجنبي.

(الفائدة الثالثة) أن الجمع بين الجنسين في مقاعد التعليم في جميع مراحله واسنانه، هو مبدأ ماظهرت بوادره من اباحة الاختلاط بجميع صوره وأشكاله، من رقص وسباحة وسفر مع الأجانب ومخادنة لهم وتزوج بهم ، وفي ذلك من المفاسد والمضار الادبية والاجتماعية والصحية والمالية ما لا يمكن بيانه الا في محاضرة مستقلة أو رسالة طويلة

(الفائدة الرابعة) أنه هدم لكثير من أحكام الدين وآدابه ، وقطع لا قوى

الروابط المعنوية في الامة، فهو جناية على الافراد وعلى البيوت وعلى الامة بجملتها، ولاسيما أمة كالامة الاسلامية استولى على نظام التربية والتعليم فيها أناس من خصومها في دينها وفي سياستها . فلم يبق لها من القوى الروحية والادبية مايقاوم فتك هذه المفاسد فيها، ولم يوجد فيها من السروات والزعماء ولا من رجال الدين من يتلافى شيئا من شر منع السيطرة الاجنبية على المدارس الاميرية والاهلية، دع شرور المدارس التبشيرية، وانما كان الباقي لها من صيانة الدين بعض تقاليده الموروثة، وكانت كافية لحكم المختبرين بأن المسلمين اطهر أهل الملل أعراضا، واصحهم أنسابا

ودعاة التجديد الاباحي يريدون التذفيف على هذه الجروح العميقة التي أحدثتها هذه المدارس التي صرح لورد سالسبوري بأنها الخطوة الاولى لاستعمار البلاد التي تنتشر فيها، لان أول تأثيرها أنها تحدث الانقسام والتفريق بين الامة فتجعل بعضها لبعض عدوا — فهؤلاء الدعاة أعداء لامتهم ووطنهم أعوان لاعدائها، فاذا لم تقو على القضاء عليهم قضوا عليها اهـ

هذا ما كان كتب في المسألة وقد وضحنا بعضه باللسان، وقد قام بعدنا الاستاذ الدردير فأثنى على المحاضرة وملقيها، وقال إنه موافق له على كل ماقاله فيها، ولكن بقيت مشكلة زواج الرجل بمن لايعرفها . . . وقد أجبته عن ذلك بما أقنعه وأقنع غيره بعد بحث ومراجعة . ثم سألني بعض الشبان مسائل كثيرة في الموضوع وما حوله وكان من سرورهم واقتناعهم ماحمل جماعة منهم على المشي معي الى الدار لاطالة المذاكرة

تاريخ حروف الكتابة

(ومكان العربية منها)

(أول من وضع الكتابة في العالم عرب اليمن وعنهم أخذ الفينيقيون الذين هم من عرب البحرين وما جاورها وعنهم أخذ اليونان . والحروف اللاتينية لا تصلح للغة العربية ولا للشعوب العربية والاسلامية أبدا)

بحث وتحقيق للامير شكيب أرسلان

كان أمير البيان قد كتب مقالا في تفنيد ما انخدع به بعض كتاب العربية المتفرنجين من استحسان تقليد الترك الكماليين في شر ما جنوا به على لغتهم وثقافتهم، ومدارسهم وصحافتهم، إتماما لما جنوه على دينهم وآداب ملتهم، وهو كتابة التركية بالحروف اللاتينية، ونشر هذا المقال في جريدة العهد الجديد التي هي من أخلص الجرائد العربية لأمتها ووطنها وأقدرها على خدمتها . ثم استزاده بعض المعجبين بتحقيقه لأمثال هذه المباحث فراجع فيه قبل اتمامه بعض كبار المحققين من علماء اوربة ذلك وفي مقدمتهم الاستاذ (مورتيز) الالماني المعدود من أشهر علماء هذا الفن في العالم كله وله فصل طويل في الكتابة العربية نشر في دائرة المعارف الاسلامية ــ والاستاذ (هس) السويسري مدرس الألسن الشرقية في جامعة (زوريخ) وهو من أصحاب القدم الراسخة في تاريخ الخطوط عامة والخط العربي خاصة وقد تلقى عنه أستاذنا الامام الخط المسند في سويسرة . كتب اليه الامير في ذلك وتلقى عنه مقدمة لجوابه مع وعد بتتمتها . وكتب أيضا إلى الاستاذ ليتمان الالماني العلامة الشهير يستوري زنده في الموضوع فلم يجده في برلين لأنه كان بمصر

وكان ذاكره في هذا البحث مرارا

ثم جاء برلين وبحث مع الاستاذ مورتيز في المسألة زهاء ساعتين وشرع بعد ذلك في كتابة خلاصة هذه المباحث وأرسل ما كتبه إلى جريدة العهد الجديد فنشرته متفرقا في شهر شوال الماضي.

المقالة الاولى

قال الامير بعد مقدمة ذكرنا خلاصتها آنفا :

الاستاذ موريتز يرى ما يراه هذا العاجز وما كان سبق لي ذكره في مقالة بهذه الجريدة وفي مقالات أخرى من قبل وفي تصريح صرحت به في أيام الحرب لاحدى الجرائد الالمانية وهو أن الخط العربي الحالي الذي يسميه علماء الخطوط بالخط النسخي هو نوع من الاختزال « الستينوغرافيا » وان العرب لم ينتقلوا اليه من الخط المسند الحميري الذي كانت حروفه منفصلة إلا حبا بالسرعة ومن بعد أن استبحر العمران وكثرت العلائق التجارية عند العرب

والاستاذ موريتز موافق لي على القول بأن طريقة العرب في الخط النسخي هي الطريقة التي يجدر أن يقال لها طريقة عصرية وإن فيها اختصاراً لائقاً بكتابة الأمم التي ازدحمت أشغالها وتناهت مدنيتها وإن فيها أيضاً توفيراً من الوقت ومن القرطاس

ثم ان الاستاذ موريتز يصرح تصريحاً لا مجال معه لادنى مراجعة بأن الحروف اللاتينية لا تصلح أبداً للسان العربي وأن اللسان العربي بالحروف اللاتينية لا يمكن أن يعرف

ومن بعد أن قررنا هذا نقلا عن هذا العلامة الشهير المشار اليه بالبنان في الشرقيات لا سيما علم الكتابات السامية يحسن أن نذكر خلاصة آرائه في تاريخ الخط البشري

قالاستاذ موريتز يذهب إلى ما هو معروف عند جميع العلماء من أن الكتابة وقعت بالتدريج وأنها كانت في البداية صوراً تامة فاذا أريد التعبير عن الاكل مثلا رسم الكاتب صورة رجل يأكل واذا أريد

التعبير عن النوم رسم صورة رجل نائم على فراشه وإذا كانت العبارة عن الضرب رسم رجلا يضرب رجلا آخر وهلم جراء. وهذا الخط التصويري الذي يسمى بالهيروغليف في مصر وبالمسماري في العراق والذي منه آثار عند قدماء سكان أمريكا قد مست الحاجة إلى اختصاره. وفي الصين لا يزال التصوير غالبا على الخط

يقول البروفسور موريتز إن أول واضع للكتابة على شكلها الحالي منتقلا من الصور التامة الى الاشارة الجزئية يجب أن يكون رجلا عربيا من أهل اليمن ويقول إن الاستاذ ليتمان يرى هذا الرأي نفسه

ويضرب مثلا فيقول: كانوا في عهد الكتابة بالصور إذا أرادوا ذكر العين صوروها كما هي هكذا (.) ثم عندما أرادوا الكتابة بالاشارات المختصرة عن الصور جعلوا حرف العين بصورة العين الباصرة فجعلوا حرف العين هكذا «ه أو ع» ثم إن الباء مختصرة من صورة البيت فالبيت صورته هكذا D كما لا يخفى لان الاصل في البناء يكون مكعبا فعندما أرادوا الاختصار رسموا البيت هكذا ف ونجد أن هذه هي صورة حرف الباء المشتقة من البيت، أما نقط الباء فهو متأخر العهد والعلماء مجمعون على أن النقط في العربي لم يقع الاصطلاح عليه الا في القرن الاول للهجرة

ويستدل الاستاذ على أن بداية الخط وقعت عند عرب اليمن بما يأتي:

ان المدنية البابلية ترجع الى ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح. واذا رجعنا الى حفريات الانكليز والامريكيين الحديثة في «اوزه» الكلدانية نجد أن مدينة بابل كانت زاخرة مستبحرة العمران قبل المسيح بأربعة آلاف سنة

وللقرائن تدل على أن مدنية بابل جاءت إلى بابل من بلاد العرب

ووجدت في بابل أسماء « حموراني » و « عميصادق » وهي هذه الاسماء نفسها وجدت في اليمن بلفظ « عمي رانع » و « عمي صادق » . وانما تحرفت في ابل قليلا . ومن هذا وغيره استدل علماء الآثار على أن أصل المدنية البابلية هو من اليمن

وأما « الالف باء (Alphabet) فقد وجدت في اليمن بل في الدنيا كلها قبل المسيح بألفي سنة . وأقدم خط عربي وجد في اليمن ويقال له المسند . وقد أخذه الفينيقيون وأدخلوا عليه بعض تغييرات ، هذا هو رأي المحققين الذي عولوا عليه أخيراً بعد أن كان العلماء يظنون أن الفينيقيين هم الذين سبقوا الأمم كلها إلى الكتابة

ولعل الذي حمل علماء أوربة على نسبة إيجاد الكتابة إلى الفينيقيين هو كون اليونان أخذوا الكتابة عن هؤلاء . وكان ناقل الكتابة من الفينيقيين الى اليونان رجلا اسمه « قدموس » ومعناه « شرقي »

فاليونان يعلمون أن الكتابة وصلت اليهم من الشرق وهم نشروها في الغرب . وكان اليونان يكتبون نظير الشرقيين من اليمين الى الشمال ولم يكتبوا من الشمال إلى اليمين إلا فيما بعد ، ولم يكن عند اليونان بادىء ذي بدء سوى عشرين حرفا ، ثم صاروا يزيدون عليها .

وأما الخط الأقدم وهو المسند الذي هو أصل الخطوط كلها فهو ثلاثة أنواع ، وكلها كانت حروفها منفصلة كالحروف الافرنجية الآن . وهذه الانواع الثلاثة هي الخط الاحياني والثمودي والصفائي (نسبة الى حرة الصفاة التى وجدت فيها كتابات بهذا الخط)

ومن الخطوط العربية الخط السبائي قيل انه وجد قبل المسيح

بستمائة سنة إلا أن العلامة موريتز يقول انه وجد قبل المسيح بألفي سنة

ومن الخط السبآءلي نوع جديد وجد منه كتابات في الرحبة شرقي جبل الدروز ترجع الى مابعد المسيح بثلاثمائه سنة . ووجدت خطوط صبائية بين الكتابات اليونانية التي وجدت هناك .

والخط الثمودي هو قبل السبآءلي وهو والصفاءلي مختصران من المسند . ومن هذه الخطوط جاء الخط النبطي الذي هو أول خط وصلت فيه الحروف بعضها ببعض (Corsif) والخط النبطي هذا هو أصل الخط العربي الموصول المسمى بالنسخي . وقد تسنى للعلماء بحسب ماحققوه الى هذا اليوم تتبع سير الخط العربي منذ أول إيجاده الى أن تقرر الخط النسخي الحالي . وان هذه الآراء هي نتيجة ماانكشف الى الآن وستبقى معولا عليها الى أن يجد في الحفريات ما يغايرها أو يعدلها

المقالة الثانية

تقدم لنا في « العهد الجديد » ذكر آراء بعض العلماء المستشرقين المتخصصين في أمر الكتابات السامية ومنهم الاستاذ موريتز الالماني الذي هو مجمع على أن أقدم من كتب على وجه الارض هو رجل عربي من اليمن ، وعلى أمر آخر وهو أن اللغة العربية لا يجوز أن تكتب إلا بالحروف العربية

واني لناشر غدا مادار بيني وبينه من المباحثات الشفوية هذه المرة جوابا بعث به الي الى لوزان منذ نحو شهرين . وسأنشر له خلاصة بحثه عن الكتابة العربية في « الانسيكلوبيديا الاسلامية » التي بدأت بها الجنة من العلماء قبل الحرب ولما تكمل . أما نص كتابه الاخير فهو هذا (بعد الترجمة) :

« الف شكر لك على كتابك اللطيف وعلى ماتمنيته لي بمناسبة دخول السنة الجديدة التي ننتظر منها الاستمتاع بصحة جيدة والعون في إيصال أشغالنا الى غاية حسنة

في الفصل الذى حررته في « اسيكلوبيدية الاسلام على الكتابة العربية قد فاتني بعض تفاصيل لم يتسع لها المقام فالكتابة النبطية التي تشتق منها الكتابة العربية (يريد الكتابة الحالية) هي ذات شكلين : (أحدهما) الشكل العادي الاقدم الذي منه كتابات على المباني الباقية من الأعصر الاولى ومنه الكتابات الرسمية ، وحروف هذا الشكل ليست متصلة بعضها ببعض. (والثاني) الشكل المتصل وهو الشكل الذي اختير له الاختصار والبساطة لاجل الكتابات اليومية وقد وصلوا فيه الحروف بقدر الامكان حبا بالسرعة

ولا شك في أن هذه الكتابة الموصولة قد جرى الاصطلاح عليها في المدن التجارية الكبرى مثل بترآء ومكة حيث كانوا يشعرون بالاحتياج الشديد الى أن يكتبوا سريعا وكثيراً. وانه يوجد كتابات حجرية من القرن الثالث والقرن الرابع قبل المسيح ليست من الكتابات الرسمية يتجلى لك فيها هذا الشكل الجديد بكل وضوح

وأما من القرن الخامس قبل المسيح فلم توجد كتابة من هذا الشكل كما أن كتابة زيد بقرب حلب وكتابة حران هي من الخط العربي الكوفي . وأما أصل تسمية هذا الخط بالكوفي فلا أزال من أمره في ظلمات . ويحتمل أن تكون دولة لخم الصغيرة في الحيرة قد اصطلحت على خط مشتق من الخط السوري وقد أعطي هذا الخط اسم الخط

الكوفي لان الكوفة هي خلف الحيرة كما لا يخفى فكأنهم أرادوا إعطاءه اسما يميزه عن الخط السوري إلا أن هذا الافتراض لا يزال محتاجا إلى أدلة من كتابات على الحجر أو في الورق وهذه لما توجد

وأما النقط فلم تظهر إلا في النصف الثاني من القرن الاول للهجرة وذلك على كتابات المباني والمسكوكات المضروبة وعلى البردي. وكان الباعث اليها حس الاحتياج الى الفرق بين بعض أحرف الخط المتصل التي بوصلها بعضها مع بعض تشابهت كثيراً. ويظهر أن أقدم النقط هي نقطة الباء ب ونقطة الذال ذ وقد وجدت مؤخراً قطعة سكة قديمة من مجموعة البارون أو بنهايم عليها الكتابة الآتية هكذا (ضرب هذا الدينار سنة سبع ومائتين) انتهى

وإليكم هذا المكتوب الآخر من الاستاذ هس المستشرق الشهير الذي يدرس الالسن الشرقية في جامعة زوريخ، وهو ممن أقاموا مدة مديدة في مصر وعرفوا بلاد العرب وكانت له صحبة متينة العرى مع المرحوم الشيخ محمد عبده، وعند سياح الاستاذ الامام في أوربة نزل ضيفا على البروفسور هس في منزله في فريبورغ. ولقد تمكنت الصحبة بيني وبين الاستاذ المشار اليه منذ نحو عشر سنوات، ففي هذه المدة استطلعت رأيه في بعض مسائل تتعلق بالكتابة العربية فصادف كتابي اليه أنه كان ملتاثا فكتب إلي ما يأتي :

«ياأميري العزيز لم أكن قويا أصلا عندما وردني بهذا الصباح كتابك الثاني واني مع ذلك أسألك العفو فمنذ ثمانية أيام أنا عليل بالنزلة الوافدة وعند ماجاءني كتابك الاول لم أظفر بالوقت الكافي لاجاوبك إذ كانت

الاسئلة التي ألقيتها علي تقتضي لجوابها لا أقل من نصف نهار وسأجاوبك عليها قريبا وإنما أكتفى الآن بالجواب على نقطتين : الاولى هي أن جميع العلماء يذهبون الى أن الفينيقيين هم الذين اخترعوا الكتابة وحروف الهجاء السامية وساعطيك البراهين على أنه ليس الامر كذلك ، فاما الكتابة العربية فيجب التمييز جيداً بين الكتابة المعينية والسبائية مما يسميه علماء العرب الخط المسند أو خط حمير والكتابة العربية الشمالية المسماة بالنسخي فانه لا تعلق لاحدى الكتابتين بالاخرى. وليس عندنا شيء من العلم عن أصل الالف باء السبائية التى فيها عدة من الحروف لا توجد فى الفينيقية أما الحروف الهجائية الشمالية التى أقدم أشكالها تشابه تماما النسخي الحالي (بدون تنقيط كما لا يخفى) فهي مشتقة من حروف الهجاء النبطية . وان أقدم كتابة عربية بلغة عرب الشمال التي عندنا في القرآن هي المنسوبة الى مر القيس (امرىء القيس) بن عمرو التي وجدت في « عارة » بقرب دمشق . وتاريخها سنة ٣٢٨ بعد المسيح وحروفها نبطية والخط النبطي حروفه موصولة مثل النسخي

وأنت تدري أن الكوفي هو مشتق من النسخي (وبعضهم ذهب الى أن النسخي مشتق من الكوفي) وقريبا أكتب اليك مطول الخ » انتهى

فمتى وردني كتاب الاستاذ (هس) الثاني أبادر الى نشره ، وقد يصيب الانسان في نشر منقوله أكثر مما يصيب في نشر مقوله لاسيما اذا كان لا يتوخى شيئا سوى الفائدة وتجلية الحقيقة ، وهذا لا يمنعنا من تعليق ملاحظاتنا الخاصة عند اللزوم شكيب ارسلان

الخريدة العصماء ، لاشعر العلماء ، وشيخ الفقهاء والادباء ،

الاستاذ العلامة الشيخ اسماعيل الحافظ

عضو محكمة الاستئناف الشرعية في فلسطين

في عيد المنار الذهبي

ان القريض صفت اليه الهام؟ وأحاطه الاعجاب والاعظام
لم أدر حين بدت طلائع آيه فكر يجود بهن أم إلهام
سارت مواكب نظمه وكأنها جيش من الدر اليتيم لهام
يتألق الابداع فيه وفوقه من هدي أعلام الهدى أعلام
لا تلمح الاحلام سر بيانه حتى تفيء برشدها الاحلام
رقت حواشيه فهن مناهل ورست قوافيه فهن إكام
وافتر عن حر المعاني مثلما تفتر عن أزهارها الأكمام
تمليه من (عبد الحميد) قريحة عزت مناهجها فليس ترام
فياضة بجوامع الكلم التي يبقى لهن على الدوام دوام
دانت أساليب البيان لربها وأطاعه الابداع والاحكام
وأقام في الفيحاء صرح بلاغة تعشو لضوء مناره الأقوام
سام بمجد للعروبة سؤددا يزهى به جد العروبة سام
يهدي المشارق ضوؤه بروائع شغفت بها الاسماع والافهام
من كل شاردة كأن بديعها قطع الرياض يجودهن غمام
جوابة الآفاق يرقب نجمها في كل أفق أشرقت وبرام
كملت محاسن نظمها وسما بها طبع عليه وضاءة ووسام
والشعر هندام وطبع مشرق والبعض لا طبع ولا هندام

***

لك في مجال الفضل يابن زعيمه سبق وفي أوج العلى استعصام
جددت من عهد القريض محاسنا ذهبت بها الاعصار والاوهام
ألقى عليك شعاع فكرك رونقا للسحر في جنباته إلمام
وكسوته من صفو طبعك حلة أضحى بها في الناس وهو غلام

فلبسته ثوباً قشيباً مونقاً والشعر فوق حماته أهدام
وجلوت منه منهلا مستعذباً يغشاه من فطن العقول زحام
شعر عليه من الجديد ملاحة ومن البراعة والنبوغ وسام
لسقان ، منه عبرة وهداية مثلى ، ومنه صبابة وغرام
لولا احتشام فيه صان رواته إذ أنشدوه وسامعيه لهاموا
هو في النفوس كواكب مشبوبة تهدي النفوس وفي الرءوس مدام
غزل كمثل النسيم وحكمة صحت بها لاولي النهى أحكام
وقلائد المدح لو هي قلدت للبدر تاه البدر وهو تمام
ولكم له آيات وصف وحيها جهر ، ولمح بيانها أعلام
يجلو الحقيقة ربها وضاحة لا الشك يعروها ولا الابهام
فتكاد إذ يصف المعاني أن ترى للعين أو يبدو لهن قوام
وتكاد لا تدريه هل هو شاعر بلغ المدى في الوصف أم رسّام ؟

***

لا بدع أن سبق الرجال فانه كساب كل فضيلة غنام
صاغت يد الخلاق جوهر نفسه وأجاد صقل طباعه الاسلام
فبدا وفيه مناقب علوية وله من الخلق العظيم ذمام
وغدا وفي برديه نفس برة تنبو عن الاسواء حين تسام
تخفى لفرط صفائها فاذا انجلت للناس فهي محاسن ونظام
طبعت على الادب الرفيع فالما فيها سوى الحسن البديع مرام
فالكون شعر عندها ، وضروبه أحداثه ، ولغى الورى أنغام
والارض ناد والزمان قصيدة أبياتها الآناء والأيام
والنجم نور والظلام خمائل والصبح وجه مليحة بسام
والافق بهو والبروج هياكل هي للشموس منازل وخيام
والنور لوح فيه من صور الورى نقش ، ومن أعدادهم أرقام
والضوء ما بين العوالم صبغة كسيت به ألوانها الاجسام
والكائنات جواهر منثورة نظمت بها الاشكال والاقسام

فاعجب لها فطناً تناهت في العلى سبقاً فليس أمامهن أمام
واعجب لها نفساً صفا لألاؤها فلها بآثار الفنون هيام
لو شاءت الاقلام وصف جمالها عيت بوصف جمالها الاقلام

* * *

لئن اصطفت منك القوافي مبدعا أحيا رفات الشعر وهي رمام
فأبوك بحر العلم جدد نهجه وجرى مع الشعراء وهو إمام
ونمتك في عليا عدي سادة لهمُ بأندية البيان مقام
من كل غطريف كأن جنانه قبس ، ومتن يراعه صمصام
عمر أمير المؤمنين يقودهم يوم الفخار وشبله العلام
شرف أشم لو استقر ضياؤه لم يبق لا ظلم ولا إظلام
شرف صحبت المجد تحت ظلاله وجفوت ما فيه عليك ملام
ورغبت عن زهو الحياة زهادة إذ قل أكفاء وعز كرام
فلرب منزل رفعة طالت له الأعناق وازدحمت به الاقدام
سحبت بساحته الاماني واتحات في أفقه الآمال وهي وسام
أعرضت عن أفيائه متذمما والمجد يأبى أن ينالك ذام
لاخير في نيل الفخار إذا استوى يوم المفاخر منسم وسنام

* * *

ياشاعر الاوطان ذُد عن حقها فلقد يصادر حقها ويضام
أنت البصير بما يصون كيانها ويصد عنها الخطب وهو جسام
ناضلت عنها والحفائظ تلتظي والعدل جور والضياء ظلام
وصوارم السفاح تحت شفارها حتف لأحرار البلاد زؤام
في فتية غر سمت بنفوسهم همم تخوض الهول وهو ضرام
كرهوا الحياة على الهوان فأزمعوا والعيش في ظل الهوان رِحام
فقضيت حقاً لا يقوم بمثله اذ ذاك الا الاروع المقدام
وسُقيت فيه النفي صاباً علقما والسجن، وهو على الليوث حرام
لك بين جلق والحجاز منازل جم البلاء بها وعن السام

وافيتها ثبت الجنان مشيعاً　　بالصبر والصبر الجميل عصام
ولو أن جزعت لكنت أخلق جازع　　لكنه لا يجزع الضرغام
والمرء لا يُبقي عليه نفسه　　جبن ولا يودي به الاقدام
حتى نزلت بقركايسة وانجلى　　عن وجه تلك المعجزات قتام
أطلقت من أبكارهن خرائداً　　جذب القلوب لحسنهن زمام
وبعثت في الاوطان صوتاً مشجياً　　مصر لقد طرِبت له والشام
فأعد على الاوطان من ألحانه　　تذنُّبه فقد خمات وطال مقام
وأجل مقالك للنضال مناهضاً　　فن المقال أسنة وسهام
وأهب بقومك للمعالي إنهم　　نهض الورى للمكرمات وناموا
عصف الزمان بهم وهم في غفلة　　شغلتهم الاحلام والاوهام
وأزالهم عن خيمهم وقديمهم　　سيل من البدع الجديد عُبام
يتزاحمون على متاع زائل　　(فهو قعود حوله وقيام)
نزعوا إلى الخلف الذميم فأركسوا　　والخلف داء في الشعوب عُقام
والخلف إن ينقض قضية معشر　　يوما فليس لنقضه إبرام
ولكم خلت من قوة موفورة　　ذهبت بها الاشياع والاحزام (١)
أولى الشعوب بعيشة مرهوبة　　شعب حمته ألفة ووئام
وأدل مفعول على حكم الهوى　　بين الرجال تخاذل وخصام
فابعث لمن بعثوا الخلاف ملامة　　حرّى تذوب لبرحها الاوغام (٢)
وأنض عليهم من شعورك إنه　　نعم الشعور محبة وسلام
وأدر سلافا من بيان طالما　　تلفت على نبراته الاخصام
واهنأ بعيدك انه عيد له　　أيد على الادب الصميم جسام
خمسين عاما جزتها وكأنها　　من حسن ما غذت القرائح عام
أهديت للفصحى بهن قلائدا　　لا عمرو أهداها ولا همام
واسلم يتيه بك القريض ويعتلي　　ويحوطك التكريم والاكرام

(١) الاحزام كالاحزاب وزنا ومعنى
(٢) الاوغام الاحقاد الثابتة في القلوب

باب الرسائل

شهادات علماء الغرب المنصفين، للاسلام والنبي والمسلمين(١)

(الشهادة الاولى)

من كتاب استعداد الاسلام لقبول الثقافة الروحية للاستاذ هورتن الالماني المستشرق

صحيفة ٥ — كانت العرب في القرون الوسطى (الى سنة ١٥٠٠ تقريباً) أساتذة أوربا

صحيفة ٨ — لم ينشأ ظن الاوربيين بأن الدين الاسلامي لا يتمشى مع المدنية الا من جهلهم بهذا الدين وعدم تعمقهم فيه بل لتعلقهم بالقشور التي لا يفهمون منها الا ما يكتبون .

صحيفة ٩ — في الاسلام وحده تجد اتحاد الدين والعلم ، فهو الدين الوحيد الذي يوحد بينهما فتجد فيه الدين ماثلا متمكنا في دائرة العلم، وترى وجهة الفيلسوف ووجهة الفقيه متعانقتين ، فهما واحدة لا اثنتان

صحيفة ٩ - ١٠ — كان في القرن العاشر في قرطبة زاهد يسمى (ابن مسرة) وكان هذا الزاهد يشعر هو وتلاميذه أنه من الاسرة الاسلامية .

صحيفة ١٠ — ابن رشد الفيلسوف الطائر الصيت في القرون الوسطى كان إيمانه بالله عظيما وكان معتصما بالقرآن حتى بكل كلمة في القرآن ومع ذلك لم يمنعه دينه والقرآن الذي يعتصم به من مطالعة الفلاسفة اليونانية والاخذ من آثار أرسطوطاليس والبناء عليها .

صحيفة ١٢ — لا تجد في الاسلام سداً يمنع نفوذ الثقافة الغربية عنه ، بل ترى أن له استعداداً غير محدود لقبول الثقافة .

صحيفة ١٧ — استعداد الاسلام لقبول ثقافة غير إسلامية لا حدود له .

---

(١) أرسل الينا شذرات الشهادات الآتية صديقنا الدكتور زكي كرام الدمشقي المقيم في (برلين) ووعد بترجمة غيرها من كتب علماء أوربة من كل شعب منهم على ضيق وقته واشتغاله بالعلم والمعاش فنشكر له جهاده واجتهاده وما قصد به من تبكيت المبشرين وأعوانهم من ملاحدة المسلمين عبيد المستعمرين وخدمهم وأعداء أمتهم ووطنهم

(الشهادة الثانية)

من مقدمة ترجمة القرآن للعلامة منني المستشرق

صحيفة٩ - كان محمد ﷺ أميناً وأعدل رجل

صحيفة٣١ - إن مرشد المسلمين هو القرآن وحده. والقرآن ليس بكتاب ديني فقط بل كتاب علم وآداب، وتجد فيه بيان الحياة السياسية والاجتماعية، حتى إنه يرشد الانسان إلى وظائفه اليومية. والاحكام الاسلامية التي لا توجد في القرآن توجد في السنة، والتي لا تكون واضحة لا بالقرآن ولا بالسنة توجد في الفقه الواسع الذي هو علم الحقوق .

صحيفة ٣٦ — إن العربي الذي أدرك خطايا المسيحية واليهودية وقام بمهمة لا تخلو من الخطر بين أقوام من المشركين يعبدون الاصنام يدعوهم الى التوحيد ويغرس في أفكارهم عقيدة أبدية الروح لا يستحق أن يعد بين صفوف رجال التاريخ العظام فقط بل يستحق أن يدعى نبياً . (١)

شكوى المنار الى المنار ، من أحد علماء مليبار

رسالة من زميلنا الاستاذ الفاضل المولى محمد عبد القادر المليباري الهندي

إلى فضيلة السيد الامام، حجة الاسلام، صاحب مجلة المنار بالقاهرة - أدامه الله للمسلمين ذخراً ، وزاده شرفاً وقدراً

من أحد مريديه في الغيب المستفيدين من فيوض قلمه المهتدين بنور مناره محمد عبد القادر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مولاي الجليل ، أرجوكم أن تتفضلوا ببذل بضع دقائق من دقائقكم الثمينة لسماع شكواي التي طالما كنت أردت أن أرفعها الى فضيلتكم ولم أتمكن منه الا الآن لما كان يتوارد علي من نوائب الدهر

أهم ما أشكوه وأبث حزني منه الى فضيلتكم هو انقطاع المنار عني منذ ثلاث سنوات ، وحزني على هذا عظيم لاني صرت منذ انقطاعه عني كمن يعيش في الظلام، لان المنار كان لي مناراً بالمعنى الحقيقي .

(١) المنار : ان بعض المستشرقين وغيرهم من علماء أوربة الذين اطلعوا على تاريخ الاسلام لم يروا ملتحدا ولا مفراً من الاقرار بنبوة محمد ﷺ مع حفظ كرامتهم العلمية الا وصفه بأنه من الرجال العظام . وأما هذا العلامة المنصف فقد أبى عليه استقلاله واحترامه للعلم والحق الا أن يقول لهم إنه ليس عظيماً فقط بل هو نبي أيضاً .

كنت قارئاً للمنار تسع سنوات متوالية لكن لا على سبيل الاشتراك بل بمحض فضلكم ومنكم، ذلك أنه لما بلغني نبأ المنار حين كنت مباشراً لعمل جريدتي «المسلم» سنة (١٣٣٤) بادرت إلى طلبه من ادارته فلم تجبني ثم أردفت بطلب آخر مع خمس روبيات ثم بآخر، هكذا كنت أوالي الطلب بعد الطلب الى مدة تزيد على ثمانية أشهر . ولم ألق من الادارة الا السكوت . وأخيراً تفضل علي المرحوم السيد صالح مخلص رضا بأجزاء من المنار مع كتاب قال فيه بعد الاعتذار عن تأخر الاجابة « ... إن شقيقي السيد محمد رشيد عند ما قرأ كتابك الاخير المؤرخ ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٣١ استاء جداً وأمر باجابة الطلب وأن يقدم اليكم المنار لا على جهة الاشتراك بل مبادلة أو مساعدة لمجلتكم فاقبلوا ذلك كرما منكم واحسبوا ما أرسلتم من ثمن ما تطلبونه في المستقبل من المطبوعات وهو يهديكم عاطر السلام»

هكذا كنت منتظما في سلك قراء المنار. لا أستطيع أن أعبر عما أنا متلبس به من الشكر على هذا الاحسان الجسيم كما أني لا أستطيع الغفلة عنه ولو لحظة في حياتي

من أجل نعم الله علي أن وفقني لان أكون من قراء المنار إذ نفخ في روحا جديداً جماتني بصير القلب وحيّ النفس . أنشأت لنشر مبادىء المنار مجلة باسم «الاسلام» بلغة بلدي (اللغة المليبارية) فلما رأى الناس ضوء المنار منعكساً منها استغربوه وعلت من بينهم جلبة وضوضاء ونسبوني الى الزيغ والضلال ونبزوني بلقب الوهابي ، ولكن نور الحق لم يعدم قلوبا تنزل فيها أشعته فتنبهت أفكار واستيقظت نفوس . وبالجملة فتح المنار في الديار المليبارية التي كانت متصلبة في الجمود باب فكرة «الاصلاح الديني» ولكن الجماهير ممن انتسبوا الى العلم أخذوا يقاومون هذه الفكرة ويصدون الناس عن قراءة مجلتي ويحذرونهم أيضاً من المنار مع أنهم لم يكونوا حينئذ رأوه حق ولا غلافه وذلك لأنهم كانوا قد أساءوا الاعتقاد فيه من قبل بسوء تأثير مؤلفات يوسف النبهاني(١) ولهذا لم أنجح في سعيي لان أجد أحداً يرغب في الاشتراك فيه فكنت أعير لبعض أصدقائي الذين آنست فيهم سلامة الفطرة وحسن الاستعداد بعض أجزائه للقراءة رجاء أن يوفقهم الله للاهتداء بنوره فلم أخب في

---

(١) هو الدجال الخرافي الشاعر البيروتي وكان استأجره رجل كبير بمصر للطعن في الاستاذ الامام وخطته فلم يجد بدأ من الطعن في أستاذه الحكيم السيد الافغاني ومريده صاحب المنار لان الاصلاح الذي يعاديه قام بهم وكان قبل ذلك يطري الاستاذ الامام قولا وكتابة

رجائي ذلك . فان الذين لم تفسد فطرتهم في هذه البلاد قد أخذوا يعرفون قدر المنار ولو في الجملة حتى ظهر من بعضهم في الايام الاخيرة رغبة في الاشتراك فيه فطلبوه بأنفسهم من ادارته كعبد القادر بكنتور ، ومحمد سيدي . بكر انكنور بكوشي ، ومحرر مجلة الارشاد ، ومحرر جريدة يولوكم بكاليكوت ولكن من غرائب الزمن أن صرت بعد ذلك أستعير منهم أجزاءه بعد ما كنت أعيرها لهم. ومما يوجب المسرة بالنسبة الى المنار أن أرى منهم الآن في الاعطاء ما كنت رأيته منهم من قبل في الاخذ من الكراهة . ولكن ذلك يؤلمني نظراً الى ماصرت اليه من الحالة في أمر المنار

فالمرجو من فضيلتكم أن تتفضلوا علي بأن تأمروا إدارة المنار أن ترسل إلي المنار تباعا. وأنا انقطع عني من الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين ولكن لا أرى من الصواب أن أسألكم أن ترسلوا إلي جميع ماصدر منه الى الآن فسأطلبها مع تقديم الثمن عند مايتيسر لي ذلك وانا أرجو الآن أن ترسل لي من الجزء الاول من المجلد الجاري (٢٩) .

هذا وإني لأستحيي أن أسألكم أن تواصلوا علي ذلك الكرم الذي غمرتموني به تسع سنوات ، ولهذا فاني مستعد لان أدفع اليكم مبلغاً ترضونه لي ثمناً للمنار ، أو كله على ما أنا عليه من ضيق اليد . وعلى كل حال فاني واثق بأني لا أكون محروما من قراءة المنار لان حب المنار قد امتزج بدمي، وصارت قراءته قوت روحي، حتى لا أستطيع فراقه ولا يطيب لي العيش بدونه ، ولولا أنه يأتي لأصدقائي المذكورين وعكنت من استعارة أجزاء منه منهم أحياناً لضقت ذرعا .

أود أن أفيدكم - للنشر في المنار - ببيانات عما أحدث المنار في المليبار من الشعور بالحاجة الى الاصلاح الديني وما يجري فيها من السعي وراء ذلك الاصلاح ومن المقاومة له ممن يعرفون بعلماء الدين بادعائهم أنه «الوهابية» وما قد حدث في هذه الايام من قيام فريق برأسه شاب عاد من مصر قبل سنة بعد أن أقام بين المتفرجين فيها مدة بالطعن في الامام ابن سعود وأنصاره وقومه الذين يعرفون بالوهابيين انتصاراً للاخوين محمد علي وشوكت علي وسأرسل الى فضيلتكم هذه البيانات بصورة مقالة إن شاء الله اهـ

(المنار) إننا نحيي أخانا وزميلنا بأحسن من تحيته من السلام ورحمة الله وبركاته ونعمته ، وسيطبع عنوانه المرسل باللغة الانكليزية ويرسل اليه المنار هدية دائمة، مع المجلدات الثلاثة التي فقدها تامة، لانطلب منه جزا ولا شكرا عليها الا نشر دعوة

الحق وجهاد الباطل وأهله، والله في عونه ونصره، كما نصرنا على الدجالين، ونصر إمام السنة عبد العزيز آل سعود وقومه على الباغين ومكن له في خير الارض ومهد الاسلام، وأطلق بالثناء عليه جميع الاقوام

ميزانية الازهر

وافق مجلس الازهر الاعلى برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر في اجتماعه بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٩ شوال الموافق ٩ إبريل سنة ١٩٢٩ على مشروع ميزانية الازهر عن السنة المالية المقبلة

وقد قدرت الايرادات والمصروفات بنحو ٣٢٠٠٠٠ جنيه وهي تتضمن المشروعات الجديدة التالية :

١ — ٧٠٠٠ جنيه لارسال بعثة أزهرية مؤلفة من عشرين طالباً الى الجامعات الأوربية لتلقي العلوم التي تناسب التعليم في الازهر والمعاهد الدينية

٢ — ٦٠٠٠ جنيه لانشاء مكتبة لتعريب الكتب التي لها ارتباط بالتعليم بالازهر والمعاهد الدينية وإنشاء مجلة دينية تدعو الناس إلى الدين وتحببه الى نفوسهم بنشر فضائله وإذاعة محاسنه وتمكين عقائده من القلوب حتى لا تزعزعها الشبهات العصرية ومقاومة دعوة الملحدين ودفع أضاليلهم

٣ — زيادة ٢٥٠٠ جنيه على الاعتماد الخاص بمكافأة أعضاء امتحان الشهادات لتكون متفقة مع المكافآت التي تمنح لامثالهم بوزارة المعارف

٤ — ٥٠٠ جنيه تمنح جوائز لتأليف كتب في العلوم التي تدرس بالازهر والمعاهد الدينية وتتقرر فائدتها للتعليم بهذه المعاهد

٥ — ٥٠٠ جنيه ثمن أدوات وعقاقير للعيادات الطبية الصغيرة التي ستنشأ بالمعاهد وانتداب الاطباء اللازمين لها

٦ — ٥٥٠٠ جنيه لاستئجار أماكن صحية لطلاب القسمين العالي والاولي بالازهر وهم الذين يتلقون دروسهم بالمساجد على الطريقة القديمة ولتجهيز هذه الاماكن بالادوات الحديثة

٧ — رفع مرتبات هيئة كبار العلماء من ٣٦ جنيها في الشهر الى ٤٠ جنيهاً في الشهر

٨ — جعل درجات العلماء المدرسين بالمعاهد ثلاث درجات خامسة وسادسة وسابعة أسوة بدرجات مدرسي المدارس الاميرية التابعة لوزارة المعارف

٩ — ضم مصروفات قسم الوعظ والارشاد الي مصروفات قسم التخصص العالي

الحالة السياسية العامة في مصر

بيان حر للعبرة والحقيقة والتاريخ

منذ سنة كاملة حدث في مصر انقلاب في شكل الحكومة اذ اقتضت إرادة جلالة الملك تعطيل مجلسي النواب والشيوخ (البرلمان) الى مدة ثلاث سنين ، ووقف العمل ببعض مواد الدستور التي تقيد الحكومة بالمجلس وتتعذر مراعاتها بدونه — واقتضى ذلك إقالة أو إسقاط وزارة مصطفى باشا النحاس البرلمانية وهو رئيس الوفد المصري ذو الاغلبية في البرلمان ، ونوط رياسة الوزارة بمحمد محمود باشا سليمان الذي كان وكيل الحزب الحر الدستوري ثم صار رئيسه . وكان ذلك عاقبة اضطراب في أعمال الوزارة البرلمانية بتدخل السلطة البريطانية المحتلة في شؤونها ، ووضعها العوائق في طريق كل عمل من أعمالها، ومحاولة السيطرة على كل من السلطتين التشريعية والتنفيذية فيها، وتهديد الجرائد الانكليزية لها من بعد وفاة سعد باشا زغلول ورفض الحكومة الوفدية للمشروع الخزي الذي اتفق عليه عبدالخالق ثروت باشا مع وزارة المحافظين البريطانية ، وهو شر من الحماية السابقة بما كان يجعل به سلطان الانكليز في مصر والسودان شرعياً باقرار برلمان الامة له ،

كانت الوزارة البرلمانية من أول عهد دورها الجديدة بعد تعطيل الدورة السابقة بضغط السلطة المحتلة وزارة ائتلافية تتمثل فيها قوى الاحزاب المصرية كلها ،وكان سعد باشا هو الضليع بجمع كلتها وحفظ وحدتها في البرلمان والحكومة معاً، بما آتاه الله تعالى من النفوذ الاعلى في البلاد المؤيد بالبصيرة والذكاء والعزم والحزم وقوة العارضة ، بعد أن ألانت قناته أحداث الزمان ، حتى خضعت له الاقران التي كانت تنافسه في الزعامة ، واعترفت له بالتفوق والامامة .

وقد كان من المقرر لدى جميع العارفين بحال مصر من أهلها ومن الاجانب عامة والانكليز خاصة أنه لا يوجد في مصر رجل ذو مكانة عالية يمكن أن يملأ الفراغ الذي حدث بموت سعد باشا ، صرح بذلك كبار محرري الجرائد الانكليزية كغيرهم وظهر مصداقه بعد وفاته بقليل ، فكان أول صدع حدث بعده في البرلمان أن الاحزاب المنافسة للوفد صارت تنقم منه أثرته في مجلس النواب ثم تصرف أعضائه في الحكومة ، ونقم كثير من جماعات الامة وأهل الرأي من أفرادها أثرة القبط

فيهما معا ، (أي في المجلس والحكومة) فقد أسرفوا في ذلك حتى كادوا يكونون أو كانوا كحزب البرامكة من موالي الفرس في حكومة الرشيد العباسية ، أخذوا من الوظائف فيها أضعاف ما يناسب عددهم القليل وظلوا يطلبون المزيد . وقد عجز خليفة سعد في الوفد عن القيام ببعض ما كان مضطلعاً به سعد من حفظ الوحدة ومنع الشطط، لانه على ما أوتي من علم بالحقوق ، واعتدال في الاخلاق ، وصدق في الوطنية ، وما تعتقد فيه مع الجمهور من حسن النية ، لم يؤت بعض ما أوتي سعد من قوة الارادة ، وسحر البيان ، وقوة السلطان ،

هذا الضعف هو الذي أطمع السلطة المحتلة في اسقاط الوفد بعد اليأس من تطويعه ونيل أربهم من مصر به ، وزاد في طمعهم شقاق الاحزاب له ، ولعله لو قلد محمد محمود باشا رئاسة مجلس الوزراء وقنع مصطفى باشا النحاس برئاسة مجلس النواب لأمكنهما بالتعاون أن يحفظا تلك الوحدة التي كان سعد باشا يحرص على بقائها حتى إنه ليفتديها بكل ما يراه معارضا لها من آرائه ومقاصده ، فان محمد محمود فيما نرى أقوى رجال مصر عزماً وأمضاهم ارادة بعد سعد وثروت ، ولقوة الارادة في هذه المواقف ما ليس لغيرها من صفات الرجولية وقوة التأثير وإمضاء الامور

لا يرجى ثبات أمر من أمور الامم العامة يتوقف اتمامه على كفاية رجل واحد الا اذا عاش ذلك الواحد عمراً طويلا أمكنه فيه أن يربي جماعة يقرب استعدادهم من استعداده فيتموا ما بدأه بالتعاون والثبات ، حتى ان الامور العامة التي يكون مبدؤها من الاختصاص الرباني لا من الكسب الانساني (كالدين) تدخل في عموم هذه السنة الالهية في الاجتماع البشري ، فلولا الخلفاء الراشدون وأعوانهم من عظماء الصحابة (رض) الذين رباهم النبي ﷺ في مدة عشرين سنة لضاع الاسلام كما ضاعت أديان أخرى من أديان الانبياء المرسلين الذين لم يستطع أصحابهم ضبط ما جاءوا به من الوحي وحفظه في الصدور والسطور، ونشره في الصحف والدعوة في أنحاء المعمور، كما حفظ أصحاب محمد ﷺ القرآن في المصاحف الرسمية، وضبط التابعون لهم السنة النبوية، ونشر ذلك في العالم مؤيداً بقوة البرهان، وقوة السلطان ، وإقامة الميزان

ولقد كان بدء هذه النهضة المصرية السياسية المدنية والعلمية العملية دعوة السيد جمال الدين الافغاني ، ولكنه نفي من البلاد قبل أن يتم تربية حزبه الوطني ، ونفي من بعده زعيم أصحابه الشيخ محمد عبده الذي قال هو يوم نفيه انه هو الذي عمله يتم في مصر ، واستولى على البلاد الاجانب ، فلما عاد الشيخ محمد عبده لم يجد

أدنى منفذ للعمل السياسي لضعف حزبه ، وضعف الامة أو عدم تمام تكوينها ووحدتها ، وقد كان يقول في هذا الامر « ياويح الرجل الذي ليس له أمة » وقال لي في الامر الذي قبله: « والله لو أن في مصر مائة رجل لما أمكن للانكليز ان يقيموا فيها، أو لما أمكن ان يعملوا فيها ما أقاموا عملا. لا أعني أنه لا يوجد فيها من يعلم ما يجب أن يعمل ولا من يستطيع أن يعمل ، فان فيها كثيراً من المتعلمين القادرين على الاعمال، ولكنهم ضعفاء الارادة لاعزيمة لهم » وقد أظهرت الايام من بعده صحة قوليه ولهذا انصرف بكل جهده الى الشق الثاني من الاصلاح الذي كان نهض مع السيد جمال الدين به وهو الاصلاح العلمي الديني. وقال في الشق الآخر بل كتب ما نصه

« أما أمر الحكومة فقد تركته للقدر يقدره ، وليد الله بعد ذلك تدبره، لانني قد عرفت أنه ثمرة تجنيها الامة من غراس تغرسه ، وتقوم على تنميته السنين الطوال، فهذا الغراس هو الذى ينبغي أن يعنى به الآن »

صدق الامام في قوله فانه مقتبس من قوله عز وجل (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقد قدر سبحانه للشعب المصري ان يغير ما كان عليه من التفرق والانقسام، والخنوع الذي يشبه التعبد للحكام، وظهر في جمهور دهمائه مبدأ الوحدة التي تسمى بالرأي العام، وإنما كان هذا بتأثير أحداث الزمان ، وشطط رجال الاحتلال وإسرافهم في احتقار المصريين ، وسوء استعمالهم للسلطة العسكرية العرفية في زمن الحرب، وعدم وقوفهم في إرهاف الحد عند حد ، كما شرحناه في مقالنا التاريخي عن القضية المصرية سنة ١٩٢١ (ص٤٩٦-٥٢٢ ج٧ مجلد٢٢) فبذلك الارهاف تم تكوين الشعور القومي الوطني في الشعب المصري ،وظهر ظهوراً جليا في ثورة سنة ١٩١٩ وهو ما كان ينوط به الاستاذ الامام العمل السياسي المنتج لمصر ، ولما كان هذا الطور الجديد لابد له من زعيم سياسي قد أوتي من المواهب ما يمكنه به أن يوجهه الى السعي لاستقلال البلاد ــ لم يوجد في مصر من قدر على ذلك الا بقية أعضاء حزب السيد جمال الدين السياسي وربيب خليفته الاستاذ الامام وهو سعد زغلول

ولكن سعدا كان شيخا كبيراً لم يرب أحداً على القرار ــ أو المبدأ ــ الذي وضعه السيد جمال الدين قبل نيل هذه الزعامة لان القضاء كان قد شغله عن التربية الاخلاقية والسياسية ، ولا بعدها لقصر الوقت وكثرة الشواغل العملية عن هذه التربية، ولكن آراءه ومنازعه الاستقلالية وسيرته في الجهاد دونها قد عكست في أنفس كثير من رجال الوفد الذين جاهدوا معه وثبتوا على الجهاد والجلاد فاستطاعت الثلة الادارية

له أن تحافظ على اتحاد الكثرة الساحقة في مجلسي الشيوخ والنواب وعلى تأييد السواد الاعظم من الامة له

فلما رأى المندوب السامي البريطاني هذا ناجز الحكومة المصرية العداء في كل من هيئتيها التشريعية والتنفيذية ، وقعد لها كل مرصد ، وشرع يعاقبها على كل قول وفعل، ولا سيما تبرمها باستبداده ، وحكومة لوندرة وهي بيد حزب المحافظين تؤيده في كل مايقرره ، وتجيبه إلى كل مايطلبه ، حتى أرسلت بطلبه أسطولا ضخما إلى الاسكندرية لتأييد معارضته في مسألة داخلية صغيرة لا تدخل في معنى التحفظات الاربعة التي قيدوا بها الاستقلال المصري بنص ولا فحوى ، ولا يمكن أن يستدل بها عليها بطريق من طرق الدلالة الثلاث : المطابقة والتضمن والالتزام.

فثبت بهذا أن الحكومة البريطانية تريد أن تسخر الحكومة المصرية لمشيئتها بالقوة القاهرة إن لم تذل وتستخذ لارادة مندوبها السامي وتنفذ أوامره الشفوية والتليفونية بدون أدنى معارضة من البرلمان وغيره ، فهو قد عارض البرلمان في وضع بعض القوانين وتقرير بعض الاصلاحات الداخلية، كقانون الجمعيات والاصلاحات العسكرية، وأكره الحكومة على اعادة من شاء من موظفي الانكليز الذين خرجوا منها بمقتضى قانون التعويضات الذي غبنت به مصر غبنا فظيعا، فعاد من شاء منهم بعدما أخذوه من ألوف الجنيهات تعويضا عما بقي لهم من سني الخدمة، إلى غير ذلك مما ليس احصاؤه من موضوع مقالتنا هذا، وهو من الجزئيات التي نعنى بمعناها الكلي دون أفرادها.

لم يتجرأ اللورد جورج لويد المندوب السامي على هذا الاستبداد كله الالماثبت عنده وعند حكومته من زوال الوحدة المصرية السعدية التي ألجأت دولتهم الى إلغاء الحماية والاعتراف لمصر بالاستقلال التام، ولو مع تلك التحفظات التي كان ينكرها سعد باشا والرأي العام. ولم يكن لمصر من سبيل الى وقف هذا التعدي عند حده الا المحافظة على تلك الوحدة في البرلمان والحكومة ،فكان أكبر ماخسرت بموت سعد أنه لم يوجد له خلف يستطيع أن يحل محله في جمع الكلمة كما قلنا، ولم تكن وطنية زعماء الاحزاب قد ارتقت بهم الى حيث يحلون النظام محل نفوذ ذلك الزعيم الكبير فيؤيدون خليفته في المصلحة العامة، ويتسامحون فيما ينكرون من أنانية الوفد، ويحكمون فيما يختلفون فيه معه مايقضي به الشرع والعقل . فاشتعلت نار الخلاف الحزبية في البرلمان ، وانصدعت وحدة الحكومة باستقالة بعض الوزراء ، واندلعت ألسنة الكتاب والخطباء بالهجر والبذاء ، وشرّعت أسنة الاقلام في ميادين الجرائد

للطعن المراء ، والافك والافتراء ، فأحبط كبراء الامة أفضل ما كانوا قد عملوا فكان هباء منثوراً ، وهذا هو الذي اطمع الخائنين فيهم ، فعادوا الى شر ما كانوا عليه من العبث بهم ، ويتعذر على المؤرخ المنصف حصر التبعة في حزب أو شخص منهم

وفي تلك الاثناء أثيرت شبهات في قضية الامير سيف الدين، وما كان من دفاع مصطفى النحاس باشا وغيره من كبار رجال الوفد عنه بالوكالة إذ كانوا من المحامين، وذلك قبل تقلد النحاس منصب رياسة الوزراء ، فأسرفت الجرائد المناصبة للوفد في الطعن على رئيسه ورفقائه المحامين برميهم بالطمع واستخدام مناصبهم ونفوذهم في الحكومة والمجلس لتوفير منافعهم وتحقيق مطامعهم

في أثناء هذه الزعازع صدرت إرادة جلالة الملك بما بدأنا بذكره في هذا المقال من إقالة الوزارة المصطفوية البرلمانية وتعطيل البرلمان واسناد منصب الرياسة الى محمد باشا محمود سليمان ، فأراد إشراك بعض رجال الوفد في تأليف وزارته فأبوا كل الاباء، فألف الوزارة من رجال حزبه، وأعلن أن عناية وزارته ستتوجه الى الاصلاحات الادارية من زراعية وصحية وغيرها ، دون الاعمال السياسية التي استغرقت أوقات الوزارات السابقة كلها ، وأن تراعي مقاصد الدستور وأغراضه بقدر الامكان حتى في أحكامه التي قضت الارادة الملكية بوقفها

كان وقع هذا الانقلاب في الامة أشد من وقع الصاعقة إذ ظهر لها أن الحكومة الدستورية النيابية التي كانت كل ما ربحته من جهادها الطويل، ومن ثورتها الدموية منذ عشر سنين، لم تكن الامر بأخذها ليس له ثبات في الداخل، وبحرمه الاجنبي من الخارج ، ولولا الاحتلال الاجنبي لثارت له ثورة لا تهدأ حتى تفوز الا بإعادة سلطانه وتوطيد أركانه وزيادة حقوقها فيه ، ولكن لا يجهل أحد من أهل الطبقات العليا ولا الوسطى أن الانكليز يفترصون هذه الثورة لزيادة جيش الاحتلال ، والسيطرة العسكرية على البلاد، بحجة المحافظة على أموال الاجانب وأنفسهم وتأمين دونهم.

وكان الاكثرون من الناس يظنون أن وزارة محمد باشا محمود تعجز عن ادارة أمور البلاد والسواد الاعظم على ما يعلمون من السخط عليها والاسف على دستورها فبدا لهم منه ما لم يكونوا يحتسبون، من ارادة نافذة، وعزيمة ماضية، وحزم كاللبنيات في النحو يعمل ولا تؤثر فيه العوامل، فكان كأحد الرجال الذين سادوا أقوامهم وأخذوا حكوماتهم من فوق رقبتها فجعلوا ادارتها رهن ارادتهم، وتصرفوا فيها كما يتصرفون في بيوتهم ورقبة رضهم، حتى صار يلقب في الجرائد الاوربية بالدكتاتور كموسوليني ودريفيرا ومصطفى كمال

ألجم الجرائد بعد أن عاقب بعضها بالنذر فالتعطيل الاداري ، ومنع اجتماعات التظاهر والاحتجاج على الحكومة ، حتى اجتماع أعضاء الوفد وأعضاء البرلمان ، واستبدل بها الاجتماعات لتأييده والهتاف له بنفوذ الحكومة ، وطفق حزبه (الحر الدستوري) يعقد الاجتماعات في العاصمة وسائر المدن لانشاء لجان جديدة له تمهيداً لانتخابات البرلمان الآتية بعد تعميمها ، إذا اقتضت الحال اعادتها مع الثقة بفشل الوفد فيها

فالوفد هو الخصم السياسي للحزب الحر الدستوري فلا يرجى له نجاح في أي انتخاب مادام الوفد هو صاحب النفوذ في البلاد ، وكذلك الحزب الوطني وحزب العهد ، ومن المعلوم بالضرورة أن الوفد هو الخصم الالد للانكليز وأنهم لا يرجون أن ينالوا من مصر ما يؤملون مادام للوفد الاغلبية في البرلمان ، ومن المشهور أيضاً أن الوفد لم يوفق لنيل العطف الملكي الذي لم يكن له بد منه

ومما يجب أن يذكر ولا ينسى أن حكومة مصر آلة منظمة ذات سلطان على الشعب يمكن لكل من تولى أمرها بالحزم أن يخضعه لارادته وتصرفه ، وان الشعور القومي في الشعب لما يرتق الى الدرجة التي تضطر الحكومة الى مراعاته ، وليس من موضوع هذا المقال شرح ذلك وبيان شروطه وأسبابه ، وقد أشرنا الى بعضها فيه ، وانما ذكرناه لنقول إن من فضل الله تعالى علينا في هذا البلد الآمن المطمئن أن تكون القوة المسلحة التي تعتمد عليها الحكومة في حفظ الأمن وتنفيذ الاحكام خاضعة لرؤسائها خضوعا تاماً لا تدخله السياسة ولا آراء الاحزاب ، ومن فضل الله علينا أيضاً أن كان مستخدموا الحكومة في جميع الوزارات خاضعين لرؤسائهم كالشرطة والشحنة وان خالفوهم في العقيدة السياسية ، وبهذا وما قبله نقيم الحجة على الاجانب بقدرتنا على ادارة شؤوننا بأنفسنا ، وانما الطريقة الامينة لايقاف الحكومة عند ارادة الامة هي جعلها شورى بالدستور

قد سبق لنا بيان كنه سياسة الوفد وكنه سياسة حزب الاحرار الدستوريين في مقالنا التاريخي الممتع الذى أشرنا اليه آنفاً كما بينا فيه مزايا كل من سعد باشا وعدلي باشا موزونين بالقسطاس المستقيم ، في وقت كان فيه كل حزب يذم زعيم الحزب الآخر منهما ويضعه في أسفل سافلين

وقد ذكرنا في سياق هذا المقال بعض مزايا صاحبي الدولة مصطفى باشا النحاس ومحمد باشا محمود سليمان . وأما الموازنة بينهما فالحكم بالحق فيها أن كلا منهما وطني صميم ، ولكن الاول رجل قضاء والثاني رجل إدارة ، وكل منهما يصطنع رجال

حزبه والمواتين له في حكومته كدأب من قبلهما، وإنما يختلفان في السياسة بحسب اختلاف حزبيهما، فسياسة الوفد قائمة بمناصبة الانكليز بقوة الامة الى أن تنال حقها تاماً كاملا ، وسياسة الاحرار الدستوريين قائمة باستمالتهم وفي كل من السياستين خطر على البلاد ، فمناصبة الضعيف للقوي تنتهي دائما أو غالباً بغلبة القوي وربحه وخسارة الضعيف وكذلك استمالة الضعيف الخاشع للقوي الطامع لا تزيد القوي الا طمعاً وجشعاً، وانما الانفع للبلاد أن يتعاونا ويتحدا ولو في الباطن، ويرتقبا الفرص للانتفاع بهذا التعاون، كما فعلوا في فرصة الائتلاف الاخيرة التي كان لمحمد محمود باشا اليد البيضاء فيها .

فاذا عجز الآن أن يعيدها سيرتها الاولى فالذي أراه أن من الجناية على الامة أن يستخدم قوى الحكومة في إضعاف الوفد ، فان الوفد هو الامة فاذا ضعفت عجز هو وغيره عن إدراك ماتطلبه من الاستقلال المطلق، بل عجز عن حفظ ما نالته بالفعل من الاستقلال الاداري كما عجز من قبله ، وهو يعلم أن زميله في الحزب وسلفه في الوزارة الدستورية عبد الخالق ثروت باشا ما نال في عاقبة الثورة الوطنية التصريح المعهود بالغاء الحماية البريطانية الشؤمى على مصر والاعتراف لها بالاستقلال التام المقيد بتلك التحفظات التي انتقصته من جميع أطرافه الا بسبب قوة الوفد، ووحدة الامة بزعامة سعد ، كما صرحت بذلك الجرائد الانكليزية حتى التيمس في تأبينها لسعد ، وقد رأينا ذلك الخزي العظيم الذى رضي به ثروت بعد موت سعد ، وكان الفضل الاكبر في رفضه للوفد .

ولا يخفى عليه ايضاً أن مايظهره رجال الانكليز من الرضى عنه والثقة به، وما ينشرونه من الثناء عليه والاشادة بأعمال وزارته - لا يزيده عند السواد الاعظم من الامة ثقة ولا حباً، بل هو من قبيل تعظيم الحسان للرجل بتسميته والداً لهن أو عماً

وإذا دعونك عمهن فانه نسب يزيدك عندهن خبالا

على أن اهل البصيرة والرأي من المصريين وغيرهم يعلمون أن ثقة كبار الرجال من الانكليز برجل من غيرهم ذات قيمة عظيمة اذ يمكن أن تكون رأس مال كبير في السياسة لمن يقدر على استغلالها عند سنوح الفرصة له، وقد ذكرت للاستاذ الامام مرة طعن المؤيد واللواء على مصطفى فهمي باشا واشتهاره بين الوطنيين بالاخلاص للانكليز والخيانة لوطنه ، فقال مامعناه : إن هذا الرجل مهذب الاخلاق نزيه النفس محب لوطنه، ولعله لا يوجد أحد من العارفين ينكر نزاهته وترفعه عن الرشوة والتجارة بمصالح الحكومة، ولكنه عيبه الكبير هو ضعف الارادة مع اعتقاده أن الانكليز

قد استولوا على هذه البلاد بضرب من ضروب الفتح السياسي المصري، والانكليز يجلونه ويثقون به فلولا ضعف إرادته لأمكنه أن ينفع البلاد بهذه الثقة نفعاً عظيماً في أمور كثيرة جليلة فهم لا يكادون يخالفونه في شيء يقترحه عليهم، ولكنه هو لايدري هذا ولا يدرك كنهه، فهو كما يقول العوام في الولي الذي لا يعرف نفسه

وأقول إن لمحمد محمود باشا عندهم الآن مثل تلك المنزلة أو أعظم ولكنه يدرك كنه هذا وهو على إدراكه له قوي الارادة واسع الحيلة، وقد يعلم من حوادث الزمان وقواعد الحقوق وسنن العمران أن مصر لم تصر مستعمرة بريطانية ولا مما يسمونه أملاك التاج ولعل الفرصة قد سنحت له بوزارة العمال البريطانية الجديدة لخدمة وطنه أجل خدمة، فان ما تتسامح به الدولة البريطانية مع صديق لها موروث، وربيب لمدارسها شكور، لا تتسامح به مع غيره، كما علمنا من إعراض وزارة العمال الاولى عن سعد باشا بعد توادده مع رئيسها وبعض رجالها قبل تسنمها غارب الوزارة: لما هو معروف من عناد الانكليز وكبريائهم

وهي إن تسامحت معه فان تتسامح معه إكراما لخاطره، ولامكافأة له على صداقته، بل لاجل حل عقدة المسألة المصرية بما يرجى أن يرضى الشعب المصري من غير طريق الوفد المعروف بمناوأة الدولة البريطانية، ومالا يرضي الشعب المصري لن يتم إذ لا يمكن أن يكون اتفاقاً قانونيا يرضى به الشعب البريطاني، إذن لا يمكن الاتفاق القانوني بين الدولتين الا إذا أعيد البرلمان المصري ووافق على مشروع الاتفاق بما يصير به قانونياً؟ وكيف يكون ذلك؟

الوفد يرى أن البرلمان قائم وأن تعطيله غير قانوني، والوزارة وحزبها يريان أن تعطيله صحيح وأن سببه أنه كان ضاراً بالبلاد مضيعا لمصالحها، لأن أكثر أعضائه لم يكونوا إلا أرقاما يتم بها العدد القانوني للاعضاء الذين لا رأي لهم ولا إرادة مع أركان الوفد، والمشهور على ألسنة العارفين المعتدلين أن الوفد يرضى باعادة الانتخاب اذا كان قانونيا حراً لا تبذل الحكومة نفوذها وأموالها للعبث به كما فعل اسماعيل صدقي وزير الداخلية في وزارة زيور باشا سنة ١٩٢٥، بل يقول الكثيرون أن الفلج مضمون للوفد في الانتخاب مهما تفعل الحكومة. وقد يصح هذا اذا لم يأت محمد محمود بما يرضي الامة، والامة لا تجهل مصلحتها، ولا تكفر صنع من أحسن اليها

وقد آن لي أن أصرح هنا برأيي في البرلمان الاخير الذي هو رأي جميع أهل البصيرة في الدين إيضاحا لكلمتي التي جاءت عرضاً في فاتحة المجلد الثلاثين من من الجزء الماضي (الاول) فأقول إنه كان شراً مما يقول فيه كتاب الاحرار الدستوريين

وانما تختلف في هذا وجهة النظر بيننا وبينهم ، فهم انما يذمون أكثر الاعضاء بانقيادهم للوفد فذمهم موجه للاكثرية الوفدية لانها وفدية ، ونحن أنصار الدين انما نذم ملاحدتهم اعتقاداً أو تقليداً وهم أمشاج من الدستوريين والوفديين فالحق أن المجلس السابق كان يغلب فيه نفوذ الملاحدة كما علم من مسألة رد اقتراح من اقترح إيقاف الجلسة عدة دقائق لاداء صلاة المغرب وتأييد من جاهر منهم بانهم لا يريدون الصلاة ، وكما علم من طعن أحدهم في كتاب الله وصرح بتحقيره في المجلس ولم يرد عليه هذا الجهر بالكفر والارتداد عن الاسلام أحد ـ وكما ظهر في مناقشاتهم في قضية الدكتور طه حسين من الدفاع عنه بعد تصريحه بالطعن في القرآن ـ وفي مسألة الخلافة وغيرها من احتقار العلماء والطعن فيهم

فأهل الدين يعلمون أن الحكومة الدستورية أقرب إلى الاسلام من الحكومة الشخصية الاستبدادية بشرط أن لا يكون نوابها من الملاحدة الذين يحاولون هدم الدين الذي تهدم بهدمه الفضيلة وتباح الاعراض وتستحل المحرمات وتهلك الأمة بفساد أخلاقها . فلا أعاد الله ذلك المجلس ، وعلى جميع أهل الدين اذا أعيد الانتخاب لمجلس آخر أن لا ينتخبوا احداً من هؤلاء الملاحدة المفسدين من أي طائفة كانوا

تطور الاصلاح في الحجاز

حديث إيراني كبير عن الحجاز

جاء في جريدة العهد الجديد البيروتية الغراء تحت هذا العنوان ما نصه :

تمهيد : بعد انقلاب الحجاز الخطير الذي أدى الى سقوط الدولة الهاشمية وتبوء صاحب الجلالة الملك ابن سعود عرش الحجاز كانت حكومة إيران قد قطعت علاقاتها مع ابن سعود تحت تأثير الدعايات المؤسفة التي قام بها فريق من الرجعيين ساءهم ما يشاهدونه في الحجاز من اصلاح وتقدم فعملوا على تنفير القلوب وإيغار الصدور بين العرب والفرس .

على أن صاحب الجلالة ملك إيران رضا خان بهلوي أدرك أخيراً سوء نية المفسدين وان ما أشاعوه فأقلقوا باله به لا يستند الى ركن صحيح ، فحسن ظنه بحكومة الحجاز وسمح لرعاياه بحج بيت الله الحرام في هذا العام كما أنه أرسل الى مكة المكرمة ممثلا سياسياً لدولته هو الميرزا حبيب الله خان عين الملك معتمده السابق في بيروت .

وكان بين حجاج هذا العام حضرة الميرزا اقبال شاه آزاد خان نائب مقاطعة شيروان في المجلس النيابي الايراني ، وقد وصل أمس الى الثغر قادما من مكة

ونزل في الفندق العربي فأوفدنا أحد محرري (العهد) لمقابلته واستطلاع ما أحدثته في نفسه زيارة الحجاز فوافانا بما يلي:

كانت الساعة الرابعة بعد ظهر أمس الاول حينما قابلت حضرة النائب إقبال خان هو في أواسط العقد الرابع من عمره طويل القامة معتدل الجسم أسمر الوجه حليق يتكلم التركية والافرنسية ماعدا لغته فحييته باسم العهد وسألته أن يتفضل ببيان ما أحدثته في نفسه زيارته للاراضي الاسلامية المقدسة فقال سعادته:

انتدبني مجلس الامة الايراني بصفة خاصة لدرس حالة الحجاز وما قيل عن تلاعب الحكومة بالاماكن المقدسة فقمت بمهمتي هذه دون أن أشعر الحكومة وقد دلني البحث الدقيق الذي قمت به بنفسي أن الحكومة السعودية وجلالة الملك شديدا التمسك بالدين الاسلامي ونصوصه لا يدخران وسعاً في سبيل المحافظة على المخلفات الاسلامية (١) وان مارأيته في الحجاز من وسائل الاصلاح ومن العناية التامة براحة الحجاج والمحافظة على صحتهم وسلامتهم لم أر مثله في البلاد التي سبقتنا مراحل في ميدان المدنية

وقد كان بعض المصادر المعادي لابن سعود يحاول إيهام الناس بان الامن مختل في الحجاز صرفا لهم عن الحج واذا الامر خلاف ذلك تماماً واليك حادثة جرت لي تثبت مبلغ استتاب الامن في الربوع العربية الحجازية فقد أضعت محفظة بين مكة وعرفة وبالرغم من أنها تحوي مبلغاً كبيراً من المال فان أحد الحجازيين وجدها وأرسلها إلى الحكومة وهذه أعادتها إلي دون ان تنقص منها بارة واحدة وهنا مالا يمكن ان تشهد مثله في أعظم البلاد رقياً

تقرير مندوب النواب الايراني

هل أتمكن من معرفة التقرير الذي ستقدمه الى البرلمان الايراني؟

تقريري لايخرج عن حد افهام زملائي حقيقة الوهابية وبيان فساد الشوائع التي كانت مثاراً لشعور الايرانيين ويمكنني أن أؤكد لكم بانني سأكتبه بامانة وصدق وتجرد.

أليس لكم ما تنتقدونه على الحكومة الحاضرة؟

يا مكس إني محبذ كل الاجراءات التي قامت بها حكومة صاحب الجلالة الملك ابن سعود

(١) المنار: يريد بالمخلفات المعاهد الاثرية التي يعبر عنها بعض علماء الحجاز بالمآثر كالبيت الذي ولد فيه الرسول (ص) ودار خديجة (رض) وقبور آل البيت عليهم السلام وقد منعت الحكومة السعودية ما كان يجرى فيها من الخرافات فاذيع أنها هدمتها وجعل اصحاب الاهواء والبدع هذه الاذاعة وسيلة لصد الشيعة وغيرهم عن الحج

وهل يتضمن تقريركم بحث حالة الحجاز من الوجهة السياسية ؟

كلا وإنما سأقتصر فيه على الوجهة الاقتصادية فقد تبين لي أن الحكومة الحاضرة تريد أن تقوم ببعض المشاريع الاقتصادية والعمرانية والزراعية ولكن ينقصها بعض المال للقيام بها وهي لا تريد أن تستمد حاجتها من رءوس الاموال الاجنبية لأنها تعتقد ان ذلك يؤدي حتما الى توطيد النفوذ الاجنبي ولهذا فهي تنوي أن تضم يدها بيد أصحاب رءوس الاموال الاسلامية بشرط أن لا تكون هناك أية صبغة أجنبية فيها وترى أيضاً ان المساعدة الوحيدة التي يمكن أن تحصل عليها هي من إيران وتركيا(١)

ونحن كنا في حاجة الى رءوس الأموال لاصلاح اقتصادياتنا وزراعاتنا في ايران الا أن بيننا أغنياء عديدين يستصعبون القيام ببعض هذه الاعمال وأنا سأعمل على تشجيعهم للاقدام على هذا العمل الذي يفيدنا ويفيد الحجاز معاً . وأما المساعدات الفنية فأعترف بأننا لا نستطيع تقديمها فعلى الحكومة الحجازية أن تستمدها من تركيا(٢)

مهمة مندوب الشاه في الحجاز

وهل تعتقدون أن المفاوضات ستدور بهذا الصدد ؟

لا أعرف ذلك في الوقت الحاضر ولا سيما وان علاقتنا السياسية لم توطد مع ابن السعود ومن الواجب وضع الاسس العمومية أولا للاتفاق السياسي(٣) ثم يباشر وضع اتفاقات اقتصادية وتجارية وخلاف ذلك

وماذا عمل حبيب الله خان حتى الآن في مكة ؟

لقد قابل جلالة ابن سعود وسلمه كتاب صاحب الجلالة الشاه الذي يعترف فيه بملكيته على نجد والحجاز وقد تقبل جلالة الملك كتاب جلالة الشاه وسفيره وأبرق اليه معرباً عن استعداده للقيام بكل مايقدر عليه في سبيل توطيد العلاقات الودية بين أمته والامة الايرانية . كما شكر له دعوته لسمو نجله الامير فيصل لزيارة إيران قائلا بأن نجله سيغتنم أقرب فرصة لزيارتها وأنا أعتقد أن سمو الامير سيزور بلادنا في هذا الصيف

---

(١) المنار : هذا رأي غريب لا نظن ان صاحبه مصيب

(٢) ان مصر وسورية اقرب الى الحجاز واقدر من الترك على هذه المساعدة

(٣) المنار قد علمنا عن ثقة بأن أسس الاتفاق السياسي قد وضعت واتفق عليها وستمضى وتعلن في فرصة قريبة

الامير أرسلان

هل قابلتم جلالة الملك ابن السعود؟

لقد اجتمعت بجلالته لاول مرة في المأدبة التي أقامها للامير شكيب أرسلان وقد سبق لي التعرف الى هذا الامير في أوربا حيث كان يدافع عن القضية السورية ثم اجتمعت بجلالة الملك مراراً على انفراد فلاقيت منه كل إكرام وقد طلب إلي أن أبلغ الامة الايرانية تحيته بواسطة مجلسها النيابي وسأقوم مسرورا بهذه المهمة عند عودتي الى بلادي

الرابطة بين الحجاج

كيف وجدتم الرابطة الاسلامية في الحجاز؟

اقول إن الرابطة الاسلامية مفقودة بين الحجاج الذين يؤمون البلاد المقدسة وسبب ذلك فقدان التجانس بين طبقات المسلمين فمثلا ترى الهنود في مقر منزل لايختلطون بغيرهم لانهم يجهلون لغتهم وكذلك الايرانيون والعرب والروس والترك وغيرهم من الاقوام الاسلامية وأرى أنه يتحقق ذلك بان يلقى محاضرات بكافة اللغات وأن يصدر بهذه اللغات نشرات في موسم الحج وبذلك يكون تقرب نوعا ما بين الجميع وقد عرضت هذه الفكرة على جلالة الملك وكبار حجاج المسلمين فلاقت كما أعتقد استحساناً وارجو أن تنفذ في العام القادم

والرابطة الاسلامية إذا توحدت يمكنها ان تؤدي نتائج حسنة تهم الجميع

رأي في الخلافة

ما رأيكم في الخلافة؟

أقول لكم بصراحة تامة إن الخلافة بدعة وقد جرب المسلمون الخلافة فماذا استفادوا منها اللهم الا أنها آلة يديرها الاجانب في الاتجاه الذي يريدونه؟ وكفى المسلمين مالاقوه فعليهم الآن ان يلتفتوا الى اللباب لاإلى القشور(١) انتهى الحديث

(١) المنار: ان هذا الرأي خطأ من وجوه فالخلافة عند أهل السنة هي الامامة العظمى التي يعدها الشيعة من أصول الدين في المرتبة التي تلي النبوة وعند أهل السنة من فروع الشريعة المهمة، وقد استفاد المسلمون منها فوائد عظيمة على كون أكثر دولهم لم تقم بها كما يجب ولاسيما خلافة التغلب المحض كخلافة الترك، وقد كانت دول أوربة تخشى أن يجيء يوم يعرف المسلمون كيف يستفيدون منها على علاتهم وعلاتها وهم يعدون إلغاء مصطفى كمال لها خدمة جليلة لسياستهم الدينية الاستعمارية

أداء الامير شكيب لفريضة الحج

كان قلب الامير شكيب يحن إلى أداء فريضة الحج منذ سنين ، كما هو شأن كل مسلم ؛ وان كان أمثال الامير شكيب في تربيتهم المدنية والسياسية والاجتماعية ، صار يقل فيهم من يحج كما يقل من يصلي ويصوم إذا لم تقرن تلك النشأة المصرية بمعارف دينية صحيحة راسخة كالطود لاتؤثر فيها أمواج الشبهات، ولا تنال منها عواصف الشهوات، ولكن شكيباً تلقى عقيدته من الاستاذ الامام وغذاها بالعلم الصحيح والعمل. وقد كان لكبراء الرجال السياسيين من موانع الحج في السنين الخالية ماليس لغيرهم

عزم شكيب على الحج في موسم السنة الماضية (١٣٤٧) وكان يحب أن يسافر من أوربة قبل موعد الحج ، فيعرج على مصر فيقيم فيها مدة مع صديقه الحميم صاحب المنار بداره التي يعدها بحق داره ، وكتب إلي بذلك ، وأنه لقي في برلين معالي وزير خارجية مصر الدكتور حافظ بك عفيفي — وكان بينهما صداقة سابقة — فكاشفه بعزمه ، فتبرع الوزير بوعده بأن يمهد سبيل الاذن الرسمي له بزيارة مصر في طريقه لعلمه بأنه كان ممنوعا من دخولها بعد الحرب الكبرى ، ومن المعلوم بالبداهة أن المرجع الرسمي في هذا الامر لوزارة الخارجية ، ولكن الوزير نفسه رأى أن الاذن له به يحتاج إلى تمهيد وسعي !!.

ثم أزمع الامير السفر وخرج من داره في لوزان قاصداً البحر من طريق إيطاليا ، وطفق يراسل وزير الخارجية ثم يراسل بعض أصدقائه في مصر ، سائلا هل تأذن له الحكومة المصرية بالالمام بمصر ولو بميناثي بورسعيد والسويس لينتقل من الباخرة التي يسافر فيها إلى باخرة من البواخر التي تنقل الحجاج ؟ وكانت هذه الرسائل برقية، فعلمنا بعد البحث أنه لايزال ممنوعا من ذلك، وبعد بذل السعي من بعض المهتمين بالامر لدى صاحب الدولة رئيس الوزارة ، اقتنع بان اللائق بحكومة مصر بصفتها الاسلامية الرسمية أن لا تمنع أحدا من الالمام ببعض ثغورها بقصد السفر إلى الحج من غير إقامة تزيد على مدة الانتقال من باخرة إلى أخرى، فأصدر أمره بالاذن في آخر وقت أدرك به الامير آخر باخرة تحمل الحجاج في آخر وقت يمكن ادراك الحج فيه، وقد علمنا أن الامير بذل في أجور البرقيات أكثر من ثلاثين جنيهاً ، وانه لوكان يعلم هذا لفضل أن يسافر في باخرة ايطالية الى مصوع أو عدن ثم يسافر منها الى جدة

في أثناء هذه المساعي وتبادل البرقيات شاع بين الناس أن الامير شكيبا

مسافر الى الحجاز وأنه سينزل من الباخرة التي تقله من أوروبا في بورسعيد وينتقل منها الى السويس ، فعزم كثير من أصدقائه ، وممن يحبون الحظوة بمعرفته، لشهرته الشريفة في عالم العلم والادب والسياسة، والجهاد الاسلامي والوطني، على السفر الى بورسعيد للقائه فيها، وطفقوا يتحدثون بتأليف الوفود لذلك في مصر وفلسطين وسورية ونشر ذلك في الجرائد ، ولكن بعضها ذكر خبر منعه من الالمام بالثغور المصرية، فلم يعلم بموعد وصوله الى بور سعيد الا بعض أصدقائه في مصر فسافر بعضهم اليها في ذلك اليوم، وبعضهم قبله بيوم، وقد نزلت مع بعض السابقين في زورق بخاري فاستقبلنا باخرته في البحر عقب وقوفها واذن طبيب الحجر بمخالطة ركابها للناس، وسبقنا ابن عمه الامير أمين فصعد الى الباخرة مع الطبيب الرسمي ، ولما تلاقينا لم أملك دمع السرور من حيث جرى ، ولا تسل هناك عما قد جرى . ووصل في ذلك اليوم الى بورسعيد الاستاذ المربي المصلح والزعيم الوطني الشهير الشيخ محمد كامل قصاب من حيفا لاجل استقباله وأخبرنا أن وفد حيفا ووفد القدس قد انفض جمعهما اذ نشرت جريدة الجامعة العربية برقية من مصر بعدم الاذن له وهو انما جاء للاحتمال . وقد جاءت الامير برقيات كثيرة ، وعاد بعض المستقبلين له الى القاهرة ، وبات بعضهم في بور سعيد بعد الحاحه على الجميع بالعودة الى أعمالهم ، الا كاتب هذه السطور فقد قال له : انت تبقى معنا من البحر الابيض الى البحر الاحمر .

وقد سافرنا في اليوم الثاني الى السويس فوجدنا بعض المستقبلين في الاسماعيلية من طريقنا وبعضهم في محطة السويس نفسها ، وممن جاءها بالسيارات الخاصة أحمد زكي باشا وعبد الحميد بك سعيد . وقد بلغ الامير فى المحطة أمر الحكومة المصرية اياه بالانتقال منها الى باخرة الحجاج الاخيرة التى تبحر فى ذلك اليوم ٢٩ ذي القعدة الى جدة وانها أمرت شركة بواخر البوستة الخديوية التابعة لها بتخصيص مخدع له (قمرة) في الدرجة الاولى منها وكان يريد السفر في باخرة البريد في ٢ ذي الحجة، فركب الامير ومن كان ثم من المستقبلين المودعين السيارات الى الباخرة تواً ، وذهبت أنا السوق فأخذت له منه ثياب الاحرام لانني علمت منه أنه لم يحمل من أوروبا شيئاً من ذلك

الامير شكيب أكبر رجال السياسة من زعماء الامة العربية وأشهر كتابها الذائدين عن حوضها والمنافحين عن حقوقها، والعاملين لمصالحها، فالمجاهدون المخلصون منهم يسرون بلقائه لمجدد ملك العرب، ومجد العرب، وقبلة آمال العرب، الملك عبد العزيز آل سعود وتناجيهما فى المصالح العربية، السياسية والمدنية ، ويرجون من ذلك خيراً كثيراً

وللامير شكيب مكانة اسلامية سامية عند طلاب الاصلاح الديني المدني

الذي يقتضيه هذا العصر من عرب المسلمين وشعوب عجمهم الكثيرة ولاسيما الترك والهنود لما له من خدمة الدولة العثمانية عند ما كانت تمثل الزعامة الاسلامية ، ثم ما جاهد به ملاحدة الترك بعد جهرهم بنبذ الاسلام ومماداتهم بالقول والفعل ، ولما له من الدفاع عن الاسلام والمسلمين فى مواقع أخرى كثيرة قد كان آخر ما نشر منها مقاله الممتع الذي رآه القراء فى جزء المنار الماضي ، ومن الدلائل على مكانته الاسلامية اجماع أعضاء المؤتمر الاسلامي العام من جميع الشعوب بمكة المكرمة في موسم سنة ١٣٤٤ على اختياره لامانة السر العامة (السكرتارية للمؤتمر الدائم ولم أكن أنا أشد تقريراً وعناية بهذا الاختيار من الوفود الهندية ولاسيما الزعيمين محمد علي وشوكت علي ، المناوئين لملك الحجاز ونجد لعدم اتباعه لهواهما — فأهل الرأي من مسلمي الاقطار المختلفة يسرون برحلة الامير شكيب الى الحجاز لاداء فريضة الحج ولقائه للامام المجدد للاسلام ، في رحاب تلك المشاعر العظام ، لان شخوص زعماء المسلمين السياسيين وعلمائهم المصريين الى الحجاز مفيد بما فيه من القدوة والاسوة الحسنة لامثالهم المقصرين في أداء هذه الفريضة ، ومفيد بما يرجى من ورائه من التعاون على المصالح الاسلامية ، ومن هذا الباب انه لما شاع فى السنة الماضية أن الامام يحيى حميد الدين سيحج فى موسمها تناقلت هذا الخبر ألسنة المسلمين وصحفهم وتلقته بالاكبار والاعظام لامرين (أحدهما) أن ملوك المسلمين قد تركوا أداء هذه الفريضة منذ قرون عديدة (وثانيهما) حرص مسلمي العالم كله على اعتصام إمامي الجزيرة العربية وملكي الاسلام المستقلين بعروة التحالف والاتحاد الوثقى ، ورجاؤهم أن يكون تلاقيهما في بيت الله تعالى متمما لما مهد له السبيل من ذلك بالوفود والمكاتبات والهدايا. ومن فضل الله على صاحب هذه المجلة أن كان هو الساعي الاول الى ذلك بالمكاتبات والوفود من قبل الحرب الكبرى ومن بعدها ، ويليه فيه صديقه الامير شكيب .

ومن دلائل اهتمام أهل الرأي والخدمة العامة من مسلمي الشعوب المختلفة ، وعرب الملل المختلفة ، بحج الامير شكيب ورجائهم الخير فيه للملة وللامة ، أنه ساء دعاة الالحاد في المسلمين ودعاة الاستعمار في العرب ولا سيما السوريين من الفريقين فنشروا في بعض الجرائد مقالات سخيفة طعنوا فيها على الامير في دينه وفي سياسته وفي غرضه من أداء الحج . وكان الذي تولى كبر هذا الاراجيف ذلك الفناف النفاج الحسود المدعي للزعامة السورية ولكن بامضاء ألصق الناس بخدمته ، ولم يصده عن ذلك اشتهاره هو بالدعوة الى الالحاد ونبذ الدين وتهتك النساء وغير ذلك ، ومما اتهمه به أنه يسعى بحجه الى حمل الملك عبدالعزيز اياه سفيراً له في أوروبا !! وربما كان هذا

الملك أشد احتقاراً لهذا التشفي الدني، فانه صار من أعرف الناس بفضائل الرجال، ورذائل حاسده. وقد احتفى جلالته بضيافته احتفاء يسعر نار الحسد في كبد الحسود

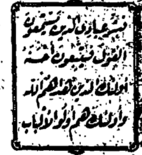
استقبلت الحكومة السعودية ووجهاء الحجاز الامير شكيب في جدة ثم في مكة أحسن استقبال فقد حضر الى لقائه في الباخرة الحاكم الاداري (القائمقام) وغيره من الموظفين والوجهاء وفي مقدمتهم عين أعيان الحجاز الشيخ محمد نصيف ثم قابله جلالة الملك في جدة إذ كان فيها، وبعد أن تغدى مع جلالته سار معه في سيارته الملكية الى مكة المكرمة فكانت هذه أول فرصة واسعة للمذاكرة في المصالح العامة. وقد كتب إلي جلالته عن هذا التلاقي ما نصه:

« وقد آنسنا بلقاء صديقكم وصديقنا الامير شكيب أرسلان وهو كما وصفتم إخلاصاً وعلماً وأدباً» ويعني جلالته بهذا الوصف ما كتبته اليه اخيراً من انني لم أثن على أحد وهو فوق ما أثنيت ووصفت من كل جهة الا الامير شكيب

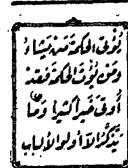
وقد علمت علم اليقين ان جلالته رغب اليه ان يبقى لديه في الحجاز دائماً أو ما شاء وطلبت له الاقامة ليقوم بما لا يستطيع غيره أن يقوم به من أعباء الاصلاح في حكومته، فاعتذر اولا بوجود اهل بيته في أوربة، فقال نحضرهم الى الطائف، فاعتذر بأنه لا بد له من البقاء في أوربة لاجل القضية السورية وبأنه يخدم القضية العربية هنالك بما شاء جلالته إلا الوظائف الرسمية فان فكرة المناصب الرسمية قد خرجت من فكره فهو لا يقبل منصباً لا في الحجاز ولا في اوربة كالسفارة في بعض العواصم

بعد هذا زار الملك جدة فذكر في مجلسه الحافل ما نشر في المقطم من اتهام الامير شكيب بالسعي الى نيل سفارة في أوربة ـ وهو ما أشرنا اليه في هذا المقال ـ فغضب الملك وقال من هذا ـ يعني صاحب مقالة المقطم ـ وإيش يكون ؟؟ ثم أثنى على الامير شكيب ثناء عظيما قال في سياقه: والله ان السفارة التي يريدها في اوربة تكون له بشرط ان يرضى

ومن اخبار الامير في الحجاز التي تسر محبيه الذين لا يحصيهم الا الله تعالى ان هواء الطائف قد وافق مزاجه فزال هنالك ما كان اصابه في اوربة من مرض الصدر الذي كان فيما يظهر من اسباب ما انكرته عليه من استطالة لسره ونبه لقسمه ويسرنا انا رأيناه عند تلاقينا الاخير في وجهه من الاشراق والبهجة، وفي حديثه من جرس الصوت وقوة اللهجة، وفي مشيته من التملل وخفة الحركة، وفي أكله من نهم الفتى، وجودة الهضم في غير تبيه ليبشرنا بأنه مستعد لحياة طيبة طويلة الاجل، لولا لم يجن علينا بالاسراف في الانكباب على العلم والعمل، وفقنا الله واياه للقصد والاعتدال، والتوفيق لما يحب تعالى ويرضى من الاقوال والاعمال







قال عليه الصلاة والسلام: «إن للإسلام صُوًى و«منارًا» كمنار الطريق»

ربيع الأول سنة ١٣٤٨هـ ١٣ برج الأسد سنة ١٣٠٨هـ ش ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٩

تصح منها، ويجب كشف الوجه والكفين في الاحرام بالحج أو العمرة ، ويحرم عند توقع الفتنة، ويباح فيما وراء ذلك

(٢) هل يجوز للمسلمين أن يرسلوا أولادهم الى المدارس الاجنبية مع وجود مدارس اسلامية نظامية مستعدة لتعليم أبناء الأمة حسب مبادىء الدين الاسلامي الحنيف أم لا ؟

(الجواب) لا يجوز الا لطالب راشد متمكن من عقائد الاسلام وهدايته لان هذه المدارس الاجنبية تفسد عقائد الاحداث والجاهلين

(٣) ما قولكم دام فضلكم فيمن يرى عدم لزوم تدريس العقائد والعبادات وغيرها في المدارس الابتدائية وغيرها ويرى تدريس الحكايات والقصص كقصص الانبياء وأخلاقهم وغيرها فقط هل هو مصيب أم لا ؟

(الجواب) لا، فان قصص الانبياء ولا سيما السيرة المحمدية مفيدة جدا ولكنها لاتغني عن معرفة اصل الاسلام وهو عقائده وعباداته وحكمه وآدابه

(٤) أي الكتب الدينية الاسلامية أكثر فائدة في التفقه في المسائل الشرعية الدينية كالعقائد والعبادات وغيرها مع ملاحظة الشكل التام وسهولة اللفظ والمعنى لتلاميذ المدارس الابتدائية وغيرها ؟

(الجواب) لا أدري فان الحكم بهذا التفضيل يتوقف على الاطلاع على ماذكر وقلما رأيت منها شيئاً وأحسن ما أعرفه منها (خلاصة السيرة المحمدية) الخ وكتاب (الدين الاسلامي) لطلاب المدارس الثانوية وقد طبع الجزء الاول منه وكتاب (التعريف بالنبي والقرآن الشريف) اقتبس اكثره منه

(٥) هل يجوز تحكيم العقل في المسائل الشرعية الدينية المنصوص عنها في الكتاب والسنة والاجماع والقياس المعتبرين لان كثيراً من الناس يحاولون تحكيم العقل في المسائل الدينية فيقبلون منها ما يوافق عقولهم وينبذون ما يخالفها ولو كان في ذلك نص أو اجماع أو قياس فهل هذا يجوز أم لا ؟

(الجواب) لا يجوز تحكيم العقل في النصوص القطعية وانما وظيفة العقل فهم العقائد واقامة دلائلها، والآداب الشرعية ومنافعها ، والترجيح بين الادلة في الاحكام الاجتهادية التي ليس فيها نصوص قطعية عند المستعد لذلك

(٦) هل يجوز حمل ساعة الجيب واليد وغيرها لاجل ضبط أوقات الصلاة والاشتغال كالمدارس والتجارة وغيرها أم لا ؟

(الجواب) يجوز بلا شبهة والسؤال عنه مستغرب

(٧) هل يجوز اعتقاد عمل المندل وضرب الرمل وتعليق التمائم وكشف الضمائر وقراءة الكف وعمل السيار جميع أنواع السحر من أعمال الطلاسم وغيرها أم لا ؟

(الجواب) لا يجوز شيء من ذلك لانها خرافات ومفاسد

(٨) هل يجوز التنويم المغناطيسي وتحضير الارواح ومخاطبتها شفاهياً أوكتابياً وهل هذا ثابت أم لا ؟

(الجواب) يجوز إذا لم يكن فيه ضرر ولا معصية ولا خداع لأحد كما يفعل كثير من الممارسين لذلك ، والتنويم ثابت لا مراء فيه . وأما تحضير الارواح أو مخاطبتها فله أصل ثابت ، وأكثر ما يقال فيه خداع باطل

(٩) هل يجوز التقليد والتلفيق من مذاهب الأئمة الاربعة وغيرها في العقائد والمعاملات والعبادات وغيرها كالوضوء والغسل والصلاة وغيرها أم لا ؟

(الجواب) أن جمع الأقوال الملفقة من المذاهب المختلفة للعمل بها تقليداً لاهلها عبث بالدين واتباع للهوى ولكن الذي يتبع قوة الدليل إذا وافق استدلاله بعض الائمة في بعض الاقوال، ومن يخالفه منهم في قول آخر — ولو في موضوع واحد — لا يعد ملفقاً ولا مقلداً

(١٠) ما الادلة النقلية والعقلية على افتقار الطبيعة الكونية الى صانع مختار وما الطبيعة ؟ لان كثيراً من المسلمين تجردوا من الدين واعتقدوها

(الجواب) الطبيعة الخليقة وهي مؤلفة من مواد ذات خواص وقوى، وفيها من السنن والنظام الدقيق ما يدل دلالة ظاهرة على أن لها خالقا قادرا عليما حكيما اذلا يمكن أن يكون ما ذكر قد وجد بالمصادفة ولذلك اتفق جميع البشر ومنهم العلماء والحكماء من الشعوب القديمة والحديثة على وجود خالق للخلق وانما شك أو شكك في ذلك أفراد من الماديين بضروب من الشبهات والجدل وحسبك من الادلة قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فهو أصح النقل، وموافق لأصح براهين العقل

(١١) ما الروح وما أدلة وجودها النقلية والعقلية

(الجواب) الروح من عالم الغيب لا تعرف الا بآثارها وباخبار الرسل عنها . وأقوى الادلة العلمية العصرية عليها أن جسم الانسان ومنه دماغه يفنى مراراً ثم يتركب من مواد جديدة ومع هذا تظل معلوماته ووجداناته الكثيرة التي أدركها قبل هذا الانحلال والفناء المكرر محفوظة ثابتة في نفسه ، فلو كان الادراك من وظائف الدماغ كما زعم الماديون لزال بزواله في كل مرة ما كان انطبع فيه . ومستحضرو

الارواح ومدركوها من افراد البشر قد أدركوا من آثارها ما لا يدركه غيرهم وقد كثروا في هذا العصر والمصدقون لهم يزدادون في كل يوم بحيث يقل المنكرون الى أن يضمحلوا

(١٢) ماالدليل على وجود الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث الجسماني نقلا وعقلا ؟

(الجواب) العقل لا يمكنه أن يستدل على وجود هذه الاشياء وكلها من عالم الغيب الا من طريق كونها مما يقتضيها عدل الله وحكمه بين عباده وحكمته في خلقهم مستعدين لحياة ابدية. وأما أدلتها النقلية فهي النصوص الكثيرة في كتاب الله تعالى

(١٣) ماحكم من استخف واستهزأ بالعبادات كالصلاة والمصلين ولو على سبيل المزاح

(الجواب) الاستخفاف والاستهزاء بالعبادات القطعية كالصلاة لا يكون له سبب في الغالب الا عدم الايمان بها ، فحكم فاعله ان كان مسلماً في الاصل حكم المرتدين ولكن بعض المزاح في ذلك لا يقصد به الاستخفاف والاستهزاء. والعبرة في الحكم المذكور قصد فاعله ، وأقل مايقال في المزاح المشتبة أنه مكروه أو حرام

(١٤) المرجو بيان أسماء الكتب التي خصصت في بيان حكمة التشريع الاسلامي مما يناسب عصرنا الحاضر لا سيما في معترك الضلالات والزيوغ ، وتفضلوا بالجواب

(الجواب) لم أطلع على كتاب يعجبني في ذلك مما يوافق حاجة هذا العصر ولكن في المنار وتفسيره الشيء الكثير من ذلك ، ولعلنا نوفق لجمعه ، او تأليف كتاب مستقل طالما فكرنا فيه

﴿ أسئلة أخرى من صاحب الامضاء في بيروت ﴾

﴿من س٣٠ — ٣٤﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد أفندي رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فاني رافع لفضيلتكم مايأتي راجياً التكرم بالاجابة عليه :

١. هل تحسين الثياب والهندام والتطيب بالروائح الزكية مع التواضع وحسن الخلق ينافي الزهد والتقوى أم لا ؟

٢. هل يجوز تعليم النساء دق العود والبيانو وغير ذلك من أنواع آلات الطرب أم لا ؟

٣. هل يجوز للرجل أن يسمع الغناء وصوت العود والبيانو وغير ذلك من المرأة الاجنبية أم لا ؟

٤. هل تقبل توبة التائب اذا تاب من الذنوب الصغيرة والكبيرة كالقتل والزنا واللواط وشرب الخمر والديون والسرقة والخيانة والكذب والغش والظلم وغير ذلك ولا يعذب في القبر ولا في الآخرة أم لا ؟

٥. أرجو من فضيلتكم أن تبينوا لنا لفظ التوبة وهل تصح بكل لفظ أم لا ؟

تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب عبد القادر البعلبكي — بيروت

(ج س الاول وهو ٣٠ من باب الفتوى) تحسين الثياب والهندام والتطيب من أمور العادات المستحبة اذا لم يكن فيه محرم كثوب الحرير الخالص أو مكروه كثوب الشهرة ، وهو لا ينافي الزهد لانه عمل قلبي ولا التقوى لانه لا معنى لها في هذا الباب الا اتقاء الحرام

(ج ٣١) من يعتقد أن العزف بما ذكر من المعازف محرم تقليداً لمن يقولون بذلك وهم جماهير فقهاء المذاهب المتبعة يلزمه تحريم تعليمه للمرأة ، ومن لا يعتقد تحريمه لعدم صحة الدليل عليه عنده او لترجيحه رأي من اباحه من فقهاء الحديث والصوفية بشرطه لا يرى بأساً بتعليمه لامرأته أو محرمه لاجل ترويح النفس به في بيته مثلا، وظاهر أنه يحرم تعليمه لامرأة تريد أن تكون مطربة للسكارى والفساق أو يظن ذلك فيها ، ومثل ذلك تعليم المرأة الاجنبية المستلزم للخلوة بها أو رؤية ما لا يحل للرجل رؤيته منها وكل ما هو سبب الافتتان بها .

(ج ٣٢) في الجواب عن السؤال الذي قبل هذا ما يعلم منه جوابه، ومنه ان حضور معاهد الغناء والعزف والسكر المشهورة في مثل مصر وبيروت حرام

(ج ٣٣) التوبة واجبة من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها ومتى كانت صحيحة نصوحا كانت مرجوة القبول، ولكن حقوق العباد لا تغفر بالتوبة وحدها بل لا بد معها أو لصحتها من ردها الى أصحابها ان كانت أعياناً أو ارضائهم في مثل الغيبة .

فعلم من هذا أن من كان لأحد عليه مال أخذه منه بغير حق كالسرقة والخيانة والغش والدين الربوي وغيره فان توبته لا تصح من هذه الذنوب الا اذا أرجع هذا المال الى صاحبه أو لورثته من بعده ، فان تعذر ذلك بانقراضهم او عدم العلم بهم فليتصدق بذلك المال والا كان غاشا نفسه وخادعا لها بدعوى التوبة. ولا يمكننا في جواب هذا السؤال أن نبين حقيقة التوبة وشروطها بالتفصيل، فعلى الصادق فيها أن يراجع هذه

الاحكام في الكتب الخاصة بذلك ومن اهمها كتاب الزواجر لابن حجر المكي الهيتمي واول الجزء الرابع من الاحياء للغزالي ومدارج السالكين لابن القيم

(ج ٣٤) التوبة ليست امراً لفظياً فيصح السؤال الاخير: هل تصح بكل لفظ ام لا ؟وانما هي اعمال نفسية وبدنية من فعل وترك، والمشهور عند العلماء في تعريفها انها مركبة من ثلاثة اشياء (١) الندم على ما كان من اقتراف الذنب في الماضي (٢) تركه في الحال (٣) العزم على عدم العودة اليه في المستقبل . والغزالي يقول انها حقيقة مركبة من علم وحال وعمل، اما الاول فالعلم بما ورد من الوعيد على الذنب وكونه سبباً لسخط الله وعقابه ، واما الثاني فهو الحال الوجدانية التي يوجبها هذا العلم اي الخوف من سخط الله وعقابه، واما الثالث فهو العمل الذي يوجبه هذا الحال وهو ترك الذنب او الذنوب ان كانت متعددة مع العزم على عدم العودة اليه ، والاجتهاد في ازالة اثره من النفس بالعمل الصالح المضاد له الخ

﴿ الجمع بين آيات القرآن والاحاديث واخبار الدول في الكتب ﴾

(س ٣٥) من صاحب الامضاء في دبي — على خليج فارس

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة الفاضل العلامة الذاب عن الدين، طعن الزنادقة والملحدين، والناقد للمرويات عن سيد المرسلين ، السيد محمد رشيد رضا (رضي الله عنه وأرضاه) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد لازال يخطر ببالي وتجول في فكري من جمعكم في المنار الاغر بين الآيات الكريمة والتفسير والأحاديث النبوية، وبين اخبار دول أوربا وحوادث أمريكا فهل الجمع بين ذلك يؤدي للاهانة بالقرآن (كذا) العظيم وكلام النبي الكريم أم كيف ؟ الرجاء كشف ذلك. السائل مسترشد والسلام

المشترك — أحمد بن حسن

(ج) هذا السؤال غريب جداً ، وتوجيهه إلي من هذا السائل الذي وصفني بما وصفني به قبل السؤال أغرب ، وأقول في جوابه (أولا) إن إهانة القرآن والاحاديث النبوية لاتقع من مؤمن بكتاب الله وبرسوله ﷺ وان وقع منه مع اعتقاده بأنه إهانة حكم بكفره ، فكيف يقع ممن نصب نفسه للدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والذب عنهما ؟ (ثانيا) إن الجمع بين الآيات والاحاديث واخبار

الأمم مؤمنها وكافرها موجود في القرآن نفسه وفي كتب الحديث والتفسير والتاريخ التي ألفها كبار علماء الاسلام ، ولم ينكر ذلك أحد في يوم من الأيام بل نجد بعض كبار المفسرين حتى أنصار السنة منهم كالبغوي يذكرون في تفاسيرهم من الخرافات الاسرائيلية الموضوعة والضعيفة ما هو أولى بالانكار من ذكر أخبار الدول والامم الصحيحة. وقد كان عملهم هذا ضاراً ولكن لاوجه لعده إهانة لكتاب الله (ثالثاً) إن ما نذكره نحن في المنار من اخبار دول أوربة وغيرها نختار منه الصحيح الذي فيه عبرة للمسلمين أو دفاع عنهم وعن بلادهم أو تأييد الاسلام نفسه أو ذب عنه — كما يرى السائل وغيره في هذا الجزء — وكل ذلك مما نرجو أن يثيبنا الله عليه

﴿ هل المجذوب ولي أو مجنون ﴾

(س ٣٦) من أحمد محمد ثابت بالبطن تبع ابي عموري

الى حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا

التمس من فضيلتكم البيان الشافي في عدد من أعداد مجلتكم الغراء عن أمر لبس علينا سمعنا كثيراً من الناس يجزمون بان المجذوب ولي بغير عمل لانه جذب من صغره في حب الله وقد صح حديث « رفع القلم عن ثلاث النائم حتى يستيقظ والمجنون حتى يفيق والصبي حتى يبلغ » وقال تعالى (إلا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون)

فلذا اشتبه علينا لهذه الآية الكريمة ولهذا الحديث الشريف أمر المجذوب هل هو في حكم المجنون أم لا ؟ وهل هو ولي أم لا ؟ مع كونه رفع عنه التكليف ؟ وإنا نرى ان الولاية مقام كبير فلهذا لا نعترض خوفا من الخوض ، وهل عند أرباب الطرق شيء صحيح ورد فيه شيء عن النبي أم لا ؟ افتونا في ذلك مأجورين بارك الله فيكم وعليكم ودمتم .

أحمد محمد

(ج) الولي في عرف الشرع المؤمن المتقي لله تعالى والآية التي ذكرتموها نص في ذلك. وفي اصطلاح الصوفية تفصيل لهذا الاجمال ففي تعريفات السيد الجرجاني: الولي فعيل بمعنى الفاعل وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو بمعنى المفعول وهو من يتوالى عليه إحسان الله وإفضاله. والولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات اه

وقد عرفوا الجذب الخاص عندهم بانه جذب الله تعالى عبداً إلى حضرته .

وقالوا المجذوب من ارتضاه الحق تعالى لنفسه، واصطفاه لحضرة أنسه، وطهره بماء قدسه ، فحاز من المنح والمواهب ، ما فاز به بجميع المقامات والمراتب ، بلا كلفة المكاسب والمتاعب اهـ يعنون بهذا ان الاحوال والمقامات التي تنال بسلوك طريق المعرفة بالتدريج والتنقل في المنازل قد تحصل لبعض الناس دفعة واحدة من غير طول مجاهدة للنفس بالرياضة والاوراد ، وهذا أمر ممكن وواقع إلا أنه نادر، وانني أعرف رجلا كان ملحداً بشبهات طرأت عليه من اشتغاله بالفلسفة فمرض مرضاً لم يشف منه إلا وقد شفي من داء الالحاد ، فصار صحيح الاعتقاد محافظاً على الصلوات ، متورعا عن الشبهات ، أمارا بالمعروف نهاء عن المنكر ، رحمه الله تعالى. وأكثر من كانوا يعدون من المجاذيب عقلاء علماء حكماء ، وإنما كان من غلو بعضهم في الزهد والعبادة والتقشف ان عراهم من الشذوذ ومخالفة جماهير الناس في آدابهم ومجاملاتهم مايعد وسوسة وخالا أو جنونا « والجنون فنون » وكانوا يسمونهم الموسوسين ، ويعبرون عنهم بعقلاء المجانين ، لما يصدر عنهم من الحكم والمواعظ المعقولة أحياناً ، ومن الشذوذ أحياناً . وقد يصل بعضهم إلى درجة الجنون المطبق بحيث يؤذي الناس فعند ذلك يشد ويلقى في البيمارستان

وقد غلا بعض ناشري الخرافات من المتصوفة كالشيخ الشعراني فصار يطلق اسم المجذوب الالهي والولي على المتوهين في أصل خلقتهم وعلى الدجالين الادعياء المتبالهين، واشتهر هذا بين الناس فصار سمت الولي وشعاره عندهم الوساخة والقذارة والهذيان وكشف العورة وفحش القول، كالذين نراهم يطوفون حول الاضرحة المعبودة وهياكل الوثنية المشهورة ، وانما هؤلاء مجاذيب الشيطان ، واولياؤه لا اولياء الرحمن.

﴿ يوسف نجم : علمه وأين تعلم ؟ ﴾

(س ٣٧) من تاجر مسلم في هفانا

ذكرنا في ص ٨٠٠ من المجلد التاسع والعشرين ان تاجراً مسلماً كتب الينا كتاباً من هفانا يذكر فيه ان رجلا اسمه يوسف نجم يكتب مقالات متتابعة في جريدة مرآة الشرق العربية السورية التي تنشر في (نيويورك) يطعن فيها على الاسلام ومذاهبه وأئمته وأشهر رجاله المصلحين في هذا العصر . وقد سألنا هذا الكاتب : هل تعلم يوسف نجم هذا في الجامع الازهر أو في غيره من المعاهد الاسلامية ومادرجة معارفه الدينية الخ وقد وعدنا في خاتمة ذلك المجلد بان ننشر سؤاله في باب الفتاوى

ونجيب عنه، ولكننا نسينا ان نضع الكتاب في أضبارة كتب الاسئلة لا تنا كنا نعده من الرسائل الخاصة فصار يشق علينا البحث عنه في أنواع الكتب الاخرى من أدبية وسياسية وشخصية وغيرها . ولما كان السؤال والمسؤل عنه ليس بذى بال ولا شأن كالاسئلة العلمية والدينية رأينا ان نفي بالوعد بالقدر الذي نرى انه يفي بالفائدة فنقول

اننا قرأنا من تلك المقالات ماعلمنا به ان كاتبها عامي لم يتعلم في المدارس الدينية كالازهر ولافي المدارس المدنية وانما جل ماحشي به دماغه أمشاج من الصحف المنشرة وبعض القصص والرسائل التي يخلط فيها العلم بالجهل والحق بالباطل ، وقد حفظت قصاصات من مقالاته لاأرى الآن حاجة إلى مراجعتها .

والدليل على ذلك كثرة الغلط الفاحش واللحن الواضح في عبارته والتعارض والخلط في موضوعاته . مثال ذلك أنه يذكر الخلاف بين امام اليمن والسيد الادريسي حاكم عسير بما يدل على أنه لا يعرف مذهب كل منهما ولا مركزه ولا وجه الخلاف بينهما وينكر على صاحب المنار أموراً يعزوها اليه وفي تفسيره ومجلته ضد مايعزوه اليه كزعمه أنه يتعصب لمذهب الاشعرية على ما اشتهر به من الدعوة الى مذهب السلف الذي كان عليه علماء الصحابة والتابعين قبل وجود الاشعري ومذهبه ، وعلى مافي تفسيره من الرد على الاشعرية وامام نظارهم فخر الدين الرازي ، ولكن هذا العامي لم يقرأ ماكتبنا ولو قرأه لما فهمه

فيوسف نجم هذا عامي جاهل بالاسلام ومذاهبه وتاريخه وهو بغيره أجهل وهو يكتب ما تمليه عليه خواطره من غير علم ولافهم ويزعم أنه يدعو فيما يكتبه إلى مقاومة التعصب الديني والمذهبي والاتفاق بين أهل الاديان والمذاهب المختلفة وهي دعاية فلسفية اجتماعية دعا اليها بعض الحكماء وكبار الكتاب على علم وبصيرة يرجى تأثيرها في المستعدين لها ، وانما حظ هذا العامي المسكين منها التقرب إلى المتعصبين من النصارى بالطعن في الاسلام وكبار علماء المسلمين وكتابهم وزعمائهم لمنافع له يرجوها من هؤلاء المتعصبين فيما يظهر

وقد كان كتب الينا بعض الفضلاء يوجبون علينا أن نرد عليه ولو فيما يفتريه علينا وما كنا نجيب طلبهم لقلة الاهتمام بمثل طعنه الجهلي ، والرد عليه يرفع قيمته إلى جعله مناظراً يرد عليه . ولكننا لما رأينا هذا التاجر السليم الفطرة يظن أنه على شيء من العلم كتبنا هذا ، ولعلنا نجد فرصة أخرى نراجع فيها بعض قصاصات مقالاته من مرآة الغرب وننشر للقراء نموذجا منها للعبرة والفكاهة .

هل هذه النهضة خاضعة لسلطان العلم؟

محاضرة ألقاها الاستاذ عجاج نويهض في مدرسة النجاح الوطنية بالقدس

ونشرتها جريدة الجامعة العربية فيها وهي جديرة بأن يتدبرها كل مسلم ولا سيما المغرورين بالصحف المصرية لالحادية، ومقلديها في البلاد العربية، ولذلك نشرناها برمتها مع تصحيح لفظي قليل فيها، قال نفع الله به:

جدير بنا، ونحن في دور انقلاب عظيم لم يشهد له فيما مضى تاريخنا مثيلا، أن نقف ونتفكر قليلا على نور العلم الصحيح، هل ماتراه اليوم من تبدل في جميع أوضاعنا الاجتماعية والدينية، هو تبدل جار على سنته الطبيعية، ومشتق من الحاجة الحقيقية في نفوسنا، تحركه عوامل سليمة، وتدفع به نحو غاية معينة، بحيث نستطيع أن نعرف ونحن وسط هذا الانقلاب ما كنا عليه البارحة وما نحن عليه اليوم، وما سنصير اليه في الغد؟ أم ان هذا الانقلاب يرافقه طغيان من على جوانبه، وتتخلله عناصر سقيمة، لا هي وليدة الحاجة بالذات، ولا هي مما ترمي البصائر الصحيحة اليه؟

فان أمماً كثيرة اجتازت مثل هذا الدور قبلنا، وبلت من أمر الانقلاب أموراً وافرة حتى استطاعت أن تعلم بالخبرة واليقين مايتمشى مع مصلحتها ويتلاءم مع غرضها، فحري بنا أن نأخذ العبرة من تاريخ تلك الامم، وهذا يفرضه علينا العلم على كل حال، لان نهضة تناوحت رياحها في جميع الاجواء واتسع مجالها حتى شمل جميع مناحي الحياة، تدعونا إلى أن ننظر فيها نظرة سليمة حتى نمكن الدلالة على الخير منها فيؤخذ ويثابر عليه، وعلى الشر فينهى عنه ويتنكب الناس طريقه.

والحالات السياسية التي قامت في فلسطين وسورية والعراق والجزيرة بعد الحرب العامة، لايجب أن تكون مانعاً يمنع توحيد المصلحة العامة في الأمور الاجتماعية والدينية والثقافية لجميع الامة العربية على محور واحد، لان القوة التي نراها اليوم تتبدد وتتلاشى في الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية، هي قوة عامة مشتركة بين جميع الامم الاسلامية، فبفقدانها يفقد المجموع قوته، ثم تفقد الفروع قوتها لانقطاعها عن الاصول، ولانفرادها في العناصر الحيوية التي تستمد من المجموع قوتها وسبب حياتها.

وهذا يعرف ويسلم به لانه هو الامر الواقع . فكل قوة من قوى الاسلام ، اذا عراها الضعف اليوم وتسلط عليها الانحلال ، تصبح قوة الاسلام من حيث مجموعها ضعيفة، ثم لابد بعد ذلك من أن ينزل الضعف بالامة العربية نفسها،فتندم ولات ساعة مندم .

ولعله من المفيد أن يشار ، ولو على وجه الاجمال والتقريب ، الى مواطن الانفعال في هذا الانقلاب فنقول فيه :

أولا — الانقلاب في مصر ، وما يكون له من الصدى والاثر في نفوس الاقوام العربية شرقي مصر وغربيها في الدرجة الاولى، وفي سائر الامم الاسلامية القاصية والدانية في الدرجة الثانية ، ووسائل الكتابة والنشر والمواصلات ، كل ذلك مما يسهل بلوغ ذلك الصدى والاثر الى أقصى حد . فيظهر في القاهرة رأي شاذ مثلا يحمل صبغة الخروج على سنة من سنن الاسلام، أو على عقيدة من عقائده، أو على وضع من أوضاعه ، أو على ثقافته العامة ، أو على تاريخه ، فلا يلبث ذلك الرأي أن ينتشر في الآفاق، ويقبل عليه جمهور المقلدة من النشء المتعلم، وينتحله على وجه التباهي به ، ثم يأخذ بعرضه على الناس من قبيل حب الظهور ، حتى إنكم تجدون فريقاً من المنتمين الى الدين — ولكنهم على جمود مطلق — يصطفون مع فريق المقلدين من المتعلمين ويغترفون من ذلك الرأي المطير من القاهرة ، باحدى الجرائد اليومية ، أو مجلة أسبوعية أو شهرية ، أو بكتاب يحمل سمة جديدة وكلمة تدل على مايفيد أنه قد كتب بروح (العلم) فالمنزلة التي تتبوءها مصر اليوم في هذا الانقلاب بمطابعها وجرائدها ومجلاتها منزلة عظيمة قوية سواء كانت للشر أو للخير(١).

ثانياً — في كل بقعة اقليمية موضعية، كفلسطين لوحدها ، وسورية لوحدها ، والعراق لوحده، جو انقلابي مستمدة قوته من الروح الموضعية بطبيعة الحال ، ومن التأثير الذي يأتي من مصر ، وهذه النزعة الموضعية اذا نظر فيها على حدة في كل بلد من البلاد المذكورة ، وجدت أنها تمثل حالة في الانقلاب الاجتماعي والديني والثقافي على نسق « ملوك الطوائف » ولان حركة النشر والطباعة في هذه الاقطار الثلاثة من سورية وفلسطين والعراق ، ليست متوفرة كتوفرها في

(١) المنار أكثر الناشرين لهذه الافكار هم من فساق هذه البلاد وسفهائها ولكن الجرائد جعلت لهم قيمة لان الناس هنا يحذرونهم لسفاهتهم وفي الخارج لايعرفون حالهم

مصر ، ولأن البيئة الموضعية ليست زاخرة بالعمران الاجتماعي كما في مصر، فلذلك لا ترى عناصر التقاليد عاملة بنشاط كما في مصر من الجهة المحسوسة، ولكنك تجد في النفوس استعداداً ليس بالقليل للسير على منهج التقليد، ويتجلى هذا بأحاديث المجالس، وتبادل الرأي ، والمشاورة ، والابحاث التي تسقط عليك مصادفة ومن غير قصد .

ثالثاً — هناك جو عام يوحي بالجديد في كل شيء ، وهذا الجو ينتشر تارة من انقرة ومن فيها ، وطوراً من كابل ، وأخرى من طهران ، وأخرى من الينابيع الاجنبية الواردة في أكياس البريد التي تحملها البواخر الاجنبية وتفرغها في المرافيء كل يوم أو كل اسبوع ، ومن المدارس الاجنبية المشيدة في نقاط معينة في البلاد .

***

الخوف على الاسلام والرجاء فيه

من الضروري أن يشار الى نوع القضية التي يراد علاجها . وهذه القضية هي : ان الاسلام بقواه الاجتماعية والدينية في مأزق حرج ، وهناك قوى آخذة بدفعه من على جرف هار الى الهوة السحيقة ، وهناك قوى أصلية أولية آخذة بتمكينه في الارض من جهة ورد العادية عنه من جهة أخرى ، وهذه العادية كان ينظر اليها حتى زمن قريب أنها آتية من الخارج ، ولكن ظهر الى اليوم أنها نشأت في الداخل أيضاً ، وأصبح الجسم عليه أن يقاوم ما به من ميكروب يسري فيه داخلا، وأن يطرد عنه ما ينزل به من شر خارجي ، واذا أريد تحديد الزمن الذي عرف فيه ان للاسلام أعداء منه في الداخل ، فيمكن أن يقال ان فكرة الاسلام ظلت قوة مجموعة تعمل لحفظ ذاتها وتقوية وجودها، إلى أول الحرب العامة ، أو بتعبير آخر الى انهيار السلطنة العثمانية .

ففي أقل من عشرين سنة ظهرت أفكار وآراء من المسلمين الخارجين على الاسلام ، هي من التطرف وحب الهدم، والانتقاض ، والتخريب، بحيث تمثل من هذه الروح أضعاف ما ظهر من هذا النوع من التطرف في الثورات الاوربية التي جاوزت الحد تطرفا وغلواً ، كالثورة الفرنسية مثلا، حتى ان البلشفية نفسها أخذت أخيراً تتلمس طريق الاعتدال شيئاً فشيئاً ، فالمسلم الخارج على الاسلام وتاريخه وثقافته ولغته ، ترى في نزعته من الغلو أكثر مما ترى في عشرة أو عشرين أو مائة من الذين أظهروا الغلو في «دور الرعب» من الثورة الافرنسية، أو في هذا الدور البلشفي الحاضر .

واذا أريد حصر القضية في أضيق الحدود ، أمكن أن يقال «هل يستمر ضعف الاسلام الحالي أو تنقلب حاله الى القوة الصحيحة » ؟

واذا أريد حصر أسباب التأثير وعناصره في أقل الكلام ، أمكن أن يكون ذلك على هذا الوجه :

١ : مطبوعات مصر على اختلاف أنواعها ودرجاتها

٢ : المطبوعات الاجنبية التي ترد من أوربة بطرق شتى . وهذا النوع من المطبوعات (وإن كان يرد بلغات أجنبية ويطالعه فريق قليل من أبناء هذه البلدان) تأثيره واسع المدى لاقبال النشء على الكتب الاجنبية والنظر فيها والنقل والاقتباس منها ، زد على هذا أن هذا الفريق يجري على طريقة التلقيح الفكري أي انه متى قرأ شيئاً في كتاب أجنبي أو اطلع على رأي غريب، ولا سيما متى كان لتلك المادة علاقة بالشعوب الاسلامية ، أو بالاسلام ، او بالتاريخ الاسلامي ، أو بالانقلاب الحالي ، سارع الى نشرها في الجمهور ، تحت ستار العلم والمعرفة .

٣ : «روتر» و «هافاس» وما ادراك ماروتر وهافاس ؟ هما الوسيلتان اللتان تجبران القاريء أن يتلو بلهفة وتعطش نبأ سباق الكلاب في بلاد الانكليز، ونبأ الفرقة التي فازت في لعبة الفوالف ، ونبأ خروج القطار عن الخط الحديدي في أقصى شمال اوربة ، من حيث تحرمان القاريء أن يطلع على كل شيء فيه اظهار الحقيقة من ظهور حركات صالحة في الاسلام وقيام جماعات أو افراد أو زعماء بنهضة قومية أو وطنية على وجهها الصحيح ، واذا نخلت جميع الانباء التي يطيرها روتر وهافاس من الشرق الى الغرب ، وجد أن الكثرة المطلقة من تلك الانباء قلبت رأساً على عقب أو شوهت او صرفت عن معناها الحقيقي ، او ألبست لباساً غير لباسها .

٤ : المدارس الاجنبية، وخبر هذه المدارس والقائمين بأمورها والعاضدين لها خبر طويل معلوم عند الجميع ، وسيأتي شيء من الكلام على هذا .

***

النقد العصري وتأثيره في العالم

ومن الضرورة بمكان من الوجهة العلمية الصرفة ان نلم بحقيقة كبيرة منتشرة في ارجاء العالم بعد الحرب العامة ، وهي ان النقد بجميع ضروبه ومختلف انواعه، هو على الاكثر نقد هادم ناقض ، لا نقد انشائي بنائي . ويراد بكلمة (نقد)

جميع مايخرج من الآراء في المطبوعات المتنوعة ، وما يجاهر به جماهير الكتاب السياسيين وغير السياسيين ، مما يدل على السخط والنقمة والتبرم ، ومما يبعث في جو العالم روح الانتقاض وطلب التبديل والتغيير ، ومما ينفث في شرايين الفكر الانساني حب التطور على وجه السرعة والانفلات من الماضي .

إن هذا النوع من النقد الهادم الناقض على هذا الوجه ، قد تفشى في أكثر مناحي الحياة الاجتماعية والادبية بعد الحرب فضلا عن السياسة . حتى ان الامم التي هي أعرق أمم الارض في التقاليد الموروثة ورعاية السنن القديمة في أصول حياتها ، قد هبت عليها عواصف كثيرة من هذا النوع واجتاحت من قواها الاجتماعية ماليس بالقليل .

والسبب الاول في حصول هذه الظاهرة الكبيرة من النقد الهادم بعد الحرب العامة ، هو ان الحرب الكونية قد أورثت نفسية الامم شيئاً كثيراً من الكرب والضعف ، وخرجت نفسية افرد من الحرب وهي على نصيب وافر من التمرد والعصيان على انظام القديمة التي كانت منذ زمن بعيد ولم تزل هي الاصول التي تتغذى منها الامم في حياتها الاجتماعية، ولم يقتصر أمر التأثر بهذه الروح الهادمة على الامم التي اشتركت في الحرب واكتوت بجمرة مصائبها . بل شملت تلك الروح أغلب العالم على الاطلاق ، ولكن على تفاوت بين أمة وأخرى .

وليس من الصعب أن يلمس الانسان روح هذا النقد الهادم في كثير مما تخرجه المطابع في الشرق والغرب ومما ينشره كثير من المنتظمين في سلك رجال الفكر والرأي في العالم . والامم من حيث حب تقليد ضعيفها لقويها في مناحي الحياة ؛ تجري على سنة اجتماعية كما وصفها ابن خلدون وأسهب في الكلام عليها .

وليس من الصعب أن تدرك السبب الحقيقي فيما ظهر الى اليوم وفيما قد يظهر في مصر من آراء التطرف الهادمة وضروب النقد الناقضة لاصول القديم برمته ، والداعية على وجه الغلو الشديد الى قلب النظام الاجتماعي في مصر والعالم العربي المجاور . على ان الفرق الجوهري بين ما ظهر في جو مصر من هذا النوع من النقد الملبس لباس العلم على غير سداد وحكمة ، وبين النقد الذي في أوربة ، هو أن النقد المصري يجب أن يعتبر فيه شيئان وهما :

(أولا) ان هذا النقد ولا سيما الذي ظهر ثورة وانتقاضاً على تراث المدنية الاسلامية بوجه الوضوح والصراحة ، هو نقد تقليدي في مصر، ولنشاط العاملين

على هذا النقد هو نشاط تقليدي للنقد الشائع في العالم عامة ، فكما ظهر في البلدان التي ليست هي في المرتبة الاولى من المدنية والحضارة جماعات دعت الى الهدم بدعوى فناء القديم ووجوب مماشاة الجديد ، فكذلك ظهرت في مصر دعوات مثل تلك وعلى غرارها . أضف إلى هذا ان جمهرة المتعلمين من المصريين يحملون نزعة الثقافة الفرنسية موسومة بذلك الميسم الخاص ومن المعلوم ان الامة الفرنسية تختلف عن غيرها اختلافات جوهرية لا محل لذكرها الآن .

(ثانياً) ان الجماعات الداعية الى الهدم والنقض في البلدان الاوربية وغيرها هي على الاكثر منغمسة في درس ماضيها وحاضرها ومستقبلها بمعنى ان الجديد الذي يطلبونه والنظم التي يريدون نقضها وإحلال غيرها محلها ، كل ذلك يقولون فيه انه مكسب لهم القوة والملاءمة العصرية لحياتهم هـذه لان نظمهم التي يثورون عليها قد بلي أكثرها أو بليت كلها بحيث ان الحياة اليوم لا بد لها من خلع القديم وارتداء الجديد ، وهم في ذلك على تفاوت ودرجات .

وأما النقد الذي ظهر في مصر الى اليوم انتقاضا على الموروث من الثقافة العربية الاسلامية أدباً وتاريخاً واجتماعا ، فهو انتقاض مذهب للقوة في مجموع الأمة المصرية نفسها والامم التي تقلدها في العالم العربي الاسلامي . حتى ان الغالين من الناقدين المصريين يدعون الى الثورة فوراً على النظم الاجتماعية وعلى قتل الثقافة الموروثة ، فهم بهذا عاملون على افناء القوة التي في الأمة المصرية وفي الامم الأخرى دون أن يكون من الممكن ايجاد قوة أخرى تحل محل القوة المنتقض عليها ، وهذا النوع من الانتقاض تنافيه مصالح هذه الامم في حياتها الاجتماعية والثقافية ، ثم ان العلم نفسه لم يظهر الى اليوم أنه معوان لأولئك الناقدين فيما يدعون اليه ويعملون له .

***

بعد هـذا ينبغي لنا أن نسأل في وسط هذا الانقلاب ، هل هو واصل الى الروح الدينية فيحدث فيها ايها أو جروحا وثغرات في مواضع ، ويصادمها مصادمة عنيفة في مواضع أخرى ، جرياً مع التيار الانقلابي الحادث في أوربة ؟

من الواجب أن نتدبر بغاية العناية حقيقة الانقلاب الروحي في أوربة وأمريكا ، وأن نعرف مسيره ، ونستكشف من ذلك مصيره ، بما يظهر في التيارات الحالية من نزعات واتجاهات ظاهرة فيها الادلة والبراهين . وأما المسارعة الى الاكبار والاعظام لكل نزعة ينشرها مقلد تارة تحت لباس العلم ، وأخرى لحب الشهرة والظهور ،

وأخرى انسياقا بعامل حب الهدم والتخريب ، فهذا ليس من شأنه أن يجعل الانقلاب الحالي في هذه البلاد والبلاد المجاورة يسير سير صحة وسلامة الى مستقر الخير والنجح . والحكمة تحتم علينا أن نزداد خبرة وتبصرة بالحال، فكما ان المريض الذي يتثاقل عن الأخذ بأسباب علاجه يسبب لدائه تمكينا، فكذلك السكوت والصمت والتهاون والجبن في هذه الايام إزاء الاضرار التي تدس في نواحي النهضة الحالية موجب لاستشراء الداء ، وسيحل بكثير من الاقوام الندم ولات ساعة مندم .

ونظرة عامة نلقي على الحالة الانقلابية الروحية اليوم في أوربة وأمريكا — على شريطة أن نلقي هذه النظرة على ضوء العلم ومصباح الحقيقة بعيدة من المكابرة وبريئة من العاطفة الكاذبة — تكون معوانا كبيرا لنا في أن نتفهم الحقيقة كما هي ، ويسهل علينا بعدئذ القياس ووضع الشيء في محله .

العالم النصراني وتأثير الحرب فيه

إن تقسيم العالم المسيحي اليوم الى كاثوليكي أو لاتيني، وبروتستانتي، وأرثوذكسي، ليس تقسيما مسلحاً بحدود منيعة تمنع انسياب العوامل الجديدة من قسم الى آخر، بحيث ترى النزعات الجديدة في المسيحية تهب في بلد ثم تنتشر في كثير من اصقاع العالم المسيحي دون تهيب الحدود الكاثوليكية أو البروتستانتية أو الارثوذكسية .

لما فتقت ريح الحرب العامة ، وهاجت في أوربة روح الدفاع الوطني، وجدت الكنيسة نفسها أمام تيار جارف يدعو الى الحرب والقتال ، وهي تدعو الى السلم والوئام . ولكن سرعان ما طأطأت الكنيسة رأسها الى نفير الحرب فتحولت منابرها عن الدعوة الى عبادة الله، الى دعوة التجند والدفاع عن الحدود الاقليمية للوطن .

ولما ألقت الحرب بكلكلها ، وصارت الالوف والملايين تجندل في الأراضي الاوربية ، صارت الكنيسة ترافق الجيش وتذكي فيه القوة الروحية ، فأصبح الجندي يقاتل وأكثر ايمانه انه يقاتل في سبيل غاية قدسية هو مجاهد فيها، وعدوه كافر مبطل . ولكن على كل حال مالبثت الكنيسة أن وجدت أن القوة الروحية في الجيش واهية متزلزلة الى حد بعيد ، فقامت «الكنائس الحرة» في بلاد الانكليز بامتحان واسع النطاق في الجيش، لتعلم مقدار مافي نفوس الجنود من إيمان وعقيدة ، فكانت النتيجة ان تلك القوة ضعيفة وأن ضعفها كان قد بدا من قبل الحرب العامة : ثم قامت الكنيسة سنة ١٩١٦ بتأليف لجان كنسية سمتها « لجان التوبة والامل » لتمتحن القوة الروحية في الشعب أيضاً فكانت النتيجة فيه مثلها في الجيش، وقد أصدرت

الكنائس كتابا في نتائج عملها هذا ضمنته تفاصيل ماقامت به من العمل والامتحان .

ثم لما وضعت الحرب أوزارها ، وصار الناس يتوقون الى أن يعودوا الى حالة الاستقرار الروحي والنفسي ، رأوا انهم طلبوا الزيادة فوقعوا في النقص ، فاذا بظواهر الضعف الروحي تتفشى في أوروبة وأمريكا ولم يكن الامر مقصوراً عند هذا الحد بمعنى ان هذا الضعف الروحي كان عارضاً لم يحدث أثراً سيئاً في العالم ، بل رافقه ماهو أكثر هولا ، وهو ان ظواهر الضعف الروحي رافقتها ولم تزل ترافقها حالات الضعف الخلقي مرافقة قوية الفعل والعمل ، كأن ظواهر الضعف الروحي اذا وجدت وصارت تعمل في المجتمع عملها المطلق بلا قيد ، لابد أن تكون ظواهر الضعف الخلقي والادبي متفرعة عنها أو مبنية عليها بناء النتيجة على المقدمات . وقد ذكرت الكنائس الحرة في بلاد الانكليز أن من اكبر الاسباب في هذه الظواهر بنوعيها - الضعف الخلقي والضعف الروحي - هي أولا: الهجرة من الاقاليم الى المدن ، فتحمل هذه الهجرة أربابها على الانغماس في ملذات ماألفوها من قبل، فيعكفون عليها ويقترفون منها ماشاءت شهواتهم واحتملت أجسامهم وأطاقت أبدانهم. أضف الى هذا ماهنالك من ضائقات اقتصادية بضيق الخلق منها، ولاسيما اهل الطبقات الوسطى والعاملة، وضيق الخلق يدفع بصاحبه الى ماهو شر من ضيق الخلق. ثانياً: كثرة الملاهي وتنوعها وانتشارها على وجه كثير الاغراء والاستمالة بحيث لايحتاج الناس الى كثير من ضبط النفس عند مقاومتها فيقبلون عليها وتكون صارفة لهم عن رعاية الحرمات والاخذ بحالة الاقتصاد . ثالثاً: ماسمته الكنائس الحرة « روح العصر » وهو جميع مافي هذا الدور من أسباب ووسائل وحالات تسهل حصول ظواهر الضعف الروحي والخلقي في الشعوب الاوربية .

***

في سنة ١٩٢٦ وضعت جريدة الناشن « The Nation » وجريدة الديلي نيوز « Daily News » أربعة عشر سؤالا بمعرفة أربعة من فحول العلماء الانكليز، منهم برنارد شو الذائع الصيت ، ونشرت الجريدتان هذه الاسئلة طالبة من القراء الاجابة عليها . فأجاب عن أسئلة الناشن ١٨٤٩ قارئا ، وعن أسئلة الديلي نيوز ١٤٠٥٣ قارئا ثم استخرجت النسبة المئوية من الاجوبة فكانت النتيجة تدل على ان الاعتقاد بالمسيحية اعتقاداً خالياً من الالحاد ، والاعتقاد بألوهية المسيح ، لم يزل قائما في نفوس الكثرة من الامة الانكليزية . وقد كانت هذه الكثرة

سبعين بالمائة . وقال الذين تولوا هذا العمل انه لو وجهت هذه الاسئلة منذ خمسين سنة أو عشرين سنة على الاقل لـكانت الكثرة مطلقة لا تقل عن تسعين بالمائة . وقالوا أيضاً انه مع بقاء الكثرة من الامة على العقيدة في الدين ، فان الضعف الروحي ملحوظ جداً وهو يزداد ذيوعا وانتشاراً . ولما كانت هذه الاسئلة التي وجهت الى الامة الانكليزية بلسان جريدتين من أهم الجرائد الانكليزية ، وكان الذين أجابوا عليها ليسوا من سواد القوم ، بل هم من صفوة الامة الذين يقام لهم وزن ، كان من المفيد أن نعلم هـذه الاسئلة بالضبط لندرك منها حقيقة من اكبر الحقائق الساطعة وهي ان الضعف الروحي في أوربة دليل على المرض والعلة ، لا على الصحة والسلامة ، وان الامم التي ظهر فيها هذا الضعف بعـد الحرب أخذ القلق يساورها ، والمشكلات الخانقة تزداد استفحالا فيها ، ومن ذكر بعض المذاهب الناشطة للعمل اليوم في أوربة وأمريكا تزداد هذه الحقيقة وضوحا .

(الاسئلة)	(الاجوبة) الناشن نعم	لا	فراغ	الدايلي نيوز نعم	لا	فراغ
١ ـ هل تعتقد بإله مجسد ؟	٤٠	٥٥	٤	٧١	٢٦	٢
٢ ـ هل تعتقد بقوة مجردة غير مجسمة لها قصد وغاية ولها استطاعة الخلق والابداع بحيث ان المخلوقات المشهودة هي من آثارها؟						
وهل تعتقد ان الحياة كناية عن قوة نشوئية ؟	٣٩	٤٨	١٣	٣٣	٤٦	٢٠
٣ ـ هل تعتقد أن المادة هي أساس الحقيقة ؟	٢٧	٥٧	١٥	٢١	٥٩	١٨
٤ ـ هل تعتقد بخلود النفس ؟	٤٣	٤٧	٨	٧٢	٢٢	٥
٥ ـ هل تعتقد ان المسيح ذو ألوهية بمعنى أنه لا يمكن أن يقال إن جميع الناس هم ذوو ألوهية كألوهيته ؟	٣٥	٦١	١	٦٨	٢٩	٢
٦ ـ هل تعتقد بشكل ما من أشكال الكنيسة ؟	٥١	٤٣	٥	٧٥	٢٠	٤
٧ ـ هل تعتقد بمذهب الرسل أي تلاميذ المسيح ؟	٢١	٧١	٧	٥٣	٣٦	١٠
٨ ـ هل تعتقد بالمذهب الذي ترسمه الكنيسة ؟	٢٤	٦٨	٧	٥٢	٣٧	١٠

	الناشن			الدايلي نيوز		
	نعم	لا	فراغ	نعم	لا	فراغ
٩ ـ هل أنت عضو عامل في إحدى الكنائس؟	٤٣	٥٥	١	٦٢	٤٣	٢
١٠ ـ هل تذهب الى الكنيسة ذهابا مداوماً من تلقاء نفسك ؟	٤٣	٥٥	١	٧١	٢٧	١
١١ ـ هل تعتقد ان الاصحاح الاول من سفر التكوين تاريخي ؟	٦	٩١	٢	٣٨	٥٣	٨
١٢ ـ هل تعتقد أن التوراة موحى بها بمعنى انه لا يمكن أن يقال ان كتب الادب في بلادك موحى بها كالتوراة ؟	٢٩	٦٨	٣	٦٣	٣٣	٣
١٣ ـ هل تعتقد باستحالة العشاء الرباني الى لحم ودم كأنه من جسد المسيح ؟	٤	٩٣	٢	١٠	٨٦	٣
١٤ ـ هل تعتقد ان الطبيعة لا تبالي بما عندنا من معالي الافكار والمثل العليا ؟	٥٨	٢٣	٤٨	٤	٣٥	٢٣

فظهر من هذه الاسئلة والاجوبة على معدل النسبة المئوية ان عدد المعتقدين بالمسيحية إجمالا هم أكثر من الذين على مذهب خاص من مذاهبها . على حد قول من قال ، ان المتدين لا يتمذهب .

***

المذاهب الدينية الحديثة والقديمة في الغرب

والآن لابد لنا من أن ننظر الى التيارات الكبيرة ، والمذاهب الكبيرة العاملة في الانقلاب الديني في أوربة وأمريكا ، ولنعلم على وجه الحقيقة والضبط ما يبد كل مذهب من تلك المذاهب من قواعد وأسس ، وما يرمي اليه من غاية وقصد ، كل ذلك مضافا الى المسيحية قربا وبعداً . وهذه التيارات والمذاهب كما يلي :

أولا — العصريون Modernists

ثانياً — الاصوليون Fundamentalists

ثالثاً — الروحانيون Spiritualists

رابعاً — أهل العلم المسيحي Christian

خامساً — الكاثوليكية البابوية Scientists

١ — ﴿ العصريون ﴾

هم فريق كثير العدد والانتشار والذين ينتحلون عقائده يزدادون على التوالي، وهذا المذهب كان قبل الحرب العامة ، ولكن بعد الحرب تجددت قواه كثيراً وهو أكثر انتشاراً في الولايات المتحدة الاميركية وبلاد الانكليز . والقواعد الجوهرية في هذا المذهب هي:

ا — إن الحياة تزداد قيمتها من حيث هي حياة ذات جهاز حي ، ويجب أن تكون قيمة الدين ظاهرة من الوجهة العملية المحسوسة لا من وجهة العقيدة فقط

ب — ان قيمة الحياة الدنيا انما هي من أجل الحياة الدنيا نفسها غير معلقة على أمل الحياة الاخرى .

ج — ان العقل من الوجهة الدينية كان مقيداً فيما مضى، أما اليوم فيجب أن يكون مطلقاً حراً عاملا في نطاق الشخصية الانسانية .

وأصحاب هذا المذهب يتخذون الوسائل الآتية لنشر مذهبهم واعزاز قواعده في الناس :

ا ـ نشر البر والاحسان في جميع الطبقات ايماء الى أن الدين هو في العمل لا في القول.

ب ـ عضد الكنيسة في تحريم المسكرات .

ج ـ الوساطة في حل المشكلات العامة التي تمني بها الطبقات العاملة مثلا .

د ـ الاستيلاء على الطبقات العاملة بطريق الاشتراك معها في تمريضها وحل مشكلاتها

هـ ـ الاستعانة بالوعظ الكنسي العام لنشر هذه المبادىء والتبشير بها .

٢ — ﴿ الاصوليون ﴾

أصحاب هذا المذهب هم في الولايات المتحدة أكثر منهم في بلاد الانكليز . وهذه الحالة هي عكس حالة العصريين الذين هم في بلاد الانكليز أكثر منهم في الولايات المتحدة . وأهل هذا المذهب يختلفون عن العصريين اختلافا بيناً ، لا بل يمكن أن يقال ان الفريقين على حدين متقابلين بعيد ما بينهما ، وهذا يتضح بايراد ما عندهم من قواعد وأسس وهي :

ا — قبول التوراة بحوادثها التاريخية كما وردت فيها .

ب — أخذ التوراة بمعانيها الظاهرة بلا تأويل .

ج — رفض الآراء المناقضة للتوراة كرأي النشوء والارتقاء .

د — الرجوع الى عقيدة الاسلاف أهل القرن السابع عشر الذين هاجروا

من انكلترا الى أمريكا أيام الضغط الديني. ويظهر من إمعان النظر في القواعد التي عليها أهل هذا المذهب انهم أصحاب رجعة الى العقائد المسيحية دون أن يقبلوا تسليط أي قوة من القوى العلمية الحادثة على تفسير ماورد في التوراة من أنباء وأخبار. وهم يعضدون مذهبهم هذا بشيء من الرأي الفلسفي اكتسب قوة بعد الحرب، فهم يقولون ان استناد الانسان الى العقائد الثابتة، في وسط كثرت فيه المصائب وعمت البلايا، هو أهنأ للنفس والروح، وأنشط للقلب والعزيمة، وأطرد للجزع والخوف، فالرجل يجد في اعتصامه بالعقيدة الثابتة ذلك النوع من الطمأنينة العذبة والاستراحة المنعشة، وأما اذا استولت على المسيحي الشكوك والريب في مثل هذه السنوات بعد الحرب، والشدة والازمة ماهما، فيزداد قلبه اضطرابا ونفسه هلوعا، فيحل به التلاشي والانحلال. ولذلك هم يقولون بأنه خير للمسيحي أن يحمل على اعتناق العقيدة آخذاً بها مرة واحدة، فاذا أخضع هذه العقيدة لقوى التفسير والتأويل بما يناقضها أحيانا ويضعفها أخرى يزداد أمره بلوى وحيرة

والوسائل التي بيد أهل هذا المذهب كادوا يكونون فيها منفردين، والى نوعها سابقين، إذ هم فيها يشبهون أصحاب الاحزاب السياسية التي تود الاستيلاء على الحكم والسلطان من طريق تكثير السواد والحصول على كثرة نيابية، كذلك يفعل هؤلاء الاصوليون فهم يسعون الى تكثيف سوادهم، وتكوين كثرة نيابية في الولايات التي كثرت فيها جموعهم، ثم هم بعد ذلك يريدون استنان الشرائع والقوانين الرسمية المؤيدة لمذهبهم، والمقاومة لمخالفيهم، وهم الذين قاموا منذ سنتين تقريباً بمحاولة منع تدريس رأي النشوء والارتقاء في إحدى الولايات الاميركية.

٣ — ﴿ الروحانيون ﴾

كان علم الروح في أول هذا القرن ضئيل الشأن جداً، حتى ان الجمهرة من علماء النفس ما كانوا يحفلون به ولا يقيمون له كبير وزن. ففي سنة ١٩٠٤ نشرت طائفة من الصحف الكبرى أسئلة طلبت فيها من الجمهور أن يبدي رأيه فيما كان وقتئذ لعلم الروح من مباحث سيارة وآراء منتشرة، فكانت الاسئلة دالة على ان الجمهور لا يعبأ كثيراً بذلك العلم وما اليه. ثم ان سير هذا العلم بعد مفتتح القرن العشرين كان ضعيفاً بطيئا حتى جاءت الحرب العامة فوراً، ووقع تأثير ماجرته من المصائب والبلايا موقعاً عميقا في نفوس الامم الاوربية. فذهل الناس، واشتدت الحيرة وساد القلق، وكانت الالوف وعشرات الالوف تنقلب من على ظهر الارض

الى جوفها مابين عشية وضحاها، فوقعت النفس البشرية في ضنك ماروى له التاريخ مثلا . وقد كان من طبيعة الحال أن صار الناس يتساءلون ما الموت؟ وكيف يحدث؟ وما حقيقته؟ وهل تلك الالوف المؤلفة من الرجال ماتت حقيقة ميتة لا رجوع بعدها؟

هذه صفة الحال في وسط الحرب سنة ١٩٠٦ فاذا بالسير أوليفر لودج شيخ علماء الروح في هذا العصر ـ وهو عالم كبير في ضروب العلوم الكونية على الاطلاق ـ يباغت أوربة بكتابه الذي أخرجه تلك السنة موسوماً ب « ريموند » . وفي هذا الكتاب جال صاحبه في عالم الروح والمخاطبات الروحية جولة كبيرة لم يظهر مثلها من غيره بعد . وهو كان له ابن تجند في الجيش وقتل ، وذكر السر أوليفر لودج في كتابه ان روح ابنه خاطبته بواسطة الوسيطة مسز ليونارد ، ثم تجدد لعلم الروح شأنه الكبير ولم يزل يعلو وينتشر كما نرى الى هذه الساعة . والاحوال التي يذكر الاصوليون أنها هي السبب لجعل الانسان يستند الى العقيدة الثابتة ، هي الاحوال المفعمة بالضنك والضيق ، التي ساعدت علم الروح في انتشاره الحديث ، لما صادف هذا العلم في النفوس المضطربة القلقة على إخوانها المفقودة ، من ارتياح الى تعليلاته في إمكان مخاطبة الارواح الغائبة .

هذا ما يقال على الاجمال في نشأة هذا العلم ومسيره . أما مؤتمر الاساقفة سنة ١٩٢٠ فقد أعلن الحرب على هذا العلم بلسان أساقفة كنتربوري ، بدعوى أنه ضلال شديد لانه يخضع العقل والارادة لقوة مجهولة .

٤ — ﴿ أهل العلم المسيحي ﴾

العلم المسيحي ـ وهو مذهب يبدو اسمه غريباً لاول وهلة ـ هو طريقة حديثة في المسيحية قائمة على أساس مشترك بين التصوف وتعاطي العلاج النفساني والجسماني بوسيلة العقيدة فحسب ، دون الالتجاء الى شيء من العقاقير الطبية ، أو تشخيص الطب لماهية العلل والامراض . وقد سمي بالعلم المسيحي لان من أساس العقيدة فيه التوسل بمعرفة التوراة والانجيل الى الفناء في المسيح طلباً للخير والشفاء من العلة والاقتداء به في حياته .

إن الذي أسس هذا المذهب هو سيدة أميركية اسمها مسز ماري بيكر كلوفر أيدي.

Mrs. Mary Baker Glover Eddy

ولدت في اماريكة سنة ١٨٢١ وتوفيت سنة ١٩١٠ وفي سنة ١٨٤٣ تزوجت من الكولونيل كلوفر الذي توفي بعد سنة من زواجهما . وفي سنة ١٨٥٣ تزوجت

من دانيال باترسون ودامت حياتهما الزوجية عشرين سنة ، ثم طلقها سنة ١٨٧٣ ، وفي سنة ١٨٧٧ تزوجت لثالث مرة من الدكتور آسا جيلبرت أيدي وكان هذا الرجل آخر رجل تزوجته ومات سنة ١٨٨٣ . هذا ملخص حياتها الزوجية وقد عاشت حياة طويلة ، تسعين سنة .

وفي سنة ١٨٦٧ أظهرت للناس مذهبها وهو الشفاء بواسطة العقيدة العقلية بانية تعاليمها على التوراة وعلى أساس أن جوهر طبيعة الانسان هو جوهر روحاني ، وان روح الله هي المحبة والخير ، وان الشر المعنوي والشر المحسوس هما ضدان مقاومان لروح الله ، ووجودهما في الانسان دليل على ان نفسه خالية من الروح الحقيقية التي كانت في المسيح ،

وهي تقول ان ليس هناك إلا عقل واحد وإله واحد ومسيح واحد ، وليس هناك مايعد حقيقة إلا العقل . وإن المادة والمرض مما عارض موهوم تمكن إزالته إزالة تامة بقيام العقل قياماً حسناً بمعرفة الله والمسيح ، ومن هنا غلبت تسمية هذا المذهب بالعلم المسيحي . وفي سنة ١٨٧٦ بعد أن كان هذا المذهب قد عرف أمره وشاع ذكره ، وعمت أصوله ، واقبل جمهور كبير من الناس عليه ، أسست صاحبته « جمعية العلم المسيحي » ودعت الناس الى الدخول فيها والسير على مبادئها وكانت المؤسسة قبل ذلك التاريخ بسنة واحدة قد وضعت كتابها الموسوم ب« العلم والصحة » وهو الكتاب الذي أصبح اليوم لانجيل المرعيّ عند أهل هذا المذهب ، وطبع عدة مرات ، وقرأه كثير من الناس ، وفيه فصلت مسز أيدي أصول المذهب تفصيلا كافياً .

وانتشار هذا المذهب كان سريعاً جداً كما يدل على هذا الاحصاء التالي :

سنة ١٩١٠ كان لهذا المذهب ١٢٠٧ كنيسة ، منها ١٠٧١ في أمريكا و ٥٨ في بلاد الانكليز
» ١٩٢٠ » » ١٨٠٤ » ٤٤٩٠ » و ٩٨ » »
» ١٩٢٦ صار مجموع الكنائس في البلادين ٢١٥٠ كنيسة
» ١٩١٤ التي ٥٠٠ خطاب على ١٦٠٠٠٠٠٠ من الناس
» ١٩٢٦ التي ٣٤٢٣ خطاباً على ٢٦٦٦٩٨٨٩ من الناس

ومما هو جدير بالنظر والمقارنة بين العلم المسيحي والمذهب الروحاني ، إن العلم المسيحي نشط من أول الحرب في الوقت الذي عمت فيه البلوى الجمهور من كثرة الموت في ساحات القتال : وكان نشاط هذا المذهب ولم يزل معاصراً لنشاط

المذهب الروحاني وبينهما فرق بعيد . فالمذهب الروحاني يقول ان الموت لا يذهب بالروح الى حيث لا تعود بل من الممكن ان تخاطب الروح عن طريق الوسيط ، فتجد النفس القلقة شيئاً من الارتياح الى هذا . ويقول العلم المسيحي ان هذا الموت الذي تحارون فيه لا قيمة له وليس هو حقيقة وإنما هو عارض ، فاذا اعتقدتم في حياتكم ان المرض والالم وهمان يزولان بالاستمساك بالعقيدة الانجيلية ومعرفة المسيح ، فالموت الذي تخافونه بعدئذ لا تنالون منه ضرراً ، وليس هو بشيء يهلع له قلوبكم .

وقد انتشر هذا المذهب انتشاراً كبيراً في فرنسا والمانيا وإيطاليا والدانيمرك واسوج ونروج واسبانيا والروسية وهولاندة واليونان . وسنتا ١٩٢٣ — ١٩٢٥ كانتا زمن الفوز الاكبر لهذا المذهب .

٥ — ﴿ الكاثوليكية البابوية ﴾

ذكرنا قبل الآن ان الكنيسة الاوروبية على الاجمال انقلبت عندما نادى منادي الحرب سنة ١٩١٤ من منابر وعظ وإرشاد الى منابر الدعوة الى الكفاح والجهاد ، والمعني بالكنيسة الاوروبية على الاغلب في هذا القول الكنيسة البروتستانتية وغير البروتستانتية مما انكمش ضمن الدوائر الاقليمية ، وخضع خضوعاً تاماً لفكرة الدفاع الوطني ، وصار يبث روح الحرب في الجند بداعي ان القضية التي جرت المدافع من أجلها واستلت السيوف من أغمادها ، انما هي قضية مقدسة من جهة ذلك الوطن . وأما الكرسي البابوي فقد اتخذ نهجاً سلمياً لسياسته ازاء الحرب وويلاتها ، وسارع البابا الى إظهار الدعوة التي ينادي هو بها من زمن طويل وهي السلم المسيحي وتأييد الاخوة . ولم يتخذ الكرسي الرسولي لفكرة الدفاع الاقليمي عن الاوطان الاوروبية بمعنى استعمال الساحة الكنسية الأبيونة أو روحيه الحربية في الجيوش الاوروبية .

ومذ انقلبت الارض الاوربية الى حفرة من النار وساحة من الدماء ، أخذ البابا ينادي السلم السلم ، فلا يسمع له صوت ، فينادي الصلح الصلح ، فلا يفلح ، فينادي الرفق بالاسرى ، حجب الدماء ، اغاثة الملهوف ، وما الى هذا من تخفيف البلاء اذ لا سبيل الى إزالة البلاء .

حتى ان الدولة الايطالية لم تستفد من الكرسي الرسولي في الحرب كما استفادت انكلترا من كنائسها ولا كما استفادت كل [illegible]

[illegible]

فلما انجلت الحرب ، فاذا بالكرسي البابوي تنتشر هيبته ، لا في أصقاع العالم الكاثوليكي فقط بل في البروتستانتي ايضاً . واذا بتلك المباديء السلمية التي كان يدعو اليها البابا وقت الحرب تصبح من المثل العليا في أعين الامم الاوروبية التي صارت تتوق بملء نفسها وجوانحها الى تحقيق الطمأنينة والعودة الى السكينة . ثم بعد الحرب ايضاً أعاد الكرسي الرسولي نظره فيما له من أوضاع، وقصاد، ومرسلين في الداخل والخارج ، فافرغ على كل هذا جلباباً جديداً ملؤه النشاط وطلب السعة والانتشار ، فازدادت هيبته ، وعلا مقامه، وقاربت القواعد الاصلية في الكاثوليكية ذلك الشوق المستكن في نفوس الامم المسيحية المتألمة الى الراحة والسكون .

زد على هذا ان الرأي الفلسفي الذي يعتضد به الاصوليون أصحاب المذهب الآنف الذكر، هو رأي يطابق بمعناه القاعدة الكبرى في الكاثوليكية ، من الاعتصام بالعقيدة ، والاخذ بها على ما هي عليه ، دون ان يسلط عليها عامل التفسير والتأويل والتضييق والتوسعة ، فاجتمع للكرسي الرسولي من كل هذا شيء جديد ، هو القوة المنوية والادبية، منتشرة في غالب اصقاع العالم المسيحي. والذي يدعو الى الدهش ، هو ان الكاثوليكية من حيث هي دين ، أصبحت عالية ، مستميلة ، آخذة بالدعوة . حتى ان كثيراً من البروتستانت في بلاد الانكليز يدخلون فيها . وعدد الداخلين في الكاثوليكية يزداد سنة فسنة ، يؤيد هذا احصاء يركن اليه وهو ان في سنة ١٩١٤ كانت نسبة الداخلين في الكاثوليكية من البروتستانت في بلاد الانكليزية سنوياً ٦٥١ نفساً . وفي سنة ١٩٠٧ كانت النسبة السنوية للداخلين في الكاثوليكية في بلاد الانكليز ايضاً ١١٠٦٤ . وقد رأى الكرسي الرسولي ماحصل لمقامه من شأن حتى بلغ هذه الذروة العالية ، فتوسع في سد الحاجات التي في نفوس الامم الاوربية ولاسيما الكاثوليكية ، فاخذ يدعو الى الاصلاح الاجتماعي ومكافحة التطرف الضار في الاجتماعية . وقد مر القول ان الضعف الروحاني الذي بدأ في العالم بعد الحرب العامة رافقته ظاهرة الضعف الخلقي الادبي ، حتى أصبحت مملكة الآداب الخلقية منذرة باخطار هائلة وقد هتك سياجها في مواضع عديدة .

وكل ما نسمعه في هذه الايام من ظهور جهود في إيطالية ترمي الى الاخذ بدرجة الاعتدال في الحرية الاجتماعية ، والاستقرار على الصحيح من الآداب

الاجتماعية ، كمحاربة الازياء الفاحشة وما أشبه ، كل ذلك ان لم يكن من الكرسي البابوي مباشرة فهو صادر بوحي منه وتدبير .

وأكبر السبب الذي حدا بالدولة الايطالية الى عقد المعاهدة الرومانية مع الكرسي البابوي هو أنها رأت ما للبابوية من ذلك المقام الرفيع في العالم ، فتاقت نفس موسوليني الى أن يعتضد بتلك القوة ان استطاع الى ذلك سبيلا وان يجعل له من توسله بذلك الكنف الحصين طريقا الى الفائدة والمنفعة في إيطالية وخارجها

بعد كل هذا البيان ، المعزز بالارقام الاحصائية والادلة الواقعية ، يتبين لنا أجلى تبيان ان العالم الغربي على الجملة مصاب بمحنة الازمة الروحية ، ونزلت به جائحة عامة هي ضعف القوة الروحانية ، للاسباب التي سردناها ، وبعضها كان قبل الحرب فجاءت الحرب وزادته فعلا وعملا ، وبعضها الآخر ولدته الحرب وأورثته الامم جميعاً . وتبين لنا أيضاً أن هناك في أوروبا وأمريكا نزعات متنوعة ، ومذاهب عديدة ، كلها يسارع إلى العمل على النحو الذي تمكن به مؤاساة النفس الاوروبية الجريحة ورد الطمأنينة اليها بحيث تذهب عنها حالات القلق والاضطراب . وغالب تلك النزعات والمذاهب نشأ من الروح المسيحية ليواسي النفس المسيحية بالوسيلة المسيحية . وإذا استثني علم الروح لكونه لا يحمل شارة المسيحية الخاصة فهو من جهة أخرى يطلب الاتصال بالروح ولا ينادي بأن المادة هي كل شيء في العالم .

وإذا كانت جميع هذه الحركات الرامية إلى الاصلاح في حالات النفس والروح والدين تنشأ في الاقطار الاوروبية والاميركية ، فمعنى ذلك أن القائمين بتلك الجهود وأصحاب تلك المذاهب هم يعتقدون أن مداواة النفوس بطريق الدين أنجع ما يمكن عمله . وهم لم يطرقوا في جهودهم هذه أبواب رجال السياسة ، ولا الملوك والامراء ، ولا طلبوا من حزب سياسي شيئا ، بل انقلبوا بمجموع ما في أيديهم من قواعد وأصول ومباديء إلى النفس المسيحية يداوونها ويعالجونها على النحو الذي تقدم .

فهل الحركات التي طفت في بلادنا — ولها مريدون وعمال ووسائل وطرق وأساليب ، هي من حيث استقرارها على برهان علمي — ملائمة لنفسية هذه الامم التي تقطن مصر وسورية والعراق وفلسطين والجزيرة ؟ أوهي تصادم ما في نفسيات هذه الامم من دين وعقيدة وإيمان ؟ الجواب : إن تصادم ذلك لا يكون عسيراً

وحالتنا الحاضرة يجب أن يظهر فيها منطق اجتماعي يأمر بالمعروف فيما هو مبق لهذه الامم في هذه البلدان قوتها الروحية وكيان ثقافتها وتاريخها ولغتها .

***

افساد المدارس الاجنبية في البلاد العربية

شر القوى المسلطة على النفسية العامة في هذه البلدان هي المدارس الاجنبية بمختلف علاماتها وأنواع جمعياتها التي تنتمي اليها ، ولا فرق بين التبشيري منها وغير التبشيري ، والسواد الاعظم منها هو تبشيري على كل حال .

هذه المدارس هي مراكز مسلحة بأحدث آلات الافساد ، وعملها في الغارة على الامة ونشئها لا يقل بوجه من الوجوه عن الغارة العسكرية الحربية ، بل غارة المدارس الأجنبية أقتل وأنفذ ، واستر عن العين ، وأخبث وسيلة ، وأكبر شراً ، فاذا كان ابن الثلاثين أو الاربعين فما فوق يؤدي للاجنبي الضريبة المالية الفاحشة ، والاعشار من نتاج الارض ، ويخنع للقوانين الجائرة ، (فهو) يفعل كل هذا ولكن يبقى له دينه وتقاليده ، وما ورثه من آبائه وأجداده من عزة نفس ، وكرامة ، وشمم ، وإباء . وهو يرى هذا العصر قد طغت فيه الخبائث وغارت الفضيلة لشدة ما رميت به البلاد من المهالك الاجنبية ، السالبة لكل عزة وكرامة ، ولكنه عندما يجول في خاطره مظهر الشرف القومي الكامل ، يصعد الزفرات من بين حنايا ضلوعه ، وينتفخ وجهه حسرة وألماً ، هذا ما يفعل اليوم ابن الثلاثين أو الاربعين .

أما الناشيء ، والحدث ، والشاب ، الذي لم يشب عن الطوق بعد ، أو شب عنه بعد الحرب العامة ، والذي يدخل المدارس الاجنبية ، المجهزة بكل الوسائل المدرسية للاستيلاء على عقول الطلاب ، فهو عندما يدرك الثلاثين أو الاربعين ، أو هو من اليوم وهو لم يزل على مقعد التحصيل في هذه المدارس ، قد انقلب ليس إلى أن يكون عاملا مسخراً للاجنبي يؤدي للمسيطر عليه الضريبة والعشر وما إلى ذلك فقط ، بل هو مسلوب الدين والعقيدة ، فاقد الانفة العربية الصحيحة ، بريء من الثقافة القومية ، تاريخ العرب في نظره قطعة بالية ، وتاريخ الاسلام في رأيه ساقط مكذوب ، والتقاليد القومية يراها ضحكا وسخرية .

على مثل هذا النوع من النشء تعمل المدارس الاجنبية وتعني بتخريج الطلاب من أبناء هذه الامة ، والمدارس التبشيرية الموزعة في البلاد مرتبط بعضها ببعض

ارتباطاً وثيقاً محكماً، بحيث إنك ترى في غاياتها ومراميها ومجالات أعمالها وجهودها مقصداً واحداً وهدفا واحداً لا يتغير.

والمدارس التبشيرية لها من الانظمة ورءوس الاموال، مايحير العقول والافكار، وبعد الحرب العامة دخلت جهود هذه المدارس في دور لم يسبق له مثيل في التنظيم وكثرة الوسائل والارتباط.

وصار أكثر ماتخرجه مطابع الجمعيات التبشيرية الكتب والنشرات والمقالات في استصراخ العالم التبشيري للحملة على هذه الديار حملة صادقة، والمدارس الاجنبية من هذه الوسائل، وهي في المقام الاول، فحرام أن يسلم الوالد ولده والاخ أخاه إلى المدرسة التبشيرية، لتأخذه عدة سنوات، فتتسلمه ولداً صحيحاً بعقيدته وثقافته ودينه، ثم بعد حين ترده إلى أهله وأمته وبلاده ولداً مزيفاً، ما كان فيه قد أخذ منه، وما أعطيه فاسد لا جدوى منه ولا منفعة.

«للمحاضرة بقية»

ماذا يقال عن الاسلام في أوربة

— ٢ —

نشرنا في الجزء الاول تحت هذا العنوان ماترجمه لنا الامير شكيب ارسلان من كتاب (العالم الاسلامي في المستملكات الفرنسية) للضابط (جول سيكار) وننشر هنا ترجمة الفصل الثاني منه وموضوعه للتلميذ النجيب صاحب الامضاء وهذا نصها

احتكاك الاسلام بالمسيحية

(١) هل تنصير المسلم ممكن؟ وهل هو مرغوب فيه؟

إن البراهين مهما تكن قوية جلية الدلالة على تفوق المسيحية تفوقا كبيراً فهي ستلاقي أمامها حتى عند المسلمين الذين لا يستنكفون عن المناظرة (وعددهم قليل جداً) هذا الجواب البسيط: «هذا مخالف لما جاء في القرآن. ومن المعلوم أن هذا الكتاب الكريم» فوق كل مجادلة لانه كلام الله ذاته»

ومع ذلك نقول بأن تنصير المسلم باختياره ممكن خلافاً للرأي الغالب وإن كان أصعب بكثير من تنصير الوثني

وانا نجد لذلك أمثلة قاطعة في الماضي أثبتها التاريخ، وأنا لا أتردد في قبول

النظريات التي بنى عليها رونيه بازان (Bazin) مقدمته القيمة لكتابه (حياة الاب فوكو) : إن الانسان في جملته وعامة أمره يصعب عليه من طبيعته أن يعيش بدون دين ، أو لسنا نرى في كثير من الاحيان تلك العقول التي تتبجح بأنها تحررت من الاعتقاد وصارت تراه وهماً باطلا تسقط - طال الزمان أو قصر - في الشك المطلق أو تحبس في نوع من التصوف الضار كالبلشفيكية أو الشيوعية الثورية ؟ فاذا افترضنا أن المسلم المترقي وصل يوماً ما إلى هذا الحد وصار لا يستمد من إيمانه مايرضي عقله وقلبه ، فلماذا لا نعتقد أن تفوق المسيحية سيستغويه كما استغوى كثيراً من الشعوب ، وينتهي بالميل اليها من نفسه فيعتنق باختياره ديناً كثير الفضل ساعد على المدنية إلى درجة عظيمة ؟ ومن الوجهة الوطنية المحضة أليس الاحسن ترك المسلم يتجه في هذا الطريق من أن نراه يسقط في أحضان المذاهب السلبية أو الضارة (١)

ولا محيد لنا عن الاعتراف بأن أكثر نصارى اليوم ليسوا نصارى إلا بالاسم ، هذا إذا لم يتظاهروا بالردة والكفر ، فلهذا هم لا يؤثرون التأثير المطلوب لجلب اخواننا المسلمين إلى المسيحية (٢)

قال أحد أعيان وهران السيد محمد بن رحال : « إن الاضرار التي يحدثها

---

(١) المنار : ملخص هذه النظرية في إمكان تنصير المسلمين بعد أن ثبت بالتجارب الطويلة أنهم لا يقبلون ديناً يخالف القرآن هي السعي لايقاعهم في الكفر والتعطيل بالتعاليم العصرية ، وبما أن الدين المطلق من الحاجات الفطرية اللاصقة بالانسان وجداناً وعقلا ، وبما أن فقده يوقعه في ضروب من الحيرة والشكوك المظلمة ويهوي به في مهاوي المذاهب الضارة كالبلشفية أو السلبية كاللاأدرية — فاذا وقع المسلم في هذه المضايق المظلمة بعد فقده للاسلام وجهله لتعاليم القرآن الهادية المعقولة يسهل عليه أن يقبل الديانة النصرانية باستغوائه بمزاياها الصورية والمدنية الملزوزة بها لزًّا قهريا التي سماها الكاتب تفوقاً . فلخص النظرية أن المسلم لا يمكن أن يصير نصرانياً مادام يعرف هداية القرآن أو شيئاً منها . وهذا حق سببه أن صاحب الحق الجلي الموافق للعقل والفطرة لا يمكنه أن يترك بإيثار الباطل غير المعقول عليه

(٢) يعني أن النصارى الذين يراد بهم أن يستهووا المسلمين للدخول في جماعتهم ليسوا نصارى إلا بالاسم ومنهم من يتبرأ من هذا الدين ، وفاقد الشيء لا يعطيه فكيف يمكن أن ينصروا المسلمين ؟

عند الاوروبي انحلال العائلة ، وانحطاط الاخلاق ، وشرب الخمور ، ومزاولة الميسر ، والانهماك في الملذات ، والفوضى ، ومحبة المال محبة لا حد لها ، والاباحية — إلى أضرار أخرى — تجعلنا نتساءل : أي الفريقين أشد مرضاً ؟ أو أيهما المريض ؟ ولماذا لا يصير الاسلام ملجأ لاوروبا وطريقاً لنجاتها ؟ وهل يمكن الاوروبي أن يتحمل كالمسلم وهو ليس له ذلك السند القوي الذي لا يؤثر فيه شيء ألا وهو « الايمان » ؟ (١)

هذا وان العقبة الكؤود في سبيل تنصير المسلم هي العداوة والاحتقار الذي يلاقيه المتنصر في وطنه فالمتنصرون المغمورون في أوساطهم يظلون عرضة للتعصب المحيط بهم ، وهم بلا شك يكونون مرغمين اسلامة أنفسهم على أن ينزحوا عن بلادهم ، هذا إذا لم يصل الضغط عليهم إلى حد إرجاعهم عن اعتقادهم الجديد

على كل حال يجب أن نترك لمبشرينا حرية تامة في أعمالهم ، على أنها يجب أن تكون مجردة عن كل ضغط وإرهاق ، لان ذلك ينافي روح المسيحية . فاذن يجب ألا يجد المبشرون في أعمالهم سواء الخيرية أو التبشيرية عقبات من حقد بعض موظفي الادارة الملحدين أو المعادين للكنيسة فقط ، الذين يغتنمون مثل هذه الفرصة لاظهار عداوتهم للدين . وكذلك يجب ألا تجد الاعمال التبشيرية قيداً من حذر بعض الموظفين الجبناء أو الفذلي الدراية الذين في خشيتهم انفجار التعصب الاسلامي قد يستنتجون من هذه الحركة الاختيارية الروحية المحضة نتائج غير مرضية لسلطتنا .

فالنتيجة التي يمكن أن تحصل هي ضد ما يعتقدون ، نعم إن من قلة المعرفة عدم الاعتراف بأن المسلم (إلا ما قل) يجد حتما في تعاليم علمائه حاجزاً لا حد له في سبيل التقارب التام بين القلوب

وإذا تنصر الاهلي (٢) كان تنصيره سبباً في جعله من أنصارنا نهائياً ، هذا

---

(١) المنار : اننا نحن علماء الاسلام ودعاته نعتقد اعتقاداً جازما أن فساد العقائد المسيحية والاخلاق والفوضى المادية والفلسفية لا علاج لها في أوروبة وأمريكة إلا الاسلام الصحيح : اسلام القرآن والسنة التي كان عليها مسلمو العصر الاول لانه هو الدين الوحيد المعقول الذي لا ينقضه العقل والعلم ولا تعارضه قواعد العمران

(٢) «الاهلي» لقب المسلم الوطني في افريقية الفرنسية وهو عنوان الاحتقار عند الفرنسيين الواضعين له

بقطع النظر عن الواجب الذي يحتمه عليه وجدانه من احترام النظام والسلطة الموجودة كما تقتضيه روح الانجيل (١)

ولتعضيد هذه النظرية نقتبس من بحث كان نشر في مجلة افريقية الافرنسية (عدد ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٦) باسم كافيه (Cavê) قوله :

« لابد من بيان أن تنصير أبناء العرب في تونس وكذا في الجزائر ودخولهم في الجيش الفرنسي واتباع أبنائهم أيضاً هذه الطريقة يفتح طريقا سهلا للتفريج ولو لم يتجنسوا بالجنسية الفرنسية فكأننا نخلق نوعا من المالطيين الذين لاهمّ لهم إلا أن يذوبوا فينا ، ويجب أن نعترف بأن الاندماج الديني على الطريقة التي اتبعت فيه ينتج عند الأهالي من كل وجهة نتائج تفوق الاندماج المدني الذي كان أعلن (أي في مجلس النواب) ولكن لم ينفذ بمرسوم للتجنيس، ومن جهة أخرى نرى أن النزاع الديني الذي يمكن أن يستحيل إلى عداء وسوء تفاهم حتى في أوروبا يضمحل ، والنتيجة الاخيرة أن تبديل الاعتقاد يتبعه تبديل العقلية كلها » .

وما أصدق هذا القول أيضاً : « لو أن مجهودات رجال مثل الكردينال لفيجري لم تعترض لكنا نجد في شمال افريقية بضعة ملايين من المدغمين فينا بدلا مما هو الواقع إلى اليوم من وجود بعض آلاف من الفرنسيين في وسط عشرة ملايين من السكان الاهليين (أي المسلمين) وأخص بهذا الادغام والاندماج البربر سكان البلاد الاصليين أبناء القديس أغستينوس والقديس بولي من غير أن يشعروا فكان يمكنهم اليوم أن يتكاتفوا معنا تحت العلم الفرنسوي ضد أعمال التفرقة التي يسعى لها منذ بضع سنين بعض دعاة وطنية مضطربة ذات لهجة معادية للاجنبي »

فحينئذ أصرح بدون تردد أنه يجب على رجالنا السياسيين وكذا على الرجال المكلفين بحكم الاهالي (أي المسلمين) أن يعضدوا حركة التبشير بطريق مباشر أو غير مباشر على أن تكون مجردة عن كل ضغط ، نعم يجب تعضيدها عوضاً عن خنقها . ويجب أن ينظروا في ذلك بعين المصلحة الوطنية وانتشار السلطة الفرنسوية . فهناك نتيجة تستحق البحث بشكل امعان من طرف الذين يقبضون على زمام حكمنا والذين لا غاية لهم إلا عظمة فرنسا .

---

(١) المنار: لماذا لم يوجد هذا الاحترام عند نصارى الدولة العثمانية الذين ثاروا عليها في كل قطر كثروا فيه ؟

٢ — موقفنا في المسألة السياسية الدينية

انني أريد بهذا العنوان بيان الموقف الذي أقترحه في هذا الطريق الوعر بما لدي من التجارب الشخصية ، محرراً فكري من كل حكم سابق ، ومن كل احترام انساني ، ومن كل تملق نحو الافكار التي كانت معتبرة منذ زمان قليل، ولا يهمني إلا شيء واحد هو المصلحة الفرنسوية :

إذا احترمت الدين والعادات والتقاليد وتسامحت في بعض الافكار الباطلة عند المسلم، وإذا لم تتكلم عن النبي إلا باحترام تكون قد أحسنت الادب وتكون قد أحسنت السياسة.

ومن آيات التسامح التي يمكن أن نظهرها لاخواننا المسلمين ما يجب علينا اتقاؤه من جرح عواطفهم. مثال ذلك أنك إذا كنت معهم في شهر رمضان فليس من الذوق أن تدخن وخصوصاً إذا كنت في مكان مغلق لانه يكفي استنشاق رائحة الدخان لابطال الصيام(١) وكذلك يجب ألا تأكل لحم الخنزير بحضرهم في أي وقت كان . وهم يعترفون لك بجميلك هذا . ولكن ، لا تبالغ .

ليس من الاوفق أن تشجع الاسلام ، ولا أن تحاربه ، فتشجيعك إياه علامة ضعف يؤسف لها كثيراً . ومحاربتك له قد توقظ التعصب ، وفي هذا المعنى قال كاتب فأجاد في قوله : « إن الاسلام في أصله قوة معاكسة لرغائبنا وأمانينا وميولنا ، وتلك القوة يمكن أن تخمد وتسكن ، ولكن لا يمكن أن تقهر أبداً ، ومن الواضح أن من مصلحتنا أن نعمل جهدنا في عدم انتشاره عند الشعوب التي تحت سلطتنا ، وهذه السياسة التي أبانت التجربة حكمتها لم تكن متبعة دائماً »

وقال الجنرال بريمون (Bremond) المعروف باختباره للعالم الاسلامي : بما لا شك فيه ولا ريب أن الاسلام لا يمكن أن يكون موالياً لمن هو غير مسلم ، إذن فليس معقولا أن نجعل أنفسنا في مقام حماته ، فاذا احترمناه وإذا أعطيناه جميع الحريات الممكنة كان ذلك من جنس السياسة ، ولكن من الخطأ الكبير أن ننشر الاسلام بين قبائل البربر ، وأن نجبرهم على اللغة العربية والشريعة الاسلامية ، وأن تكون معاملتنا للمسلمين أحسن من معاملتنا لغيرهم : إن للعربية مزاياها

---

(١) المنار: قوله ان المسلم الصائم يستاء من تدخين جليسه صحيح ولكن تعليله إياه غير صحيح

وجمالها ، ولكنها كثيرة التعقيد فلا تصلح أن تكون أداة بسيطة واضحة سهلة التعلم للحياة العصرية » (١)

انه لمن خطل الرأي أن تكون نية بعض الكتاب والرجال السياسيين الحسنة قد فاتت خيرهم ، ذلك بأنهم كثيراً ما يظهرون أمام المسلمين أنهم يعتقدون تفوق الاسلام ، فالمتعصبون من المسلمين أو أولئك الذين لا يزالون يعتقدون علوية دينهم منهم — وأعني الاغلبية الساحقة — يغتنمون ما في مدحنا من مبالغة ويظنونه احتراماً منا للحقيقة دفعنا اليه بارادة الله الذي يدفع الانسان لاظهار خضوعه بارزاً ماثلا أمام ما يعتقدونهم أنه الدين الحقيقي

إن خيلاء المسلمين الذي لا حد له ينبغي ألا يشجع ، على أن عقليتهم قابلة للتطور ، وإذا كان المسلمون — حتى أحرار الفكر منهم أو من يزعمون ذلك — لا يقبلون أن يمس اعتقادهم المحترم كمكل اعتقاد مخلص فان المسلمين المتنورين(٢) يزيد عددهم يوماً فيوماً ، والتعصب يضمحل أمام مصلحة حسن فهمها ، وبعض الآيات القرآنية التي تعارض روح العصر معارضة عنيفة أو تعارض العقل فقط(٣) تسقط بسهولة وسيزيد سقوطها كما دلت على ذلك السوابق.

ويجب أن امترف بأن روح التسامح مع الديانات المخالفة كثيراً ما نقع من المسلم أو يتظاهر بها على الاقل .

فاذا كان احترام عقلية محكومينا الخاصة هو محور سياستنا فذلك لا يقتضي

---

(١) هذا كلام كله رياء فالجنرال يعلم أن البربر مسلمون وأنه ليس لهم لغة علم ودين غير العربية وأن فرنسة تجتهد في الحيلولة بينهم وبين الاسلام ولغته لاجل تنصيرهم والمسلمون لا يطلبون منها إلا أن تدع لهم ولغيرهم حريتهم في دينهم ولغتهم ، فلا تجبرهم على شيء . (٢) يعني بالمتنورين المتفرنجين من الملاحدة ومرضى القلوب (٣) ليس في القرآن شيء يعارض حكم العقل الصحيح القطعي وطالما تحدينا العالم المدني بهذا في المنار وصرحنا بأننا مستعدون للرد على كل شبهة عليه وأما معارضته لروح العصر فهي خاصة بما فشا في هذا العصر من مفاسد الافكار المادية والاجتماعية كالشيوعية ومفاسد الاسراف في الشهوات فقط ، وأما المسيحية الحقيقة فلا تتفق مع روح العصر مطلقاً لان ما فيها من الغلو في الزهد وغيره كان شريعة مؤقتة إلى أن يأتي روح الحق محمد (ص)

المبالغة فيها أكثر مما يجب في الخضوع إلى هذا المبدأ لاننا إذا فعلنا سنؤخر إلى مالا نهاية كل إصلاح وكل تقدم في كل مرفق من مرافق الحياة خوفاً من جرح عواطف المسلمين وذلك لان عندهم أوهاما لا تتفق والتقدم

إياك وان تخوض في أمر الدين مع المسلمين ، فالرجل ذو التربية الحسنة سيترك لك الكلام ويتحاشى جرح عاطفتك ، وفي كثير من الاحيان يكتفي بابتسامة ويخرج بالحديث عن موضوعه ، وأما إذا كان الكلام مع رجل بسيط أو متعصب فستتعرض لجواب قاس منه .

انك إذا تكلمت عن الاسلام لتمدحه أو لتذمه فانك في الحالة الاولى تستفيد الظنة والشك في اخلاصك ، وفي الحالة الثانية تلقي في القلوب حقداً كبيراً ، وكذلك مدح المادية أو الالحاد أو ذم الديانة المسيحية ضلال محض ، وكثيراً ما يقف بعض الاشخاص هذا الموقف ، فهم يريدون إظهار اختيارهم للاسلام ولكن في الحقيقة هم إنما يستسلمون لدافع فيهم إلى إظهار عدائهم للدين المسيحي أو لاي حركة لرجال الكنيسة .

المسلم تشمئز نفسه من عدم الدين وإذا كان من المتنورين فانه يرى أن محاربة الاوربي لعقيدته وهدمه بهذا العمل للركن الاصيل في مدنيته الخاصة غير معقول

وعند كلام فيو Veuillot عن أولئك السياسيين الذين يجتهدون في إخفاء البقية الباقية لنا من الدين بحجة عدم إيقاظ التعصب الاسلامي قدامهم بأنهم يرتكبون أعظم خطيئة وسوس لهم بها الشيطان فلا شيء يكرهه التعصب الاسلامي كشعب بلا اعتقاد ولا إله (١)

وبهذه المناسبة نقول بأنه لا بأس بتبديد بعض الاوهام وبعض الجهالات المتمكنة من الاهالي (أي المسلمين) فمثلا نجد كثيراً منهم لايزالون يعتقدون أنه ليس من عقائد المسيحية خلود الروح وإثبات الحياة الاخرى ، ويتخيلون أيضا بان الصور والتماثيل التي تزين الكنائس يعبدها المسيحيون عبادة وثنية ، مع أنهم إنما يحترمونها كرمز لاعلامهم أو لمحبتهم ، كما يحترم العلم الوطني رمز الوطن وكما يقبل الانسان صورة شخص عزيز عليه (٢)

---

(١) المنار : هذا مكر ديني سياسي من الكاتب بأحرار قومه يريد به أن لا يظهروا عدم تدينهم بالنصرانية أمام المسلمين (٢) هذا تأويل لا يقبله المسلم الذي يفهم حقيقة التوحيد فاذا كان مع هذا يعرف دينهم فانه يرى فيه نصوصا صريحة في عبادتها ولا سيما السيدة مريم التي يسمونها والدة الاله ، وإلا فما معنى وضعها في المعابد

٣ — عقيدة التثليث

ان لعقيدة التثليث في قلوب المسلمين عداوة شديدة جديرة بالاهتمام بعالمن النتائج المهمة في التفريق بيننا وبينهم . والفكرة التي يتصورونها من هذا الاعتقاد تضرنا كثيراً حتى عند من يتجملون منهم باظهار حرية الفكر . مع ان التثليث كما يقول علماء الكلام عندنا ليس إلا مظهراً من مظاهر الوحدة الإلهية خضع أمامها أكثر العقول تكبيراً ودعوى . وهذا علامة على ما يسمونه بساطة التفكير (وبالالمانية Die Eiseitig.Keit) في الشعوب السامية

فهم لا يفهمون أو على الاقل أغلبهم بان كلمات « اب » « ابن » لا تطلقها المسيحية بكيفية مادية ولكن روحية محضة ويجب ان نقف عند هذا الحد في كل مناظرة في هذا الموضوع (١)

قال مسلم صديق في كلامه — وقد كنت بينت له ماتقدم — إن هذا الايضاح كشف له سرا ، وان هذا الايضاح يمكن ان يبدد ما ينتقده المسلمون ضد المسيحية وبذلك تضعف كراهتهم الاجانب

(١) المنار : ان التوحيد الخالص عند المسلمين يقتضي اعتقاد بطلان الشرك بجميع أنواعه ومنها التثليث وتعظيم الصور والتماثيل واتخاذها كما هو صريح وصايا التوراة التي هي أساس عقيدة الانبياء كابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام . واذا سمي اعتقاد البطلان عداوة فالنصارى يعادون كل مافي الاسلام من العقائد الصحيحة وأولها التوحيد الخالص . ومن الغباوة أن يظن الكاتب انه بهذه الكلمة المبهمة المجملة التي قالها في تقريب التثليث يخدع أحداً من المسلمين: أما عوامهم فيكتفون في إبطاله بقول النصارى إن الثلاثة واحد . وأما عوامهم فيعلمون ان هذه العقيدة بتفصيلها من عقائد قدماء الوثنيين ، وقد ألف بعض المتأخرين منهم كتابا سماه (العقائد الوثنية في الديانة المسيحية) ذكر فيها النصوص الصريحة من كتب البوذيين وغيرهم في هذه العقيدة فلم تستطع مجلة المشرق الجزوبتية أن ترد عليه إلا بالاعتراف بأن الوثنيين قد سبقوا النصارى الى عقيدة الثالوث وقولها ان ذلك ثالوث نجس وان ثالوث النصارى مقدس !!! وانا نعلم بالاختبار من أحرار النصارى أن علماء اللاهوت المستقلين أنفسهم لا يؤمنون بهذا التثليث ولكنهم لو بينوا الحقيقة للشعب ومنها أنه عقيدة وثنية أدخلها الرومانيون في العقيدة لبطلت ثقته بالدين كله وتعذر إقناعه بالفضائل الدينية . فليفهم هذا صديق الكاتب الذي زعم أنه أعجبه ذلك الابهام الذي سماه ايضاحاً

٤ — (الاتفاق في مسألة الاعتقاد)

يعتقد المسلمون ان كل من لايشاركهم في الاعتقاد سيخلد في العذاب قال بوتجاز وأحمد ضيف في كتابهما المسمى « منصور » : « والتقينا في الاسكندرية بصبيان أوربيين وهم في جمالهم كالملائكة ، فقلت ان هؤلاء الصبيان سيكونون خدما لنا في الجنة ، وفكرت في الكفار الذين سيذهبون إلى جهنم وكلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب. إذاً فقد حان الوقت لتبين لهم الى أي حد بلغ تسامح المسيحية واتساع صدرها مع الديانات الأخرى

ونحن نقتبس هنا كلاما في القضاء والقدر ورد في نشرة البابا بيوس التاسع بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٣ :إن أولئك الذين يحملون جهالة مظلمة عن ديننا المقدس يتبعون بكل خضوع القوانين الطبيعية التي وضعها الله في قلوب الجميع .وهم مستعدون لخضوع لله واتباع حياة شريفة قويمة ، لذلك يمكنهم ان يحصلوا على الحياة الخالدة بواسطة النور الابيض والرحمة الالهية (التي يجهلونها لان الله الذي لاحد لرحمته لايتحمل ان يخلد عبداً في النار إذا لم يكن مسؤولا عن ذنب اختياري) (١) •

وقد كتب أغريغوريوس السابع وهو أحد كبراء البابوات في القرون الوسطى إلى أحد امراء المسلمين. نحن أقرب الناس اليكم لان الاله الذي تعبدونه نعبده نحن ايضا. (٢)

---

(١) ان هذا البابا وجميع البابوات يعتقدون أن كل من ليس بكاثوليكي فهو كافر خالد في جهنم وإن كان مسيحياً. وان كلامه في رحمة الله تعالى لاتدنو ولا تقرب في تعظيم شأنها من قوله تعالى في كتابه القرآن (ورحمتي وسعت كل شيء)وهو قد قيد عدم الخلود في النار بمن لم يكن مسئولا عن ذنب اختياري ويدخل في هذا القيد ماكان من الذنوب دون الكفر بالله وكتبه ورسله. ورحمة الله أجل من ذلك وأوسع.

(٢) هذه كلمة تودد واستمالة لذلك الامير المسلم هو غني عنها بقول الله تعالى في القرآن (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) وباباحته تعالى التزوج منهم مع قوله في الازواج (وجعل بينكم مودة ورحمة) مع العلم بأنهم لا يعبدون الله الذي نعبده كما نعبده فاننا نعبده وحده وهم يعبدون المسيح وأمه وغيرهما من القديسين وقد أمرنا تعالى بأن ندعوهم إلى الاسلام بقوله (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

ان الاحترام العميق الذي تكنه قلوب المسلمين لاسم الله يذكرنا بإيمان القديسين المسيحيين القوي، وقد شاهدت ذلك وأثر في نفسي

من جهتهم ليسوا كلهم متفقين على كراهتنا كراهة بالغة فهم يعلمون ان الله سيحكم يوم القيامة فيما فرق بين الناس في هذه الدنيا وخصوصا الديانات المختلفة

على أنه إذا كان هناك بيننا وبين المسلمين خلاف في الاعتقاد الاساسي فهناك نقط تتفق عليها ويجب ان نتشبث بما يوحد لا بما يفرق

قال الدكتور أريكو انساطو الايطالي : ان الشرقي في وقت تجده رجل على الفطرة فعدم الفهم يبعده ويعاؤه حذراً وهو كثير الحذر مما لا يفهمه ، والمسلم الذي يتأمل في الازل واللانهاية (الابد) لا يمكنه أن يكون عدوا للمسيحي الذي يعمل بمثل أعلى في العدل والحرية ، وانما يجب على اوربة المسيحية ان تنير العالم الاسلامي وان تعلم كيف تعطيه النور .

واذا ابعدنا من الطرفين الآراء المتطرفة للمتعصبين أو المتشددين الذين لا يقبلون أي تنازل فيمكن القول بأن الاتفاق على محايدة دينية يمكن الوصول اليه بسهولة نسبية .

ومن الواضح ان التعصب لا يخشى من جهتنا (١) ان التحامل الوراثي في الاهلي علينا لا يزال قوياً، وان كان هناك بعض الشواذ ، واذا كان الاهلي لم يصل بعد إلى محبتنا (وأنا لا أستثني الاهلي الذي اسبغ عليه نضالنا وأخذ ثقافتنا ويتمتع بمدنيتنا) فالسبب الاصلي في ذلك راجع الى الشقة التي حفرها الاسلام بين أهله وبين الخارجين عن عقيدته (٢)

قال رونيه بازان: هل الاهالي أقرب (أي المسلمون) منا الآن بفكرهم من أول الاحتلال الجزائري وهم صاروا يستعملون عن طيب خاطر كثيراً في الخيرات التي أتت بها مدنيتنا ؟ فهل قبلوا هذه المدنية ؟ وهل يمكن ان نقول بأنهم يعتبرون أنفسهم رعايا مخلصين لفرنسا الى الابد ؟ يكفي ان نعرف شيئا من تاريخ الثلاثين أو أربعين

---

(١) اذا كان مثل هذا الكتاب الباحث عن وسائل الاتفاق محشواً بالتعصب فماذا يقال في غيره ؟ (٢) كل دين من الاديان يحفر شقة خلاف بين أهله والمخالفين لهم وفي الانجيل نص صريح بأن المسيح جاء ليفرق بين المرء وأبيه وأمه واخوته . ولكن الشقة التي حفرتها معاملة فرنسة للمسلمين في دينهم ودنياهم هي أوسع وأعمق مما تقتضيه العقيدة ، في الشريعة الاسلامية السمحة التي تأمر بالعدل والبر والاحسان للمخالف غير المحارب للمسلمين وتحرم ظلمه وكذا خيانته وإن كان حربيا

سنة الاخيرة — لا تاريخ النواحي التي ضمت الينا قريباً ولكن تاريخ المقاطعات الثلاث القديمة الجزائر ووهران وقسنطينة ليكون الجواب : لا. بل يكفي أقل من ذلك مجرد فسحة مدة ساعة في وسط الجماهير الاسلامية ومعرفة قراءة ما في عيونهم. لاشك أنه في مدة الحرب الكبرى جاءت الالوف من رعايا فرنسا من عرب وبربر ليحاربوا مع جنودنا جنبا لجنب ، وكثير منهم ماتوا لسلامتنا ، وهذا برهان على الاخلاص لاينسى أبدا . ولكن كثيراً من الشعوب والقبائل منذ كان العالم حاربت لا ليدافعوا عن قضية لهم ، ولكن ليرضوا شجاعتهم ومصلحتهم وكبرياءهم . فمن الخطأ ومن الخطر أن نعتقد بانه منذ سنة ١٩١٤ اندمج فينا مسلمو افريقية أو تقربوا منا أو بيننا وبينهم تفاهم واعتبار ومودة وتلك هي الصلات المتينة (١) .

والخطأ راجع الى الرجال (المختلفين في الاصل والمواهب المتشابهين في الوهم والحكم الباطل) الذين تولوا الاعمال الافريقية في القرن السابق وفي أول هذا القرن فانهم لم يفهموا أن مدنيتنا مسيحية قبل كل شيء .

ولكن لتكن لنا الثقة بالمستقبل ،وفي اثناء الانتظار يجب ألا نضيع الفرص : فرص التقرب ، ولا شيء أثمن منها في الوقت الحاضر بعد التأثير الادبي الناتج عن اشتراك المصالح ، وكلما نمت العلائق الفردية اضمحلت الاوهام وزاد الرخاء المادي وتكونت اجيال مستعدة للتفاهم وراغبة في العيشة المشتركة

والنظر الى قوتنا المادية والعسكرية والاختراعات العصرية سواء الجدية أو الهزلية يستهوي خيالهم وإن لم يظهروا الاعجاب بها ، ووسائل الراحة التي يوجدها التقدم وخصوصا نظرهم الى اتحادنا وتكاتفنا، كل هذا يمكن ان يقرب بين الجنسين (٢)

---

(١) لعله لايوجد في البشر من الاثرة والغلو في استعباد البشر أطغى ولا أبعد عن الحق والعدل ممن يغمط قوماً بذلوا دماءهم في الدفاع عن المضطهدين لهم في دينهم السالبين لثروتهم وأوقافهم ويعدهم مقصرين وغير مخلصين في خدمتهم لاحتمال تلذذهم بشجاعتهم واعجابهم بها - فهو يطلب من مسلمي أفريقية أن يكونوا مخلصين في بذل دمائهم في الدفاع عن فرنسة كاخلاصهم في عبادة الله تعالى بل يوجب عليهم أن يكونوا لها أشد إخلاصاً لانهم يرجون من الله الثواب ولا يجوز لهم أن يطلبوا من فرنسة ثواباً ولا رفع شيء من الظلم والعقاب !! (٢) لعله يعني أنه يلجئهم إلى التنصر

٥ — التأثير الادبي

إن على الاوربيين الذين يعيشون بالقرب من المسلمين أن يشغلوا وظيفة المربي ، ان خير خدمة يؤدونها لهم إعطاؤهم طرقا للعمل والتعمير ، ومثلا للصبر والمثابرة والجهد الذي لا يعرف الكلل والملل ، وخير القدوة التي يمثلونها لهم هي الحياة الشريفة التي لا عيب فيها ، والفضائل العائلية ، والاستقامة التامة والوفاء بالعهد ، والشرف في المعاملات ، والصدق في كل المناسبات — تلك كلها خصال يحتاجها مسلمونا أشد الاحتياج ، فيقبني أن تنمى فيهم وتقوى

ونزيد على تلك الاخلاق المثل العالي للاخلاق الانجيلية ونجدها ممثلة في جماعات التبشير في أفريقية الشمالية (!!)

وينبغي لنا نحن الافرنسيين أن لا نشارك في هذا المدح جماعات التبشير الاجنبية لانها في كثير من الاحيان تعمل لغرض سياسي لخير دولتها أكثر مما تعمل لغرض ديني (١)

وأكون ملوماً إذا أنا لم أشارك جميع الرجال المنصفين الذين يظهرون اعجابهم بالآباء البيض والاخوات البيض التابعين للكردينال لفيجري لما قاموا به من الاعمال ، وقد شاهدت ذلك مدة توظيفي الطويل في الجزائر وتونس ، فتبشيرهم ينحصر في اعطاء المثل بواسطة الاحسان والانقطاع الكلي لمساعدة أصحاب العاهات الاخلاقية والمادية من الاهالي ، وبواسطة مدارسهم يعملون على رفع مستوى المسلمين الفكري المنحط وتحسين حالة معيشتهم

ومنذ احتلال المغرب الاقصى ما انفك الآباء الفرنسيسكان والاخوات يقتدون بهم بانقطاع واخلاص يستحقان الشكر من فرنسة كما يستحقانه من الكنيسة ، وإن في المثل الشريف الذي يضربونه مايشرف بلادنا أمانهم الله .

وفي الختام يجب بواسطة حكومة حازمة عادلة محسنة أن نقطع الطريق على أخطار الشيوعية والاشتراكية الثورية التي تجد مذاهبها عند سكان افريقية الشمالية أهل الفكر الخفيف المعادي لسلطتنا غالباً أرضا خصبة (٢) (المترجم)

أحمد عبد السلام بلافريج

---

(١) المنار: لعل المؤلف نسي دعواه من ان كل ما ارتآه ووصى به فانما غرضه منه خير دولته فرنسة ومصلحتها (٢) ان اقرب الاسباب لقبول المسلم لهذه المذاهب ما اقترحه المؤلف في اول الفصل من افساد دينه عليه

تعليق المنار على جملة الكتاب

وخطاب إسلامي حر إلى العقل الفرنسي الحر — إن أمكن ان يبلغه الخطاب

قد أطلعنا على كتب كثيرة لكتاب فرنسة المختلفي الافكار والآراء في بيان حال مسلمي مستعمراتها الافريقية (مايريدون جعله منها كسورية) وما ينبغي أن يعاملوا به، وقد رأينا كل كاتب يتبع هواه، ويغني على ليلاه، دون ليلى حكومة فرنسة الجمهورية الحرة، ويبغي مصلحة نحلته أو فرقته دون مصلحتها، فالكاثوليكي المتعصب يرمي في كل ما يكتبه إلى اقناع الحكومة بمقاومة دين الاسلام نفسه ومحاولة إفساده على الاهالي بحجة ان المسلمين لا يمكن ان يخلصوا لفرانسة ويحبوها ويؤمن انتقاضهم عليها مادامو مسلمين، ومن هؤلاء جول سيكار مؤلف هذا الكتاب ومن يؤيد كلامه بالنقل عنهم من قسوس الجمعيات الدينية ومبشريها، والمالي المفتون يحصر همه في اقناع هذه الحكومة بسلب ثروة المسلمين بالوسائل النظامية — كما تفعل الآن في المغرب الاقصى من انتزاع ملكية الفلاحين والقبائل لارضهم — والحيلولة بينهم وبين العلم العصري بحجة أنه لا يمكن ان يدوم خضوعهم لها إلا بالفقر والجهل، والعسكري الذي لا يرى وسيلة لترقيته ونيله المكافآت المالية والرتب العسكرية إلا بوجود العداوة بينهم وبين فرنسة فهو يحاول اقناعها دائما برسوخ هذه العداوة ويتمنى دائما حدوث الثورات والفتن التي يظهر فيها الحاجة الى الجند واقناع الحكومة بانها مدينة لهم

لقد انسلخ على استيلاء فرنسة على الجزائر قرن كامل ولا يزال هؤلاء الكتاب يقولون لها إن المسلمين لم يزدادوا في هذا القرن بطوله إلا بغضاء لها ويلفقون الأدلة الخطابية والمغالطات الجدلية لاقناعها بمعالجة هذا الداء، والذي جزم به موسيو جول سيكار ان العلاج محصور في مداراة المسلمين في الظاهر وافساد دينهم عليهم بالالحاد المادي العصري توسلا بذلك إلى تنصيرهم الذي هو العلاج الاخير الممكن عنده، ويصح ان يقال في كل هؤلاء الكتاب ماقاله معروف أفندي الرصافي الشاعر العراقي الشهير في وزراء الدولة العثمانية الثلاثة الذين تولوا منصب الصدارة العظمى عقب إعلان الدستور.

مضى (كامل) من قبل (حلمي) وان جرى كما جريا (حقي) فمثلهما حقي
أن لم يبصروا للحق غير طريقهم فان طريق العدل من أوضح الطرق

سبحان الله ! أيستذل شعب ويهان وتسلب ثروته وأوقافه ويفضل غيره عليه في بلاده بل يؤمر بترك دينه ويحال بينه وبين العلم والنور ولا يكتفي منه مع هذا كله بالطاعة بل يؤمر فوقها بالشكر والمحبة

ولم أر ظلماً مثل هضم ينالنا يساء الينا ثم نؤمر بالشكر

إن وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات في فرنسة يحيط بهما نفوذ الجمعيات الدينية ورجال المال ورجال العسكرية: ثلاثة أسوار تمنع من وصول أي رأي حر يخالفها، ولو وجد في فرنسة زعيم حر واسع الفكر كبير الهمة قوي الاراده كالسنيور موسوليني في إيطالية لامكنه حين يضع مصلحة الدولة والامة فوق كل مصلحة مع عدم التعصب الديني ان يعرف الطريقة المثلى لارضاء مسلمي افريقية في عمالكهم الثلاثة ومابه تعمر بلادهم ويرتقي مجموعهم، وتستفيد فرنسة من ثروتهم وقوتهم أضعاف ماتستفيده الآن من غير ان تخسر هذه الملايين التي تنفقها لتوطيد الامن وقمع الثورات وإيقاع الرعب والارهاب في القلوب لحفظ الهيبة

ولو شاء مثل هذا الرجل أوغيره من كبار الرجال ان يستشير في هذه المسألة كبار أهل الرأي من مسلمي هذه البلاد وغيرها لامكنه ان يعرف من مصلحة فرنسة مالا يمكن ان يعرفه من هؤلاء الكتاب الفرنسيين وأمثالهم من المسلمين كالسي قدور بن غبريط مثلا، ولو وجد هذا الرجل لاقترحنا عليه أن يعقد مؤتمراً للنظر في هذه المسألة تحت رياسة رجل فرنسي حكيم حر كالدكتور غوستاف لوبون يدعو اليه من يشاء من الرجال المستقلين منهم ومنا ، ولكن لا سبيل لنا والحالة في فرنسة كما نعلم ان نبلغ أولي الامر فيها ما نجزم بانه خير لفرنسة مما هي عليه في سياسة المغرب وسياسة سورية

إنني كنت عرضت على موسيو روبير دوكيه أشد غلاتهم في هضم حقوق سورية ماأراه خيراً لها في سياستها وتجارتها ونفوذها الادبي مما تجري عليه في ذلك ، فقال ان هذا أمر معقول غير خيالي وقابل للتنفيذ ان وجد منا ومنكم من يقوم بتنفيذه . وإنني إلى الآن أضمن وجود من يقوم بتنفيذه منا إذا رضيت فرنسة به ، ومن ذا الذي يستطيع إيصاله اليها واقناعها به وموسيو روبير دوكيه لم يفعل ذلك؟

إذن يجب ان تنظر فرنسة ما يفعل الزمان في أطواره في سورية والمغرب والزمان أبو العجائب

أنباء العالم الإسلامي

العالم الاسلامي تتنازعه في هذا العصر الاحداث المتعارضة ، وتتناوبه فيه الاطوار المختلفة ، وما دخل العام الماضي إلا وعوامل الخطر فيه أقوى من عوامل الظفر ، ودواعي الغي والفساد ، أكثر من دواعي الصلاح والرشاد ، ولكنه كما قال الشاعر :

كلما ذاق كأس يأس مرير جاء كأس من الرجا ممسول

فقد حدث قبل انسلاخه مايقوي أسباب الرجاء ، ويبشر بضروب من الفلاح ، أعظمها في الاصلاح الديني تولية الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي مشيخة الازهر ورئاسة المعاهد الدينية وقانونه الجديد الذي نوهنا به في فاتحة هذا المجلد وأفضنا في بيان فوائده في أجزاء من المجلد ٢٩

اتفاق إيران مع حكومتي العراق والحجاز ونجد

وأعظمها في الاصلاح السياسي اعتراف حكومة إيران بحكومة جارتها العراق ، بعد ما كان من خلاف وشقاق . ثم إرسال جلالة الشاه مندوبا سياسيا الى جلالة ملك الحجاز ونجد لعقد ميثاق المودة والاتفاق بين حكومتيهما. بعد ماكان من خصام مذهبي وسياسي بينهما. وقد تم ذلك ولله الحمد . وهذا يدلنا على أن جلالة شاه إيران أبعد رأ يا وأكبر عقلا من جاره في الافغان، الملك المهزوم أمان الله خان ، وأكبر من هذا دليلا تمكنه من كبح جماح الذين ثاروا على حكومته من القبائل والعصائب ، والذين عارضوها من حملة العمائم وسكنة الاثواب العباعب. ولعمري ان انتصار كل

من هؤلاء الجامدين ، وخصومهم الجاحدين ، مما يفضي الى الاضطراب والفوضى، والخطر على الوحدة السياسية والاستقلال من ناحيتي الدين والدنيا، كما أن انحدار علماء الدين وسقوط مكانتهم الدينية، مدعاة لخطر الالحاد وانفصام عروة الرابطة الملية، فعسى أن يلتزم كل من الرؤساء السياسيين والعلماء المجتهدين موقف الاعتدال، فهو الذي يقي البلاد خطر الاختلال والانحلال، ولنا فيما بدا من حكمة الشاه أوسع الآمال، إلا تقليده في البرنيطة لمصطفى كمال، على أنه متهم بغيرها من تلك البدع والاعمال ، فبلاده تتمخض بالثورة الدينية والسياسية ، ويتربص به الدوائر أشياع أسرة الملك القاجارية

بلاد نجد وغلاة البدو

وقد حدث في العام المنسلخ نزغة ثورة بدوية عصبية في نجد ، كانت قد طال على تمخض البلاد بها العهد ،وكان آخر ما عرفه العالم المدني من طغيان زعمائها غزوهم للكويت وأطراف العراق ، بدون إذن ولا رضى من ملك البلاد ، لجريانهم على ما اعتاده جفاة الاعراب أمثالهم من الغزو، لانه أقرب السبل عندهم للكسب، وقد يكون أحيانا للتلذذ بالقتل والسلب

ولكن الامام عبدالعزيز المجدد قد ساسهم سياسة إسلامية حضرية أبطل بها البداوة وتقاليدها، ووضع تحت قدميه ماوضعه النبي ﷺ تحت قدميه من دماء الجاهلية وثاراتها ، وجعل الحكم لشرع الله في كل تنازع وتشاجر ، عملا بقوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فحسنت الاحوال ، وراجت الاعمال، بعد أن عم الامان ، وبطل البغي والعدوان ، على غلو في الدين بقي عند كثير من (الاخوان) ، كانوا به شبهة أو حجة لمن يطعنون في الوهابية ، ويذهبون الى أنهم فرقة غير الحنابلة السلفية

وقد ظهر من شذوذ هؤلاء الغلاة ما ظهر من القسوة في غزوة الطائف أخذاً بثأر من قتلهم الشريف عبد الله الحجازي منهم في الخرمة لما هجم عليهم في المسجد ، فقد جروا في ذلك على عرف البدو في غزوهم لا على عرف الوهابيين الذين يجرون في قتالهم على أحكام الشرع كما شهد لهم بعض أهل البصيرة ممن قاتلهم في الحملة المصرية التي ساقها اليهم محمد علي باشا بأمر الدولة التركية ونقله لنا المؤرخ الصادق الجبرتي

ولقد ساء عملهم هذا الامام عبد العزيز وان قابله كعادته بالحلم ، والمطاولة في تربيتهم باحكام الشرع ، ولكنهم زادوا إسرافا وغلوا بتعرضهم لما لا يعنيهم من إدارة الحجاز الداخلية ، وتحريمهم لما أحل الله تعالى من المنافع الآلية والصناعية ، بل لما يعد بعضه أوكله من فروض الكفاية في هذا العصر ، كآلات المواصلات والمخاطبات التي تشتد الحاجة اليها في أوقات الحرب . وغير ذلك مما هو من خصائص ولي الامر ، وهذا التحريم شرع لم يأذن به الله ، وكذب وافتراء على الله ، فهو كفر وشرك بنص القرآن ، أشد مما يرمون به من لا يعرفون من الناس بحق او بغير حق ، لان الشرك بالتشريع ضرره متعد يعم كثيراً من الناس ، والشرك بدعاء غير الله مثلا ضرره قاصر على فاعله

ثم افتئات بعضهم على الامام في الاغارات المعروفة على العراق والكويت ، فاتى الحلم الواسع بالامام عبد العزيز أن جمع في العام الماضي جميع من في بلاد نجد من أهل الحل والعقد من العلماء والقواد والزعماء وجماهير الوجراء وألف منهم مؤتمر الرياض المشهور وعرض عليه تنصله من حكم البلاد وأن يختاروا لها غيره .. فكبر ذلك عليهم وجددوا مبايعته ، وكاشفوه بالا يرضيهم من حكومته ، وكونه لا يبيح لهم نزع اليد من طاعته ، كمسألة الحدود بين

نجد والعراق وما أحدثته حكومة العراق هنالك من المخافر العسكرية الضارة بهم وهو أهم ما يهمهم ـ وغير ذلك مما فصلناه في المجلد الماضي

ولكن كل ذلك لم يرجع اولئك الغلاة عن غيهم وجهلهم ، ومنهم الفرقة المشهورة بلقب النطفط الذين كانوا يؤذون بعض الحجاج وينبزونهم بلقب المشرك ، وروي أنهم كانوا يضربون الذين يشربون الدخان ، وهذا افتيات على الامام ولي الامر ، زائد على المشروع من إنكار المنكر ، فلكل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بما يعلمه ، ولكن العقاب خاص بالسلطان ونوابه بغير خلاف ، وبهذا كانوا سبب تجديد الطعن في الوهابية بعد أن ظهر لحجاج العالم فضل الامام ابن سعود في العدل والامن العام ، وقد دعوا الى تحكيم علماء الشرع فيما ينكرونه فلم يقبلوا ، فاضطر الامام الى تأديبهم بالسيف ففعل وكان موفقا منصورا

كتب إلي أيده الله تعالى في ٢٢ شوال من العام الماضي كتابا خاصا فيما وقع له معهم قال فيه ماخلاصته « ان بعض الاخوان من أهل النطفط والدويش وقسم من الغلاة » يظهر منهم منذ ثلاث سنين تعصبات وأمور مخالفة للشرع ، وقد كانوا مغرورين ومعهم بعض المهاجرين من البادية ويرون ان أمرهم حق لاجل محبتهم للدين ، ولكن الحمد لله انكشف الغطاء عن كثير من المسلمين ، ورأوا أن الجماعة بين فرقتين واحدة تعبد على جهل وواحد (١) له بعض المقاصد السيئة مثل طمع وغيره ويجعل الدين له حجة (وذكر هنا جمع الناس في الرياض وما كان من تأثيره وأنه ظهر لاغلب الناس حال هؤلاء غلاة وانهم ليسوا على حق » ثم قال)

١) كذا في الاصل فهل هو سبق قلم أو عمد قصدت به الاشارة إلى فيصل الدويش وابن حميد

ثم بعد ذلك أكثرنا عليهم النصائح والدعوة لاجل براءة الذمة عند الله ثم النصح للرعية ولكن لم يفد ذلك فاجتمعوا فى هذه الايام وأشاعوا عند أهل نجد أنهم غزاة وأن قصدهم القصور وأهل القصور التى في حدود العراق — يريدون بذلك خديعة أهل الحق ، وبعد ذلك تبين أمرهم أنه فاسد وأخذوا بعض الرعايا ولما تحقق ذلك وثب المسلمون وثبة رجل واحد جزعا من أمرهم واجتمعوا الوضع حد حازم لهذه الامور

فلما تكامل الجمع دعوناهم لتحكيم الشريعة في جميع أمرهم فأبوا، فارسلنا اليهم الشيخ عبد الله العنقري والشيخ أبو حبيب فدعوهم فلم يقبلوا ، فلما رأينا ماهم من الفساد وعدم الامتثال للشريعة والولاية استعنا بالله عليهم وأمرنا المسلمين بالزحف عليهم، والحمد لله أخذهم الله وقتل منهم جملة . والمسلمون من فضل الله لم يصابوا إلا بخسارة قليلة جداً لا تعد بالاصابع وبعد ذلك رجعوا وطلبوا العفو، وتبين للقوم الذين كانوا معهم أنهم كانوا ضائين الطريق : وجميع من كان معهم وسلموا من القتال عفونا عنهم الا الدويش وابن حميد مارضينا إلا بتحكيم الشريعة فيهم لأنهم أساس الفساد وقد قبلوا الأمرين (احدهما) ترك الناس لهم (والثاني) أنه لاملجأ لهم، والدويش جريح الله أعلم يموت أو يحيا

والحقيقة أننا ماكنا نحب أن يصير بين المسلمين قتل رجل واحد ولكني امتثالا لأمر الله في قتال الباغين والسعي وراء راحة المسلمين أجبرت على ذلك والعاقبة من فضل الله حميدة للاسلام والمسلمين اه

هذا ما تفضل جلالة ملك الحجاز ونجد بكتابته الينا باختصار قليل وانما نشرناه على خلاف عادتنا في المكتوبات الخاصة لما فيه من التصريح الرسمي بان في الاخوان النجديين غلاة في الدين وقساة تغلب عليهم طباع البداوة وقساوتها ،

وان الامام كان يريد أن يربيهم بالعلم والشرع ، لان سبب غلوهم وقساوتهم الجهل إلا بعض رؤسائهم المغرورين الذين زين لهم الشيطان استغلالهم بسوء قصد ، - وتصريحه بأنهم منذ ثلاث سنين قد ظهر من غلوهم مالم يكن له مظهر من قبل ، يعني انهم بعد استيلائه على الحجاز وما تجدد لحكومته من العلاقات مع البلاد المجاورة قد حدث من الاسباب ما ظهر به ما كان خفيا من استعدادهم وجهلهم .

رأينا أن نثبت هذه التصريحات الرسمية ليعلم من لم يكن يعلم أن كل ما كان ينسب من الغلو والقسوة الى النجديين بعنوان الوهابيين لم يكن إلا من فئة قليلة ينكر عليها غلوها امامهم وملكهم، وينكره علماؤهم وزعماؤهم ، بل ينكره كذلك دهماؤهم. ولكن براءة الدهماء منه وإنكارهم له وهم السواد الاعظم كان مجهولا حتى عند الباحثين الذين يعرفون ان الذنب فيما ينتقد عليهم ، لا يمس أهل العلم والمعرفة منهم .

سمعت السيد محمد بن عقيل بن يحيى المشهور وهو من أشد خصوم الوهابية لما له من نزعة التشيع ودعايته يقول مراراً انه سمع أستاذه السيد أبابكر بن شهاب يقول ما معناه ان من يحدث اهل العلم والمعرفة من الوهابيين يجزم بأنهم ليسوا فرقة مستقلة دون أهل السنة ولكن عامتهم كغلاة الخوارج بلا فرق

هذا وان الدويش قد سلم من جرحه وحدث بعد عودة الملك من نجد الى الحجاز لحضور موسم الحج أحداث جديدة منها انتقاض بعض قبائل العجمان وقد نكل بهم أمير الحسا ابن جلوي الشهير تنكيلا ما كان ليقع لو كان جلالة الملك في نجد لسعة حلمه وتحاميه سفك الدم ، وإرهاف الحد إلى هذا الحد ، والمرجو أن ينهي جلالته في رحلة هذا الصيف الى

نجد جميع مشاكلها الداخلية والخارجية والله الموفق(١)

حالة الافغان ، وهزيمة أمان الله خان

مابرحت أنباء القتال بين أمان الله خان والخارجين عليه الذين قرروا ثل عرشه متناقضة متعارضة تعبث بها أهواء الناقلين لها الى ان انكشف الغبار عن هذا الملك المغرور ، الذي غرته الاماني وغره بالله الغرور ، موليا دبره ساحات النزال، مؤثرا للهزيمة على القتال، فارا بزوجه وولده، ومن كان ثم من اسرتها واسرته ، قاصدين الحج الى اوربة للتمتع بما رأوا فيها من الحرية، متكلين على القبائل المناوئة لحبيب الله بجه سقا (أي رئيس السقائين) الذي انتزع منه ملكه ، ولاسيما التي يقودها نادر خان القائد الافغاني الشهير واخوه واعوانهما ، راجيا أن يتم لهم الملج فيعيدوه الى عرش بلاده عزيزاً كريما ، بعد ان خرج منها مذؤما مدحورا .

ولقد حزن عليه دعاة الالحاد واعداء الاسلام وحجتهم حب الحضارة والتجديد وانقاذ الشعب الافغاني الجاهل من الهمجية القديمة، وهل يمكن ذلك التجديد عندهؤلاء السفهاء، الا بالبرانيط وسائر انواع اللباس الافرنجي والقاء العمائم وحلق اللحى وتهتك النساء ؟ ولكن كثيراً من مسلمي الهند حزنوا عليه لانه يكره الانكليز . كما ان جماهير المسلمين قد سروا بسوء عاقبة سياسته التركية الانقروية، وهم لا يشكون في أنها سياسية إلحادية إفسادية

وأما أنا كاتب هذا - فانني لم أكن اشك في سوء عاقبة أمان الله خان اذا هو جرى على ما كانت تدل عليه بوادر سياسته قبل سياحته ثم أكدتها

---

١) كتب هذا الفصل لينشر في الجزء الاول ثم اضطررنا الى تأخيره وقد سافر الملك عبد العزيز أول هذا العام الى نجد وكان من امره مهم ماسننشر المهم منه بعد

سياحته، ولذلك نصحت له وأنذرته هو ووزيره وصهره - المغري الاكبر له -
أنذرته خسارة الملك بتقليد مصطفى كمال (وما تغني الآيات والنذر عن قوم
لا يؤمنون) وكتبت لهما هذا كتابة صريحة كما عرف قراء المنار ، فلا غرو
أن أسرّ بصحة علمي وصدق رأيي ، وان أتمثل بقول استاذينا الحكيمين
في العروة الوثقى إذ قالا في مثل هذه الحالة : اننا نتكلم عن طبائع الامم
وحقائق السياسة ، ولا غرو أن اسر بفشل السياسة الالحادية في الافغان ،
التي تحاول تنفيذ ماعجزت عنه أقوى الحكومات ودعاة الاديان ، من
محو دين الاسلام من الارض بعد محو حكم الاسلام

وكان يسرني اضعاف ذلك أن يرعوي اماذ الله خان ويزدجر، ويسلك
في اصلاح بلاده الصراط المستقيم وهو هدي الاسلام الجامع بين مصالح
الدارين، والفوز بالحسنيين، ويستعين على جمود علماء بلاده بالمستنيرين من
علماء هذه البلاد وغيرها، وقد ضمنت له ولرجاله اقناعهم بكل مايشتبهون في
منع الشرع له من الترقيات العسكرية والادارية ونحوها ، كما اقنع قبلهم كثير
من علماء العرب والترك حتى علماء نجد الذين لا يجهل احد شدة اعتصامهم
بالدين وقوة شكيمتهم فيه ، وهاهوذا ملكهم وامامهم قد وجد منهم خير
الاعوان الناصحين لفلاة قومهم الذين استنكروا منه استعمال التلفون والتلغراف
اللاسلكي ونحوهما ، ظنا منهم انه من السحر وعمل الشيطان

وانه ليسوءني أن تبذل الامة الافغانية العزيزة النفس الشديدة البأس
كل تلك الدماء الغزيرة في سبيل انقاذ بلادها العزيزة من الالحاد ، وفشو
الفسق والفساد ، وأخشى أن يغلو من يتولى امرها في مقاومة المشروع من
الاصلاحات المدنية والعسكرية كما غلا امان الله في مقاومة الهداية الدينية

الرحيق المختوم

وهي خاتمة المهرجان الذهبي للرافعي في شكره للمحتفلين به والذكرى الخالدة لقومه

خذ جبهة البدر عند النم قرطاسا واجعل سواد عيون العين أنفاسا
ومن أشعة نور الشمس خذ قلما واقبس لنفسك من حسان أنفاسا
وانظم نجوم السما واشمخ بشعرك عن جواهر الارض إن دراً وإن ماسا
عساك تبلغ ما يرضي العلى بثنا أكارم بثناهم نرفع الراسا
أقطاب مجد أقاموا للعلى فلكا تسبيك أنجمه سرجاً وحراسا
وأوات الأدب العالي فضائلهم روحاً أعادته نضر الغصن مياسا
تواضعوا لك بالتكريم عن كثب شأن الكريم يرجو الندى واسى
ومن نأى جاد عن بعد بعاطفة تنسي المعنى من الايام ماقاسى
واشكر حكومة لبنان فقد جمعت أسداً حوت شرف الاخلاق أخياسا(*)
رئيسها الندب قد أولاك عارفة أضحت حيال سناها الشهب اخناسا
وألبس الوطن الغالي بغيرته عزاً على الفلك الدوار دواسا
وأنت إن لم تكن أهلا لفضلهم فالغيث يسقي الربى خضراً وأيباسا
هم كرموا اللغة الفصحى لانهم أبناء مجدتها ذوقا وإحساسا
ومن لنصرك يا أم اللغات سوى أبنائك الغر أجواداً وأحماسا
أنت العروس التي نهنا بمزتها منا النفوس وتقضي العمر أعراسا
والله أغناك باللفظ الرشيق وبا معنى الرقيق فكنت الراح والكاسا
وقد أمدك من نور الجلالة ما تود منه لغات الكون أقباسا
والشعر لولاك لم تعشق لطافته ولا غدا في خلال النفس جواسا
فرب نظم تفوق الراح رقته به سكرنا وعفنا الكاس والطاسا

(*) المنار: أسقطت بعض جرائد بيروت الوطنية شكر الناظم لحكومة لبنان ورئيسها لعدم رضاها عنها وكذا جمهور المسلمين المهضومي الحقوق فيها ولكن الناظم معذور في شكره ما أحسن به الرئيس وحكومته اليه

ورب بيت نديّ الروح ذي عظة — سليّ الحزن ومكلوم الحشى آسي
ورب قول تخال النور يسطع من — خلاله كان للالباب مقباسا
يُزهي اليراع اذا ماخط حكمته — وتستقل له الافلاك أطراسا
سحر البيان تجلى فيه فانقلبت — بسره وحشة الاقوام إيناسا
حمى القبيلة من خوف ومن حذر — فليس تحتاج أسيافا وأتراسا
هذا هو الشعر شعر الروح إن صلحت — أبدت صلاحا يصد الشر والباسا
وإن تسؤ صيرت ماء الصفا لهبأ — والسلم حربا ودور العز أرماسا
هو القريض على أفق الجمال سما — وفضله جاوز الجوزاء واجتاسا
شادت به العرب الاجواد بيت علي — سامي العلى ورسا في المجد آساسا
إذ كان مفخرة الاجيال عندهمُ — وبهجة النفس إصباحا وإغلاسا
فكم معلقة منه لها سجدوا — عرفان فضل به عطف النهى ماسا
وكم رقائق أجرى العرب سائلها — يُذبن في الجلمد الريحان والآسا
كانوا ملوك الفلا يحمى الذمار بهم — ويرتجى العون فيما سر أو ماسا
تسنموا من متون الخيل ضامرة — عرشاً على كل عرش في الورى داسا
وما عليهم وهم أهل الشجاعة إن — تخيروا من أسود الغاب جلاسا
سر الفراسة فيهم زادهم شرفا — عنه التوت أعين الحساد أنكاسا
وبالفصاحة زان الله ألسنهم — سادوا بها الخلق أجناسا فأجناسا
والقول كالفعل منهم كان ممتلئاً — صراحة لم تدع في الصدر وسواسا
وعزمهم إن دعا داعي الهياج بهم — يذلل الاسد مهما كن أشراسا
وهم رجال القرى والغوث من قدم — ولن يزالوا مجاويداً وأشواسا
لهفي على زمن عمت سيادتهم — به وكانوا لأهل الارض سواسا
ليت الليالي التي مذ ثار ثائرها — أردت كليباً وغالت بعد جساسا
أبقت مشاهير أهل الجود من جملت — لها المفاخر أقطاباً وأحباسا
وأخلفت كالموالي من بني مضر — وآل قحطان أقيالا وأكياسا
ممن أفادوا بني الدنيا هدى وندى — ومن أقاموا بها للعدل قسطاسا
توارثوا المجد عن أسلافهم وسروا — مسراهم فزكوا زهراً وأغراسا
وصاحبوا العلم نضراً والتقى أرجا — والحلم أزهر والاخلاق أقداسا
أولئك القوم لولا ذكرهم أبدا — يبني قصور الرجا أصبحن ادراسا

***

يا ابن العروبة جدد مجدها وأقم ... له العماد بعزم يطرد الياسا
اسلك اليه سبيل العلم مجتهداً ... طول الحياة تنل جاهاً وأرغاسا
وخل نهج الكسالى إن تكن فطنا ... فالنصل تكسبه الاصداء أدناسا
أهل البطالة أوهى الذل أنفسهم ... ولم يدع في ديار العز أحلاسا
والجهل إن ساد في الاقوام بدلهم ... من السعود - وقاك الله - اتماسا
ناج الحقيقة واهجر كل مختبل ... يدق للوهم أبواقا وأجراسا
ولا تمد لغير المستطاع يداً ... فضارب الصلد يوهي الزند والفاسا
وإن ضربت بسهم في سبيل علی ... فكن معداً لها بالحزم أقواسا
كم ذلل الحزم صعباً كان أمنع من ... صيد أقر عليه الليث أضراسا
أخو الحصافة يلقى الهول مبتسما ... كأنما شد الافراح أفراسا
وعادم الرأي لاينفك مبتئساً ... حيران يضرب للاسداس أخماسا
واذكر مآثر أسلاف حضارتهم ... كانت لدى ظلمة التاريخ نبراسا
في كل علم وفن طال باعهم ... حتى جلوا عن طريق النجح أغلاسا
وألبسوا الوطن الغالي بسؤددهم ... عزاً على الفلك الدوار دواسا
سادوا وشادوا صروح المجد واكتملوا ... عدلا وفضلا وكانوا خير من ساسا
وأصبحوا قدوة للخلق نافعة ... والناس خيرهم من ينفع الناسا
فاعمل لاحياء ماشاد الجدود ولا ... تقم على الجهل إما كنت حساسا
عسى مع العالم الراقي يكون لنا ... حظ يبيد حواشي العيش أملاسا
واصرف جهودك طول العمر منتحياً ... مجد العروبة أثرى الحظ أوخاسا
ولا تعش يائساً في الدهر من أمل ... قد يبسم الدهر مهما كان عباسا
وليس ينساك من نجاك من زمن ... قسا وشد على الاعناق أمراسا
يوما رميت ولكنّ الاله رمى ... وليس يخطيء سهم الله برجاسا

عبد الحميد الرافعي

مشروع الاتفاق الجديد بين انكلترة ومصر

ذهب صاحب الدولة محمد باشا محمود سليمان إلى انكلترة مصطافاً ولم يكن يخطر بباله أن الفرصة سانحة لعقد اتفاق جديد بين انكلترة ومصر ولكن فاجأه فيها أن وزارة العمال الجديدة أكرهت المندوب السامي (لورد لويد) على الاستقالة من منصبه كراهة وانكاراً لما كان من استبداده بمصر وافتئاته عليها ثم فاجأه أن فتح له وزير الخارجية البريطانية باب المفاوضة في المسألة المصرية على مصراعيه فولجه ووقع ما توقعناه في مقالنا الماضي فانتهت هذه المفاوضة بعرض وزير الخارجية الاقتراحات التالية لاجل أن تعرض على الامة المصرية في برلمان قانوني فان قبلها عرضها الحكومة البريطانية على برلمانها وأوصته بقبولها . وهذا نص ترجمتها على ضعف فيها :

اقتراحات وزير خارجية انكلترة

لتسوية العلاقات الانجليزية المصرية

١ — ينتهي احتلال مصر عسكريا بجيوش ملك بريطانيا العظمى

٢ — تعقد محالفة بين الدولتين المتعاقدتين توطيداً لصداقتهما والتفاهم الودي وحسن العلاقات بينهما .

٣ — أن مصر رغبة منها في أن تصبح عضواً بجمعية الامم ستقدم طلباً للانضمام إلى تلك الجمعية طبقاً للشروط التي نص عليها في المادة الاولى من عهد الجمعية وتتعهد حكومة جلالته البريطانية بتأييد هذا الطلب .

٤ — إذا قام أي نزاع مع دولة ثالثة نشأت عنه حالة تنذر بخطر قطع العلاقات مع تلك الدولة فان الفريقين المتعاقدين يعملان معاً بقصد تسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية طبقاً لنصوص عهد جمعية الامم ولنصوص أي تعهد دولي يمكن تطبيقه على تلك الحالة .

٥ — يتعهد كل من الفريقين المتعاقدين أن لا يقف في البلاد الاجنبية موقفاً لا يتفق مع هذه المحالفة أو ينشيء صعابا للفريق الآخر . وعملا بهذا التعهد لا يقاوم أحدهما سياسة الآخر في البلاد الاجنبية ولا يعقد مع دولة ثالثة أي اتفاق سياسي قد يكون مجحفا بمصالح الآخر .

٦ — تعترف حكومة جلالته البريطانية بان تبعة المحافظة على أرواح الاجانب

في مصر وأملاكهم تقع من الآن فصاعداً على عاتق الحكومة المصرية . ويتكفل جلالة ملك مصر بتنفيذ تعهداته بهذا الشأن .

٧ — إذا اشتبك أحد الفريقين المتعاقدين في حرب رغم نص الفقرة ٤ الواردة آنفاً فان الفريق الآخر يبادر لمعونته مع مراعاة نص الفقرة ١٤ التي ستذكر فيما بعد وذلك بصفته حليفاً . وبوجه خاص فانه في حالة وقوع حرب أو خطر وقوع حرب يقدم جلالة ملك مصر إلى جلالته البريطانية في الاراضي المصرية جميع التسهيلات والمساعدات التي في وسعه ومن ذلك استخدام موانئه ومطاراته ووسائل مواصلاته .

٨ — نظراً إلى الرغبة في توحيد نظام التعليم والاساليب في الجيشين المصري والبريطاني يتعهد جلالة ملك مصر بانه إذا رأى من الضروري الالتجاء إلى مدربين عسكريين أجانب فانهم يختارون من الرعايا البريطانيين

٩ — تسهيلا وضماناً لمحافظة جلالته البريطانية على قناة السويس بصفة كونها طريقاً ضروريا للمواصلات بين أجزاء الامبراطورية المختلفة يجيز جلالة ملك مصر لجلالته البريطانية أن يبقي على الاراضي المصرية وفي مواقع يتفق عليها فيما بعد شرقي الدرجة ٣٢ من خطوط الطول: القوات التي يراها جلالته البريطانية لازمة لهذا الغرض. ووجود هذه القوات لا يعتبر احتلالا بأية حال من الاحوال ولا يمس حقوق سيادة مصر.

١٠ — نظراً إلى الصداقة بين الدولتين وإلى المحالفة المرجو عقدها بهذه الاقتراحات فان الحكومة المصرية عند احتياجها لخدمات موظفين أجانب تستخدم رعايا بريطانيين كقاعدة عامة .

١١ — يعترف جلالة ملك بريطانيا العظمى بان نظام الامتيازات القائم في مصر الآن لا يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة . وعليه فان جلالته البريطانية يتعهد ببذل كل ماله من نفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات في مصر لنقل اختصاص المحاكم القنصلية الحالي إلى المحاكم المختلطة ، وتطبيق التشريع المصري على الاجانب بشروط تضمن مصالحهم المشروعة .

١٢ — نظراً إلى الصداقة بين الفريقين المتعاقدين وإلى المحالفة المراد عقدها بموجب الاقتراحات الحاضرة يمثل جلالة ملك بريطانيا العظمى لدي بلاط جلالة ملك مصر سفير يعتمد بالطرق المرعية، ويحفظ جلالة ملك مصر أسمى مركز سياسي في بلاطه لممثل جلالته البريطانية .

ويمثل جلالة ملك مصر سفيرٌ لدى بلاط سانت جيمس

١٣ — مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة في المستقبل تعديلا لاتفاق سنة ١٨٩٩ يتفق الفريقان المتعاقدان على ان تكون حالة السودان هي الحالة المترتبة على الاتفاق المذكور . وعلى ذلك يواصل الحاكم العام استعمال السلطة المخولة له بموجب الاتفاق المذكور بالنيابة عن الفريقين المتعاقدين .

١٤ — لا يقصد بهذه الاقتراحات ولا يمكن أن ينبني عليها الاخلال بالحقوق والالتزامات المترتبة أو التي يمكن أن تترتب لاحد الطرفين المتعاقدين أو عليه بمقتضى عهد جمعية الامم أو ميثاق نبذ الحرب الموقع عليه في باريس في ٢٧ أغسطس سنة ١٨٢٨

١٥ — يتفق الفريقان المتعاقدان على ان أي خلاف ينشأ بينهما في تطبيق نصوص هذه الاقتراحات أو تفسيرها مما لا يتسنى لهما تسويته بالمفاوضات مباشرة يعالج بمقتضى نصوص عهد جمعية الامم .

١٦ — في أي وقت بعد انقضاء خمس وعشرين سنة من نفاذ معاهدة تبنى على الاقتراحات المار ذكرها . يجوز إجراء أي تعديل في شروطها يرى من الملائم عمله وفقاً للظروف القائمة وقتئذ وذلك بالاتفاق بين الفريقين المتعاقدين .

﴿ المذكرات المفسرة لهذه المقترحات ﴾

الجيش

المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة :

في خلال محادثاتنا الأخيرة نشأت بعض مسائل عسكرية وتم النظر فيها بأتم العناية ، وتنقسم هذه المسائل بطبيعتها إلى قسمين :

أولها — ما يتعلق بقوات الجيش المصري التي قد يمكن أن تدعى لمعاونة القوات البريطانية المحالفة معاونة فعلية فيما لو نشأت لسوء الحظ أحوال من التي أشير اليها في الجملة الاولى من الفقرة السابعة من الاقتراحات

وثانيها — المسائل الخاصة بالقوات البريطانية التي سيكون مقامها بجوار قنال السويس طبقاً للفقرة « ٩ » لضمان الدفاع عن ذلك الشريان الحيوي من طريق المواصلات البريطانية الامبراطورية .

فأما فيما يتعلق بالقسم الأول فقد اتفقنا على ما يأتي :

١ — ينتهي النظام الحالي الذي يقوم بموجبه المفتش العام وأركان حربه بتأدية بعض الوظائف ويسحب الموظفون البريطانيون من الجيش المصري

٢ — على أن الحكومة المصرية ترغب وفقاً للفقرة الثامنة من الاقتراحات في الانتفاع بمشورة بعثة عسكرية بريطانية . وحكومة جلالة ملك المملكة المتحدة وشمالي أرلندا تتعهد بتقديم بعثة كهذه .

وترسل الحكومة المصرية موظفي الجيش المصري لتدريبهم في بريطانيا العظمى فقط . وتتعهد حكومة جلالته من جانبها بقبول جميع الموظفين الذين تريد الحكومة المصرية إرسالهم إلى بريطانيا العظمى لهذا الغرض .

٣ — لمصلحة التعاون الوثيق المشار اليه آنفاً يجب أن لا يختلف نوع الاسلحة والمهمات في الجيش المصري .

وتتعهد حكومة جلالته بالتوسط لتسهيل الحصول على تلك الاسلحة والمهمات من بريطانيا العظمى كلما أرادت الحكومة المصرية ذلك .

أما فيما يتعلق بالقوات البريطانية المشار اليها في الفقرة « ٩ » من الاقتراحات

١ — فان الحكومة المصرية تقدم مجاناً لحكومة جلالته الاراضي والثكنات الخ . . . في الاماكن التي يتفق عليها وتكون معادلة لما تشغله القوات البريطانية في مصر في الوقت الحاضر

وعند إكمال المحال الجديدة تنقل تلك القوات اليها وتسلم الاراضي والثكنات الخ . . . بعد إخلائها إلى الحكومة المصرية .

ولنظراً إلى العقبات الفنية التي تعترض اجراء النقل تدريجياً فانه ينتظر إكمال المحال الجديدة ثم يؤخذ في النقل .

ولنظراً لطبيعة المنطقة الواقعة شرقي درجة ٣٢ من خطوط الطول فتتخذ التدابير لتقديم وسائل الراحة المعقولة بزراعة أشجار وحدائق وهلم جرا للجنود ومدهم أيضاً بمورد للماء العذب يكون كافياً في الاحوال الطارئة

٢ — تستمر الامتيازات التي تتمتع بها الجيوش البريطانية في مصر في المسائل القضائية والمالية ويجوز تعديل ذلك في المستقبل بالاتفاق بين الحكومتين

٣ — تمنع الحكومة المصرية مرور الطيارات فوق الاراضي الواقعة على كلتا ضفتي قناة السويس إلى مدى عشرين كيلو متراً منها إلا في حالة الاتفاق بين بين الحكومتين على عكس ذلك :

على أن هذا المنع لا يتناول قوات الحكومتين أو الخطوط التي تقوم بتسييرها هيئات بريطانية أو مصرية حقيقية تعمل تحت سلطة الحكومة المصرية .

وقد اتفقنا أيضاً على أن تقدم الحكومة المصرية جميع التسهيلات اللازمة للطيارات الحربية البريطانية وموظفيها ومهماتها المتجهة إلى المطارات الموضوعة تحت تصرف القوات البريطانية طبقاً للفقرة «٩» من الاقتراحات أو القادمة من تلك المطارات .

وتقدم حكومة جلالته التسهيلات الملائمة للطيارات الحربية المصرية وموظفيها ومهماتها في الاراضي الواقعة تحت مراقبتها .

(هذا نص ترجمة المذكرة البريطانية في المسألة العسكرية وقد أجاب عليها رئيس الوزارة المصرية بالموافقة التامة . ويليها مذكرات متبادلة في مسائل المستشارين المالي والقضائي، والبوليس الاجنبي، وإلغاء الامتيازات الأجنبية والموظفين الأجانب كلها في الدرجة الثانية من عظم الشأن)

﴿ المذكرات في مسألة السودان ﴾

مسألة السودان أهم مسائل هذا الاتفاق على الاطلاق لأن مصر لا حياة لها بدون السودان فهو منها بمنزلة القلب من البدن ، والنيل الآتي منه بمنزلة الدم الذي يغذي الجسد ويحفظ حياته . وقد ورد في شأنه ثلاث مذكرات بريطانية أجاب عن كل منها وزير مصر بالموافقة (إحداها) مسألة الديون التي على مصر وقد اتفق الفريقان « على أن تفحص مسألة الديون التي على السودان في الوقت الحاضر بقصد تسويتها على أساس العدل والانصاف » (الثانية) مسألة « جعل الاتفاقات الدولية منطبقة على السودان » وقد اتفقا على أن هذه الاتفاقات ستكون « فنية أو إنسانية » وان الاتفاق عليها سيكون بين مندوبين عن الحكومتين ، وفي هذا من الابهام والغموض ما يخول انكلترة تفسيره كما تريد (الثالثة) مسألة عود الجنود المصرية إلى السودان ــ وفي المذكرة البريطانية أنه إذا نفذت المعاهدة بالروح الودية التي تفاوض فيها الفريقان في هذه الاقتراحات فان الحكومة البريطانية « تكون مستعدة لان تفحص بروح العطف الاقتراح بشأن عودة أورطة مصرية إلى السودان في الوقت الذي تستحب فيه القوات البريطانية من القاهرة » !!

وقد أجمع الناس هنا وفي أوربة على أن هذه المقترحات وتفاسيرها أعظم تساهل وسماح صدر عن حكومة بريطانية مع مصر وسنتكلم عليه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٨ هـ ١٠ برج الميزان سنة ١٣٠٩ هـ ش ٣ أكتوبر سنة ١٩٢٩

فتاوى المنار

(مسئلة انشقاق القمر)

(س ٣٨) من الشيخ عبدالرحمن الجحمون بكفر مجر وغيره

(مقدمة للسؤال) كتب صاحب السعادة احمد زكي باشا الشهير مقالا في بعض الجرائد اليومية أنكر فيه انشقاق القمر في عهد النبي ﷺ وأنكر ماروي في انشقاقه وادعى أنه من رواية كعب الاحبار وأمثاله من رواة الاسرائيليات، وأول آية أول سورة القمر بمثل ماأولها به بعض السلف والخلف خلافا للجمهور من كون الفعل الماضي فيها (وانشق القمر) بمعنى المستقبل كقوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) إذ اتفقوا على أنه بمعنى (سيأتي) ومثله كثير في التنزيل، ولكن كتابة احمد زكي باشا في المسئلة جاءت في سياق بحث تاريخي ولم تكتب بالاسلوب العلمي الاسلامي عند أهل الحديث والاصول ولا بما اعتاده هو من تحرير المسائل التاريخية والجغرافية فكان فيها مؤاخذات غير أصل المسألة، فتصدى للرد عليه كثير من علماء الازهر وغيرهم في صحف مصر وسورية، وكتب الينا كثيرون يسألوننا الرد عليه في الجرائد اليومية والمنار، ومنهم من كتب شيئاً ورغب الينا في نشره، ولكنه ليس من التحقيق الذي يليق نشره في المنار مع السكوت عنه، ولا يحسن نشره للرد عليه. وأول من طلب منا ذلك صديقنا الشيخ عبد الرحمن الجحموني من كفر مجر وذكرنا بما كنا نشرناه في اثبات المسألة في المجلد السادس من المنار . ولما كان كل ما اطلعنا عليه من الردود على الباشا بمعزل من التحقيق في المسألة كما كان الذي كتبه في انكارها بمعزل من التحقيق ايضاً، رأينا أن الواجب علينا ان نكتب تفصيلا لما اجملناه في المجلد السادس فيها ونبنيه على سؤال الجحموني، ونبدأ بعبارتنا هنالك وهذا نصها :

ورد ذكر هذه المسألة في الجزء الثاني من المجلد السادس المؤرخ في ١٦ المحرم سنة ١٣٢١ في جواب استفتاء من علي افندي مهيب الذي كان مفتشاً في إدارة مصلحة

التلغراف وهو الآن سكرتير وزارة المواصلات سأل فيه عما صح من معجزات نبينا ﷺ لاختلاف الناس فيه وهذا نص المسألة من تلك الفتوى (ص٦٨م٦)

« ومن المروي في الصحيحين خبر انشقاق القمر ورواه كغيرهما عن جماعة من الصحابة ، ودفع العلماء مااعترض به من أن ذلك لو وقع لعرفه أهل الآفاق ونقلوه بالتواتر وان لم يذكروا سببه : بأنه كان لحظة وقت نوم الناس وغفلتهم ، وان القمر لايرى في جميع الاقطار في وقت واحد لاختلاف المطالع ،وإن بعض المشركين لما قالوا :هذا سحر ابن أبي كبشة فانتظروا السُّفّار — وانتظروهم جاؤا فأخبروا بأنهم رأوا القمر من ليلتهم قد انشق ثم التأم — وبأنه يجوز أن يكون رآه غيرهم وأخبر به فكذبه من أخبرهم و خشي أن يكذبوه فلم يخبر ، وليس بضروري أن يراه في تلك اللحظة علماء الفلك على قلتهم في الجهة التي رؤي فيها

« ولكنني لا أذكر أن أحداً أجاب عن كون هذه المعجزة كانت مقترحة مع أن النبي ﷺ لم يعط الآيات المقترحة لانها سبب نزول العذاب بالامم إذا لم يؤمنوا . وقد روي أن انشقاق القمر كان بطلب كفار قريش ؛ ولا أذكر لهم أيضاً جمعاً بين آية (اقتربت الساعة وانشق القمر) وآية (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون) ولابد من تأويل إحداهما وقد أول بعضهم الاولى فقط . وليس المقام مقام التطويل في هذه المباحث» اه

هذا ما كتبناه في تلك الفتوى وموضوعها ماصح سنده من الروايات في معجزاته ﷺ وهو خلاصة اصح الروايات في هذه المسألة وما اعترض عليها وما أجيب به عن الاعتراضات وما فيها من إشكال لم يجيبوا عنه . من غير مراجعة ولا نقل

وإذ قد اقتضت الحال الآن تحرير المسألة رواية ودراية فاننا نبدأ بالرواية فنقول

(١) الروايات في انشقاق القمر وعللها

زعم بعض العلماء المتقدمين أن الروايات في انشقاق القمر بلغت درجة التواتر وهو زعم باطل كقول ابن عبدالبر الآتي انه نقله جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وان تلقاه الكثيرون بالقبول حرصاً على إثبات مضمونه كعادتهم في الفضائل والمناقب ودلائل النبوة . فأما الشيخان فالذي صح عندهما مسنداً على شرطهما انما هو عن

واحد من الصحابة (رض) يخبر عن رؤيته وهو عبدالله بن مسعود (رض) وقد أخرجاه عنه كأحمد وغيره من طريق سفيان بن عيينة عن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر ومن طريق الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر . وصح عندهما مرسلا من حديث أنس ابن مالك (رض) من طريق قتادة فقط ومن حديث ابن عباس (رض) من طريق عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة . وانما كان هذان الحديثان مرسلين لان الحادثة وقعت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين ولم يكن ولد عبد الله بن عباس ، وأما أنس فكان في المدينة ابن خمس سنين. والخلاف في الاحتجاج بالمرسل معروف ومن يحتج بمراسيل الصحابة مطلقاً يبني احتجاجه على أنهم يروون عن مثلهم ولكن ثبت أن بعضهم كان يروي عن بعض التابعين حتى كعب الاحبار وعلى كل حال لا يصح في مراسيلهم ما اشترط في التواتر من الرواية المتصلة إلى من شاهد المروي . ورواية الشيخين المتصلة من طريقين فقط

ورواه مسلم من طريق شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عمر وهي احدى الطريقين عن ابن مسعود ، وليس فيها انه حدث عن رؤية وقد تردد الحافظ في هذه الرواية هل هي اسناد آخر عند مجاهد « أو قول من قال ابن عمر وهم من أبي معمر » ؟ . وقد روى الحافظ ان ابن عمر هاجر وهو ابن عشر سنين وفي رواية أخرى انه كان سنة الهجرة ابن ست

ورواه الامام احمد وتبعه ابن جرير والبيهقي عن جبير بن مطعم (رض) من طريق سليمان بن كثير عن حصين بن عبدالرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه فأما جبير فقد أسلم بعد عام الحديبية وقبل فتح مكة وقيل في الفتح. وقد كان مع المشركين في غزوة بدر وأسره المسلمون فسمع النبي ﷺ يقرأ سورة الطور قال: فكان ذلك أول ما دخل الايمان في قلبي ، وليس في حديثه انه رأى ولكن ظاهره انه كان مسلماً ، ولم يكن مسلماً ، ولو رأى ذلك في حال شركه لعده بعد اسلامه مما أثر في نفسه

وأما السند اليه فضعيف فسليمان بن كثير ضعفه ابن معين كما ضعف ولده محمداً الذي روى هذا الحديث عنه . وقال ابن حبان كان يخطئ كثيراً . وأما حصين بن عبد الرحمن فقد كان ثقة إلا انه تغير في آخر عمره

هذا أقوى ما ورد من الاحاديث في هذه المسألة وعليها اقتصر الحافظ ابن كثير في تفسيره ورواها الترمذي في جامعه وغيره . ولها ألفاظ أخرى في التفسير المأثور وكتب الدلائل غربلها الشيخان واختارا ما أشرنا اليه وسنذكره بنصه، وذكر السيوطي في الدر المنثور سائر مخرجيها وألفاظهم وزيادتهم على الصحيحين فيها وزاد ما أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (اقتربت الساعة وانشق القمر) ألا وان الساعة قد اقتربت، ألا وان القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ ألا وان الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وان اليوم المضمار وغداً السباق اه. وابن جرير لم يذكر ان ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ والراوي عن ابي عبد الرحمن عطاء بن السائب وعنه شعبة وابن علية واتفقوا على ان عطاء بن السائب قد اختلط في آخر عمره وتغير فلا تقبل رواية احد عنه في آخرته ولكن شعبة من قدماء الرواة عنه . وقد روى ابن المنذر انه أي حذيفة قرأ « وقد انشق القمر » والرواية تدل على ان هذا خطأ فانه قرأ الآية في خطبته كما رواها القراء بالتواتر ثم قال :ألا وان الساعة قد اقتربت ألا وان القمر قد انشق. وهذا من كلامه على انه تفسير. على ان امثال هذه الروايات الآحادية الغريبة لا يثبت بها القرآن بل لا بد من تواتره

(ب) اختلاف المتون في هذه الاحاديث

(١) في بعض روايات ابن مسعود في الصحيحين أنه قال انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمنى . وفي رواية اخرى انه قال انشق القمر بمكة وهو الموافق لرواية انس ـ وكذا جبير بن مطعم ـ فانه قال: ونحن بمكة. وفي رواية ثالثة لم يذكر المكان. قال الداودي ان بين الحديثين تضاداً . وأجاب الحافظ ابن حجر بان التضاد يدفع بارادة انهم كانوا عند انشقاقه بمكة أي قبل ان يهاجروا إلى المدينة .ومنى من جملة مكة لانها تابعة لها .وذكر في رواية ابن مردويه عنه انه قال: ونحن بمكة قبل ان نصير إلى المدينة .ولكن هذا اللفظ لا يقال الا اذا كان ذلك قبيل الهجرة في الدر المنثور : اخرج عبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في

الدلائل عنه أنه قال رأيت القمر منشقا شقتين بمكة قبل ان يخرج النبي ﷺ شقة على ابي قبيس وشقة على السويداء .

ثم قال الحافظ :والجمع بين قول ابن مسعود تارة بمنى وتارة بمكة إما باعتبار التعدد إن ثبت (نقول وهو ينفيه) واما بالحمل على انه كان بمنى ومن قال كان بمكة لاينافيه لان من كان بمنى كان بمكة من غير عكس . ويؤيده ان الرواية التي فيها بمنى قال فيها ونحن بمنى والرواية التي فيها بمكة لم يقل فيها «ونحن» وانما قال انشق القمر بمكة .يعني ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة. وبهذا تندفع دعوى الداودي ان بين الخبرين تضادا والله أعلم.اه

وقوله رحمه الله إن ابن مسعود لم يقل في رواية مكة « ونحن بمكة » انما يصح في رواية الصحيح التي كان يشرحها وقد ذهل عما ذكره هو قبل ذلك في شرحه من روايه ابن مردويه عنه وفيها أنه قال « ونحن بمكة» على أن لفظ « نحن» لاينقض ماذكره من التأويل . وانما يبعده أن المتبادر من قوله «قبل أن نصير الى المدينة » أنه كان بالقرب من الهجرة والمنقول أنه كان قبلها بخمس سنين كما ذكره الحافظ وغيره.

(٢) ان البخاري أسند قول ابن مسعود : انشق القمر بمكة من رواية ابراهيم عن أبي معمر ثم قال وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن أبي معمر عن عبدالله . وذكر الحافظ في شرحه أن هذه الطريق وصلها عبد الرزاق في مصنفه والبيهقي من طريقه في دلائل النبوة بلفظ : رأيت القمر منشقا شقتين شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء - والسويداء بالمهملة والتصغير ناحية خارج مكة عندها جبال . اه وفي الصحيحين والترمذي وغيرهم عنه : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه . وفي رواية احمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم عنه: رأيت القمر على الجبل وقد انشق فأبصرت الجبل من بين فرجتي القمر . وفي رواية ابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل من طريق علقمة عنه : كنا مع النبي ﷺ بمنى فانشق القمر حتى صار فرقتين فتوارت فرقة خلف الجبل فقال النبي ﷺ «اشهدوا»

وفي حديث ابن عمر عند مسلم والترمذي وغيرهما من طريق مجاهد وقد

تقدم : انشق فرقتين فرقة من وراء الجبل وفرقة دونه. والحافظ شك في صحة هذه الرواية عنه كما تقدم. وفي حديث جبير بن مطعم: حتى صار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل. وفي حديث أنس في الصحيحين وابن جرير - وتقدم - فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما. وفي رواية عن ابن عباس عند أبي نعيم أن ذلك كان ليلة أربع عشرة قال فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفاً على المروة.

فهذه بضعة ألفاظ يخالف بعضها بعضاً وقد تكلف الحافظ في الفتح الجمع بين قول ابن مسعود : شقة على أبي قبيس وهو بمكة وكونهم كانوا في منى فقال : يحتمل أن يكون رآه كذلك وهو بمنى كأن يكون على مكان مرتفع بحيث رأى طرف جبل أبي قبيس . ويحتمل أن يكون القمر استمر منشقا حتى رجع ابن مسعود من منى الى مكة فرآه كذلك وفيه بعد . والذي يقتضيه غالب الروايات أن الانشقاق كان قرب غروبه ، ويؤيد ذلك اسنادهم الرؤية الى جهة الجبل ، ويحتمل أن يكون الانشقاق وقع في أول طلوعه فان في بعض الروايات أن ذلك كان ليلة البدر - أو التعبير بأبي قبيس من تغيير بعض الرواة لان الفرض ثبوت رؤيته منشقا احدى الشقتين على جبل والاخرى على جبل آخر. ولا يغاير ذلك قول الراوي الآخر : رأيت الجبل بينهما - أي بين الفرقتين ، لأنه اذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره مثلا صدق أنه بينهما ، وأي جبل آخر كان من جهة يمينه أو يساره صدق أنها عليه أيضا اه.

وفي هذا الجمع ضعف من جهات أغربها دعوى احتمال رؤية جبل أبي قبيس من منى في الليل وناهيك بغرابة هذا القول في حال طلوع البدر من الشرق ومكة في جهة الغرب من منى ؟ ثم ماذا يفعل بسائر الروايات

أبو قبيس هو الجبل المشرف على مكة من شرقيها وهي من جهة منى ويقابله قعيقعان من غربيها . وحراء هو الجبل الذي يرى في داخل مكة ويسمى الآن جبل النور وفيه الغار الذي كان يتعبد به النبي ﷺ وهو في الجهة الشمالية من مكة على يسار الذاهب منها الى منى فعرفات يبعد عن الطريق زهاء ميل ويبلغ ارتفاعه زهاء مائتي متر. ولا يرى من منى ورواية أبي نعيم عن ابن مسعود «رأيت

جبل حراء من بين فلقتي القمر» وأما السويداء فلا يعلم مكانها من تفسير الحافظ لها وفي معجم البلدان وكتب اللغة أنها موضع تابع للمدينة وفي المعجم أنها على بعد ليلتين منها، والحافظ ثقة في النقل. ومنى أعلى من مكة والمسافة بينهما ثلاثة أميال

وجملة القول أن الروايات الواردة في كون القمر انشق وهم في مكة لا تتفق مع الروايات المصرحة بأنهم كانوا في منى لان كل ماذكر في بعضها من التفصيل والبيان للجبلين اللذين أبهما في البعض الآخر يفيد انه لا يمكن أن يراهما من كان في منى . فقول الداودي بتناقض الروايتين ظاهر، وما اعتمده الحافظ من الجمع بينهما مردود ، ولذلك لجأ بعضهم الى تعدد الانشقاق وقد أبى الحافظ قبوله على إغماضه وتساهله في الجامع بين الروايات المتعارضة لان مدار اثباته على النقل ولم ينقل الا في رواية ضعيفة فيها لفظ مرتين وقالوا ان صوابه شقتين أو فرقتين وفاقا لسائر الروايات .

والقاعدة المشهورة عند العلماء في الادلة المتعارضة التي يتعذر الجمع بينها تساقطها ومن الدائر على السنتهم في المتعارضين كذلك « تعادلا فتساقطا » والقطعيان لا يتعارضان . والافاضة في هذه المباحث ليست من موضوع هذه الفتوى

(ج) استشكال الرواية بعدم تواترها

ذكر علماء الاصول أن الخبر اللغوي مايحتمل الصدق والكذب لذاته وان أقسامه العقلية ثلاثة مايقطع بصدقه بالضرورة أو بالنظر الذي يؤدي اليها ــ وما يقطع بكذبه كذلك وما لا يقطع بصدقه ولا كذبه . . وذكروا أن مما يقطع بكذبه الخبر الذي لو كان صحيحا لتوفرت الدواعي على نقله بالتواتر اما لكونه من أصول الشريعة واما لكونه أمراً غريباً كسقوط الخطيب عن المنبر وقت الخطبة

ومن المعلوم بالبداهة أن انشقاق القمر أمر غريب بل هو في منتهى الغرابة التي لا يعد سقوط الخطيب في جانبها غريباً لان الاغماء كثير الوقوع في كل زمن ومتى وقع سقط صاحبه خطيبا كان أو غير خطيب، وانشقاق القمر غير معهود في زمن من الازمان فهو محال عادة وبحسب قواعد العلم مادام نظام الكون ثابتاً، وان كان ممكنا في نفسه لا يعجز الخالق تعالى ان أراده . فلو وقع لتوفرت

الدواعي على نقله بالتواتر لشدة غرابته عند جميع الناس في جميع البلاد ومن جميع الامم ، ولو كان وقوعه آية ومعجزة لاثبات نبوة النبي ﷺ لكان جميع من شاهدها من أصحاب النبي ﷺ نقلها وأكثر الاستدلال والاحتجاج بها حتى كان يكون من نقلتها في رواية الصحيحين قدماء الصحابة الذين كانوا لا يكادون يفارقون النبي ﷺ ولا سيما في مثل هذه المواقف كالخلفاء وسائر العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم (رض) وقد علمت أنه لم ينقل فيهما مسنداً الا عن عبدالله ابن مسعود (رض) وأنه لم يقل ان ذلك كان آية بطلب كفار قريش وانما روى هذا أنس بن مالك وروايته مرسلة ليست عن مشاهدة كما تقدم ، وعلمت ما في الروايات في غير الصحيحين من العلل

وقد ذكر الحافظ هذا الاشكال في الفتح وأجاب عنه بما نصه :

« وأما قول بعضهم لو وقع لجاء متواتراً واشترك اهل الارض في معرفته ولما اختص بها اهل مكة (فجوابه) ان ذلك وقع ليلا وأكثر الناس نيام والابواب مغلقة وقل من يرصد السماء إلا النادر ، وقد يقع بالمشاهدة في العادة أن ينكسف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها إلا الآحاد فكذلك الانشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا فلم يتأهب غيرهم لها ، ويحتمل أن يكون القمر ليلتئذ كان في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم » اه

تضمن جواب الحافظ عن هذا الاشكال جوابا عن إشكال آخر في معناه ذكره بعده مع الجواب عنه نقلا عن الخطابي أحد قدماء شراح صحيح البخاري وسيأتي. ونقول في جوابه عن مسألة نقل المتواتر (اولا) ان وقوعه في الليل وأكثر الناس نيام لا ينافي نقله بالتواتر ، إذ لابد أن يكون رآه عدد يحصل بهم نقل التواتر ولو من اهل مكة انفسهم ولا يمكن ان يختص برؤيته بعض الافراد كما بيناه في توجيه الاشكال. وقد علم من بعض الروايات انه وقع في منتصف الشهر والقمر بدر ولا بد ان يكون ذلك في اول الليل كما ذكره الحافظ احتمالا وبه تظهر رواية كونه كان آية على صحة نبوته ﷺ . والظاهر من رواية التصريح بانهم كانوا في منى ان

ذلك كان في الموسم اذ لا يجتمع الناس في منى إلا في ايام التشريق وهي الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر ، وصرح بعضهم بانه انشق في الليلة الرابعة عشرة ، ولا يعقل أن يضرب للذين طلبوا منه (ص) الآية من كفار قريش آخر الليل موعداً، على أنه لا فرق بين أول الليل وآخره من جهة اجتماع الناس من المسلمين والمشركين لانه لاقامة الحجة وهي لا تكون بالسر والاخفاء .

(ثانياً) ان المعلوم من عادة الناس في جميع البلاد أن يكونوا مستيقظين في اول الليل ولاسيما في الليالي البيض التي يكون القمر فيها بدراً يطلع من اول الليل وانهم يكثرون النظر اليه لجماله وخاصة في الاماكن الخلوية كمنى. وقد علمت انهم قالوا ان انشقاقه كان قبل الهجرة بخمس سنين . ومن راجع حساب السنين في ذلك لذلك العهد علم ان موسم الحج قبل الهجرة بخمس سنين كان في فصل الصيف

(رابعاً) أن التنظير بين انشقاق القمر والخسوف في غير محله لان الخسوف من الامور الكثيرة الوقوع التي لا يعنى جماهير الناس بذكرها وانما يهتم بها علماء الفلك دون غيرهم وهي ترى في بعض البلاد دون بعض ،وأصحاب التقاويم الفلكية السنوية المألوفة في هذه البلاد يذكرون في كل سنة مالعله يقع في اثنائها من خسوف القمر وكسوف الشمس ويحددون وقته بالدقائق والثواني ويذكرون البلاد التي يرى فيها والتي لا يرى فيها لأن سببهما من الامور المعلومة بالقطع، ومنه يعلم انهما ليسا من الامور التي تعرض لجرم القمر والشمس، وانما سبب خسوف القمر ان الارض تقع بينه وبين الشمس فتحجب نورها عنه بقدر مايقع من ظلها عليه ، وسبب كسوف الشمس وقوع جرم القمر بينها وبين الأرض. وأما انشقاقه فهو صدع لجرمه يفصل بين أجزائه ، فاذا كان هذا الفصل واسعاً كالذي تصفه لنا الروايات السابقة فلا بد ان يراه كل من نظر اليه في كل قطر

(خامساً) ان قوله :ويحتمل أن يكون القمر ليلتئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم — لا يفيد في دفع الاشكال فان كل من يراه في المنزلة التي انشق فيها لا بد ان يراه منشقا بخلاف الخسوف كما علم مما قلناه آنفا

(د) إشكال خفاء الحادثة على جميع الاقطار

هذا الاشكال في معنى الذي سبقه أو مؤكد له وقد أفرده علماؤنا بالذكر وأجابوا عنه وقد كفانا الحافظ رحمه الله مؤنة مراجعة ما كتبوه فجاء بأحسنه وهاك ما أورده في هذه المسالة عقب مانقلناه عنه فيما قبلها :

«وقال الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لايكاد يعدلها شيء من آيات الانبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجا من جملة طباع مافي هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر، وقد أنكر ذلك بعضهم فقال : لو وقع ذلك لم يجز أن يخفى أمره على عوام الناس لانه أمر صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على رؤية كل غريب ونقل مالم يعهد فلو كان لذلك أصل لخلد في كتب أهل التسيير والتنجيم اذ لايجوز اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره ، والجواب عن ذلك أن هذه القصة خرجت عن بقية الامور التي ذكروها لانه شيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لان القمر لاسلطان له بالنهار ، ومن شأن الليل أن يكون أكثر الناس فيه نياما ومستكنين بالابنية ، والبارز بالصحراء منهم اذا كان يقظان يحتمل أنه كان في ذلك الوقت مشغولا بما يلهيه من سمر وغيره. ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مراصد مركز القمر ناظرين اليه لايغفلون عنه فقد يجوز إنه وقع ولم يشعر به أكثر الناس وانما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر.

« ثم أبدى حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن بما حاصله : ان معجزة كل نبي كانت اذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب به من قومه للاشتراك في إدراكها بالحس، والنبي ﷺ بعث رحمة فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذين بعث منهم لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الافهام . ولو كان ادراكها عاما لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم ،

«وذكر أبو نعيم في الدلائل نحو ماذكره الخطابي وزاد :ولا سيما اذا وقعت

الآية في بلدة كان عامة أهلها يومئذ الكفار الذين يعتقدون أنها سحر ويجتهدون في إطفاء نور الله (قلت) وهو جيد بالنسبة إلى من سأل عن الحكمة في قلة من نقل ذلك من الصحابة ، وأما من سأل عن السبب في كون أهل التنجيم لم يذكروه فجوابه أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه نفاه وهذا كاف فإن الحجة فيمن أثبت لا فيمن يوجد عنه صريح النفي حتى إن من وجد عنه صريح النفي يقدم عليه من وجد منه صريح الاثبات

«وقال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى ان انتهى الينا ويؤيد ذلك بالآية الكريمة فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر . ثم اجاب بنحو جواب الخطابي وقال وقد يطلع على قوم قبل طلوعه على آخرين وأيضاً فان زمن الانشقاق لم يطل ولم تتوفر الدواعي على الاعتناء بالنظر اليه ومع ذلك فقد بعث اهل مكة الى آفاق مكة يسألون عن ذلك فجاءت السفار واخبروا بأنهم عاينوا ذلك وذلك لان المسافرين في الليل غالباً يكونون سائرين في ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك . وقال القرطبي : الموانع من مشاهدة ذلك إذا لم يحصل القصد اليه غير منحصرة . ويحتمل ان يكون الله صرف جميع اهل الارض غير أهل مكة وماحولها عن الالتفات إلى القمر في تلك الساعة ليختص بمشاهدته اهل مكة كما اختصوا بمشاهدة اكثر الآيات ونقلوها إلى غيرهم . اه وفي كلامه نظر لان احداً لم ينقل ان احداً من اهل الآفاق غير اهل مكة ذكروا انهم رصدوا القمر في تلك الليلة المعينة فلم يشاهدوا انشقاقه فلو نقل ذلك لكان الجواب الذي ابداه القرطبي جيداً ولكن لم ينقل عن احد من اهل الارض شيء من ذلك . فالاقتصار حينئذ على الجواب الذي ذكره الخطابي ومن تبعه اوضح والله اعلم اه

أقول قد علم مما تقدم آنفا ضعف الجواب عن هذا الاشكال كسابقه ونزيد عليه ما أرجأناه عمدا وهو قول الخطابي ومن تبعه لعل انشقاق القمر انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر » فهذا الاحتمال هو الذي يمكن ان يعقل به احتمال عدم رؤية أهل الاقطار له حتى أهل مكة وكذا من كان في منى ولذلك

ذكرناه في تلخيص المسألة في المجلد السادس ، واذا أضيف إليه احتمال وقوع الرؤية في آخر الليل يزداد قوة ـ وقد يكون كل من الاحتمالين معقولا اذا اعتمدنا في المسألة ظاهر حديث ابن مسعود المسند المتصل في الصحيحين وماوافقه من أن انشقاقه لم يكن إجابة لاقتراح المشركين على النبي (ص) ان يريهم آية تدل على صدق دعواه ، ولا يعقل على رواية انس المرسلة في الصحيحين ومافى معناها فى غيرهما كما تقدم من أن ذلك كان آية مقترحة لان الله تعالى اذا اراد ان يؤيد رسوله (ص) بآية كونية عظيمة كهذه تكون حجة له على الناس فانه لايجعلها كطرفة عين يراها افراد قليلون فى آخر الليل وقد ران الكرى على اجفانهم بحيث يعذرون فى اتهام أبصارهم بهذه الرؤية كماورد في بعض الروايات انهم قالوا ذلك . وجاء في بعض التفاسير انه وقع مثل ذلك ببعض المتأخرين فزعم انه رأى القمر قد انشق ومن المعلوم بالضرورة ان هذا تخيل، بل يجعلها آية مبصرة كناقة صالح لايمكن الشك ولا المراء الظاهر فيها

واما ماورد في غير الصحيحين من انتظار اهل مكة للسفار واخبارهم برؤيته منشقا فهو لايصح ولو صح لكان مؤيدا لاشكال توفر الدواعي على نقله متواترا

أما الحديث فقد رواه ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وكذا أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة كلهم من طريق مسروق عن ابن مسعود وفي سنده عند ابن جرير المغيرة بن مقسم (بكسر الميم) الكوفي الفقيه وهو مدلس وقد عنعن فلايحتج بروايته. وأما تاييده لماذكر من الاشكال فظاهر لان رؤية اولئك السفار له دليل على رؤية غيرهم من مسافر ومقيم وهم كثيرون وحينئذ لابد أن يرويه الكثيرون. ومن غرائب الاحتمالات التي تخيلها بعض المجيبين عن هذا الاشكال قول القرطبي الذي نقلناه عن الحافظ آنفا فحاصله مع ماقبله ان هذه الآية العظيمة جعلها الله تعالى في لحظة من آخر الليل وصرف عن رؤيتها أبصار جميع الخلق غير الذين كانوا مع النبي (ص) ليلتئذ وكذا بعض سفار المكيين على رواية شاذة !!!

الاستفتاء في حقيقة الربا

يعلم قراء المنار أن مسألة الربا أعظم المشكلات الاسلامية المدنية التي شغلت بال الحكام والزعماء والعلماء في هذا العصر. ولدينا أسئلة كثيرة في معاملات المصارف المالية (البنوك) والشركات والعقود التي فيها شيء مما يعده الفقهاء من المعاملات الربوية، وردت في تواريخ مختلفة وكنا نرجيء الجواب عنها الى فرصة يتاح لنا فيها حل هذه المشكلة بتفصيل يشمل هذه الفروع او يبنى عليه بيان حكمها. وقد فتحت لنا هذا الباب حكومة حيدر أباد الدكن الهندية الاسلامية منذ أشهر قليلة اذ نشرت في الامصار الاسلامية الكبرى رسالة في حقيقة المسألة وهي فتوى لبعض العلماء هنالك في محاولة تحرير الموضوع طبعتها الحكومة الآصفية ووزعت بأمر الصدارة العالية والمحكمة الشرعية فيها على العلماء المشهورين في الاقطار الاسلامية طالبة منهم بيان آرائهم فيها بالدليل الشرعي وإرسال الاجوبة بعنوان (معين صدر الصدور — محكمة الصدارة العالية) في تلك العاصمة . وقد أرسلت الينا ثلاث نسخ من هذا الاستفتاء واحدة خاصة بنا والاخريان لصاحبي الفضيلة شيخ الازهر والشيخ محمد بخيت أرسلناهما اليهما . وها نحن أولا ننشر نص الاستفتاء بحواشيه وبعد نشره نبين رأينا فيه ثم نشرع بعد ذلك في نشر تلك الاسئلة أو ما يغني منها عن غيره ونجيب عنها اجوبة مختصرة يغنينا تحرير حقيقة الربا عن الاطالة فيه ان شاء الله تعالى

(١) ليعلم القراء اننا ننشر هذه الفتوى الطويلة مع حواشيها بنصها المطبوع

ولا نعني بتصحيح شيء منها ولا بالتعليق على مانراه منتقدا من عباراتها او معانيها في اثناء نشرها الا الفاظا قليلة للكاتب عذر فيها كرسم الربا برسم المصحف « الربوا » وكذا رسم الصلاة والزكاة بالواو وهي طريقة إخواننا مسلمي الهند

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حامداً ومصلياً)

(ان اريد الا الاصلاح مااستطعت وماتوفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب)

﴿ وبه نستعين ﴾

اعلموا ان الله حرم الربا في القرآن بقوله جل ثناؤه (أحل الله البيع وحرم الربا) قال ابن كثير في تفسيره باب الربا من اشكل الابواب على كثير من اهل العلم اه. فلو لم يفسره الفقهاء المجتهدون — شكر الله مساعيهم — لما اتضح لنا حقيقته فعلينا ان ننقل ماروي عن ائمتنا في تفسيره :

قالوا ان الامة اتفقت على ان المعنى اللغوي ليس مراداً [1] في الآية لان الربا في اللغة الزيادة مطلقاً وهي اعم من كل زيادة . وظاهر ان كل فرد من افراد الزيادة ليس بحرام بل بعضها حرام . وبعد اتفاقهم عليه تشعبوا فرقتين فالائمة

(١) قال فخر الاسلام البزدوي في كشف الاسرار - أما المجمل فما لا يدرك لغة لمعنى زائد ثبت شرعا -قال شارحه البخاري-كالربا فانه اسم للزيادة وهي بنفسها ليست بمرادة اه (ص٤٣-ج١) وقال في موضع آخر - ثم المجمل وهو ما ازدحمت فيه المعاني واشتبه المراد اشتباها لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع الى الاستفسار ثم الطلب ثم التأمل وذلك مثل قوله تعالى (وحرم الربا) فانه لا يدرك بمعاني اللغة بحال وكذلك الصلاة والزكاة وقال شارحه - فان مطلق الزيادة التي يدل عليها لفظ الربا وكذلك الدعاء والنماء اللذان يدل عليهما لفظ الصلاة والزكاة لم يبقيا بمرادين بيقين ونقلت هذه الالفاظ الى معان أخر شرعية امام رعاية المعنى اللغوي أو بدونه

وجمهور العلماء عينوا هذه الافراد بالسنة وهو الفضل الذي وردت السنة بكونه ربا فهو حرام عندهم اعني الفضل في البيع فالربا عندهم منحصر في البيع لاغير .
وذهب البعض الى ان اللام في الربا للعهد والمراد به ربا الجاهلية، فالمآل على هذا التفسير ان القرآن حرم ربا الجاهلية ولما لم يثبت صورة ربا الجاهلية من حديث مرفوع متصل الى الآن لم يلتفت الائمة والجمهور اليه وقالوا ان ربا القرآن مجمل والحديث مفسر له . قال القاضي سناء الله في تفسيره المظهري : قال جمهور (١)

فلا يوقف عليه الا بالتوقيف كما في الوضع الاول (ص١٥٥-ج-١) وقال أيضاً لان المجمل ثلاثة أنواع نوع لا يفهم معناه لغة كالهلوع قبل التفسير ونوع معناه مفهوم لغة ولكنه ليس بمراد كالربا والصلاة والزكاة (شرح كشف ص ٥٤ ج - ١ وغاية التحقيق شرح الحسامي) ثم قال شارح الحسامي: كآية الربا فانها مجملة إذ الربا عبارة عن الفضل لغة والفضل نفسه ليس بمراد بيقين اذ البيع لم يشرع الا للاسترباح وتحصيل الفضل فان كل واحد من المتبايعين ما لم ير فضلا في البدل المطلوب له لا يبذل ملكه بمقابلته (غاية التحقيق) قال العيني في البناية : وليس المراد مطلق الفضل بالاجماع وان فتح الاسواق في سائر بلاد المسلمين للاستفضال والاسترباح اه (شرح هداية كتاب البيوع) وقال الجصاص الرازي بعد تصريح اجمال الربا لا يصح الاحتجاج بعمومه وانما يحتاج الى أن يثبت بدليل آخر أنه ربا حتى يحرمه بالآية اه أحكام القرآن (ص٤٦٤ ج - ١) *

(١) واليه مال الامام الشافعي رضي الله عنه والشافعية وأكثر المالكية قال الجصاص الرازي-وظن الشافعي أن لفظ الربا لما كان مجملا أنه يوجب اجمال لفظ البيع (أحكام ص٤٦٩-ج١) قال الامام الرازي في تفسيره الكبير : مذهب الشافعي أن قوله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) من المجملات التي لا يجوز التمسك بها - ثم قال - وهذا هو المختار عندي فوجب الرجوع في الحلال والحرام الى بيان الرسول ﷺ (ص ٥٣٥ - ج ٢) قال العلامة التفتازاني في التلويح : والمجمل وهو ما خفي المراد منه انفس اللفظ خفاء لا يدرك الا ببيان من المجمل سواء كان ذلك لتزاحم المعاني المتساوية الاقدام كالمشترك أو لغرابة اللفظ كالهلوع أو لانتقاله من معناه الظاهري الى ما هو غير معلوم كالصلاة والزكاة والربا - قال البغوي في معالم التنزيل : واعلم أن الربا في اللغة الزيادة قال الله تعالى (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال

العلماء هذا مجمل لان طلب الزيادة بطريق التجارة غير محرم في الجملة فالمحرم انما هو زيادة على صفة مخصوصة لاتدرك الا من قبل الشارع فهو مجمل وماقال رسول الله ﷺ التحقه بياناً . قال الجصاص الرازي الحنفي : وهو (اي الربا) يقع على معان لم يكن الاسم موضوعا لهـا في اللغة — وبعـد سرد الادلة على اجمال الربا قال — فثبت بذلك ان الربا قد صار اسماً شرعياً لانه لو كان باقياً على حكمه في اصل اللغة لما خفي على عمر لانه كان عالما بأسماء اللغة لانه من اهلها اه ثم قال : واذا كان ذلك على ماوصفنا صار بمنزلة سائر الاسماء المجملة المفتقرة الى البيان وهي الاسماء المنقولة من اللغة الى الشرع لمعان لم يكن الاسم موضوعاً لها

الناس ـ أي ليكثر في أموال الناس ـ فلا يربو عند الله) فطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة انما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله ﷺ فيما أخبرنا الحديث ـ وأورد في تفسير اجماله حديث عبادة ابن الصامت وقال في آخره : وهذا في ربا المبايعة ـ قال الشيخ عبد القادر الجرجاني في درج الدرر: الذين يأكلون الفضل في المداينات ، والربا في اللغة عبارة عن الزيادة والنماء وفي الشرع عبارة عن عقد فاسد بصفات معهودة والاصل فيه حديث أبي سعيد الخدري «الذهب» ـ الخبر ـ تلقته الفقهاء بالقبول فدخل في حيز التواتر اه وكذلك نقل السيوطي اجمال الربا . قال ابن رشد الفقيه المالكي في المقدمات قد اختلف في قوله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة * ولله على الناس حج البيت * كتب عليكم الصيام) هل هي من الالفاظ العامة المجملة ؟ فمن أهل العلم من ذهب الى أنها كلها مجملة لا يفهم المراد بها من لفظها وتفتقر في البيان إلى غيرها (ص١٢١ ـ ج٣) وفي موضع آخر : وقد اختلف في لفظ الربا الوارد في القرآن هل هو من الالفاظ العامة يفهم المراد بها وتحمل على عمومها حتى يأتي مايخصها أو من الالفاظ المجملة التي لا يفهم المراد بها من لفظها أو تفتقر في البيان إلى غيرها ؟ على قولين والذي يدل عليـه قول عمر بن الخطاب : كان من آخر ما أنزل الله تعـالى على رسوله آية الربا فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسرها لنا أنها من الالفاظ المجملة المفتقرة الى البيان والتفسير (ص٤١ ـ ج٣) *

في اللغة نحو الصلاة والصوم والزكاة اه [1] وفي جواب استدلال الشافعية عن كون علة الربا مأكولا قال الجصاص الرازي : فهذا عندنا لا يدل على ماقالوا من وجوه (أحدها) ماقدمنا من اجمال لفظ الربا في الشرع وافتقاره الى البيان فلا يصح الاحتجاج بعمومه وانما يحتاج الى ان يثبت بدلالة اخرى انه ربا حتى يحرمه بالآية انتهى . وقال صدر الشريعة الحنفي : والمجمل كآية الربا فان قوله تعالى (وحرم الربا) مجمل لان الربا في اللغة هو الفضل وليس كل فضل حراما بالاجماع ولم يعلم ان المراد اي فضل فيكون مجملا ثم لما بين النبي ﷺ الربا في الاشياء الستة احتيج بعد ذلك الى الطلب والتأمل ليعرف علة الربا في غير الاشياء الستة [2] وكذا في شرح التحرير لابن الهمام وفي المسلم وفواتح الرحموت ومرقاة الوصول وشرحه مرآة الاصول وغيرها من كتب الاصول .

قال العلامة النسفي في كشف الاسرار : وكذلك آية الربا مجملة لاشتباه المراد وذا لا يدرك بمعاني اللغة بحال فهو في اللغة الفضل ولكن الله تعالى ماأراده وقال العلامة نظام الدين الشاشي: المجمل وهو مااحتمل وجوهاً فصار بحال لا يوقف على المراد الا ببيان من قبل المتكلم، ونظيره في الشرعيات قوله تعالى (وحرم الربا) قال ابن نجيم في فتح الغفار: وليس المراد أن كل مجمل بعد بيان المجمل يحتاج الى الطلب والتأمل فالصلاة بيانها شاف فلم تحتج الى تأمل بعده وبيان الربا غير شاف صار به المجمل مؤولا وهو يحتاج الى الطلب والتأمل كما في الكشف فالرجوع الى الاستفسار في كل مجمل والطلب والتأمل انما هو في البعض [3] قال صاحب فصول البدائع في حكم المجمل : هو التوقف الى الاستفسار مع اعتقاد حقية ماهو المراد حالا ثم الطلب والتأمل ان احتيج اليهما كما في الربا فان حديث الاشياء الستة الحاصل من الاستفسار معلل بالاجماع [4] قال عبد العزيز البخاري في شرح الاصول للبزدوي : والحاصل ان المجمل قسمان :ماليس له ظهور اصلا كالصلاة والزكاة والربا او ماله ظهور من وجه كالمشترك [5]

---

(١) أحكام القرآن ص ٤٦٤ ـ ج ١ * (٢) توضيح قسم ثالث ص١٢٥ *
(٣) قلمي ص٧٩ * (٤) ج ٢ * (٥) ص ٤٣ ـ ج ١ *

واذا ثبت من هذه النقول ان الربا الذي وقع فى القرآن مجمل وثبت ايضاً أنه لايثبت منه حكم بدون تفسير الشارع عليه السلام فحينئذ علينا ان نحرر التفسير الذي ورد عنه عليه السلام وهو ماروى عبادة وابوسعيد وابوهريرة وعمر وغيرهم في بيع الاشياء الستة بصورة مخصوصة وقد جعله الفقهاء ايضاً بيانا للربا كما قال ابن عابدين في نسمات الاسحار: كبيان الربا بالحديث الوارد في الاشياء الستة وفي نور الانوار: كالربا في قوله تعالى (وحرم الربا) فانه مجمل بينه النبي ﷺ بقوله «الحنطة بالحنطة» الحديث. قال ابن امير الحاج في شرح التحرير لابن الهمام: كبيان الربا بالحديث الوارد في الاشياء الستة في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يداً بيد، فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يداً بيد» ورواه مسلم عن ابي سعيد الخدري لفظه قال قال رسول الله ﷺ «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يداً بيد فمن زاد [1] او استزاد فقد اربى الآخذ والمعطي فيه سواء» وكذلك يلحق في تفسير اجمال الآية حديث أسامة بن زيد «الربا في النسيئة» اخرجه مسلم

ولا يصح تفسيره بالحديث الذي روي عن جابر وعمرو بن الاحوص بلفظ «ان ربا الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربانا ربا عباس بن عبد المطلب» لانه لم يظهر تفسير ربا الجاهلية من حديث مرفوع متصل الى الآن حتى يكون بيانا له وكيف وهو مجمل كربا القرآن؟

*
* *

فعلى هذا حقيقة الربا الفضل الذي يكون في البيع سواء كان فضل عين او أجل فاذا بيع شيء من هذه الستة وما في حكمها من جنسه فالفضل والأجل كلاهما ربا واذا بيع منها شيء بغير جنسه فالاجل فقط ربا وهو ربا النساء وكذلك الزيادة على الثمن المؤجل اذا لم يقض الثمن عند حلول الاجل ربا وهو ربا النسيئة

---

(١) وفيه دلالة على أن الفضل مطلقاً رباً ولو من غير شرط *

في الاولى اي اذا وقع بيع جنس بجنس فلابد لجواز البيع من امرين : الاول المساواة في الكيل اوالوزن والثاني قبض البدلين في المجلس

و في الثانية اذا كان الجنسان من هذه الاشياء الستة وما في حكمها مختلفين فلا يشترط ههنا الا القبض في المجلس ولا يشترط المساواة كيلا او وزناً

(وفي الثالثة) اي اذا كانت الاشياء من غير هذه الستة وما في حكمها لايجوز الفضل على الثمن المؤجل بعد حلول الاجل ان لم يقض هذا الثمن بمقابلة الاجل

والاصل فيه ان المتبايعين يريدان المساواة في البدلين وعليه مدار عقد البيع فلهذا وضع لها الشارع عليه السلام اصولا وقوانين يعرف بها المساواة والفضل الذي يحكم عليه الشرع بأنه ربا (الاول) ان للنقد مزية على النسيئة (والثاني) اذا كان البدلان كيلياً او وزنياً فلا بد ان يكونا متساويين في الكيل اوالوزن (والثالث) اذا كان احد البدلين غير المكيل والموزون فما تراضى عليه العاقدان فهو بدل الآخر ومساو له .

ومن هذه الاصول يعلم ماجعل الشارع عليه السلام من الفضل ربا في البيع والشراء

فالفضل والاجل كلاهما ربا في بيع المكيل بالمكيل والموزون بالموزون من جنسه لانه فضل حقيقةً او حكماً ولادخل فيه لتراضي العاقدين والبيعين فان تراضي البيعين في امثال هذا البيع بالفضل اوالاجل او بكليهما لايصحح هذا البيع ويكون الفضل والاجل كلاهما ربا لقول النبي ﷺ «من زاد » أي اعطى الزيادة «او استزاد» اي طلب الزيادة «فقد اربى» وفي المدونة ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه راطل ابا رافع فوضع الخلخالين في كفة فرجحت الدراهم فقال ابو رافع هو لك انا احله لك فقال ابو بكر ان احللته لي فان الله لم يحله لي سمعت رسول الله ﷺ يقول « الذهب بالذهب وزناً بوزن والورق بالورق وزناً ، بوزن الزائد[1] والمزاد في النار»[2]

(١) فيه دلالة على أن الزيادة في القرض ليست بربا لانه لو كانت رباً لحرمت بدون شرط أيضاً ولم يقل به الفقهاء على أنه ثبت بالاحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم زاد وقت الاداء في القرض وأثنى على هذا كما سيأتي ان شاء الله تعالى ، وقال ابن عابدين في الدر المختار : فان الزيادة بلا شرط رباً أيضاً الا أن يهبها على ما سيأتي (باب الربا كتاب البيوع) ص ٢٧٤ — ج ٤ * (٢) (ص ١١٠ ج ٣) *

وعند اختلاف الجنس من هـذه الاشياء لم يجعل الشارع المساواة باعتبار التساوي كيلا ووزناً حتى لم يحرم في هذه الصورة الفضل كيلا أو وزناً لانه امر غير معقول بل جعل المساواة المطلوبة ماتراضى عليها العاقدان والبيعان من كون أحدها مساويا للآخر، نعم جعل للنقد مزية على النسيئة فيكون الاجل ربا ولا يعد التراضي فيه شيئاً بل يصير ملغى. واذا اختلف جنس البدلين من غير هذه الستة بأن يكون المكيل في طرف وغيره في طرف آخر فالمساواة المطلوبة هي ما تراضى عليها العاقدان ولم يكن الاجل ربا في هذه الصورة لانه خلاف القياس ونحوه ينحصر فيما ورد فيه النص بشرط ان يكون الاجل من احد المتعاقدين لامن كليهما لنهي النبي ﷺ عن بيع الكالىء بالكالىء، واذا عين الاجل بالتراضي، فاذا حل الاجل ولم يقض المديون وطلب النظارة وزاد بها في الثمن فتكون هـذه الزيادة ربا ايضاً لانه فضل على ماتراضى عليه البيعان اولا وجعلاه مساويا للآخر فهذه الزيادة لامحالة تكون بمقابلة الاجل ولا قيمة للاجل مستقلا عند الشارع فتكون هذه الزيادة فضلا محضاً وهو عين الربا

الحاصل ان هذه الاحاديث المفسرة لربا القرآن تدل على ان في بيع احـد المتجانسين من الاشياء الستة وما في حكمها الفضل والاجل كلاهما ربا وفي بيع احد المتجانسين منها بخلاف جنسه الاجل فقط رباً لا الفضل وهو ربا النسيئة وفي البيع بثمن مؤجل ما يزاد على النسيئة اي الثمن المؤجل عند حلول الاجل بمقابلة الاجل ربا وهو الربا في النسيئة، وجميع هذه الاقسام تنحصر في البيع. فالربا ثلاثة أنواع وكل منها حرام بالقرآن لان المجمل من الكتاب اذا لحقه البيان كان الحكم بعده مضافا الى الكتاب لا الى البيان في الصحيح (١) الاثنان منها ما يفسره حديث عبادة بن الصامت وابي سعيد وغيرهما. والثالث ما يفسره حديث اسامة بن زيد

قال القسطلاني في شرح البخاري: وهو (اي الربا) ثلاثة انواع ربا الفضل

---

(١) كذا في رد المحتار باب صفة الصلاة مبحث القعود الاخير (ص٤٧٠)*

وهو البيع مع زيادة احد العوضين على الآخر وربا اليد وهو البيع مع تأخير قبضهما او قبض احدهما وربا النساء [١] وهو البيع لاجل وكل منها حرام [٢] قال صاحب تفسير السراج المنير : وهو لغة الزيادة وشرعا عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد او مع تأخير في البدلين او احدهما وهو ثلاثة انواع : ربا الفضل وهو البيع مع زيادة احد العوضين على الآخر وربا اليد وهو البيع مع تأخير قبضهما او قبض احدهما وربا النساء وهو البيع الى اجل . وفي هذه الاقوال دلالة واضحة على ان الانواع الثلاثة للربا منحصرة في البيع . فعلى هذا لا يوجد الربا في عقد خلا البيع . قال ابن كثير في تفسير سورة الروم: وقال ابن عباس الربا رباآن فربا لا يصح يعني ربا البيع وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها واضعافها [٣] وفيه تصريح منه رضي الله عنه على ان الربا الذي لا يجوز هو ربا البيع فقط وما خلا ربا البيع فلا بأس به. قال العلامة العيني في شرح الهدية : ولما فرغ عن بيان ابواب البيوع التي امر الشارع بمباشرتها بقوله (وابتغوا من فضل الله) مع انواعها صحيحها وفاسدها شرع في بيان ابواب البيوع التي نهى الشارع عنها بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) اه ثم قال وقال علماؤنا هو نوع بيع فيه فضل مستحق لأحد المتعاقدين خال مما يقابله من عوض شرط في هذا العقد . اه وكذا في العناية ولذا قال العلامة السرخسي في حده: وفي الشريعة هو الفضل الخالي عن العوض المشروط [٤] في البيع (مبسوط) وما قال صاحب الهداية اعني : الربا هو الفضل المستحق لاحد المتعاقدين في المعاوضة الخالي عن عوض شرط فيه ـ

---

(١) المراد به الربا في النسيئة بقرينة أنه سمى ربا النسيئة بربا اليد فلا محالة أن يسمى هذا بربا النساء وهو البيع لنسيئة الى أجل ثم الزيادة عند حلول الاجل وعدم قضاء الثمن بمقابلة الأجل (٢) (كتاب البيوع ص ٢٢ ـــ ج ٤) *

(٣) (ص٣٤٨ ـــ ج ٧) * (٤) قال ابن عابدين في شرح الدر تحت قوله (مشروط) تركه أولى فانه مشعر بان تحقق الربا يتوقف عليه وليس كذلك لان الزيادة بلا شرط ربا أيضا اه ملخصاً ـ باب الربا

فيؤول اليه. قال شارحه : الربا هو الفضل الخالي عن العوض المشروط في البيع (عناية) وفي الملتقى : الربا فضل مال خال عن عوض شرط لأحد العاقدين في معاوضة [1] مال بمال . وفي العالمكيرية : الربا في الشريعة عبارة عن فضل مال لايقابله عوض في معاوضة مال بمال

قال صدر الشريعة في التوضيح : واما المخصوص بالكلام فعند الكرخي لايبقى حجة اصلا معلوما كان او مجهولا كالربا حيث خص من قوله (وأحل الله البيع) اه يعني ان البيع عام يشمل الربا وغيره وخص منه الربا فلو لم يكن الربا فرداً من افراد البيع وداخلا تحته كيف يصح تخصيصه من البيع ؟ قال فخر الاسلام البزدوي : وخص الربا من قوله (واحل الله البيع وحرم الربا) اه وقال ابن عابدين الشامي: كالربا خص من (احل الله البيع) بقوله تعالى (وحرم الربا) (نسمات)

قال الملا احمد جيون — نظير الخصوص المعلوم والمجهول قوله تعالى (واحل الله البيع وحرم الربا) فان البيع لفظ عام لدخول لام الجنس فيه وقد خص الله منه الربا وهو في اللغة الفضل ولم يعلم اي الفضل يراد به ؟ لان البيع لم يشرع الا للفضل فهو حينئذ نظير الخصوص المجهول ثم بينه النبي ﷺ بقوله « الحنطة بالحنطة والشعير بالشعير . والتمر بالتمر » الحديث (نور الانوار)

*
* *

خلاصة الكلام ان القرآن حرم الربا وكان لفظ الربا فيه مجملا والسنة الصحيحة فسرته بالاقسام التي كلها تندرج في البيع ولهذا خصص الفقهاء الربا بالبيع . قال العلامة الشاشي في حده : الربا هو الزيادة الخالية عن العوض في بيع المقدرات المتجانسة — وفي النقاية — الربا هو فضل خال عن عوض بمعيار شرعي يشرط احد المتعاقدين في المعاوضة (منح الغفار شرح تنوير الابصار)

قال محمد رحمه الله — والربا انما يتحقق في البيع لا في التبرع بعد قوله لان القرض اسرع جوازاً من البيع لانه مبادلة صورة تبرع حكماً اه (نشر العرف) قال شيخ الاسلام المرغيناني : وهو الربا يعمل في المعاوضات دون التبرعات

(١) وسيأتي أن القرض ليس بمعاوضة مالية

(كتاب الهبة) قال ابن عابدين ناقلا عن الزيلعي وهو (اي الربا) مختص بالمعاوضة المالية دون غيرها من المعاوضات والتبرعات (١)

وقال العلامة الشيخزاده في مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر — وهو مختص بالمعاوضات المالية دون غيرها من غير المالية والتبرعات . وقال ملك العلماء العلامة الكاساني : فلا يتحقق الربا اذ هو مختص (٢) بالبياعات وعليه يدل مامر عن المبسوط والهداية وغيرهما

فحينئذ ظهر ان النفع المعين المشروط في القرض ليس من الربا المنصوص لان الآية كانت مجملة لايفهم منها المراد والاحاديث المفسرة لها كلها في البيع لا في غيره ولهذا صرح فقهاؤنا بأن الربا يتحقق في البيع لا في التبرع ولعلهم انكروا (٣) كونه ربا نصياً كما يدل عليه ماقال ملك العلماء في البدائع . ولان

---

(١) (ص ٢٧٣ ج — ٤) كما سيأتي وظاهر أن القرض من التبرعات عند الفقهاء *

(٢) بدائع (١٩٣ ج — ٥) لان الربا هو الفضل والفضل والمماثلة اضافتان تقتضيان الطرفين فلا تحقق لهما بدونهما كسائر النسب والاضافات والطرفان لايوجدان بدون المعاوضة فلا يوجد الربا بدون المعاوضة أي بدون البيع وظاهر أن الطرفين لا يوجدان في القرض لان حكم رد المثل في القرض حكم رد العين كما صرح به الفقهاء والأصوليون قال العلامة الشامي ثم للمثل المردود حكم العين كانه رد العين اهـ (ص ٢٦٣ ج — ٤) واذا لم يتحقق الطرفان في القرض لايتحقق الفضل فلا يوجد فيه الربا لان الربا هو الفضل *

(٣) وكذا أنكر ابن رشد الفقيه المالكي كونه ربا منصوصاً حيث قال في المقدمات: إن رجلا أتى عبدالله بن عمر فقال له ياأبا عبدالرحمن إني أسلفت رجلا واشترطت افضل مما أسلفته فقال عبدالله بن عمر ذلك الحديث بطوله — وقال رضي الله عنه : من أسلف سلفا فلا يشترط أفضل منه وان كان قبضة من علف فهو ربا اهـ — فهذا الفقيه ينكر كونه ربا منصوصاً حيث يقول : وتفسير ذلك (أي قول ابن عمر فانه ربا) إنه مقيس على الربا المحرم بالقرآن (ص ١٤٩ ج —٣) وكذا العلامة البغوي ينكر كونه ربا نصياً حيث ذكر تحت آية الربا حديث عبادة ثم قال وهذا في ربا المبايعة ومن أقرض شيئاً بشرط أن يرد عليه أفضل منه فهو قرض

الزيادة المشروطة تشبه الربا[1] فلا يكون الشبيه بالربا عين الربا وايضاً يظهر من كلام العلامة العيني ان هذا النفع عنده ليس هو الربا المنصوص لانه يظهر من كلامه الذي سيأتي انه لم يظفر بحديث صحيح في هذا الباب بعد تجشمه وتفحصه مع سعة نظاره وكثرة اطلاعه على الحديث وطرقه ولو كان منصوصاً لم يحتج الى هذا التجشم والتفحص

والحديث الذي اخرجه صاحب (بلوغ المرام) عن علي وجرى على ألسنة العوام والخواص بلفظ «كل قرض جر منفعة فهو رباً» لايجوز ان يقع تفسيراً للقرآن لانه غير ثابت ولا اصل له . قال ابن حجر فيه الحارث بن اسامة واسناده ساقط وقال الحافظ جمال الدين الزيلعي في نص الرواية : ذكره عبد الحق في احكامه في البيوع واعله بسوار بن مصعب وقال انه متروك . وكذا نقل عن ابي الجهم في جزئه ان اسناده ساقط وسوار متروك الحديث . قال البخاري في كتاب الضعفاء الصغير سوار بن مصعب منكر الحديث . وقال يحيى يجيء الينا وليس بشيء ، وقال النسائي وغيره متروك وكذا قال ابن الهمام في الفتح ولذا قال أحسن ماههنا عن الصحابة [2] وعن السلف، لان هذا الحديث عنده كان غير صالح للاحتجاج . وعلم منه انه ليس في الباب حديث صحيح قابل للاحتجاج

ونقل الحافظ ابن حجر في التلخيص عن عمر بن بدر انه قال في المغني لم

جر منفعة الخ مراده أن الآية في ربا البيع، والنفع المستحصل بالقرض خارج عن حكم الآية فهو داخل تحت «كل قرض جر منفعة» وكذا العلامة الصوفي الشهير بالخازن ينكر كونه رباً منصوصاً حيث يقول ـ (المسئلة الرابعة) في القرض وهو من أقرض شيئاً بشرط أن يرد عليه أفضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو رباه ـ فانه لم يدخل النفع المبين للقرض تحت ربا القرآن بل أدخله في القرض الجار منفعة يعني أثبت له حكماً آخر بدليل آخر ولو كان عند هؤلاء الأعلام ان نفع القرض هو الربا المنصوص لم يحتاجوا إلى التأويل وأدلة أخرى وسيأتي الكلام عليه مفصلا ان شاء الله تعالى *

(١) (بدائع الصنائع ص ٣٩٥ ج ـ ٧)

(٢) واتفقوا على كراهته وهو دليل على عدم كونه ربا وإلا كان حراما

يصح فيه شيء اه . واما ما قال الغزالي وشيخه : انه صح ، قال الشوكاني في النيل لاخبرة لهما بهذا الفن — ويدل على هذا المعنى ماقال المفسر الخازن : (المسئلة الرابعة) في القرض وهو من اقرض شيئاً وشرط عليه ان يرد عليه افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا ويدل عليه ماروي عن مالك قال بلغني ان رجلا اتى ابن عمر الخ [1] لانه لو كان عنده حديث «كل قرض» صحيحاً قابلاللحجةلم يعدل عنهالى اثر ابن عمر .وكذا العلامة العيني نقل اولا تضعيف هذا الحديث عن غير واحد من الائمة ثم قال : قال الا ترازي مع دعاويه العريضة: والاصل فيهان النبي ﷺ نهى عن قرض جر نفعاً وسكت عنه.وكذا قاله الاكل وسكت عنه معانه [2] كان في ديار الحديث وكتبهالمنوعةوالله اعلم (شرح هداية) وفيهدلالةعلىان[هذا] الحديث ليس لهطريق صحيح والالاتى به وكذا لوكان فيمعناهحديث صحيح لميترك ايرادهفيهذا المقام.

وكذا لا يصح [3] تفسير اجمال الآية بالحديث [4] الموقوف على عبد الله

---

(١) (ص ٢٠٤) (٢) غرضه منه أن هذا الحديث ضعيف لانه لوكان صحيحاً في طريق أوكان شيء من الاحاديث في الباب صحيحاً لاطلع عليه وأورده لانه كان في ديار الحديث وكتبه المنوعة *

٣) قال السيد الجورجاني في رسالته :الموقوف وهومطلقاماروي عن الصحابي من قول أو فعل متصلا كان أو منقطعاً وهو ليس بحجة على الاصح اه *

٤) أخرج البخاري هذه الرواية عن سليمان بن حرب وعن شعبة عن سعيد بن بردة عن أبيه واخرجه أيضاً عن أبي كريب عن أبي أسامة عن بريد عن أبي بريدة وليس فيه ذكر القرض ولا ذكر الربا ولكن قال ابن حجر : ووقعت هذه الزيادة في رواية أبي أسامة أيضاً كما أخرجه الاسماعيلي من وجه عن أبي كريب شيخ البخاري لكن باختصار عن الذي تقدم (فتح ص ٢٦٢ ـ ج ١٣) وأخرج البيهقي عن أحمد بن عبدالحميد عن أبي أسامة عن عبدالله بن أبي بردة عن أبيه وزاد فيه عن رواية البخاري ولفظه فقال : انك في أرض الربا فيها فاش وان من أبواب الربا أن أحدكم يقرض القرض إلى أجل فاذا بلغ أتاه به وبسلة فيها هدية فاتق تلك السلة وما فيها وأخرجه أيضاً عن شعبة باختلاف يسير ولفظه

ابن سلام الذي رواه بردة عند البخاري بلفظ : قال اتيت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام فقال ألا تجيء فأطعمك سويقاً وتمراً وتدخل في بيت ؟ ثم قال انك بأرض الربا فيها فاش اذا كان لك على رجل حق فأهدى اليك حمل تبن او حمل شعير او حمل قت فلا تأخذه — لانه لابد للتفسير من بيان الشارع عليه السلام. وهذا الحديث (١) الموقوف ليس في حكم المرفوع وثانياً انه متروك العمل باتفاق الامة وثالثا تعارضه الاحاديث الصحيحة ورابعاً لما قال العلامة عبد العزيز البخاري في شرح كشف الاسرار للبزدوي في تفسيره البيان القاطع الذي يلحق المجمل : احتراز عما ليس بقاطع ثبوتاً او دلالة حتى لايصير المجمل مفسراً بخبر الواحد وان كان قطعي الدلالة ولا بيان فيه احتمال وان كان قطعي الثبوت — وكذا اثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي رواه يونس وخالد بن سيرين عن عبد الله بن مسعود انه سئل عن رجل استقرض من رجل دراهم ثم ان المستقرض افقر من القرض ظهر دابته فقال عبد الله: ما اصاب من ظهر دابته فهو ربا — لما بينا ولما قال البيهقي: قال الشيخ احمد هذا منقطع (ازالة) لو قيل لم لا يجوز ان يكون هذا الاثر الموقوف في حكم الحديث المرفوع ؟ قلنا له شرط وهو ان لا يكون مدركا بالقياس وههنا هو مدرك بالقياس كما صرح العلماء بذلك . قال ابن رشد الفقيه المالكي في المقدمات : ان رجلا أتى عبد الله بن عمر فقال له يا ابا عبد الرحمن اني اسلفت رجلا واشترطت أفضل مما اسلفته . فقال عبد الله بن عمر: ذلك الحديث بطوله وقال رضي الله عنه من اسلف سلفاً فلا يشترط افضل منه وان كان قبضة من علف فهو ربا . اهـ فهذا الفقيه انكر كونه رباً منصوصاً وجعله رباً قياسياً كما يدل عليه قوله :وتفسير

على رجل دين فاهدى اليك حبلة من علف أو شعير أو حبلة من تبن فلا تقبله فان ذلك من الربا — قال ابن حجر: في رواية أبي أسامة ذكر الربا لكن فيه اختصار عن رواية شعبة وما روي البيهقي عن أبي أسامة فيه زيادة على رواية شعبة فافهم *

(١) قال ابن عابدين لان قول الصحابي اذا كان لايدرك بالرأي أي بالاجتهاد له حكم المرفوع (رسم المفتي ص ٤١) وسيجيء ان في هذا الحديث مجال القياس أكثر *

ذلك (اي قول ابن عمر فهو ربا) انه مقيس على الربا المحرم بالقرآن زمن الجاهلية اما ان تقضي واما ان تربي لان تأخيره الدين بعد حلوله على ان يزاد له فيه سلف جر منفعة [١] على ان الفقهاء لم يتمسكوا بهذا الحديث والاثر من لدن رسول الله ﷺ الى زماننا هذا ولم يفتوا بحرمة امثال هذه المنافع مطلقاً بل اتفقوا على انها لا تكون ربا الاان تكون مشروطة في العقد وهذا خلاف ما دلت عليه هذه الآثار والاحاديث الواردة في هذا الباب لانها تدل على حرمة كل منفعة سواء شرطت او لم تشترط مع انها بدون الشرط جائزة بالاتفاق . قال العيني : وفيه مايدل ان المقرض اذا أعطاه المستقرض افضل مما اقترض جنساً أو كيلا أو وزنا ان ذلك [٢] معروف وانه يطيب له اخذه منه لانه ﷺ اثنى فيه على من أحسن القضاء واطلق ذلك ولم يقيده (قلت) هذا عند جماعة العلماء اذا لم يكن عن شرط منهما حين السلف وقد اجمع المسلمون نقلا [٣] عن النبي ﷺ ان اشتراط الزيادة في السلف ربا .اه [٤]

قال ابن حجر في باب استقراض الابل تحت حديث ابي هريرة : وفيه جواز وفاء ماهو افضل من المثل المقترض اذا لم تقع شرطية ذلك في العقد فيحرم حينئذ اتفاقا وبه قال الجمهور اه ولما كان هذا الاثر من عبد الله بن سلام مخالفاً لما عليه الجمهور تأول ابن حجر قوله رضي الله عنه : فانه ربا وقال يحتمل ان يكون ذلك رأي عبد الله بن سلام والا فالفقهاء على انه يكون ربا اذا شرط نعم الورع تركه اه . وايضاً لما اخرج البخاري هذا الحديث بطريق آخر وليس فيه

---

١) (ص ١٤٩ ج ٣) * (٢) هذا دليل على أن الزيادة فى القرض ليست بربا ولو كانت ربا لم يفترق حكمها بين الاشتراط وعدمه كما مر عن العلامة ابن عابدين ، وأيضاً هذا مقتضى اطلاق الاحاديث فى هذا الباب حيث قال النبي ﷺ « الفضل ربا » مطلقاً بدون تقييد شرط وعدمه *

٣) واعلم أن العلامة العيني بعد شرحه البخاري بكثير من الزمان صرح فى شرح الهداية حين بلغ من عمره تسعين سنة واعترف فيه بأنه لم يثبت فى هذا الباب النهي عن النبي ﷺ وهو المعتبر لانه آخر أقواله ويؤيده الدليل* (٤) (عمدة القارى ص ٦٨٩ ج ـ ٥)

ذكر الربا فهنالك قال ابن حجر : زاد البخاري في مناقب عبد الله بن سلام ذكر الربا ، وههنا فسر الربا المراد في قوله رضي الله عنه بقوله : وأن من اقترض قرضاً فتقاضاه اذا حل فأهدى اليه المديون هدية كانت من جملة الربا (١)

فثبت من هذه الاقوال انه لم يقل احد من العلماء : ان الفضل والزيادة اذا كانت غير مشروطة في القرض عند العقد انه ربا سواء كان في صورة الهدية ام في صورة العارية ام في غيرها فهذا الاثر وما ورد نحوه غير معمول به عند الامة

وقد ذهب الجمهور الى جواز ما كان بدون شرط في العقد لما دلت عليه الاحاديث الصحيحة والحسان المحتج بها باعطاء الزيادة في ديون البيع والقرض أخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبلال « اعطه اوقية من ذهب وزده » فأعطاني اوقية من ذهب وزادني قيراطاً (٢)

ولفظ البخاري : فوزن لي بلال فأرجح في الميزان — قال النووي في شرحه : فيه استحباب الزيادة في اداء الدين وارجاح الوزن ، وقد روى هذا الحديث فوق عشرة عن جابر . وايضاً قد صح عن النبي ﷺ اعطاء الزيادة في قرض الحيوان كما في حديث ابي رافع : قال استسلف رسول الله ﷺ بكراً فجاءته ابل من الصدقة قال ابو رافع: فأمرني ان اقضي الرجل بكره فقلت لا اجد الا جملا خياراً رباعياً فقال رسول الله ﷺ « اعطه اياه فان خير الناس احسنهم قضاء » اخرجه مالك ومسلم والاربعة وكما في حديث ابي هريرة اخرجه الشيخان والترمذي مختصراً ومطولا : ان رجلا تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له فهم به اصحابه فقال « دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيراً فأعطوه اياه — قالوا لانجد الا افضل من سنه قال — اشتروه فأعطوه اياه فان خيركم احسنكم قضاء »

وايضاً قد صح عن النبي ﷺ انه اعطى الزائد في قرض الاموال الربوية أعني المكيل والموزون كما روى ابو هريرة قال : اتى النبي ﷺ رجل يتقاضاه

(١) هذا التفسير خلاف ما عليه الجمهور فلا بد له من بيان *

(٢) مسلم ص ٢٩ — ج ٢ *

قد استسلف منه شطر وسق فأعطاه وسقاً فقال « نصف وسق لك ونصف وسق من عندي » ثم جاء صاحب الوسق يتقاضاه فأعطاه وسقين فقال رسول الله ﷺ « وسق لك ووسق من عندي » اخرجه المنذري في الترغيب وقال رواه البزار واسناده حسن

ومن حديث ابن عباس قال : استسلف النبي ﷺ من رجل من الانصار اربعين صاعا فاحتاج الانصاري فأتاه فقال رسول الله ﷺ « ماجاءنا من شيء » فقال الرجل واراد ان يتكلم فقال ﷺ « لاتقل الا خيراً فأنا خير من تسلف » فأعطاه اربعين فضلا واربعين اسلفه فأعطاه ثمانين . قال البزار لم اسمع الا من احمد وهو ثقة . واخرجه المنذري وقال اسناده جيد وقال الهيتمي رجاله رجال الصحيح خلا شيخ البزار وهو ثقة

ومن حديث ابي هريرة اخرجه البيهقي برجال الصحيح في السنن الكبرى قال : اتى رجل رسول الله ﷺ بسلف فاستسلف له رسول الله ﷺ شطر وسق فأعطاه اياه فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقاً وقال « نصف لك قضاء ونصف لك نائل من عندي » وهذه احاديث صحيحة يحتج بها فلا يعارضها مثل حديث السوار المتروك والآثار الغير المرفوعة . واما كونه ربا عند الشرط فهو لايصح ايضاً لما روي من ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه راطل ابا رافع فرجحت الدراهم فقال ابو رافع هو لك انا احله لك فقال ابو بكر ان احللته فان الله لم يحله لي سمعت رسول الله ﷺ يقول « الزائد والمزاد في النار » او هكذا لان فيه دلالة على ان الزيادة بغير شرط ايضاً حرام اعنى ان الزيادة التي هي الربا شرعا حرام شرطت أو لم تشترط فلو كانت الزيادة في القرض ربا لكانت حراما بدون شرط ايضاً مع ان الزيادة في القرض بدون الشرط مباح باتفاق الامة فثبت انها ليست ربا

قال ابن نجيم في البحر: اذا لم تكن (١) المنفعة مشروطة فلابأس به، وفي البزازية من كتاب الصرف مايقتضي ترجيح الثاني قال ولا بأس بقبول هدية الغريم واجابة دعوته بلاشرط. وكذا اذا قضى اجود مما قبض يحل بلاشرط اه كتاب الحوالة.

واما ماقيل انه لاحجة في اعطاء النبي ﷺ الزيادة في الديون والقرض لانه مخصوص به وهو امام وللامام حق العطاء فيكون مايعطي الامام حلالا، ففيه ان النبي ﷺ بعث ليقتدى به في كل فعل حتى يقوم دليل على اختصاصه به وليس هنا دليل على اختصاصه به ﷺ

وكذا لايصح تفسير اجمال الآية بحديث انس والآثار المروية عن ابي بن كعب وابن عباس، اما اولا فلانه ليس فيها ذكر الربا فلا يتعين ان النهي والامر بالاجتناب لكونه ربا، واما ثانياً فلما مر عن شرح كشف الاسرار بأنه لابد ان يكون مفسر اجمال القرآن قطعي الدلالة وقطعي الثبوت، وحديث انس وآثار ابي بن كعب وابن عباس لسن بهذه المثابة لاباعتبار الدلالة ولاباعتبار الثبوت

اما حديث انس فأخرجه ابن ماجه بلفظ «اذا أقرض احدكم قرضاً فأهدى اليه او حمله على الدابة فلا يركبه ولا يقبلها الا ان يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك» والراوي فيه عن انس مجهول، وكذا فيه عتبة بن حميد الضبي البصري قال ابو طالب عن احمد هو ضعيف ليس بالقوي، وفيه اسماعيل بن عياش الحمصي وهو مختلف فيه وضعيف بالاجماع اذا روى عن غير أهل بلده، واخرجه ابن تيمية في المنتقى بلفظ «اذا أقرض الرجل الرجل فلا يأخذ هدية» وقال اخرجه البخاري في تاريخه فما ظفرت على سنده حتى احكم على جودته وصحته ليثبت منه الحرمة وليس ببعيد ان يكون مختصراً من حديث ابن ماجه فيعود الجرح والتعديل مع هذا هو خلاف ماعليه الامة من لدن رسول الله ﷺ الى يومنا هذا

---

(١) فيه أنه ثبت عن النبي ﷺ الزيادة في القرض وليس فيه أنه كان مع شرط أو بدون شرط فمن ادعى الحرمة بالشرط لا بد عليه من بيان لان الاحاديث في هذا الباب مطلقة ولا يجوز تقييدها بدون مخصص*

اما اثر ابي بن كعب أنه قال لزر بن حبيش : انك بأرض الربا فيها كثير فاش فاذا اقرضت رجلا فأهدى اليك هدية فخذ قرضك واردد هديته . ففيه كلثوم بن الاقمر مجهول، وكذلك ماروى ابن سيرين ان ابي بن كعب اهدى الى عمر بن الخطاب من تمر ارضه فردها فقال ابي لم رددت علي هديتي وقد علمت اني من اطيب اهل المدينة تمرة فخذ عني ما ترد علي هديتي – وكان عمر أسلفه عشرة آلاف درهم – قال البيهقي هذا منقطع اي ليس بمتصل الى ابي ايضاً

وكذلك ماروى ابوصالح عن ابن عباس قال في رجل كان له على رجل عشرون درهما فجعل يهدي اليه فجعل كلما يهدي اليه هدية باعها حتى اذا بلغ ثمنها ثلاثة عشر درهما فقال ابن عباس لا تأخذ منه الا سبعة دراهم ، لان ابا صالح لم يسمع من ابن عباس فالرواية منقطعة . وكذلك ماروى سالم بن ابي الجعد كان لنا جار سماك عليه لرجل خمسون درهما فكان يهدي اليه السمك فأتى ابن عباس فقال قاصه بما اهدى اليك ، وأثر[1] فضالة بن عبيد معضمه ايضاً ليس فيه لفظ الربا حتى يفسر به الاجمال بل لفظه: كل قرض جر منفعة فهو وجه من وجوه الربا، فظاهره يدل على نه ليس بربا بل له شبه من الربا وهذه الآثار والاحاديث كلها اخرجها البيهقي في السنن (للفتوى بقية).

---

١) أخرجه البيهقي بسند ابراهيم بن سعد عن ادريس بن يحيى عن عبد الله ابن عياش، وعبد الله بن عياش منكر الحديث وابراهيم لم يعرف حاله وكذا حال ادريس ويمكن أن يكون ادريس بن يحيى الخولاني ذكره ابن حبان في ثقاته وقال له مستقيم الحديث ان كان دونه ثقة وفوقه ثقات

هل هذه النهضة خاضعة لسلطان العلم

محاضرة الاستاذ عجاج نويهض في مدرسة النجاح الوطنية

(تابع ماقبله)

لأجل الوقوف إجمالا على شدة الحملة الحالية التي يقوم بها المبشرون على هذه الأمة اذكر لكم هذه الكتب وأرجوكم أن تنظروا اليها ،وهي هذه الرزمة الضخمة التي تباع في مكتبة واحدة من المكتبات . ونظرة عامة على اسم كل كتاب وروحه والغرض منه وعدد الطبعات التي طبعها كافية لكي تجعلنا نتصور وخامة العاقبة وهذه الكتب هي :

١ — (العالم الاسلامى اليوم)

The Moslim World Of To-day

وهو كتاب ضخم جمع ثلاثاً وعشرين مقالة مستفيضة لأشهر الكتاب التبشيريين، وهذه المقالات هي بصدد الانقلاب في العالم الاسلامى وان الفرصة سانحة لاخضاع المسلمين وسط هذا الانقلاب الى السلطة التبشيرية . وقد جمع هذا الكتاب ووضع له مقدمة وخاتمة الدكتور موط رئيس (المجلس التبشيري الدولي) ورئيس المؤتمر التبشيري العالمي الديني الذي عقد على جبل الزيتون منذ زهاء سنة ونيف وأمره لم يزل معروفا . وفى نهاية الكتاب المقررات التي كانت سرية أولا، وهي مقررات مؤتمر سنة ١٩٢٥ فى القدس التي نشرت وأذيعت واطلع عليها الناس . وكان لها في العالم الاسلامي ذلك الصدى البالغ . عدد صفحات هذا الكتاب (٤٢٠) صفحة . وهذه النسخة التي بيدي من الطبعة الأولى سنة ١٩٢٥

٢ — (العالم الاسلامي في الثورة)

The Moslim World in Revolution

مؤلف هذا الكتاب هو معاون القس الاكبر للحملة المصرية وقت الحرب، وقد كان مقيماً بمصر قبل الحرب ، وهو يقرأ ويكتب اللغة العربية ، ولما كان في الحملة المصرية كان يراقب تأثير الحرب في المسلمين وكيف كانوا يخضعون للسلطة الاجنبية العسكرية المتسلطة عليهم

ولب لباب كتابه في الباب السابع الموسوم بـ « بالفرصة الجديدة للكنيسة » وقد طبع هذا الكتاب لتتولى توزيعه (ثماني جمعيات) تبشيرية هي أكبر الجمعيات من نوعها في العالم . وطبع هذا الكتاب سبع طبعات كما يلي :

الطبعة الاولى في مارس ١٩٢٥
الطبعة الثانية في يونيو ١٩٢٥
الطبعة الثالثة في يوليو ١٩٢٥
الطبعة الرابعة في نوفبر ١٩٢٥
(أربع طبعات في سنة واحدة بل في ثمانية أشهر)
الطبعة الخامسة في فبراير ١٩٢٦
الطبعة السادسة في يوليو ١٩٢٦
الطبعة السابعة في نوفبر ١٩٢٦

هذا عدا الطبعات التي تلت نوفبر ١٩٢٦ الى هذا التاريخ وعدد صفحاته ١٦٠ صفحة

٣ — (انتشار الاسلام)
The Expansion of Islam

مؤلف هذا الكتاب هو مؤلف الكتاب السابق (العالم الاسلامي في الثورة) والنسخة التي بيدي هي من أول طبعة لسنة ١٩٢٨

والغرض من هذا الكتاب لا يختلف في الجوهر عن سابقه ، غير أنه يطرق الموضوع من نواح أخرى ، ويتوسع في درس عوارض الاسلام الحالية العصرية ، وسوق نتيجتها إلى وجوب الاعتقاد ان الاسلام منحل متلاش وينطوي هذا الكتاب على ثلاثة عشر فصلا ، أخبث هذه الفصول (الفصل الثاني : الرجل محمد) وعدد صفحاته ٣٠٤ وفيه مصور جغرافي للعالم الاسلامي .

وفي هذا الكتاب مقدمة كتبها المستشرق مرغليوث ، صاحب المؤلف المعنون بـ (محمد) الذي ذكر فيه من النيل وسوء القصد ما جعله الذين يطالعون لهذا المستشرق كتاباته عن الاسلام ، واما الذين يظنون أن مرغليوث من (أهل الحر) من المستشرقين بدليل ماطبعه من بعض كتب الادب والتاريخ فظنهم في غير محله . وفي هذا الكتاب الذي نحن في صدده الآن (انتشار الاسلام) قال مرغليوث مفتتحاً كلام مقدمته :

« لما اعلن مؤسس الاسلام ان مهمته ترمي إلى جعل نظامه (ظاهرا على الدين كله) فهو بلا شك قد عنى ان يكون ذلك الظهور غلبة ونصراً سياسياً على

الانظمة السياسية الاخرى التي كانت في الوجود في ذلك العصر » . ومرغليوث هو كما يعرفه الناس صاحب النظرية أن الشعر الجاهلي موضوع ، ويعرف الناس أيضاً ما كان لهذا الرأي في مصر من أثر .

٤ — (الاسلام الفتي في طريق السفر)

Young Islam on Track

هذا الكتاب يبحث في اصطدام الاسلام وحضارته وجهازه الاجتماعي بالحضارة المسيحية ، ويبين كيف تتخلل عناصر الحضارة المسيحية الحضارة الاسلاميه وتلاشيها . وهو يتضمن ستة فصول مشبعة اضرها الفصل الموسوم ب (ما هي الغاية ؟) وفي هذا الفصل يعلق المؤلف (باسيل مثيو) أهمية كبرى على انقلاب الازهر إلى جامعة إسلامية منظمة راقية ويخشى من وراء ذلك تجديد قوى الاسلام ، كما أنه قد انتقد حالة الازهر اليوم ووصف طرق التدريس فيه ونال منها كثيراً . وعدد صفحات الكتاب ٢٠٨ وفيه مصور جغرافي للعالم الاسلامي . أول طبعة منه كانت ١٩٢٦ وطبع بعد ذلك طبعتين في سنة ١٩٢٧و١٩٢٨ ، والنسخة التي بيدي هي من الطبعة الاخيرة لسنة ١٩٢٨

٥ — The Story of Islam (سيرة الاسلام)

مؤلفه لنت ثيودور السكرتير العام (لجمعية نشر التبشير في السودان من الناس) وكان سابقاً السكرتير التعليمي (للجمعية الكنسية التبشيرية) C.M.S. التي لها فرع في القدس وغير القدس في فلسطين

وهذا الكتاب طبع للمرة الثالثة سنة ١٩١٦ وهذه النسخة التي بيدي هي من طبعة ١٩١٦ . والغريب في أمر هذا المؤلف انه مقدم إلى جهة لم تخطر على بال أحد من أهل هذه البلاد ، وهذه عبارة التقديم بالحرف :

« مقدم إلى طلاب المدارس العامة في بلاد الانكليز ، الذين عليهم ان يقوموا إلى الآن بالدور المتعين عليهم القيام به في تبديل مستقبل سيرة الاسلام »

وفي هذا الكتاب ٢١٦ صفحة موزعة على ١٢ فصلا كلها سم نافع . ومن بعض عناوين الفصول تعلم روح الكتاب ، فهناك الفصل الاول وعنوانه (النشء وكيفية تعليمه) وغاية هذا الفصل مربوطة بما جاء في عبارة التقديم المذكورة . وهناك الفصل الثالث عنوانه (نبي بلاد العرب) والفصل الخامس عنوانه (السيف المسلول) والفصل الحادي عشر عنوانه (الاسلام وكنيسة المسيح) وقد كتب

هذا المؤلف على طريقة خاصة قريبة من الطريقة المتبعة في تأليف كتب التدريس للصفوف الابتدائية في المدارس . وفي نهاية كل فصل اسئلة واجوبة لتمكين الطالب أو القارىء من (الحقائق) الموردة في ذلك الفصل

٦ — The Rebukeof Islam (توبيخ الاسلام)

قال صاحبه انه يعني بتوبيخ الاسلام مايلي : (ان الاسلام هو ابداً مذكر المسيحية بانها عاجزة عن تمثيل الرب، اذ لو لم يكن هذا لكان يجب ان يكون محمد مسيحياً ، اما الآن فيجب رفع هذا العجز بالمبادرة إلى العمل لان العالم كله قد أصبح للتنبيح)

وصاحب هذا الكتاب ينتمي إلى (الجمعية التبشرية الكنسية) التي تقدم ذكرها ولها فروع في هذه البلاد . ويقول المؤلف ان هذا الكتاب هو الطبعة الخامسة منقحة والنسخة التي بيدي طبعت سنة ١٩٢٠ .

وفي آخر الكتاب بيان للبلاد التي تنتشر فيها الجمعية المذكورة وهي كما يذكر البيان على الاجمال :

١ — الشرق الادنى

٢ — بلاد فارس

٣ — بلاد الهند وبلوخستان

٤ — البلدان الافريقية حيث يسكن المسلمون والوثنيون معاً كبلاد سيراليون، ونيجيريا ، وأوغنده .

وعند ما جاء ذكر نصيب فلسطين من «خير» هذه الجمعية قال البيان: (فلسطين انه وان كان في فلسطين عدد من الجميات العاملة فان الجمعية التبشرية الكنسية C. M. S. واضعة بالاكثر نصب عينها بذل الجهود للوصول إلى الاهالي المسلمين ، وقد كان للجمعية قبل الحرب سبعة مراكز كبيرة ، اما الآن فقد استؤنف العمل في غزة ، بناء على طلب السلطة العسكرية ، وفي القدس، والناصرة ، والسلط ، ويافا ونابلس، وعدد الموظفين المسلمين يبلغ ٤٢ موظفاً ، منهم الاطباء والممرضات »

وعند ماجاء ذكر مصر قال البيان :

(للجمعية خمسة مراكز في مصر ، والاعمال الطبية سائرة في مصر القديمة ومنوف ، وأم درمان . ودخل المستشفيات في مصر القديمة سنة ١٩١٨ (٨٠٠) مريض

حاعدا عدداً كبيراً من النساء . وفي السنة التي قبل شملت أعمال الجمعية أكثر من ٥٠٠ بلدة وقرية في مصر السفلى ، و ٤٥٠ بلدة وقرية في مصر العليا ، والكثرة المطلقة من هؤلاء المرضى كانوا يبقون في المستشفى يعالجون لا أقل من أسبوعين . وفي القاهرة مدرسة للصبيان فيها ١٨٠ طالبا ومدرسة للبنات يزداد الاقبال عليها وكثرة طالباتها من المسلمات ، ويزداد افتتاح مراكز التبشير على التوالي ، وفي مصر القديمة صارت السيدات المبشرات من الاستطاعة بحيث يتمكن من القيام بالدروس المسيحية لواً بلا تهيب حتى بحضور شيوخ المسلمين)

ويقول البيان أن نتيجة التبشير في فارس كانت كما يلي :

من سنة ١٨٩٣ — ١٩٠٢ تنصر ٦٥ بالغاً ومن سنة ١٩٠٣ — ١٩١٣ تنصر ١١٥ بالغاً والفرص تزداد سنوحاً وصار العمل اجدى نفعاً وأقرب ثمراً . عدد صفحات هذا الكتاب ٢٤٨ صفحة .

٧ — The Moslim Mentality (العقلية الاسلامية)

مؤلفه ل . ليفونيان مدير المدرسة اللاهوتية في اثينا سابقاً ، وكان قبل ذلك صاحب عمل في الاستانة . طبع هذا الكتاب لاول مرة سنة ١٩٢٨ وهو ضخم يقع في ٢٤٨ صفحة ، وقال مؤلفه ان الغرض منه البحث في كيفية تقريب المسيحية إلى ذهنية المسلمين . والمؤلف يعرف التركية ، وقد أسرف كثيراً في الطعن والقذف واعتدى على التاريخ اعتداء فظيعاً بايراده مسائل وأموراً ليس لها ظل من الصحة

ويقول المؤلف قبل مقدمة الكتاب ، في الصفحة الاولى ، هذه الملحوظة وهي

لفت نظر

« حين كان هذا الكتاب يطبع ، حصلت أحداث هائلة في دستور الجمهورية التركية ، وأهم هذه الاحداث الغاء المادة التي تقول ان الاسلام دين الجمهورية التركية . وبالتالي تم فصل الدين عن الدولة بعد ماكانا نسيجاً واحداً لحمة وسدى وكان هذا الالتحام من فجر التاريخ الاسلامي اول مظهر تجلى به شكل الاسلام أنه عقيدة وعمل »

بيان الى العالم الاسلامي

(من جمعية حراسة المسجد الاقصى والاماكن الاسلامية المقدسة بالقدس)

اليهود يثيرون الفتنة الدموية في فلسطين طمعاً في البراق الشريف والمسجد الاقصى المبارك

ان «جمعية حراسة المسجد الاقصى والاماكن الاسلامية المقدسة» في القدس الشريف قياما بواجبها ازاء الفتنة الحالية التي سببها اليهود بتوالي اعتداآتهم على البراق الشريف - فجروا البلاد الى البلاء الشامل والخسارة العظيمة في النفوس والثمرات - تثابر على خطتها من الاخذ بكل الوسائل المشروعة الجائزة للدفاع عن البراق الشريف والمسجد الاقصى المبارك وسائر الاماكن الاسلامية المقدسة لصد كل طمع عنها يحاوله الطامعون، والجمعية تقوم بهذا من حيث تظل على صلة بالعالم الاسلامي وملوكه وامرائه وامه وصحفه وزعمائه واهل الغيرة والحمية من المسلمين بمواصلة ارسال الانباء عن الحالة وعما يجد من الامور المهمة والحوادث الخطيرة . ليقف العالم الاسلامي على ذلك ويعمل وسعه لصيانة مقدسات المسلمين ودرء الاخطار عنها

وهذا موجز ماحصل الى اليوم في الاسابيع الاخيرة

١ — ضاعف اليهود في فلسطين جهودهم في الاسابيع الستة الاخيرة لامتلاك البراق ثم ليتدرجوا منه الى امتلاك المسجد الاقصى بحجة ان أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين هو هيكل سليمان . وبحجة ان الوطن القومي اليهودي يظل ناقصاً حتى يملك اليهود مكان الهيكل ، وبهذا يصرح كبار زعمائهم

٢ — عقد يهود العالم «المؤتمر الصهيوني العالمي السادس عشر» في زوريخ في اواخر شهر تموز (يوليو) واوائل آب (اغسطس) من هذه السنة وقد كان من محور المناقشات الحادة والمقررات الاجماعية في هذا المؤتمر استئناف العمل

وتحريض يهود العالم على بذل كل ما يستطيعون من قوة لاستعادة الهيكل ولو كلفهم ذلك كل عظيم

٣ — اعلن اليهود باسان مؤتمر زوريخ وبلسان زعمائهم السياسيين والدينيين وصحفهم وجمعياتهم انهم لايرضون بما حدده لهم «الكتاب الابيض» الذي اصدرته منذ نحو عشرة اشهر الحكومة البريطانية من ان يظل القديم على قدمه بحيث لايجاوز اليهود زيارة الحائط الزيارة المعتادة ، والبراق واقع في ملك الوقف الاسلامي البحت . ثم اعلن اليهود سخطهم على «الكتاب الابيض» واخذوا يجهدون بكل قوام لحمل الحكومة البريطانية للعدول عن العمل بمقتضاه ، وهي قد وضعته بعد درسها القضية درساً مدققاً استغرق عدة اشهر فضلا عما كان قد سبق لها ملاحظته ومشاهدته من عدوان اليهود على البراق اثناء السنوات الاخيرة

٤ — اثناء انعقاد مؤتمر زوريخ وبعده ظهر اليهود في فلسطين بمظاهر المتعنت الطامع المحاول الباطل مما دل دلالة قاطعة وايدته الوقائع ان هناك خطة مدبرة وصلة وثيقة محكمة بين مقررات مؤتمر زوريخ والحوادث التي اقتحمها اليهود على اثره .

٥ — في ١٠ ربيع الاول سنة ١٣٤٨ — ١٥ آب (اغسطس) ١٩٢٩ سمحت الحكومة لليهود بأن يقوموا بمظاهرة فقاموا بها وكانت مظاهرة ظاهرها زيارة البراق ومرماها محاولة اظهار القوة لامتلاكه فمشوا من الحي اليهودي الذي يبعد من الحرم عدة كيلومترات الى البراق الشريف فاحتشدت المئات منهم عنده ورفعوا هناك العلم الصهيوني وخطب فيهم خطباؤهم خطباً هائجة عنيفة شتموا فيها المسلمين كثيراً . وحرضوا جماهيرهم على امتلاك البراق تدرجاً لاستعادة الهيكل .

٦ — وصدرت الصحف اليهودية ومناشير الجمعيات الصهيونية وكلها تحريض ونداء نحو هذه الغاية واصدرت حكومة فلسطين بعدئذ بلاغا رسميا ينفت فيه ان القصد من مظاهرة اليهود المذكورة لم يكن كله لزيارة «المبكى» اي البراق زيارة دينية مجردة

٧ — في ١١ ربيع الاول — ١٦ اغسطس قام المسلمون بمظاهرة كبيرة مقابلة لمظاهرة اليهود في اليوم السابق ، فمشوا من المسجد الاقصى الى البراق الشريف اعلانا لتصميمهم انهم متمسكون بما لهم، مدافعون عن حقهم، وطيرت البرقيات الى الحكومة البريطانية وقدمت الاحتجاجات الى حكومة فلسطين شجباً لاعمال اليهود ومحاولاتهم المتكررة التي لا تنتهي الا بسوء العاقبة اذا سمح لهم بالمثابرة عليها

٨ — في ١٢ ربيع الاول — ١٧ اغسطس يوم مولد الرسول (ص) اعتدى اليهود على العرب المسلمين بالقرب من الحي اليهودي فجرحوا ١٣ عربياً ودافع العرب عن انفسهم ثم انقلب اليهود يغدرون بالمارة من العرب في حيهم يترصدونهم للايقاع بهم ليل نهار

٩ — في ١٦ ربيع الاول — ٢١ اغسطس كان اليهود ذاهبين بموكب كبير لدفن احد موتاهم الذي مات في مستشفى الحكومة متأثراً من جراحه التي أصيب بها في حادثة اعتداء اليهود السابقة فاجتمعوا مئات عديدة وخطبوا خطباً مهيجة وشتموا المسلمين ولما وصلوا بالميت الى قرب دائرة البريد خارج المدينة القديمة عدلوا عن السير في الطريق العامة المعتاد سلوكهم فيها الى مقبرتهم وحاولوا ان يحدثوا حدثاً عظيما فأرادوا ان يدخلوا بالميت الاحياء الاسلامية كلها ويأتوا الى البراق قبل ان يدفنوه تحويلا لجنازة الدفن الى مظاهرة لم يسبق لها مثيل نوعا وشكلا ، فصدهم البوليس البريطاني بالقوة وجرح منهم (٢٣) شخصاً كما افاد بلاغ الحكومة الرسمي .

وكان اليهود بعملهم هذا يرمون الى الفتنة صراحة . اذ من تقاليدهم التي يراعونها بحسب دينهم مراعاة شديدة انهم لن يؤخروا دفن ميتهم الى الصباح اذا كان مات قبل نصف الليل . غير انهم في هذه الحادثة ابطلوا العمل بتقاليدهم الدينية فأخروا دفن الميت الى قبيل ظهر اليوم التالى وكان موته عصر اليوم السابق طلباً لاسباب الشر والفتنة

١٠ — فهال اهالي فلسطين المسلمين ما اخذوا يرون في اليهود من التحكك

بنار الفتنة ومن الجرأة الغريبة في محاولتهم اقتحام البراق وامتلاكه والتصرف به تصرف المالك فاحتجت «جمعية حراسة المسجد الاقصى» و «جمعية فرسان البراق» و «جمعيات الشبان المسلمين» في فلسطين والهيآت الدينية على اعمال اليهود ومصارحتهم العرب العدوان مصارحة منافية للحق والقانون ومعرضة الامن العام في البلاد الى خطر كبير

١١ — في ١٨ ربيع الاول — ٢٣ اغسطس خرج المسلمون من صلاة الجمعة من المسجد الاقصى حسب العادة فلما وصلت زرافاتهم الى باب الخليل ذاهبين في طريقهم الى منازلهم واعمالهم وجدوا اليهود هناك على حالة مريبة جداً وكانت جماهير المسلمين التي خرجت الى جهة باب العامود قد رأت مثل ذلك من اليهود الساكنين في حي ميشوريم القريب . فسبق احد اليهود في باب الخليل الى الاعتداء بالقاء قنبلة، ثم اطلق اليهود الطلقات النارية على المسلمين فوقع المحذور ، وحصل اصطدام قرب باب العامود في الوقت عينه، فاتقدت الفتنة ولم يكن بايدي المسلمين الا بعض العصي يحملها الواحد منهم على عادته ، فأخذ الرصاص يدوي ولم تكن قوة البوليس كافية فاستمانت باطلاق النار على المسلمين فقتلت وجرحت منهم ، واحتشد اليهود في مبانيهم الكبيرة في حي ميشوريم واخذوا يطلقون النار من النوافذ على العرب واستمرت الفتنة على اشدها عدة ساعات واقفلت المدينة وتوالى اطلاق الرصاص في اماكن عديدة. وفي العصر حلقت الطيارات وجيء بقوات البوليس من الخارج وفي الساعة السادسة اعلنت الحكومة منع التجوال من السادسة ونصف مساء الى السادسة صباحا وانقضى الليل والرصاص لم يهدأ حتى الصباح

ولم تزل الحالة في القدس الى هذا التاريخ غير اعتيادية رغم تكاثر القوة العسكرية وتحليق الطيارات يومياً لحوادث القتل والاعتداء يوالي مزاولتها اليهود في اطراف الاحياء التي يسكنونها ولم تنقض ليلة الى الآن منذ ١٨ ربيع الاول دون أن يثابر على اطلاق النار الليل كله اومعظمه في ضواحي المدينة

وبلغ عدد شهداء المسلمين في القدس العشرات ولم يمكن احصاء الاصابات احصاء مضبوطاً الى الآن وبلغ عدد الجرحى في القدس مبلغاً كبيراً

امتداد الفتنة الى انحاء فلسطين

في الخليل : وامتدت الفتنة الى الخليل يوم السبت ٢٩ ربيع الاول — ٢٥ اغسطس فقتل من المسلمين ثمانية وجرح عدد لم نعرف صحته بعد.

في يافا : وحصل اصطدام عنيف في يافا يوم الاحد ٢٠ ربيع الاول — ٢٥ اغسطس فقتل وجرح من المسلمين برصاص الجنود البريطانية عدد لم يعرف بعد .

في حيفا : قام اليهود وباشروا مهاجمة العرب بالسلاح فدافع العرب عن انفسهم وعائلاتهم . وفي اليوم التالي وصلت البارجة البحرية «برم» تحمل الجنود والطيارات والاعتاد الحربية فكان العرب بقرب الرصيف يشاهدونها وبينما هم على هذه الحال فاذا بجنود الدراعة يطلقون عليهم النار بغتة بلاسبب ولا انذار فقتل ٢٧ عربياً وجرح ٥٩

في بيسان وضواحيها : ووقع قتال في بيسان والاماكن المجاورة ولم تعرف تفاصيل الحوادث وعدد الاصابات بعد

في صفد : وحصل اصطدام شديد في صفد بين المسلمين واليهود مساء ٢٤ ربيع الاول — ٢٩ اغسطس لم تعرف تفاصيله بعد

في غزة والرملة : اشتد الاضطراب في غزة وقامت المظاهرات فنقلت الحكومة اليهود من هناك الى تل أبيب المستعمرة اليهودية الكبيرة قرب يافا وهاج مسلمو الرملة واللد والسبع هياجا كبيراً

في نابلس : ووقع اصطدام كبير في نابلس بين الاهالي والبوليس فجرح ٩ من المسلمين

في سائر أنحاء البلاد : وعم الاضطراب جميع انحاء البلاد من بئر السبع جنوباً الى الحولة شمالا .

(الشهداء والجرحى)

أخذت حكومة فلسطين تصدر نشرات رسمية منذ نحو اسبوع في بيان الحالة العامة في البلاد . وجاء في النشرة المؤرخة في ٢٩ اغسطس ان عدد الاصابات لغاية الساعة الثامنة من صباح ٢٨ آب حسب انباء المستشفيات ما يلي:

	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
القتلى	٦٣	٤	٩٧	١٦٤
الجرحى الذين في المستشفيات	١١٣	٩	١٥٠	٢٧٢

الجرحى الذين خارج المستشفيات — لم يرد نبأ عن عددهم بالضبط

غير ان شهداء المسلمين وجرحاهم يفوق العدد الذي جاء في النشرة الرسمية المؤرخة في ٢٩ اغسطس لانه لم يمكن الى الآن القيام باحصاء دقيق لاصابات المسلمين . وقد قالت النشرة المذكورة ان هذه الارقام التي ذكرتها لا تشمل الاصابات التي اوقعتها القوات المسلحة في اخماد الاضطراب والتي لم تصل الى المستشفيات .

١٣ — ومع ان القوات العسكرية قد ازدادت بوصول النجدات من مصر ونزول قوات عسكرية من البارجتين اللتين رست احداهما في يافا والاخرى في حيفا فالحالة العامة في البلاد تسير باضطراب

(الفظائع تنزل بالمسلمين)

ثبت ان كثيراً من اليهود مسلحون وان كثيراً منهم في القدس كانوا يرتدون الالبسة العسكرية . ويتقلدون البنادق ، ويتصيدون العرب في الطرق والاماكن المنعزلة . وقد راع العرب تسلح اليهود وتخطفهم للعرب تحت هذا الزي وبعد الاحتجاج للحكومة عثرت الحكومة على بعض المتسلحين منهم

وتوزع الحكومة القوات العسكرية في البلاد بنشاط كبير. وقد كانت هائلة جداً الخطة التي باشرت القوات العسكرية العمل عليها من رمي المسلمين بالنار

رمياً بلغ حد الفظائع الرائعة بلا سبب وبلا انذار بل بحجة التفتيش دون ان يعثروا على اي شيء مما تفتش القوات عليه . وقد سقط اكثر شهداء المسلمين وجرحاهم برصاص الجيش البريطاني والبولس البريطاني ففي قرية (صور باهر) الواقعة في الضاحية الجنوبية في القدس ذهبت حملة عسكرية باكرا صباح ٢٨ اغسطس مجهزة بالرشاشات والدبابات والطيارات فأحاطت بالقرية واخذت تطلق النار من جميع الجهات فقتلت ثمانية منهم النساء والاطفال وجرحت تسعة وحصل شبه هذا في قرية قالوتيا في الضاحية الشمالية

ويجري من قبل المسلمين احصاء مدقق للشهداء والجرحى الذين يذهبون ضحية رصاص الجند البريطاني ويجري ايضا احصاء لاصابات العرب على العموم وسترسل اليكم التفاصيل بوقت قريب

١٣ طيارة فوق المسجد الاقصى

١٤ — وقد حلقت البارحة (٣٠ اغسطس) وقت صلاة الجمعة حين خروج المسلمين من المسجد الاقصى (١٣) طيارة وقامت بحركات مختلفة فوق الحرم القدسي الشريف اكثر من ساعة

المسلمون والمسيحيون يشتركون في الدفاع

١٥ — وتشكر جمعية حراسة المسجد الاقصى لاخواننا المسيحيين العرب وقوفهم واخوانهم المسلمين موقف المؤازرة والاتحاد الوطني في هذه الفتنة . فالبلاد لاهلها مسلمين ومسيحيين على السواء

اعانة عائلات الشهداء والجرحى

استنجاد العالم الاسلامي

ان (جمعية حراسة المسجد الاقصى والاماكن الاسلامية المقدسة) تدعو المسلمين بصفة عامة وأرباب الحمية والغيرة منهم بصفة خاصة والمهاجرين العرب الكرام في ديار المهجر الى ان يسعفوا عائلات الشهداء والجرحى الشهداء الذين ذهبوا

في سبيل اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين والجرحى الذين سالت دماؤهم في هذا السبيل المقدس في حين تستنجد الجمعية العرب والمسلمين عامة ليسارعوا الى الاحتجاج المتوالي على جناية اليهود في هذه الفتنة على ما تنزله القوات العسكرية البريطانية بالمسلمين الابرياء من الضربات العظيمة الذاهبة بالارواح بلا حساب

وسيظل المسلمون في فلسطين معتصمين بشرف السدانة الصادقة والحراسة الامينة للمسجد الاقصى المبارك والبراق الشريف وسائر الاماكن الاسلامية المقدسة (ان الله عزيز ذو انتقام) وهو (نعم المولى ونعم النصير)

جمعية حراسة الاماكن الاسلامية المقدسة

بيت المقدس ٢٦ ربيع الاول سنة ١٣٤٨ — ٣١ أغسطس ١٩٢٩

منشور المندوب السامي في فلسطين

حدثت الفتن الاخيرة في فلسطين والمندوب السامي البريطاني مصطافا في بلاده بالاجازة وقد تعجل العودة ولم يلبث بعد وصوله الى القدس أن نشر في البلاد بلاغا دل على تحيزه الى اليهود والصيونيين هذا نصه)

عدت من المملكة المتحدة فوجدت، بمزيد الاسى، أن البلاد في حالة اضطراب، فأصبحت فريسة لاعمال العنف غير المشروعة

وقد راعني ما علمته من الاعمال الفظيعة التي اقترفتها جماعات من الاشرار، سفاكي الدماء، عديمي الرأفة، وأعمال القتل الوحشية التي ارتكبت في أفراد من الشعب اليهودي خلواً من وسائل الدفاع بقطع النظر عن عمرهم وعما إذا كانوا ذكوراً أو اناثاً والتي صحبتها — كما وقع في الخليل — أعمال همجية لا توصف، وحرق المزارع والمنازل في المدن وفي القرى ونهب وتدمير الاملاك

ان هذه الجرائم قد أنزلت على فاعليها لعنات جميع الشعوب المتمدنة في أنحاء العالم قاطبة

فواجبي الاول أن أعيد النظام الى نصابه في البلاد وان أوقع القصاص الصارم

جاولئك الذين سوف يثبت عليهم أنهم ارتكبوا أعمال العنف، وستتخذ التدابير الضرورية لانجاز هاتين الغايتين ، وبناء عليه أطلب من جميع سكان فلسطين أن يساعدوني على القيام بهذا الواجب . ووفاقاً لتعهد أعطيته للجنة التنفيذية العربية قبل مغادرتي فلسطين في شهر حزيران المنصرم تباحثت في أثناء وجودي بانكلترة مع وزير المستعمرات بشأن اجراء تغييرات دستورية في فلسطين غير أني سأؤجل هذه المباحثات مع حكومة جلالته بسبب الحوادث الاخيرة .

ولكي أضع حداً للاخبار الملفقة التي ذاعت أخيراً حول موضع حائط المبكي (البراق) أعلن لعموم الاهالي بأنني عازم ـ وحكومة جلالته موافقة ـ على تطبيق المبادىء التي ينطوي عليها الكتاب الابيض الصادر في ١٩ تشرين سنة ١٩٢٨ بعد تقرير الطرق لتطبيقها

صدر هذا اليوم الاول من شهر ايلول سنة ١٩٢٩

المندوب السامي والقائد العام

ج . ر . تشانسلور

احتجاج اللجنة التنفيذية

للمؤتمر الفلسطيني على منشور المندوب السامي

على أثر المنشور الذي أصدره فخامة المندوب السامي مساء يوم أول أيلول الجاري أبرقت اللجنة التنفيذية العربية في فلسطين البيان التالي تعريبه الى فخامته .

اطلع عرب فلسطين بدهشة عظيمة على منشور فخامتكم الصادر في ١ أيلول ١٩٢٩ ولم يكن أحد منهم يتوقع أن يرى (اغفال) الحقائق التي عرفها القاصي والداني والتي اعترفت بها الحكومة وهي :

١ — أن أكثر اليهود كانوا مسلحين من أنفسهم.

٢ — أن الحكومة قد سلحت عدداً منهم

٣ — أنه لم يوجد في قتلى اليهود تمثيل أو تشويه حتى في الخليل كما يؤيد هذا تصريح ادارة الصحة العامة البريطانية في فلسطين .

٤ — أن بعض قتلى العرب قد مثل اليهود بهم .

٥ — أن جموع اليهود قد قتلت نساء وأطفالا من العرب على الانفراد .

٦ — أن اليهود هم الذين بدأوا في قتل النساء والاطفال من العرب.

٧ — أن الجنود البريطانية النظامية قتلت النساء والاطفال والرجال من العرب في بيوتهم وعلى فرشهم في قرية صور باهر وغيرها .

٨ — ان اضطرابات فلسطين السابقة والحالية انما هي ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية الصهيونية التي ترمي الى افناء القومية العربية في وطنها الطبيعي لكي تحل محلها قومية يهودية لاوجود لها.

كل هذه الحقائق لم يكن أحد من العرب يتوقع اغفالها في منشور صادر على عجل وسابق لأوانه، وتعلمون فخامتكم أن عرب فلسطين قد خسروا كل شيء من جراء هذه السياسة الصهيونية فلا يهمهم أي زيادة في الخسارة وعليه فان الجنود البريطانية ستجدهم عزلا من السلاح عندانزال أي ضربة بهم، فاذا كان لم يزل ثمة عدالة يحق للعرب أن يطلبوا نصيبهم منها، فهم يلحون بطلب اجراء تحقيق نزيه من قبل أشخاص من خارج فلسطين ، لا يتأثرون أثناء قيامهم بواجبهم نحو العدالة بالنفوذ الصهيوني .

وان التحقيقين اللذين أجريا في فلسطين في ظروف مماثلة سابقة من قبل لجان بريطانية قد أظهرا للملأ مطالب العرب الحقة ومقاصدهم القومية النبيلة ، كما أظهرا مصائبهم السياسية .

ان العرب يعتقدون كل الاعتقاد أن تحقيقات نزيهة كتلك ستروي للعالم حكاية حالهم الآن في هذه الاضطرابات الحاضرة رواية أكثر صدقا مما صورتموه للعالم في منشوركم الصادر قبل اعطاء العرب فرصة لاسماع صوتهم . وعندئذ يرى العالم أن اليهود الذين تجاوزوا التحرش السياسي الى الديني، والذين أصبح تحرشهم في المدة الاخيرة مما لا يحتمل ـ كما صرحت بهذا الحكومة ـ والذين كانت أعمالهم الفظيعة في هذه الاضطرابات ينطبق عليها كلام فخامتكم في منشوركم بحق العرب، هم المسئولون أولا عن الاضطرابات الحالية السياسية التي تؤيد ثانياً .

وإن مثل هذا المنشور كان ينبغي اصداره بعد اجراء التحقيقات التي ينشدها العرب وليس قبل اجرائها، فلذلك نحن نتأكد أنكم لو أعدتم النظر في الحالة الحاضرة لو صلتم الى حكم عادل؟ في ٢٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٨ الموافق ٢ ايلول ٩٢٩

رئيس اللجنة التنفيذية العربية : موسى كاظم الحسيني

الامناء : مغنم الياس مغنم . عوني عبد الهادي . جمال الحسيني

احتجاج جمعية حراسة المسجد الاقصى والاماكن الاسلامية المقدسة

وجوابها على منشور فخامة المندوب السامي

جمعية حراسة المسجد الاقصى والاماكن الاسلامية المقدسة بالقدس تتلقى بمزيد الدهشة والاسف استعجال فخامتكم في اصدار منشور ١ ايلول سنة ١٩٢٩ الذي يحمل على العرب حملة غير عادلة مغفلا ما اقترفه اليهود في يافا والقدس وغيرها وقام به الجنود البريطانيون في صور باهر وقالونية وحيفا من الفظائع والقتل في الاطفال والنساء والشيوخ من العرب وهم عزل من السلاح بعضهم عابر سبيل وبعضهم في بيته أو في صلاته وهي تلفت نظر فخامتكم الى ما يأتي:

١ — ان اصدار الحاكم في المنشور بناء على دعاية اليهود فقط ومن غير أن تسمعوا الطرف الآخر أو قبل أن يجري التحقيق من قبل هيئة عادلة غير متحيزة ولا متأثرة من النفوذ الصهيوني ، هو ليس من العدل .

٢ — إن تغاضيكم في المنشور عما اقترفه اليهود والجنود البريطانيون من الفظائع في هذه الفتنة وعدم تحميلكم المسئولية على المسببين والبادئين سيتلقاه العرب خاصة والعالم الاسلامي عامة بمزيد الدهشة والاستياء .

٣ — يخشى أن تكون لهجة المنشور قد فهم منها اليهود تحريضهم واغراءهم لانهم لم يكادوا يتلقون هذا المنشور حتى قاموا في ذات الساعة بالتعدي على أحمد محمد عوض من لفتا أثناء مروره في الطريق وهجموا عليه مئات يتناولونه بما في نفوسهم من غل لكماً وضرباً حتى قضى نحبه في ذات الليلة متأثراً من تلك الضربات الهمجية .

٤ — إن التسرع في الحكم القاسي يخشى أن يكون له أثره في الهيئات القضائية والهيئات التحكيمية مما يتنافى مع الرغبة في أن يأخذ العدل مجراه .

٥ — إن تهمة التمثيل في قتلى اليهود في الخليل ثبت لدى موظفي دائرة الصحة العامة من الانكليز بطلانها وفسادها وهي بلا ريب من أنواع دعايات اليهود الباطلة .

٦ — إن العرب عاشوا هم واليهود الوطنيين في هذه البلاد قرونا طويلة من غير أن يتعدى بعضهم على بعض أو يسعى فريق منهم لأن يجعل البلاد المقدسة التي هي مقر الاديان ومهبط الانبياء ميدانا لاثارة الفتن وإراقة الدماء ، فلا يصح أن يوصم فريق العرب الذي اعتدي عليه جهاراً وتحرش به علناً كما تعترف الحكومة فقام يدافع عن نفسه وعن نسائه وأطفاله الذين قتلوا ومثل بهم وهم عزل من

السلاح ، فلا يصح أن يوصم هذا الفريق المدافع المعتدى عليه بالهمجية والتوحش وحب سفك الدماء ، وهذه القرون الماضية الطويلة شاهدة .

فكان من واجب العالم المتمدن الذي صبيتم لعناته على غير مستحقيها أن يفتش عن السبب الذي جعل مهبط الانبياء ومقر الاديان ميداناً واسعاً للفتن فيسعى في ازالة هذا السبب باسم المدنية والانسانية وبذلك تعود فلسطين الى ما كانت عليه من الهدوء والسكينة والاطمئنان .

٧ — نستغرب جداً أن يحمل المنشور في أمر التخريب والاحراق على العرب فقط ويغفل ما قام به اليهود من هذا القبيل وحرقهم ونهبهم بيوتاً كثيرة وتعديهم على مقام الصحابي المشهور (سيدنا عكاشة) وهدم قبر موقبر المجاهدين حوله واحراقها بعد تمزيق الستائر .

٨ — إن اليهود الذين أثار حماسهم وهاج هائجهم مقررات المؤتمر الصهيوني الذي عقد مؤخراً في زوريخ ، هم البادئون في الاعتداء والمثيرون لهذه الفتنة بالمظاهرة العنيفة التي قاموا بها في مكان البراق الشريف يوم ١٤ آب لأسباب لا تنحصر بالصلاة العادية وهم يحملون العلم الصهيوني ويخطبون الخطب كما جاء في بلاغ الحكومة الرسمي، وكانت خطبهم تحمل أنواع السباب والشتائم للمسلمين ،ومن جهة أخرى ابتداؤهم في الاعتداء يوم ١٦ و١٧ و١٨ منه على العرب المنفردين في الاحياء اليهودية من رجال ونساء وأطفال، وإن حوادث قتل النساء والاطفال بدأت منهم

٩ — إن العرب الذين لم تبق لهم السياسة الحاضرة ما يأسفون عليه من حق سيقفون مسلمين بصدرهم وهم عزل من السلاح رصاص الجنود البريطانيين فيما إذا رأت الحكومة أن سياسة الوطن القومي تقضي بالبطش بهم وازهاق نفوسهم وإزالتهم من الوجود .

فالعرب مع احتجاجهم الشديد على هذا المنشور يطلبون أن تقوم هيئة عادلة من الخارج لا يجد النفوذ الصهيوني إلى وجدانها ازاء واجب العدل سبيلا بتحقيق دقيق في هذا الامر، وحينئذ سترون فخامتكم أن لعنات العالم المتمدن ستنصب على المسببين وحدهم ، كما أنهم يأملون اصدار منشور آخر بعد اطلاعكم على فظائع اليهود في يافا والقدس وغيرهما .

ونحن واثقون بأن كل تحقيق عادل يجري بهذا الصدد سيكون حتما لصالح العرب وسيظهر أن المسئول عن هذه الفتنة اثنان لا ثالث لهما :

الاول — اليهود الذين تجاوزوا بمطامعهم واعتداءاتهم كل حد حتى المقدسات والحقوق الدينية .

الثاني — السياسة غير العادلة وغير الطبيعية التي تعضد اليهود في مطامعهم واعتداءاتهم والتي قضت بتأخير تنفيذ الكتاب الابيض الصادر منذ عشرة أشهر . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

في ٢٩ ربيع الانور سنة ١٣٤٨ في ٣ ايلول سنة ١٩٢٩

جمعية حراسة المسجد الاقصى والاماكن الاسلامية المقدسة

[المنار] اذا كنا نعتقد اعتقاداً جازما عن بحث وروية أن الانكليز قلما أقدموا على عمل استعماري على جهل وقصر نظر كاقدامهم على جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود وانه لم يعرف في تاريخهم ظلم مشوه مفضوح كظلمهم في فلسطين . وأن هذا العمل الذي قصدوا به إضعاف الامة العربية وتقطيع أوصالها والحيلولة بين أقطارها المستعدة للوحدة لتسهيل استعبادها — هو الذي يرجى أن يأتي بضد كل ماارادوه من السوء والشر بالعرب . كما نعتقد اعتقادا دينيا واستدلاليا أن اليهود لن ينالوا ما يبغون من إعادة ملك اسرائيل في هذه البلاد — ونظن ظنا راجحا قويا ان الانكليز يعتقدون اعتقادنا هذا ، وأنهم يخدعون اليهود ليتخذوهم قوة لهم يهددون بهم العرب ويهددونهم بالعرب ، وانما كنا نخشى من دهاء الانكليز ومكر اليهود ان يسيروا في خطتهم المشتركة بالحكمة والصبر والرفق والمداراة الى أن يسلبوا من عرب فلسطين جل رقبة الارض ويجعلوهم كالاجراء فيها ، ولكن الله سلم ورحم العرب بهذا الظلم المفضوح من الانكليز ، وهذا العدوان الاحمق من اليهود ، فكان كل منهما مؤيدا لاعتقادنا ، وخاذلا للفريقين ومحبطا لكيدهما ومكرهما بنا ، فقد نبهت هذه الثورة الفلسطينية ما كان نائما من العصبية العربية والجامعة الاسلامية في الشرق والغرب وفي القلب الذي هو جزيرة العرب ، ولو قتل ألوف من العرب في سبيل هذه الغاية لكان قليلا . وقد كنا كتبنا في هذا الموضوع فصلا طويلا نرجئه للجزء التالي إذ لم له يتسع هذا الجزء

الآراء في مشروع الاتفاق الجديد

(بين مصر وانكلترة)

اتفقت الآراء على أن هذا المشروع الذي جاء به صاحب الدولة محمد محمود سليمان باشا هو أمثل من كل مشروع رضيت به الدولة البريطانية من قبل، واتفقت أيضاً على أنه ليس بالاستقلال التام المطلق الذي ينشده الشعب المصري، وكثر المؤيدون له في الصحف والمجالس من أفراد الشعب على اختلاف مشاربهم ومشاهدهم في السياسة، وقل الناقدون له منهم

وأما الاحزاب فاختلفت أقوالها فيه: قبله الحزب الحر الدستوري بالطبع لالأنه يعده ثمرة لمفاوضة رئيس هذا الحزب للدولة البريطانية فقط، بل لأن سياسة هذا الحزب مبنية على أساس الاتفاق مع هذه الدولة والقناعة منها باستقلال اداري واسع النطاق بقدر الامكان، وما زال كبار رجاله موضع ثقة رجالها منذ أسس إلى هذا اليوم

قبله الحر الدستوري بعجره وبجره، ووعد الحزب الوطني ببيان ماينطوي عليه من المضار والخطر، وقرر حزب الاتحاد أنه صالح لأن يكون قاعدة لوضع معاهدة بين الدولتين. وكثير من الافراد المنكرين يقول بذلك بشرط أن يبين في المعاهدة مافيه من اجمال، ويفسر ماأودعه من ابهام، ويقيد بعض ماتضمنه من اطلاق. ووجوب تضمن صيغة المعاهدة لهذه الثلاث هو الذي أعقله وأراه

وأما الوفد أو الحزب السعدي الذي يمثل سواد الشعب الأعظم فأمسك عن بيان رأيه فيه وقال ان الحق في الحكم فيه للبرلمان المصري الذي يمثل الشعب التمثيل الصحيح الذي قرره قانونه الاساسي، فهنالك تحت قبة البرلمان نبين رأينا فيه، فتبارت أقلام حزب الوزارة وأقلام أشياعها في الطعن على الوفد وزعمائه، وعاد السباب والقذع بأفحش الشتائم إلى شر مما كان في عهد الشقاق الاول بين السعديين والدستوريين الذي استمر الى عهد الائتلاف المعلوم

لقد كنت أخشى هذا وأحاذره متوقعاً لهاذا وفق محمد محمود باشا بافتراص

سياسة وزارة العمال في انكلترة لاقناعها بانصاف مصر والاتفاق معها على مايرضاه الشعب المصري ويحفظ به المصالح البريطانية ، فكتبت مقالة (الحالة السياسية العامة في مصر) التي نشرتها في الجزء الثاني الذي صدر بتاريخ غرة صفر (٨ يوليو) راجياً أن تكون بما قررته من الحقائق الناصعة المبرأة من الهوى والتشيع تمهيداً لائتلاف جديد نهائي يسعى له سعيه بعض الامراء والكبراء لخير مصر ومصلحة حاضرها ومستقبلها

وقد كان حاضر مصر إلى وقت كتابة تلك المقالة شر حاضر ينذر شر مستقبل . أمة مغلوبة على أمرها بالاستبداد البريطاني الذي سلبها ما اعترف به لها من الاستقلال بقرار الوزارة البريطانية وتصديق البرلمان البريطاني، وحكومة (دكتاتورية) عطلت الحكومة الدستورية وفضت برلمانها ، ورضيت أن تكون خاضعة لسيطرة أطغى مستبد بريطاني عرفته مصر لايرضى أن يحل فيها ولا أن يعقد أمر من الامور الداخلية المحضة إلا برضاه ، دع مايمس التحفظات من قرب، أو يومىء اليها من بعد ، تؤيده دولة معروفة بنقض العهود ، وإخلاف الوعود ، ونكث الايمان بالتأويل ، الذي تتبرأ منه جميع اللغات والشرائع والقوانين . طردت الموظفين المصريين والجنود المصريين من السودان ، وانفردت بادارته وسياسته وخدها ، من بعد ان كان ادعاؤها حق المشاركة لمصر في ادارته ظلماً واستبداداً لامسوغ له ، فماذا عسى أن يكون مستقبل بلاد هذا حاضرها ؟

كان ذنب محمد محمود عند الوفد وسواد الامة من ورائه أنه رضي في هذه الحال السوءى التي تنذر المستقبل الاسوأ أن يتولى الوزارة ويقبض على عنق البلاد بيد من حديد ، وأن يتحلى بلقب (دكتاتور) وهو يعلم أن القوة السابية في الامم الضعيفة تفعل مالا تفعل القوة المادية التي يفوقها الخصم فيها أضعافا ، ويعلم أن أعظم مظاهر لهذه القوة السابية في مصر ما كان من امتناع رجال الحكومة كبيرهم وصغيرهم من ادارة الاعمال تحت سيطرة الحماية الانكليزية في ابان الثورة — وبهذا وحده علم الانكليز يومئذ أنه يتعذر عليهم إدارة أمور البلاد كما كانوا يديرونها في السنين الخالية باسماء الوزراء الوطنيين الجبناء الذين أطلق الاستاذ الامام على مجلس نظارهم

لقب (جمعية الصم البكم) وأنه كان يريد بهذه الوزارة القضاء على وحدة الامة المتمدة على وفدها في السير الى الاستقلال المطلق كما قضى على حكومتها، وأن يقوي حزبه المشايع للبريطانيين في ثلاث سنين مقدرة ليكون صاحب الأكثرية في البرلمان الموعود به بعدها فيمل للانكايز مايريدون .

وكان عذر محمد محمود عند نفسه كما قال مراراً وعند المؤمنين بصدق وطنيته أنه لم يكن في ذلك الحين بد من الخروج من تلك الحالة السوءى بحكومة تتزاور عن ذلك الضغط البريطاني المرهق وتتحامى الوقوف في وجهه في إبان طغيانه ، لانه يجرف كل مايصادفه أمامه لامحالة ، وأنه كان يرجو أن يشاركه رجال الوفد في هذه الوزارة التي تألفت للنهوض باعباء الاصلاح الداخلي بمعزل من ميدان المناطحة مع الانكايز الى أن تتحول تلك الحال ـ ودوامها من المحال ـ وأنه لما خاب أمله وبرز الوفد لمكافحته اضطر إلى الكفاح كارهاً له ، وقد سمعت من بعض هؤلاء المحسنين للظن فيه من يقول في أول العهد بهذا الكفاح إنه لو علم أن سيعجز عما كان يؤمل ويضطر إلى هذا النضال لما أقدم على تأليف الوزارة ... والله أعلم

من أجل ماذكرت هنا وهناك من الرأي في رجولة محمد محمود باشا ووطنيته مع العلم بقلة الرجال كنت أحب أن يقوم بما له من الحظوة عند الانكايز التي كانت تزداد مظاهرها آنا بعد آن بآخر تجربة في التوفيق بين مصلحتهم الاساسية في مصر واستقلالها المطلق مع سودانها مع عقد محالفة مرضية بينهما ، وأن يتفق مع الوفد على ذلك سراً ان لم يكن جهراً ، وان يعلق بقاءه في الوزارة على هذه المحالفة بان يستقيل إذا لم يقبلوا، ثم يتفق مع الوفد سواء قبلوا أو لم يقبلوا ، وهذا هو الذي أملى علي تلك المقالة التي نشرتها في الجزء الثاني من منار هذا العام عالما انها لا ترضي جمهور حزب الوزير ولا جمهور حزب الوفد لكراهة كل من الفريقين لانصاف الآخر والاعتراف باي مزية أو فضيلة له، وانما ترضي بالطبع محبي الحق والعدل والانصاف من كل منهما ومن غيرهما، ولا يعنيني بعد تحري مرضاة الله تعالى الا مرضاة من يحبون مايحب الله من الحق والعدل ، والرجاء في سعيهم للاتفاق والصلح

وقد علمت أن بعض الكتاب من انصار الوفد انتقد المقالة في بعض

صحفهم على انني كنت فيها أقرب الى تأييد سياستهم الاساسية في المسألة المصرية كما انني كذلك في نفسي على انتقادي لبعض تصرفهم . ثم رأيت هذا المنتقد في النادي السعدي في أثناء إلمامة لي به، فبهتني بأنني صرحت في المقالة بعدم الحاجة الى مجلس النواب مطلقاً !! ولم يمنعه إنكاري لذلك وتأييد بعض قراء المنار من أعضاء الوفد الحاضرين لي في الانكار من الاصرار عليه، ولكنني علمت من غير واحد منهم ان النائب الذي طعن على القرآن في مسألة تعدد الزوجات لم يفه بذلك في المجلس كما قلت في المقالة وانما ذكره في مقالة نشرها في جريدة الاهرام ، قال بعضهم ولو قاله في المجلس لأقمنا عليه النكير ، فأنا استغفر الله من هذا الخطأ الذي كان عالقا بذهني مما قرأت من الرد على ذلك النائب الملحد ، ولو ظهر لي خطأ آخر لرجعت الى الصواب بعد ظهوره بكل ارتياح ، ولا أبالي من لا يرضيهم الا اتباع اهوائهم ، ومتى كان طالب الحق لذاته مقلداً للافراد، أو متعصبا للجماعات ؟ وانما أكتب احيانا في المسائل السياسية لاجل ان اسمع من استطعت من الناس صوت الحق فيها لقلة من يقوله ، عسى ان أكون من الصديقين والشهداء

أعود بعد هذا الى مسألة الصلح بين الوفد ومحمد محمود باشا فأقول اخبرني بعض من قرأ مقالتي في الجزء الثاني انه قد وجد من سعى لها سعيها واجابهم عدلي باشا يكن فما افاد ذلك السعي نجاحا ولما حمل مشروع الاتفاق محمد محمود باشا في لندن ارسل بلاغا الى الجرائد قال فيه انه نال ما نال من النجاح بجهاد الامة وقوة الامة لا بحوله وقوته ، وانه يدعو الامة كلها الى النظر فيه بعيني المصلحة لمصر لا بالأعين الحزبية ، وانه لوح للمخالفين المعارضين له بغصن الزيتون فان جنحوا للسلم والاتفاق جنح لها ، والا فلا لوم لهم الا على انفسهم -او ماهذا معناه- وقام اناس آخرون يسعون للصلح، ولكن الجرائد المنتصرة لكل فريق قد اسرفت في الطعن وتوسيع مسافة الخلف ، وظل الوزير نفسه معتصما بعصبية حزبه ، فصار معنى الاتفاق خضوع الوفد له وقبوله ان تتولى وزارته امر انتخاب اعضاء البرلمان الجديد الذي له الحكم الفصل في مشروع الاتفاق المعروض من قبل الحكومة الانكليزية ليكون لها باستخدام نفوذ الحكومة وأموالها اعضاء

كثيرون من الدستوريين وغيرهم يشدون أزرها، ويمنحونها من الثقة مايرجى ان تثبت به وتكون هي التي تعقد المعاهدة مع الدولة البريطانية وتتولى تنفيذها ، فيتم بذلك مجدها ومجد أنصارها، ولعلمهم بقوة نفوذ الوفد في الامة يريدون أن تضع هذه الوزارة قانونا للانتخاب يكون فيه على درجتين وتلغي القانون الذي وضعه البرلمان المقرر للانتخاب من قبل الامة مباشرة لان السواد الاعظم من الامة لايثق الا بالوفد، وتأثير نفوذ الحكومة في الافراد المعدودين المعروفين أدنى من تأثيره في الدهماء

والوفد يأبى أن تتولى هذه الوزارة (الدكتاتورية) المطلقة السلطان ، إعادة بناء ماهدمت من حكم الدستور والبرلمان ، بعد أن كان منها مايعدونه عليها من الاعمال ، ويصر على إسقاط هذه الوزارة ونوط أمر الانتخاب بوزارة حيادية تنفذ القانون الذي وضعه مجلس النواب الاخير، ويقول ان هذا المشروع الذي حمله محمد محمود من لندن لم يكن ثمرة مفاوضته ولا أثر سعيه، فانه صرح بأنه لم يذهب إلى أوربة لاجل المفاوضة في المسئلة المصرية وانها لم تكن تخطر له ببال، وانما المشروع ابتداع أتى من وزارة العمال الجديدة التي أخذت على عاتقها حل جميع المشكلات البريطانية الخارجية، أعطي له ليعرضه على الامة المصرية لانه صاحب الصفة الرسمية لا لأن له يداً فيه ، ويقول بعضهم إن الوزارة البريطانية عرضت عليه ثلاث صور للاتفاق اختار هذه الصورة منها، ومن المعقول أنه اقترح بعض التعديل والتنقيح فيها فقبل

وقد اقترح بعض أنصار هذه الوزارة أن تستفتي الامة في المشروع بجمع جمعية وطنية لهذا الغرض وحده ولكن الحكومة البريطانية لاترضى بهذا الاستفتاء لان شرطها أن تعرض على برلمان مصري قانوني فيكون له الحكم فيه، والذي استقر عليه حزب الوزارة وأنصارها أخيراً أن تؤلف وزارة ائتلافية من جميع الاحزاب والمستقلين ويبنى الانتخاب على قبول المشروع أو رفضه ،ويأبى الوفد هذا ويعده غير قانوني لانه يقيد حرية الامة ويفرض عليها أن تقبل المشروع أو ترفضه بنفس الانتخاب لا برأي البرلمان المنتخب

وجملة القول أن الوفد لم يصرح برأيه في مشروع الاتفاق وأنه يصر على رأيه الذي بيناه آنفاً ، وحزب الوزارة وأنصار مشروع الاتفاق منهم ومن

غيرهم يخشون في هذه الحالة أن ينتهي الامر برفض الاتفاق لان المنتظر أن يكون البرلمان الجديد وفديا كما سبق وأن يرد الاتفاق لان الفضل فيه لمحمد محمود باشا ، ولانه دون الاستقلال المطلق الذي أسس الوفد للسعي له، حتى ان رضاه بما دونه يعد سقوطا له . ويقال انه يرى أنه يمكنه الاتيان باتفاق خير للبلاد منه ، ومن الناس من يظن كما نظن أن البرلمان الوفدي لا يرده رداً ، ولكنه يتوخى خدمة البلاد بما يبين به ما فيه من اجمال ، ويوضح ما فيه من ابهام ، ويقيد ما نخشى مغبته مما فيه من اطلاق .

ولا يزال أكثر كتاب الانكليز يطعنون على الوفد ويؤيدون وزارة محمد محمود باشا وحزبه ، ومنهم من يتمنون فشل المشروع بالرد ، أو تأخير عرضه واستمرار هذه الوزارة على ما جرت عليه الى نهاية الاجل الذي ضربته لتعطيل الدستور وهو ثلاث سنين تبقى بها البلاد تحت سلطان الاحتلال عسى أن تأتي احداث الزمان بما يزيده قوة ورسوخا ، وان جمهور الجالية الانكليزية في مصر ومنهم مراسلو جرائد بلادهم على هذا الرأي أو الميل ، قد كبر عليهم انتهاء أجل الاحتلال واستقلال مصر في إدارتها الداخلية ، واعتزازها برفع ذل السيطرة الاجنبية عن رءوسها على ما يقيدها به المشروع الجديد من احتلال ضفة القنال ، وما في تقييد قوتها الحربية بالدولة البريطانية من سلاسل وأغلال ، ولكن الوزارة الانكليزية نفسها لا تظهر مثل هذه المحاباة ولا تضمر مثل هذا المكر

هذا واننا نرى رجال السياسة من الشعوب الاوربية وكتاب صحفها قد أكبروا مشروع هذا الاتفاق، وعدوه تسامحاً من الانكليز لم يكن في الحسبان ، وانه لولا رغبة وزارة العمال الصادقة في حل جميع الاشكالات الخارجية لما عرضت على مصر مثل هذا بعد أن كانوا يعدونها من مستعمراتهم وإن لم تسم بذلك

وأما مستقبل المعاهدة التي تعقد على أساس هذه التصريحات البريطانية فهو رهين بالطور السياسي الذي تكون عليه الدولة البريطانية ،فان عاد النفوذ الأعلى في برلمانهم الى حزب المحافظين على التقاليد الصليبية والاستعمارية الذين يطمحون إلى استعباد جميع الشرق ، والسيادة العليا على دول الغرب، فستكون هذه المعاهدة «قصاصة ورق» فيخلقون من أحداث الزمان ما يستبيحون به نقض حبلها [illegible]

فتلها ، كما أبهم فيما وصفهم به البرنس بسمارك من التفصي من المعاهدات بالتأويل

وإن ثبت عندهم ان شعوب الشرق قد دخلت في طور جديد عرفت به نفسها، وانه لم يعد في الامكان أن تتصرف الدول القوية فيها كما تتصرف في العجماوات، وان الوسيلة الوحيدة لاستغلال ثروة بلادها أن يكون بالتراضي معها... فستكون هذه المعاهدة نافذة بحسن النية ، ووسيلة لمعاهدة تكون خيراً منها إما بعد انتهاء مدتها وإما قبل ذلك

هذا ما نراه في مستقبل الاتفاق والمعاهدة التي تبنى عليه من الوجهة البريطانية وحدها. وأما الرأي فيه من الوجهة المصرية فهو يتوقف على أخلاق الشعب المصري وحالته النفسية ودرجة تأثيره في حكومته المستقلة عندما تكون تحت سيطرته وحده دون احتلال اجنبي، قبل توقفه على ما أوتي من علم بشؤون السياسة والادارة وسائر ما تحتاج اليه الحكومة في هذا العصر .ولا مجال للبحث في هذا الموضوع الآن

والخلاصة ان الذي يعتصر من آراء الوطنيين والاجانب في شأن المشروع يثبت أنه يجب قبوله على علاته بالقيد الذي أشرنا اليه في هذا المقال من بيان وتوضيح وتحديد في مسائل السودان والعسكرية وغيرها، وان قبوله أقرب وسيلة إلى نيل خير منه من رده ،وأمره موقوف على خطة الوفد وفقه الله تعالى لما فيه خير البلاد

الازهر الازهر والدين في هذا العصر

نشر في المقطم مقال لصاحب السمو الأمير محمد علي عنوانه (الدين في هذا العصر والجامع الازهر) كان له تأثير حسن في الجمهور الاسلامي بموضوعه ومكانة صاحبه فان كل مسلم يسره أن يرى من أمرائنا من يعنى بأمر الدين في هذا العصر الذي شغلت الأمراء زينة الحياة الدنيا ولذاتها عن الدين ، لذلك أكبر المسلمون مقال الأمير محمد علي في الدين والأزهر وأثنوا بما يليق بمقام سموه ولم ينتقده في الجرائد إلا قليل منهم ولكن بما يليق بذلك المقام من حسن الأدب

بدأ الأمير مقاله بما رآه في ممالك أوربة « من الجنوب الى الشمال » من

الهمم المبذولة والعزم الصادق في اصلاحماافسدته الحرب العالمية من تجارة وصناعة وعلم وعمل ولاسيا الاستعداد للحرب ... وانتقل من ذلك الى ماهو أهم منه وأخفى على جماهير المسلمين في هذه البلاد وغيرها وهو مارآه في بلاد أوربة من التيار الديني الجديد الذي «يرمي الى ما كان للدين من شوكة وسلطان ، وناهيك بما يبذله رجال الكنيسة وطوائف المبشرين العديدة ومن تبعهم من ارباب الملل والعلم والقلم لاستعادة نفوذ الدين وسيطرته على ولاة الحكم ومعاهد التعليم ، بل على الأسر والناشئة الجديدة » الخ

ثم ذكر سموه ان هذه الحالة النفسية الجديدة التي رآها في بلاد الغرب هذه المرة حملته الى إنباء اخوانه في الشرق « بما يجري ويدور هنا من فاتحة القرن العشرين ليكونوا على بينة من الأمر فيعتبروا ويتقوا الله في دينهم ولا يصغوا لضلالات فرقة ظهرت بينهم تريد أن تضلهم عن سبيل الله باسم العلم العصري والمدنية العلمية »

وبنى على هذا بقوله « ان هذا الموقف الجديد الذي أحرزه العامل الديني بين الجماعات الأوربية ، ونموه السريع ، بهذا الشكل المريع(؟) في مدة قصيرة من الزمن ساقاني الى التفكير فيما يجري في هذه الآونة فى بلاد الشرق من الاضطراب في الافكار بشأن هذا العامل ، فبينما نرى طائفة ظهرت حديثاً تسعى في محاربة الدين وهدمه نجد المتمسكين بدينهم من عقلاء المسلمين ومتنوريهم جامدين كالأموات لا يتحركون ، وأما السواد الأعظم من المسلمين فهم في ظلمات الجهل والخرافات يعمهون ، حالة والله تبكي من بقي في قلبه ذرة من الايمان» الخ

كل هذا حسن ، وهو الذي أعجب به المسلمون وأكبروا صدوره عن أمير من أشهر أمرائهم ، ثم استطرد الأمير الى ذكر الازهر وتساءل عن علماء الازهر وطلابه ، قائلا « ألا يجب على الأزهريين أن يكونوا في هذه الظروف العصيبة في مقدمة من يتتبعون الحركة الدينية في العالم؟» الخ ولكن كانت نتيجة ماذكره سموه من تفكيره الطويل في حال الجامع الأزهر وما أوجبه على الحكومة المصرية وعلى كل مسلم « لانقاذ هذا المعهد الجليل مما أصابه من الامراض » مباينة لجميع تلك المقدمات من كل وجه

تكلم في تاريخ الجامع الأزهر منذ تأسيسه الى الآن بما يخالف الواقع إلا قليلا ، وارتأى في اصلاحه آراء يتعسر تحديدها وتمحيصها ، ويتعذر تنفيذها ؛ ولئن نفذت على الوجه الذي ذكره لتكونن من أكبر الكوارث على الأزهر وعلى الدين الاسلامي الذي يغار عليه سمو الأمير بحق ، ولا يمكن بيان هذا كله بالتفصيل إلا بكتابة رسالة طويلة أو مقالات كثيرة لا حاجة بنا الى أكثرها الآن ، ولاسيما القسم التاريخي منها ، كالغرض من بناء الشيعة الباطنية للأزهر وحالهم في دينهم وسياستهم ، والعلوم التي كانت تقرأ فيه في عهدهم ، والاطوار التي مرت عليه من بعدهم ، وكذلك الذين وقفوا عليه الاوقاف وهل هم أهل لأن نعمل بما كانوا يفهمون من العلوم وطرق التعليم والانتفاع به في مثل هذا العصر كما اقترح سمو الامير؟ ثم هل يتفق ذلك وما تمناه وندب اليه من وجوب جعل الأزهريين في مقدمة من يتتبعون الحركة الدينية التي يهتز لها العالم الغربي في هذا العهد ؟

قال سمو الأمير في آخر مقاله انه يعرض رأيه الذي أملاه عليه حبه للاسلام والاخلاص لأزهره الشريف على من يشاركه في هذا الشعور من جمهور المسلمين ليفكروا فيه طويلا ويدرسوه بما يستحق من العناية واستحلف من يقبله منهم بالله ورسوله[1] أن يتناصروا في سبيل اخراجه الى حيز الفعل ، وقد فكر فيه كاتب هذه السطور كما أمر الامير وهو ممن يبحث في شؤون الأزهر وشؤون الاصلاح الاسلامي منذ ثلث قرن ، وله في موضوع اصلاحه وبيان ماضيه وحاضره وفي الرد على الملاحدة مباحث كثيرة منشورة في مجلدات المنار الثلاثين ،

وأكتفي في هذا المقال الوجيز بتوجيه نظر الأمير وغيره الى بعض القضايا التي يجب التفكير فيها مع التفكير في مقترحاته لعل سموه يرى فيها ما يتوقف عليه الحكم الصحيح فيها وهي :

(١) من المعلوم ان جده الأعلى الذي يتحلى هو باسمه قد أدخل هذه البلاد في طور الحضارة الغربية ، من غير اعتداء على مقوماتها الاسلامية العربية ، وان جده الأدنى (اسماعيل) هو الذي احدث فيها التفرنج بالتشريع المدني والجنائي والتربية

(١) المنار : ان الحلف بالرسول لا يجوز بل هو محرم والاستحلاف فرع الحلف

والتعليم والحرية الشخصية . . . وقد وصلت البلاد بهذا التفرنج الى مايشكو سمو الأمير وغيره منه من فشو الالحاد والاباحة والفسق ، فليتأمل في تاريخ الازهر في كل هذه المدة قبل البدء في دعوة اصلاح الازهر التي ينكرها وبعده ولينظر ماذا كان من تأثير شيوخ الازهر وخطبائه في مقاومة ما يخالف الاسلام ولا سيا الالحاد الذي فشا في هذا العهد، وفي إيجاد مايوافق هدايته ويعلي شأنه ؟ أظن انه لا يجد لأحد منهم أثرا له قيمة أو تأثير في الدفاع عن الاسلام وبيان حقيته إلا لطلاب الاصلاح للازهر ودعاته وإمامهم الشيخ محمد رحمه الله تعالى ، ولو اطلع سموه على الخطب الجمعية التي كانت تاتي على منبر الازهر وغيره من المساجد فى مصر لرأى ان اكثرها اما منفر عن الاسلام : واما غير مؤد لحاجة المسلمين في هذا الزمان، ولو اطلع على الخطب والمواعظ التي يلقيها أعضاء حزب الاصلاح فى هذا القرن لأعجب بها وقرت عينه بأهلها

(٢) إن اهم مقترحات سموه ترك الحكومة المصرية للأزهر ليكون مستقلا بشأنه ، واستقلال المدارس العالية أصل من أصول استقلال العلم ونزاهة أهله عن تأثير السياسة واهواء أهلها ، وأحوج العلم الى الاستقلال علم الدين، ولكن الازهر طرأ عليه ضعف الدين والعلم واللغة فى عهد استقلاله دون الحكومة لا بعد تدخلها فى أمر إدارته ، وقد كان من اهم قواعد الاصلاح له فى رأي الشيخ محمد عبده ان يكون برأي شيوخه واقتناعهم وان لايكون للحكومة نفوذ فيه ، وقد نقلت عنه فى المنار مراراً أنه قال اني مادمت فى هذا المكان لا ادع للحكومة نفوذاً فيه، وكذلك كان فان نفوذ الوزارة لم يتسرب اليه إلا بعد خروج الشيخ منه، بل كان رحمه الله يعارض نفوذ الامير الشخصي فيه إذا كان مخالفا لقانونه كما بينا في ترجمته. وكان هذا من اسباب سخط الامير عليه وإلجائه إياه اخيراً الى الخروج منه ولم يكن له من شيوخه نصير يحب الاستقلال الا السيد علي الببلاوي شيخ الازهر الذي استبدل الامير به الشيخ عبد الرحمن الشربيني والشيخ عبد الكريم سلمان، وكان غرض الامير المصري من هذا التبديل ارجاع الازهر الى ما كان قبل النظام الحديث : ولكنه لم يرجع ولم ينتظم أمره ، بل كانت سياسة الامير هي السبب في تدخل الحكومة فيه ايضا . فهل

يوجد اليوم في كبار شيوخه من ينهض بهذا الاستقلال له دون نفوذ الحكومة ؟ ذلك ما نتركه للبرلمان المصري الآتي والى ما سيكون للمصلحة الاسلامية من المنزلة فيه

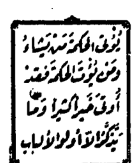
(٣) ان أغرب ما في مقال الامير تصويبه قول من يقول « ان الحكومة ترى من الضروري تخريج نشء جديد من رجال الدين يكون لهم اطلاع واسع على اللغات أو على بعض العلوم التي لا وجود لها في الازهر » وإجابته عنه بقوله : « الاوفق اذا للحكومة ان تنشيء كلية للعلوم الدينية ملحقة بالجامعة المصرية تؤسسها على ما ترغب من الاسس وتنظمها كيفما تشاء ، ولا بأس حينئذ من الاستغناء عن مدرستي القضاء الشرعي ودار العلوم و ادماجهما في هذه الكلية الجديدة »

الغرابة في هذا الرأي الذي لا أظن أنه يوجد واحد في الالف من شيوخ الازهر وطلابه يوافق سموه عليه هو جعل التعليم الديني لتخريج رجال الدين قسمين (احدهما) يناط بالجامعة المصرية تبعا لوزارة المعارف ويكون من خريجيه رجال القضاء الشرعي ومعلمو المدارس الاميرية وكل من قد تحتاج الحكومة اليهم من علماء الدين (وثانيهما) الازهر ويقصر التعليم فيه على ما كان يدرس فيه من العلوم الشرعية قبل نصف قرن ويكون الغرض منه التعبد وإرادة وجه الله تعالى ومن لوازمه ارجاع رواتب علماء الازهر الى ما كانت عليه وهو قلما يزيد على راتب خادم أو بواب في هذا العهد ومنع الحكومة عنه هذه المئات من الألوف التي خصصت لميزانيته ! ! وحرمانهم من الوظائف الشرعية كغيرها فياليت الامير يعلم رأي أهل الازهر في اقتراحه هذا

(٤) إن قانون الاستاذ المراغي الحديث للازهر يجمع بين التعليمين اللذين اقترحهما سمو الامير إلا أنه يجعل كلا منهما تابعا لادارة واحدة هي إدارة المعاهد الدينية، ولا شك أن هذا اضمن او ادنى الى جعل الاول دينيا اسلاميا من ادارة الجامعة المصرية له ، وهي هي التي أعان بعض أساتذتها الالحاد في تعليمها اعلانا برضاء مديرها ووزير معارفها وغيره من وزرائها وحمايتهم ، كما ظهر ذلك للخاص والعامي في قضية الدكتور طه حسين ، وندع ما لا يعرفه الا الخواص من الالحاد والملحدين ، ومن اهمال وزارة المعارف لامر الدين في مدارسها حتى أنه صار يقل في طلاب مدرسة دار العلوم من يصلي فما القول في غيرها ؟

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٨هـ ١٠ برج العقرب سنة ١٣٠٩هـش ١ نوفمبر سنة ١٩٢٩

فتاوى المنار

﴿ بقية الكلام في أحاديث انشقاق القمر ﴾

تتمة إشكال عدم رؤية اهل الآفاق له

وأما قولهم انه لم ينقل الينا عن أهل الارض انهم رصدوا القمر في تلك الليلة فلم يروه انشق، ففيه ان رؤية انشقاقه لا تتوقف على رصده لان من شأنه أن يراه كل ناظر اليه وان الذين ينظرون اليه في ليالي تمه كثيرون

وأما قولهم « ان الحجة فيمن أثبت لا فيمن يوجد عنه صريح النفي حتى ان من وجد منه صريح النفي يقدم عليه من وجد منه صريح الاثبات» ففيه انه ليس في موضع النزاع لان الواقع انه وجد مثبت فقط ولكنه يدعي شيئاً لو صح لرآه من لا يحصى من اهل الاقطار المختلفة ، ولنقل عنهم بالتواتر، وإذ لم يحصل هذا فيكون خبره غير مقبول كما تقدم تقريره من كلام علماء الاصول والمنطق في الخبر الذي يقطع بعدم صحته (دع كونه معارضاً بآيات القرآن المحكمة كما يأتي قريبا).

وقد بالغ القاضي عياض في الاعتماد على هذا الجواب أو الدفع فجعل نقل النفي للشيء بالخبر المتواتر المفيد للعلم القطعي مرجوحا يرد بما يعارضه من إثباته بخبر الواحد الذي لا يفيد الظن عندهم إلا بشروط منها أن لا يكون مخالفاً لسنة الله في الوجود ونظام العالم، وان لا يكون مما تتوفر الدواعي على نقله بالتواتر، وأن لا يكون معارضاً بنص قطعي كآيات القرآن الصريحة في عدم إعطاء الله رسوله ﷺ آية باقتراح الكفار (وسيأتي تقرير هذا في الاشكال الاصولي «و»)

وهذا نص عبارة القاضي « ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كان علينا به حجة » يعني اننا نصدقهم بأنهم رصدوه طول الليل ولم يروه انشق ولا يكون حجة علينا مع قطعنا بصدقهم ، وعلل هذا بقوله « اذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على

الآخرين ، وقد يكون من قوم بضد ماهو من مقابليهم من اقطار الارض ، أو يحول بين قوم وبينه سحاب وجبال ، ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض» الخ ماسبقه اليه الخطابي وغيره وتقدم

وفيه ان التعليل الذي ذكره يصح في بعض الاقطار دون جميعها ، ولكن لايجوز عقلا أن ينشق ولا يرى في شيء منها ، وتقدم الجواب عن اختلاف المطالع والخسوف والكسوف

على ان الحافظ المزي نقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية ان بعض المسافرين ذكر انه رأى في بلاد الهند بناء قديماً مكتوبا عليه انه بني ليلة انشق القمر ، وأذكر انني رأيت في بعض الكتب او الصحف ان هذا رؤي في بلاد الصين . ولكن مثل هذا الخبر الغريب عن مسافر مجهول لا يعده احد من أهل العلم حجة في مسألة علمية ولو لم تكن كمسئلتنا، لعدم الثقة بعدالته ولانه يروي ما لو صح لوقف عليه المسلمون الفاتحون للهند ، ولجعلوا لذلك البناء شأناً يشتهر به ويزار، ولدون خبره في كتب التاريخ ، ولم يوجد شيء من ذلك . على انه لو وجد بهذا الابهام والاجمال لما كان حجة في موضوعنا لجواز أن يكون سببه أسطورة أو اشاعة حدثت عند الذين بنوه وربما كانوا من الوثنيين. وقد نقل الحافظ في سياق هذا البحث ان العلامة الحليمي المشهور، قال كما نقل عنه البيهقي في البعث والنشور مانصه

« ان من الناس من قال ان المراد بقوله تعالى [وانشق القمر] اي سينشق [قال الحليمي] فان كان كذلك فقد وقع في عصرنا فشاهدت الهلال ببخارى في الليلة الثالثة منشقا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس ثم اتصلا فصار في شكل أترجة الى أن غاب ، وأخبرني من اثق به انه شاهد ذلك في ليلة أخرى .اه وقد صرح الحافظ ابن حجر بتعجبه من إقرار البيهقي لهذا مع حديث ابن مسعود . ونحن نصدق ماذكره الحليمي عن نفسه وعمن يثق به ونجزم انهما تخيلا خيالا ، أو عرض لبصرهما ماصور لهما ذلك، ومن العلل العارضة للبصر أو الدائمة مايصور لها الواحد اثنين ، وهذا معروف مشهور

﴿ هـ ﴾ الاشكال الفلكي

استشكل بعض النـاس خبر انشقاق القمر بما هو مقرر في أصول علم الفلك (القديم) كذا قال الحافظ « وانهم احتجوا بأن الآيات العلوية لايتهيأ فيها الخرق والالتئام » وعزاه الى الفلاسفة ونقل عن الزجاج عزوه الى « المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة » وأجاب عنه بأن القمر مخلوق لله يفعل فيه مايشاء . أقول وهذا حق لاينكره مؤمن بالله ، ومسألة عدم قبول الافلاك للخرق والالتئام، من أوهام فلاسفة اليونان ، وقد كشفها وأبطلها علم الهيئة الحديثة . ولكن لايشك عاقل من المؤمنين وغيرهم ان خلقه تعالى للسموات وأجرامها في غاية الابداع والنظام لاتفاوت فيه ولا خلل ، وان سنته تعالى في الخلق لاتتبدل ولا تتحول ، فلا يصدق خبر وقوع تغيير فيها إلا بخبر قطعي ثابت مثل ثبوتها وثباتها ، كآيات الرسل التي أخبر الله تعالى بها، ومن دونها آيات أرضية لايتضمن وقوعها مايتضمنه انشقاق القمر ورجوع الشمس بعد غروبها من مخالفة نظام الكون العام، ومعارضة قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) وقول رسوله ﷺ « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاينكسفان لموت أحد ولا حياته » متفق عليه وذلك كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ فمثل هذا يقبل في خبره ماصح وإن لم يتواتر ويصير قطعياً . ونحن انما نذكر مثل هذه الدقائق لغرض شرعي صحيح سنذكره بعد .

﴿ و ﴾ الاشكال الاصولي الاعظم

قد ثبت بآيات القرآن المحكمة الكثيرة القطعية الدلالة ان آية الله تعالى وحجته على صحة نبوة خاتم رسله محمد ﷺ التي تحدى بها الكفار ولم يحتج عليهم بغيرها هي كتاب الله المعجز للبشر ولغيرهم من الخلق وثبت بالحديث الصحيح الصريح أيضاً فقد قال (ص) « ما من الانبياء نبي إلا أعطي مامثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » رواه الشيخان والنسائي فقوله (ص) « وانما كان » من شرح تفيد الحصر وقد تأولوه بانه لما كان القرآن أعظم معجزاته وأدومها كان غيرهم منها

كأنه غير موجود ، ولا حاجة إلى هذا التأويل اذا اشترط في المعجزة التحدي فانه (ص) لم يتحدّ العرب ولا غيرهم إلا بالقرآن . وقد بين العلماء حكمة ذلك بما هو معلوم مشهور بناء على انه هو اصل العقيدة القطعي الذي لانزاع فيه ، وثبت بالآيات المحكمة الكثيرة القطعية الدلالة ان الكفار طالبوا النبي ﷺ بآية من الآيات الكونية التي اوتي مثلها الرسل على الابهام ، وانهم اقترحوا عليه آيات معينة ايضاً فلم يجابوا إلى طلبهم ، وفي بعض هذه الآيات مايدل على انه ﷺ كان يحب هو وأصحابه ان يؤيده الله بآية مما اقترحوه لعلهم يؤمنون ، وان الله تعالى لم يؤته ذلك بل بين له في بعض تلك الاحوال ان طلبهم الآيات انما يقصدون به التعجيز وانهم لو اعطوها لايؤمنون ، وان سنته قد مضت بان ينزل عذاب الاستئصال بكل قوم اقترحوا آية على رسولهم ولم يؤمنوا باجابتهم الى ذلك ، وامره في احوال اخرى بان يخبرهم بان الآيات عند الله وبيده وحده ، وانه هو بشر لايستطيع شيئاً مما لايستطيعه البشر ، الا ان الله تعالى أوحى اليه ما امره ان يبلغه الناس من البينات الهدى والايمان ، وصرح في بعضها بان آيته الكتاب العزيز المشتمل على آيات كثيرة في آية الله الكبرى ، وصرح في بعض آخر ببعض تلك الآيات فيه

ففي سورة يونس(١٠ : ٢٠ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين)وفي سورة الرعد(١٣ : ٨ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد) وفيها (٢٨ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب)

وفي سورة طه (٢٠ : ١٣٣ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ؟ اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ؟) أي اخبار كتب الانبياء في القرآن وهي إحدى معجزاته

وفي سورة العنكبوت (٢٩ : ٥٠ وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه : قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين (٥١) اولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)

وفي سورة الانعام (٦ : ٨ وقالوا لولا انزل عليه ملك ؟ ولو انزلنا ملكا

لقضي الامر ثم لاينظرون) أي لقضي الامر بهلاكهم واستئصالهم ثم لاينظرون أي لا يؤخرون ولا يمهلون بعد نزوله

وقال في سورة الاسراء (١٧: ٦٠ وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً)

وقال في سورة الانعام لرسوله ﷺ مسلياً إياه عن إعراضهم ومؤيساً اياه من اعطاء الآية الكونية المقترحة (٦: ٣٩ وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقاً في الارض او سلماً في السماء فتأتيهم بآية . ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين (٤٠) انما يستجيب الذين يسمعون . والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون (٤١) وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه؟ قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن أكثرهم لايعلمون)

ثم قال فيها مؤيساً لأصحابه ﷺ من إيمانهم اذا أوتوا آية(١١٠ وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون (١١١) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة .ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٢)ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون) وليراجع من شاء تفسير كل ما ذكرنا من هذه الآيات التي في سورة الانعام في الجزء السابع وأول الثامن من تفسيرنا هذا وفي غيره

بعد التذكير بهذه الآيات المحكمة القطعية كيف يمكننا أخذ رواية أنس ابن مالك [رض] في الصحيحين بالقبول فنصدق أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر ، ولم يدع غيره من رواة الحديث في الصحيحين هذه الدعوى مع العلم بأن روايته له مرسلة لانه انصاري كان عند هجرة النبي ﷺ ابن عشر سنين وعند انشقاق القمر ابن خمس سنين في المدينة، ولا يعلم أحد إلا الله ممن سمع هذا الخبر ، واحتمال سماعه له من ابن مسعود بعيد لانه لم يأت في شيء من الروايات الصحيحة عن ابن مسعود ان المشركين اقترحوا على النبي ﷺ آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما. وفي رواية عنه مرتين وهي

غلط من الرواة كما بينه ابن القيم وابن حجر ويراد بها الشقين ، ولم يصح ذلك عن أحد ممن رووا عنه هذا الحديث ، وانما روى نحوه أبو نعيم في الحلية ببعض اسانيده الواهية عن ابن عباس [رض] وروى عنه ما يعارضه وهو أن الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يريهم آية ليؤمنوا فأراهم انشقاق القمر هم بعض اليهود ، وهي رواية شاذة على شدة ضعفها لم يقبلها أحد من العلماء الذين يقبلون الاحاديث الضعيفة في الفضائل والدلائل لمعارضتها للأولى ولان مكة لم يكن فيها اليهود وسورة القمر مكية بالاجماع

قال الحافظ في شرح حديثه في [باب انشقاق القمر] من البخاري : ولم أر في شيء من طرقه ان ذلك كان عقب سؤال المشركين الا في حديث انس فلعله سمعه من النبي ﷺ ثم وجدت في بعض طرق حديث ابن عباس صورة السؤال وهو وان كان لم يدرك القصة لكن في بعض طرقه مايشعر بانه حمل الحديث عن ابن مسعود كما ساذكره فاخرج أبو نعيم في الدلائل من وجه ضعيف عن ابن عباس قال : اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي ﷺ إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ، فسأل ربه فانشق اه والحافظ حجة في النقل ضعيف في إيراد الاحتمالات وتوجيهها في الغالب ولا سيما الاحتمالات المؤيده لما يراه صحيحاً أو حسناً في نفسه كالفضائل والمناقب وما يعد من دلائل النبوة منها أولى

وأول مايخطر في بال مستقل الفكر ان الذين رووا الحديث عن ابن مسعود نفسه عند الشيخين وغيرهما لم ينقل أحد عنه ان انشقاق القمر كان إجابة لطلب الكفار آية من النبي ﷺ وذلك معارض لنصوص القرآن فكيف نلصق به احتمال تحديث ابن عباس بذلك في رواية لم تصح عن ابن عباس ، مع أن رواية ابن عباس في الصحيحين مرسلة يحتمل أن يكون سمعها من بعض التابعين حتى كعب الاحبار الذي ثبت انه روى عنه بعض إسرائيلياته في التفسير وغيره .

هذا مجمل مايقال في رواية كون انشقاق القمر كان آية مقترحة من الكفار

خلافاً لما يقتضيه ماذكرنا من آيات القرآن ومالم نذكر منها ، ولم نر أحداً من العلماء عني ببيان الاشكال والجواب عنه ، إلا أن الخطابي قرر في مسألة انشقاق القمر حكمة عدم بلوغ شيء من المعجزات المحمدية مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن — بما حاصله كما تقدم عن الحافظ ابن حجر « ان معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب به من قومه للاشتراك في إدراكها بالحس ، والنبي ﷺ بعث رحمة فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية » الخ ماتقدم وهو تلخيص الحافظ لكلامه أو لما فهم أو أراد منه ، على أنه لم يرض منه إلا تعليله لمناسبة إيتاء كل نبي مايناسب حال أمته من الآيات كما تقدم . ولكن الشيخ علياً القاري نقل عبارته نفسها في شرحه للشفا وهي:

«قال الخطابي: الحكمة في وقوعها ليلا ان من طلبها من الرسول ﷺ بعض من قريش فوقع لهم ذلك ليلا ، ولو أراد الله تعالى أن تكون هذه المعجزة نهاراً لكانت داخلة تحت الحس قائمة للعيان بحيث يشترك فيها الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكن الله تعالى بلطفه أجرى سنته بالهلاك في كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا ، وخص هذه الامة بالرحمة فجعل آية نبيها عقلية وذلك لما أوتوه من فضل الفهم بالنسبة إلى سائر الامم والله سبحانه وتعالى اعلم » اهـ

وهذه العبارة تفيد مالم يفده تلخيص الحافظ لها وإنما يلخص كل إنسان من كلام غيره مايفهمه مما يتعلق بغرضه وما كل إنسان يفهم كل مراد غيره من كلامه ، وما كل ملخص يؤدي كل مافهمه كما فهمه ، وكل من العبارتين قاصر عن تحقيق الحق في الموضوع ، وقد بيناه في مواضع من تفسيرنا ، ومنه أن الله تعالى جعل آيته على صدق رسالة خاتم النبيين عقلية علمية دائمة لاتنقطع لتكون حجة قائمة على العقلاء ببقاء أمة الدعوة وامة الاجابة أي الى يوم القيامة فإن الآيات الكونية لا بقاء لها ، ويحصل المراء في نقلها وفي دلالتها

ومنه انه مضت سنة الله تعالى بأن الامة التي تقترح على رسولها آية ثم تكفر به بعد تأييد الله إياه بها فان الله تعالى ينزل بها عذاب الاستئصال العام عاجلا لا عذاب المكذبين وحدهم ، ولما كان خاتم النبيين قد أرسل رحمة للعالمين كان

تعذيب قومه بعذاب الاستئصال منافياً لهذه الرحمة ومستأصلا لجميع البشر أو لقومه في الجنسية النسبية وهم العرب عامة ، لا من رآها منهم وكذبها خاصة ، ولو استأصل العرب ، لما آمن بالقرآن شعوب العجم ، (ولو نزلناه على بعض الاعجمين ، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) وانما أعد الله لفهمه وفقهه العرب ، وقدر أن يكونوا هم الدعاة والهداة للعجم ، بما يرون من تأثير هدايته فيهم بالسيادة والعدل في الأمم ، كما بيناه في فاتحة التفسير . فعبارة الخطابي قاصرة . ومن الغريب انه يزعم أن وقوع انشقاق القمر ليلا يخرجه عن كونه آية حسية ، ليدفع به استشكاله بعدم نزول العذاب بهم لعدم ايمانهم بها ، وهو ما اشترطه هو دون غيره لعذاب الأمة اذا لم تؤمن عقب رؤية الآية ، ــ وهو زعم مخالف للحس

وجملة القول أنه لو صح ان قريشاً سألوا النبي ﷺ آية تدل على صدق نبوته وان الله تعالى أجابهم الى طلبهم فجعل انشقاق القمر آية كما هو نص حديث أنس في الصحيحين وغيره في غيرهما لعذب الله أمته أو قومه باستئصالهم على حسب القاعدة الصحيحة الثابتة بالنص القطعي ، أو لعذب من رأوها وكذبوا بها على رأي الخطابي ومن وافقه ، ولكن لم ينقل ان الله تعالى عذب أحداً منهم عقب ذلك التكذيب بل نقل خلافه وان منهم من مات بعد ذلك ، ومنهم من قتل ببدر بعد بضع سنين ، ومنهم من آمن بعد إصراره على التكذيب بعد رؤيتها بضع عشرة سنة كالنضر بن الحارث من مسلمة الفتح الذين شهدوا حنيناً وأعطاه النبي ﷺ مائة بعير تأليفاً له . وقيل انه أخ له اسمه نضير بالتصغير وراجع الاسمين في الاصابة

ومن غريب الذهول ان الحافظ ابن كثير لم يعرض لهذه المسألة في تفسير أول سورة القمر بل أورد حديث أنس وسكت عليه ولكنه أشار اليها في تفسير بعض الآيات الصريحة في عدم إجابة الكفار الى ما كانوا يقترحونه على النبي ﷺ من المجيء بأية أي آية أو بآية معينة ، قال في تفسير آية يونس (١٠ : ٢٠ وقالوا لولا يأتينا آية من ربه) بعد أن أورد بعض الآيات في معناها ما نصه :

يقول تعالى ان سنتي في خلقي اني إذا آتيتهم ماسألوا فان آمنوا وإلا عاجلتهم بالعقوبة . ولهذا لما خير رسول الله ﷺ بين إعطائهم ماسألوا فان آمنوا وإلا

عذبوا ، وبين إنظارهم ، اختار إنظارهم كما حلم عنهم غير مرة رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى إرشاداً لنبيه ﷺ الى الجواب عما سألوا (فقل انما الغيب لله) أي ان الامر كله لله وهو يعلم العواقب في الامور (فانتظروا اني معكم من المنتظرين) أي ان كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتم فانتظروا حكم الله في وفيكم . هذا مع انهم قد شاهدوا من آياته ﷺ أعظم مما سألوا حين أشار بحضرتهم الى القمر ليلة إبداره فانشق باثنتين فرقة من وراء الجبل وفرقة من دونه. وهذا أعظم من سائر الآيات الارضية مما سألوا ومما لم يسألوا اه المراد منه وقد أورد بعده بعض الآيات الناطقة بأنهم سألوا ذلك عناداً وتعنتاً وانهم لا يؤمنون إذا أجيبوا إلى ماطلبوا وإلى ماهو أعظم منه. وظاهر عبارته هنا في مسألة انشقاق القمر انه لم يكن عن طلب واقتراح منهم ، وإلا كان مناقضاً لما قبله ولما بعده من الآيات هنا ولما قاله كغيره في تفسيرها وفي مواضع أخرى من التفسير

وماذكره (ابن كثير) من تخيير الله تعالى لنبيه ﷺ هو المروي فيما ذكر من اقتراحاتهم في سورة الاسراء (١٧ : ٩٠ - ٩٣) وقال في تفسير (١٧ : ٥٩ ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) أي نبعث بالآيات ونأتي بها على ماسأل قومك منك فانه سهل علينا ، يسير لدينا ، إلا أنه قد كذب بها الاولون بعد ماسألوها ، وقد جرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم انهم لا يؤخرون ان كذبوا بها بعد نزولها الخ

وقال البغوي في هذه الآية : (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التي سألها كفار قريش (الا أن كذب بها الاولون) فاهلكناهم ، فان لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكناهم ، لأن من شأننا في الامم اذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم ، وقد حكمنا بامهال هذه الامة في العذاب فقال تعالى (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) اه وتكررت أقوال المفسرين بهذا المعنى في تفسير الآيات الكثيرة التي ذكرنا بعضها في أول بيان هذا الاشكال

فهذه أدلة قطعية إجماعية على بطلان متن حديث أنس (رض) المرسل الصحيح السند الذي لم يجد الحافظ مايقويه به على سعة اطلاعه وحفظه إلا حديث ابن عباس

عند أبي نعيم الذي اعترف بضعفه ، وأقول ان في سنده عنده بكر بن سهل وكان يروي الموضوعات وهو من طريق الضحاك عن ابن عباس واتفقوا على أنه لم يره فهو منقطع وضعفه بعضهم وطريق ابن جريج عن عطاء عنه وابن جريج مشهور بالتدليس فلا نقبل عنعنته بالاتفاق دع ما تقدم من ارساله وبطلان متنه.

وإذا بطل كون الانشقاق كان آية طلبها كفار قريش فأعطوها زال السبب الذي جعل أكثر العلماء الذين تكلموا في المسألة شديدي الحرص على تصحيح الحديث حتى تجرأ بعضهم على ادعاء تواتره والاجماع عليه، ورد الأكثرون هاتين الدعويين، ولله الحمد أن أكرمهم بعدم قبول مثلهما ، وقد كان من حرص بعضهم على تصحيحه - مع الغفلة عن معارضة القرآن لكونه آية مقترحة - أن طعنوا في دين من أنكر صحته وأبى تفسير الآية الكريمة به وعدوهم من المبتدعين، وان كان لهم سلف من أكبر علماء التابعين ، كعادتهم في نبز كل من خالف المشهور أو الجمهور في كل زمن بلقب الابتداع، ولو تذكروا آيات القرآن الكثيرة المعارضة له لما حرصوا كل هذا الحرص على تصحيح ما يخالفها ، بل لما استحلوه ، وإلا كانوا أحق بلقب الابتداع ممن رموهم به أو بما هو شر منه ، وان كان إكباراً لآية انشقاق القمر التي تصغر وتتضاءل دون كل آية من آياته ، فإن نوره اقوى وأوضح من نور الشمس التي يستمد القمر نوره منها ، على انهم لم يجدوا بداً من تصغير هذا الانشقاق في سبيل دفع الاعتراضات عليه ، حتى قال بعضهم انه وقع في آخر الليل في لحظة من الزمان ، ولذلك لم يره إلا من كان مع النبي (ص) في تلك اللحظة ، وأي برهان على النبوة في مثل هذه اللحظة من آخر الليل أو أوله أو وسطه؟ وكل إنسان يتهم نظره في مثلها وإن لم يكن ثمة تهمة في أنها من تخييل السحر ، وقد وقع مثلها للحليمي وغيره كالثقة الذي حدثه بمثل ما رأى؟

وأما معارضة جملة هذه الروايات بما استشكله العلماء ونقلناه عنهم مع أجوبتهم والبحث فيها فالذي نقرره فيها ان من قبل تلك الروايات في أن القمر قد انشق ومن لم يقبلها لعدم اقتناعه بتلك الاجوبة عن تلك الاشكالات سواء في كون كل منهما لم يرد به شيئاً من كتاب الله ولا من سنة رسوله ولا مما صح من حديثه

[فان قيل] اننا رأيناك ذكرت كل الروايات عن أولئك الصحابة الكرام في حديث انشقاق القمر إلا حديث علي رضي الله عنه فلم تذكر لنا لفظه ولا سنده لنعلم درجته ودلالته فما سبب ذلك؟ [قلت] انهم ذكروا اسمه كرم الله وجهه في رواته ولكننا لم نر أحداً منهم ولا من غيرهم ذكر لفظه ولا ذكر من خرجه لنراجعه في كتابه إن كان من الكتب المشهورة المتداولة. ولكننا رأينا في شرح الشفاء لملا علي القاري عند ذكر المتن لعلي في رواته ما نصه: قال الدلجي: لا يعرف مخرجه اهـ

(ز) الخلاصة الاصولية لأحاديث انشقاق القمر

خلاصة القول في أحاديث انشقاق القمر [١] انها آحادية لا متواترة، [٢] وانها متعارضة مختلفة، لامتفقة مؤتلفة، [٣] وانه ليس فيها حديث مرفوع الى النبي ﷺ كالاحاديث الناطقة بخصائصه [٤] وانه ليس في الصحيحين منها إلا حديث واحد مسند الى من صرح بأنه رأى ذلك وفيه من الاختلاف ما أشرنا اليه في محله ولكن ليس فيه ان انشقاقه كان بطلب من كفار مكة [٥] وان حديث أنس الذي صرح فيه بذلك مرسل. والاصل في المرسل انه من المردود غير المقبول، على مافيه من التفصيل المشهور، ورواياته عندهما كلها عن قتادة بالعنعنة، إلا لفظ للبخاري «عن قتادة عن أنس انه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر» وقتادة كان على فضله وسعة حفظه مدلساً، فيحتمل أن يكون سمع هذا الخبر عن أنس ممن لا يوثق به، وكلمة حدثهم ليست في قوة حدثنا وحدثني وسمعته وما في معناهن، وكما يحتمل أن يكون قتادة رواه عن أنس بواسطة يحتمل أن يكون أنس سمعه ممن لا يوثق به من التابعين أيضاً كما تقدم [٦] وانه على ذلك معارض بنص القرآن وسنة الله في الرسل وأقوامهم والحديث المرفوع المتفق عليه في حصر آية نبوته ﷺ في القرآن كما تقدم

وغرضنا من هذا أن ما دلت عليه الدلائل القطعية من الآيات الكثيرة والحديث المتفق عليه في حصر آية نبوته في الوحي الذي أوحاه الله تعالى اليه وهو القرآن لا تقتضي الطعن في صدق أنس ولا في صدق قتادة لما ذكرنا من الاحتمال، وهي مقدمة على مضمون حديثهما على كل حال، بل لو وجد فيها حديث صحيح

السند مرفوع إلى النبي ﷺ لكانت مقدمة عليه عند عدم إمكان الجمع بينها وبينه ، وكان هذا دليلا على انه موضوع في الواقع ، وإن عدلوا رجال سنده في الظاهر

وإذ لم يصح هذا الحديث الذي انفرد به أنس في مراسيله على تقدير سماع قتادة منه فسواء عندنا أصح غيره مما رووه في انشقاق القمر أم لا ، فان غرضنا الاول من هذا البحث كله انه لا يوجد فيها حديث صحيح مخالف للقرآن ، لا لأجل المحاماة عن القرآن فإن القرآن فوق كل شيء وكل ماخالفه فهو باطل قطعا . وانما غرضنا الدفاع عن أنس فقتادة ثم عن روى عنهما ما ذكر وسكت عليه ، ولا يهمنا بعد هذا أمر من قبل الرواية واحتج بها وجعلها من دلائل النبوة، لغفلتهم عن هذه الحقائق القطعية

(ح) تفسير الآية

إن لعناية المفسرين وغيرهم بتصحيح الروايات في انشقاق القمر سببين [أحدهما] تكثير دلائل النبوة بالمعجزات الكونية كما تقدم [وثانيهما] تفسير (اقتربت الساعة وانشق القمر) بها ، وان أكثرهم ليتجرد من كل فهم ورأي وعلم باللغة وغيرها أمام مادون هذه الرواية في تعدد طرقها ، وجلالة رواتها ، كما ترى في تفسير محيي السنة البغوي فمن دونه في العلم بالرواية خضوعا وتسليما لكثير من الروايات الاسرائيلية الواهية والموضوعة

فاذا أنت رجعت إلى لغة القرآن في معاجمها لتفهم الآية منها دون هذه الروايات وجدت في لسان العرب ما نصه : والشق الصبح وشق الصبح يشق شقا إذا طلع . وفي الحديث « فلما شق الفجر أمرنا باقامة الصلاة » يقال شق الفجر وانشق — إذا طلع ، كأنه شق موضع طلوعه وخرج منه [1] وانشق البرق وتشقق انفلق ، وشقيقة البرق عقيقته وهو ما استطار منه في الافق وانتشر اه فعلى هذا يقال انشق القمر بمعنى طلع وانتشر نوره ، ويكون في الآية بمعنى ظهر الحق ووضح كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر ، وقال

١) نقل صاحب اللسان هذه العبارة في تفسير الحديث عن النهاية في شرح غريب الحديث

الراغب في مفردات القرآن (وانشق القمر) قيل انشقاقه في زمن النبي عليه السلام وقيل هو انشقاق يعرض فيه حين تقرب القيامة ، وقيل معناه وضح الامر اه ونقله عنه صاحب التاج . وهذا الاخير هو المتبادر من الآية بنص اللغة ومعونة السياق لان صيرورة القمر شقتين منفصلتين لا دخل لها في انذار المشركين الذي هو موضوع السورة ولم يسبق أن عد من آيات الساعة كانشقاق السماء وانفطار الكواكب فلم يبق الا انه بمعنى ظهور الحق ووضوحه بآيات القرآن

والقول بأن معناه انه سينشق عند قيام الساعة مروي عن الحسن البصري وعن عطاء من التابعين ، والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي في القرآن كثير جداً في أخبار الساعة والآخرة وغيرهما ، وأخرج الطبراني وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا سحر القمر فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر) الى قوله (مستمر) فهذه رواية ثالثة حملها بعضهم على انشقاق القمر وهو بعيد

وقد رد الالوسي هذه الوجوه اللغوية او بعضها بقوله : وزعم بعضهم ان انشقاق القمر عبارة عن انشقاق الظلمة عند طلوعه وهذا كما يسمى الصبح فلقا عند انفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق كما في قول النابغة

فلما أدبروا ولهم دوي دعانا عند شق الصبح داعي

وزعم آخر ان معنى انشق القمر : وضح الامر وظهر . وكلا الزعمين مما لا يعول عليه ، ولا يلتفت اليه ، ولا أظن الداعي اليهما عند من يقر بالساعة التي هي أعظم من الانشقاق ، ويعترف بالعقائد الاسلامية التي وقع عليها الاتفاق ، سوى عدم ثبوت الاخبار في وقوع ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام عنده ، ومنشأ ذلك القصور التام ، والتمسك بشبه هي على طرف الثمام . ومع هذا لا يكفر المنكر بناء على عدم الاتفاق على تواتر ذلك وعدم كون الآية نصا فيه ، والاخراج من الدين أمر عظيم فيحتاط فيه مالا يحتاط في غيره والله تعالى الموفق اه

وقد فاته قول أهل اللغة: انشق البرق وانشق الصبح بمعنى طلع وبمعنى استطار نوره وانتشر في الافق ، ومثله القمر في ذلك . فما أنكره وسماه مزاعم هو من

نصوص اللغة وما صرفه هو عنها إلا اغتراره بالروايات في كون الانشقاق كان آية معجزة اقترحها الكفار فأجيبوا اليها ، ومنشأ ذلك غفلته عن كون الحديث في ذلك مرسلا شاذاً عن مدلس وكونه مع هذا معارضا بنصوص القرآن القطعية وما يؤيدها من الاحاديث المسندة المرفوعة إلى النبي ﷺ في كون آيته التي جعلها الله تعالى حجة نبوته وأمره بالتحدي بها في جملتها تارة وبعشر سور مثله وبسورة من مثله وبالاحتجاج ببعض ما اشتملت عليه تارات أخرى هي القرآن وحده وما كان ﷺ يرجو بهذا أن يكون أكثر الانبياء تابعا يوم القيامة إلا لان هذه الآية أعظم وأظهر وأبهر وأقهر من كل آيات الانبياء إجمالا وتفصيلا ، وقد فهم هذا المعنى وأدرك هذه الحجة بعض حكماء الافرنج فصرح بأن قراءة النبي ﷺ للقرآن ، كانت أقوى من كل معجزات الانبياء جذبا إلى الايمان

وقد زعم الالوسي وغيره ان قوله تعالى (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) حجة على أن المراد بالآية انشقاق القمر ، ولو كان كذلك لقال : فاعرضوا وقال سحر مستمر. وأما الشرط فللاستقبال أو لبيان الشأن .ولا علاقة بين انشقاق القمر ودعوى النبوة فيكون آية عليها. ولفظ الآية يطلق في القرآن على كل مايدل على وجود الله ووحدانيته في ربوبيته وألوهيته وقدرته ورحمته وحكمته وعلى مايؤيد به رسله، وأكثر مايذكر فيه الاعراض عن الآيات في القرآن يراد به هذه الدلائل أو آيات القرآن كقوله تعالى في النوع الاول (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقوله في النوع الثاني (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) وأما قولهم (سحر مستمر) فأول ماقالوه في القرآن وهو ماحكاه عنهم في سورة المدثر (إن هذا إلا سحر يؤثر) وهي ثالثة سورة نزلت بمكة أو الرابعة على القول بأن الفاتحة أول مانزل، وفي معناها آية سبأ (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) وآية الزخرف (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون)

وإنك لترى أوائل سورة الانبياء بمعنى أوائل سورة القمر وهي (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا

استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا : هل هذا إلا بشر مثلكم ؟ أفتاتون السحر وأنتم تبصرون؟)

(ط) تأييد الاسلام في هذه المسألة وأمثالها

إننا نختم هذا البحث بتنبيه قراء المنار لأمر عظيم الخطر والشأن وهو ان العلماء الذين تساهلوا بقبول روايات انشقاق القمر وجعلها آية كونية حسية جعلت حجة على كفار مكة عند ما اقترحوها، وتمحلوا في الاجوبة عن الاعتراضات العقلية الاصولية عليها ، فجاؤا بما لا يقبله العاقل المستقل — إنما حملهم على ذلك حب تكثير المعجزات النبوية كما تقدم وتفنيد منكريها ، لان العوام يفهمون من إعجازها مالا يفهمون من إعجاز القرآن، وقد تغيرت الحال في هذا الزمان الذي كثر فيه استقلال الفكر ورفض التقليد في أكثر المتعلمين، فصارت هذه الروايات تعد طعناً في علم المسلمين وعلمائهم، ويخشى أن تعد طعنا في الاسلام نفسه ، والحق أنها ليست من أصول الاسلام ولا من فروعه، فأصول العقائد الاسلامية لاتثبت إلا بدليل قطعي، وهذا أمر مجمع عليه بين المسلمين، والدليل القطعي إما عقلي وإما نقلي، والنقلي هو النص القطعي الدلالة عن الله ورسوله، والآية ليست قطعية الدلالة على كون الانشقاق هو صيرورة القمر فلقتين منفصلة إحداهما عن الاخرى كما اعترف بذلك الذين فسروها بذلك وآخرهم الالوسي، وقد بينا نحن ان دلالتها على ماذكر مرجوحة ، فما كانت لتخطر على بال أحد لولا تلك الرواية المنقوضة بنص القرآن والحديث المرفوع المتفق عليه . وسائر الروايات ليس فيها شيء يصلح لتفسير الآية به إلا من وجه بعيد لايعد نصاً ولا ظاهراً فيه ، وهو عد انشقاق القمر من علامات قرب الساعة بالتبع للآيات في انشقاق السماء وانفطار الكواكب أو الدخول في عموم الثاني ، إذ لم يذكر القمر في آيات الساعة الا في قوله تعالى (فاذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر) الخ

ومن الدفاع عن الاسلام وعلماء المسلمين بحق ان يقال لهؤلاء المستقلين في الفكر ان الاسلام لايكلفكم أن تؤمنوا برواية انفرد بها قتادة المدلس عن

أنس في خبر قد علم باليقين انه لم يحدث فيه عن رؤية ومشاهدة بل عن سماع من مجهول يجوز أن يكون كذبا ، ولا يكلفكم الاسلام أن تؤمنوا بأن الاصل في مرسل الصحابي أن يكون مقبولا لان هذا انما يكون عند قائليه فيما لا اعتراض ولا علة في متنه ولا شذوذ، وحديث أنس خالف جميع الروايات عن غيره . بل الاسلام ينهاكم أن تقبلوا حديث أي إنسان عن صحابي وغيره يخالف نص القرآن ، وسنن الله في الاكوان

ومن اطمأنت نفسه من المسلمين بقبول سائر تلك الروايات على علاتها وكان ممن يرى مخالفة النقل القطعي والعقل ، أهون من مخالفة زيد وعمرو ، وصدق عقله أن تقع هذه الآية ولا يحدث احد من الخلفاء الراشدين ولا غيرهم من قدماء الصحابة برؤيتها والاحتجاج بها فضلا عن تواترها ، فليس له أن يجعلها من عقائد الاسلام وينفر مستقلي الفكر ومتبعي الدليل من المسلمين وغير المسلمين منه

(ي) ذيل في مسألة الثقة بالروايات

قد يحيك في صدور بعض الناس بعد ما تقدم مسألة الثقة بالروايات وعدم الثقة بها ، يقول بعض الناس إذا بطلت الثقة بهذه الروايات في هذه المسألة على كثرتها ، بطلت الثقة بسائر روايات كتب السنة في غيرها

ونقول لهذا القائل [أولا] إن تحقيق الحق بالدليل هو مقدم في الاسلام على توثيق الرواة وتقليد العلماء [وثانياً] إن كثرة هذه الروايات إلى قلة بعد ماعلمت من اضطراب أسانيدها ومتونها وعللها ، ورب حديث واحد مروي من طريق واحد أقوى دلالة منها ، _ كحديث «انما الاعمال بالنيات» مثلا . فجملة القول ان عدم الثقة بها لا يقتضي عدم الثقة بغيرها ، وإنما يقتضي أن في كل ماعدا القرآن من الكتب مسائل تحتاج إلى التمحيص مصداقا لقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) [ثالثا] ان جملة الروايات انما تدل على ان بعض الصحابة وبعض الكفار رأوا القمر قد انشق فصار فرقتين في لحظة من الزمان، ولا ضرر في تصديق ذلك مهما يكن سببه ، وانما الضرر أن يجعلوه آية مقترحة جعلها الله حجة على صحة نبوة رسوله ﷺ وانه يجب على كل مسلم أو كافر يريد الاسلام ان يؤمن بذلك (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

ترجمة جديدة للقرآن الكريم

(رسالة للأمير شكيب ارسلان)

من المستشرقين الكبار الذين يليق ذكرهم ويصح الاستشهاد بأقوالهم الاستاذ أدوار مونته Edouard Montet مدرس الألسن الشرقية في جامعة جنيف،وهو مشهوربين الاوربيين من جميع الاجناس، فتجدمؤلفيهم يستشهدون بكلامه في المسائل الشرقية والاسلامية ويقدرون آراءه قدرها

والاستاذ مونته هو من القسم المنصف بين المستشرقين لايتحامل على الاسلام ولا يقصد في مباحثه إظهار عورات ومثالب للاسلام كما يفعل غيره، بل يحاكم عقيدة الاسلام وتاريخ الاسلام وكل شيء عائد للاسلام محاكمة من ينظر إلى الاشياء كما هي لا كما يخيلها الوهم، أو كما يصورها الضلع، مما هو دأب كثير من الاوربيين الذين يخوضون في هذه المباحث وصدورهم ملأى بالضغن وسوء النية. وليس المسيو ادوار مونته مع ذلك بمسلم ليقال انه في أحكامه وآرائه هذه متأثر بالتربية الدينية الاسلامية،أو انه اقتنع بالاسلام فاتخذه دينا ،وأصبح لايجد فيه عيباً ولا يتقبل عليه مطعناً .لا. ان المسيو مونته لم يتخذ الاسلام دينا، وربما كان غير معتقد بكل مافي النصرانية أيضاً فهو يقول فيها آراءه بكل صراحة ،ويحسّن منها مايراه بحسب نظره هو حسنا وينتقد مايراه خليقا بالانتقاد،وقد بدرت منه انتقادات ومؤاخذات في كلامه على تاريخ الاسلام تدل على كونه غير دائن بدين محمد ﷺ لكنها تدل أيضا على انه غير مضمر سوءاً ولا متعمد ثلبا . ولهذا آثرنا أن ننقل بعض كلامه لانه لا يمكن أن يؤتى من قبل تعصب للاسلام ولا أن يقال عنه انه مسلم يدافع عن عقيدته

وقد نضطر إلى تصحيح بعض معلومات ناقصة جاءت في كلام الاستاذ المذكور أو إلى بيان رأينا في المسائل التي تختلف وجهتنا عن وجهته فيها

فمن الكتب التي صنفها الاستاذ ادوار مونته كتاب جليل اسمه الاسلام Lislam أخرجه سنة ١٩٢٣ وطالعناه وأشرنا على مواضع كثيرة منه لنقلها إلى اللسان العربي، وكانت تعوقنا عن ذلك كثرة الاشغال . وكتاب آخر أخرجه في السنة

الماضية يحتوي على ترجمة القرآن المجيد بتمامه إلى اللغة الفرنسية طالعنا جانباً منه وقابلنا الترجمة بالاصل فوجدنا الترجمة حرية بأن توضع في الطبقة الاولى من تراجم القرآن الكثيرة . وقد صدَّر الأستاذ مونته هذه الترجمة القيمة بمقدمة نفيسة سننقل إلى قراء المنار عدة انموذجات منها. وها أناذا أنشر الترجمة الحرفية لديباجة مقدمته لها كما يلي:

«القرآن في الحقيقة هو ذو قيمة خارقة للعادة، فهو بين الكتب الدينية من أعظمها شأنا. وهو يشتمل على الحياة الروحية لقسم من النوع الانساني يقدَّر بمائتين وخمسين مليونا على الاقل . ومن أهم ما في القرآن استقاؤه من المنابع اليهودية والمسيحية : التوراة العبرانية والتقاليد اليهودية من جهة، والانجيل والتقاليد النصرانية من أخرى[1]

فالعقيدة القرآنية إذاً هي ذات علاقة وثيقة مع العقيدة اليهودية والعقيدة المسيحية، والآثار التاريخية اليهودية المتعلقة بالانبياء والآباء، وكذلك الآثار النصرانية المتعلقة بالمسيح هي موضوع صفحات عديدة من القرآن فهذا التشابه في الفكرة الدينية بين الاسلام والنصرانية هو واصل إلى الحد الذي لا يفهم معه الانسان لماذا وجد المسيحيون والمسلمون أعداء إلى هذه الدرجة[2] مدة هذه الأعصر الطويلة، وقام بعضهم على بعض بمضارعات هي في الواقع مضارعات اخوان لاخوان ، لكنها صبغت القرون الغابرة بالدم الغزير؟

على انه لا ينبغي أن يفهم من هذا الاتحاد في أصليْ الاسلام والنصرانية أن الاسلام القرآني فاقد للاستقلال وانه ليس ذا صفة خاصة أصلية ، فالامر بالعكس والاسلام دين لا يمكن خلطه مع دين آخر من الاديان السامية فهو دين سامي تحت صورة عربية خاصة تتجلى فيه روح اللغة العربية

(١) المنار : ان جميع المسلمين يخالفون المترجم في هذا الرأي ويؤمنون بأن جميع ما في القرآن من عقائد اليهود والنصارى وأحوالهم وتاريخهم هو وحي من الله تعالى وافق ما عندهم من الحق ، وأبطل ما ابتدعوا من الباطل ، وأن النبي ﷺ كان أمياً هو وقومه كما قال تعالى (١١ : ٤٩ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) (٢) سبب هذا نزغة الحرب الصليبية التي أشعلت نارها الكنيسة الكاثوليكية ولا تزال تراعى فى التربية العامة في مدارس أوربة وبيوتها كما صرح به الدكتور غوستاف لوبن الحكيم الفرنسي الشهير . وقد وجد الساسة الاستعماريون أن في مصلحتهم بقاء هذه النار مستعرة

ولا ينبغي لقارئ القرآن أن يعجب من التكرار الذي يجده فيه فان مثل هذا التكرار معهود في أعظم الكتب الدينية مثل التوراة ومثل كتاب الاقتداء بالمسيح الذي هو الغذاء الروحي للنفوس المسيحية(١) والقارئ يجد في القرآن صفحات في غاية الابداع سواء من جهة الفكر، أو من جهة القالب الذي وضع فيه الفكر، وكذلك يجد فيه لآلئ فريدة في علم لروح معروضة في آيات هي أعلى ما يمكن من لاسلوب الشعري(٢) وهو فيه أسلوب قائم بذاته، وفي القرآن منازع دينية ذات سعة مدهشة لاسيما بالنسبة إلى العصر الذي عاش فيه ذلك المصلح العربي، فالابداع يتلألأ في هاتيك القطع الباهرة تلألؤ الكواكب الكبرى، ولا غرو أن ينظر اليها القارئ كمثال أعلى للاسلوب الشعري الشرقي

ومما يجعل للقرآن هذه الاهمية أنه الكتاب الديني للامم الاسلامية التي تمثل في شرقي أوربة وفي العالم الاسيوي وفي ماليزيا وفي افريقية دوراً ليس مهما وحسب بل دوراً ذا صلة شديدة بالامم الغربية المسيحية

وتظهر عظمة هذا الدور بزيادة في المستعمرات الاوربية التي هي في مختلف أقسام العالم الشرقي والافريقي وفي البلدان التي تحت الحماية الاوربية والبلدان التي تحت الانتداب المتولد من الحرب الكبرى

فأوربة مكافلة في وجودها اليومي للامم الاسلامية التي هي تحت حكومتها أو هي ذات علاقة شديدة معها، ولقد ثبت هذا الامر ثبوتا كل أحد يعلم مقداره في الحرب العالمية من ١٩١٤ إلى ١٩١٨

وأخيراً نقول ان الذي يجعل للقرآن هذه الاهمية الخاصة التي نشير إليها هو المستقبل المدخر للشعوب الاسلامية إذ لا ينكر أن مستقبلا فخما ينتظر هذه الشعوب على مقدار ما يقتبسون من الحضارة الاوربية

فتركيا وسورية وبلاد العرب وفارس وأفغانستان وشعوب شمالي افريقية

---

(١) المنار: لا ترسخ العقائد ولا الآراء العامة في الانفس الا بتكرار ورودها عليها والتكرار في القرآن من أساليب بلاغته المعجزة للبشر كما هو مبين في محله

(٢) المنار. يريد الكاتب بالاسلوب الشعري التعبير المؤثر في النفس من التشبيه والتمثيل والاستعارات الجميلة والكنايات اللطيفة لاصناعة نظم الشعر التي نزه الله القرآن والنبي عنها

و الثمانون مليون مسلم الذين في الهند الانكليزية و الثلاثون مليون مسلم الذين في الصين والشعوب الاسلامية التي لا تكاد تحصى في ماليزيا (جاوى سومطره الخ) هي كلها على مراحل متفاوتة من قبول الحياة الاقتصادية والصناعية والفكرية التي عليها اوربة

وإن هذه النتيجة قد تكون غير منتظرة عند من يجهل هذه الامم أو من لم يقدر ان يفهمها حق الفهم او لم يوفق لفهم عقيدتها التوحيدية التي هي أعلى صورة روحية وجدت في دين بشري سواء عند الامم السامية أو الآرية» انتهى

ولابد لنا ان نعقب على هذه الديباجة ببعض ملاحظات، منها ان المؤلف قال عن عدد المسلمين انه ٢٥٠ مليوناً على الاقل، ولقد اصاب جداً في قوله [على الاقل] لان المسلمين على التحقيق يزيدون على ٣٠٠ مليون نسمة وربما كانوا ٣٣٠ مليونا

واما قوله « ان للمسلمين مستقبلا عظيما على قدر مايقتبسون من الحضارة الاوربية فليس معناه ما تذهب اليه ملاحدة تركيا وما يقلدهم فيه هذا النفر القليل الملحد المتفرنج في مصر والعراق وسورية من أنه يجب عليهم نبذ العلم الديني الاسلامي وأن يستبدلوا به تعليما لا دينياً مارقا من كل صبغة دينية إسلامية . لا ، هذا لم يخطر ببال الاستاذ العلامة مونته ولا هو من أبحاثه في كثير ولا قليل ، ولو كان هذا مقصده لما كان معجباً إلى ذلك الحد بأكثر مبادىء الاسلام وأصوله، ولما كان ألف فيه هذه التآليف الممتعة ولما قال « انه أعلى صورة روحية وجدت في دين بشري سواء عند الامم السامية أو الامم الآرية» (أي الاوربية)

وإنما كان مقصد الاستاذ مونته العلوم الاقتصادية والصناعات التي تفوقت بها أوربة اليوم والاساليب الصحيحة التي تسير عليها في حضارتها ، وهذه يندب شرعا الاطلاع عليها والتحقق بها، حتى لا يفوت المسلمين شيء من اسباب القوة والمنعة، وحتى لا يكونوا مقصرين فيها عن شأو أعدائهم أو أندادهم ، وهي لعمري مما يقترن بالتعليم الديني الاسلامي، بل مما تزداد الرغبة فيه بقوة هذا التعليم وتأثيره كما ان الامم الاوربية واليابانية قد بلغت هذه المبالغ القاصية من هذه العلوم الحديثة والصناعات الناشئة عنها ولم تزل متمسكة بأديانها وعقائدها، ولم يبرح التعليم الديني عندها سائراً جنباً إلى جنب مع التعليم الطبيعي والروح فيها متآخية مع المادة

لوزان ٩ أكتوبر ١٩٢٩ شكيب أرسلان

قواعد الصحة في الاسلام منذ ١٣٤٨ سنة

﴿ وقواعد الصحة في أوربا بعد ١٣٤٨ سنة ﴾

(بقلم الدكتور زكي كرام العربي الدمشقي في برلين وتصحيح المجلة)

ذهب بعض أدعياء العلم الى ان العلة الوحيدة التي حرم الاسلام من أجلها أكل لحم الخنزير هي عدم وجود مجاهر (آلات مكبرة للاجرام) لفحص جرثومة الخنزير المسماة باللاتينية [تريخينا سبيرالي] (Trechina Spirali) وتسميها العوام على الاطلاق تريخين ممناه بالعربية [الدود الشمري] وقد ادعت تلك الفئة المضللة ، التي هي لكل حرام بل لكل مضر محللة ، أنه لو ولد عليه الصلاة والسلام في الممالك البارده لما منع شرب الخمور ، وبهذه الاضاليل والترهات يريدون أن يضلوا عباد الله ، بتجرئتهم على ما حرم الله ، وقبل أن نخوض في البحث العلمي نقول إذا كانت حكمة الاسلام في تحريم لحم الخنزير هي عدم وجود مجهر لفحص اللحم والتريخين من الخنزير فهذا لعمري من قول الحق [1] الذي يؤيد رسالة هذا النبي العظيم وبأنه لا ينطق عن الهوى ، وإنما هو وحي يوحى

إنني ممن يؤيدون تلك القواعد والاوامر والنواهي السامية لانطباقها على العلم والمنطق ، وعليه أقول مع ذلك انه لو كان لدى الرسول ﷺ مجهر أو لو كان لهذه الدودة القتالة علائم تظهر على الحيوان الموجودة فيه فيتجنبه الناس لما كان ذلك كافياً لاباحة أكل لحم الخنزير حتى الخالي من تلك الدودة ، فثم أسباب صحية أخرى

---

(١) المنار : الحق ان علة تحريم أكل الخنزير ضرره لا عدم وجود الآلة التي يرى بها الدود الذي يتولد منه معظم الضرر الخاص به . فان هذه الآلة قد وجدت في هذا العصر في بعض بلاد الحضارة الآلية ولكن أكثر بلاد الدنيا خالية منها والتشريع العام يجب أن يكون موافقا لمصالح جميع البشر في كل مكان وكل حال ولا يجوز تقييده بحال بعض البلاد ، ولا أن تتفاوت فيه الجماعات ولا الافراد ، والله تعالى هو المحرم للخنزير في التوراة والقرآن ، لا موسى ولا محمد عليهما الصلاة والسلام

لتحريمه فقد أثبت علماء هذا الفن من أطباء العصر أن المنهمكين المواظبين على أكل لحم الخنزير يصابون بتشحم القلب والكبد وبالتشحم العام أيضا. ومرض التشحم القلبي والكبدي والتشحم العام ومضراته معلومة لدى الجميع فنضرب عن بيانه صفحاً ونكتفي بما دلت عليه الاحصاءات الامريكية والاستقراءات العلمية بألمانيا من توقف حفظ الصحة على الكف عن أكل لحم الخنزير لان ذلك التشحم هو السبب لموت الكثيرين في عنفوان الحياة وسن الرجولية الحقيقية من ٤٠ — ٥٠

واليك أيها القارئ نسبة الوفيات التي تثبت هذا المدعى: قرر البروفسور غرافه في مستوصفه الخاص وكذا الاحصاءات الاميركية اننا لو قسمنا الذين في سن الاربعين إلى سمين ونحيف لوجدنا انه لا يصل إلى سن الستين من السمان أكثر من ستين في المائة ومن النحفاء أقل من ثمانين. وأما الذين في سن الخمسين فلا يصل من السمان منهم إلى الستين أكثر من ٣٠ في المائة ويقابل ذلك ٥٠ في المائة من النحفاء، وإذا انتقلنا في هذه النسبة إلى سن الثمانين نرى انه لا يصل اليها الا ١٠ في المائة من السمان يقابلهم ٣٠ في المائة من النحفاء. فلهذا ينصح الاطباء العقلاء بالكف عن أكل لحم الخنزير الذى هو أعظم الاسباب لعلة التشحم

الخمور

وأما الخمور فقد كنت كتبت منذ بضع سنين شيئا في مضارها وبما اني رأيت ان الوقت بحاجة إلى مواصلة البحث والتنقيب فسأنتهز ان شاء الله كل فرصة أغتنمها من وقتي الضيق لبيان مضرات هذه الآفة وأرى من الضروري الآن أن أكتب كلمة في الموضوع الذي أنا بصدده فأقول

مضرات الخمر ثبتت للعالم الفني العلمي الذي يتوسل بكل ما لديه لافهام الشعوب مضراتها ليستريح البشر مما يعانيه من تلك الآفة إن كثيراً من التجار الفجار، ومن الجواسيس الناحيس، ومن اللصوص الافاكين، ومن الجناة المحتالين، لا يفتكون بحياة صيدهم أو عدوهم وهو [الفكر الصحيح] ولا يأخذون

منه بحق أو باطل إلا بالخمر . فالحرارة التي يحدثها الكحول المؤثر في الخمر لا تدوم إلا ثواني أو دقائق يعقبها برودة لا يتحملها الجسم، فيتطلب الحرارة مرة أخرى بالشرب ، ولا يلبث أن يعقبه رد الفعل ، وهكذا تكون الحرارة بين طلوع ونزول إلى أن يغمى على المدمن ولا يعرف أين هو وما تجني يداه من الآثام ، وكثيراً ما يصفون الكحول للمصابين بالحمى فيشعر المريض بعد بضع ثواني من تعاطيه بسقوط الحرارة ولكن هذا الشعور ليس ناشئا عن سقوط درجة الحرارة سقوطا حقيقياً بل هو شعور كاذب يحدثه الكحول

وأما النشوة التي يتلذذ بها المدمن فسببها طروء خلل على وظائف الخلايا ، ونتيجة الاستدامة على تعاطي تلك الآفة هي الجنون أو مادونه من اختلال العقل وكثيراً ما تحدث أمراضاً تحار الاطباء في تشخيصها ، ولذا نرى أوربة اليوم تحاول اتخاذ وسائل تدريجية لانقاذ الشعب من هذه الآفة كما أن الاسلام حرم الخمر تحريماً تدريجياً بقوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) وقوله فيها وفي القمار (وإثمهما أكبر من نفعهما) ولما اعتاد بعض المسلمين تركها في بعض الاوقات وبعضهم تركها البتة بعد ذلك نزلت آية التحريم القطعي (فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وأوربا بدأت اليوم بمنع الخمر منعاً تدريجياً [أي بعد أن منعتها الولايات المتحدة الامريكية منعاً عاما قطعياً] وبصورة اختيارية مبنية على حفظ الصحة

وإليك أيها القارىء نشرات صحية تصدرها جمعيات الالعاب الرياضية بأوربا: جاء في مقدمة نشرة جمعية السباحة المسماة [ويكينجر بوته] مانصه: يجب على الذي يريد أن يشترك في السباق ويكون من أبطاله أن يعتني قبل كل شيء بصحته ويكون صحيح الجسم ولاجل أن يكون صحيح الجسم [والعقل] يجب أن يتبع النصائح الآتية:

١ - يجب الانقطاع عن تعاطي جميع المشروبات الكحولية أياً كان جنسها [يعني الامتناع عن البيرا أيضا]

٢ - يجب الاهتمام بترك التدخين تماما أياً كان نوعه، وجميع المواد النار كوتيكية

٣ - التباعد عن الزنا بكل ما يدخل في الامكان (هذا بمعنى قوله تعالى [ولا تقربوا الزنا] الآية)

ويقول في السطر ٥١ و٥٢ من تلك النشرة الصحية « أحسن شيء يروي العطش وينفع الجسم هو المـاء الزلال الصافي البراق غير المغلي » وفي سطر ٦٢ «يجب على كل منتسب الى الجمعية أن يكون مثـال الاخلاق الحسنة يتحاميـه كل شيء فيه ضرر للجسم»

وانني اطلعت على التقارير التي تنشرها البعثات للبلاد الباردة وأخصها بعثات القطب الشمالي ان أكثر الذين يموتون من تأثير البرد هم الذين يدمنون الخمر ، وأما الذين لا يدمنون الخمر فهم أكثر صحة ومقاومة للبرد

فهل بعد ذلك للملحدين الذين يتوسلون بالحجج الداحضة والاقوال الفارغة لتحليل ما حرم الله أن يقولوا انه لو بعث سيد الخلق في البلاد الباردة لما حرم الخمر ؟ (وانما الذي حرم الخمر هو الله الذي خلق البلاد الباردة والحارة)

أم عندكم ايها الملحدون ما به تحيلون النور ظلاما والظلام نوراً ؟ ام تريدون فوق كل ذلك جعل الفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة ؟

انما التجدد أيها الاخوان بنقل العلوم والفنون التي هي غذاء الابدان والارواح لا بتسميم الجسم والعقل والتجريد من الفضائل

[حاشية] سنأتي ان شاء الله قريباً بنبذة على التريخين

الدكتور زكي كرام

[المنار] ان قول هذه الجميات أن افضل ما يشرب هو الماء النقي ذكرني مالا أنساه من قول المقتطف لمن سأله عما يقال في الجعة (البيرا) من تغذية وتحليل: ان لقمة من الخبز اكثر تغذية من كوب من البيرا ، وإن جرعة أو كوباً من الماء أحسن او أشد تحليلا من قدح من البيرا . وأما شربها للذة فذلك شيء آخر . أي فلماذا يكذب عبد الشهوة على نفسه وعلى الناس كما يفعل الآن دعاة التجديد الالحادي في الترغيب في لبس البرنيطة وتهتك النساء وغير ذلك باختلاق منافع للرذائل أو لمحاربة المشخصات القوميـة والملية التي يراد بها جعل الامم الشرقية غذاء سهل الهضم على معدة الدولة المستعمرة

ثورة فلسطين - أسبابها ونتائجها

﴿حقائق في بيان حال اليهود والانكليز والعرب والرأي في مستقبل العرب والشرق﴾

(١)

حقيقة حال اليهود

(١) من الحقائق التي أثبتها التاريخ أن الشعب الاسرائيلي أو اليهودي من أشد شعوب الارض شكيمة ، وأقواها عزيمة ، وأثبتها وحدة ، وأعمها تكافلا، ومن ثم كان أشدها أثرة وعصبية ، وكانت جامعته النسبية الملية المزدوجة غير قابلة للذوبان ولا للاندغام في أية جامعة أخرى من الروابط البشرية كالوطنية واللغوية وغيرها ، فهم يشاركون كل قوم في أوطانهم ويزاحمونهم على منافعها المادية والمعنوية ويظلون مع ذلك يهودا ، كما ان جامعتهم لاتقبل شعباً آخر أن يندغم فيها ، ومن المعروف من تاريخهم انهم لما احتلوا بلاد فلسطين ظلوا يقاتلون اهلها حتى غلبوهم عليها وصار لهم ملك فيها ، ثم كانوا يقاتلون جيرانهم من حولها، ومن قواعد شريعتهم (التوراة) أن يستأصلوا القوم الذين يغلبونهم على أمرهم(حتى لا يستبقوا منهم نسمة ما) ومن أثرتهم انهم لا يعترفون لغيرهم بمثل الحق الذي انتزعوا به فلسطين من اهلها ، بل يدعون انها صارت ملكا لهم الى الابد

(٢) من الحقائق التي أثبتها الوحي مع التاريخ ان الله تعالى بعث فيهم أنبياء وربانيين، وأئمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وعباداً صالحين ، وان الله أراهم من آياته وآتاهم من نعمه مالم يؤت أحداً من العالمين ، ولكنهم كانوا يتمردون على موسى كليمه ويؤذونه في حياته ، وقتلوا بعض أنبيائهم من بعده ، وفسقوا عن امرهم وأمره ، وعثوا في الارض مفسدين ، حتى انهم عبدوا الاوثان مراراً ، وتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واستحلوا ظلم غيرهم وأكل اموالهم بالربا وغيره — فسلب الله ملكهم ومزقهم في الارض كل ممزق ، وسلط عليهم الامم

تضطهدهم وتستذلهم ، قال الله تعالى فيهم (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) فالذلة فقد الملك والسلطان، وحبل الله ماحباهم به شرعه من حقوق العدل بدخولهم في ذمة الاسلام ، وحبل الناس مالاقوه من حماية المسلمين من قبل ومايلقونه من حماية بعض الدول الآن

اليهود والاسلام والمسلمون

(٣) من الحقائق الثابتة المعروفة في السيرة النبوية والتاريخ الخاص والعام ان النبي ﷺ لما هاجر من مكة الى المدينة أقر من كان في أرضها من قبائل اليهود على دينهم ، وآمنهم على أنفسهم وأموالهم ، على أن لا يوالوا ولا ينصروا عليه مشركي مكة وغيرهم من قومه ، وكتب بينه وبينهم كتابا في ذلك كانوا به أهل عهد وميثاق ، ولكنهم كانوا (ينقضون عهدهم في كل مرة) وينصرون المشركين عليه في القتال ، والمساعدة بالمال ، حتى اضطر الى قتالهم وإخراجهم من جواره ، ولكن أصحابه ومن بعدهم من قومه لما فتحوا البلاد ، وسادوا العباد، أنقذوا اليهود من الاضطهاد ، وما كانت تسومهم الدول والامم من الظلم والاستعباد ، فلم يذوقوا من طعم العدل في القرون الماضية بعض ماذاقوا في ظل الحكومات العربية ، وغيرها من الدول الاسلامية ، فقد كانوا مساوين للمسلمين في الحقوق وكانوا يتلقون ما يشاؤن من العلوم في المدارس والمساجد ببغداد والاندلس في صفوف المسلمين وحلق دروسهم كأنهم منهم

اليهود وسلطان الكنيسة

(٤) من الحقائق الثابتة المعروفة في تاريخ القرون الاخيرة ان اليهود الذين تلقوا العلوم في الاندلس ولا سيما تلاميذ الفيلسوف ابن رشد كانوا من حملتها الى أوربة ومن اسباب انتشارها فيها، وانهم استطاعوا بتكافلهم وكيدهم أن يثأروا لأنفسهم ولأساتذتهم العرب من سلطان الكنيسة الكاثوليكية التي اضطهدتهم هم والعرب في الاندلس بالتقتيل والتشريد والاكراه على النصرانية، وذلك بما ألفوه من العصبية للعلوم وحرية الفكر التي ناصبت الكنيسة العداء في اوربة، وأثارت عليها القتال حتى ثلت عرشها وقوضت سلطانها السياسي من العالم

اليهود والماسونية والمال

(٥) من الحقائق الثابتة الخفية ان الجمعية الماسونية التي ثلت عروش الحكومات الدينية من أمم اوربة والترك والروس هي من كيد اليهود وهم أصحاب السلطان الاعظم فيها، وان كان ذلك يخفى على كثير من أهلها او أكثر المنتمين اليها ، ومن غرائب كيد اليهود وقدرتهم التي ذقوا بها جميع شعوب البشر ان الغرض السياسي النهائي لهم من هذه الجمعية هو تأسيس دولة يهودية دينية في مهد الدولة الاسرائيلية التي اسسها داود وأتمها سليمان باني هيكل الدين اليهودي في اورشليم على جبل صهيون ، ولهذا سموها جمعية البنائين الاحرار، ويريدون بهم الذين بنوا هيكل سليمان، وأكثر أفراد هذه الجمعية يجهلون السبب الصحيح لهذه التسمية . فهل وجد في العالم أعجب وأغرب من قوم يهدمون ما عند غيرهم من سلطان ديني لاجل بناء مثله لأنفسهم ، ويسخرون أولئك الاغيار بمكرهم في الاجيال الكثيرة والقرون العديدة لما لا يعلمون ولا يألون؟

(٦) من الحقائق الاجتماعية التاريخية ان اليهود هم الذين وضعوا النظام المالي الذي هو قطب رحى المدنية الغربية الحاضرة في العالمين القديم والجديد، وأن لهم به النفوذ الأعلى في جميع الدول والامم «الرأسمالية» كما يقال في عرف هذا العصر، ومن عجائب كيدهم واقتدارهم أن اخفوا أنفسهم بصفتهم المالية ان تظهر في مملكة المال ظهوراً يمكن لغيرهم ان يسلبوا ثروتهم ، أو يغلبوا عليها بعصبية دينية او وطنية ، كما امكنهم إخفاء شخصيتهم الملية في الجمعية الماسونية السياسية السابقة وكذا الرمزية اللاحقة

الجزويت والماسونية

(٧) من الحقائق الثابتة التاريخية أيضاً انه لم يوجد جماعة من جماعات البشر الدينية والسياسية عرفت كنه كيد اليهود ومكرهم في الامم ومقاصد الماسونية وأهلها وتصدت لمقاومتهم وإسقاط نفوذهم الا جمعية الجزويت الكاثوليكية ، وذلك ان الكاثوليك يدينون بوجوب الخضوع الديني والسياسي لأحبار رومية رؤساء الكنيسة المعصومين عندهم، ويعلمون ان اليهود هم الذين ثلوا عرشها بنفوذ الجمعية الماسونية التي

انتظم في سلكها الملايين من النصارى ومن غيرهم وأكثرهم لا يشعرون، لذلك بذلوا جهدهم في السعي لكشف الاستار عن أسرارها، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لصد تيارها، بتتبع عوارها، وتقليم أظفارها، وتحريم الدخول فيها على من يدينون دينهم الكاثوليكي، ويقلدونهم في فهمهم وعلمهم به، وقد توسلوا إلى معرفة أسرارها بعقيدة الاعتراف الديني الذي استباح به كثير من الكاثوليك الحنث بالأيمان المغلظة، ونقض العهود الموثقة، بترجيح العقيدة الدينية، على ما عاهدوا عليه الجمعية، ولا سيما وقت الاحتضار، حيث يغلب خوف النار على ذل العار،

من خفي عليه نفوذ اليهود في أحرار أوربة الغربية والوسطى وملاحدتهم وما كان من حربهم للكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى فلا أراه يخفى عليه ما كان من نفوذهم في ملاحدة الروس الذين أضعفوا سلطة الكنيسة الارثوذكسية بمجلس الدوما، ثم إسقطوها بثل عرش القياصرة دعاتها وحماتها، وتأسيس حكم البلشفية في تلك الممالك الواسعة، وما كان من نفوذهم في ملاحدة الترك باسقاط نفوذ الخلافة التركية العثمانية، ثم بهدم الشريعة الاسلامية من المملكة التركية، وجعل حكومتها الحادية تسعى لمحو الاسلام من الشعب التركي ومن الشعوب الاعجمية الاسلامية التي كانت تابعة لها كالالبان والبوشناق وغيرها كالايرانيين والافغانيين

وهم — أعني اليهود — لا يزالون يدينون الله تعالى بتأسيس ملك ديني مدني في فلسطين، يكون ملكهم فيه المسيح الذي ينتظرونه منذ ألوف السنين، كما ينتظر جماعة النصارى والمسلمين المسيح الحق عيسى بن مريم عليه السلام، الذي ورد في الاحاديث انه سيقتل مسيح اليهود الدجال، اي الذي ينصبونه في فلسطين — فعقائد الملل الثلاثة في هذه المسألة متعارضة، ولكن المسلمين والنصارى فيها متفقان على تكفير اليهود بجحود المسيح الحق وهو عيسى بن مريم البتول عليه وعليها السلام والطعن فيهما، وكل منهما يؤمن به، على الاختلاف المعروف بينهما في صفته، وانما نقول هذا لبيان الواقع المعروف لا لتحريض الفريقين عليهم على انهم استخدموا دول النصارى فظاهرتهم على المسلمين

(٨) كان اليهود متكلين على ما في كتب أنبيائهم من الانباء بمجيء مسيح [مسيا] يعيد ملك اسرائيل سيرته الاولى ويجمع اشتات أسباطهم ... ويعتقدون ان

مجيئه سيكون بقوة إلهية فوق قوى البشر، كما يعتقد أكثر المسلمين في المسيح والمهدي المنتظر، فلهذا لم يكونوا يستعدون لاستعادة الملك بسعي الشعب، فلما طال عليهم الامد، وكثر فيهم أحرار الفكر الذين لا يؤمنون بهذا الوعد كما انتشر واستقر، أسسوا الجمعية الصهيونية للسعي الى ذلك بقوة الشعب اليهودي المالية والمعنوية، وبجعل الاعتقاد التقليدي حادياً لهم في هذا السعي وقوة روحية تؤيد سائر القوى الكسبية، وهذا ما نبهنا له المسلمين في أمر المهدي في كتابنا (الحكمة الشرعية) ثم في المنار، وأين المسلمون من علم اليهود وحزمهم وتكافلهم؟

تأسيس الصهيونية ومؤسسها

ان المؤسس للصهيونية كاتب من يهود بلاد المجر كان من علماء القانون (اسمه ثيتودور هرزل) أنشأ في سنه ١٨٩٦ صحيفة باسم [دولة يهودية] للدعوة الى تأسيس هذه الدولة في فلسطين، فتقبلها الكثيرون من اليهود في أقطار العالم بالبهجة والامل، وارتاب كثيرون منهم في نجاح هذا العمل، وتأسست الجمعية الرسمية لها في العام التالي لانشاء الصحيفة، وطفقوا يجمعون لها الاموال ويؤسسون الفروع ويعقدون المؤتمرات، حتى انهم أسسوا لها مصرفاً مالياً خاصا وصنفوا لها (دائرة معارف) خاصة. وقد قرر المجمع أو المؤتمر الصهيوني الاول ما وضعه (هرزل) من غرضها وغايتها وعبر عنه بانه انشاء وطن شرعي للشعب اليهودي في فلسطين تعترف به الدول فيكونون فيها كالانكليز في الجزائر البريطانية والفرنسيين في فرنسة الخ فيؤسسون الدولة اليهودية (استعداداً لمجيء مسيا المنتظر، الذي تخضع له شعوب البشر) وقرر الوسائل لذلك وهي البدء باستعمار فلسطين (١) بامتلاك الارض وعمارتها بالزراعة والصناعة وسائر الاعمال الاقتصادية والمهن الحرة، و(٢) بجمع كلمة الشعوب اليهودية في الشرق والغرب واتحادهم للتعاون على هذا العمل لتلك الغاية، بانشاء الجمعيات في كل قطر بما لا يخالف قوانين حكومته، و(٣) باحياء الشعور الاسرائيلي الملي وتقوية آماله في ماكه، و(٤) بالسعي لدى الدول لنيل عطفها على الصهيونية ومساعدتها على تحقيق أمنيتها

وقد افترص الصهيونيون انفجار براكين الحرب العامة في العالم فكان من

دسائسهم فيها مابيناه من قبل من خدمة الدولة البريطانية وحملها مع حلفائها على مكافأتهم على ذلك بالتأييد الرسمي لمقصدها ففعلت . وهذه ترجمة الوثيقة الرسمية بذلك المعروفة بوعد بلفور مثير الفتن ، وموقد نار الثورة ، وموقظ الامة العربية والشعوب الاسلامية من رقادها ، كما بلغه لزعيم اليهود المالي الاكبر :

عهد بلفور الجائر

« نظارة الخارجية في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧

«عزيزي اللورد روتشيلد

«أني بملء المسرة أنقل اليكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي المفعم بالشعور مع مطامح اليهود الصهيونية والذي طرح على هيئة الوزارة وصدق عليه

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين الرضى الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وهي ستبذل الجهد لتسهيل السبل الموصلة الى تلك الغاية على شرط أن لا يحدث ثم شيء يؤدي الى الاجحاف بحقوق بقية السكان غير اليهود دينياً ومدنياً أو يعبث بالحقوق والسنن السياسية التي يتمتع بها اليهود في أية بلاد أخرى

«وأكون في غاية الامتنان إذا تفضلتم باطلاع الاتحاد الصهيوني على هذا التصريح

لكم باخلاص

ارثور جيمس بلفور

اليهود . والهيكل في حكم النصارى فالاسلام

(٩) كانت الحكومات المسيحية قد طردت اليهود من مدينة المسيح الحق واضطهدتهم أشد الاضطهاد وجعلت مكان الهيكل الذي دمره طيطس أخيراً مزبلة حتى غمرت الصخرة المقدسة في أعلاه بالاقذار ، فلما جاء الاسلام المكمل لدين الله الذي شرعه على ألسنة أنبيائه وآخرهم موسى وداود وسليمان والمسيح برسالة محمد خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام ، أعاد المسلمون تشريف ذلك المكان الذي سماه الله تعالى في كتابه بالمسجد الاقصى ، وأسرى بعبده ورسوله اليه في

أوائل بعثته ، وقبل ظهور أمره ، فنظفوه من الاقذار، وبنى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب (رض) مسجده هنالك ثم كان ما كان من أمر تشييد بني أمية للمسجد الكبير ولقبة الصخرة، وأنفقوا عليه خراج مصر كله بضع سنين فكان ذانك البناءان من أعظم مفاخر الصناعة والهندسة في الارض ، وكان المسجد الاقصى اول القبلتين وثالث الحرمين، وسيبقى كذلك مادام الاسلام والعرب في الارض

وكان من عدل المسلمين ورحمتهم ان رفعوا الاضطهاد عن رءوس اليهود وعاملوهم بالعدل والرحمة ، حتى انهم صاروا يأذنون لبعضهم بالاقامة في بيت المقدس مع تحديد العدد القليل وكذا بزيارة الجانب الغربي من سور المسجد الاقصى [البراق] بطلبهم ، وكانوا لا يستحلون تجاوزه بمقتضى تقاليدهم ، الى أن يجيء المسيح الذي ينتظرونه لاعادة الهيكل كله اليهم، وإقامة الشعائر والقرابين الموسوية فيه باعادة ملك سليمان لهم، بالرغم من أنوف جميع المسلمين والنصارى في العالم، وإنما كانوا يأذنون لأفراد قلائل منهم بما يتخذون لذلك من الوسائل حتى المالية ،فيقفون امام ذلك الجدار للذكرى وإحياء الشعور الملي مع البكاء والندب ... فقوي أملهم بالتكاثر والتملك في المدينة المقدسة وفي سائر بقاع فلسطين، تمهيداً لامتلاكها؛ واستعداداً لظهور المسيح مجدد ملك اسرائيل فيها ولكنهم استعجلوا الشيء قبل أوانه ، فعوقبوا بحرمانه

الصهيونية والعرب

(١٠) ما زال هذا الامل يقوى ويضعف، ويطفو ويرسب، حتى طمعوا في عهد السلطان عبد الحميد باباحة الهجرة والامتلاك بلا شرط ولا قيد ، ثم طمعوا على عهد دولة جمعية الاتحاد والترقي(التي أسقطت هذا السلطان وملكت على من بعده الامر بمساعدتهم)في شراء فلسطين من الجمعية ببضعة ملايين من الجنيهات ، ولما علمنا بهذه المساعي توخيت أن ألقى معتمد الجمعية الصهيونية بمصر فأستعرف له وأعترفه الحقيقة وأعرفه برأي الجمعيات العربية في الامر، واهتديت إلى ذلك بسعي بعض معارفي من اليهود ــ وكان مما كاشفت به المعتمد الصهيوني أن عزم جمعيتهم على شراء فلسطين من اخوانهم في الماسونية زعماء جمعية الاتحاد والترقي قد بلغ زعماء العرب المشتغلين بالسياسة وترقية الامة العربية وقرروا فيما بينهم انه إذا تحقق هذا النبأ ووقع

بأي شكل من الاشكال فلا وسيلة عندهم لمقاومته إلا تأليف العصابات المسلحة من البدو وغيرهم لمقاومة هذا الاعتداء على بلادهم بكل ما يمكن من وسائل المقاومة المعهودة عند الشعوب الاخرى في أوربة باغراء دولها الكبرى وإرشادها - وانه خير لليهود إذا كانوا يريدون أن يكثروا في البلاد العربية (فلسطين وغيرها) ويكونوا فيها أحراراً آمنين متمتعين بما يتمتع به سائر أهلها من الحقوق المدنية والشخصية أن يتفقوا مع زعماء العرب أنفسهم على ذلك من وسائل ومقاصد ، وأرى ان ذلك ممكن ... ولما فصلت له هذا الرأي أعجبه وبلغه لجميتهم وظهر له أثر في مؤتمر (بال) الصهيوني إذ صرح بعض أعضائه بالخطر الوحيد الذي يستقبلهم من قبائل العرب البدوية

ثم ذاكرت في هذا الموضوع زعيم الصهيونية الكبير الدكتور [وايزمن] بعد الحرب العالمية والشروع في تنفيذ عهد بلفور في اثر مذاكرات أخرى مع بعض رجال الجمعية في مصر والقدس وقف هو على تفاصيلها كلها . وكان يريد المجيء إلى مصر قبل الحرب للبحث فيه معي . ومما قاله لي ان رأيي في اتفاق العرب مع أبناء عمهم العبرانيين ممكن غير خيالي بشرط أن يرضى به أمراء العرب وحكامهم المستقلون ... ثم انقطعت المذاكرة في هذه المسألة لاعتماد الصهيونيين على قوة الانكليز في اعادة ملك اسرائيل لهم وكل منهما يمكر بالآخر

خلاصة القول في قوة اليهود وضعفهم

(١١) خلاصة القول في اليهود انهم شعب من أعظم شعوب البشر يمتازون بخصائص في العلم والعمل والاقتصاد والاتحاد والتكافل والتعاون والحزم والعزم ونظام خاص في عمل البر والمعروف والمكر والدهاء والصبر والثبات واحتمال المكاره وعدم اليأس من مقصدهم الأسمى وهو الملك وان تعذرت أسبابه ، وعظمت صعابه، واذا كانوا لم ييأسوا في أشد العصور اذلالا لهم ،وأعتى الاعاصير في تمزيق شملهم، فكيف ييأسون في هذا العصر وهم سدنة هيكل المعبود الاكبر للامم والدول العظمى وهو المال، وهم الذين استعبدوهم له، ومالهم بهذا المال في العالم المدني من النفوذ والصحف والقدرة على الدعاية التي تقلب الحقائق ،وتلبس الحق بالباطل؟

ولكنهم على كل ما أوتوا من هذه القوى المعنوية ، ليسوا بأولي قوة حربية، لانهم كما قال الله تعالى فيهم (احرص الناس على حياة) وقد فقدوا ملكات الملك والاستقلال ، وليس لهم من البراعة في الزراعة واستغلال الأرضين عشر معشار ما لهم من استغلال النقود، فهم يعتمدون فيما يرومون من الاستقلال في الوطن القومي في فلسطين على قوة الانكليز تحميهم ، وعلى استغلال أهلها العرب في تعمير ما يسلبونهم من رقبتها بجعلهم أجراء فيها ، ولا يهولن أحداً طلب عشرة آلاف من شبانهم الامريكيين إذن حكومتهم لهم أن يذهبوا إلى فلسطين لقتال العرب لان الذي جرأهم على هذا هو ظل الدولة البريطانية ، لا ظل الدولة اليهودية والراية الصهيونية ، ولاشك ان الامة العربية الحربية بالطبع اقوى منهم مهما يكن جمعهم وهجرتهم، وقد جمع غرور اليهود وعدوانهم أشتات الشعوب العربية في اوطانها ومهاجرها فاتفقوا على الدفاع عن عرب فلسطين وحفظ وطنهم لهم، واجتمعت كلمة العالم الاسلامي كله على تأييدهم، بل الامر أعظم من ذلك، ولا قبل للدولة البريطانية بعداوة العرب والمسلمين، وان كانت لاتزال مصرة على ظلمها في فلسطين،

(١٢) لقد كان الخطر الصهيوني على هذه البلاد عظيما لو جروا فيه على النهج الذي أشرنا اليه من أعمالهم في الامم، من دس السم في الدسم ، والصبر الطويل، مع إخفاء القصد البعيد، بنصب الحبائل الاقتصادية لابتياع الارض بالتدريج ، وجعل الهجرة اليها بالسير البطيء ، ولكنهم استعجلوا، وقد يكون مع المستعجل الزلل ، واغتروا باستخدام القوة الانكليزية وضمها إلى قوتهم وقد يحبط الغرور العمل ، وناهيك بغرور الماديين منهم بالمال ،وغرور المتدينين منهم ببشارات الانبياء، وغرور السياسيين منهم بما أوتوا من المكر والدهاء ، ثم ناهيك بتأييد الدولة البريطانية لهذه القوى كلها بقوتها العظمى قوة التصرف في الامم ، والنفوذ في الدول ، إذ أعطتهم بها وطناً من أوطان الامة العربية التي تمدها من ميراثها ، وعندهذه الامة من بشارة نبيها في الظهور على اليهود ماهو أصرح من بشارات أنبياء اليهود المبهمة كما صرحنا به في العام الماضي وسنعود اليه بالتفصيل

(وسنبين في الفصل الثاني من هذا المقال كنه حال الانكليز وسياستهم مع العرب واليهود)

الفتنة في نجد

﴿ أسبابها ونتائجها ﴾

قد صار من المعروف عند جماهير الواقفين على شؤون الاقطار العربية وأهلها ان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود قد عمل في جزيرة العرب عملا لم يسبق له نظير إلا في صدر الاسلام من تحويل الاعراب عن عصبية جاهلية ووثنية وأمية الى التوحيد والعلم والحضارة بالتدريج، جدد بذلك ما كان قد رث واخلولق من الاصلاح الديني والنهضة العلمية التي قام بها الشيخ محمد عبد الوهاب، وأعاد بناء ما كان قد تهدم من دولة أجداده بعداوة الدولة العثمانية لهم ومجاهدتهم إياهم بالسيف والنار، ثم بالدعاية المنفرة عن إمارتهم بدعوى كونها ناصرة لمذهب مبتدع جديد مخالف للسنة، خوفا من تجديدها لملك الامة العربية، وانتزاعها منها ماتدعيه من منصب الخلافة الاسلامية، بل وسع تلك الدولة حتى استقام له الامر في معظم الجزيرة العربية، فأقام فيها الدين، وأحيا سنة الخلفاء الراشدين، بما نصب من قسطاس العدل المستقيم، ومد من ظل الامان الوارف الظليل، فأغنى الحاج عن الحرس والبذرقة(١) وهيأ لهم وسائل الصحة والراحة

وكان مما حاوله، ولما يدرك فيه كل ما أمله، إبطال البداوة من نجد وملحقاتها، وازالة جهالاتها ومنكراتها، فبنى لهم المهاجر، وهيأ لهم فيها أسباب الزراعة والعمران، بقدر مافي الامكان، ولقد كان كل ما في الامكان قليلا، لم ينتزع من قلوبهم مارسخ فيها من جفوة البداوة، ولم يثقف من طباعهم ما ورثته من حمية الجاهلية، وانما صبغها التعليم الناقص بصبغة دينية، فصار ما ألفوه من الغزو لاجل السلب والنهب، واستباحة سفك الدماء لأخذ الثأر، او شفاء حفائظ الصدر، مشوبا بقصد نشر التوحيد وازالة الشرك، ولا يتم هذا إلا بمعرفة مايتوقف عليه من أحكام الشرع.

---

(١) البذرقة الجماعة تتقدم القافلة للحراسة، معربة او مولدة، وبالمعجمة او المهملة اوبهما معا؟ اقوال كما في المصباح

وهم لم يعرفوا كلهم من تلك الاحكام وجوب طاعة الامام في المنشط والمكره، وتحريم الاثرة عليه والاستبداد دونه في الجهاد والامان، واقامة الحدود وتقرير العقوبات، فظل الراسخون في البداوة الجاهلية، والعصبية العمية، يخضع كل لرئيس قبيلته، ويقاتل تحت رايته، ويطيع الامام صاحب البيعة بطاعته، لا بأمر الله واتباع شريعته، وهذا عين العصبية التي نهى عنها النبي ﷺ وتبرأ من فاعلها بقوله « ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود من حديث جبير بن مطعم (رض) ولم يعلموا أيضاً بحظر الغلو في الدين، ولانهم كانوا من الغالين، بتكفير من لم يثبت كفره، أو عقاب من لم تشرع عقوبته، ولا أن حق إقامة الحدود وعقوبات التعزير للامام أو نائبه، وكذلك ازالة المنكر والنهي عنه إذا لم يكن من المجمع عليه. وأما اهل الحضر منهم فيعلمون أكثر هذه الاحكام

وقد علم قراء المنار ما كان من أمر فيصل الدويش وقومه في غزو أطراف العراق والكويت بدون أمر الامام، ومن اصرارهم على ذلك بعد نهيه اياهم عنه، ومن عقده مؤتمر الشورى العام في الرياض عاصمة نجد في العام الماضي واقتراحه عليهم أن يبايعوا غيره اذا لم يكونوا راضين بحكمه، وحثهم على انتقاد كل ما يرونه من أعماله مخالفاً لشرع الله أو لمصالحهم، وما كان من مصارحة بعضهم إياه بما أنكروه من أخذه ببعض مستحدثات الصناعة المدنية كالسيارات والتلفون لجهلهم بحقيقتها، ومن اقتناعهم بعدم خطر ذلك وأمثاله كما افتى بذلك علماؤهم، ومن اجماعهم على انكار مافعلته حكومة العراق من اقامة الحصون في مراعي نجد ودون مياهها، وتفويضهم الامر اليه في السعي لازالة هذه الحصون بكل وسيلة ممكنة حتى القتال، وماتلا ذلك من تجديد مبايعته، وإيجاب طاعته، وشذ عن ذلك غلاة المتدينين باغواء زعيمين من شيوخهم هما فيصل الدويش وسلطان بن بجاد، وأذاعوا ان الامام عبد العزيز بن سعود أبطل فريضة الجهاد وقتال المشركين فوجب عصيانه، حتى اضطر الى قتالهم واخضاعهم في العام الماضي بالقوة، ولكن فيصل الدويش هذا فر واختفى حتى ظن انه قتل

ولما عاد الامام الى الحجاز بعد هدوء الحال في نجد عاد هذا الخارجي المتعصب الى بث الدعوة لعصيانه ، وثبت عند حكومة نجد والعارفين من اهلها ان اعداء ملكهم افترصوا هذه الفتنة فأرسلوا دعاتهم من العراق والكويت الى نجد يحملون الألوف الكثيرة من الريالات والروبيات لمساعدة العصاة وتعميم الدعاية الى الخروج عليه فانتشرت في القبائل والهجر أو المهاجر التي لاتزال تغلب على اهلها أخلاق البداوة وعاداتها ، ولكن باسم الدين ودعوى مخالفة الامام عبد العزيز لأحكامه بموالاة المشركين من أهل العراق والانكليز حماتهم ، ومنع المسلمين من مجاهدتهم (ويعنون بالمسلمين انفسهم) وكذا اقراره مشركي الحجاز وغيرهم من أهل الامصار على ماهم عليه ، وسماحه لهم بالحج من غير أن يستتيبهم من الشرك ، ويلقنهم التوحيد الخالص ... وحاولوا نشر هذه الدعاية في بدو الحجاز كما نوه بذلك ناشرها في مصر ، وبنوا على ذلك الدعوة الى ترك الحج في هذا العام

وللمسلمين في هذه الفتنة عدة عبر :

(١) ان سيئي النية من النجديين في هذه الفتنة هم افراد من الزعماء كفيصل الدويش هذا الذي منعه الامام ابن السعود من استغلال قوته في السلب والنهب ، والتلذذ بما ألفوا من الغزو ، وقد ذكر الملك في كتاب ارسله الي في العام الماضي أنهم اثنان فقط (يعني الدويش وابن بجاد) ولعلهم زادوا في هذا العام فكان منهم بعض شيوخ عتيبة والعجمان وغيرهم ممن أظهروا الخروج على الامام ، وهذا من الأدلة على ماهو مقرر في الشرع وجميع قوانين الامم من وجوب توحيد السلطة ، وحظر وجود زعماء في المملكة ، يمكنهم الانفراد بالحرب أو أي عمل من أمور الدولة ، بدون أمر الممثل للسلطة العليا من امام أو ملك او رئيس

(٢) ان العلم الناقص المعبر عنه بالجهل المركب قد يجني على الافراد والامة ما لا يجني عليها الجهل البسيط ، فان عوام القبائل النجدية التي خدعت بدعاية رؤسائها الطامعين ، وأعدائها الدساسين ، لاتعلم ان الاسلام الذي تحبه وتتفانى في الدفاع عنه يحرم عليها الخروج على الامام ، وتفريق كلمة الامة وان لم يفض الى القتال ، فكيف إذا جعل وسيلة لسفك الدماء ، وقتل المسلمين الموحدين بعضهم

لبعض ؟ كما فعل الدويش وأمثاله في نجد ، فالدويش يدعي ان الامام ابن سعود أخطأ وعصى الله تعالى في منعهم من قتال أهل العراق والكويت ، وان علماء نجد شايعوه على ضلاله وعصيانه ، ولو كان لخواص قومه — ولا أقول لكل قومه — علم بشريعة الاسلام، لعرفوا انه هو المخطئ لا الامام، وانه لا يمكن أن يكون أعلم من علماء نجد الموافقين للامام بالشريعة ، ولعرفوا أن مذهب أهل السنة انه لايجوز الخروج على الامام بمثل هذا الخطأ ان صح انه خطأ

ولو كان لهم عقل ورأي لعلموا أنه ليس من الدين ولا من العقل ولا من مصلحة أمتهم وبلادهم ان يقتتلوا لخلاف وقع بين إمامهم وشيخ قبيلتهم لان هذا يفضي الى ضعف أهل التوحيد كلهم ، وتمكين الكفار من إزالة ملكهم أو إضعافه

(٣) انما منع الملك عبد العزيز آل سعود هؤلاء الغزاة من أهل بلاده ان يغزوا العراق والكويت وشرق الاردن حباً في السلم وحرصاً على الوحدة العربية والجامعة الاسلامية فكان جزاؤه من رءوس هذه البلاد أن يغروا هؤلاء الغزاة أنفسهم بقتاله ، ويساعدوهم على ايقاع الاختلال في بلاده ، أملا في ثل عرشه ، وعودة الحجاز إلى عشاق الملك من بيت حسين بن علي بمساعدة الانكليز الذين ولوهم ملك العراق وشرق الاردن ويرجون أن يفوا بوعدهم إياهم بسائر البلاد العربية. وقد تناقل المشتغلون بالقضية العربية عن بعض أفراد هذا البيت وأشدهم صراحة في عداوة ابن السعود انه قال جهراً عندما تجددت فتنة نجد في الصيف الماضي وقبل علم الجمهور بها : أن عبد العزيز بن سعود لن يعيش أكثر من شهر بعد هذا اليوم ، فعلم من ذلك انه كان من جملة الدسائس السعي لاغتياله .

وتناقلوا أيضاً أن علياً ملك جدة الغابر ، وعبد الله ملك شرق الاردن الحاضر ، لم يزورا والدهما حسيناً ملك العرب او الحجاز السابق، إلا لاقناعه بالانتقال إلى العراق حيث فيصل ملكها اللاحق، أو معان التي سلخها نجلاه من المملكة الحجازية، ووضعاها تحت تصرف الجلالة البريطانية ، الا ليتولى ادارة هذه الفتنة ، وأنهما سميا لدى الانكليز للاذن بهذه النقلة

وتناقلوا أيضاً ان سفر الامير عبد الله من شرق الاردن الى بغداد لعقد

المؤتمر السري مع أخويه الملكين علي وفيصل في وقت اشتعال فتنة فلسطين وتهييج عرب شرق الاردن لمساعدة اخوانهم في القدس على اليهود — انما كان لاجل التدبير الذي يجب التعاون عليه في مسألة نجد ، ولا شك عندنا في براءة حكومة العراق وزعماء العراق من هذه الاعمال والدسائس وفي كراهتهم لها لانهم من أخلص زعماء العرب لأمتهم، وأكبر رجائها في تأسيس وحدتهم

وقد صرح داعية هؤلاء الحجازيين في مصر أمام بعض من كانه فيما يذيعه من تكبير أمر هذه الفتنة بأنهم متفقون مع فيصل الدويش فيها

وأما شيخ الكويت الغني (المصحف) فهو يحمل غلا وإحنة على ملك الحجاز ونجد لانه أمر بتحويل تجارة نجد عن ثغر الكويت الى ثغور بلاده في الحساهربا من المكس (الجمرك) الذي تأخذه حكومته عليها ، وهو حق شرعي قانوني لا يختلف فيه اثنان ، وهذا منتهى شوطه في الانتقام ، إلا أن يريد الانكليز تضحيته في هذا الميدان، كما ضحوا بكثير من الملوك والامراء في الشرق والغرب كانوا أقوى منه وأغنى ، وأعلم بالسياسة وأدرى .

(٤) لم تكتف الدعاية الشريفية الحجازية، بما ذكر من الاعمال السياسية، لاستعادة ملك الحجاز الى الامبراطورية البريطانية، بل نشط عمالها لاعادة الدعوة الى ترك الحج التي كانوا بدؤا بها في السنة الاولى لاستيلاء ملك نجد على الحجاز ، وقد بثوا هذه الدعوة في جميع الاقطار التي لهم أعوان وعمال فيها . ولو وصلت فتنتهم الى الحجاز، وأمكنهم اثارة بعض بدوها للقتال والاعتداء، لراجت دعوتهم، بدعوى الخطر على الحجاج، وأما احتجاجهم السابق عليها بالطعن في مذهب أهل نجد وملكهم فلم يعد له أدنى تأثير عند احد من المسلمين، بعد ما تواتر بنقل مئات الالوف من حجاج جميع الاقطار في هذه السنين ، ان الحجاز في عصر ابن السعود خير مما كان في عصور الدول السابقة من الامويين والعباسيين إلى الترك العثمانيين ، أماناً وراحة وصحة وحرية شرعية لجميع المذاهب الاسلامية، بل لا يسئل هنالك أحد عن مذهبه

الآراء في هذه الفتنة

ان الناس قد اضطربوا في أخبار هذه الفتنة لتعارض أخبارها باختلاف مصادرها، فأهل الغيرة على الاسلام ودعاة الوحدة العربية ، ومحبو الرابطة

الشرقية، وأعداء السياسة الاستعمارية ، وخصوم الدولة البريطانية منهم خاصة —
كلهم يتمنون النجاح لابن السعود في اقضاء على هذه الفتنة بمنتهى السرعة ،
لان كل فريق منهم يعلم حق العلم انه الركن الركين لمصلحتهم وسياستهم ، وما قرأت
لأحد ولا سمعت من أحد ولا عن أحد منهم غير ذلك ، إلا عن شيخ واحد من
أكبر سدنة القبور المعبودة أظهر التمني لانتصار الخارجي على إمامه الشرعي ، جاهلا
أن ذنب إمامه عنده انه منعه هو وغلاة أتباعه من قتال القبوريين وأنه يسمح لهم بالحج
والعمرة، ويقتصر على نشر دعوة الاسلام بالعلم والحجة، والعمل بالكتاب والسنة دون
القوة، وجاهلا بما يخشاه أولئك المسلمون من عرب وعجم، والعرب من مسلمين ونصارى،
من أن تكون الدسائس الانكليزية هي المحركة أو المغذية للخوارج على ابن السعود
بعد فشلها في محاولة الايقاع بينه وبين عرب العراق وشرق الاردن — وبعد أن اظهر
العطف على عرب فلسطين وأعلن رسمياً انه يسره مايسرهم ويسوءه مايسوءهم ، وساعدهم
بالمال، وخشي ان يساعدهم بالرجال ، واني ارى المتمرسين بالسياسة والملمين بها
في بلدنا هذا لايشكون في هذا ، ويعدون من آياته ماذاع من سعي بعض الانكليز
لنصب الامير عبد الله ملكا على فلسطين في ظل الانتداب البريطاني ، المقيد
بالوطن القومي اليهودي الصهيوني ، ولم يغتر أحد من الذين يعرفون كنه هذا الامير
وأسرته بما أنذر به السلطة الانكليزية في القدس من عاقبة هيجان عرب شرق
الاردن على اليهود ، ورغبتهم في الزحف لمساعدة اخوانهم في فلسطين بالسلاح
— وبدوهم لا يزالون مسلحين — وغرضه من هذه السلطة التي هو موظف تحت
سيادتها إما التعجيل باطفاء نار الفتنة وإما إرسال جيش انكليزي إلى شرق الاردن
لصد قبائله المسلحة عن الزحف الى فلسطين لقتال اليهود . فان من المعلوم بالبداهة
عند العارفين ان الباعث على هذا الانذار والاقتراح هو خوف الامير عبد الله
المذكور على إمارته وعلى نفسه اذا استمرت الثورة، وعجز عن الاستمرار على صد
هذه القبائل عن الزحف كما فعل اول مرة

وقد كثر سؤال الناس إياي عن رأيي في الفتنتين ، وعاقبة الثورتين ، حتى انه
جاءني في ذلك بعض الكتب من الشرق الادنى والمغرب الاقصى ، فأما ثورة

فلسطين فقد فضحت أسرار اليهود ومكرهم ، وشوهت دسائس الانكليز وظلمهم، وأيقظت شعور الجامعة الاسلامية، وأحيت عصبية الامة العربية ، فتحد المسلمون والنصارى لأول مرة في جميع البلاد التي يقيمون فيها من أوطانهم ومهاجرهم ، وأما اليهود فلم يتفقوا على تأييد الاوهام الصهيونية ، بل كثر المنكرون عليها، إرضاء لأوطانهم التي يتمتعون بالنعيم فيها ، وقد شرعنا في كتابة مقال طويل في المسألة نشرنا الفصل الاول منه في هذا الجزء وسيأتي الرأي الناضج فيما بعده

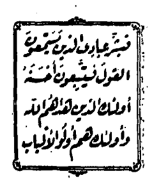
وأما ثورة نجد فقوة الثائرين فيها لا تذكر تجاه قوة حكومة البلاد ونفوذ ملكها الديني والشخصي، الذي عرف العالم من أمره في حادثة المحمل المصري، ما كان مثار عجب وإعجاب ومدعاة ثناء باطناب، إذ خرج عبد العزيز آل سعود دليلا مع بعض آل بيته فصاح بالنجديين، وهم ثمانون ألفاً أو يزيدون، وقد ثاروا للانتقام من حرس المحمل الذي أطلق النار عليهم برعونة من أميره، فردهم بكلمة منه عما كان يتوقع من قطع دابر ذلك الحرس الضعيف ، بقوة ذلك الحشد النجدي الكثيف، وطالما انتصر قليلهم على الجيش العثماني القوي الكثير

نعم ان هذه الثورة كانت عليه نفسه، لاجل زلزال هذه السلطة الروحية له أو إزالتها من قومه، وانها تغلغلت في احشاء البلاد لما تقدم وكما تقدم في صدر هذا المقال، ولكنه قضى على ما كان منها في داخل البلاد ، ولم يبق الا اللاجئون الى الكويت يعتصمون بحماية الانكليز لها، ويستمدون الميرة والسلاح والكراع منها ، لولا عجزهم وخوفهم لما آووا اليها، لعلمهم بأنه مقيد في المعاهدة بينه وبين الدولة البريطانية بعدم الاعتداء عليها، على انهما مقيدان معاً بأن لا يقع في البلاد الخاضعة لنفوذ كل منهما أي دعاية أو عمل عدائي للآخر . ولهذا يجب التفاوض بين الحكومتين في هذه المسألة قبل تحكيم السلاح فيها

وأنا لا اظن كما يظن الكثيرون ان الانكليز ينقضون عهدهم مع ملك الحجاز ونجد بما اعتادوا من تاويل العهود ، ونقض العقود ، واخلاف الوعود، عند ما يرون ذلك من مصلحتهم، إذ لا اظن ان هذا من مصلحتهم الآن . وأما الدسائس الخفية التي اشتهروا بها، فلا استطيع ان انفيها ولا ان اثبتها، ومقتضاها القضاء على سلطان ابن السعود قبل استكمال قوته، وتجديد وحدة العرب بحكمته، فان لم يقدروا لم يكن لهم مندوحة عن استبقاء مودته، والاكتفاء من الطمع في البلاد العربية، بالمنافع الاقتصادية والادبية.







قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٨هـ ٩ برج القوس سنة ١٣٠٩هش ١ ديسمبر سنة ١٩٢٩

الاستفتاء في حقيقة الربا

(لبعض كبار علماء الهند)

تابع مانشر في الجزء الرابع

لبعض الاعلام ههنا كلام فلابد علينا ان نذكره مع ماله وما عليه . وهو ان القرض ليس غير البيع ومباينا له بل داخل فيه، لان القرض مبادلة انتهاء كما صرح به بعض الفقهاء فهو قسم من اقسام البيع لاغير ،وانما جوز فيه النسأ مع كونه من الاموال الربوية للضرورة ودفع حاجة الفقراء وهذا لا يخرجه عن البيع قال القاضي ابن رشد الحفيد المالكي : فان العقود تنقسم اولا بقسمين قسم يكون معاوضة وقسم يكون بغير معاوضة كالهبات والصدقات والذي يكون بمعاوضه ينقسم ثلاثة اقسام (احدها) يختص بقصد المغابنة وهي البيوع والاجارات والمهور والصلح والمال المضمون بالعقد وغيره (والقسم الثاني) لا يختص بقصد المغابنة وانما يكون على جهة الرفق وهو القرض [1] (والقسم الثالث) فهو مايصلح ان يقع على الوجهين جميعاً اعني قصد المغابنة وعلى قصد الرفق كالشركة والاقالة والتولية[2] قال الشاه ولي الله في حجة الله البالغة في ذيل البيوع المنهي عنها: وكذلك الربا وهو القرض[3] على ان يؤدي اليه أكثر وأفضل مما أخذ سحت[4] باطل فان عامة [5] المقترضين بهذا النوع هم المفاليس

---

(١) لما جعل القاضي القرض قسما للبيع فهو دليل على أن القرض عنده غير البيع فلا يصح به الاستشهاد على كون القرض بيعاً لكن أوردناه ههنا لانه صرح بأن المعاوضة تكون في القرض أيضاً ويمكن أن يتوهم منه ان كل عقد تكون فيه المعاوضة هو قسم من أقسام البيع

(٢) (بداية المجتهد ص ١٢١ ج-٢) * (٣) هذا حد للربا غير مأثور عن السلف ولا دليل عليه بل هو خلاف القرآن والسنة الصحيحة وجمهور العلماء * (٤) لا بد أن يقوم عليه دليل من الشارع عليه السلام والاداء أكثر وأفضل مما أخذ ثبت عن النبي ﷺ بطرق صحيحة مطلقا * (٥) لايكفي أمثال هذه التدقيقات الفلسفية لاثبات حكم شرعي بل لا بد أن يكون عليه نص عن الشارع عليه السلام*

المضطرون وكثيرا ما لايجدون الوفاء عند الاجل فيصير أضعافا مضاعفة لايمكن التخلص منه ابداً ، وهو مظنة لمناقشات عظيمة، وخصومات مستطيرة، واذا جرى الرسم باستنماء المال بهذا الوجه أفضى الى ترك الزراعات والصناعات التي هي أصول المكاسب ولا شيء في العقود أشد تدقيقاً واعتناءً بالقليل وخصومة من الربا ، وهذان الكسبان [أي الميسر والربا] بمنزلة السكر مناقضان لأصل ماشرع الله لعباده من المكاسب وفيهما قبح وشناعة ، والامر في مثل ذلك الى الشارع إما أن يضرب له حداً يرخص فيما دونه ويغلظ النهي عما فوقه ، أو يصدعها رأساً، وكان الميسر والربا [١] شائعين في العرب وكان قد حدث بسببهما مناقشات عظيمة لا انتهاء لها ومحاربات، وكان قليلها يدعو إلى كثيرها ، فلم يكن أصوب ولا أحق من أن يراعى حكم القبح والفساد موفراً فنهى عنهما بالكلية [واعلم] أن الربا على وجهين حقيقي [٢] ومحمول عليه أما الحقيقي فهو في الديون [٣] وقد ذكرنا أن فيه قلباً لموضوع المعاملات وأن الناس كانوا منهمكين فيه في الجاهلية أشد انهماك وكان حدث [٤] لأجله محاربات مستطيرة وكان قليله يدعو إلى

(١) لاشك ان الربا كان شائعاً في العرب لكن الكلام في تعيينه ولم يظهر عن الآثار المنقولة عن التابعين إلا انه كان في البيع أو الدين ولا أثر عن أحد منهم انه كان في القرض والفرق بين البيع والقرض والدين سيأتي ان شاء الله * (٢) والعجب أن مايدعى انه ربا حقيقي فلا ذكر له على لسان الشرع وأما المحمول عليه والمشبه به فهو مروي عن جماعة من الصحابة وكذلك الفقهاء لايذكرون الربا الحقيقي إلا تبعاً واستطراداً ويأتون جميع الفروع والتفاصيل في باب الربا الغير الحقيقي *

(٣) لا انكار من أن ربا الجاهلية كان في الديون كما يدل عليه بعض روايات التابعين لكن المراد من الديون في كلامهم ديون البيع أي اذا ابتاعوا نسيئة فما ثبت في ذمتهم من الثمن المؤجل هو الدين كما جاء مصرحا في بعض الروايات وكما صرح بها الامام الشافعي والبيهقي والزرجاني حيث حملوا الدين المطلق على ديون البيع كما سيأتي مفصلا ان شاء الله * (٤) لم نر له أثراً في أيام العرب ووقائعهم لا في الجاهلية ولا في الاسلام ووقائع هذه الأيام لاتمر علينا لان أعظم أسباب الخلاف والمناقشة هو نظام السياسة الحالية ولذا نرى أن كثرة الوقائع والمقدمات لاتختلف بهذا الباب *

كثيره فوجب أن يسد بابه بالكلية ولذلك نزل في القرآن في شأنه ما نزل (والثاني) ربا الفضل والأصل فيه الحديث المستفيض «الذهب» ـ الحديث ـ هو [أي ربا الفضل] مسمى بربا تغليظاً وتشبيها[١] له بالربا الحقيقي على حد قوله عليه السلام [المنجم كاهن] وبه يفهم معنى قوله ﷺ «لاربا إلا في النسيئة »[٢] ثم كثر في الشرع استعمال الربا في هذا المعنى حتى صار حقيقة شرعية فيه أيضا [٣] والله اعلم انتهى [٤]

وكذا قال العلامة الامام ابن الهمام الحنفي بعد ما فسر الربا بقوله وهو من البيوع [٥] المنهي عنها قطعا قال ـ بقوله تعالى [ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا] أي الزائد [٦] في القرض [٧] والسلف على القدر المدفوع والزائد في بيع الاموال الربوية عند بيع بعضها بجنسه وسنذكر تفصيلهما ويقال لنفس الزيادة اعني بالمعنى المصدري ومنه [أحل الله البيع وحرم الربا] أي حرم ان يزاد في القرض والسلف على القدر المدفوع، وان يزاد في بيع تلك الاموال بجنسها قدراً ليس مثله في الآخر [٨] ـ وذلك الكلام اتى في كتاب الصرف بحديث عمر «الذهب بالورق ربا الاهاء وهاء» ثم قال ـ وقيل معنى قوله ربا اي حرام باطلاق اسم الملزوم على اللازم

---

(١) قال ذلك تبعاً لابن القيم من أن الربا الثابت بالحديث ربا غير حقيقي وهذا ليس بصحيح لان جمهور العلماء قالوا باجمال الآية وبكون الحديث مفسراً للآية فهذا يكون رباً حقيقياً لانه ليس في القرآن ربا سوى ما ثبت كونه ربا بالسنة فلا نجترىء على أن نقول إنما ثبت كونه رباً من القرآن والحديث هو ربا غير حقيقي والذي لم يرد فيه حديث ولا أثر خال عن العلة يكون ربا حقيقياً *

٢) لعله أراد بها القرض وليس بصحيح لان النسيئة في اللغة هي الثمن المؤجل لا كل ما يكون في الذمة من الدين أو القرض * (٣) لفظ أيضاً ليس على محله لان في الشريعة ليس ربا إلا ماثبت كونه رباً من الحديث * (٤) ص ٩٩ ج ـ ٢

٥) هو موافق لما عليه الجمهور من أن الربا داخل في البيع *

٦) هـذا خلاف ماقال أولا من أن الربا بيع وأيضاً هو صرح بنفسه في التحرير أن الآية مجملة والحديث يفسرها فكيف يصح منه هذا القول ؟ *

٧) وكذا فسر الآية الشيخ سناء الله في تفسيره تبعاً له *

٨) فتح القدير باب الربا *

ولا مانع من حمله في حقيقته شرعا وان اسم الربا تضمن الزيادة من الاموال الخاصة في أحد العوضين في قرض أو بيع اه الظاهر من مجموع كلامه ان الزيادة في القرض ربا والربا من البيوع المنهي عنها فيفهم منه أن القرض من البيوع

وفي الملتقى : الربا هو فضل مال خال عن عوض شرط لاحد العاقدين في معاوضة مال بمال - وذكر العلامة الشيخ زاده في شرح العاقدين :أي البائعين أو المقترضين[1] فعلى هذا يكون الربا في القرض أيضاً فيكون بيعاً . وكذلك الفقهاء بأجمعهم يذكرون الربا في كتاب البيوع والربا في القرض أيضاً فيكون القرض بيعاً قال العلامة العيني في شرح البخاري واختلف في عقد الربا هل هو منسوخ لايجوز بحال أو هو بيع [2] فاسد اذا ازيل فساده صح بيعه؟ فجمهور العلماء على على أنه بيع منسوخ وقال أبو حنيفة هو بيع [3] فاسد اذا ازيل فساده انقلب صحيحاً[4] قال شيخ الاسلام المرغيناني في باب البيوع الفاسدة من فتاوى التجنيس والمزيد : رجل طلب من آخر قرض عشرة دراهم بأكثر لايجوز لان فيه ربا اه[5] يمكن أن يتوهم من هذه العبارات ان القرض بيع لان القرض فيه الربا ولا ربا في غير البيع

والجواب عنه اولا تصريح العلماء والفقهاء بان القرض غير البيع قال الشيخ ولي الله عليه رحمة الله في شرح المؤطأ الفارسية : معنى قرض تمليك شيء است بآن شرط كه ردكنند بدل اوو آن بيع نيست لكه عقد يست كه ابتداء معنى تبرع دارد واخرا معنى مبادلة [6] قال ابن الهمام ان القرض تبرع لانه صلة في الابتداء واعارة حتى يصح القرض بلفظ الاعارة اه (فتح القدير) قال الشاه ولي الله

١) زاد بعضهم في تفسير العاقدين تحت حد الربا لفظ المقرضين لكن هذه الزيادة خلاف ما عليه المحققون ولا دليل عليها ويأباها قولهم في معاوضة مال بمال *

٢) لا يصح به الاستشهاد بل هو دليل على ان الربا بيع ويؤيده صنيع العلماء أعني ذكر الربا بأحكامه في البيوع لا في القرض * (٣) هذا يدل على ان أبا حنيفة رضي الله عنه ذهب الى ان الربا بيع * (٤) « كتاب البيوع ص٤٣٥ ج ٥ »

٥) ليس فيه انه ربا منصوص فيمكن انه أراد به ربا قياسياً لان الفقهاء لا يذكرون الاحكام الثابتة عن القياس مفصولة عن الاحكام الثابتة بنص القرآن أو بنص الحديث *

٦) مسوى « ص٣٥٧ ج ٢ »

رحمة الله عليه : مبنى القرض على التبرع من اول الامر وفيه معنى الاعارة [1]

قال ملك العلماء في البدائع : لان القرض للحال تبرع الا ترى انه لا يقابله عوض للحال؟ فكان تبرعا فلا يجوز الا ممن يجوز منه التبرع ، وكذا قال في مبحث تأجيل القرض : لان القرض تبرع الا ترى أنه لا يقابله عوض للحال وانه لا يملكه من لا يملك التبرع ؟ وقال الحداد في شرح القدوري في هذا المبحث : لانه (القرض) اصطناع معروف وفي جواز تأجيله جبر على اصطناع المعروف ، وقال الحداد في البيوع : والبيع في اللغة مبادلة مال بمال آخر وكذا في الشرع لكن زيد فيه قيد التراضي لما في التغالب من الفساد (والله لا يحب الفساد) ويقال هو في الشرع عبارة عن ايجاب وقبول في مالين ليس فيهما معنى التبرع. وهذا قول العراقيين كالشيخ (أي أبي الحسن القدوري) وأصحابه ، وقيل هو عبارة عن مبادلة مال بمال لا على وجه التبرع وهو قول الخراسانيين كصاحب الهداية واصحابه . اه ـ

فالقرض على رأي الجمهور عقد تبرع كما مر بخلاف البيع فانه ليس فيه تبرع على كلا الحدين، فغير التبرع لا يكون تبرعا بل هما متباينان وأحكامهما مختلفة فالقرض معروف وصدقة وتبرع وعبادة ، والبيع ليس كذلك ؛ والقرض عارية في الابتداء والبيع ليس بعارية لا في الابتداء ولا في الانتهاء ، فالقرض شبيه بالعارية من حيث الابتداء وشبيه بالبيع من حيث الانتهاء . ووجه الشبه المبادلة لكن تكون في البيع ابتداءً وانتهاءً وفي القرض حين الاداء وبه لا تخرج عنه كونها تبرعاً قال السرخسي في شرح السير الكبير [2] هو كلام يحتمل القرض ويحتمل الصدقة فكل واحد منهما تبرع والقرض اقل التبرعين لانه يوجب البدل . اه ففيه تصريح ان البدل لم يخرج القرض عن كونه تبرعا .

والحق أن المبادلة في البيع ركن وفي القرض ليست بركن نعم تستلزمه وفرق ما بين الالتزام واللزوم لان مقصود المشتري هو المبيع ومقصود البائع هو الثمن وغرض كل منهما اخراج ما في ملكه وتحصيل عوضه والاحكام تترتب على الالتزام لا على اللزوم قال ملك العلماء ان البيع مبادلة شيء مرغوب فيه بشيء مرغوب فيه [3] وقال في (كتاب البيوع)

---

(١) حجة الله (ص ١٠٥ ج ٢) * (٢) (ص ٢٦٨ ج ٤) (٣) بدائع كتاب الاشربة ص ١١٥

اما ركن البيع فهو مبادلة شيء مرغوب بشيء مرغوب وذلك قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل اه وظاهر ان القرض ليس فيه مبادلة شيء بشيء مرغوب فيه بل الفرض الاصلي الذي وضع له القرض هو انجاح حاجة المحتاج إليه ولذا قال الشيخ ولي الله رحمه الله ان القرض تمليك الشيء ليسترد [1] مثله وهو ليس ببيع بل هو عقد في أوله تبرع وفي آخره مبادلة [2] قال ابن عابدين (رح) ههنا أصلان (أحدهما) ان كل ما كان مبادلة مال بمال يفسد بالشرط الفاسد كالبيع ومالا فلا [3] كالقرض [4] وأيضاً قال العلامة المذكور في نشر العرف في دليل محمد (رح) لان القرض اسرع جوازا من البيع لانه مبادلة صورة وتبرع حكما [5] فهذا تصريح منه ان القرض ولو كان مبادلة صورة لكن ليس له حكم المبادلة شرعاً قال القاضي سناء الله في تفسيره لان الشرع اعتبره عارية كأن المؤدى عين المدفوع ــ ولعله باعتبار مقاصد العاقدين لان الاعتبار في العقود للاغراض والمعاني لا للصورة ومن ذهب الى انه مبادلة انتهاء فهو صرح أيضاً أنه تبرع في الابتداء والبيع ما يكون مبادلة في الابتداء كما هو مبادلة في الانتهاء قال شيخ الاسلام (رح) إنه اعارة وصلة في الابتداء حتى يصح بلفظ الاعارة ولا يملكه من لا يملك التبرع كالوصي والصبي، ومعاوضة في الانتهاء، وكذا قال الحداد في شرح القدوري والقرض ليس هو بمبادلة في الابتداء ــ اه فعلى هذا لا يكون بيعاً لان الفقهاء صرحوا أن البيع مبادلة ابتداء كما هو مبادلة انتهاء واذا فات عن أحد الطرفين كونه مبادلة يفوت كونه بيعا قال ملك العلماء في البدائع في دليل قول الامام إن ولي الصغيرة لا يملك الهبة بالعوض بدليل أن الملك فيها يقف على القبض وذلك من أحكام الهبة وانما تصير معاوضة في الانتهاء وهو لا يملك الهبة فلم تنعقد هبة فلا يتصور أن تصير معاوضة

---

(١) فيه دلالة على ان المبادلة ليست فيه * (٢) معربا عن المسوى شرح الموطأ الفارسية ص ٣٥٧ ج ٢ * (٣) فيه دلالة على ان القرض ليس فيه مبادلة والالزم فساده بالشرط الفاسد مع انه لا يفسد بالشرط الفاسد بل يلغو الشرط ويبطل *

(٤) رد المحتار باب ما يبطل بالشروط الفاسدة ولا يصح تعليقه *

(٥) ص ١٢٢ حكم الشارع عليه السلام على كونه تبرعا ولم يحكم بأنه مبادلة ولم يعتبرها *

بخلاف البيع لانه معاوضة ابتداء وانتهاء وهو يملك المعاوضة [١] اعلم أن ملك العلماء اخرج الهبة بالعوض عن البيع بدليل أنها ليست بمعاوضة في الابتداء فبمبين هذا الدليل يخرج القرض أيضاً من البيع لانه ليس بمعاوضة في الابتداء بالاتفاق كما مر عن العلامة الشامي أن القرض وإن كانت صورته صورة المبادلة لكن هو في حكم التبرع شرعاً قال العيني في شرح الهداية والمعول على النكتة الاولى [٢] لا على النكتة الثانية [٣] لان على النكتة الثانية يلزم أن لا يصح القرض اصلا اهـ. قال صاحب العناية وهذا يقتضي فساد القرض لكن ندب الشرع إليه وأجمعت الامة على جوازه فاعتمدنا على الابتداء [٤] وقلنا بجوازه بلا لزوم (باب المرابحة والتولية)

والحق في هذا الباب مانقل القهستاني عن النهاية وغيره لانه موافق للدراية وهو أن القرض ليس فيه مبادلة اصلا لا في الابتداء ولا في الانتهاء بل في كليهما عارية . لفظه : الا أن التعويل على انه عارية ابتداء أو انتهاء [٥] قال الشلبي إن بدل القرض في الحكم كأنه عين [٦] المقبوض إذ لو لم يجعل كذلك كان مبادلة الشيء بجنسه نسيئة وهو حرام واذا كان كذلك يكون عارية ابتداء وانتهاء [٧] ويحصل من هذه أن الأصل في البيع أن يكون غرض العاقدين التزام المبادلة ولا يكون القصد والغرض من طرف إلا المبادلة وأما العقود التي لا يكون غرض المتعاقدين فيها التزام المبادلة بل يلزمها المبادلة فهي ليست ببيع كما في القرض لان فيه ليس غرض المقرض ليتبادل دراهمه بدراهم المستقرض ولا غرض المستقرض أن يأخذ دراهم المقرض ليتبادل دراهمه بدراهمه بل غرض الطرفين انجاح الحاجة فقط ولزوم المبادلة من غير قصد والتزام فلا يصير من هذا اللزوم

---

(١) (ص١٥٣ ج ٥) * (٢) هي العارية * (٣) هي المبادلة * (٤) أي العارية *
(٥) (جامع الرموز ص ٤٠٦ ج ٢) (٦) فلا يتصور الربا في القرض لان الربا هو الفضل والفضل والمساواة اضافة تقتضي الطرفين بحيث لا يمكن وجودها بدون الطرفين ولما كان في القرض رد المثل في حكم رد العين كما صرح به الفقهاء لا يتحقق في القرض الطرفان فلا يتحقق الفضل (٧) حاشية تبيين الحقائق شرح كنز قبيل باب الربا

فيما كذا صرح ابن القيم في الإعلام لفظه : وأما القرض فمن قال إنه خلاف القياس فشبهته انه بيع ربوي بجنسه مع تأخر القبض وهذا غلط فان القرض من جنس التبرع بالمنافع كالعارية ولهذا سماه النبي ﷺ منيحة فقال « أو منيحة ذهب أو منيحة ورق » وهذا من باب الارفاق لا من باب المعاوضات فان باب المعاوضات أن يعطي كل منهما أصل المال على وجه لا يعود إليه وباب القرض من جنس العارية والمنيحة وافقار الظهر لما يعطى فيه من أصل المال لينتفع فيه أصل المال بما يستخلف منه ثم يعيده إليه بعينه ان أمكن وإلا فنظيره ومثله فتارة ينتفع بالمنافع كما في عارية العقار، وتارة يمنحه ماشية ليشرب لبنها ثم يعيدها أو شجرة ليأكل ثمرها ويسمى عريّة فانهم يقولون اعاره الشجر وأعاره المتاع ومنحه الشاة وافقره الظهر وأقرضه الدراهم واللبن والتمر ولما كان يستخلف شيئاً بعد شيء كان بمنزلة المنافع ولهذا كان في الوقف يجري مجرى المنافع وليس هذا من باب البيع في شيء بل هو من باب الارفاق والتبرع والصدقة، وإن كان المقرض قد ينتفع أيضاً بالقرض كما في مسئلة السفتجة ولهذا كرهها من كرهها والصحيح انها لا تكره لان المنفعة لا تخص (١) المقرض بل ينتفعان بها جميعاً (٢). فالعلامة ابن القيم صرح فيه باشياء (الاول) من شبه القرض بالبيع فقد غلط فاذا كان تشبيهه بالبيع غير صحيح فكونه بيعاً أولى أن يكون غير صحيح (والثاني) أنه تبرع (والثالث) أنه ليس من باب المعاوضات (والرابع) أن المعاوضة أصلها أن يعطي شيئاً على وجه لا يعود إليه والقرض ليس على هذا الوجه ، فظهر بهذا تسامح ابن رشد حيث عد القرض من باب المعاوضات *

وثانياً بان جمهور (٣) الفقهاء يستدلون على حرمة منافع القرض بحديث سوار

---

(١) يوهم ظاهره ان المنفعة لو تخص المقرض لا تجوز ففيه انها كما تجوز فيما لم يخص المقرض كذا تجوز اذا خصت بالمقرض ومن فرق فلا بد عليه من فارق*

(٢) « ص ١٤٥ ج ١ »* (٣) وكذا العلامة البغوي والمفسر الصوفي الشهير بالخازن قد أخرجا حكم نفع القرض عن ربا البيع وأثبتا له حكماً من دليل لكنه غير دليل ربا البيع فتفريق الدليلين يدل على ان القرض عندهما أيضاً ليس ببيع *

المتروك (كل قرض جر منفعة فهو ربا) فلو كان القرض بيعاً لم يحتاجوا الى هذا الدليل الضعيف بل الطريق الواضح والحجة المستقيمة أن القرض بيع والزيادة في بيع الاموال الربوية ربا فاستدلا لهم بهذا الحديث الضعيف وعدولهم عن الصراط السوي دليل على أن القرض ليس ببيع ولو كان بيعاً عندهم ماتركوا هذا الدليل القوي والحجة المستقيمة وأيضاً يعلم من استدلالهم بهذا الحديث الضعيف انه ليس في هذا الباب حديث صحيح يحتج به وهو أحسن وأقوى من هذا كما مر بيانه

وثالثاً بأن العلامة الكاساني قد استدل على حرمة المنافع بدليلين الاول حديث سوار المتروك والثاني ان لهذا شبه بالربا حيث قال ـ واما الذي يرجع إلى نفس القرض فهو ان لايكون فيه جر منفعة فان كان لم يجز لما روي عن النبي ﷺ انه نهى عن قرض جر نفعاً ولان الزيادة المشروطة تشبه الربا لانه فضل لايقابله عوض والتحرز عن حقيقة الربا وعن شبهة الربا واجب [1] فان كان القرض بيعا فكان الفضل (أي نفعه) ربا حقيقة لاشبيها له *

وقد سلم بعض الاعلام لما شافهتهم في هذه المسئلة ان القرض المطلق ليس ببيع لكن اذا زيد فيه شرط النفع يصير بيعاً لانه حينئذ يفوت فيه كونه تبرعاً وصدقة فاذا يكون بيعاً واذا صار بيعاً يجري فيه جميع احكام بيع الاموال الربوية فيكون الفضل أيضاً ربا ، أما قولنا : فاذا يكون بيعاً فلان القرض معاوضة حقيقة لكن لكونه تبرعاً في الابتداء خرج عن حكم المعاوضات فاذا اشترط فيه النفع من أول الامر فلم يبق اذاً التبرع فيعود إلى حقيقته فيصير بيعاً لانه يصدق عليه اذاً أنه معاوضة ابتداءاً وانتهاءاً *

وفيه (أولا) انالانسلم أن يصدق عليه انه معاوضة إبتداء وانتهاء لانه لاعوض له في الحال كما مر عن ملك العلماء وقد اخرج ملك العلماء الهبة بالعوض عن البيع بدليل انها ليست بمعاوضة في الابتداء وإن كانت معاوضة في الانتهاء فهذا الدليل يجري ههنا أيضاً ويخرج القرض عن البيع بعين هذا الدليل قال : بدليل أن الملك فيها يقف على القبض وذلك من أحكام الهبة وانما تصير معاوضة في الانتهاء

(١) بدائع الصنائع «ص ٣٩٥ ج ٧»*

وهو لا يملك الهبة فلم تنعقد فلا يتصور أن تصير معاوضة بخلاف البيع [١]

(وثانياً) أن ملك العلماء قد ذكر : اما ركن البيع فهو مبادلة شيء مرغوب بشيء مرغوب اهـ وفي القرض الطلب والرغبة عن(؟) الطرفين مفقودان البتة فلا يمكن أن يوجد البيع عند فوات ركنه على أن في القرض يعطي المقرض ولا يريد ألا يعود اليه ما أعطى بخلاف البيع لان كلا منهما يريد وينوي أن لا يعود إليه ما خرج عن يده *

(وثالثاً) أن القرض وإن اشترط فيه الزيادة فلا يصير بيعاً أيضاً لامور (الاول) أن هذا الشرط خلاف مقتضي العقد لان مبنى القرض على التبرع واذا اشترط فيه الزيادة فاتت عنه كونه تبرعاً ومن الاصول ان الشرط اذا كان خلاف مقتضى العقد يفسده ولكن القرض من العقود التي لا تفسد بالشروط الفاسدة بل الشرط يصير ملغى والعقد صحيحا فاذا بقي القرض على صحته لم يصر بيعاً قال الشاه ولي الله رحمة الله عليه : وجائز نيست اقراض بشرط زيادة يارد صحيح عوض مكسر يا آنكه در شهر ديكر بدهد درين صورتها شرط لغوشود زيراكه عبد الله بن عمر بابطال شرط فرمودند نه ببطلان عقد [٢] قال شيخ الاسلام في الهداية : لان الشرط الفاسد في معنى الربا وهو يعمل في المعاوضات دون التبرعات (كتاب الهبة) قال الامام السرخسي في المبسوط : لو قال أقرضني عشرة دراهم بدينار فأعطاه عشرة دراهم بدينار فعليه مثلها ولا ينظر الى غلاء الدراهم ورخصها ، وكذلك كل ما يكال ويوزن ، فالحاصل هو انه المقبوض على وجه القرض مضمون بالمثل وكلما كان من ذوات الامثال يجوز فيه الاستقراض ، والقرض لا يتعلق بالجائز من الشروط فالفاسد من الشروط لا يبطله ولكن يلغو شرط رد شيء آخر فعليه أن يرد مثل المقبوض [٣] فهذا تصريح منه ان الشروط الفاسدة لا تبطل القرض بل يكون القرض باقياً على أصله وتبقى قرضيته ولا تزول أي لا ينقلب بالشروط الفاسدة الى البيع. وقال في موضع آخر : ولو استأجر منه ألف درهم أو مائة بدرهم أو ثوب لم يجز قال لانه ليس بإناء ويريد ألا ينتفع به مع بقاء عينه ومثله لا يكون محلا للاجارة وانما يرد عقد الاجارة على ما ينتفع به مع

(١) بدائع (ص١٥٣ ج٥) * (٢) مسوى ص ٣٥٧ ـ * (٣) (ص ٣٠ ج ١٤) *

بقاء عينه ، وقد بينا ان الاعارة في الدراهم والدنانير لا تتحقق ويكون ذلك قرضاً فكذلك الاجارة[1] فاذا لم تنقلب إجارة الدراهم والدنانير بشرط النفع الى البيع فالقرض أولى بل لاينقلب اليه وإن اشترط فيه النفع *

(والامر الثاني) ان الفقهاء يصرحون ان النفع المشروط في القرض شبيه بالربا فلو يستحيل القرض بشرط النفع الى البيع لصار هذا النفع ربا حقيقة لا شبيهاً به *

(والامر الثالث) لو صار القرض بشرط النفع بيعاً لكان بيع الصرف ، وبيع الصرف اذا لم يكن فيه تقابض البدلين في المجلس أو يكون فيه شرط الزيادة يفسد ويتعين النقد في الصرف اذا فسد بيع الصرف فلا تكون هذه الدراهم والدنانير ملكا للمستقرض فلا يكون الربح والمنفعة الحاصلة منه طيبا مع ان الفقهاء صرحوا بأنه طيب. في العالمكيرية: من استقرض من آخر ألفا على أن يعطي المقرض كل شهر عشرة دراهم وقبض الالف وربح فيها طاب له الربح[2] *

(والامر الرابع) ان القرض اذا اشترط فيه النفع يكون مكروهاً عند الفقهاء قال محمد رحمة الله عليه في كتاب الصرف ان أبا حنيفة رضي الله عنه كان يكره كل قرض جر منفعة قال الكرخي هذا اذا كانت المنفعة مشروطة في العقد بأن أقرض غلة ليرد عليه صحاحا أو ما أشبه ذلك فان لم تكن المنفعة مشروطة في العقد فأعطاه المستقرض أجود مما عليه فلا بأس به (عالمكيري) ـ وأخرج الزيلعي عن عطاء: كانوا يكرهون كل قرض جر منفعة اه فلو ينقلب القرض من شرط النفع الى البيع لكان نفعه حراما لكونه ربا لا مكروهاً لان المكروه غير الحرام ودليلاهما متغايران ، قال العيني : أجمع المسلمون على تحريم الربا وعلى انه من الكبائر[3] قال ابن الهمام وأحسن ماهنا عن الصحابة والسلف مارواه ابن أبي شيبة في مصنفه حدثنا خالد الاحمر عن حجاج عن عطاء قال كانوا يكرهون كل قرض جر منفعة[4] أي الصحابة يكرهون النفع المستحصل من القرض فهذا دليل على ان الصحابة أيضاً يفرقون بين النفع المستحصل من القرض وبين الربا حيث يجعلون الاول

---

(١) «ص٣٩ ج ٤ »* (٢)«٢٧٤ج٣»* (٣)عمدة القاري«ص٤٣٤ج ٥ »*
(٤) فتح القدير كتاب الحوالة *

مكروهاً والثاني حراما * هذا ومن ادعى ان القرض مطلقاً بيع أو بشرط النفع فلا بد عليه من البيان ودعوى البداهة في موضع الخلاف غير مسموعة * وقد ﴿ ظن بعضهم ﴾ ان بيع خمس روبابي بست روبابي يكون ربا بالاتفاق لكن اذا أقرض خمس روبابي بشرط أن يرد عليه ست روبابي كيف لايكون هذا ربا مع انه لا فرق بينهما إلا في اللفظ ؟ ﴿ ويزال ﴾ بأنه لا مجال للقياس فيما ورد به النص لأن الشارع عليه السلام[1] جعل الاول بيعاً وربا لا الثاني قال ابن قيم الجوزية وكذلك صورة القرض وبيع الدراهم بالدراهم الى أجل صورتهما واحدة وهذا قربة صحيحة وهذا معصية باطلة بالقصد[2] *

وكذا ﴿ ماظن ﴾ ان نفع القرض ربا حقيقة وداخل في نص القرآن وهو أمر بديهي لايحتاج الى البيان ﴿ مدفوع ﴾ بأنه لو كان أمراً بديهياً لايمكن أن يخفى على الائمة والفقهاء دخول هذا النفع في نص القرآن ولم يحتاجوا الى الاستدلال عليه بالحديث الضعيف تارة وبالقياس على ربا البيع تارة وبالقياس على ربا الجاهلية مرة وبالآثار حيناً. وكذلك مايختارون في حده ومسائله يعارض هذه الدعوى فهذا كله دليل على انه ليس بمندرج في نص القرآن عندهم ويؤيده أيضاً عدم ورود النقل عن واحد من الائمة بأن هذا النفع هو ربا منصوص *

وهذا المسلك أعني ان آية الربا مجملة هو ماعليه الائمة المجتهدون والفقهاء المحققون لكن في الآية مسلك آخر وهو ان الآية ليست بمجملة حتى تحتاج الى التفسير بل هي مفصلة واللام في الربا للعهد وأشير بها الى ماهو المتعارف عند نزول القرآن بينهم أي ربا الجاهلية

وفي هذا المسلك (أولا) انه لم يتبين الى الآن بسند صحيح مرفوع ربا الجاهلية في أي شيء كان فهو مجهول ولعل هذا وجه عدول الائمة والمحققين عن هذا المسلك . نعم آثار التابعين تدل على تعيين ربا الجاهلية فبعضها يدل على انه كان في البيع كما روى الطبري عن

(١) مثاله كمن باع خمس روبابي بخمس روبابي لسيئة لا يجوز بخلاف من اقرض خمس روبابي ليعيدها بعد أيام فالاول بيع وفيه ربا وهو حرام ومعصية والثاني ليس ببيع وليس فيه ربا بل هو قربة وصدقة * (٢) اعلام « ص ٥٣ ج ٢ »*

بشر عن يزيدعن سعيد عن قتادة[1] ان ربا أهل الجاهلية أن يبيع الرجل البيع الى أجل مسمى فاذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاد وأخر عنه فقال جل ثناؤه (الذين يأكلون) الخ قال السيوطي في الدر المنثور أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد[2] قال كانوا يتبايعون الى أجل فاذا حل الأجل زادوا عليهم وزادوا في الاجل فنزلت (ياأيها الذين) الخ وفيه أيضاً أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن[3] الضحاك في قوله تعالى (اتقوا الله وذروا مابقي من الربا) قال كان رباً يتبايعون به في الجاهلية فلما أسلموا أمروا أن يأخذوا رءوس أموالهم اهـ قال ابن جرير سمعت الضحاك يقول في قوله (فنظرة الى ميسرة) هذا في شأن الربا وكان أهل الجاهلية بها يتبايعون فلما أسلم من أسلم منهم أمروا أن يأخذوا رءوس أموالهم . قال الامام الشافعي في تفسير أخذ رءوس الاموال إنه يكون فسخاً للبيع الذي وقع على الربا[4] وقال الزرقاني في شرح الموطأ وهو أيضاً يشبه حديث زيد بن أسلم[5] في بيع أهل الجاهلية انهم كانوا اذا حلت ديونهم قالوا للذي عليه الدين إما أن تقضي وإما أن تربي فان قضى أخذوا وإلا زادوهم في

---

(١) قال احمد قتادة أعلم بالتفسير وباختلاف العلماء وأحفظ اهل البصرة ووصفه بالحفظ والفقه وأطنب وقال قل من تجد أن تقدمه قال الثوري أو كان في الدنيا مثل قتادة قال الذهبي مع حفظ قتادة وعلمه كان رأساً في العربيـة واللغة وأيام العرب والنسب * (٢) الامام المكي المقري المفسر الحافظ لزم ابن عباس مدة وقرأ عليه القرآن وكان أحد أوعية العلم قال عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قال قتادة وخصيف: أعلمهم بالتفسير مجاهد وقال ابن جريج لان أكون أسمع من مجاهد أحب إلي من أهلي ومالي قال مجاهد ربما أخذ لي ابن عمر بالركاب * (٣) قال سفيان خذوا التفسير عن أربعة عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك « إتقان » قال الذهبي لولا تأخر موته لذكر مع وكيع بل مع ابن المبارك روى عنه البخاري وخلق ولنبله وعقله يلقب بالنبيل قال ابن شبة والله مارأيت مثله * (٤) كتاب المعرفة للبيهقي باب الربا ـ قلمي * (٥) الفقيه المدني كان له حلقة للعلم بمسجد النبي ﷺ *

حقوقهم وزادوهم في الاجل ، وقال السيوطي في الدر المنثور عن سعيد[١] بن جبير يعني الذين نزل فيهم أنهم (قالوا إنما البيع مثل الربا) كان الرجل إذا حل ماله على صاحبه يقول المطلوب للطالب زدني في الاجل وأزيدك على مالك فاذا فعل ذلك قيل لهم هذا ربا قالوا سواء علينا إن زدنا في أول البيع او عند محل المال فهما سواء اه في قوله قالوا سواء علينا إن زدنا في أول البيع او عند محل المال دليل على ان المراد بالمال ههنا هو ثمن المبيع وإلا كان الجواب منهم: سواء علينا اشتراط الزيادة في أول العقد اوعند محل المال . في الفتح : ان ربا أهل الجاهلية يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمى فاذا حل الاجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاد وأخرعنه*

و (أما ماقال) الجصاص الرازي الحنفي : والربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة ما استقرض على ما يتراضون به ولم يكونوا[٢] يعرفون البيع بالنقد ومتفاضلا إذا كان من جنس واحد هذا ما كان المتعارف المشهور بينهم اه وقال أيضاً فأبطل الله تعالى الربا الذي كانوا يتعاملون به وأبطل ضروبا أخر[٣] من البياعات وسماها ربا اه وقال أيضاً انه معلوم ان ربا الجاهلية انما كان قرضاً مؤجلا بزيادة مشروطة اه وقال أيضاً فمن الربا ماهو بيع ومنه ماليس ببيع وهو ربا اهل الجاهلية وهو القرض المشروط فيه الأجل وزيادة مال على المستقرض[٤] (فلم يرد بها أثر) ولا دليل عليه بل في

---

(١) الفقيه الكوفي المقري احد الاعلام إذا حج اهل الكوفة وسألوه يقول أليس فيكم سعيد بن جبير؟ ويقال له جهبذ العلماء قال ميمون مات سعيد بن جبير وما على الارض الا وهو محتاج الى علمه قال قتادة كان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير *

(٢) هذه قرينة على أن المراد بالقرض ههنا هو الدين لا القرض الذي يوجد من غير بيع لان الدراهم المثمنة في بيع النسيئة دين على ذمة المشترين وليست بقرض وكذلك التأجيل قرينة على ذلك كما سيأتي

(٣) علم منه ان ههنا أنواعا باطلة من البيوع فكونه بيعا قرينة على ان المراد بالدراهم هي الدراهم المثمنة وبالقرض الدين

(٤) (أحكام القرآن ج ١ ص ٤٦٤ الى ٤٦٩)

قول هذا الامام مايخالفه وهو دليل على أن المراد بالقرض هو الثمن المؤجل

وخالفه المفسرون أيضا ـ صراحة ـ كما قال ابن العربي المالكي — اختلفوا هل هي عامة في كل تحريم ربا او مجملة لا بيان لها إلا من غيرها؟ والصحيح انها عامة لأنهم كانوا يتبايعون ويربون وكان الربا عندهم معروفا يبايع الرجل الرجل إلى أجل فاذا حل الاجل قال أتقضي أم تربي؟ يعني أم تزيدني على مالي عليك واصبر أجلا آخر؟ اه ثم أتى بأدلة على هذا المدعى ثم قال ـ وتبين ان معنى الآية وأحل الله البيع المطلق الذي فيه العوض على صحة القصد والعمل وحرم منه ماوقع على وجه الباطل وقد كانت الجاهلية تفعله كما تقدم فتزيد زيادة لم يقابلها عوض وكانت تقول انما البيع مثل الربا أي انما الزيادة عند حلول الاجل آخراً مثل أصل الثمن في أول العقد فرد الله تعالى قولهم وحرم ما اعتقدوه حلالا عليهم (أحكام القرآن)

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى (لا تأكلوا الربا) قال ابن عطية ولا أحفظ في ذلك شيئاً قلت قال مجاهد كانوا يبيعون البيع الى أجل فاذا حل الاجل زادوا في الثمن على أن يؤخروا فأنزل الله عز وجل (لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) أحكام القرآن) و — دلالة — كما نقل عن حبر الأمة وسيد المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى (قالوا انما البيع مثل الربا) الزيادة في آخر البيع بعد ماحل الاجل كالزيادة في أول البيع اذا بعت بالنسيئة (وأحل الله البيع) الزيادة الاولى (وحرم الربا) الزيادة الاخيرة ، قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني في درج الدرر (قالوا انما البيع مثل الربا) قاسوا ان الزيادة في آخر العقد كهي في أول العقد ، قال الواحدي في تفسيره الوجيز (انما البيع) وهو ان المشركين قاسوا ان الزيادة على رأس المال بعد محل الدين كالزيادة في الربح

وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى (لا تأكلوا الربا) قال المفسرون هو أنهم كانوا يزيدون على المال ويؤخرون الاجل كلما أخر عن أجل الى غيره زيد زيادة قال مجاهد يعني ربا الجاهلية[1] وقال في تفسير (انما البيع) وذلك ان المشركين

(١) (حاوي مجمع البيان قلمي ص ١٥٩)

قاسوا الزيادة على رأس المال بعد محل الدين كالزيادة في الربح في أول البيع اهـ
وفي فتح البيان : أي انما البيع بلا زيادة عند حلول الأجل كالبيع بزيادة عند حلوله فان العرب لاتعرف ربا إلا ذلك [1] وفي نيل المرام: ومعنى الآية أن الله أحل البيع وحرم نوعا من أنواعه وهو البيع المشتمل على الربا اهـ قال العلامة الطحاوي في شرح معاني الآثار تحت تفسير حديث « انما الربا في النسيئة » إن ذلك الربا انما عنى به القرآن الذي كان أصله في النسيئة وذلك ان الرجل كان يكون له على صاحبه الدين فيقول له أجلني منه الى كذا وكذا درهماً أزيدكها في دينك اهـ فالعلامة الطحاوي يقول ان اللام في الربا الذي رواه أسامة في الحديث للعهد والمراد به ربا القرآن فعنده هذا الحديث لايحمل على العموم بل أخرج مخرج التفسير في تفسير ربا القرآن الذي كان أصله في النسيئة وقد عرفت ان النسيئة لاتكون إلا في البيع وهو الثمن المؤجل فتعيين العلامة الطحاوي ربا الجاهلية بربا البيع موافق للتفسير الذي أثر عن ابن عباس في الربا انه زيادة في آخر البيع بعد ماحل الاجل اذا بيع نسيئة

* * *

وبعض الآثار تدل على ان ربا الجاهلية كان في دين مؤجل وحق الى أجل وجميع هذه الآثار متفق على انه كان في دين مؤجل والدين المؤجل ليس بقرض لغة قال الامام الرازي في تفسيره قال اهل اللغة القرض غير الدين لان القرض أن يقرض الانسان دراهم أو دنانير أو حباً اوتمراً وما أشبه ذلك ولا يجوز فيه الاجل والدين يجوز فيه الاجل اهـ ثم قال والقول الثاني انه (أي الدين) القرض هو ضعيف لما بينا ان القرض لايمكن فيه أن يشترط فيه الاجل والدين المذكور قد اشترط فيه الاجل وفي المغرب هو (القرض) مال يقطعه الرجل من امواله فيعطيه عيناً فأما الحق الذي يثبت له ديناً فليس بقرض .وفي الكليات لأبي البقاء والدين بالفتح عبارة عن مال حكمي يحدث في الذمة ببيع أو استهلاك أو غيرهما وايفاؤه واستيفاؤه لايكون إلا بطريق المقاصة عند أبي حنيفة والدين ماله أجل

(١) (ص ٣٣٦ ج - ١)

والقرض مالا أجل له اه ثم أورد ماقال صاحب المغرب وقال : وهو المعول عليه اه (تحت لفظ الدين) وقال وأما اطلاق لفظ الاداء والقضاء على الدين فليس لاتحاد معناهما بل باعتبار ان له شبهاً بتسليم العين وشبهاً بتسليم المثل اه (تحت لفظ الرد) فشرط الاجل مناف لحقيقة القرض فالقرض لايندرج في الدين المؤجل فلا يجوز ان يراد بالدين القرض اذا كان فيه أجل وأما ماذكر الراغب الاصفهاني وابن الاثير ووجيه الدين التهانوي انه يشمل القرض ففيه أولا انه خلاف التحقيق ومع هذا لايدل على ان الدين المؤجل أيضاً يشمل القرض

والحجة القوية على ان المراد في كلام الذين ذكروا في تفسير ربا الجاهلية لفظ الدين مطلقا هو الثمن المؤجل هي ان شراح قولهم قد فسروه به قال البيهقي: قال الشافعي وكان من ربا الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل الدين فيحل الدين فيقول له صاحب الدين أتقضي أم تربي ؟ فان أخره زاد عليه وأخره ثم نقل في توضيحه ثانياً (قال الشافعي وأحمد) وهذا فيما رواه مالك بن أنس في الموطأ عن زيد بن أسلم انه قال كان ربا الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل الحق الى أجل فاذا حل الحق قال له غريمه أتقضي أم تربي ؟ فان قضاه أخذ وإلا زاده في حقه وأخر عنه في الاجل (قال الشافعي) فلما رد الناس الى رءوس أموالهم كان ذلك فسخاً للبيع الذي وقع على الربا[1]

ظهر من كلام الشافعي أمران : الاول ان ربا الجاهلية كان في البيع والثاني ان المراد برأس المال الذي ورد في القرآن هو الثمن الذي جعل في ابتداء البيع وكذا المراد من حق الى أجل هو الثمن المؤجل وكذا العلامة الزرقاني أتى برواية زيد بن أسلم في البيع حيث قال وهو أيضاً يشبه حديث زيد بن أسلم في بيع أهل الجاهلية: انهم كانوا اذا حلت ديونهم قالوا للذي عليه الدين إما أن تقضي وإما أن تربي فان قضى أخذوا وإلا زادوهم في حقوقهم وزادوهم في الاجل اه

وأما ﴿ ماقال الامام الرازي ﴾ وتبعه النيسابوري: أما ربا النسيئة فهو الامر الذي كان مشهوراً متعارفا في الجاهلية وذلك انهم كانوا يدفعون المال على أن

---

(١) كتاب المعرفة باب الربا

يأخذوا كل شهر قدراً معيناً ويكون رأس المال باقياً ثم اذا حل الدين طالبوا المديون برأس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل فهذا هو الربا الذي يتعاملون به اه — فلا ثبوت له من النقل وهو أيضاً خلاف ماصرح به نفسه من ان الآية مجملة والدين غير القرض — هذا

فان سئل عن حكم النفع المشروط في القرض شرعا عند الفقهاء يجاب ان نفع القرض مكروه كما قال عطاء كانوا يكرهون كل قرض جر منفعة وكما نقل الامام محمد رحمه الله في العالمكيرية بلفظ قال محمد (رح) في كتاب الصرف ان أبا حنيفة (رح) كان يكره كل قرض جر منفعة قال الكرخي هذا اذا كانت المنفعة مشروطة في العقد بأن أقرض غلة ليرد عليها صحاحا أو ما أشبه[1] ذلك فان لم تكن المنفعة مشروطة في العقد فأعطاه القرض أجود مما عليه فلا بأس به اه

واستدل[2] عليه بوجوه: الاول قياسه على الربا المنصوص والمقيس عليه عند البعض الربا الذي يكون في بيع الشيء بجنسه متفاضلا والامر المشترك المبادلة وهو كما يكون في البيع يكون أيضاً في القرض فكما يكون هذا الفضل في البيع ربا يكون في القرض أيضاً ربا كما صرح به ملك العلماء الكاساني وعند البعض المقيس عليه ربا الجاهلية والامر المشترك الزيادة في مقابلة الاجل لان في ربا الجاهلية كما تكون الزيادة بمقابلة الاجل اذا لم يقض الثمن عند حلول الاجل كذا في القرض كما صرح به ابن رشد وفيه نظر وهو ان القياس لا يصح للفرق بين المقيس والمقيس عليه أما في الاول فلان القرض ليس فيه مبادلة أصلا عند الشارع فكيف يصح هذا القياس مع هذا الفارق؟ وأما في الثاني فلأن الزيادة في الجاهلية كانت بعد حلول الاجل لا في ابتداء العقد والكلام في الزيادة التي تكون من أول العقد وليس هذا من ذاك

(١) أي بأن رد زائدا على القدر المدفوع

(٢) ولا يجوز ان يستدل على حرمة نفع القرض بأنه حرم في التوراة وشرائع من قبلنا حجة عند الحنفية لانها حجة بشرط النقل في شرعنا وعدم الرد عليها وهو لم ينقل في شرعنا فلا حجة فيه

(والثاني) حديث[1] «كل قرض جر منفعة» وهو وإن كان ضعيفاً غير صالح لثبوت الربوية لكن أدناه أن تثبت به الكراهة *

(والثالث) قال النبي ﷺ «القرض صدقة» وقال ابن عمر السلف على ثلاثة أوجه : سلف تريد به وجه الله فلك وجه الله - وفي المدونة - قال ابن وهب عن رجال من أهل العلم عن ابن شهاب وأبي الزناد وغير واحد من أهل العلم ان السلف معروف أجره على الله فلا ينبغي لك أن تأخذ من صاحبك في سلف أسلفته شيئاً ولا تشترط إلا الاداء - فعلى هذا أي اذا كان القرض عبادة وصدقة فحكم الاستئجار والاستنفاع عليه كحكم الاستئجار على الصدقات والعبادات كالاستئجار على تعليم القرآن وتعليم الفقه والحديث والاستئجار على قرآن التراويح والاستئجار على سائر أمور الدين من الوعظ والتذكير والافتاء وخدمة المدارس الدينية والأذان والامامة وغيرها وعلم الصواب عند الله *

* * *

﴿ ما قولكم أيها العلماء الكرام في أجوبة الاسئلة المذكورة ؟ ﴾

﴿ هل هي صحيحة أم لا ؟ بينوا ونوروا قولكم بالدليل ﴾

﴿ الأسئلة ﴾

(١) لفظ الربا في آية (أحل الله البيع وحرم الربا) مجمل أم لا ؟ سيما عند الاحناف وعلى الاجمال ما التفسير الذي ورد عن الشارع ؟ أعني في القرآن والحديث الصحيح *

(٢) بينوا معنى الربا عن القرآن والاحاديث الصحيحة ؟

(٣) النفع المعين المشروط في القرض ربا منصوص أم لا ؟

(٤) النفع المشروط في القرض لو قيل هو ربا فما الدليل عليه من الادلة المعتبرة عند الفقهاء الكرام ؟ *

---

(١) وأثر عبدالله بن سلام مضطرب ومعلول كما مر تفصيله وأما الآثار الأخر فضعاف كلها وبعضها مع ضعفه لا يدل على كون المنافع ربا والكلام في حجية الآثار مشهور لا سيما اذا كان مدركها القياس واما اتيانها موضع تفسير إجمال القرآن فلم يقل به أحد .

﴿ الاجوبة ﴾

هو المصوب

(١) الربا المذكور مجمل عند الأحناف وغيرهم من الائمة حتى يصح أن يقال اتفقت عليه الأمة وحديث عبادة وغيره تفسير له عند الجمهور (انظروا ص٢٧٤-٢٧٨ ج٤ المنار)

(٢) الربا هو الفضل الخالي عن العوض [1] في البيع (مبسوط - عناية شرح هداية - انظروا ص ٢٨١ و ٢٨٢ منه) والدليل على هذا المعنى مارواه عبادة وغيره «الحنطة بالحنطة» الخ (انظروا ص ٢٧٨ و٢٧٩ منه)

وعلى هذا المعنى تدل أيضاً (آية واحل الله البيع وحرم الربا) لان على تقدير اجمال الربا وكون الحديث تفسيراً لها لا يكون ربا القرآن غير ربا السنة فربا القرآن عين ماثبت كونه ربا بالحديث (انظروا ص ٢٨٢ منه)

(٣) النفع المشروط في القرض ليس هو ربا منصوصاً لعدم ثبوته من القرآن ومن حديث صحيح (انظروا ص ٢٨٣ الى ص ٢٩١ منه)

(٤) النفع المشروط في القرض لما لم يثبت كونه رباً بالقرآن والحديث استدل على كونه ربا تارة بالقياس (انظروا ص ٤٣٦ ج٦ منه) وتارة بحديث «كل قرض جر منفعة» وفي كليهما نظر أما في الاول فلانه قياس مع الفارق (انظروا ص٤٣٧) فلا يصح وأما في الثاني فلانه ليس بصحيح بل هو ضعيف فغير صالح للاحتجاج ولو سلم صحة القياس ففيه ان الاحكام القياسية [2] تقبل التغير بتغير الازمان كما هو ثابت في

---

(١) زاد الفقهاء في تعريفه قيد المشروط لكن ينبغي تركه كما مر

(٢) في مجلة الاحكام - لاينكر تغير الاحكام بتغير الازمان - وفي شرحه كغلق باب المسجد في غير وقت الصلاة يجوز في زماننا صيانة عن السرقة - قال ابن عابدين في رد المحتار وأنت خبير بان اكثر الاحكام تغيرت لتغير الازمان (كتاب الصوم ج ٢ ص ١٤٧) وقال في نشر العرف - فكثير من الاحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله او لحدوث ضرورة أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولا للزم منه المشقة والضرر بالناس ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد لبقاء العالم على أتم نظام

موضعه ومن كان له وقوف على حال هذا الزمان وخبرة بأهله فلامحيص له بدون أن يفتي بجوازه كما في الاستئجار على تعليم [1] القرآن والأذان والامامة وغيرها والاستدلال عليه بالتعامل والتوارث عن السلف ففيه أن التعامل مبني على القياس لا على غيره من الادلة ومن ادعى فعليه البيان والله أعلم بالصواب المستفتي

(تكملة)

لما تنبه الشيخ سناء الله رحمه الله على أن نفع القرض المشروط لا يدخل في الربا المحرم بالنص على المسلكين فقال مخالفاً لما عليه الجمهور : إن المراد بالربا معناه اللغوي وهو الزيادة وهي عبارة عن فضل يعلو على المماثلة والمساواة [2] فأوجب تعالى في المبايعة والمقارضة المماثلة والمساواة فالمعتبر فيها المماثلة بالاجزاء كيلا أو وزناً إن اتحد جنس البدلين وكانا من ذوات الامثال وعند اختلاف الجنس تكفي المماثلة المعنوية وهي القيمة وجعلت القيمة مماثلة للبدل لأن مالكي البدلين رضيا عليه عند المبادلة فيصير كل من البدلين مثلا لمجموع [3] البدل الآخر باصطلاحهما انتهى ملخصا عن عبارته الشريفة في التفسير المظهري ويختلج في صدري أنه على هذا لايجوز للمشتري أن يبيع مااشتراه بأكثر من الثمن الذي اشتراه به لأنه الفضل لغة مع أنه جائز باتفاق الأمة وعند الشيخ أيضا .

وأحسن إحكام (ص ١٢٥ رسائل ابن عابدين ج ٢) وأيضا وقد أسمعناك ما فيه الكفاية من اعتبار العرف والزمان واختلاف الاحكام باختلافه (١٢٨) ونقل في هذه الرسالة أن العلامة شمس الأئمة نقل عن الامام الفضلي في نزع الناس عن عاداتهم حرج ثم قال ولقد صدق الفضلي في قوله ولهم في ذلك عادة ظاهرة وفي نزع الناس عن عادتهم حرج فهو نظرا الى أن ذلك غير ممكن عادة فأثبت الضرورة وقال إن المستحيل العادى لاحكم له وان أمكن عقلا ١٤٠

(١) مع أن حرمة الاستئجار في البعض منصوصة ولكن بحسب حاجة الناس أفتى الفقهاء الكرام بجوازه فعلى هذا النفع المشروط في القرض أولى بأن يفتى بجوازه لأنه ليس منصوصاً عليه بالحرمة (إذ الناس ناس والزمان زمان) (٢) قد مر أن المماثلة لاتوجد في القرض لانه ليس فيه وجود الطرفين (٣) فيه أن القرض ليس فيه المبادلة عند الشرع وهذا الشيخ أيضا أقام عليه الادلة ثم قال: أعطى الشرع لمثله حكم عينه (تفسير مظهري)

« انتهى الاستفتاء وسنبين رأينا فيه في الجزء الآتي »

ملاحظات على كتاب المسيو درمانغام

﴿ المعنون بحياة محمد ﴾

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

مقدمة وتمهيد

حياة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: اشترك في درسها الكتاب والفلاسفة والمؤرخون ورواة الاخبار منذ ماينيف على العشرة قرون وإن منهم إلا من بخسه حقه، وقصر عن وصف نقطة من بحر مزاياه، ومع هذا فلا لوم عليهم ولاعتاب مهما تفاوتت مداركهم، واختلفت أساليبهم، وتباينت مذاهبهم ومللهم، لانه عظيم بل أعظم من أظلته السماء، ولا ترتقبوا مني دليلا على ما أدعي فاني أقصر باعا ممن تقدمني لهذا الباب، والقصور لا يمنع من ابتلي به عن إدراك النقص فيما يرى أو يسمع، فها أنت ذا تأخذ على ممثل التصنع في القول أو تعيب عليه الخفة في الحركات ولكنك لا تستطيع أن تأتي بأحسن من صنعه. وهذا مثل واضح ضربته حتى تعلم انه ليس من شروط المنتقد ان يكون أعلم ممن تصدى لانتقاده أو — على الاقل — في درجته، فاذا فهمته حق فهمه علمت انني لا أدعي تفوقا اوعلماً وانما ألاحظ أن خزائن الكتب العربية خالية من تأليف يحتوي على درس دقيق لحياة سيدنا محمد ﷺ وليس كل ما كتب إلى الآن في هذا الموضوع الا بمثابة مواد يجب على طائفة من العلماء أن يحللوها ثم يرتبوها ويبوبوها بعد أن يضيفوا إليها ماغفل عنه المتقدمون وعند ذلك يضعون بين يدي الخاص والعام أحسن تعريف بذلك النبي العظيم الذي لم يأت التاريخ بمثله

فهو الرسول الوحيد الذي استطاع أن يأتي أمته في ظرف عشرين سنة بخير دنياها وسعادة أخراها. شرع لها العبادات ـ سن لها قوانين الزواج والطلاق والارث ـ شرح لها طرق الكسب والمعاش — أشرع لها منهج المعاملات علمها سياسة البلاد — قرر لها أنواع الاحكام — بين لها آداب الأكل واللبس والزيارة — زرع في قلوب أهلها الرأفة والشفقة — وحد صفوفهم ـ حرم عليهم مافيه مضرتهم. على حين كان مشتغلا بحاجات بيته الطاهر

ناشراً لدعوته الصادقة محاربا للمشركين الذين كانوا يكيدون له الكيد ليل نهار.

أرجو أن يسمع علماء المسلمين ندائي على خمول مصدره فيصنفوا لنا كتابا تستنير به بصائر الجاهلين وترتاح اليه قلوب الحائرين، ويزيد المهتدين إيمانا مع إيمانهم.

بمثل هذا الكتاب ينقطع سيل الحملة التي ارسلتها الكنيسة على الملة الاسلامية بان قلدت الجيوش من الدجالين أمضى ما لديها من الاسلحة وأوعزت اليهم أن ينالوا من الديانة الاسلامية ما استطاعوا حتى تبطئ في السير أو ترجع القهقرى.

أنا مستيقن وأنتم معي -معشر المسلمين- بانهم لن يصيبوا منها شيئا لان الله يأبى الا أن يظهرها على الدين كله بالرغم من المعاند والملبس، ومع هذا يجب علينا - وخصوصا العلماء منا - أن نعارض خطة الكنيسة في هذا الصدد وان لا نغفل عن جماعة المفسدين الضالين الذين يريدون أن يزعزعوا بسطاء العقول والجهلة ويزيغوهم عن معتقداتهم ثم يقودوهم الى النصرانية.

فالتدارك التدارك قبل أن يتسرب الخراب إلى الطائفة المحمدية لأن خصومنا لا يذرون طريقاً مستقيمة ولا معوجة الاسلكوها، ولا تركن إلى مايدعونه من اللادينية والتسامح والاخلاص للعلم وغير ذلك من زخرف القول وخادع الالفاظ، فما فرط في دينهم اليوم الا المسلمون، وما جاوز حدود التسامح إلا هم، فلو أنهم أقاموا شعائره واتبعوا أوامره لما تجاسر أحد أن ينسب إليه الجمود. بل أن يطعن فيه وفي صاحبه عليه الصلاة والسلام فيدعي ان القرآن المرسوم في المصاحف غير القرآن المنزل من السماء وأن سيدنا محمدا ﷺ كان يأخذ عن اليهود والنصارى.

نعم ذلك ماجاء في كتاب ظهر منذ عام باللغة الافرنسية بعنوان «حياة محمد» ﷺ وقد سبقني إلى انتقاده صديقي أحمد بلافريج حيث نشر عنه في العدد ١٤٦ من مجلة الفتح الغراء كلمة لاحظ فيها على المؤلف — مسيو درمانغام (M. E. Dermenghem) خطأين عظيمين ثم بين كلا منهما وناقش مرتكبهما الحساب وبذلك أدى واجبه نحو الامة الاسلامية فجزاه ربنا خيراً

وأنا أريد ان اقتفي أثره وأعرض على قراء المنار الكرام مابدا لي من الملاحظات عند تلاوة «حياة محمد» ﷺ

اقتنيت هذا المؤلف وأملي أن اجد فيه مالم أقف عليه في غيره من الكتب لما عرف به أدباء الغرب اليوم من البحث والتنقيب . فلم يخب ظني إذ عثرت فيه حقيقة على آراء هي – في نظر المؤلف – أنفس من أن تسكن بطون كتبنا القديمة وقد أشرت إلى البعض منها آنفا وبقي علي أن أنقل إلى القارئ كلام المسيو درمانغام فيها ثم أعلق عليه ماخطر لي من الافكار عند تلاوته وسأقتصر في انتقادي على نقطتين بارزتين في الكتاب ولو أردت أن أبين كل ما احتوى عليه من الزلات كبائرها وصغائرها لما اكتفيت بضعف صحائفه وليس ذلك من المتيسر لي

***

قال في صفحة ١٣٥ عند كلامه على كتاب الله العزيز « القرآن أقرب إلى المسيحية من السنة على ماهو عليه الآن . وأما اذا اعتبرنا كيفية تدوينه فيمكننا أن نتساءل هل كان أصله (كذا) يزيد شبهاً بها من الفرقان الموجود الآن ؟ وعلى كل حال فالحديث هو الذي حفر هوة بين الديانتين »

ثم خط على صفحة ٢٧٦ مامعناه « غير صعب على عقولنا وهي أشد معرفة بافعال الله من معاصري النبي (عليه السلام) ومن علماء المسلمين [1] أن نؤمن بوجود فرق بين كلام الله القديم وبين الفرقان المحفوظ في الصدور المرسوم على الاوراق وقد يظهر ذلك الفرق بعد الدرس والتفكير وربما برز عند مجرد النظر »

ثم كتب على صفحة ٢٨٣ « لم يدون القرآن إلا بعد نزوله بمدة وقد ضعفت عندئذ ذاكرة القوم وكثر بينهم الخلاف فيه و كان ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة »

وقال في الصفحة التي بعدها « بأية وسيلة يمكننا ان نتوصل إلى معرفة

---

(١) المنار: وغير صعب على عقول المسلمين أن يؤمنوا بأن هذا الكاتب وأمثاله ون ويقولون في القرآن والحديث مالا يعلمون ومالا يعتقدون لتشكيك المسلمين واضعاف دينهم ليخضعوا لهم ويقبلوا ظلمهم، فان بناء سياستهم على الكذب والخداع مر مشهور يعرفه حتى الرعاع . ودعواه انهم أعلم بأفعال الله تعالى من معاصري محمد (ص) غرور باطل ودعوى لا تقوم عليها بينة ، ثم أجهل الخلق بأفعال الله

الشروح والتاويلات التي أدرجت في القرآن وما هي نسبتها منه ؟ ترى هل هو مجرد عن الحديث النبوي ؟ »

تلك آراء المسيو درمانغام في القرآن الكريم وإلى هذا الحد وصل سوء ظنه بالصحابة الاجلاء الذين يابى حتى البليد أن يتهمهم بتحريف أو تزوير في كتاب الله(١) لما عرفوا به من الاخلاص لهذا الدين الحنيف والاعتصام بحبله والاعتناء بقانونه ودستوره الذي هو القرآن العزيز . لاشك انه لاينكر هذا كما انه لاينازع في قوة الحافظة عند العرب لرواية أخبارهم وأشعارهم مع الغريب من ألفاظها والمعقد من معانيها . فكيف وما ذكرت يجوز في حقهم نسيان آيات من كتاب نزل عليهم من عند الله واستولى على حواسهم بفصاحته وسلاسة معانيه وعذوبة ألفاظه وصدق روايته ؟ وكيف ننسب اليهم زيادة أو نقصاً فيه وهم يعلمون أن من بدل منه حرفا يصلى سعيراً ؟ عار على المفكر أن يرميهم بشيء من ذلك لمجرد شكوك ساورت عقله أو شبه ضعيفة تراءت لخياله .

على أنهم كانوا رضي الله عنهم يكتبون القرآن عند نزوله إما من تلقاء أنفسهم وإما بأمر صاحب الشريعة ﷺ . وقد جمعه كثير منهم إلا أن ثلاثة مصاحف هي التى اختصت وقتئذ بالثقة . منها: مصحف سيدنا زيد بن ثابت، وقد كان عرضه على النبي ﷺ في أواخر حياته ووافق عليه ، وزيد هذا هو الذي كلف من لدن سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه أيام خلافته بكتب المصحف. وبقي ذلك المصحف عند أبي بكر حتى مات رحمه الله ثم انتقل إلى سيدنا عمر رضي الله عنه حتى توفي فبقي عند ابنته أم المؤمنين حفصة إلى أن طلبه منها سيدنا عثمان رضي الله عنه ثم أمر زمرة من الصحابه الاعلام أن ياخذوا منه عدة نسخ ليفرقها في أنحاء المملكة

«١» المنار : لاشك أن هذا الرجل سيىء النية متعمد للكذب لتشكيك قراء كتابه من عوام المسلمين فما كتبه تقولات لا آراء ، أملاها الجهل وقلة الحياء ، وأي جهل ووقاحة أشد من دعوى من يزعم أن القرآن كتب بعد انتهاء مدة الخلفاء الراشدين ويزيد ومعاوية الاصغر ومروان - أي في عهد عبد الملك و٤ من بني أمية أي في عهد عبدالملك بن مروان فهل كان المسلمون في هذه المدة بغير قرآن؟؟

وكل ذلك مبسوط في محله وإنما أوردته لأبين للمسيو درمانغام ان القرآن جمع أول مرة بعد ممات النبي عليه السلام بنحو سنتين وثانياً بعده بما دون العشرين، وأما حديث السبعين عاما فلم يقله إلا هو وله أن يراجع التاريخ الاسلامي ليتأكد لديه صحة ماذكرت . وعليه أن يدرس حياة سادتنا أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم ليعلم أنه يستحيل في حقهم أي تحريف او تبديل في القرآن . أليس عمر هو الذي كاد يقضي على اعرابي سمعه يتلو آيات بقراءة مخالفة لما أخذه هو عن رسول الله ؟ - بلى هو ذاك الفاروق الذي لو روى لنا القرآن وحده لما ارتبنا في صحته لأننا لا ننقاد لسلطان الخيال وندع نور الحق جانبا، ولا ننا لا نعقل وجود « فرق بين كلام الله القديم وبين القرآن المحفوظ في الصدور »

ولكننا نعلم ان في نفس المسيو درمانغام حاجات يحول دون الوصول اليها القرآن . وقد حسب انه ينال مقصوده بالتكلم في الذكر الحكيم والطعن في خاتم المرسلين . وما غايته إلا تقريب الديانة الاسلامية من الملة المسيحية حتى يسهل على أصحاب الاولى أن يمروا إلى الثانية لانه من المخلصين لها (دينا او سياسة) . فكأنه يقول : الاسلام فرع من النصرانية وقد كان القرآن « الاصلي » أقرب اليها من الفرقان الموجود الآن ، وإنما بعد عنها بتحريف من الصحابة والفقهاء ، فالاوفق والانسب الرجوع إلى الاصل[1]

وهذه مكيدة من سياسة الكنيسة اليوم في التبشير فقد أمرت خدامها أن لا يصادموا المسلم باديء بدء بدعوته إلى النصرانية بل أن يقوضوا دعائم الاسلام واحدة فواحدة ويشككوا بسطاء العقول من أهله في معتقداتهم حتى إذا مابقوا حيارى ومرت بهم قافلة أخرى من المبشرين ساقتهم معها إلى الصليب

غير ان المسلمين لا ينخدعون لها ولا يخالجهم ريب في القرآن (وإنه لكتاب عزيز*

---

(١) المنار: لاحاجة الى مزاعم هذا الرجل في ارجاع المسلمين الى القرآن فعقيدتهم التي يكفر عندهم كل من خالفها أنه هو الاصل القطعي وان الحديث الذي يخالفه مخالفة حقيقية لا يمكن أن يكون صحيحا ولكن هذا الاصل ينقض النصرانية المعروفة بأشد مما تنقضها الاحاديث كما يأتي

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)لأنهم يتلون ويسمعون (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) فيقولون صدق الله العظيم

ولو أقامت الكنيسة الانجيل كما انزل من عند الله لكنا وأهلها امة واحدة ولكن رجالها بدلوا فيه وغيروا [1] ثم أبوا ان يرضوا عن سيدنا محمد ﷺ حتى يتبع ملتهم . فنهانا الله تعالى أن نؤمن لهم .

واما مسيو درمانغام فنظره ان مسئلة الصلب وحدها هي التي ابعدت الاسلام عن النصرانية وهو لا يستبعد ان تكون تلك المسئلة من المحرفات في الكتاب قال في صحيفة ١٣٠ (130)

« إذا اعتبرنا ان القرآن لم يجمع إلا في عهد عثمان والحجاج (كذا) ... وان الالفاظ لم تكن مشكولة بنقط او حركات بحيث كان في الامكان النطق بها بكيفيات مختلفات يبقى لنا ان نتساءل فيما إذا كانت هذه الآية (وما قتلوه وماصلبوه...) تكفي لان تكون سداً مانعاً بين ديانتين متحدتين في كل ماسوى هذه المسئلة . زد على ذلك أن تلك الآية تناقض ماجاء في سورة آل عمران (إذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك إلي...) وفي سورة المائدة (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) وفي سورة مريم (والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت...) » اه نحن لانرى تناقضاً بين آيات « الوفاة » وبين آية نفي « الصلب» وقد قال

---

(١) المنار : إن النصارى أضاعوا الانجيل الذي اوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السلام وانما هذه الكتب المسماة بالاناجيل عندهم تاريخ أو تواريخ له فيها شيء من ذلك الانجيل الذي نقل عنه لوقا ذكره بقوله (١٦ : ١٥ وقال لهم اذهبوا إلى العالم واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها اه وقال الله تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به) فالقرآن هو المهيمن على هذه الكتب كلها ، وهو دين الله الاخير المكمل لما جاء به جميع الانبياء من دين الله الواحد في أصوله وأهمها وأعظمها التوحيد، والناسخ لجميع ماخالفه من شرائعهم وهو الذى حفظ دونها فالنصرانية هي التي يجب أن ترجع اليه دون العكس الذى يحاوله المبشرون بدين الكنائس بل بأديانها المتعارضة، وانجيل برنابا أصح عندنا من هذه الاناجيل الكنسية وهو ناطق بالتوحيد وبراهينه وبنبوة محمد ﷺ

بعض المفسرين إن الله توفى المسيح قبل أن يرفعه . وهو تأويل معقول المعنى لان سيدنا عيسى عليه السلام كان لابد له من الموت لانه إنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتعب كسائر الناس ، والموت لايقتضي أن يكون بسبب الصلب أو القتل بل المتبادر من التوفي انه عليه السلام مات حتف أنفه بدون فعل أحد وذلك لاينافي الرفع . ألم تر أن الله يقول (إني متوفيك ورافعك إلي ؟) فلم العناد إذاً وقد ذكر في القرآن أن اليهود قتلوا أنبيائهم كيحيى وزكريا ؟ ثم هب أننا عمدنا إلى آية الصلب فغيرناها حسب رغبتك . أفتظن ان ديانتينا تصيران متشابهتين ؟ - كلا إننا نقول (الله أحد) وقومك يقولون الله ثالث ثلاثة ونحن نقول إن عيسى المسيح عبدالله ورسوله وهم يقولون (ان الله هو المسيح عيسى بن مريم) وقد قال الله تعالى لرسوله محمد خاتم النبيين . (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فأينك وما أحدثته - في زعمك - آية الصلب من التباين ؟ وأينك وتآخي الديانتين والمسلمون لايزالون يتلون ؟ « ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء . بعضهم أولياء بعض »

اتكون كل هاته الآي وما في معناها مما ذكره مزيدة في القرآن بقصد إبعاده عن المسيحية ؟ ام تريد ان تحذف كل ما في هذا المعنى من القرآن ولنندمج في النصارى ؟ ذلك مالسنا بفاعليه وإن بدل الهلال غير الهلال ، لان الخلاف بيننا في اس الاعتقاد اعني « التوحيد » (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة .ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك)

اللهم اجعلنا من المخلصين في الايمان بك والاتباع لرسولك إلى الابد !

***

والآن سأرجع بك ايها القارىء إلى الصحيفة ١١٧ (117) من كتاب المسيو درمانغام ، حيث يستخدم قوة خياله وسوء نيته في الحط من قدر صاحب الشريعة عليه السلام .

قال هنالك« والذي لاريب فيه أن محمداً ﷺ تأثر بديانة المسيح . بل ان الرهبان والنصارى المقيمين بمكة وبعض المفكرين من العرب كزيد بن ثابت هم الذين زرعوا فيه العاطفة الدينية قبل عهد الرسالة » (١)

هذا مما لايشك فيه كاتب « حياة محمد » ولكن ماادلته وحججه ؟ أأنزل عليه الوحي بذلك ؟ ام تسار مع النبي ﷺ بطريق استحضار الارواح ؟ ذلك ما اهمل ذكره، وكل مابرهن به على ماادعى هو زعمه وجود بعض النصارى بمكة وضواحيها ! مع انه لايجهل ان الانجيل كان في ذلك العهد محفوظاً عند رجال الكنيسة بحيث كان يستحيل ان تجد من بين مطلق المسيحيين من يروي شيئا من تعاليمه . واليك كلامه عن ذلك في الصحيفة ٦٣ (63): « كان محمد ﷺ يميل إلى ديانة المسيح غير انه كان لايعرف عنها إلا شيئا نذراً وما كان يمكنه ان يأخذ عن النصارى المقيمين بمكة لانهم جهلاء لايتفقون على رواية »

الله أكبر ! الآن حصحص الحق وظهر تناقض المؤلف وخباله ! فمن جهة يزعم أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام كان يأخذ عن النصارى الذين كانوا بمكة ، ومن جهة كان يثبت أنه ما كان يمكنه الأخذ عنهم لانهم يجهلون تعاليم المسيح ولا يتفقون على شيء منها. اللهم إن عقولنا تعجز عن الجمع بين هذين المعنيين . بيد أنها تعلم أن جل النصارى اليوم لايعرفون من الانجيل شيئاً مع تعدد طرق النشر وأساليبه . فما بالك في عهد لم تكن فيه مطبعة ولاجريدة ؟... وعليه فممن أخذ ﷺ التفاصيل عن اخبار الامم السالفة ؟ ندع الجواب للمسيو درمانغام . وربما يجيبنا بانه كان عليه السلام يتلقى ذلك من طريق الوحي حيث أنه لاينكر تلك المعجزة وان حاول غير مرة في كلامه عنها أن يظهر لنا نبينا

(١) المنار : من حسن حظ المسلمين ان هؤلاء الذين يطعنون في دينهم يفضحهم الله في كذبهم وافترائهم جهلهم بالاسلام وتاريخه فزيد بن ثابت الذي زعم هذا المفترى أنه كان يزرع عاطفة النبوة والرسالة في نفس النبي صلى الله عليه وسلم انصاري من يثرب كان عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة طفلا فيراولم يره قبلها، وقد استصغر يوم بدر فلم يؤذن له بالقتال لصغره ! !

في صورة « درويش هندي » أو « فقير صوفي » في لجة الارتباك . قال في صحيفة ٦٢ (62) مامعناه « انقطع محمد (عليه السلام) عن الناس وحببت اليه الخلوة. وكل هذا لايخلو من فائدة عند الشرقيين . فكأنه كان بتأمله وبطول تفكيره في خلوته يستجمع قواه العقلية وينمي حاسة الاختراع فيه وبذلك لايصيبه تعب ولا ملل من بعد ... وبعبارة كان محمد ﷺ مقر ازمة وكان يفزع إلى الجبال ليحلها»

مفهوم هذا الكلام انه عليه السلام كان يعتزل الناس ليخترع لهم ديناً جديداً وإلا فما معناه؟ قوله « وكل هذا لا يخلو من فائدة عند الشرقيين ..» نعم نحن لاننكر انه كان قبيل إبان الوحي يتردد الى غار حراء ولكن عسير علينا ـ والله ـ ان ندرك ما كان يدور في خلده آنئذ وإن كنا من الشرقيين الذين ينسب اليهم واسع الخيال . فان استطاع المسيو درمانغام أن يأتينا بحجة على مايقول فانا مستعدون لقبولها بل ولقبول ماجاء في الصحيفة (66) من كتابه واليك ترجمته

« علم محمد ﷺ من طريق نصارى سورية ومكة أن هناك ديناً سماويا وان الله كان يبعث باوامره لبعض الامم ليلقنهم الحقيقة . وذلك بواسطة رجال يصطفيهم ليرشدوا الناس ويردوهم إلى الجادة كلما حادوا عنها . كما علم أن ذلك الدين كان واحداً وإنما الناس يحرفونه في مدة الفترة . وطالما تمنى أن يقيض الله للأمة العربية من يرشدها لانها كانت تائهة في فيافي الضلال .»

فعاطفة مثل هاته غير مستحيلة في حق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام مع ماعرف عنه من مكارم الاخلاق (وإنك لعلى خلق عظيم) كما أننا لانشك أن الدين الذي أتى به كل الرسل واحد في أصوله الاعتقادية وهي توحيد الله والوحي والبعث والجزاء وأصوله العمليـة وهي الفضائل والاعمـال الصالحة — وإنمـا يختلفون في الفروع والشرائع العملية (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقد أمرنا بأن نؤمن بهم وأن لا نفرق بين أحد منهم فما جاء به سيدنا محمد ﷺ هو عين ماأنزل على كل من سادتنا نوح وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم صلوات الله عليهم أجمعين في أصوله . إلا ان قومهم من بعدهم حرفوه حسب أهوائهم وأغراضهم وإلا لاتبع اليهود والنصارى سيدنا محمدا عليه السلام (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل)

وأما دعواه أن النبي عليه السلام علم ذلك من طريق نصارى سورية فهي من الغرابة بمكان ، بل مثال متناه في الجسارة على البهتان

وبعد هذا كله إذا فرضنا انه عليه السلام أخذ ذلك عنهم فمن أين يا ترى تلقى ما يحويه الفرقان من الحكم والاحكام والآداب ؟ ـ إذا كان من طريق الوحي وهو الحق واعترف به المسيو درمانغام فاذاً ماوجه الحاجة إلى النصارى أو غيرهم؟ أليس الذي علمه ما ذكر بقادر على أن يقص عليه أخبار الامم الماضية ؟ بلى ! وهو العليم القدير .

فكفوا معشر المسيحيين عن غلوكم وتحاملكم وحولوا جهودكم شطر الهمج من الوثنيين . وأما المسلمون فهم لا يرضون بدينهم بديلا لما يجدون فيه من خير الدارين . ولقد كانوا أرق الامم وأعزها وأكرمها وأشدها بأساً يوم كانوا متمسكين به . ولديهم من المجلدات القناطير المقنطرة شهادة على ذلك ، وهذه الآثار لاتزال قائمة ناطقة في كل بلد فتحوها ، ولكنهم اشتغلوا بعد ذلك بالسفاسف وتمسكوا بالقشور من أمر دينهم فحقت عليهم كلمة العذاب ، ولئن لم يستدركوا مافاتهم بان يعلموا اولادهم تعليما دينياً عربياً فانهم لا يلبثون ان يصبحوا مذبذبين بين الاسلام والنصرانية والالحاد . لا إلى هذا ولا الى تلك ولا إلى الآخر . والوقت حرج لا يدع مجالا للتردد . فاما علينا واما لنا .

الرباط (المغرب الاقصى) « اليزيدي »

في (8) جمادى الاولى عام (1348) (12) أكتوبر (1929)

(المنار) اذا كان درمانغام هذا يؤمن بالله تعالى ويعقل أفعاله وحكمه أحسن مما كان يعقلها الناس في عصر النبي ﷺ كما ادعى فليخبرنا بالبرهان الذى قام عنده على نبوة موسى وسائر أنبياء بني إسرائيل التابعين لشريعته وآخرهم المسيح عليهم السلام وعلى أنها وحي من الله دون نبوة محمد ﷺ وشريعته مع أن القرآن أعلى من التوراة وغيرها من كتبهم في العلوم الالهية والتشريع الادبي والمدني واخباره بالغيب أصح من اخبارهم رواية وأصرح منها وأثبت ، وقد كان أمياً نشأ بين أميين من حيث نشأ موسى في بيت ملك كان أرقى ما في الارض علما وتشريعاً ؟! فان كان يعقل هذا ويتكلم عن اعتقاد ورغبة في الجمع بين الديانتين فغايته ان يدعو النصارى الى الاسلام مصلح النصرانية، وخاتمة الاديان الالهية

ثورة فلسطين - أسبابها ونتائجها

﴿ حقائق في بيان حال اليهود والانكليز والعرب والرأي في مستقبل العرب والشرق ﴾

(٢)

حقيقة حال الانكليز

قد بينا في الفصل الاول من هذا المقال حقيقة حال اليهود مايعدُّ لهم وما يعد عليهم ومنه ماهو خفي عن أكثر الناس ، وأما الانكليز فأمرهم مشهور عند قراء الصحف وغيرهم لكثرة خوضها في سياستهم وأعمالهم ونقلها مناقشات برلمانهم فيها ونقل أقوال صحفهم وصحف الامم الاخرى في نقدها مدحاً وذما ، وانما تخفى على الكثير منهم اخلاقهم وصفاتهم العامة وما طرأ عليها من تغير فنذكر مايعنينا من ذلك

كان القوم مشهورين بالصدق والعدل والحزم والتدبير ومراعاة حرية الناس في اديانهم وآرائهم ، وبالوفاء بالوعود والعهود في معاملاتهم الشخصية والدولية ، كما اشتهروا بالدسائس والحيل والكيد والمكر ، والعجب والكبر ، والرياء والافك ، (*) ولم يكن كل مايقال في الشهرتين حقاً ولا كله باطلا ، وإنما مرجع أكثر ما يوصفون به من فضيلة إلى أخلاق الافراد ومزايا الشعب يفيض شعاعه على الحكومة ، كما أن مرد أكثر مايوصفون به من رذيلة إلى الحكومة وقد يثور غباره في وجوه الشعب ، وما كانت تمدح به حكومتهم وحدها فمنه ماهو حق الا انه نسبي لا تام في الغالب ، ومنه ماهو من تأثير الدعاية (البوربغنده) التي لم يتقنها أحد كاتقانهم ، ولا تنفق في سبيلها دولة كانفاقهم ، وأعني بالنسبي أمرين (احدهما) مايكون من المقايسة بين الانكليز وغيرهم من المستعمرين ولا شك انهم أمثل وأعقل وأنبل (وثانيهما) ما يكون من التوازن بينهم وبين الحكومات الوطنية للبلاد التي يتولون أمرها بالاسماء المختلفة أو المختلقة التي يضعونها لها كغيرهم (كالحماية والاحتلال والاجارة والانتداب) وما غلب أولو سلطان وإمارة على حكمهم وانتزعت منهم

(*) الافك صرف الشيء عن وجهه الحق الى غيره

بلادهم، إلا بظلمهم وإسرافهم في أمرهم. فهؤلاء القوم يتحرون أن يكونوا أقل منهم ظلماً . وأمثل حكما ، ولو لم يفعلوا إلا النظام في الظلم ، والمساواة بين كبير الناس وصغيرهم في الحكم ، لكفى ذلك مروجا للدعاية لهم ، والتنويه بفضلهم على غيرهم ، على انهم لا يساوون أنفسهم بغيرهم من اهل هذه البلاد ، ولا يتنزهون عن محاباة صنائعهم وأعوانهم على تمكين نفوذهم فيها ، ولا يتقون ظلم أي زعيم وإذلال أي عزيز يطالب باستقلالها، أو يأنسون منه خطراً على حكمهم، او اشمئزازاً من ظلمهم،

والانكليز مزية أخرى على غيرهم من المستعمرين ولا سيما اللاتين وهي - كما قال لنا الدكتور يعقوب صروف من دعاتهم وسماسرة سياستهم — انهم يسمحون لأهل البلاد التي يسوسونها بشيء من ثروتها ومظاهر الحكم والجاه فيها يتمتعون به في ظلهم ، من حيث يعترق الآخرون لحمها، وينتقون المخ من عظمها ،ويستأثرون بالكبير والصغير من الحكم والنفوذ فيها، وقد قلدتهم دولة أخرى في نصب تماثيل للحكم في بعض مستعمراتها من أهلها ، لكنها لم تدع لهم أدنى نصيب من مسمى الاسماء التي تفضلت عليهم بها، فكانت أضر على أهل بلادهم منها على أهل البلاد التي لم تنصب فيها شيئاً من هذه التماثيل

وأما فضيلة الانكليز العليا فهي أنهم أدنى إلى مراعاة سنن الاجتماع . ومسايرة ماينجدد فيه من الاطوار والاحوال، ولكن بعد طول الروية والاختبار، والتنازع بين طرفي التفريط والأفراط ، كما يعلم من الفرق البين بين إدارتهم في مصر والسوذان ، وفي الهند وزنجبار ، بسبب اختلاف حال كل من القطرين الزوجين المتقابلين في العلم والجهل والقرب والبعد من قوة الرأي العام ، وكما ظهر أخيراً من التفاوت في تصرفهم وسياستهم في القطرين العربيين المتجاورين : فلسطين وشرق الاردن من جهة والعراق من جهة أخرى بسبب التفاوت بين حاليهما في القوة والضعف، ففي العراق مئات من الالوف الشاكي السلاح ، وألوف كثيرة من الضباط العلماء بفنون القتال ، وقد أضرموا نار ثورة قتل فيها عشرات الالوف من الرجال ، وأنفق فيها الملايين من المال ، ومن ورائهم زعماء سياسيون يعرفون كيف يطالبون بالحرية والاستقلال ،وقدقربوا منهما، ولن يرضوا بما دونهما.

فأما أهل شرق الاردن فقد سيموا من الخسف والاستعباد، مالا نظير له في بلد من البلاد، إذ باعهم أميرهم الملك الانكليز بيعاً سياسياً بعقد معاهدة لايطيق ذلها أحد، ولا يقيم على خسفها إلا عير الحي والوتد. فاكتفى أذكاهم فهما، وأقواهم عزما، باسترحام الامير لتعديل بعض مواد العقد، وتخفيف وطأة مافيه من أحكام الرق، وهم قادرون الآن على تمزيق ذلك الصك، ونبذ ماانتحله عاقده من حق الملك، وهي قدرة لاتدوم لهم، إذا طال امد هذا الحكم عليهم

وأما أهل فلسطين، فقد انحصر همهم في مقاومة الوطن القومي للصهيونيين، ومطالبة الانكليز بنظام حكم نيابي يساوي بينهم وبين غرباء اليهود المعتدين، ونرى الانكليز لا يسمعون لهم شكوى، ولا ينصفونهم في دعوى، بل يحابون اليهود وينصرونهم عليهم، ويمهدون لهم انتزاع رقبة أرضهم من ايديهم، والاستيلاء على مرافقها ومنافعها، والاستئثار معهم بمصالح حكومتها، وغرضهم الباطن من ذلك تفريق الوحدة العربية في قلب بلادها، وايجاد أعداء للعرب من غير الانكليز يشغلونهم بهم عن عداوتهم، ويعلقون أمل الفريقين ببقاء حكمهم عليهم.

وأما سببه الظاهر فهو أن اليهود أقوى من العرب اهل البلاد مالا واتحاداً ونفوذاً ماديا ومعنويا في انكلترة وسائر أوربة وفي الولايات المتحدة الامريكية وغيرها — لاالوفاء بما يسمى وعد بلفور والابرام لعهده، فكم من وعد أخلفوه، وكم من عهد نكثوه؟ — كوعودهم لمصر ومعاهدة السودان معها — ولقد وعدوا العرب بما عاهدوا عليه الملك حسيناً من قبل أن يعدوا اليهود، وكان وعدهم له باستقلال جميع البلاد العربية بحدودها الطبيعية الشاملة لجزيرة العرب والعراق وفلسطين وسورية ومنها كليكية صريحاً جلياً مع استثناء لعدن وتحفظ في سواحل سورية الشمالية (لبنان) والبصرة. وان للعرب لقوة في بلادهم أعظم من قوة اليهود ولكنهم كانوا يجهلون قدرها، وإقامة البرهان المقنع للانكليز عليها، وهي قوة الوحدة، فيما لهم من الكثرة، وسنبين قيمتها في الفصل الثالث من هذا المقال

فالانكليز كغيرهم من اهل أوربة لايعرفون حقا إلا للقوي، ولايفون بوعد ولا عهد الا للقوي، ولا يعدلون في حكم الا مع المتساوين في القوة أو الضعف، فان

تنازع الاقوياء مع الضعفاء كانوا مع الاولين على الآخرين، بل أقول انهم لايحترمون ولا يخافون ولا يرجون الا القوة ، ولا يستحيون من وصف الشرقيين عامة والعرب خاصة بهذه الصفة ، ولعمري أنها عامة في البشر ، ولكنها في الغربيين أقوى واظهر، وأعم وأشمل ، لاستحواذ الافكار المادية عليهم ، وانحلال عرى الملكات الادبية من قلوبهم ، حتى ان أحد كتاب فرنسة طعن في الجيوش المغربية الاسلامية التي استبسلت في الدفاع عن وطنه وقومه بأن الدافع لهم الى ذلك حب الشهرة بالشجاعة والنجدة ، لا الاخلاص لدولته في الطاعة والمحبة ، فالاوربيون يحتقرون الشرقيين ويسخرون منهم ، كلما رأوا أثراً من آثار السلطة الادبية في أعمالهم

ولقد شهد فيلسوف الانكليز ومفخرهم بل شيخ فلاسفة أوربة كلها في علوم الاخلاق والاجتماع بأن الافكار المادية التي ظهرت أولا في الشعب اللاتيني فأفسدت اخلاقه قد دب دبيبها الى الشعب الانكليزي فطفقت تفتك بأخلاقه، فهي تعدو في سيرها فيه المرطى ، وتنهزم من طريقها الفضيلة فترجع القهقرى . وقال ان هذه الافكار المادية لاتزال تعمل عملها في أوربة الى ان تسوق دولهم الى حرب ساحقة ليعلم أيها الاقوى ليسود العالم ، وقد وقعت هذه الحرب من بعده ، وكان فتكها بأخلاق الشعوب وفضائلها ، أضعاف فتكها بجحافل جيوشها وفصائلها، وصياصيها ومعاقلها ،وأساطيلها الحربية والتجارية . بل سرت عدوى هذا الفساد، الى جميع الامم في سائر البلاد

كان لكل من انكلترة وفرنسة اسم سمي ومقام علي في العالم بما نبغ في بلادهما من العلماء والادباء والشعراء والمخترعين والفنيين ، وبما كانتا تبثان من الدعاية لأنفسهما في برقيات شركاتهما وصحفهما وكتبهما ، وألسنة من يتربى ويتعلم في مدارسهما ، وكذا ألسنة من يستميلون ويصطنعون في البلاد المختلفة وأقلامهم، وقد كان من الافراط والغلو في هذه الدعاية في مدة الحرب على طولها ما أعقب رد الفعل على مدى أطول وسوء تأثير أعرض وأعمق

كانوا يذيعون في كل يوم ان الدولة الالمانية دولة عسكرية قاسية القلب ،

فظة الطبع ، مسرفة في الطامع والجشع ، والضراوة بسفك الدماء ، والنهم بسلب الاموال ، وأنها لا تبغي من هذه الحرب إلا استعباد البشر ، والاستبداد في حكم الامم

وأما هم فلا يبغون من قتالها إلا الدفاع عن أنفسهم وعن اخوانهم في الانسانية ، ووقايتهم من الخطر الذي يتهدد حريتهم ، واستقلال جميع الشعوب كبيرها وصغيرها ، قويها وضعيفها ، لان الحرية القومية كالحرية الشخصية حق طبيعي عام للبشر ، فان ظفروا كانت العاقبة سعادة جميع البشر ، وإن خسروا حاق الشقاء بجميع البشر !! وقد كان القدح المعلى في تعميم هذه الدعاية للدولة البريطانية ، وكان ممن خدع بها دولة الولايات المتحدة ، وكان أول مخدوع رئيس حكومتها الدكتور ولسن ذو النزعة الدينية ، والعاطفة الانسانية الادبية ، فانبرى لمساعدتهم ، وانما كان النصر الاخير لهم بمساعدته المادية ، وبما وضعه للصلح من القواعد (الاربع عشرة) السياسية الادبية ، وكان أول من خدع بهذه القواعد الاشتراكيون والعمال من الالمان ومنهم بحارة الاسطول ، فأكرهوا دولتهم على طلب الصلح ، حتى إذا ماقضي الامر ، قلب الحلفاء للرئيس ولسن ودولته ولجميع البشر ظهر المجن ، وظهر من طمعهم وقسوتهم وضراوتهم وجشعهم ونهمهم أضعاف ما كان من قبل

أخلفوا الوعود ، ونقضوا العهود ، وكان جزاء العرب من الانضواء اليهم ، والخروج معهم على دولتهم العثمانية طلباً لاستقلالهم ، أن عاملتهم انكلترة وفرنسة شراً مما عاملت به جميع أعدائها من استعباد واستبداد ، وسفك دماء وسلب أموال ، حتى انهم كانوا يدمرون القرية الآمنة المطمئنة من البلاد التي كانت تحارب دولتها تحت رايتهم على من فيها من رجل ونساء وأطفال لتهمة واهية لم تقرن ببحث ولا تحقيق ، وحتى انهم سلبوا من مملكة الحجاز سكة الحديد الاسلامية التي جعلها الشريف حسين تحت تصرفهم في الحرب ، وكان جيشه يدمر بديناميتهم جسورها ويقلع حديدها في ارض الحجاز نفسها ، معتقداً انها تبنى بأموال الانكليز بعد الحرب وتكون له هي والبلاد المنشأة فيها !! فلا غرو أن يزول كل ما كان لهاتين الدولتين من حرمة ومكانة ادبية في الشرق ، وان يعتقد شعوبه انهم شر البشر على البشر ، وانه لا حرية ولا حرمة ولا حياة للانسانية إلا

بنقض غزلهم ، ونكث فتلهم ، بل بتقليص ظلهم الاستعماري من الوجود ، وهذا ما افادت الحرب شعوب الشرق في مقابلة ماخسروا بها

كان سبب نجاح الانكليز في الاستعمار الذي استولوا به على مايقرب من ربع البشر انهم لم يكونوا يدخلون قطراً إلا بدعوى قصد الخير له ولأهله، تارة لانقاذ الشعب من ظلم أمرائه وحكامه ، وتارة لحفظ عروش اولئك الامراء من الثورات والفتن والفوضى ، كما كان سبب نجاحهم في السياسة انهم لم يكونوا ينقضون عهداً أو يتنصلون من عقاله إلا بضرب من التأويل يظهرون فيه انهم على حق ، كما قال أعظم ساسة اوربة في القرن التاسع عشر البرنس بسمارك وزير ألمانية ومؤسس وحدتها للسنيور كريسبي وزير ايطالية في حديث لهما في تسيير سياسة اوربة : وماذا نفعل بانكلترة ؟ قال كريسبي نقيدها بمعاهدة . قل بسمارك ولكن الانكليز ابرع الناس في التفصي من عقل المعاهدات بالتأويل ... ونقول نحن انهم انما يحتاجون الى التأويل مع الدول القوية وأما الشعوب الضعيفة كالعرب فلا يحتاجون معهم إلى تأويل . على انهم سموا استعباد البلاد العربية التي وعدوها الاستقلال انتدابا يراد به المساعدة على النهوض باعباء الاستقلال بعد زمن غير طويل ! !

لكن هذا الظلم والاستبداد الذي ابتدعوه في فلسطين شيء غريب في تاريخهم وتاريخ الاستعمار والاستعباد ، لم يخلق مثله في البلاد . وهو لا يتفق في صورة من الصور ولا معنى من المعاني التي وضع لها لفظ الانتداب

هو خلق شعب جديد يجتلب من أوشاب أوطان كثيرة في مشارق الارض ومغاربها إلى وطن شعب آخر لينزعه منه ويحل محله فيه ، وتمكينه من ذلك بالظلم والمحاباة اللذين لم يعهد لهما نظير في تاريخ البشر ، وان فيما نشر من انباء هذا الظلم والمحاباة في هاتين السنتين ولا سيما اثناء الثورة الفلسطينية ماعجب منه واستغربه جميع الناس في جميع أقطار الارض

فلئن كان هذا من غرائب ظلم الانكليز فأغرب منه قدرة اليهود على تو. يطهم فيه ، وإصرارهم عليه بعد ظهور فضيحتهم ، وهتك سريرتهم ، ولهذا يخاف اليهود أن لا يدوم هذا الاصرار ، وان يكره الشعب الانكليزي حكومته

على إنصاف العرب والاعتراف بحقوقهم في يوم من الايام . وهذا ماجرأهم على محاولة انتزاع هذا الوطن من العرب بالمناجزة ،دون ما ألفوه هم والانكليز من نيل مآربهم بالمطاولة ، فأوقدوا نار الثورة الحاضرة ، ظانين انه يمكنهم اقناع الشعب البريطاني وسائر شعوب المدنية من وضع تبعته على العرب بالدعاية الكاذبة؛ فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، وظهر للشعب الانكليزي ولغيره ما لم يكونوا يعرفون ، وكانت هذه الفتنة نصراً من الله للعرب والمسلمين ، إذ نبهت شعوبهما كلها الى التعاون على حفظ حقوقهما الوطنية والدينية في فلسطين

وجملة القول في الانكليز انهم لا يزالون أقرب إلى العقل والفضيلة من غيرهم ، وبذلك يمكن الاستعانة بشعبهم على حكومتهم . وقد كان اليهود أقدر من العرب على ذلك الى ان أحبطت الثورة التي أثاروها عملهم، وعلمت العرب كيف يظهرون له حقهم. ثم وجد في هذا الشعب من بحث حتى عرف حق العرب واعترف به في بعض جرائده الكبرى وأخذ يقيم الحجج على ما للدولة من المصلحة في اتباعه . ثم على العرب دون غيرهم اقناعها بالقول والعمل، بما في مودتهم من النفع وبما في عداوتهم من الضرر بل الخطر ، وانهم لفاعلون ان شاء الله تعالى

(٣)

ماضي العرب وحضارتهم

(١) العرب أعرق الامم في التاريخ ذكراً ، وأرسخهم في الحضارة قدماً ، فقد ثبت عند المحققين من علماء التاريخ والآثار واللغات، الذين يستمدون علومهم من العاديات ، ان قدماء المصريين والكلدانيين والفينقيين كانوا من جزيرة العرب ، وهم مؤسسو أقدم الحضارات، وأن شريعة حمورابي التي عثر عليها منقبو الآثار في العراق من الألمان عربية ، وهي أقدم الشرائع التامة المدونة ، وكان معاصراً لابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وابراهيم من أنباط العرب القحطانيين، وجد العرب العدنانيين ، اخوة العبرانيين ، فبنو اسرائيل فرع من الارومة العربية السامية

ذلك أصل الحضارة القديمة التي استمد منها اليونان فالرومان مدنيتهم ، وأما الحضارة الحديثة فواضعو أساس علومها وفنونها هم العرب العدنانيون في العهد الاسلامي كما يشهد لهم بذلك الحكماء والمؤرخون المنصفون من علماء الافرنج على ما بينهم وبين الدول الاوربية ودعاة الدين من التنازع والتخاصم

ولا ننكر أن العرب استمدوا من كتب اليونان والفرس والهنود الذين كانت حضاراتهم قد درست وعفت رسومها ودفنت كتبها في ارماس خزائن الملوك والبيوتات ، فنبشوا تلك القبور ، وأحيوا تلك الارم ، وصححوا واستدركوا ، وزادوا واستنبطوا ، وقرنوا العلم بالعمل ، واستقلوا في ذلك حتى صار لهم فن مستقل خاص بهم ، ووضعوا من العلوم مالم يكن لغيرهم ، وكان ذلك كله في وقت قريب خارق للعادة ، فقد حقق حكيم الاجتماع الفرنسي الاكبر الدكتور (غوستاف لوبون) في كتابه [تطور الامم] ان ملكة الفنون لا تحصل في الامم إلا في ثلاثة أجيال : جيل المقلدين وجيل المخضرمين وجيل المستقلين ، قال : وشذ العرب وحدهم فاستحكمت لهم ملكتها في جيل واحد صار لهم فيه فنون خاصة بهم . وفي كتابه (حضارة العرب) الذي صنفه قبل هذا الكتاب بعشرات السنين تفصيل لهذه الشهادة والدلائل عليها والرسوم الممثلة لها ، وقد صرح فيه وفي غيره ولا يزال يصرح بأن العرب أساتذة أوربة في مدنيتها الحاضرة

أنبياء العرب وملوكهم

(٢) قد كان في العرب انبياء مرسلون ، وكان فيهم ملوك استشاريون مقيدون ، كملكة سبأ التي قالت لرجال الدولة (افتوني في امري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) وكان الدين هو المرشد الاول إلى الحضارة فيهم وفي جميع الامم ، وأكثر ما بقي من آثار فنون الأقدمين وصناعاتهم عليه الصبغة الدينية الباعثة عليه كاهرام مصر وبرابيها ونواويسها ، وكذلك شرائعهم وآدابهم ، وإنما كانت تغلب البدع الوثنية على عقائد الدين الصحيحة وأحكامه التي يجمعها الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، ومن أهم أركان العمل الصالح العدل والصدق والامانة كما ان أعظم أركان الايمان التوحيد ، وفي آثارهم المنقوشة ومخلفاتهم الباقية ما يدل على جميع ذلك

وممن حفظ لنا القرآن ذكرهم من أنبياء العرب هود وصالح وشعيب حمو موسى الكليم ومؤويه مدة فراره من فرعون ، واختلف العلماء في نبوة تبع، وذي القرنين أعظم ملوك الحضارة والفنون والسياحة في الارض ولقمان الحكيم ، وحسب العرب ان منهم محمداً رسول الله وخاتم النبيين ، وهو الذي أكمل الله به الدين ، وأتم نعمته ورحمته على العالمين (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

منهج الاسلام والعرب في اصلاح شأن البشر

(٣) ان منهج الاسلام في رفع شأن البشر هو ان إصلاح الانفس بالعقائد الصحيحة الداحضة للاوهام والخرافات ، والاعمال الصالحة الصادة عن الفواحش والمنكرات ، والاحكام العادلة المساوية بين الناس في الحقوق والمعاملات ، مقدم على الترقي في العلوم والفنون والصناعات

وهذا المنهج هو الذي سار عليه العرب المسلمون في أنفسهم وفي غيرهم في أثناء الفتوحات ، وقد شهد لهم به المؤرخ الصادق ، والاجتماعي المنصف (غوستاف لوبون) بكلمة تشبه كلمات بلغائهم في ايجازها وسعة معانيها وهي قوله « ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب » ويؤيد هذه الشهادة العقل كالنقل ، فانه لولا فضائلهم ورأسها العدل والرحمة، لما أمكنهم أن يثلوا عرش كسرى وقيصر في الشرق في أقصر مدة ، وكانت حكوماتها أرقى حكومات الارض قوة وحضارة وثروة ونظاما، وإنما ثل المرشين التليدين الراسخين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بسيوف الصحابة (رض) في الربع الاول من القرن الاول للهجرة ، ثم امتدت الفتوحات في الشرق والغرب ، وقبل أن يتم القرن حاصروا الروم في القسطنطينية وفتحوا كاشغر من ممالك الصين ودخلوا أرضها من أقصى الشرق ، وفتحوا افريقية ومراكش والأندلس من أقصى الغرب ، فلولا عدلهم وفضلهم وتفضيل جميع الشعوب إياهم على حكامهم، لما أمكنهم ذلك مع البعد الشاسع عن وطنهم ، ومهد سلطانهم في جزيرة العرب ، بل كانت تلك الفضائل هي السبب في دخول الناس من جميع الشعوب في دين الله أفواجا طائعين مختارين ، وتبع ذلك تعلمهم

اللغة العربية لغة هذا الدين وشريعته وناشريه بمحض الرغبة ، لا بدعاية الجمعيات ولا بالزام الحكومة او نفوذها (كما يفعل الافرنج في هذا العصر)

المانع من استيلاء العرب على العالم كله

(٤) لقد كان مقتضى هذا الاصلاح الاسلامي العربي أن يعم الارض، ويملك أهله من العرب سائر ممالك الشرق والغرب، ولكن حال دون ذلك تعارض المانع والمقتضي ، أما المقتضي فقد عرّفناه إجمالا بما تقدم. وأما المانع الذي حال دونه فهو (على قاعدة تقابل العدم بالملكة) عدم الاستقامة على ذلك المنهج الاصلاحي الذي شرعه الاسلام وسار عليه الرسول وخلفاؤه الراشدون، وكان أول من سن الخروج عنه معاوية بن أبي سفيان، ببغيه على أمير المؤمنين علي عليه السلام والرضوان ، ثم باكراهه الناس على بيعة ولده الفاسق يزيد ، واحتكار السلطان لبني أمية ، فهدم بذلك الحكم الاسلامي الشوروي المبني على أساس سلطة الامة ، وأقامه على الاساس الوراثي المبني على تغلب القوة ، فما زالت القوة تعمل عملها حتى سلبتهم هذا الملك المغصوب ، وتغلغل نفوذ أعاجم الفرس في الدولة العباسية ، ثم قضى عليها همج الشعوب التركية، فتفرقت السلطة ، وتمزقت الوحدة ، وزلزلت العدالة ، وزالت الخلافة

من ثم قال أحد علماء الألمان المتعصبين لجنسيتهم انه ينبغي لنا أن نقيم لمعاوية تمثالا من الذهب في أعظم ساحة من عاصمتنا (برلين) وينبغي مثل ذلك لجميع شعوب أوربة ، إذ لولاه لكانت هذه الشعوب كلها عربية تدين بالاسلام . ويبين ذلك بنحو ما قلناه آنفا . ولكن قال أحد أحرار فرنسة ما معناه: لقد كان من سوء حظ أمتنا ان كان أكثر الجيش الذي فتح به العرب القسم الجنوبي من بلادنا من بربر افريقية الذين لم يتمكن الاصلاح الاسلامي من أنفسهم فكانوا ينقضون العهود ويعتدون على الكنائس وغيرها ، حتى أثاروا العصبية والنخوة في أنفسنا ، وراجت دعوة الاستنفار العام لقتالهم وإخراجهم من ديارنا، ولو كان أكثرهم من العرب الذين عرفنا سيرتهم العادلة في الشرق والاندلس لما وقع من ذلك العدوان شيء ، ولما راجت الدعوة إلى قتالهم وإخراجهم ، وإذاً لسبقنا أوربة في الحضارة بضعة قرون

إسقاط حرمة الخلافة وإضاعتها

(٥) كان إسقاط حرمة الخلافة أولا بقتل الخليفة الثالث ثم بالخروج على الرابع ، من مقدمات سقوط وحدة السلطة العربية التي انتهت بتعدد السلاطين ودول الطوائف ، وكان اتساع دائرة الفتوحات في الشرق والغرب وصعوبة المواصلات مما يتعذر معه وحدة السلطة بدون خضوع ديني لمقام الخلافة يملك على النفس وجدانها وعملها ، فيحول بذلك دون الخروج على الحكومة والاستبداد دونها ، ولئن رتق بنو أمية ما فتقوا بتمكنهم من جمع الكلمة، وتوحيد السلطة، وتوجيه المسلمين إلى الجهاد في الكفار ، وفتح الامصار، وحمد لهم الجمهور هذا على كراهته لفسوق أكثرهم ، فلقد كان رتقهم له بالعصبية مع الاسراف في الترف والتفريط في العلم وا لتقوى رتقاً واهياً ، ولمقام الخلافة منافياً ، ولذلك كان أمده قريباً

قضى بنو العباس على بني أمية بقوة العصبية التي ابتدعوها، ثم قضوا بها على خلافة النبوة التي تقلدوها ، واعتمدوا فيها على الاعاجم فكانت بذلك شراً مما قبلها، وإنما امتاز أوائلهم بالعلم، فبلغ الذروة في عهد المأمون ، كما كان لهم مزيد حرمة عند الامة بقرابة الرسول ﷺ ولكن شان علم المأمون نصره للبدعة ، وما كان ينبغي للخليفة أن يتعدى حدود قطعيات الكتاب والسنة ، ويضطهد حرية الاجتهاد في العلم والدين، بنصر فريق على فريق من الباحثين ، فالملك يجب أن يكون كما يقول ساسة هذا العصر بمعزل عن المذاهب والاحزاب ، ثم ما زال يضعف العلم، ويتضاءل نفوذ النسب ، وتتفرق قوى العرب ، وتحل محلها عصبية العجم ، حتى صار الخليفة شبحاً من أشباح اللعب ، يزين بالحرير والذهب، ويستنطق بما لا يريد أو بما لا يفهم، ويوقع على ما لا يقرأ أو على ما لا يعلم، ويتحرك بتحريك البطانة والحاشية والحرس، وانما يعظم تعظيما صوريا، ويمكن من اللذات البدنية مادام مواتياً فان نبا أو أبى قتلوه ونصبوا شبحاً آخر مكانه ، لا يرى وسيلة لاستدامة اللذة والفخفخة والزينة ، إلا التجرد من الامر والنهي والرأي والارادة

سعي الفرس لاسقاط ملك العرب

(٦) بدأ زنادقة الفرس بالسعي لهدم ملك العرب لاستعادة دولتهم الفارسية وملتهم المجوسية ، من طريق الدسائس الدينية والسياسية، وإحياء العصبية الشعوبية ، وتوسلوا إلى ذلك بتفريق الكلمة من طريق التشيع لأئمة البيت من آل علي وفاطمة عليهم السلام، فشعر بذلك آل العباس (رض) فنجحوا باستمالة دعاية الثورة والقوة ، وبقيت للعلويين دعايتا الالوهية والعصمة، وقد فطن الخليفة العباسي الاول لخطر زعامة الثورة في الدولة ، فقطع رأسها من أول وهلة ، فسعى ساسة الفرس لها من طريق الثروة وإدارة الحكومة ، فاحتكروا موارد الاموال ، واصطنعوا الرجال ، وتم هذا الامر للبرامكة منهم في عهد الرشيد أو كاد ، ولكنه فطن لذلك فبطش بالبرامكة تلك البطشة الكبرى ، بيد أن قوة الترك الجندية الوحشية ، قد قدرت على ما عجزت عنه سياسة الفرس الدينية والادبية ، فانما أثمرت دسائس شيعتهم الباطنية في افريقية دون بلادهم وما يقرب منها ، فكانت الدولة التي أسسوها بمصر ـ هي الفاطمية أو العبيدية ـ عربية محضة باقتضاء موقعها ، ولم تستطع التغلب على الدولة العباسية بتعميم دعايتها. وأما الذين سلبوا ملك العرب وقوضوا هيكل حضارة العرب فهم الترك ، وكان الجاني الاكبر في إدخالهم في الدولة والاعتماد على جندهم في حفظ سلطان الخلافة هو المعتصم الجاهل بالسنة والناصر للبدعة ، وأنى له أن يفهم مغزى قول الرسول ﷺ « اتركوا الترك ما تركوكم » او يحذر ويتقي مضمون قوله ﷺ « اول من يسلب امتي ملكهم وماخولهم الله بنو قنطوراء » يعني الترك

سلب الترك لملك العرب

(٧) مهد التتار السبيل لبني عمهم الترك باجتياح سلطنة الخلافة العباسية العربية بالتقتيل والتدمير والتبتير، وكان الفرس قد سبقوا الى إضعافها بالتفريق والتدبير، أفرطوا في تقديس الخلفاء العباسيين وتفخيمهم بالالقاب والزينة والاحتفالات الرسمية، ولكنهم فرطوا في طاعتهم ، وأزالوا ما كان من حصر وحدة الرياسة فيهم ، ففرقوا السلطة، واستبدوا بالدولة ، وغلبوا الخليفة على أمره ، وافتاتوا عليه في حكمه ، حتى

تجرؤا على قتله ، فوهت قوة الوحدة ، وكثر السلاطين في الدولة ، ووقف سير العلم والحضارة ، لان العلم كان عربياً وكان المرشد اليه القرآن العربي ، وكان العرب هم الذين أحيوا منهما ما أماته الزمان ، وجددوا ما أخلقته صروف الحدثان ، وجاراهم فيه مواليهم وتلاميذهم من الفرس والسريان ، وكانت الحضارة عربية بالتبع للعلوم والفنون العربية . وكان الترك أبعد شعوب البشر عن العلم والحضارة ، وانما عندهم من آلة الملك الحرب والعصبية ، فكانت دولتهم دولة حرب وفتح ، لا دولة علم وفن

وكان أكبر سيئات الترك العثمانيين إيثار لغتهم الهمجية ، على اللغة العربية ، لغة الدين والعلم والادب والحضارة . وتحريهم إضعاف الامة العربية واستذلالها لئلا يعود اليها حقها في الخلافة الاسلامية وحكم المسلمين ، فان الله تعالى بعث رسوله محمداً خاتم النبيين في الامة العربية ، وأنزل عليه كتابه المعجز للبشر باللغة العربية ، فجعل هدايته لهم عربية وحكمهم به عربياً فقال (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) ولذلك انتهت عداوة دولتهم للغته بعداوتها له . وهؤلاء خلفاؤهم الكماليون يعدون التكلم بالعربية والتعلم للعربية وكتابة التركية نفسها بالحروف العربية من أكبر الجرائم السياسية التي يعاقب قانونهم مجترحها ، فلا غرو أن يقول رسول الله النبي العربي فيما يعد من دلائل نبوته بخبر الغيب «أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء » وهو يدل بالاشارة أو فحوى العبارة إن لم يكن بنصها على أن سالبي ملك أمته لا يعدون منها ، وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ان المراد هنا بالامة أمة الجنس لا أمة الدين . ونحن لا نطعن في إسلام الشعب التركي نفسه ، وانما نطعن في جهل دولته وعصبيتها ، التي انتهت بضعف دينها ودنياها ، ثم بما يشكو منه كل مسلم منهم ومن غيرهم من نبذ خلفها لكتاب الله وشرعه ظهريا

استقلال العرب وحالهم بعد الحرب

(٨) تغلب الترك العثمانيون على الدولة العباسية في الشرق ، وخذلوا الدولة الاموية في الغرب (إذ استنصرت بهم على الاسبانيين فلم تنصرهم) واستولوا على مهد الحضارة العربية في العراق وسورية ومصر ، فأضعفوا الحضارة والعلم في هذه البلاد ولكنهم لم يستطيعوا إماتة اللغة العربية فيها ، ولا الادالة للغة التركية منها ،

ودان لهم أمراء الحجاز ولكنهم ظلوا أصحاب السيادة والنفوذ فيه وحاولوا بعد ذلك كله قهر عرب الجزيرة وإخضاعهم لحكمهم فظلوا يقاتلونهم عليها أربعة قرون ونيف، فانتقصوها من أطرافها ، واستولوا على ثغورها البحرية، ولكنهم عجزوا عن قهر أئمة اليمن وأمراء نجد وإخضاعهم لحكمهم ، فلعرب الصحراء الخلص ظلوا في عقر جزيرتهم مستقلين في حكم أنفسهم، لم يقهرهم الترك عليها، بل ظلوا يداقعونهم عنها وينتصرون عليهم فيها ، حتى إذا مزقت الحرب الاخيرة سلطتهم الواسعة، ظهرت جزيرة العرب في الوجود مستقلة تامة الاستقلال سالمة من كل نفوذ أو امتياز للدول الاجنبية فيها ، إلا ثغر عدن الذي اغتصبته الدولة البريطانية في القرن الماضي والمقاطعات التسع اليمنية التي تدعي حمايتها ولا تتدخل في أمر حكوماتها ـ وإلا ما كان وهبه الملك علي بن حسين من أرض مملكة الحجاز لامارة شرق الاردن وهو ثغر العقبة المنيع على البحر الاحمر والمنطقة الممتدة منه إلى معان اهم المحطات لسكة الحديد الحجازية . فكل من هذا وذاك موضع نزاع بين الانكليز والدولتين العربيتين المستقلتين في جزيرة العرب: مملكة اليمن الامامية ومملكة الحجاز ونجد السعودية ، وقد اعترفت الدولة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لهذه الدولة دون تلك، وعقدت معها معاهدة على قاعدة المساواة ، ولكن بقيت منطقة العقبة ومعان موقوفة لتحل عقدتها بالمفاوضة السياسية ، وأما الاعتراف باستقلال اليمن فقد تمددت فيه المراسلات والمفاوضات بين الدولتين البريطانية واليمانية، ولابد ان تنتهي قريبا برجوع الاولى عن كل حق تدعيه فيما عدا منطقة عدن، فانه يستحيل تركها إياها لليمن.

حال الممالك العربية اليوم

(٩) ذلك شأن مهد الامة العربية ومنبت أرومتها، ومعقل قوتها، لم يغلبها عليه كله أحد، فهي لا تزال فيه عزيزة النفس ، قوية البأس ، مرفوعة الرأس، وأما ما يتصل به من مواطن حضارتها وعمرانها، وعواصم خلافتها وسلطانها ، وهي مصر وسورية والعراق فقد احتل أكثره الانكليز وبعضه الفرنسيس قبل الحرب وبعدها، وجعلوا حكوماتها العربية تحت سيطرتهم العسكرية بدعوى مساعدتها على اصلاح شؤونها، إلى أن تقوى على النهوض بأعباء استقلالها المعترف لها به بنفسها، ولا تزال

هذه الشعوب العربية تنازع هاتين الدولتين في دعواهما ما تسميانه حق الاحتلال والانتداب، ولا بد من وصولها الى حقها في الاستقلال المطلق في يوم من الايام،

(ولا ننسى الممالك العربية الافريقية الاربع فهي لابد من استقلالها أيضاً فان استعباد الامم الكبيرة بالقهر العسكري لن يدوم اذا هي عرفت نفسها وحال العالم وسنن الاجتماع فيه ولكن كلامنا الآن ليس فيها)

استحالة ظهور اليهود على العرب

(١٠) علم مما تقدم ان الأمة العربية أقوى وأعز وأفضل من الشعب اليهودي ماضياً وحالا ، وأرجى منه استقبالا ، فهي لا تزال ذات ملك وسلطان، وممالك وأوطان، ولغة حية، وشرع نافذ وعادل فان كانت ثروة اليهود النقدية أكبر، فان ثروة العرب الطبيعية أعظم، ألا وهي ثروة الارض التي هي أصل كل ثروة بأقواتها ومعادنها، وهم يملكون عشرات الالوف والاميال منها. وإن كان اليهود أقدر على تسخير القوة البريطانية بدهائهم ومكرهم وأموالهم، فالعرب أقدر على ابطال كيدهم هذا بكثرتهم، اذا هم جمعوا كلمتهم ، وبنفوذهم في العالم الاسلامي الذي يعطف عليهم لانهم قوم نبيهم، وأرومة دينهم، وحفظة قبلتهم وعمار مساجدهم الثلاثة المقدسة: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الاقصى. فان لم يقدروا على ذلك بالاقناع البرهاني الذي يفضلونه ، فسيقدرون عليه بالدفاع الحربي الذي لا يخافونه، وقد علم زعماء الامتين ، ان ما بذلتاه من الدماء والاموال في سبيل الدفاع عن الدولتين ، لو بذلتاه في سبيل حريتهما واستقلالهما، لكان كافياً لهما ، وان تلك الملايين من رجالهم التي سخرتها الدولتان لأنفسهما في الحرب ما كان يمكنهما تسخيرها بالقوة ، وانها لو ثارت عليهما في وقت ضعفهما لما فقدت في قتالهما عشر ما فقدته في قتال أعدائهما، وإذاً لخسرتا الحرب وفاز بها أعداؤهما

وقد رأوا بأعينهم، وخبروا بأنفسهم، ما كان من تأثير الثورة المصرية الصغيرة العزلاء على بريطانية العظمى بعد الحرب الظافرة هي فيها على حين كان جيشها من جميع الاسلحة يموج في أرض مصر، كما تموج أساطيلها في كل بحر، وعلموا انه لولاها لم ترفع تلك الحماية التي ضربت عليها ، ولم يعترف لهم بالاستقلال المقيد فيها ، ثم رأوا ثورة العراق التي فتحتها الدولة البريطانية فتحاً ، وأخذتها عنوة لا صلحاً ، وجعلتها تابعة للامبراطورية

الهندية، وكيف كانت سبباً لتأسيس حكومة وطنية فيها كما تقدم قريباً. ثم رأوا الثورة السورية، وما أبلت في القوى الفرنسية، على قلة الموقدين لنارها، وقلة ما أتيح من الوقود لها، وكونها كانت في دائرة ضيقة من البلاد لم تتعد النار الى غيرها

فهل تظن هذه الطغمة من اليهود الصهيونيين انهم ينتزعون من قلب هذه الامة العزيزة قطراً من أشرف أقطارها وأعزها، بعد أن استيقظت من رقدتها، وشعرت بقيمة نفسها، وهبت لاستعادة وحدتها، على اختلاف مواطنها وعقائدها وتربيتها؟ وما كان ضعفها الماضي الا بتفرقها، وجهلها بقوتها ومكانتها، ومتى كان الغنى والثراء، والمكر والدهاء، والكيد والرياء، من الضعفاء الجبناء، يطرد الامم القوية من اوطانها، ويغلبها على ملكها وسلطانها، والحق لها، والسيف بيدها؟ وهم انما يعتمدون على قوة غيرهم، ولن يدوم لهم تسخيرهم لهم، وعلى تفرق خصومهم وقد زال، ولم يبق لاتحادهم إلا النظام وهو ان شاء الله قريب المنال

تأثير ثورة فلسطين في العرب والمسلمين

(١١) لقد كانت الثورة التي اوقد اليهود الصهيونيون نارها في فلسطين بعد تلك الثورات الموضعية على أقوى دول الارض، وبعد تلك اليقظة الشرقية العامة التي أحدثتها الحرب، وبعد خيبة آمال بعض الشعوب الشرقية، التي كانت مخدوعة ببعض الدول الغربية، آخر صيحة داعية الى وحدة الشعوب العربية، وتعاطف الشعوب الاسلامية، فقد اضطرب لها المسلمون والنصارى جميعاً في سورية ولبنان والعراق والحجاز ونجد واليمن ومصر وتونس والجزائر ومراكش، واهتز لها المهاجرون من العرب في العالم الجديد من الشمال الى الجنوب، وظهر أثر ذلك جلياً قوياً في جرائد هذه البلاد وجماعاتها بالاحتجاج والانتصار وجمع الاعانات، وهي أول حركة عربية سياسية أظهر العطف عليها ملوك العرب المستقلون، فقد أرسل صاحب الجلالة السعودية عدة كتب وبرقيات في إظهار عطفه وعطف اهل مملكته النجدية والحجازية على عرب فلسطين — على بعده واشتغاله بقمع ثورة داخلية في نجد — منها ما هو باسم سماحة زعيمها السيد أمين

الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الأعلى لفلسطين، ومنها ماهو للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بمصر (وسننشر ذلك) ومنها ماهو لصاحب الجلالة البريطانية ملك الانكليز، وقد تبرع لمنكوبي العرب في هذه الثورة بخمسمائة جنيه، وتبرع نجله و نائبه في الحجاز بمائة جنيه ، وألفت بأمره لجنة لجمع الاعانات بمكة جمعت مبلغا يعد كبيراً من أهل الحجاز ،وتبرع صاحب الجلالة اليمانية الامام يحيى حميد الدين بثلاثمائة جنيه . وشارك العرب في هذا الشعور والعطف على أهل فلسطين مسلمو الاعاجم ولاسيما في الهند وجاوة بالاحتجاج والاعانات بل شارك الهندوس مسلمي الهند في عطفهم هذا وتمنى الجميع لو يرسلون جيشاً منهم إلى فلسطين لحماية المسجد الاقصى وأهله من عدوان اليهود

بل هذه أول مرة صرح فيها شيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية في مصر بالعطف على المسلمين في أثناء ثورة سياسية بينهم وبين شعب أجنبي تؤيده الدولة البريطانية ، بعد أن أجرّت السلطة المصرية ألسنة علماء الازهر وألجمتهم ، وحرمت عليهم ماهو مباح لجميع المصريين من إبداء رأيهم في الامور السياسية، وقد كانوا من قبل أصحاب الرأي الأعلى والقدح المعلى في جميع المصالح الاسلامية والوطنية ،حتى انهم هم الذين ولوا محمد علي باشا على مصر

ومما يصح أن يذكر بالاعجاب ان صوت الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية قد ارتفع في هذه المسألة في وقت خرست فيه ألسنة جميع أمراء مصر وكبرائها الاحرار حتى غير المقيدين بسياسة الحكومة ومشربها، لا الوزراء والرؤساء الرسميين وحدهم وهو من كبارهم. فهذا فتح جديد في النهضة العربية واليقظة الإسلامية معاً (وسننشر كلامه)

وقد كنت اقترحت على سلفه المرحوم الشيخ أبي الفضل الجيزاوي في أول العهد بظهور الطمع الصهيوني في المسجد الاقصى والعثور على صورة لقبة الصخرة يعلوها العلم الصهيوني أن يكتب فتوى على سؤال في ذلك تتضمن مايجب على المسلمين من استنكار ذلك ووجوب حماية المسجد الاقصى عليهم ... فاعتذر رحمه الله فألححت عليه وأكثرت من اللوم حتى غضب فقال: ياسيد رشيد أتظن انه مابقي

أحد يغار على الاسلام غيرك ؟ والله اننا نغار مثلك ،ولكنك أنت مطلق ونحن مقيدون، وأنت تعلم اننا ممنوعون من كل شيء يتعلق بالسياسة ...

مستقبل العرب مع الانكليز

(١٢) اننا نرجو ان يحيط الشعب الانكليزي العاقل بما ذكرناو ذكر غيرنا من الحقائق فنجد منه عوناً على حكومته بتغيير سياسته مع الامة العربية، والجلاء عما تحتله من بلادها الحجازية واليمنية وغيرها، والاتفاق مع حكوماتها على مايضمن له مصالحه الاقتصادية ونفوذه الادبي في جميع بلادها . فوالله لو أن في الشعب الفرنسي من الروية والتدبير مثل ما في الشعب الانكليزي لأمكنه إكراه دولته على تأليف دولة سورية واحدة تقضي على نفوذ الدولة البريطانية في الامة العربية كلها ثم في سائر الشعوب الشرقية المتصلة بها

كان من آفات الظفر في هذه الحرب أن الغرور قد استحوذ على عقول الظافرين وان كان ظفرهم بقوة غيرهم لا بقوتهم، فلولا الولايات المتحدة لاستولت ألمانية على جميع ممالكهم ،وكان من آفات هذا الغرور أن الدولة البريطانية ظنت أن قوة السلاح، خيرلها من قوى التدبير والعقل والاصلاح ، وانها قد ورثت جميع السلطنة (الامبراطورية) العثمانية ،باحتلال القسطنطينية، وانها ستملك بلاد ايران والافغان بالاساطيل الجوية، كارسخ قدمها في مصر وسائر البلاد العربية، وانه قد تم ما كانت تحلم به من امتداد امبراطوريتها من حدود برقة إلى حدود الصين من الغرب الى الشرق ، ومن الاسكندرية الى الكاب من الشمال إلى الجنوب ، فبدا لها من جميع هذه البلاد مالم تكن تحتسب ، بل بدا لها من الهند ينبوع ثروتها الثرور ، وسوق تجارتها التي لا تبور، ما لم يكن يخطر لها ولا لغيرها ببال ، إذ هب مئات الملايين فيها يطلبون الاستقلال ، وينذرون الدولة قرب الزوال، وطفق الباحثون من علمائها يبحثون في هرمها ، ويقدرون مابقي من عمرها ، على قاعدة قول الشاعر

إذا تم شيء بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم

ولكن هذا كله قد كبح جماح ذلك الغرور ، وتغلب حزب العمال المعتدل على حزب المحافظين المغرور ، وجنح حزب الاحرار الى العمال ، فمن ثم قويت الآمال ، بمراعاة هذه الدولة العظيمة لمقتضى الحال ، وطول بقائها في أوربة كلسان الميزان

بشارات أنبياء اليهود في المسيح والملك

(١٣) اليهود الماديون واللادينيون يتكلون على انكلترة في إعادة ملك سليمان وهيكله اليهم كما تقدم ولكن دين الانكليز وشرفهم ومصالحهم المرتبطة بأربعمائة مليون من المسلمين ومن العرب غير المسلمين أيضاً تأبى عليهم ذلك على تقدير قدرتهم عليه

واليهود المتدينون يعتمدون على بشارات أنبيائهم ، وهذه البشارات مبهمة ومشروطة باتباعهم لوصايا التوراة كلها وقد تركوا هذا عندما كان ممكنا وقد أصبح غير ممكن ، ثم انه مقيد بمجيء المسيح وجريان ذلك على يديه ، وقد جاء المسيح الحق عليه السلام فكفر أكثرهم به فأيد الله تعالى من آمن به على من كفر كما قال عز وجل في آخر سورة الصف (٦١ : ١٤ فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) وقد كتبنا مقالا طويلا في بيان تلك البشارات وما كان من قيودها وشروطها وما تقتضيه من حرمانهم من أرض الميعاد والملك الى الابد سننشرها في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

أنباء خاتم النبيين في أمر اليهود مع المسلمين

(١٤) ان عندنا معشر المسلمين بشارات من خاتم النبيين وواسطة عقد المرسلين محمد ﷺ أوضح وأفصح وأصرح من بشارات أنبياء اليهود كأخبار المسيح الدجال الذي يظهر فيهم فيتعصبون له ويقاتلون المسلمين والنصارى في فلسطين وغيرها فيخذلون ويغلبون على امرهم . ومنها مارواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يامسلم هذا يهودي ورائي فاقتله » وله روايات أبسط من هذه الرواية ، فاحذروا أيها الصهيونيون المغرورون ان تعجلوا بفتح باب البلاء على أنفسكم بل احذروا وقد فتحتموه أن تصروا عليه ، وارجئوه إلى مجيء مسيحكم فانا له مرجئون ، وانتظروا فانا منتظرون

السيد عبد الباسط فتح الله

﴿ وفاته وملخص ترجمته ﴾

في غرة جمادى الاولى من هذا العام رزئت مدينة بيروت بل القطر السوري بل الامة العربية والملة الاسلامية بوفاة فرد من أفرادها وبدل من أبدالها وشهيد من شهداء الحق ، وحجج الله تعالى على الخلق ، صديقنا الوفي وأخونا في الله عز وجل ، وأحد تلاميذ شيخنا الاستاذ الامام ، ومريديه في ديار الشام ، وبتربيته وإرشاده كان من أركان الاصلاح في العلم والعمل ، والاخلاق والادب ، ومن الكتاب المجيدين ، والخطباء المؤثرين الاستاذ السيد عبد الباسط فتح الله ، رحمه الله تعالى وأثابه ، وأحسن مرجعه اليه ومآبه ، ثم احسن عزاءنا وعزاء أهله ووطنه عنه ، وعظم أجرنا جميعاً بمصابنا فيه . توفاه الله تعالى عن ستين سنة هجرية كاملة ، إثر مرض طويل أعيا الاطباء ، وتعذر الشفاء ، وقد كبر مصابه على عارفي فضله فأبنوه عند دفنه ، ثم أقاموا له حفلة تأبين في اليوم الاربعين من تاريخ فقده ، تبارى فيه خطباء بيروت وشعراؤها في رثائه وذكر مناقبه نظما ونثراً

وإننا نقتبس ترجمته التاريخية مما ألقاه في تلك الحفلة صديقنا وصديقه الاستاذ الشيخ احمد عمر المحمصاني الشهير ، وهو مأخوذ من ترجمته لنفسه التي نشرتها مجلة المجمع العربي في دمشق ومما عرفه المترجم بنفسه منه وعنه بطول المعاشرة في القرب ، وكثرة المكاتبة في البعد ، كنا قد كلفناه كتابة ذلك لاجل نشره في المنار ، فكتبه وألقاه في حفلة التأبين ثم أرسله الينا فلخصنا بعضه وتركنا أقله وأثبتنا أكثره بحروفه

فمما ذكره المترجم ان كلا من والديه رحمها الله تعالى « من اسر بيروت القديمة ولنسبهما صلة بأهل البيت النبوي الكريم » ومما بلغنا من صفة والده انه كان رجلا صالحا تقياً . وحدثنا الفقيد عنه ان الشيخ يوسف النبهاني الخرافي الحشوي المعروف حمله عند سفره الى الحج بعض كتبه لاجل توزيعها في المدينة

المنورة فكان من امره أنه قبل وصوله إلى المدينة بليلة واحدة — على ما أذكر — رأى النبي ﷺ في منامه فأمره لا يدخل مدينته بتلك الكتب وفهم منه انه ﷺ غير راض عنها ، فألقاها أو دفنها في مكان قبل دخولها . ولما عاد من الحج جاء الشيخ النبهاني للسلام عليه في داره و كان عنده كثير من الزائرين فلما دخل عليه ودنا منه ليعانقه لم يملك لسانه ان قال له يا شيخ يوسف ان رسول الله ﷺ غير راض عنك ، فبهت النبهاني وأحجم لقوله ، واستغرب الحاضرون ذلك ووجموا لسماعه ، فذكر لهم رؤياه المذكورة . ثم قال المترجم

﴿ نشأته ﴾ ولد عام ١٢٨٨ هجرية ، وتعلم القراءة والخط وأوليات الحساب في مدرسة المرحوم الشيخ حسن البنا . ثم في سنة ١٣٠٠ دخل المدرسة السلطانية التي فتحت في بيروت فتعلم فيها العربية والتركية والافرنسية وما اليها من الفنون . وكان من أساتذته فيها استاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده وعنه اخذ علوم البيان والمنطق والتوحيد والاحكام العدلية (مجلة الاحكام الشرعية) وكانت له به عناية خاصة فقرأ له في بيته أثناء العطلة المدرسية وليالي رمضان فصولا من متن التهذيب في علم الكلام والسيرة النبوية

«ولما اضطرب نظام المدرسة بتدخل السلطة العسكرية في إدارتها برحها الاستاذ الامام فتبعه المترجم ولزم مجلسه حتى أشار عليه بدخول الكلية البطاركية لاتمام ما كان حصله في المدرسة السلطانية من اللغة الافرنسية والفنون ، فدخلها عام ١٨٨٨ وحضر فيها دروس استاذ اللغة العربية الشيخ ابراهيم اليازجي ودروس غبطة الحبر العلامة البطريرك ديمتريوس القاضي في الآداب الافرنسية والتاريخ القديم والحكمة الطبيعية ، واكتسب من ميل هذا الحبر ورعايته ، ما لا يقل عن اهتمام الاستاذ وعنايته ، ثم خرج من هذه الكلية وقد نال شهادتها العلمية ، مع جائزة الشرف في العلوم العربية

«وكان يختلف اثناء العطلات المدرسية وفي اوقات الفراغ بعدها إلى مجالس الاستاذ المحدث الشهير الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت السابق رحمه الله ، فسمع منه مع فريق من طلبة العلم جملة صالحة من صحيح البخاري

[وهنا ذكر المترجم شيئاً من سيرته في حياته العملية ثم قال]

﴿ خدمته للعلم ﴾ بيد أن مشاغله الادارية والتجارية لم تكن لتمنعه مما يهوى اليه فؤاده من خدمة العلم ونشره . فقد دعاه الاستاذ الناهض المقدام الشيخ احمد عباس إلى معاونته على تأسيس مدرسته الشهيرة [بالمدرسة العثمانية] فلبى الدعوة، ونشط للخدمة، إذ وجد فيها متسعاً لتحقيق امانيه في الاصلاح، وظل يتبرع بمشاطرة الاستاذ — المشار إليه — تدبير مدرسته وتنظيمها، ويلقي فيها المحاضرات الادبية ويعطي الدروس في الجغرافية والطبيعيات والتعريب، إلى أن قضت السياسة التورانية باقفالها اوائل ايام الحرب

«على ان سعيه نحو غايته من بث العلم لم يكن لينحصر في سبيل تعليم البنين وتربيتهم بل كان تثقيف البنات والوفاء لهن بحقهن من العلم والتهذيب مناط همه الاكبر فبالرغم من المصاعب الجمة التي كانت تعترض الساعين في تنوير الامة (خصوصاً العربية) أيام عبد الحميد قد وفق مع طائفة من المفكرين الناهضين لتأسيس (جمعية ثمرة الاحسان) بغية تحسين حالة الانثى المسلمة وأنشؤا لها مدرسة حوت العدد الجم من البنات. ومن تلميذاتها اليوم من تدير إحدى مدارس الحكومة. واشترك كذلك مع فريق من أصحاب الشان في تأسيس (جمعية مآثر التربية) التي غايتها معاونة الطلبة المعوزين على تحصيل العلم العالي أو الاخصاء في أحد فروعه في كليات بيروت أو جامعات أوربا. ومن أبنائها من هم اليوم في عداد الاطباء، والمحامين وأهل القضاء

«وانتخب لعضوية (جمعيـة المقاصد الخيرية) وما زال يدأب في خدمة مدارسها وأنظمتها على نحو خدمته للمدرسة العثمانية ومدرسة ثمرة الاحسان من قبل . كما انه قام بتدريس الديانة والتهذيب للصفوف المؤلفة من البنات المسلمات (في المدرسة السورية الاهلية)

﴿ أثر قلمه ﴾ تراه وهو في غضون تلك الاعمال السابقـة يغتنم الفرصة، ويفترص المناسبة لبث الافكار الصحيحة والمبادىء السليمة، ويلفت الانظار إلى حقائق الامور وتعرف المصلحة العامة والاعتدال في الاخذ بالجديد والمحافظة

على القديم ،عاملا بسنة أستاذه الامام في الدعوة إلى ترك الجمود على التقليد الضار ، وخلط الدين في كل شأن من شؤون الدنيا

«تلك المقاصد والموضوعات تراها منبثة في مقالاته وخطبه جارية من بيانه مجرى الدم من جثمانه. فمن غرر مقالاته المشهورة : النهضة الاقتصادية . الالفة التمدن. الصدق. التعصب . العلم روح المدنية ، والمدنية معنى الانسانية . الميسر وأضراره . ذكرى من سفر في وصف قلعة بعلبك . المداواة الحديثة. تأثير السجايا في الاعمال . لبوس الصيف والنسيج الوطني. الرقيقة امبراطوره (كتبها عن هنري امبراطورة الصين) العافية نور على هام الأصحاء لايدركه إلا الضعفاء. غريبة في عالم الصناعات. العبادة عادة و الدين المعاملة . بحث في الصحافة . اللجان الخيرية. في الكستنا أو الشاه بلوط . الاسلام (مقالة رد فيها على مقال للمسيو كرلرات نشرت في جريدة الديبش كولونيال بعنوان ضد الاسلام) تصويت النساء. في شأن المرأة. في المدافعة الملية . الهرم . وصية منتحر . احتفال الجمعية الخيماوية . الحكم على الكلاب بالاعدام . (يداعب فيها البلدية) المحاميات ، عبد الله باشا فكري والهيئة الجديدة (قرظ بها رسالة عبد الله باشا فكري وزير معارف مصر في المقارنة بين الهيئة الجديدة وتطبيقها على النصوص القرآنية) ذكرى العاقل وتنبيه الغافل (قرظ بها رسالة بهذا العنوان للامير الكبير السيد عبد القادر الجزائري) مجالس الوعظ في رمضان . الظاهر المألوف من المفروش والملبوس . كلمة في بلدية بيروت . وهذه نشرت في جريدة ثمرات الفنون مع كثير من المقالات

«وله مقالة عنوانها (التجارة محور السياسة) نشرت في الثمرات عدد ١٢٨٤ أتى فيها بالمعجب العجاب في بيان سر الاقتصاد عند الامم الراقية وأن التجارة هي حفاظ السعادة وقوام العمارة — إلى أن ختمها بقوله — ولو بحثت من الامور السياسية في أدقها وما قد لا يشتم منه ريح التجارة لتحققت ان التجارة سره ولبابه ، مهما اختلفت مظاهره وتلونت أثوابه ، ولأدركت أن التجارة هي غاية السلم ، غاية الحرب ، محور السياسة ، فضلا عن انها قطب رحى الحياة المدنية

«وله مقالة عنوانها (الاصلاح من طريق العلم والتهذيب) نشرت في العدد الاول من مجلة الكشاف، ومما يناسب أن يخص بالذكر في هذا المقام دلالة على شعوره الادبي ما كتبه بعيد خروجه من المدرسة في بيان حاجة العربية إلى تأسيس مجمع علمي ينقسم إلى شعب تتفرغ كل منها للعمل في سد جانب من عوز اللغة (الامر الذى لم يتم لنا إلا بعد ثلاثين سنة)

«وإذا تأملت في مقالاته فانك تجد رجلا اجتماعياً يخوض في مواضيع شتى ، وهو هو بقلمه المتين وعبارته الجيدة وحجته الناصعة، فبينما تراه يكتب في موضوع اخلاقي يشبعه درساً فاذا به في مقال آخر يصف شيئاً فيقربه اليك كأنك تراه ماثلا أمامك ، وتارة تجده في موضوع أدبي أو علمي أو اجتماعي أو زراعي او تاريخي يوضح لك المحجة، ويقرع الحجة بالحجة

« وأما خطبه المتعة فحدث عن البحر ولا حرج ؛ ومن الذي لا يذكر مواقفه في المدرسة العثمانية (الكلية الاسلامية الآن) وأقواله التي تملك الآذان ، بلا استئذان، مع ثبات جأش ، وقوة عارضة ، ومتانة في الجمل والكلمات ، ورقة في الاسلوب والعبارات ، والذين شهدوا خطبه في معنى المسلم وفي الاخوة الدينية ، وعن المدرسة الاسلامية في أول نشأتها ، وفي الزوايات الادبية وتأثيرها ، ومحاضرته عن أبي العلاء المعري وعن التمثيل وفوائده — يعرفون المواهب التي وهبه الله إياها ، ويدركون عظيم الخطب بفقد الامة له وهي في أشد الحاجة الى العاملين المخلصين المصلحين .

رحم الله منك نفس كريم وقليل من النفوس الكرام

ثم ذكر مما ترجمه بالعربية عن الفرنسية (كتاب التدريس العلمي ليول برت احد نظار المعارف الافرنسية . وكتاب فلسفة السياسة لغوستاف لوبون . وكتاب الرين ووستفاليا لجول هوره . وترجمة فصل من كتاب سر تقدم الالمان . وهذه الاربعة لم يتمكن من اتمامها . وقد أتم تعريب رسالة (مسألة النساء) لارنست لوكوفي وجعل لها مقدمة جليلة جداً

«ومن أهم مميزات الفقيد : الانصاف في المناظرة والمحاورة وهذا مما امتاز به

وعرفه له مخالطوه ومعاشروه ، كانه من أكبر الادلة على التانة والرسوخ في العلم، ومن أجل المواهب التي يؤتاها النابغون ، ولا يوجد بعد العلم حلية لأهل العلم مثل الانصاف فيه (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)

«ومن أعظم مميزاته اعتناؤه الكلي بالتنظيم في الاعمال التي أدارها وبالاخص فيما يتعلق بالعلم والتعليم وما دخل في مصلحة الا وكان له فيها الاثر الخالد

« وقدظهرت هذه الميزة في رآسته لنادي رأس بيروت فقد وضع نظامه واحكم اساسه وتولى بنفسه إلقاء المحاضرات الممتعة والمواضيع النافعة مع بعض اخوانه ، ولو قدر لهذا النادي البقاء لكان من مفاخر بيروت الجميلة ومن أهم الاندية في البلاد ولكن مداهمة الحرب العامة ذهبت بكل ما كان ينتظر من هذا النادي الجليل في الاصلاح المطلوب

«إن الفقيد بسيرته هذه وعلمه الجم ،وعمله الخالص الاتم ، كان حجة الله على كثير ممن عرف العلوم العصرية واللغات الاجنبية ولم يكسب أمته من علمه ومعرفته شيئاً يرقيها ويفيدها بنقل او تعريب ، او دفاع عن حوزتها وكيانها وعما يتهمها به الاعداء من الطعن في معتقداتها او الحط من مفاخر اسلافها

«وحجة الله أيضاً على كثير ممن تذوقوا العلم فوقفوا عند القشور، واشتغلوا بسفاسف الامور، ولم ينفذوا إلى اللباب، فأضاعوا أنفسهم وأمتهم وضاعوا عن الصواب

«حياة كلها علم وعمل ، وجهاد وأمل ، ودعوة إلى الحق ، وثبات وصدق ، وصبر واحتمال ، وسير حثيث إلى الكمال ، مع انصاف في المناظرة ، وأنس في المحاورة ، ووقوف عند الحدود الشرعية ، ودعاء إلى السنة السنية ، ونفور من البدع ، لا تأخذه في الحق لومة لائم

«فهذه آثار ناطقة بسمو مداركه وعلو مكانته، في أي بحث طرقه ،أو أي موضع تناوله كان ابن بجدته فقد جمع ما تفرق في غيره » اه

هذا واني أختم هذه الترجمة بالتنويه بمقال كتبه لنا باقتراحنا عن سيرة الاستاذ الامام في بيروت لينشر في الجزء الاول من تاريخنا له، فرحمهما الله تعالى وحشرنا وإياهما مع (الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

أنباء العالم الإسلامي

فريضة الحج

﴿ ودعاية ملاحدة السياسة الشريفية لتركها بفتاوى يفترونها ﴾

لما ولى الله إمام السنة الملك عبد العزيز بن سعود أمر حرمه وحرم رسوله لم يجد أعداؤه وسيلة للحيلولة بين العالم الاسلامي وبين رؤية عدله وإقامته لشرع الله وإحيائه لسنة رسوله ﷺ إلا دعوتهم إلى ترك فريضة الحج وهدم هذا الركن العام من أركان الاسلام انتقاماً منه لهدمه هياكل الوثنية التي بنيت على قبور آل البيت والصالحين برغم السنة النبوية

ومن المعلوم من دين الاسلام بالضرورة ان الله فرض الحج بنص كتابه المحكم على من استطاع اليه سبيلا وقال عقب ذلك (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) فمن استحل تركه بغير فقد هذا الشرط « الاستطاعة » فهو كافر خارج من دين الاسلام. ولذلك لم تؤثر تلك الدعاية إلا في بعض الجاهلين ، والحجاج يزدادون عاماً بعد عام وينشرون فضل ابن السعود في العالم

وقد علمنا في هذه الايام ان دعاة بيت الملك المفقود من الحجاز جددوا هذه الدعاية نفسها وأرسلوا الكتب من مصر إلى جاوة وسنغافورة وعدن واليمن والهند وسائر الاقطار الاسلامية التي لهم معارف فيها يحثونهم على صد الناس عن الحج بدعوى أن ملك ابن سعود في الحجاز وفي نجد أيضاً على وشك السقوط بانتصار بعض الخارجين عليه في نجد بقيادة ابن الدويش ، ويستندون في هذه الدعوى على ماينشرون في جرائد مصر من الاراجيف ، ولكنهم من جهة أخرى يشيعون أن الدويش هذا متفق مع أولاد الملك حسين والانكليز على ثل عرش ابن سعود ليعيدوا الحجاز إلى الملك حسين أو نجله علي ، فان كانوا واثقين بهذا وبقرب وقوعه فالمعقول أن يدعوا الناس إلى الاقبال على الحج لا على تركه

وقد ورد عليَّ اليوم كتاب من بعض المسلمين الغيورين على دينهم في عدن ذكروا فيه ان دعاة هدم ركن الاسلام العام عادوا إلى الدعاية الاولى بتفنن جديد في الكذب فقد جاء فيه بعد رسم المخاطبة :

« لا يخفاكم يا سيدي انه جاء أخيراً إلى هذه البلدة فرقة من الناس أذلهم الله وأصابهم بداء البغض لجلالة الملك عبدالعزيز آل السعود أيده الله، ولا عمل لهم إلا التجول في الاسواق وثلب هذا الملك الجليل الوافر العرض . وكنا لا نلتفت إليهم ولا نأبه بما يقولون حتى ابتدؤا ينشرون الفتاوى بأن الحج لا يجب في هذه الايام بسبب وجود الحكومة النجدية في البلدان المقدسة

« وأخيراً أظهروا للناس أنهم كاتبوكم وأقنعوكم بالادلة وأجبروكم على الموافقة على فتواهم هذه

« أما نحن فاننا أخبر بهم ونعلم انه لا يرضى بقولهم إلا مخبل، ولكن خشينا على عامتنا أن يسرى إليهم هذا الداء -أي داء بغض العرب الناشىء عن بغض مليكها الجليل

« فبادرنا بكتابة هذه الاسطر اليكم راجين منكم جوابا تخدمون به الدين والدولة . ونرجو أن يكون ردكم على صفحات الشورى الغراء لانها أشهر الجرائد هنا وتطلع عليها أكثر أهالي هذه البلدة. وفي الختام اقبلوا فائق الاحترام » اه

(الجواب) كنت أود لو أرسل إليَّ هؤلاء الغيورون نسخة من الفتوى التي أشاروا إليها لنرى على أي قاعدة من قواعد الجهل والكفر استحل هؤلاء المساكين ،هدم هذا الركن الاسلامي الركين ، وأي نص من نصوص الكتاب والسنة أو من اجتهاد الأئمة أوردوا في فتواهم استدلالا على أن وجود الحكومة السعودية في الحجاز مسقط لفريضة الحج عن المستطيع خلافاً لنص كتاب الله تعالى ؟ إذ لا يبعد أن تدل الفتوى على أن فرض استقبال الكعبة المشرفة في الصلاة قد سقط عن المصلين بوجود هذه الحكومة هنالك وولايتها على بيت الله تعالى ! فان الجهل ليس له حد يقف عنده

يسهل علينا أن نقنع كل مسلم وإن كان عامياً جاهلا بضلالة هؤلاء الداعين لهم إلى هدم بعض أركان دينهم اتباعاً لأهواء السياسة والمال ، إذ لا يجهل أحد

منهم أن الحج من أركان الاسلام المفروضة على كل مستطيع له، وكتاب الله وكتب السنة الصحيحة موجودة بين أيديهم فكذبهم عليها مفضوح ،وإذا كان كذبهم علينا ظاهراً أنكره العقلاء بدلالة عقولهم وها نحن أولاء نظهره لغيرهم على صفحات هذه الجريدة وغيرها — فكيف بكذبهم على الله ورسوله وأئمة المسلمين ؟

وأما الذي يصعب إظهار كذبهم وافترائهم فيه فهو مايرجفون به في تعظيم أمر ثورة الدويش في نجد على ملكه وإمامه ،وبيان أن مايتوقعونه من الشر ويفرحون به ليس خيراً لهم بل هو شر لهم ولغيرهم ، ولماذا يصعب إظهار افترائهم فيه ؟ لانهم يدعون أن مايقوله كل أحد غيرهم كذب ، وان مايقولونه هم هو الحق والصدق وحده ، فليس علينا إلا أن ننتظر قليلا كما انتظرنا كثيراً في حادثة حصر الامام ابن سعود لجدة والمدينة المنورة وما كانوا يذيعونه من أخبار ضعفه وقرب طرده من الحجاز ، فظهر كذبهم وإرجافهم للعالمين ، والعاقبة للمتقين

(علاوة) هذا ما كتبناه في اليوم الذي وصلت الينا فيه رسالة عدن ونشرناه في جريدة الشورى إجابة لطلبهم ، وقد كتبنا في الجزء الماضي مقالة مستقلة في فتنة نجد :أسبابها ونتيجتها وأهمها الدسائس الشريفية . ومن توفيق الله تعالى لابن السعود حماقة أعدائه وجهل دعاتهم التي تنتهي دائما بظهور خذلان الله تعالى لهم (أَولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولا هم يذَّكرون)

(استدراك على التفسير)

﴿ نص التصحيح الذي اشرنا اليه في آخر ص ٤١٨ من هذا الجزء ﴾

(المبحث الثالث)وهو لغوي محض أن لفظ أخ أصله أَخَوٌ ومثناه أَخَوَان وفي لغة أخان. ويجمع على اخوة واخوان بكسر الهمزة فيهما، وكل منهما يستعمل في أخوَّة النسب القريب أي الاخوَّة من أحد الابوين أو كليهما والنسب البعيد كالجنس والقبيلة وفي اخوة الرضاع وأخوة الدين وأخوة الصداقة، وقد نطقت هذه الآية باستعمال لفظ الاخوان في أخوة الدين ومثلها في الموالي (فاخوانكم في الدين)وجاء في اخوة الكفر (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) الخ وأما استعمال جمع الاخوة في أخوة الدين ففيه قوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة) وسائر استعماله في اخوة النسب

اصلاح الازهر والمعاهد الدينية

استبشر طلاب الاصلاح الاسلامي في مصر وجناحيها من الشرق والغرب بما ظهر من الشيخ محمد مصطفى المراغي منذ ولي أمر الازهر من فكر ثاقب، وعقل راجح، وعلم واسع، وهمة عالية، وشجاعة أدبية، ظاهرة، وما انتجت هذه المزايا من قانون للاصلاح مبين لأقوم مناهجه، وأرفع معارجه، وأبعد مقاصده، وما بذل من جهد، وأنفق من وقت، في السعي لاقرار الحكومة إياه، وصدور المرسوم الملكي بتنفيذه. ثم راعهم في آخر يوم أو آخر ساعة من هذه المرحلة ان علموا أن الاستاذ الاكبر قد استقال من منصبه، لان جلالة الملك توقف عن إصدار المرسوم به، فوجمت النفوس، وضاقت الصدور، وأكبر الناس الاستاذ المراغي في استقالته، وعدم مبالاته بجاه المنصب الرفيع وما يتقاضاه من ألوف الجنيهات فيه، أضعاف ما أكبروه فيما أشرنا اليه من مزاياه، إذ به ثبت لهم أن الرجل قد وقف حياته على خدمة دينه وان يبذل في سبيله دنياه، وعلى رفعة شأن ملته وأمته، لا على منفعة نفسه وأهله وولده، وان نفسه الزكية نسخة من نفس شيخه الاستاذ الامام، وانه لا بد للمسلمين ان يستفيدوا من مواهبه في يوم من الايام. وقد نوهت بذلك الجرائد وعدّوا استقالته إحدى الكبر، والنذر والعبر

ويظن الكثيرون ان لدسائس خصوم الاصلاح تأثيراً في الصد عنه اليوم كدأبهم بالامس، ولكننا نعلم ان ذلك القانون الاصلاحي هو رغبة جلالة الملك فلا قنوط بما عرض دونه ولا يأس، وقد عادت الحياة الدستورية إلى البلاد، ولن ترضى الامة أن يظل الازهر على ما انتهى اليه أمره من اضطراب

ولما أصر الاستاذ المراغي على استقالته بعد مراجعة أولي الشأن له في الرجوع عنها صدرت إرادة جلالة الملك بجعل صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد الظواهري شيخاً للازهر ورئيساً للمعاهد الدينية، وهو من تلاميذ الاستاذ الامام أيضاً فلا يخفى عليه شيء من حاجة الازهر الى الاصلاح، ولكنه يؤثر التريث فيما يراه منه ومداراة المعارضين فيه. ونسأل الله تعالى أن يوفقه ويوفق ولاة الامور الى ما فيه الخير للمسلمين، واغتنام الفرص قبل فواتها آمين

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ كتب التاريخ العصرية في مصر وسورية ﴾

كنا من أول العهد بهجرتنا إلى مصر منذ ثلث قرن نعجب لتقصير المصريين في تأليف كتب لتاريخ هذا القطر وغيره على الطريقة العلمية الحديثة التي درسوها وعرفوا فلسفتها ومناهجها وأساليبها ، ثم زال العجب فرأينا القوم ينسلون للتأليف في أنواع هذا التأريخ من كل حدب . وقد قرظنا في العام الماضي كتاب ﴿حوليات مصر السياسية﴾ لصاحب السعادة صديقنا احمد شفيق باشا، ثم صدر في هذه الايام ﴿ الحولية الثالثة ﴾ من هذه الحوليات ، وهي تدخل في المجلد السادس من تاريخه الكبير اذ كانت الاولى والثانية في الجزأين ٤و٥ وهما لحوادث سنتي ١٩٢٤و١٩٢٥ فالثالثة لحوادث ١٩٢٦ وثمن هذا الجزء ثلاثون قرشاً يضاف اليها أجرة التجليد والبريد لمن طلبه من الخارج وهو يباع في مكتبة المنار

﴿ تواريخ سعادة أمين سامي باشا ﴾

امين سامي باشا عالم نحرير ، ومؤرخ محقق ، ومهذب متدين ، ولعله فاق جميع علماء فن التربية والتعليم عندنا في الجمع بين العلم به والعمل . وقد خدم وزارة المعارف عشرات السنين خدمة جليلة من أهمها نظارة مدرسة دار العلوم التي يتخرج فيها معلمو الدين والفنون العربية في جميع المدارس الاميرية ، فكانت التربية في عهده ، خيراً مما آلت اليه من بعده، على ما كان من مراقبة الانكليز للمدارس التي كان من مقاصدها الخفية إطفاء نور الاسلام ، والوقوف بالعلم عند حدود التقليد ومظاهر النظام. ولعله لو ظل ناظراً لها إلى اليوم لما تفرنج طلابها في الازياء، ولما نزعوا العمائم وتركوا الصلاة - لا أقول كلهم، بل أكثرهم أو كثير منهم

وقد أخرج للناس في شيخوخته كتابين جليلين لم يسبقه إلى مثلهما سابق ، وهيهات أن يدركه في موضوعهما لاحق

﴿ الاول : كتاب التعليم في مصر ﴾ وهو كتاب جامع لما يهم العلماء والخواص معرفته من أحوال التعليم في مصر في العصور الاولى بالاجمال وفي هذا

العصر بالتفصيل . وقد وضع فيه لحالة المدارس في أيامنا احصاء دقيقاً في جداول متنوعة يرى المطلع عليها عدد المشتغلين بالتعليم ونسبتهم إلى الالف على مقدار انتشار التعليم في كل محافظة او مديرية بالنسبة إلى سكانها . وعلى نسبة المصريين والمصريات الذين في مدارس الاجانب ونسبة الاجانب الذين في المدارس المصرية ونسبة المحرومين من التعليم الى المتعلمين من بالغي سن التعليم الاولي والابتدائي إلى غير ذلك من البيانات المفيدة التي تظهر من الجداول الاحصائية الموضوعة بدقة لا يعادلها إلا الحذق في استخراج النتائج منها . وفيه بيان مناهج التعليم كلها ولوائح الشهادات والدبلومات من وقت تقريرها الى الآن ، ويزدان بعشرات من الصور لولاة الامور ووزراء المعارف وأعضاء البعثات التي أرسلتها الحكومة الى أوربة. فهو كتاب لا نظير له ، ولا غنى عنه ، وهو مطبوع في المطبعة الاميرية على ورق جيد من القطع الكامل ومجلد بالقماش تجليداً حسناً وثمنه جنيه مصري

﴿ الثاني : كتاب تقويم النيل وعصر محمد علي باشا ﴾ وهو جزآن : الاول منه مؤلف من مقدمة في ١٣٤ صفحة ماعدا الخرائط تضمنت كل الحقائق المتعلقة بأمر النيل وفيها رسوم (خرائط) ملونة تمثل حركات الرياح وضغط الجو وبحيرة تسانا ومخارج الانهر التي تسبب الفيضان ووقوع الامطار ، ويلي المقدمة المقصد الاول من الكتاب وهو تقاويم النيل من ابتداء السنة الاولى من الهجرة الى سنة ٩٢٢ هـ ٦٢٢م ـ ١٦١٦ م ويليه المقصد الثاني وهو الفوائد التاريخية الصحيحة وسلسلة تاريخ مصر على التفصيل وتاريخ الخلافة الاسلامية على الوجه العام في ذلك الزمن كله وصفحاته ٢٥١ وهو كسابقه طبعاً وقطعاً وتجليداً وثمنه جنيه مصري

﴿ الجزء الثاني منه ﴾ وهو يشتمل على ماعلم من أمر النيل في كل سنة ابتداء من سنة ٩٢٣ هـ لغاية سنة ١٢٦٤ هـ ١٥١٧ م الى ١٨٤٨ م وصحفه حافلة بالفوائد التاريخية المحققة الدقيقة الصحيحة في ذلك الزمن وبالاخص عصر محمد علي باشا الذي أنقذت مصر في عهده من وهدة الانحطاط التركي وارتقت مرتبة عالية من مراتب الرقي

وهو مزدان باحدى وخمسين صورة من صور محمد علي باشا وصور رجال عصره النادرة مع نهاية الاتقان والوضوح وصحفه ٦٢٢ صفحة وطبعه كسابقه من كل وجه وثمنه ١٥٠ قرشاً وتطلب هذه الكتب كلها من مكتبة المنار في شارع الانشاء بمصر



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ شعبان سنة ١٣٤٨هـ ٩ برج الدلو سنة ١٣٠٩ هـ ش ٣٠ يناير سنة ١٩٢٩

فتاوى المنار

جوابنا عن أسئلة الربا في الفتوى الهندية

أشهد أن رسالة الاستفتاء في مسألة الربا رسالة نفيسة ، وأن كاتبها المستفتي المفتي قد حقق الموضوع أحسن تحقيق في مذهب الحنفية ، فهو حقيق بأن يعد بها مجتهداً في المذهب — لا في الكتاب والسنة — على سعة اطلاعه في التفسير والحديث . وإننا نبين رأينا مجملا مختصراً في المسائل الاربع التي لخص بها الرسالة وأفتى فيها وعرض فتواه على علماء المسلمين في الأمصار مستفتياً عنها ، ثم نعود إلى تحقيق البحث بما أرانا الله تعالى من فقه الاسلام ، غير مقيد بمذهب من مذاهب أئمته الاعلام ، لان الموضوع من المسائل التي تنازعوا فيها في جملتها والله تعالى يقول (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) وأخونا العلامة الهندي الفقيه الحنفي قد حاول هذا وأراده ولكنه نظر في أدلة الكتاب والسنة بمنظار الفقه الذي انطبع في نفسه وغلبت عليه ملكته ، فأقول متوجهاً الى الله تعالى داعياً ضارعاً أن يلهمني الصواب . ويؤتيني الحكمة وفصل الخطاب :

﴿ الفتوى الأولى ﴾

(قال) الربا المذكور (يعني في آية البقرة) مجمل عند الاحناف وغيرهم من الائمة ، حتى يصح أن يقال اتفقت عليه الامة ، وحديث عبادة وغيره تفسير له عند الجمهور

(أقول) قوله ان الربا المذكور مجمل عند الاحناف صحيح وقوله باتفاق الامة عليه غير صحيح ، وقوله إن حديث عبادة و غيره « الحنطة بالحنطة » تفسير له غير مسلم ، بل المتبادر منه بحسب القواعد ان الالف واللام فيه للعهد ،

والمعهود من الربا عند المخاطبين به في عصر التنزيل شيئان (الاول) ربا الجاهلية الذي وضعه وأبطله النبي (ص) وجعله تحت قدميه كدماء الجاهلية وثاراتها ، وهذا ما سمي في اصطلاح النحاة بالعهد الخارجي (الثاني) قوله تعالى (٣ :١٣ يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) فهو قد نزل قبله بلا نزاع لانهم قالوا ان آيات أواخر سورة البقرة في الربا وقوله تعالى بعدها (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) الآية آخر مانزل من القرآن، وان عمر رضي الله تعالى عنه قال ان رسول الله (ص) توفي ولم يفسرها لنا. ولو كان حديث عبادة وغيره تفسيراً لها لما قال عمر هذا وهو من رواة هذا الحديث والعاملين بمضمونه كما هو مقرر في كتب السنة . وانما يعني (رض) أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يقل فيها شيئاً زائداً على ما كانوا يعلمونه من آية سورة آل عمران ومن ربا الجاهلية وابطاله (ص) له وهذا الربا هو الربا الذي يصدق عليه تعليل التحريم بقوله تعالى (وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون) والقاعدة ان المعرفة اذا أعيدت يكون المراد بالثاني عين الاول

﴿ الفتوى الثانية ﴾

(قال) « الربا هو الفضل الخالي عن العوض في البيع » وذكر أن الفقهاء زادوا فيه قيد « المشروط » وأنه لا حاجة اليه . واستدل عليه بحديث عبادة وبالآية بناء على تفسير الحديث المذكور لها

(أقول) هذا الحد غير مسلم لان مابني عليه وجعل دليلاله غير مسلم كما تقدم ، وقد ذكره في رسالته كغيره حدوداً أخرى أعم منه حتى علماء الحنفية أنفسهم لم يقيدوا فيها الربا بالبيع

﴿ الفتوى الثالثة ﴾

قال : « النفع المشروط في القرض ليس هو ربا منصوصاً لعدم ثبوته من القرآن ومن حديث صحيح »

(أقول) لو كان يريد بكونه غير منصوص نص القرآن لسلمنا قوله فان ربا القرآن خاص بربا النسيئة الذي تكون الزيادة فيه لأجل تأخير الدين لا في العقد الاول فان الزيادة فيه عوض مقابل للانتفاع بالمال لا لاجل الانساء وتأخير القضاء ، ولكنه يريد ما هو أعم منه ، وقوله « ومن حديث صحيح » يعني به « ولا من حديث صحيح » كما يعلم من القرآن (وهو على سعة فقهه غير دقيق في اللغة العربية كما هو شأن علماء الأعاجم الذين يتعلمون العلوم الشرعية والفنون العربية بترجمة كتبها ولا يدرسونها دراسة مستقلة) وقد بنى هذا على ماجزم به من أن القرض غير الدين كما أنه لايدخل في معنى البيع الذي حصر الربا فيه ، فهو موافق لاصطلاح الفقه عندهم ، ولكن القرض في اللغة العربية دين(*) والأصل في الربا أن يكون في الديون سواء كان أصلها ثمن مبيع أو عيناً كاسنحققه وآفة العلم بالكتاب والسنة المانعة من الاستقلال في فهمها تحكيم الاصطلاحات الفقهية الحادثة وغيرها من الاصطلاحات في لغتهما العربية التي كان يفهمها أهلها منهما . وحديث النهي عن بيع النقدين وأصول الأقوات إلايداً بيد مثلا بمثل ليس تفسيراً لربا القرآن ولا حصراً للربا في البيع وإنما هو لسد الذريعة لارتكاب ربا القرآن ، وإلا فهو لذاته ليس فيه من المفسدة ما يقتضي هذا الوعيد الشديد في آيات البقرة

﴿ الفتوى الرابعة ﴾

(قال) النفع المشروط في القرض لما لم يثبت كونه ربا بالقرآن والحديث استدل على كونه ربا تارة بالقياس وتارة بحديث « كل قرض جر منفعة فهو ربا » وفي كليهما نظر ، أما في الأول فلأنه قياس مع الفارق فلا يصح ، وأما في الثاني فلأنه غير صحيح بل هو ضعيف فغير صالح للاحتجاج . ولو سلم صحة القياس ففيه أن الأحكام القياسية تقبل التغيير بتغير الأزمان كما هو ثابت في موضعه . ومن كان له وقوف على حال هذا الزمان وخبرة بأهله فلا محيص له بدون (كذا) ان يفتي

(*) قال في حقيقة الاساس : ودنت وتدلیت واستدنت : استقرضت . ودنته وأدنته دينته : أقرضته اهـ ونصوص سائر كتب اللغة في ذلك معروفة

بجوازه كما في الاستئجار على تعليم القرآن والأذان والامامة وغيرها ، والاستدلال عليه بالتعامل والتوارث عن السلف ففيه أن التعامل مبني على القياس لا على غيره من الادلة ومن ادعى فعليه البيان والله أعلم بالصواب . اه

(أقول) الظاهر أن هذه الفتوى هي المقصودة بالذات من وضع هذه الرسالة وخلاصتها أن النفع المشروط في القرض ليس من الربا المنصوص في القرآن ولا الثابت بحديث صحيح ، ولا بقياس صحيح ، وعلى فرض صحة القياس تجوز مخالفته للضرورة أو الحاجة إليه في هذا الزمان كما هو الشأن في الأحكام القياسية ، وقد أورد بعض أقوال الفقهاء على هذا في الحاشية ، وهو اجتهاد في مسألة اختلف فيها الفقهاء له وجه فقهي ظاهر ، وحسبنا هذا بياناً لرأينا في الفتوى ، وسنبين رأينا في أصل مسألة الربا في مقال خاص كما وعدنا ، والله الموفق

(رأينا في رسالة الفتوى من مراجعتها بعد الطبع أغلاطاً بعضها من الاصل ولعل بعضها من الطبع ، وسنبين ذلك في جدول مع أغلاط أخرى عثرنا عليها في الاجزاء السابقة)

﴿ أسئلة مختلفة من بيروت ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(س ٣٩ ــ ٤٦) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الامام ، مفتي الانام، ومرجع العلماء الاعلام، شيخ الاسلام، الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فانني لما رأيت الاحوال الحاضرة في مصر من التهتكات الموبقة التي تصرع شرف الانسانية وتهدم دعائم الفضيلة تزداد حينا بعد حين وتفشو في تلك البلاد من أدناها إلى أقصاها دفعتني الغيرة الدينية الى استجواب فضيلتكم عما يأتي

(١) ان تهتك النساء وتلبسهن بجميع أنواع التبرج الشائن من لبس الرقيق الشفاف والضيق الذي يجسم أعضاءهن ويصفها فضلا عن القصير الذي تبدو دونه السيقان والسواعد والاعناق وأعالي الصدور مع كال زينتها وتمام تحليتها - لمن أكبر دواعي الفساد، وأقوى أسباب الفتنة في الدين والاخلاق والحياة وانه يتفاحش الى حد مستفظع، فلِمَ تغض الحكومة المصرية الاسلامية الطرف عن ذلك وما معنى كونها إسلامية؟ ألم يكن من واجبها كبح جماح الفتن وقضم علائق الفحش الذي يؤدي الى ضعف قوتها ووهن شوكتها بانغماس رعيتها فيه؟

(٢) أليس من الواجب على علماء هذا القطر أن يقوموا بصد ذلك التيار الجارف بكل ما استطاعوا من قوة سواء لدى الحكومة أو الشعب الغافل؟ ألم يكن سكوتهم عن ذلك ذنباً عظيما وإثما مبينا؟

(٣) ما السبب الداعي لسكوت الحكومة والعلماء عن ذلك مع أنه أكبر ضرر وأعظم خطر على الامة المصرية وما جاورها من البلاد الاسلامية كالسودان وكذلك الحجاز ونجد وغيرها؟

(٤) ان مجلتكم المنار من الامور المهمة التي تبث في نفوس المسلمين في جميع الاقطار روحا إسلامية عالية وتنفي عنها كل جرثومة من الرذائل حتى غدت مطمح أنظار المسلمين جميعاً ومحط آمالهم في جميع الاصقاع والأنحاء فكان عليها أن لا تألو جهداً في محاربة كل هذه النقائص والمنكرات بعزيمة لا تعرف الفتور وهمة لا يعتورها وهن، فما سبب الاحجام عن الاستمرار في ذلك الجهاد الشريف مع أنها عنوان الفضائل الاسلامية؟

(٥) ان انتشار الالحاد بصورة هائلة في جميع العالم الاسلامي ليدعو إلى الدهشة والحيرة فما سبب ذلك؟ على انه يوجد في تلك البلدان التي وقعت تحت أنياب الالحاد علماء إسلاميون بكثرة لا تقع تحت حصر، فهل العلماء يقومون بواجبهم الديني في الاغارة على جنود المادة والطبيعة بكل وسيلة تستطاع تحصينا للدين وحفظاً له أن يمسه شر ذلك وخطره منها؟ قد اعتنق الجم الغفير من المسلمين هذه العقيدة الباطلة ونبذوا الدين وراءهم ظهريا، أما كان الواجب على العلماء الفطاحل

أن يتخذوا جميع الاحتياطات اللازمة في تفنيد آرائهم، وبيان فساد معتقداتهم، حتى يتضح الحق ويزهق الباطل ليكون ذلك حصناً منيعاً لحفظ الدين في نفوس أبنائه ؟

(٦) هل يحسن من المسلمين أن يأخذوا أزواجهم إلى البلاد الاوربية للنزهة فيتزيون بزيهم ويخلع النساء عن أنفسهن ثياب الحشمة التي هي من شعائر الدين والفضيلة ، ولا ندري ما يكون سبب ذلك من أضراب المنكر فما حكم هذا ؟

(٧) فما دواء كل ذلك ؟ وما هي الطريقة التي يجب على الحكومة والعلماء عملها لمنع هذه المسائل كلها ؟

(٨) إن في مصر بل في جميع البلاد الاسلامية مدارس أجنبية أنشئت للدعاية إلى الالحاد أو المسيحية ومقاومة الاسلامية ، وآثارها الفاسدة ظاهرة للعيان ، فما السبب الداعي لانكباب المسلمين عليها ووضع أبنائهم وبناتهم تحت نيرانها وضلالها ؟ حتى انه يبلغ عدد البنات المسلمات في هذه المدارس مبلغاً عظيما ، رأيت ذلك وأنا في مصر ورأيتهن لابسات القبعة [البرنيطة] سافرات عن وجوههن وغير ذلك ، فما الواجب على المسلمين تجاه هذه الحالة ؟

(٩) هل يجوز للعامي الذي لا يعرف نحواً ولا صرفا مطلقاً أن يقرأ الكتب الدينية الاسلامية ككتب الفقه وفتاوى العلماء وغيرها لاجل أن يعمل بها وهو يلحن في القراءة أم لا ؟ تفضلوا بالجواب على صفحات مجلة المنار الاغر ليكون النفع عاما ولكم الاجر والثواب

محمد علي اليماني الطالب
سابقا بالازهر الشريف

[أجوبة المنار ، على هذه الاسئلة على ما فيها من التكرار ، الموجب للاختصار]

﴿ ٣٩ — تهتك النساء وإقرار الحكومة المصرية له ﴾

تهتك النساء في مصر يفحش ويتفاقم شره ويستشري ضره عاما بعد عام حتى صار يخشى منه انفصام عرى الأُسر (العائلات) وانتكاث فتل الامة . وأما سبب سكوت الحكومة المصرية عليه وإقرارها له فهو يرجع إلى التفرنج وسيطرة الافرنج على البلاد بامتيازاتهم وبمساعدة أعوانهم المتفرنجين من رجال الحكومة وغيرهم .

والافرنج المستعمرون يعنون بافساد دين الامة وأخلاقها لتنحل جميع الروابط التي تكون بها أمة لها كون خاص ومقومات ومشخصات تحيا بها وتأبى بطبعها أن تكون مستعبدة مستعمرة لغيرها . وكان بدء هذا الفساد الديني الاخلاقي في عهد اسماعيل باشا أي قبل الاحتلال البريطاني، فكان ممهداً لكل ما فعله رجاله من مقاومة التعليم الديني على ضعفه في مدارس الحكومة ومن حرية الفسق والفجور، وقد صار الالوف من رجال الحكومة ملاحدة معطلين أو فاسقين لا يصلون ولا يصومون ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من السكر والزنا والقمار ، بل منهم من يهزءون بمن يرونه يصلي ويصوم ويعدونه متأخراً أو رجعياً !!

وأما تسمية الحكومة إسلامية فمعناه انها تمثل شعباً أكثر أفراده مسلمون فهي تراعي شعائرهم ومواسمهم وتقاليدهم الدينية سواء كانت ثابتة في أصل دينهم أو مبتدعة فيه كالموالد وبناء المساجد والقباب على قبور الصالحين وتشييدها ووضع السرج عليها من اموال الاوقاف ، وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة لعن من يفعلون هذا ، وليس معناه أنها حكومة إسلامية كحكومة الخلفاء السابقين أو الحكومة السعودية في نجد والحجاز والحكومة الامامية في اليمن تقيم الشريعة وتلتزمها في سياستها جميع قوانينها ، وتمنع المنكرات الدينية كلها. وجملة القول ان ما فشا في البلاد من تبرج النساء وتهتكهن ما كان ليفشو إلى هذه الدركة السفلى لولا استحسان الكثيرين من رجال الحكومة ومن في طبقتهم من الاغنياء المترفين له ، ومجاهرتهم في اقترافه

﴿ ٤٠ — ما يجب على العلماء من مقاومة هذا الالحاد والفساد ﴾

إن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وأنكره الالحاد والفساد ـ من الأمور المعلومة من دين الاسلام بالضرورة ، وهذه الفريضة هي سياج الدين وحفاظ الفضيلة في الأمة ووقايتها من الرذيلة أن تفشو فيها، وإن إنكار المنكر واجب في الاسلام باليد فاللسان فالقلب وهذا أضعف الايمان كما ثبت في الحديث الصحيح المشهور والعلماء أول المطالبين باقامة هذه الفريضة لعلمهم بوجوبها وشدة حظر تركها وما لها من أحكام، ولأن كلامهم أجدر بالقبول والتأثير، وسبب تقصير أكثرهم في إقامتها ضعفهم في الدين والأخلاق، وامتهان الحكام لهم بامتهانهم لأنفسهم، كما قال شاعرهم الحكيم

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولـكن أهانوه فهانوا ودنسوا محيـاه بالأطماع حتى تجهمـا

وقد كان من سيرتنا في المنار من سنته الأولى (سنة ١٣١٥) الى اليوم مطالبتهم باقامة هذه الفريضة والأنحاء عليهم باللائمة لتقصيرهم فيها ، حتى إنهم كرهونا وقاومونا وصاروا يصدون العامة عن قراءة المنار لأجل ذلك ، وكان أول من لامنا واعتذر عن العلماء في سكوتهم عن انكار المنكرات شيخنا الأستاذ العالم العاقل الشيخ حسين الجسر عفا الله عنه فقد رد علينا في جريدة طرابلس واضطررنا إلى الرد عليه في المجلد الثاني من المنار من غير تصريح باسمه . ونحمد الله تعالى أن كثر في هذه السنين العلماء والوعاظ الذين يقاومون الالحاد والفساد، وينهون عن الفواحش والمنكرات الفاشية والبدع والخرافات المزمنة ، ووزارة الأوقاف تساعدهم على ذلك وهذا من فوائد كون دين الحكومة الرسمي الاسلام، وأن تألفت في مصر جمعيات تعني بذلك كجمعية مكارم الأخلاق الاسلامية وجمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية في القاهرة ، وقد سبقتها ولحقتها جمعيات أخرى في البلاد المصرية تدعو إلى هداية السلف الصالح وترك البدع كلها ، واننا ولله الحمد نساعد أكثر هذه الجمعيات ولنا فيها الاخوان والمريدون المخلصون، وأنشئت لبعض هذه الجمعيات ولبعض الأفراد مجلات وجرائد تقوم بهذا الواجب أيضاً

﴿ ٤١ — عمل مجلة المنار وما وصفها به السائل من الاحجام ﴾

إننا قد أنكرنا تبرج النساء وتهتكهن مراراً كثيرة بأساليب مختلفة في مجلدات المنار المتعددة ، ولا نزال نعود إلى الانكار عند سنوح المناسبة ، كما ننكر دائماً على سائر المعاصي والبدع ، ونرد على أهل الالحاد والشيع ، ونفند شبهات المبشرين ، وزيغ الماديين ، ونبين في مقابلة هذا الكفر والضلالة ، ما جاء به الاسلام من الهداية ، وكونها هي السبب الوحيد لسعادة الدنيا والآخرة ، والجامع الاعظم لكل ما يجب من تخلية وتحلية ، هو تفسيرنا للكتاب الحكيم ، الذي شهد له العلماء في مصر وغيرها العارفون بما يحتاج اليه المسلمون وسائر البشر في هذا

العصر من الاصلاح بأنه خير تفسير لكتاب الله عز وجل الذي أكمل الله به الدين ، ويليه باب الفتاوى العامة التي نشرح فيها ما يسألنا عنه القراء من جميع الاقطار من حل المشكلات ، والترغيب في الواجبات ، والترهيب عن المنكرات ، ويليه باب المقالات الشارحة لاهم مايهم المسلمين من أمر دينهم وأمتهم وحكومتهم الخ وكثيراً ما لامنا القراء على عدم فتح أبواب في المنار للمباحث الادبية واللغوية والفنية وغيرها مما يحبه جماهير الناس فيكون مرغباً في قراءته لانهم يملون بالطبع من جعل جميع مباحثه في المسائل الاسلامية التي يقصد منها إحياء هداية الدين والدفاع عنه ، فلا نجد فيه سعة لما يقترحونه وان كان فيه مصلحة لنا

فاذا كان السائل يرى من الواجب ان نكتب في كل جزء منه مقالا في انكار تبرج النساء وتهتكهن وان ترك هذا إحجام عن الواجب فنحن لا نوافقه على هذا الرأي ولا نظن ان أحداً من أهل الرأي يوافقه عليه. وقد ثبت في الصحيح أن النبي (ص) كان يتخول الناس بالموعظة خشية السآمة والملل من التكرار

﴿ ٤٢ — سبب فشو الالحاد وما يجب على العلماء من مقاومته ﴾

أما سبب فشو الالحاد فقد بيناه في المنار مراراً وهو أمران أهمهما عدم التعليم الاسلامي الصحيح الذي يقتضيه حال هذا العصر وعدم التربية الملية الوجدانية على هدايته، والثاني فشو الافكار المادية والشبهات العلمية على الدين في المدارس العصرية من أجنبية وأميرية وتولي المتخرجين فيها الامور الحكومات وسائر المصالح العامة

وأما مايجب على العلماء من مقاومة ذلك وصد تياره فالقول فيه كالقول في مسألة مقاومة البدع والمنكرات ، أكثر العلماء الرسميين المقلدين يعجزون عن مقاومة شبهات الالحاد إما لانهم لايفهمونها ولا يفهمون الدين كما يجب أن يفهمه من يقوم بذلك بالحجة والبرهان، وإما لضعفهم في البيان أو في الغيرة على الدين. على أنه قد وجد فيهم وفي غيرهم أفراد يقومون بهذا الواجب على قوة أو ضعف. ولو تم الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ما كان يحاوله من إصلاح الازهر ولم يصده عنه الجمود والاستبداد ، أو لو تم لنا ماقمنا به بعده من إنشاء جمعية ومدرسة للدعوة والارشاد ، ولم يقض عليها نفوذ الاستعمار وفشو الالحاد ، لما خطر هذا السؤال لملقيه علينا ببال.

﴿ ٤٣ — سفر النساء المسلمات إلى اوربة مع ازواجهن الخ ﴾

من الغريب ان يسأل مسلم هل يحسن هذا الأمر ام لا ؟ وان يسأل عن حكمه مع علمه بما فيه من المنكرات التي ذكر بعضها ، وان من النساء من صرن يسافرن إلى اوربة منفردات أو مع اخدانهن من الرجال ، وأمثال هؤلاء لايخطر لهم الدين ببال ، ولا مراعاة أحكامه في حرام ولا حلال ، ويقل فيهم من يسافر مع امرأته ويكون ملازما لها في سفرها فلا يخالف أحكام الاسلام وآدابه إلا فيما يجب عليها من الستر وعدم الخلوة بأجنبي وعدم حضور مجالس السكر ورقص الخلاعة وأمثال ذلك

﴿ ٤٤ — تعليم ابناء المسلمين وبناتهم في المدارس الاجنبية من إلحادية وتبشرية ﴾

تقدم ان أحد سببي فشو الالحاد والاباحة في المسلمين تعلمهم في هذه المدارس مع تركهم لتعلم دينهم وتربيته ، وأما سبب انكبابهم عليها فثلاثة أمور (١) الشعور العام بان ما فيها من العلوم والفنون ضروري للحياة المدنية الراقية في هذا العصر (٢) الجهل بما فيه من الضرر والفساد الديني والقومي مع ظهور نتائجه (٣) عدم وجود حكومة اسلامية أو جمعيات اسلامية راقية تكفل لهم تحصيل ما يشعرون بانه لا بد منه من العلوم والفنون على الوجه الذي يرجى نفعه ويؤمن ضرره ، بانشاء مدارس راقية في تعليمها وتربيتها ونظامها ، تشتمل على التعليم في جميع مراتبه لجميع العلوم النافعة . وما وجد من المدارس الاسلامية لبعض الافراد أو الجمعيات لم يقصر المسلمون في الاقبال عليها وان لم تبلغ درجة الكليات والجامعات الاجنبية في استعدادها ومرغباتها

وهنالك سبب رابع هو أعم الاسباب وهو التقليد والتيار الاجتماعي الذي يجرف الجماهير ، إلى حيث لايعلمون من المصير ، وقد سألت رجلا عطاراً لمَ ترسل ابنتك الى المدرسة وماتقصد أن تستفيد منها؟ قال لاأدري أنا أعمل كما يعمل الناس

﴿ ٤٥ — الدواء لجميع هذه العلل والواجب على الحكومة والعلماء عمله ﴾

قد طرقنا ابواب هذا البحث مئات من المرات منذ انشيء المنار إلى اليوم — أي في مدة ثلث قرن — بعنوان الداء والدواء وباسم الاصلاح وبغير هذا من

الاسماء . ولا يزال المسلمون يتساءلون عنه ولا يفقه أ كثرهم ما كتب ولاما قيل وذلك أنه ليس لهم حكومة اسلامية ولا هيئات اسلامية تقوم بما يجب من ذلك والخلاصة المختصرة التي نجيب بها هذا السائل ان الدواء الوحيد لذلك هو قيا حكومة اسلامية راشدة توفق لاعوان من عقلاء العلماء بكل مصلحة من المصا- ولا سيما التعليم والارشاد ، ومساعدة العالم الاسلامي لها اينما وجدت ، وكان هذ رأي حكيم الاسلام وموقظ الشرق الاكبر السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى الذي سعى طول حياته لأجله، فان لم توجد هذه الحكومة فالدواء تربية عدد كثير من المسلمين وتعليمهم مايجب من مداواة الداء والعمل بعد الشفاء ، وكان هذا رأي حكيم الاسلام الثاني شيخنا الاستاذ الامام (رحمها الله تعالى) وقد بيناهما مراراً

هذا وإننا نرى فى آفاق الاقطار الاسلامية المظلمة وما يحيط بها من الاخطار نوراً يبشرنا بتحقيق أمل حكيمينا المصلحين كليهما ، فأما أمل الثاني فما أشرنا اليه في هذه الاجوبة من وجود أفراد من العلماء المصلحين وجماعات للهداية الصحيحة وا كثرهم من تلاميذه أو الآخذين عنهم . وأما أمل الاول فهو وجود الحكومة السعودية في نجد والحجاز ، فاذا كان ماظهرت آياته في الاقطار الاسلامية من التنبه والشعور بالحياة الملية والاصلاح الاسلامي قويا فانه يؤيد هذا الرجل النادر المثال في استعداده للاصلاح الاسلامي الديني المدني (ألا وهو عبد العزيز آل السعود) يؤيده بالرجال وبالمال وبالرأي العام

﴿ ٤٦ — قراءة العامي لكتب الدين ﴾

قد سبق ان سئلنا هذا السؤال واجبنا عنه . وخلاصة مايقال فيه أنه لاينبغي للعامي ان يعتمد على فهمه قراءة كتب الفقه والعقائد بل عليه ان يتلقى ذلك عن العلماء ثم يطالع مايسهل فهمه مع مراجعتهم فيما يشكل منه

﴿ حكم من يتجسس على المسلمين من توبة وامامة وغيرهما ﴾

(س ٤٧ — ٥٣) من صاحب الامضاء في الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حضرة صاحب الفضيلة العلامة شيخ الاسلام الاستاذ سيدي محمد رشيد رضا حرسه الله تعالى وحفظه لدين الاسلام آمين

بعد واجب السلام والاحترام ، فارجو من فضيلتكم الجواب عن الاسئلة الآتية

ما حكم الشرع في رجل مسلم كان في أثناء الحرب العظمى متوظفاً عند دولة أوربية مسيحية إماماً يصلي على قتلى رعاياها من المسلمين ، ثم هذه الدولة المسيحية أرسلته جاسوساً لها في بلاد اسلامية ، وقد علمت دولة إسلامية بتجسسه وعزمت على القاء القبض عليه وشنقه ومع الاسف قد علم بذلك وهرب الى تراب الدولة المسيحية التي يتجسس لها ! ثم بعد ماقضت هذه الدولة مآربها به أرجعته لوطنه وأعطته في مستعمرتها وظيفة إمام في مسجد إسلامي جزاء لخدمته إياها وهو الى الآن يصلي خلفه المسلمون ويدعى مصلحاً !!!

(١) هل من فعل هذه الجرائم يقبل إسلامه ؟ (٢) هل يقتله الشرع الاسلامي ؟ (٣) هل تجوز الصلاة خلفه ؟ (٤) هل توبته « وفيها ريب » تقبل بعد ما تجسس لدولة مسيحية على إخوانه المسلمين ؟ (٥) هل صلاته وصومه يكفر عنه هذه السيئات ، ويعد مؤمناً بما أنزل على محمد ﷺ ؟ (٦) هل يجوز للمسلم أن يتجسس على إخوانه المسلمين لينال حطام الدنيا ، ثم بعد ذلك يتوب توبة نصوحا هل تقبل منه وتغفر سيئاته ؟ (٧) هل يجوز للمسلمين ان يسمعوا إرشادات خائنين مثل هذا الجاسوس التائب ؟

نرجو من فضيلتكم الجواب الكافي ، لقد كثر بوطننا أنواع هذا الخائن لامتهم ودينهم حتى تكشف خزعبلات هؤلاء الجناة وينقطع تيارهم ، فهم أكثر سبب مصائبنا ودمارنا ولولا هؤلاء الخائنين لما وصلنا إلى مانحن فيه

وانا منتظرون الجواب بالمنار الاغر ودمتم للاسلام والمسلمين

السائل — عبد القادر الجزائري

(ج) من يرضى لنفسه ان يكون جاسوسا لاعداء المسلمين في حربهم لهم يبين لهم عورات المسلمين ومواضع ضعفهم وقوتهم وغير ذلك مما يعد من أسباب

فتكهم بهم وانتصارهم عليهم لا يعقل ان يكون مؤمنا صادقاً لان هذه ولاية لاعداء المسلمين عليهم في الحرب (ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) فهو في الغالب منهم في دينهم ومذهبهم أو منافق يعد منهم في الكفر الجامع بينهم والفاصل بينه وبين الاسلام كما قال تعالى في منافقي المدينة (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وان قوتلتم لننصرنكم) الآية

وقد استدل عمر بن الخطاب على نفاق حاطب ابن أبي بلتعة (رضي الله عنهما) بارساله كتابا إلى مشركي مكة يخبرهم فيه بعزم النبي ﷺ على فتح مكة ليتخذ له يداً عندهم مع اعتقاده أن الله تعالى لا بد ان ينصر رسوله عليهم عاموا أو لم يعلموا ، واستأمر النبي ﷺ بقتله فلم يأذن له بذلك لما ثبت عنده ﷺ من ايمان أهل بدر (وكان حاطب منهم) ومن مغفرة الله لهم ، وسأل حاطباً عن سبب إرسال الكتاب فاعتذر له وقبل عذره ، وفي هذه المسألة نزلت سورة الممتحنة . ويؤخذ منها ان بعض القرائن التي تدل على الكفر والنفاق قد تكون دلالتها غير قطعية في الباطن ، مهما تكن واضحة في الظاهر ، لان صاحبها قد يكون متأولا وقد تكون له نية صحيحة في التجسس بان تكون لدرء الضرر عن المسلمين الذين يتجسس عليهم ، فهذا الفعل نفسه معصية لا كفر ، ولكن قد يكون سببه الكفر ، ولا يجوز لأحد من الناس قتله بسابق عمله . وانما يرجح حسن الظن في الرجل الذي يكون حاله في الاعتصام بدينه قبل ذلك وبعده قويا ظاهراً وقليل ماهم

حدثني المعاون المسلم لوالي (بنارس الهندية) في بنارس وكنت ضيفاً عنده وهو افغاني الاصل ان حكومة الهند الانكليزية جعلته من الرجال الذين يقومون بخدمة الامير حبيب الله خان أمير الافغان مدة زيارته لبلاد الهند وان غرضها من ذلك ان يكون جاسوسا عليه .

قلت له وكيف اعتمدت عليك حكومة الهند في هذا وانت مسلم مستمسك بعروة دينك وافغاني الاصل وهي تعلم ان الافغان من أشد الناس تعصباً لدينهم

وجنسهم كما علمنا نحن من حكيمهم بل حكيم الاسلام والشرق السيد جمال الدين الحسيني رحمه الله تعالى؟ قال نعم إن الحكومة كانت تعلم أنني لا يمكن أن أخبرها بشيء يضر الأمير وتعلم مع هذا أنني لا أكذب ، فكل فائدتها أن أقول الحق فيما لا يضر فانه ينفعها في تمحيص ما يخبرها به سائر الجواسيس الذين كانوا يحفون من حول الامير

وأما توبة الجاسوس من ذنبه والمنافق من نفاقه والكافر من كفره فهي صحيحة مقبولة إذا كانت توبة نصوحا ، ويترتب عليها صحة صلاته والصلاة خلفه ولكن لا يجوز لمسلم أن يقدم على مثل هذا التجسس طمعاً في حطام الدنيا واعتماداً على التوبة بعد ذلك ، كما أنه لا يجوز فعل أي ذنب ومعصية اتكالا على التوبة والمغفرة ، ولكنه ان فعل وكان صحيح الايمان على ضعف فيه فلا يبقى أمامه إلا التوبة والاكثار من الاعمال الصالحة رجاء في قوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) وقوله (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) . .

وأما سماع المسلمين لارشاده ونصحه بعد علمهم بما سبق من جرمه فيتوقف على ما يظهر لهم من حاله بعد التوبة فمن ثبت عنده صدق توبته وحسن حاله بعدم اجتراحه لما يجعله محلا للتهمة فلا بأس بسماعه لنصحه وإرشاده فيما لا محل له فيه للشك والتهمة ، ومن كان لا يزال يسيء الظن به فهو بالضرورة يعرض عن سماع نصحه ، وينبغي للجمهور أن يظهروا المقت من سابق عمله فيما لا مفسدة فيه ليكون ذلك عبرة لغيره

تفسير الشيخ طنطاوي جوهري

(س ٥٤) من حاضرة تونس لصاحب الامضاء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، محمد بن عبد الله ، وآله ومن والاه حضرة صاحب الفضيلة العالم الهمام ، مرشد الانام لحقيقة الاسلام ، سيدي محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الغراء ، حاطه الله بالرعاية وأطال له البقاء ، آمين .

بعد إهداء طيب سلامي ، وأداء لائق احترامي ، لسامي مقامكم ، وشريف قدركم الاسنى ، فأنهي لجنابكم الأعلى ، إني طالعت بعض ما كتبه الشيخ سيدي

طنطاوي جوهري المحترم على سورة البقرة ووسمه بالتفسير ، وبما أن نفسي لم تطمئن لبعض ما قرأته فيه لتطبيقه الآيات على الاختراعات العصرية ، والسنن الطبيعية ، مما يظهر لمثلي القاصر ان آي الذكر الحكيم ، وحديث رسوله الكريم ، بعيدة كل البعد عن هذا المسلك الذي سلكه الشيخ المذكور ، وبناء على ظني بأنكم اطلعتم على كله أو جله لاهتمامكم المتزايد وغيرتكم على السنة والكتاب الحكيم وتسرون بخدمتها الخدمة المرضية ، كما انكم تفحمون من يتنكب الصراط السوي ، تقدمت لفضيلتكم مؤملا أن تبينوا لنا ولجميع قراء المنار الأغر رأيكم وحكم الله في التفسير المذكور بياناً شافياً واضحاً حتى يصح لنا أن نقول بأن كل ما خطه قلم الشيخ طنطاوي الموقر وجزم بانه ماخوذ من الآيات القرآنية ، ومستمد من الاحاديث النبوية ، هو في محله موافق لما أراد الله من الآية ، مطابق لمغزى حديث رسوله ﷺ مقبول من لدن العلماء الفضلاء ولا محل لنقده ، ولا سبيل لتفنيده ، بل عمله هذا مصيب فيه كل الاصابة ، الجائز عليه الثواب والاثابة ، يوجب من المسلمين له الشكر والثناء الجزيل ، ويرغب النشء وغيرهم مطالعته ، والتعويل على كتابته ، مع ادامة النظر والاعتبار في دقائقه ، وختاما نكرر القول باننا نترجى الجواب السريع الشافي ، والحكم النزيه الوافي ، من رأيكم المصيب ، وإنصافكم المعهود ، ولكم من الله جزيل الشكر والاحسان ، والثواب والاعانة من الله الرحمن

محمد خوجه

(ج) إنني كنت رأيت الجزء الأول من هذا التفسير في دار صديق لي منذ بضع سنين وقلبت بعض أوراقه في بضع دقائق فرأيته إحق بان يوصف بما وصف به بعض الفضلاء تفسير الفخر الرازي بقوله : فيه كل شيء إلا التفسير . وقد ظلم الرازي بهذا القول فان في تفسيره خلاصة حسنة من أشهر التفاسير التي كانت منتشرة في عصره مع بعض المباحث والآراء الخاصة به ، كما ان فيه استطرادات طويلة من العلوم الطبيعية والعقلية والفلكية والجدليات الكلامية التي بها اعطي لقب « الامام » لرواج سوقها في عصره . والاستاذ الشيخ طنطاوي مغرم بالعلوم والفنون التي هي قطب رحى الصناعات والثروة والسيادة في هذا

العصر، ويعتقد بحق ان المسلمين ماضعفوا وافتقروا واستعبدهم الاقوياء إلا بجهلها، وأنهم لن يقووا ويثروا ويستعيدوا استقلالهم المفقود إلا بتعلمها على الوجه العملي بحذقها مع محافظتهم على عقائد دينهم وآدابه وعباراته وتشريعه، ويعتقد حقاً ان الاسلام يرشدهم إلى هذا بل يوجبه عليهم، فألف اولا كتبا صغيرة في الحث على هذه العلوم والفنون والتشويق اليها من طريق الدين وتقوية الاسلام بدلائل العلم، ثم توسع في ذلك بوضع هذا التفسير الذي يرجو ان يجذب طلاب فهم القرآن الى العلم ومحبي العلم إلى هدي القرآن في الجملة والاقناع بانه يحث على العلم لا كما يدعي الجامدون من تحريمه له اوصده عنه، ولكن الامر الاول هو الاهم عنده، فهو لم يعن ببيان معاني الآيات كلها وما فيها من الهدى والاحكام والحكم بقدر ما عنى به من سرد المسائل العلمية واسرار الكون وعجائبه (ولهذا قلنا إنه احق من تفسير الرازي بتلك الكلمة التي قيلت فيه)

ولا يمكن ان يقال ان كل ما اورده فيه يصح ان يسمى تفسيراً له ولا أنه مراد الله تعالى من آياته وما اظن أنه هو يعتقد هذا، اذ يصح ان يقال حينئذ إنه يمكن تفسير كلمة (رب العالمين) بألف سفر أو أكثر من الاسفار الكبار تضعه جمعيات كثيرة كل جمعية تعني بعالم من العالمين فتدون كل مايصل اليه علم البشر فيه. ولا يمكن ان يقال إنه لا يمكن انتقاده بل الانتقاد على ما فيه من التفسير ومن مسائل العلوم ممكن (وفوق كل ذي علم عليم) وقد قلنا إنه لم يعن بقسم التفسير منه كثيراً ولا سيما التفسير المأثور. واما هذه العلوم فالبشر يتوسعون فيها عاما بعد عام فينقضون اليوم بعض ما أبرموا بالامس فليس كل مادونه أهلها صحيحاً في نفسه، فضلا عن كونه مراداً لله من كتابه. وانما أنزل الكتاب هدى للناس لا لبيان مايصلون اليه بكسبهم من العلوم والصناعات، ولكنه أرشد إلى النظر والتفكر فيها ليزداد الناظرون المتفكرون ايمانا بخالقها وعلما بصفاته وحكمه

وأما السؤال عن رضاء الله عنه واثابته عليه فلا يقدر بشر على الجواب عنه بالتحقيق لان علمه عند الله تعالى وحده وانما نقول بحسب قواعد الشرع الالهي إنه إذا كان قد ألفه لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته فان الله تعالى يثيبه عليه فما

أصاب فيه فله عليه اجران أجر الاصابة وأجر الاجتهاد وحسن النية ، وما اخطأ فيه فله عليه الاجر الثاني مع رجاء العفو عن الخطأ ، وهذا مانظنه فيه .

وجملة القول ان هذا الكتاب نافع من الوجهين اللذين اشرنا اليهما في اول هذا الجواب ، وصاحبه جدير بالشكر عليه والدعاء له ، ولكن لا يعول عليه في فهم حقائق التفسير وفقه القرآن لمن أراده فانه انما يذكرمنه شيئاً مختصراً منقولا من بعض التفاسير المتداولة ، ولا يعتمد على مايذكره فيه من الاحاديث المرفوعة والآثار لانه لا يلتزم نقل الصحيح ولاذكر مخرجي الحديث ليرجع إلى كتبهم فلا بد من مراجعتها في مظانها . وما ينفرد به من التأويلات فهو يعلم أنه يخالف فيه جماهير العلماء وهم يخالفونه. وانما راجعت بعضه في أثناء كتابة هذا الجواب فزادني ثقة بما قلته فيه من قبل ، والله أعلم

جدال في شفاعة الرسول ﷺ ودعائه والاستغاثة به

(س ٥٥ من صاحب الامضاء في عدن)

حضرة السيد الفاضل الاجل العلامة السيد محمد رشيد رضا ، أمتع الله بحياته الاسلام والمسلمين

سلاماً واحتراماً . سيدي العلامة الفاضل أولا أرجوكم أن تعذروني ولا تؤاخذوني إذا وجدتم في كتابي هذا لحنا أو ركاكة أو سوءا في التعبير لاني قبل كل شيء عدني والتعليم عندنا لايكاد يكون له وجود

كثر عندنا في هذه الايام لفظ المتوهبين لا الوهابيين وزاد ، وليس عندنا من ينكر على الامام محمد بن عبد الوهاب مذهبه ولكن لسوء الحظ أوقع القدر لهذا المذهب بين ناس يجهلون حقيقته حق الجهل ، وإليكم ماصار اليوم في محفل كان يضم جمعاً من الناس

قام رجل من القوم بعد جلوس طويل أضناه قائلا : يا رسول الله أنت لها . فاعترضه أحد المتوهبين بقوله: ان الرسول له الشفاعة لا غير ،قال له نعم. قال ولا يمكن لرسول الله أن يشفع إلا باذن ربه . قال نعم . ثم رجع قائلا الرجل الاول ان

رسول الله هو الشفيع المشفع يوم القيامة ورددها نحو مرتين أو ثلاثا ، الا ان ذلك الرجل المتوهب كما يسمي نفسه كلما سمع ذلك الرجل يلفظ بهذه الكلمات ويأتي إلى يوم القيامة إلا ويلحقه : باذن ربه . وهكذا عدة مرات فرد عليه بأن الشفاعة حقيقة باذن الله وهذا معلوم أن الشفاعة لا تكون الا باذن الله . فلم يرق هذا الجواب في عين صاحبنا المتوهب وقال لا يمكن أن تلفظ بتلك الكلمات مالم تلفظ بالاذن. فأجاب ذلك الرجل على متوهبنا: حسبما يظهر أن تعقيبك باذن الله هو كرهك لأن تسمع هذه الخصوصيات خالية من ذكر (باذن الله) مع انه معروف، فاجابه لا . ولكن بقي ذلك الرجل يردد كلمات أن رسول الله ﷺ هو الشفيع المشفع فلم يتركه ذلك الرجل الا لاحقاً به في كل مرة باذن الله .

فما الذي يفهمه سيادة مولانا من هذا هل الرجل بلفظه تلك الكلمات خالية من باذن الله محذور عليه فيها؟ وهل مجبور ذلك بتلفظها؟ وهل يفهم من حضرة المتوهب أنه يريد إفهام من حضر انه لا يمكن للرسول أن يشفع إلا باذن الله مع معرفتهم لذلك ومصارحتهم له به مراراً ؟ أو المراد به أنه لا يطيق هذا سماع تلك الكلمة خالية من باذن الله لئلا يتوهم ان النبي يشفع بدون إذن الله ؟

ثم طار البحث إلى أن توصلوا إلى فضل رسول الله وجاهه العظيم عند الله وان الله سبحانه وتعالى يغار على رسوله من كل ما يمس كرامته . فلم يسع ذلك المتوهب إلا ان قال لأحد الحاضرين عند ماقام من مجلسه وقال يارسول الله الى أن قال له ماذا تعني بذلك ؟ أتظن ان رسول الله يقدر ينفعك أو يرد عنك أي ملمة ؟ ها أنا الآن في ملمة ادع رسول الله الآن يحضر يرجني منها وهل في وسعه ذلك ؟ فلم يسع أولئك القوم عند ماسمعوا ذلك التهكم الا أن قالوا ان رسول الله ﷺ لا يضر ولا ينفع وان النافع والضار هو الله وانما محبتنا للرسول دائما تجعلنا نناديه ونصلي عليه . وما كان أليق بك يا حضرة الواهب تطلب حضور رسول الله لأن يدفع عنك الملمة لتمتحن اقتداره وقدرته . هذا ما صار بحضورنا وجمع من الناس ورجانا من سيدي الامام حرسه الله أن يفيدنا بما يراه في كلام

الفريقين وهل يليق التعريض لكرامة الرسول إلى هذه الدرجة ؟ أفيدونا حزتم خير الدنيا والآخرة سواء بالكتابة الينا حسب عنواننا أو في مجلتكم الغراء

حفظكم الله الداعي لكم بالخير

جعفر علي

(ج) هذه الملاحاة والمجادلة والماراة قبيحة يمقتها الله تعالى والمؤمنون العارفون بدينهم . وقد أخطأ فيها الفريقان : أخطأ هذا الرجل الذين تسمونه المتوهب في صفة إنكاره العنيف وفي قوله انه لايجوز لأحد أن يسند الشفاعة إلى رسول الله ﷺ إلا مقترنة بكلمة باذن الله تعالى . واننا نجد علماء السنة من الحنابلة الوهابيين ومن سائر المنتمين الى المذاهب والمجتهدين يذكرون شفاعته ﷺ عند المناسبة بدون وصلها بهذا القيد الذي يعتقدونه لقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) كما يعتقدون ان المشفوع له لابد أن يكون ممن ارتضى له هذه الشفاعة لقوله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فلماذا لم يوجب هذا الرجل هذا القيد أيضاً ؟

وأما ذكر النبي ﷺ بما يعد منافياً لكرامته عرفا ولو بالاسلوب دون النص ففيه خطر عظيم على الايمان وقد حرم الله تعالى أن يدعى باسمه في حياته ولم يكن الاعراب الذين كانوا ينادونه « يا محمد » يقصدون الاخلال بالتعظيم الواجب له ﷺ ولكنه مخل به في عرف أدباء الحضارة ولذلك علمهم الله تعالى مايجب عليهم من الادب بنهيهم عن ذلك في قوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وكون النافع الضار بالذات هو الله تعالى لا ينافي نفع المخلوقات بالسببية قال الله تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) وقال حكاية عن امرأة فرعون التي شهد بايمانها (عسى أن ينفعنا) تعني موسى عليه السلام . وقد نهى الله ورسوله عن المضارة وهي المشاركة في الفعل الضار

وأخطأ ذلك الرجل في ملاحاته ومماراته المثيرة للغضب بالتكرار وباتهامه بانه لايحب أن يسمع وصف الرسول ﷺ بالشفيع الخ . وكلمته الاولى التي أنكرها المتوهب وهي (يارسول الله أنت لها) لا يفهم منها الشفاعة يوم القيامة إلا بقرينة

سابقة وهي تستعمل عند الجاهلين بحقيقة التوحيد الصابين بدخائل الشرك بمعنى الاستغاثة والدعاء الذي هو عين العبادة بنص الحديث ونصوص القرآن أيضاً . فدعاء الانبياء والصالحين بعد موتهم لقضاء الحاجات عبادة لهم لانه ليس من الاسباب التي يكون فيها الدعاء والطلب من العادات، وهو غير دعاء الاحياء فيما هو داخل في العادات والاسباب كما شرحناه مراراً كثيرة، وهذا هو الذي أنكره الرجل لما يعهده من كثير من الجاهلين من جعله كدعاء الله تعالى لانه في غير الاسباب التي مكن الله الناس منها .

وجملة القول ان دعاء المخلوق للمخلوق لكشف ضر أو جلب نفع إن كان دعاء لأمر عادي داخل في سنة الله في الاسباب والمسببات كأن يدعو رجلا حياً لمساعدته على رفع حمل وقع أو إطفاء نار اشتعلت في داره أو متاعه أو للصدقة عليه فهذا يسمى دعاء عادة وسبب لا عبادة للمدعو، وان كان لاجل ضر أو نفع ليس مما يقدر عليه المدعو بكسبه أو دعاء لميت قد انقطع عمله الدنيوي بموته فان دعاءه يكون عبادة للمدعو سواء كان يعتقد أنه يقدر أن يقضي حاجته بنفسه أم انه يقضيها بوساطته عند الله تعالى . وثبوت الشفاعة يوم القيامة عند الله تعالى باذنه لمن ارتضى لا يبيح للمسلم أن يدعو من كان أهلا لهذه الشفاعة كما يدعى الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من أمور هذا العالم ، بل هو عين ما أنكره في التنزيل من المشركين في قوله (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض؟ سبحانه وتعالى عما يشركون) فالرجل المتوهب خاف على منادي الرسول ﷺ مثل هذا الشرك الفاشي فأنكر عليه فأغلظ كل منهما فيما ينكر عليهما وعلى من يشاركهما في جدلهما . فعسى أن يتوب كل منهم الى الله تعالى



﴿ حكم الأعياد السياسية ، والوسامات الدولية ﴾

(س٥٦و٥٧) من الحجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحكم الشرعي في عيد جلوس الملك ابن السعود ﴾

الأستاذ الحكيم والعلامة العظيم ، مولانا السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الغراء لازال في مقام كريم آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فلما كان سيادتكم الركن الركين للسلفيين أهل السنة والجماعة جئت مسترشداً عن جواز عمل الحكومة الحجازية باحداث عيد ثالث سموه (عيد جلوس الملك الامام عبد العزيز السعود) أيده الله آمين ، وإن ماورد في السنة من إبطال النبي ﷺ للأعياد السابقة وجعله للأمة الاسلامية عيدين : عيد الفطر والأضحى - وما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم والامام ابن شامة في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) رحمه الله تعالى لايخفى على فضيلتكم فأرجو بيان الحكم الشرعي في المسألة لا ن بعض الاخوان السلفيين منكرون لاحداث هذا العيد فعسى أن يظهر لنا الحكم فيه

﴿ إحداث الأوسمة من غير النقدين الذهب والفضة ﴾

هل يجوز إحداث أوسمة مثل سائر الدول تكون من المعدن الجيد غير الذهب والفضة فانه يحسن بالحكومة الحجازية النجدية أن تحدث أوسمة تعطيها لمن قام يخدمها من رجالها ورجال الدول فهل يسوغ شرعا أم لا ؟

مستفيد من الحجاز

(ج) بلغني أن بعض الاخوان الذين أشار إليهم السائل قالوا بتحريم فعل هذه الحكومة الاسلامية ماتفعله سائر الحكومات من إحداث الأعياد السياسية

كعيد جلوس ملك البلاد في الحكومات الملكية وعيد الجمهورية في الحكومات الجمهورية وعيد الاستقلال في البلاد التي استقلت بعد عبودية . وإني لأعجب من جرأة كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين على التحريم الذي جرأ العوام على مثل ذلك وهو تشريع ديني من حق رب الناس على عباده . قال تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية وقال (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟) وقد عرف علماء الاصول التحريم بأنه « خطاب الله المقتضي للترك اقتضاء جازما » والدليل على اشتراطهم كون دلالة الخطاب الالهي على وجوب الترك قطعية ان النبي ﷺ وأصحابه (رض) لم يعدوا قوله تعالى في الخمر والميسر (وإثمهما أكبر من نفعهما) تحريما قطعياً على الامة وفي حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم ان النبي ﷺ لما نهى في خيبر ان يقرب المسجد من أكل شيئاً من الثوم فقال الناس : حرمت حرمت . فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال « أيها الناس إنه ليس لي تحريم ما أحل الله لي ولكنها شجرة اكره ريحها » ولكن الذين يتجرءون على تحريم ما أحل الله تعالى لا يتدبرون هذه الآيات والاحاديث . وحديث ابي سعيد هذا صريح في ان أكل الثوم مما أحل الله تعالى والظاهر أنه أحله بالآيات العامة في اباحة ما أخرجته الارض وهي الدليل على كون الاصل فيها الاباحة من غير نص على كل نوع منها

فان استدلوا على تحريم هذه الاعياد السياسية بحديث انس عند النسائي وابن حبان: قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان في كل سنة يلعبون فيهما فقال « قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى » قلنا ان الحديث لا يدل على ذلك دلالة قطعية ولا ظنية راجحة بل غايته أنه اراد ﷺ ان يجعلوا العيدين الاسلاميين بدلا من ذلك العيد الجاهلي ، وما ندري ماذا كانوا يعملون في ذلك اليوم من منكر ، وحسبنا ان نعلم أنه من عادات الجاهلية وان من المصلحة إزالتها ونسيانها ، والاستغناء عن عيدهم فيها بالعيدين الاسلاميين اللذين يجمع فيهما بين ذكر الله تعالى بالتكبير وصدقة الفطر والاضاحي وبين

السرور واللهو المباح كغناء الجاريتين وضربهما الدف عند عائشة (رض) باذنه ﷺ ورضاه . واللعب المباح كلعب الحبشة في المسجد

وقد ذكر الحافظ ابن حجر حديث أبي سعيد هذا في الفتح وقفى عليه بقوله : واستنبط منه كراهة الفرح في أعياد المشركين والتشبه بهم وبالغ الشيخ أبو حفص الكبير النسفي من الحنفية فقال : من أهدى فيه بيضة إلى مشرك تعظيما لليوم فقد أشرك اه فأمثال هذا الحنفي من الفتانين من المنفرين عن الاسلام بتشديداتهم بغير علم

ولا يصح بحال من الاحوال أن تقاس الاعياد السياسية الدنيوية، على أعياد المشركين الدينية، وإنما يظهر القياس عليها في أعياد الموالد التي يحتفلون فيها بتعظيم الانبياء والصالحين فيجعلونها من قبيل الشعائر الدينية الاسلامية فهذا من قبيل التشريع الذي لم يأذن به الله ، والاعياد السياسية ليس فيها من هذا المعنى شيء وإنما يحكم عليها بما يفعل في احتفالاتها فان كان فيه منكرات محرمة كشراب الخمر مثلا كانت حراماً وإلا فلا

فان قيل وما تقول في انفاق المال فيها ؟ فالجواب ان انفاق المال في المباح مباح وفيما فيه مصلحة راجحة مستحب ، وهـذا ظاهر في انفاق الافراد لاموالهم. وأما انفاق الحكام لاموال الامة فلا يظهر فيها الاول بل لابد في حل الانفاق لولي الامر ان يكون فيما يرى فيه مصلحة للامة .

وكذلك احداث ما يدل على خدمة بعض الافراد للامة وحكومتها من وسام وغيره إذا ثبت لأولي الامر ان فيه مصلحة كان جائزاً لهم أو مستحبا وان اشتمل على مفسدة محرمة كان محرما وان لم تكن فيه مصلحة ولا مفسدة كان عبثاً مكروها والله أعلم



السيرة النبوية

﴿ بقلم المسيو مونته المستشرق السويسري ﴾

تقدم لنا في الجزء الماضي من المنار كلام على ترجمة جديدة للقرآن بقلم المسيو مونته مدرس الألسن الشرقية في جامعة جنيف . ونقلنا إلى العربي المقدمة التي صدر بها هذه الترجمة

وترانا الآن ناقلين بعض فصول مما حرره الاستاذ مونته بعد المقدمة لما فيها من الآراء الجديرة بالمطالعة ولما فيها من الانصاف وان كنا ننبه القراء إلى أن المسيو مونته لم يكن مسلماً وان شهادته بحق الاسلام لايمكن أن تحمل على تأثير عقيدة أو تربية اسلامية

تكلم المسيو مونته على العرب قبل الاسلام توطئة لموضوع البعثة المحمدية فقال:

« جاء الاسلام في الشرق انقلابا عميقاً إلى أقصى ما يمكن في الافكار السياسية والدينية والفلسفية والادبية قد قلب الادب الذي كان في الشرق رأساً على كعب بحيث نجد من الضروري أن نبين ببعض لمحات كيف كانت بلاد العرب مهد الاسلام قبل ان قام محمد بالاصلاح الذي قام به

ان التقاليد العربية قد هضمت كثيراً من حق الدور العربي الذي سبق الاسلام وحقرت الاجداد الذين كانوا وثنيين ولم تنظر إلى الاحوال الاجتماعية التي كانت عليها بلاد العرب القديمة وأطلقت على ذلك الدور لقب (الجاهلية) وليس هذا مطابقاً للواقع (*

فيكفي أن نذكر تلك (المعلقات) الخالدة طرائف ابداع أولئك الشعراء الوثنيين وان نروي أشعار امرىء القيس وطرفة وزهير وعنترة الخ لنحكم بظلم

*) المنار : قد يناه زايا العرب قبل الاسلام بما لم يبلغ موسيو مونته أقله ونقول مع هذا أن المراد بتسميتهم جاهليين وثنيتهم وأميتهم فهي جاهلية بالنسبة الى الاسلام وما نالوا من سيادة وحضارة وعلم

هذه التقاليد . كلا . لا يجوز أن نسمي الدور الذي فيه ارتقت الفصاحة العربية هذا الارتقاء كله وبلغت فيه لغة العرب درجة الكمال (جاهلياً)

ثم اورد الاستاذ مونته شواهد على عبقرية أولئك الشعراء من كلام عنترة وأخذ يبين مافيها من ابداع وانتهى إلى القول « بأن الروايات التقليدية والاشعار الباقية من الدور المتقدم على الاسلام والاغاني الهُذَلية أناشيد شهيرة طبعها مع ترجمتها فلهاوزن الالماني سنة ١٨٨١ قد تظهر عرب الجاهلية بمظهر أمة غير قارئة ولا كاتبة وغير مهذبة بل أمة من بعض الجهات بربرية إلا انها امة كانت على بعض أخلاق عظيمة هي الاصل في عظمة الامة العربية في كل عصر » قال:

ان العرب قبل الاسلام كانوا بحسب هذه التقاليد ماديين لا يعرفون سوى الحرب والعشق والخمر والميسر ، وانه لم يكن ثمة مبادىء عالية يلوون عليها، وفي ذلك بدون شك مبالغة لاننا في الحقيقة نجد في جانب هذه المعيشة المادية الخشنة عند العرب عاطفة شديدة للحرية تجعل هذا الشعب محبوبا عندنا . وان فضائل الانفة والحمية هي كلها من مزايا العرب فالعربي يبذل حياته بلا مبالاة دفاعاً عن قضية يراها حقا، ويرى على نفسه فرضاً لا محيد عنه أخذ ثارات ذوي قرباه . وانك تجد حس الشرف والحياء بالغاً عنده الحد الذي ليس وراءه حد. وقد قال أحد شعراء الحماسة :ان الشجرة لاتعيش إلا اذا دامت لها قشرتها وان الانسان لاحياة له إلا اذا بقي فيه الحياء .

نعم بجانب هذه الفضائل الباهرة ظلمات شديدة مثل إباحة تعدد الزوجات بدون تحديد، والاذن للرجل بالطلاق بدون ادنى قيد ، والنظر إلى المرأة بنظر احتقار زائد، ووأد البنات، والغزو والسلب وقتل الانسان للانسان لأخذ ماله . فأما الديانة فعبادة اوثان فظة وعادات مناسبة لهذه العبادة . وكانوا يعبدون الاشجار والاحجار، وكانت الكعبة هي مركز الوثنية وفيها ثلاثمائة وستون صنما من اصنام القبائل المتعددة . وكانت قريش سادة مكة وأسواقها تحرص على سدانة هذا المعبد لاجل أن تستجلب اليها العرب بواسطته

ثم ذكر مونته الاصنام وعدد اسماءها كاللات والعزى ومناة وسواع

يغوث الخ ولكنه قال ان عبادة هذه الاصنام قبل الاسلام بقليل كان عراها الفتور وأصبحت من قبيل العادة وكانت الشكوك تحوم حول مسئلة الآخرة وإنما كانوا يزورون القبور ويقولون للميت لا تبعد

ثم ذكر انه مذ القرن السادس للمسيح ظهرت روح دينية كان يقال لأصحابها [الحنفاء] فكانوا يؤمنون بالله يجعلونه فوق كل شيء [1] وكانت اليهودية والنصرانية دخلتا الى جزيرة العرب وانما كان يمثلهما بعض تجار لاسيما تجار الخمر. وكان منهما بعض نساك متعبدين مبعثرين في الفلوات لكن لم يكن لهم تأثير من جهة مصير الامة العام. وبالاجمال كانت حالة العرب الاجتماعية من الجهة الدينية والادبية من الانحطاط الشديد بحيث كان من الضروري لها [ظهور مصلح كبير]

ثم ذكر ولادة النبي ﷺ عام الفيل وذكر معنى اسمه المشتق من الحمد. وروى قصة أبرهة وغزوة مكة على فيل ابيض الى أن قال

ان عبد المطلب كان قد مسه الفقر بسبب ما كان ينفقه على الحجاج في مكة فلما مات عبد الله والد محمد بعد ولادة ابنه بقليل لم يترك له من الارث سوى بيت سكن وجارية وخمسة جمال. وبحسب عادة القوم أعطي محمد ﷺ إلى مرضع بدوية وربي في البادية ولما كان في السادسة من عمره توفيت أمه فكفله جده عبد المطلب ولما مات عبد المطلب بعد ذلك بسنتين كفله عمه أبو طالب. ورعى محمد الغنم في حداثة سنه. ولما صار في الرابعة والعشرين من عمره اتجر لخديجة أرملة كانت موسرة فكان يذهب بقوافلها ويأتي فأحسن العمل حتى مالت خديجة إليه وتزوجت به وهي في الاربعين من العمر وكان هو ابن خمس وعشرين سنة، ومع هذا الفرق في العمر كان الزواج سعيداً جداً حتى ان عائشة التي تزوجها محمد ﷺ فيما بعد كانت تغار من خديجة بعد موتها لشدة ما كانت تسمعه من تذكر محمد ﷺ لخديجة وكان محمد ﷺ معروفا بالاستقامة وكان الجميع يلقبونه بالامين

«وليس في أيدينا صورة خلقية حقيقية لمحمد تمثل لنا شكله بل جميع الصور

---

١) المنار: الحنيفية هي دين ابراهيم واسماعيل والثاني هو الذى بثها في العرب ثم طرأت عليها الوثنية

والتماثيل التي نشرت عنه (الافرنج المولعون بالصور والتماثيل جعلوا منها أيضاً للنبي ﷺ) هي من عمل الخيال »

إلى أن قال :

« ان الروايات العربية تركت لنا عنه هذه الصورة وهي انه كان مهيباً عظيم الرأس عريض المنكبين مستدير الوجه يشمر وجه الصدق أسود العينين مستطيل الحواجب أقنى الانف كث اللحية . وكان زائد الشعور رقيق الاحساس الى الدرجة القصوى »

« وقد زعم بعضهم ان شدة إحساس محمد ﷺ الذي كانت تحصل له منه نوبات شديدة قد تحولت الى مرض عصبي هو مرض الصرع . وليس في اليد ما يثبت هذا القول الذي منشؤه رواية عربية لم تسمع الا بعد عصر محمد بمدة طويلة وآراء بعض المؤرخين البيزنطيين المعروفين بالمداوة لشريعته فلا نجد في هذه الاقاويل شيئاً متيناً نبني عليه »

قال : « وكان محمد (ص) معروفا ببساطة المشرب محبوب الاخلاق حلو الحديث ذا تأثير خاص في حديثه . وكان من أخص مزاياه صحة الحكم وصراحة القول وشدة الاقتناع »

ثم ذكر مونته ماقاله ابو الفدا من شمائله ﷺ مما لم نجد لازما ترجمته لان أصله عربي جدير بالقاريء أن يراجعه في تاريخ ابي الفدا بنصه الاصلي ولكننا نقول ان على كل من يعنى بتهذيب النشء وبطبع الشبان على الاخلاق الفاضلة ان يقرأ لهم هذه الشمائل النبوية التي ليس في تحريرها شيء من المبالغة المعهودة في وصف الانبياء والرسل ، وإنما هي حكاية أحوال النبي الكريم كما كانت بدون زيادة ولا نقصان . ولعمري لايقرؤها من كانت له صفحة نفس صافية شفافة ويتأمل فيها الا استهل الدمع من محاجره

ثم أشار مونته إلى تعدد زوجات النبي ﷺ وقال انه اجتمع له إحدى عشرة زوجة وذلك ان العرب يومئذ كانوا يكثرون جداً من الزوجات قال « فلا يصح لنا أن نشتد في الحكم من هذه الجهة ونطبق عليها قاعدة الزوجة الواحدة التي هي

عمدة المدنية الحديثة ثم ذكر الاستاذ مونته انه مع عاطفة محمد ﷺ إلى النساء لم يكن يرى فيهن درجة الرجال وانما وصف منهن بالكمال آسية امرأة فرعون ومريم ام عيسى وخديجة زوجته الاولى وفاطمة ابنته

قال « ولم يوح إلى محمد حتى بلغ الاربعين من العمر الا انه كان قبل ذلك كثير التأمل في الخلوات، وكانت تعتريه نوبات عصبية [1] يشهد اثناءها مشاهد الى أن تمثل له الملك السماوي . ولا شك أن هذه الحوادث الروحية التي وقعت له انما جرت من ثورة نفسه القوية في أعماق ضميره على عبادة الاوثان وعلى حطة الآداب اللتين كان عليهما أهل عصره »

ان المسيو مونته ليس مسلما ليعتقد في البعثة مانعتقده نحن بتمامه . لكنه في كلامه هذا يثبت ان النبي ﷺ لم يأت بشيء زعمه من نفسه بدون أن يعتقده وهذا خلافا لكثير من مؤلفي الافرنجة الذين كانوا يطعنون في محمد ﷺ ويجعلونه قائلا مالا يعتقد . ولقد ضعف هذا الرأي في الاعصر الاخيرة ومال أكثر المؤرخين من عهد كارليل الانكليزي إلى اليوم الى الرأي الذي عليه الاستاذ مونته وهو أن محمداً كان صادقاً وانه لم يحدث بما لم يشهد ولم يسمع . واننا اذا أنعمنا النظر في عبارة مونته نفسها لانجد فيها شيئاً ينافي نزول الوحي من الله على محمد ﷺ لانه في قوله انه كانت تحدث له نوبات عصبية تتمثل له في أثنائها الملك لايفيد بالضرورة أن النوبات العصبية هي نفسها التي مثلت الملك . وكذلك في قوله ان نفس محمد ﷺ ثارت في أعماق ضميره على ما كان فيه

---

١) المنار : الحق ان النبي ﷺ لم تكن تعتريه قبل النبوة نوبات عصبية الخ وانما صار يعرض له في حالة تجلي الملك له مايشبه ذلك وهو ما عبر عنه ابن خلدون بالانسلاخ من البشرية والاتصال بالملكية

وكان عند انجلاء هذا التجلي يتلو ما تلقاه فيه من القرآن وقد يكون سورة طويلة كسورة الانعام ، وما كان للنوبات العصبية أن تثمر في أثنائها هذا العلم والعرفان، وفي ساتبتها هذه القوة في الايمان والايقان ، والمضا في اصلاح العقول والارواح والابدان ، وكل مايرفع قدر الانسان

أبناء عصره من عبادة الاصنام وانحطاط الآداب لايوجب أن يكون الوحي هو عبارة عن ثورة نفسية لاغير

بل الحق عز وجل الذي له خرق العوائد في المعجزات له أن يهيء المعجزة بأسباب طبيعية تمشي على النواميس الكونية الى أن تتجلى أخيراً بالأمر الالهي المباشر[1] فالله تعالى الذي أراد أن يهدي البشر وأن يردعهم عما كانوا منغمسين فيه من إلحاد في الدين واباحة في العرض،قد أراد أن يؤيد رسالاته السابقة اليهم التي طال عليها الأمد وقست من بعدها قلوبهم، وان يعززها برسالة جديدة مبنية على العقل الذي ليس وراءه للمرء مذهب، وأن يجعل هذه الرسالة خاتمة الرسالات كما كان العقل هو خاتمة الأدوات التي بها يعرف المخلوق خالقه .فكذلك ابتعث من البشر أشدهم قبولا للوحي السماوي وأعظمهم ثورة على عبادة الاوثان وأكثرهم استعداداً (فطريا لا كسبيا)لادراك طرف من خزائن الغيب الذي لا يعلمه بأجمعه الا الله . وما تمثل الملك الاللذي أوجد فيه الله هذا الاستعداد التام.
فانت ترى ان كلام مونته وان لم يكن مسلما لايناقض عقيدة الاسلام في كيفية الوحي الذى أوحاه الله لرسوله .

ثم قال مونته ما ترجمته بالحرف :

« فالرسول الالهي الملك جبريل تجلى على محمد لاول مرة في جبل حراء بقرب مكة وبيده ورقة وقال له مرتين « اقرأ » فاجابه محمد « لست بقارىء » فتلا جبريل الآيات الآتية التي تجدها في السورة السادسة والتسعين (اقرأ باسم ربك الذي خلق) السورة[2]

« ثم غاب الملك بعد ان ألقى هذه الكلمات . فذعر محمد ﷺ من هذه الرؤيا ولم يعرف ماذا يقول عنها ولجأ إلى زوجته خديجة التي وجد عندها المعونة

(١) المنار :في هذه العبارة غموض سيأتي بيان الحق فيه (ص٥٣٣) والاصل في المعجزات أن تكون خرقا للعوائد ومخالفة للاسباب الطبيعية مع جواز أن تكون جارية على سنن ونواميس غيبية

(٢) الذي نزل منها يومئذ هو الآيات الخمس الأولى وآخرها (علم الانسان مالم يعلم)

الروحية التي كان ينشدها . ولما لم تكرر عليه هذه الرؤيا في المدة التالية لتلك الليلة الخالدة الذكر خشي ان يكون قد مسه الشيطان لان الاعتقاد بقوة الارواح الخفية وتأثيرها كان منتشراً في بلاد العرب . ولقد كان محمد في أوقات أخرى معتقداً بانه مظنة لطف مخزون خاص، وان كل ما كان يراه كان حقاً، إلا انه أخذته الشكوك هذه المرة ووقع في الحيرة . فأصبح لايعلم أهناك رسالة إلهية ام اصابة مس ؟ في هـذا الدور الذي تطاول نحو ثلاث سنوات كانت زوجتـه خديجة واسطة إلهية في انعاشه وتسرية مابه واقصاء الافكار السيئة عنه وتشجيعه على القيام بتأدية الرسالة التي كان يعتقدها في نفسه

« وفي أثناء هذه الازمة ظهر له الوحي ثاني مرة بواسطة جبريل الذي بحسب الروايات ناداه : يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل . فجاء إلى زوجته خديجة وقد ثقلت عليه الافكار إلى حد ان أخذ يرتجف وقال لخديجة أن تغطي رأسه أملا بان يتفادى ثقل مايرى . وإذ ذاك سمع صوتاً إلهياً يقول له (ياأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر) السورة [1]

ومن ذلك الوقت تتابع الوحي وكانت وحدانية الله ورسالة محمد هما قاعدة ذلك الوحي الذي كان محمد مقتنعاً انه نزله الله عليه »

انتهى كلام الاستاذ مونته في هذه المسئلة فلنقابل به كلام علمائنا أنفسهم ولنتخذ مثالا طبقات ابن سعد قال

الروايات في بدء الوحي

« أخبرنا محمد بن حميد ابو سفيان العبدي [2] عن معمر عن قتادة في قوله (وأيديناه بروح القدس) قال هو جبريل . أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني معمر ابن راشد ومحمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان أول مابدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح قالت فمكث على ذلك ماشاء الله وحبب اليه الخلوة فلم يكن

(١) المنار : الذي نزل منها يومئذ سبع آيات آخرها (ولربك فاصبر)

(٢) كذا في الاصل والصواب المعمري نسب الى شيخه معمر لانه رحل اليه ولازمه

شيء أحب اليه منها وكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله (تحنث وتحنف بمعنى تعبد) ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء . أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني ابراهيم بن اسماعيل بن ابي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال فبينا رسول الله ﷺ على ذلك وهو باجياد إذ رأى ملكا واضعاً إحدى رجليه على الاخرى في أفق السماء يصيح يامحمد انا جبريل يامحمد انا جبريل فذعر رسول الله ﷺ من ذلك وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء فرجع سريعاً إلى خديجة فأخبرها خبره وقال ياخديجة والله ماأبغضت بغض هذه الاصنام شيئاً قط ولا الكهان واني لأخشى ان أكون كاهناً ، قالت كلا يا ابن عم لاتقل ذلك فان الله لايفعل ذلك بك أبداً انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الامانة وان خلقك لكريم . ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهي أول مرة أتته فأخبرته ماأخبرها به رسول الله ﷺ فقال ورقة والله ان ابن عمك لصادق وان هذا لبدء نبوة وانه ليأتيه الناموس الاكبر فمريه ان لايجعل في نفسه إلا خيراً . أخبرنا عفان بن مسلم أخبرنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة ان رسول الله ﷺ قال « ياخديجة إني أرى ضوءاً واسمع صوتاً لقد خشيت ان أكون كاهناً فقالت إن الله لايفعل بك ذلك ياابن عبد الله انك تصدق الحديث ، وتؤدى الامانة ، وتصل الرحم » ثم أورد ابن سعد روايات أخرى كلها في هذا المعنى وبألفاظ لاتكاد تفترق عما ذكرناه [١]

ثم أورد بن سعد الروايات عن كيفية بدء التنزيل فحذفنا الاسانيد حباً بالاختصار واعتماداً على تواتر ذلك قال : كان اول ماأنزل على النبي ﷺ (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم) فهذا صدرها الذي أنزل على النبي يوم حراء ثم نزل

١) المنار : رواية الصحيحين في هذه المسألة أوسع وأتم وأصح ومنه أنه ﷺ لخديجة « لقد خشيت على نفسي » فقالت : كلا والله لايخزيك الله ابداء إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

آخرها بعد ذلك بما شاء الله .

ثم روى روايات متعددة حذفنا أسانيدها : بأن رسول الله لما نزل الوحي عليه بحراء مكث أياما لا يرى جبريل فحزن حزنا شديداً حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء مرة يريد أن يلقي نفسه منه ، فبينا رسول الله ﷺ كذلك عامداً لبعض تلك الجبال الى أن سمع صوتا من السماء فوقف رسول الله ﷺ صعقاً للصوت ثم رفع رأسه فاذا جبريل على كرسي بين السماء والارض متربعاً عليه يقول يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل. قال فانصرف رسول الله ﷺ وقد أقر الله عينه وربط جأشه ثم تتابع الوحي بعد وحمي .

والحاصل ان ماذكره مونته يطابق روايات اصحاب السير التي اتفقوا عليها وتواترت ولم يفعل مونته ومن في ضربه من مؤرخي الافرنج المتأخرين ما كان يفعله مؤرخوهم في القرون الوسطى أو مايفعله المكابرون منهم اليوم الذين يريدون ايجاد الحوادث على وفق هواهم فيوردون في تواريخهم مايوافق مقصدهم وينبذون مايخالفه أو يكذبونه بدون دليل أو بأدلة واهية كأدلة لامنس اليسوعي

فالاستاذ مونته يقول بالحرف :

« كان محمد نبياً صادقا كما كان انبياء اسرائيل القديم . كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى اليه . وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الالوهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الانبياء اسلافه فتحدث فيه كما كانت تحدث فيهم هذا الالهام النفسي وهذا التضاعف في الشخصية اللذين يوجدان في العقل البشري المرائي والتجليات والوحي والاحوال الروحية التي هي من بابها »

فالاستاذ مونته لا يتهم بمقدار ذرة محمداً بعدم الصدق والامانة وكأنه يقول لاهل أوربة : لماذا لا تعتقدون بمحمد مادمتم معتقدين بنبوات انبياء التوراة؟ فان نبوتهم مثل نبوته ونبوته مثل نبوتهم. نعم ان مونته يريد أن يكون الوحي واقعاً باسباب طبيعية من قبل شدة الاعتقاد وانفعال النفس بمؤثرات خارجية من جهة استفظاع عبادة الاوثان وما أشبه ذلك. ولكن هذا التعليل لا ينفي وقوع الوحي بالامر الالهي وتهيئة مايتمثل للانبياء بالامر الالهي وأن ماينفث في روعهم ويقع في أسماعهم انما

هو بالامر الالهي [1] واذا أراد الله شيئاً هيأ اسبابه (ألا له الخلق والامر)

ثم تساءل مونته عما اذا كان محمد تلقى علماً وما العلم الذي تلقاه؟ وأجاب انه يستحيل الجواب على هـذا السؤال وانما بحسب القرآن والسنة ينبغي أن يكون أرقى اهل عصره وقطره . ثم بحث في أمية النبي الكريم وذكر ماقيل فيها وذهاب بعضهم الى كونه أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة وذهاب الآخرين الى انه يبعد ان يكون أمياً من نطق بمثل هذا الكتاب البالغ حد الكمال البياني

وعلماؤنا متفقون على ان النبي ﷺ كان أمياً لانهم لم يجدوا دليلا ولا شبهة على انه كان يحسن القراءة والكتابة . وليس إعجاز القرآن البياني بالذي يصادم روايات أمية الرسول . فان شعراء العرب الكبار كأصحاب المعلقات مثلا بلغوا أمد الفصاحة الاقصى الذي يمكن البشر ولم يكونوا يقرءون ولا يكتبون . فالنبي ﷺ أولى بأن ينزل على لسانه هـذا الكلام الأعلى وأن يبقى مع ذلك

---

(١) هذه العبارة أوضح مما سبق في معناها في ص ٥٢٩ ويظهر منها أن الكاتب أراد أن يوجه كلام مونته فيما فهمه في معنى الوحي ويجعله غير مناف لما نعتقده من معناه . ولعلنا نوضح هذا باصطلاحاتنا العلمية اذا قلنا إن مونته يجعل وحي النبوة والرسالة حالة نفسية او كوحي الالهام فان كلا منهما عبارة عن معنى يلقى في نفس الانسان في حالة وجدانية خاصة يثق بها ويعمل بموجبها غير متردد كما وقع لجان درك الفرنسية وكما ينطلق النحل بوحي غريزته في عمله المنظم، وكل من هذا وذاك يسند الى الله تعالى لان كل شيء في الكون بخلقه قال تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا) الخ وقال في الالهام (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) الخ ولكن وحي الرسالة والتشريع فوق وحي الالهام من عدة وجوه أولها صفة الوحي بالمعنى المصدري وثانيها متعلقه أي المعنى الحاصل بالمصدر ثالثها وضوح هذا المعنى وهو الموحى به وكثرته ودوامه واشتماله على علم كثير كله فوق علم الموحى اليه وأعلى من جميع خواطره النفسية رابعها علمه القطعي بمصدره وانه الله تعالى وضبطه اياه وعدم تفلت شيء منه خامسها وهذا ماعناه الامير بالامر الالهي ولعلنا نشرح ذلك كله في مقال خاص مع بيان الطرق الثلاثة المعنى الأول المبينة في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء)

أمياً لايقرأ ولا يكتب [(١)] قال مونته :

« ومن أشد الآيات سطوعا في دعوة محمد الدينية ان الذين آمنوا به قبل كل الناس كانوا اهله وأقرب الناس اليه ، وهو بين مؤسسي الديانات الوحيد الذي كان له الامتياز على الجميع بأن يستجلب الى عقيدته اقرب الخلق اليه بالدم أو بالمودة . فقد آمنت به قبل الجميع خديجة امرأته ودعيت بحق ام المؤمنين ثم ابن عمه علي بن أبي طالب ومعتقه زيد أحب الناس اليه وصديقه عثمان وأبو بكر أبو امرأته عائشة» انتهى

وهذا الرأي في ان الايمان بمحمد من أقرب الناس الى محمد هو من أنصع الدلائل على صدقه لانه لو كان ثمة اقل داع للشبهة لكان هؤلاء الخلطاء الملازمون الاقربون أجدر بأن يلحظوه هو رأي عدد كبير من الباحثين والمؤرخين والعلماء الاجتماعيين المعاصرين ومنهم المستر ولز الانكليزي الشهير الذي أخرج في سنه ١٩٢٦ كتابا عظيما في التاريخ العام ولم يخل في كلامه على السيرة النبوية من بعض أوهام إلا انه أنصف في كثير من المواضع من جملتها هذه النقطة ، وسننقل الى المنار طائفة من كلام ولز عن الرسول وعن الخلفاء الراشدين وعن مدنية العرب الباهرة كما اننا سنعود إلى كتابي الاستاذ السويسري مونته وعلى الله التوفيق

لوزان ٥ يناير سنة ١٩٣٠ شكيب أرسلان

---

(١) هذا التعليق غير كاف بل يجب ان يعلم مونته ان كونه ﷺ أميا امر قطعي رواية وعقلا فانه منصوص في عدة آيات من القرآن المتواتر. والمعقول الذي لا يعقل غيره انه لو كان القرآن من كلام (محمد) بالهام أو بغير إلهام لما صح عقلا ان يصف فيه نفسه بهذا الوصف اذا كان غير صحيح وان يحتج به على المكذبين له بمثل آية (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك . اذا لارتاب المبطلون) ولانه لو احتج عليهم بهذا وهم يعلمون خلافه لاعطاهم حجة على تكذيبه في أنفسهم وألسنتهم . وأما قول مونته بذهاب آخرين الى أنه يبعد أن يكون أميا من نطق بهذا الكتاب البالغ حد الكمال البياني - فيقال فيه انه رأي لا رواية ، والمثير لهذا الرأي إرادة الهرب من البرهان اللازم اللازب على كون هذا القرآن لا يمكن أن يصدر عن أمي فلا مفر لمن يؤمن بالله عن الايمان بانه وحي من لدنه، وأنه ليس لمحمد ﷺ شيء منه الا وعي هذا الوحي وحفظه ماكان يلقى اليه

مناظرة

في مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات

(في كلية الحقوق من الجامعة المصرية)

وقعت هذه المناظرة بالصفة المبينة في المقالة الأولى من المقالات الآتية فكان لها تأثير عظيم في جميع الطبقات المصرية في العاصمة وسائر البلاد ، وظهر لنا من هذا التأثير بما رأيناه منه وما سمعناه عنه وما قرأناه بشأنه في الصحف — أن ماكان يذيعه دعاة الالحادمن انتشار الحادهم في النابتة المصرية المتعلمة حتى كاد يكون عاما فيهم كذب وبهتان ، بل السواد الاعظم من شبانناسليم العقيدة يؤمن بالله وبكتابه العزيز المعجز للبشر الى آخر الدهر ، ورسوله محمد خاتم النبيين صلوات الله عليه وعليهم اجمعين ويغارون على الاسلام ويؤيدون من يدافع عنه ، على ضعف تعليم الدين في المدارس كلها ، واهمال تربيته الصحيحة فيها وفي أكثر البيوت أيضاً، وعلى مافي هذه البلاد ولا سيما عاصمتها من حرية الكفر والفسق

واننا ننشر هذه المقالات التي كتبناها ونشرناها في جريدة كوكب الشرق الشهيرة إجابة لاقتراح بعض طلاب الجامعة الغيورين ، وسننشر بعدها بعض مانشر في الجرائد في موضوعها وما كان من تأثيرها

المقالة الاولى في صفة المناظرة

كان بعض طلبة كلية الحقوق من الجامعة المصرية زاروني في مكتبي وأخبروني أن لجنة الخطابة والمناظرات للجامعة تختارني لمناظرة الاستاذ عبد الوهاب عزام في موضوع « حرية المرأة كالرجل » اذا كنت أقبل أن أكون المعارض له فيه، فقلت لا مانع لدي من القبول

ثم زارني اثنان آخران بعد المغرب من يوم الثلاثاء (سابع شعبان ويناير معاً) وألقيا إلي طائفة من رقاع الدعوة من تلك اللجنة « لحضور مناظرتها الاولى التي تقام في الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الاربعاء ٨ يناير سنة ١٩٣٠ بكلية الحقوق بحدائق الاورمان بالجيزة برياسة النائب المحترم محمد توفيق دياب موضوعها « يجب مساواة المرأة بالرجل »[١]

« وسيؤيد الرأي الدكتور محمود عزمي والآنسة هانم محمد الطالبة بكلية العلوم — وسيعارض الرأي حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا ومحمد افندي شوكت التوني الطالب بكلية الحقوق » هذا نص الدعوة

فلم أجد بداً من قبول الدعوة مع العتاب على ترك استشارتي في الأمر قبل يومين أو ثلاثة أيام، لعلمي[٢] انها مناظرة بين الدين والالحاد — وقد ذهبت قبيل الموعد ولما دخلنا حجرة المناظرة ألفينا مدارجها مكتظة بطلبة كليات الجامعة وغيرها من المدارس وبعض مجاوري الازهر الشريف وفي أدناها كثير من كبار الفضلاء والاستاذين كان تجاهي منهم صديقنا أحمد شفيق باشا من عشاق العلم والعمل، ثم اشتد الزحام حتى كثر الواقفون في أثناء المدارج وجوانبها وأعلاها وفي طريقها أيضاً وقدرهم الرئيس بألف نسمة أو أكثر

وما زال الناس يهرعون حتى غص بهم المكان وصاروا يتدافعون في

---

١) وضع هذا العنوان خطأ من لجنة المناظرة لانه حكم بالباطل في موضوع تطلب المناظرة فيه (٢) هذا تعليل لقبول الدعوة على شذوذها وعدم لياقة المناظرة بي، ووجهه انني أريد اظهار ضلال هذه الآراء في المدرسة الجامعة

الابواب وكاد يتعذر حفظ النظام، ولكن الرئيس الموكول اليه ذلك تمكن بحزمه وفصاحته وصوته الجهوري من تسكين المتحركين، وتسكيت المتكلمين، ثم من كف تصدية المصفقين، وافتتح الكلام ببيان موضوع المناظرة والتعريف بالمتناظرين: الموجب منهم للموضوع، والسالب المعارض له، والمؤيد لكل منهما، وما للسامعين من حق ابداء الرأي بالكلام في كل من جانبي السلب والايجاب، وبيان الوقت المحدد لكل متكلم — وهو عشرون دقيقة لكل من الاولين، وخمس عشرة دقيقة لكل من الرديفين، وخمس دقائق لمن يريد تأييد أحد الجانبين.

ثم طريقة أخذ الاصوات وهي أن يخرج الذين يرون عدم المساواة من الباب الايمن، ويخرج الذين يرون وجوب المساواة من الباب الايسر، فيجد كل منهم صندوقا خارج الباب يضعون فيهما البطائق المطبوعة التي وزعت عليهم بعد أن يكتب كل منهم فيها اسم من يؤيده ويرى رأيه وامضاءه هو. ثم على لجنة المناظرات أن تحصي بطاقات أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وتعلن النتيجة لمن شاء الانتظار، ومن لم يشأ قرأها في الصحف غدا — ثم أذن للدكتور محمود عزمي بالكلام

خطاب محمود عزمي

كان هذا الخطاب مكتوبا بالاسلوب الخطابي الذي يقصد به التأثير بخلابة القول وما يزينها من المعاني الشعرية، ولعله ينشره في بعض الجرائد اليومية التي يبث فيها دعايته وآراءه [1] وقد بدأه بقضايا ظن انها كليات لاشكال منطقية يلزم من تسليمها النتيجة المطلوبة، والحق انها في عرف المنطق الصحيح إما شخصية وإما جزئية لا يصح تأليف الاشكال المنتجة منها، وان ما قد يضاف اليها من الكليات لا يمكن أن يكون مسلما فيحتج بنتيجتها، وقد سماها منطقية وهي تسمية مردودة عند من له إلمام بعلم المنطق، وما في باب الحجة والقياس من الشروط في تأليف الاشكال المنتجة للبرهان

ذلك أنه ذكر أسماء بعض النساء في أوربة وفي الشرق من معاصرات

---

(١) كنت ظننت انه ينشره ولعله لم يفعل لما ظهر من قوة حجتنا على بطلانه.

وغابرات «كمدام كوري» وملكة هولندة وأميرة «لوكسمبرج» وخالدة أديب والاميرة نازلي هانم وهدى هانم ومي و(سيزا نبراوي) وإحسان أحمد وأم المحسنين وأم المصريين من المعاصرات، وكسارة وهاجر ومريم وفاطمة وعائشة وكليوبترة وشجرة الدر وغيرهن من نساء التاريخ

فالقضايا التي تتركب من هـذه الاسماء تسمى في المنطق قضـايا شخصية لايصح أن يتألف منها منفردة ولا مجتمعة قياس برهاني على وجوب مساواة النساء للرجال في جميـع الحقوق والواجبات ، وذكر أيضاً بعض أعمال النساء العامة في أوربة وما كان من جهودهن في إبان الحرب العظمى وهؤلاء وإن كن كثيرات لايصح الاحتجاج بهن على المطلوب ، لانها جزئيات لم تصل الى حد الاستقراء التام الذي يفيد البرهان اليقيني ، ولا الاستقراء الناقص المنطقي الذي يفيد الظن دون اليقين

فالاستقراء عند المنطقيين : قول مؤلف من قضايا ناطقة بالحكم على الجزئيات لاثبات الحكم الكلي ، فان كان الحكم فيها على جميـع الجزئيات سمي استقراء تاما كقولنا كل جسم متحرك بالقوة أو بالفعل ، وإن كان الحكم فيه على أكثر الجزئيات سمي استقراء ناقصاً ومثلوا له بقولهم : كل حيوان يتحرك فكه الاسفل عند المضغ ، بناء على أن أكثر ماعرف من أنواع الحيوان كذلك لا كلها

وقد قال موجب المساواة بعد ذكر ماتقدم إنه يدل عليها دلالة منطقية ولهذا ذكرنا الاصطلاح المنطقي في ابطال قوله وان المنطق لايدل على ذلك دلالة يقينية ولا ظنية ، وأما أسلوبه الخطابي أو الشعري في منطقه هذا فهو أنه قال: ما كنت أحسب وقد ملأت الدنيا أنباء الفضليات من النساء اللاتي يضربن الآن بسهم في مختلف نواحي النشاط البشري الراقي وفي الملك الدستوري النيابي (؟) وفي ادارة شؤون الدول وفي كذا وكذا — ما كنت أحسب ولا يزال يطن في آذاننا جميعاً دوي تلك الجهود الهائلة التي قام بها النساء خلال الحرب الكبرى وقد استحلن عمالا خشنين (؟) يبرزن (؟) على الرجال في المعامل والمصانع المدنية منها والعسكرية وفي كذا وكذا — ما كنت أحسب وتعاليم التاريخ العام والخاص

منتشرة بينكم فتعرفون منها ما كان على البشرية من فضل لسارة وهاجر وأم هارون ومريم وفاطمة وعائشة الخ — ما كنت أحسب وأنتم تتبعون أثر الاميرة نازلي واجتماعات قصرها في تكييف ملكة التفكير العام عند من تدينون له بالزعامة فيما شهدت منكم من حركة قومية الخ

وما زال يقول « ما كنت أحسب » ويذكر جملا حالية معروفة حتى جاء بإتمام الجملة فقال: ما كنت أحسب وكل هذه الظروف تكتنفنا أن وجوب تسوية المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات يمكن أن يكون محل مناظرة . — لانها في رأيه كما نقل عن الاستاذ (لالند) قد « كانت يوم قال بها (المفتون الاول) خيالا من الخيالات، ولانها أصبحت اليوم بدهية من البدهيات ، وحقيقة من الحقائق العلمية التي لا يماري فيها إنسان »

ولعمري إن هذا قول لا يقوله انسان يفهم معنى البداهة ومعنى الحقيقة العلمية إلا على سبيل الخلابة ، إذ ليست المسألة من البديهيات ولا من الحقائق العلمية في عرف هذا العصر، فالبديهي في عرف أهل المنطق ما لا يتوقف حصوله على نظر ولا كسب كتصور الحرارة والبرودة والتصديق بأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ، ولو كانت كذلك لما احتيج الى المناظرة فيها كما قال ، ولما كانت نتيجة التصويت فيها تأييد المعارضة ونبذ بدعة المساواة المطلقة بالاكثرية الساحقة الماحقة ، بل لما كانت هذه النظرية من البدع العصرية التي نجم قرنها في هذا القرن المضطرب، الذي لم يستقر بعد على حال من القلق

بعد إلقاء الدكتور عزمي لهذه المقدمات العقيمة ، التي لا تنتج على تقدير تسليمها وما هي على علات بعضها بمسلمة ، شرع في بيان الحقوق فقال إن أولها حق الوجود واستنشاق الهواء كالرجل لانها كائن موجود مثله سواء، وإن النتيجة المنطقية لذلك هي تمزيق الحجاب وهتك الستر والاختلاط مع الرجال في كل مجال . فهو القاعدة الاولى لحق الوجود . وأفاض في مدح هذا الاختلاط وعده من مهذبات الرجل في ملبسه وزينته وكلامه وتفكيره، واستشهد على

ذلك برحلته الاخيرة إلى فرنسة فذكر انه كان يحلق ذقنه كل يوم مرة اومرتين لأجل الاجتماع بالنساء !؟

وذكر أيضاً من مزايا هذا الاجتماع بهن التفكير الطاهر البريء !! (سبحان الله وبحمده) ثم ثنى بذكر حق تعلم المرأة لأجل التثقف وتهذيب نفسها وغيرها كالرجل

وانتقل منه إلى حق الحياة في المجتمع ، ومنه أن يكون لها حق اختيار الزوج وحق الطلاق ، واتقاء مايهدد حياتها من عواصف تعدد الزوجات

وقفى عليه بحق الاشتراك مع الرجل في تربية الاولاد وتوجيه أنفسهم الى الاعمال

وعطف على هذا حق الامتلاك بالارث والكسب ، فارتطم ههنا في حمأة مصادمة الشرع ، إذ زعم انه يجب مساواة الانثى للذكر في الارث ، فكان كعاصفة على البحر ، اضطرب جمهور الموجودين لها كاضطراب الموج ، واصطخبوا كاصطخابه عند ما يتكسر على الصخر ، وأرادوا منعه من الكلام ، فقام الرئيس ورفع عقيرته بالتضرع اليهم أن يحفظوا النظام ، ولما أمكن إتمام القول لجأ الى التأويل ، فزعم أن مسألة الارث عند كثير من علماء الشرع ليست كمسائل العبادات التي تجب المحافظة عليها والجمود على نصوصها بل هي من مسائل المعاملات المالية التي يجوز تعديلها وتغييرها بحسب تطور الزمان والمكان (!!)

قال : وإذا تعنتت معنا أصحاب الجمود على الآراء الدينية فلماذا لا يتمنتون في تعديل قواعد الحدود الشرعية كرجم الزاني والزانية وقطع يد السارق ورجله من خلاف (أو قال ايدي وأرجل وفيه ما فيه على كل حال) فان الحدود قد عطلت وهم ساكتون فليسكتوا إذاً على تغيير احكام الميراث. والدليل على ان هذه الاحكام لا يمكن الاستمرار عليها ان المسلمين انفسهم قد شعروا بذلك فرأوا الخروج من هذا الجمود بالوقف الذي هو عبارة عن حيلة يجيزها الاسلام الصحيح للخروج من الشيء إلى ما هو اوسع منه . وقد جزم الحكم ، بان أبناءنا سيرون هذا التغيير ان لم نره نحن ! !

وختم هذه الحقوق بالحق السياسي وهو أنه لما كانت المرأة عنده كالرجل من كل وجه وجب ان يكون لها الحق في جميع أعمال الحكومة ووظائفها والانتخاب

لمجالسها . وقد حال انتهاء مدة كلامه بيان افاضته فيها ، فسكت مسخوطا عليه من الكثيرين ، وصفق له الاقلون ، وقد علمت بعد الخروج ان أكثرهم من غير المسلمين وأقلهم من ملاحدتهم ، وقد عبر عن ذلك من نقل أخبار المناظرة لجريدة الاهرام (أحمد الصاوي) بغير تدقيق بقوله « الى هنا هتف الشباب لمحامي الشباب » وما كان ثمة من هتاف ، ولولا راوية الاهرام لم نذكر هذه المسألة

ردنا الاجمالي .

ما كان الوقت الذي وقت لنا بالذي يتسع للرد التفصيلي وبيان ما في هذه المسائل من حق وباطل ، ولا بالرد الاجمالي المفيد على كل منها ، فاكتفيت بتفنيد مقدماتها في فاتحة الكلام ، وأرجيء الرد التفصيلي الى المقالات التالية التي اقترحها عليّ الكثيرون من أولئك الطلاب النجباء ، وأذكر أولا ملخص الرد الاجمالي الذي ألقيته في مجلس المناظرة ، مع شرح قليل أميزه عنه لتعميم الفائدة

قمت باذن الرئيس فقوبلت بتصفيق قوي شديد من جميع الجوانب طال أمده ، حتى تعبت مع حضرة الرئيس في التوسل الى الجمهور بالكف عنه ، وقد سكت عن ذكر هذا راوية الاهرام ، وما قاله عني بعضه غير صحيح ، وبعضه غير دقيق ، كما يعلم من بياني الآتي له

المقالة الثانية

(في ردي الاجمالي في المناظرة)

شهادة راوية الاهرام

أراد راوية الاهرام (أحمد الصاوي) أن ينصر ماخذل الله والمؤمنون من دعاية الالحاد ، ويخذل ما أيد الله والمؤمنون من حق الدين وإصلاح الاسلام ، فسمى الداعي الى ترك القرآن ونبذ الاسلام «محامي الشباب» وزعم أن الشباب هتفوا له، وهذا يتضمن الشهادة على جميع أولئك الشبان بالالحاد، وهي من شهادة الزور التي يسجلها عليه الدكتور عزمي نفسه ويبريء منها ذلك الاجتماع، فقد قال لي الدكتور عزمي على مسمع من الناس: انك غلبتني فان الذين أعطوني أصواتهم ٢٦١ وليس لي

غيرهم ، وان الذين أعطوك أصواتهم ٣٦٣ وان الاكثرين خرجوا من غير أن يعطوا أصواتهم (إذ لم يكن معهم بطائق التصويت) ولو أعطوها لكانوا كلهم معك و لعلهم ٧٠٠ أو يزيدون. وهذا من حرية عزمي وصراحته النادرة

ثم قال راوية الاهرام: وقام الاستاذ صاحب الفضيلة الشيخ رشيد رضا فكان من اللباقة بحيث لا يصطدم بالصخر مغمض العينين فاعتذر بأنه لم يحضر الموضوع وانه لم يسمع به إلا يوم أمس ، وما كان له نصف ساعة يستجمع فيها ما هو بحاجة اليه من وثائق الدفع » الخ

وأقول ما كان له لولا ما ذكرت من نزعته وشهادته أن يسمي دفاعي بالحجة والبرهان ، عن الحق الذي أنزله الله تعالى في القرآن ، اصطداما بالصخر الجلمود ، ويزعم انني اعتذرت عن ضعفي بعدم الاستعداد لهذا اليوم الموعود ، فوالحق الذي قام به الوجود ، ما كان صخره عندي إلا زبداً أو غثاء سيل ، او ضغثاً جمعه حاطب ليل، وماذكرت ماتقدم شرحه في صدر المقال الاول إلا بياناً للواقع ومخالفته للمعتاد. ويعلم انني قبلت لانني لا أراني في حاجة إلى الاستعداد ، ويشهد لي طلبة الحقوق لذين كلموني في أول مرة انني اشترطت عليهم أن أتكلم بالارتجال، وذلك ان هذه المسائل قد قتلتها بحثاً بالقول والكتابة، والدرس والخطابة، ومن فروعها مسألة الجمع بين الذكران والاناث في المدارس الثانوية والعالية ، وكانت الجامعة المصرية قد جعلتها موضوع مناظرة بيني وبين الدكتور محمود عزمي نفسه في السنة الماضية، ثم أمرت الحكومة بمنعها قبل موعدها بساعة أو نصف ساعة ، فكتبت رأيي في مقال للمنار ، وجعلته قبل نشره موضوع محاضرة ألقيتها في جمعية الشبان المسلمين، فعسى أن تنشرها جريدة كوكب الشرق بعد انتهاء هذه القالات

قاعدتان أساسيتان للرد

ذكرت قاعدتين أساسيتين لمعارضة الخصم (إحداهما) الحاجة الى الدين وفائدته في الامم وبيان نصوص الاسلام القطعية الدائمة التي لا يجوز فيه لأحد نقضها ولا تغييرها ولا التبديل لأحكامها، والنصوص التي يجوز الاجتهاد فيها ، ومن النوع

الاول آيات المواريث وبناؤها على كون الانثى ترث نصف مايرث الذكر خلافا لما زعمه الخصم من جواز تعديلها . وذكرت في هذا البحث حكمة وجود أحكام ثابتة في الشرع وفائدته في ثبات الامة ، كما بينت فيه حكم الضرورة التي تبيح المحرم لذاته كأكل الميتة ، والحاجة التي تبيح المحرم لسد الذريعة كرؤية الطبيب لبدن المرأة وعورة الرجل

(الثانية) معنى الحق والواجب ، ومن يجعل الحق حقاً على الناس والواجب واجباً ؟ ألأفراد الناس من الخطباء وغيرهم كمحمد رشيد ومحمود عزمي ؟ أم رب الناس وخالقهم؟ ومن شرع لهم الرب هذا الحق من أهل الحل والعقد الذين يمثلون الامة في سياستها ومعاملاتها الاجتهادية . وراوية الاهرام لم يفهم ماقلناه في هاتين القاعدتين ولم يذكره كما قيل ،

كلامنا الوجيز في الحقوق السبعة

قلت فيما ذكره الخصم في المقدمات من نابغات النساء : ان المرأة انسان فلا يستنكر أن يظهر في بعض النسوة عالمات فاضلات ومهذبات نابغات الخ أشرت بهذا اشارة يفهمها الذكي الى أن وجود من ذكرهن ليس دليلا على مساواتهن للنابغين من الرجال على قلة أولئك وكثرة هؤلاء ، أعني أن قداسة مريم أم عيسى وفاطمة بنت محمد عليهما السلام هي دون قداسة عيسى ومحمد عليهما صلوات الله وسلامه وان فقه عائشة رضي الله عنها لا يساوي فقه الخلفاء والعبادلة (ض) وان سياسة الاميرة نازلي لا تسمو فتصل الى سياسة سعد باشا وإن زعم ان اجتماعات قصرها كانت هي العاملة في «تكييف ملكات التفكير العام عنده » وانني أعرف تلك الاجتماعات وقد حضرت بعضها مع سعد وأستاذه وأستاذنا الامام (رحمهم الله أجمعين) وانما الفضل الاول لتكوين ملكات التفكير في عقل سعد هو الاستاذ الامام وكان سعد يعترف بهذا قولا وكتابة ، وقد نشرنا بعض مكتوباته له في المنار ، ونقلها عنا كوكب الشرق المنير ، وعلى هذا يقاس سائر النابغات في الشرق والغرب

بطلان كلامه في السفور والمخالطة

ثم قلت فيما سماه «حق الوجود واستنشاق الهواء» انه ثابت بنفسه في الواقع

وخلق الخالق ، فالكلام فيه من تحصيل الحاصل ، فلا يحتاج وجود النساء إلى اثبات الخطيب لحقيته بالدلائل، فالنساء موجودات بدون حاجة إليه ، و إنما الباطل هو استدلاله به على وجوب تمزيق المرأة للحجاب والستور ، الذي يعبرون عنه بالسفور ، واختلاط النساء بالرجال الذي ذقنا مرارته وتجرعنا غصصه بخروجهن كاسيات عاريات يسبحن مع الرجل على شواطىء البحار ، ويرقصن معهم في مواخير الفساد، وكان من سوء تأثيره ما تردد الجرائد الشكوى منه من إعراض الشبان عن الزواج ، وان عقلاء اوربا يشكون منه كما يشكو عقلاؤنا وفضلاؤنا ، ويخافون ان يقضي على تكوين الاسرة (العائلة) الذي يفضي الى القضاء على الامة ، ولا منجاة من هذا الخطر الا بأحكام الاسلام وآدابه في الستر والصيانة كما سنبينه في التفصيل الآتي

حق المرأة في التعلم

وأما حق المرأة في التعلم فقد قلت فيه إن الله تعالى فرض طلب العلم على النساء كما فرضه على الرجال ـ فهو واجب عليهن في الدين ، وحق لهن على الوالدين و الاولياء ، ومن العلم ما هو واجب عيني على الصنفين ، وما هو واجب كفائي ، ومنه ما هو واجب عيني على أحدهما دون الآخر كالاحكام الخاصة بالنساء فيما هو خاص بطبيعتهن كبعض أحكام الطهارة المعروفة وما يحرم عليهن في تلك الاحوال ، فهي أحكام تجب على كل امرأة ولا تجب إلا على بعض الرجال حفظاً للعلم الخ.

فكل علم تنتفع به المرأة في تهذيب نفسها وتربية أولادها وتدبير منزلها فهو حق مشروع وقد جعل الشرع لها حق حضانة الاطفال دون الرجل ولا يمكنها القيام بها كما يجب الا بمعلومات كثيرة تدخل في عدة علوم من أهمها علم الصحة . ولها أن تتعلم كل علم نافع للبشر وان لم يكن مفروضاً عليها إذا كان لا يشغلها عن المفروض من علم وعمل

قلت وما ظلم النساء من ظلمهن من الرجال إلا بسبب امتهان الاقوياء غير المهذبين بتهذيب الدين للضعفاء وذلك شأن كل قوي غير مهذب من ذكر وأنثى

مع من هو أضعف منـه حتى الوالدين مع الاولاد ، والعلم قوة يحترم المتسلح بها بالطبع ، فتعلم النساء العلم الصحيح النافع يثمر لهن احترام أزواجهن وغير أزواجهن لهن ، كما يحترم الوالدان الولد المتعلم المهذب ويحتقران أخاه الجاهل الفاسد الاخلاق

ومما أزيده على ذلك الاجمال في المناظرة أنني قد بينت هذا الموضوع أحسن البيان في مواضع من المنار أعمها ماقلته وما نقلته عن الاستاذ الامام في تفسير قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة) في الجزء الثاني من تفسير المنار وسأذكر بعضه في هذه المقالات

وأما حق الحياة في المجتمع فقد بينت حكم الشرع فيما ذكره منه وهو حق اختيار الزوج وحق الطلاق كالرجل وحق صيانة نفسها من ضرر تعدد الزوجات

قلت ان الرضى بالزوج حق شرعي قررته السنة الصحيحة للمرأة وان من قال من الفقهاء بجواز إجبار الاب لبنتـه البكر على الزواج قد اشـترطوا له شروطا ولصحته شروطا منها الكفاءة وعدم العداوة الظاهرة بينها وبين الولي ، وعدم العداوة الظاهرة أو الباطنة بينها وبين الرجل الذي يراد تزويجها به. وقرأت أبياتاً فقهية في هذه الشروط

وأما الطلاق فلو جعل حقا مطلقا للنساء كالرجال لفسدت البيوت وانقطع سلك نظام (العائلات) بالافراط فيه كما تحدثنا الصحف عن أعظم أمم الغرب مدنية ولا سيما الاميركان على أن للمرأة أن تشترط في عقد النكاح أن يكون أمرها بيدها وهذا الشرط يعطيها حق تطليق نفسها ، وقد فعل هذا كثيرات . ومن الفقهاء من أباح للزوجة أن تشترط على الزوج أن لا يضارها بزوج أخرى ، وسنبين هذا في مقال آخر ان شاء الله تعالى

وأما حق الامتلاك للنساء كالرجال فالشرع الاسلامي فيه أوسع الشرائع وأرحمها ومن رحمته وحكمته أحكام الارث وقد تكلمت في ذلك حتى أسكتني الرئيس بانتهاء الوقت فلا اذكر مما قلته شيئا في هذا الاجمال ، بل أدعه للتفصيل تفادياً من التكرار وكذلك الحق السياسي . وحسبنا ما كتبناه اليوم (ينظر الجزء التالي)

ملك اليهود وهيكلهم ومسيحهم والمسيح الحق

[خلاصة تاريخية دينية في ملك اسرائيل ومسيحهم ، وحكم النصرانية والاسلام فيهم ، وما ورد في ذلك من أنباء النبيين ، ننشرها إيضاحا لما كتبناه في مسألة الصهيونية وثورة فلسطين]

كان اسرائيل — وهو نبي الله يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام — يعيش هو وأولاده في براري فلسطين . ولما مكن الله تعالى لولده يوسف في أرض مصر جذبهم اليها فكثروا فيها حتى صاروا شعباً كبيراً ولكنهم ظلوا محافظين على نسبهم ومقوماتهم فسامهم الفراعنة في مصر سوء العذاب ، واضطهدوهم أشد الاضطهاد ، ولم يقووا على سحقهم ، ولا على إدغامهم في قومهم ، حتى أرسل الله تعالى فيهم نبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، فنجاهم بما أيده به من الآيات من ظلم آل فرعون ، ورباهم في التيه أربعين سنة رأوا فيها من آيات الله ما لم يره غيرهم من الشعوب ، وقاسى موسى في سياستهم من العناد واللدد ، والادلال والصلف ، ما يقضي التاريخ منه العجب ، حتى ان التوراة وصفتهم عن وحي الله تعالى بالشعب الصلب الغليظ الرقبة

وكان استذلال الفراعنة لهم قد سلبهم الشجاعة والبأس فجبنوا عن دخول الارض المقدسة إذ كان لابد من قتال أهلها الجبارين فقضى التيه على أولئك الجبناء الاذلاء ، ونشأ فيه جيل جديد قوي الابدان ، قوي الجنان والايمان ، فقاتل أهل البلاد المقدسة التي خرج من مصر ليتبوأها ، فكتب الله له النصر عليهم فغلبهم على وطنهم ليديل للتوحيد من الشرك ، وللعدل من الظلم ، وللفضيلة من الرذيلة ، وكان له هنالك تاريخ مجيد : أنبياء وملهمون ، وقضاة عادلون ، وملوك معمرون (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)

ثم دب اليه الفساد فعبد الاوثان ، وفسق عن أمر الديان ، وكفر بنعم الرحمن ، وقتل الانبياء ، وظلم الابرياء ، فسلط الله عليه الامم القوية فانتقمت منه أشد الانتقام : ثلت عرشه وخربت عاصمة ملكه (أورشليم) وهدمت بيت الرب

المعروف بهيكل سليمان المرة بعد المرة ، وسلبت ما كان فيه من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، التي ضاعف قيمتها ما فيها من لطيف الصنعة ، والاثارة الدينية والتاريخية للملة والامة ، وسبت النساء والرجال والاطفال وأجلتهم عن الديار ، وكان هذا تربية بالشدة والذلة، بعد أن أبطرتهم تربية النعمة والعزة . ثم رحمهم الله تعالى فعطف قلب ملك بابل عليهم فأعادهم إلى وطنهم وأذن لهم باعادة هيكلهم ، وإقامة ماحفظوا من شريعته وشريعتهم . كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) حتى إذا مااستمرءوا مرعى النعمة، وأنسوا من أنفسهم القوة عادوا إلى طغيانهم وبغيهم ، فعاد نزول العقاب الالهي عليهم : وما زالوا كذلك حتى أحاط غضب الله تعالى بهم وقضى القضاء الاخير بزوال ملكهم، وتسجيل الذل الدائم عليهم بجعلهم تابعين لغيرهم ، كما أنذرهم أنبياؤهم وقص الله ذلك في آخر كتبه السماوية الانجيل فالقرآن على لسان آخر رسله عيسى فمحمد عليهما الصلاة والسلام قال الله عز وجل (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً * فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيراً * ان أحسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها . فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيراً * عسى ربكم ان يرحمكم . وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) سورة بني اسرائيل — او الاسراء ١٧ :٤ — ٩)

أفسدوا اولا بعبادة الاوثان والظلم فسلط عليهم البابليين الوثنيين فجاسوا خلال مملكتهم وجعلوها تابعة لهم تؤدي اليهم الخراج وكان ذلك في القرن السابع قبل المسيح . ثم اعاد لهم الكرة وأمدهم بالمال والقوة فأفسدوا المرة الثانية فأعاد انتقامه منهم ، وهو المراد بوعد الآخرة ثم عطف عليهم بالرحمة، منذراً لهم بأنهم إن عادوا الى الفساد عاد الى النقمة، فعادوا فسلط الله عليهم الرومان الوثنيين فالمصريين وغير المصريين فالمسيحيين فالمسلمين

كانت اولى تلك النكبات الكبر نكبة بختنصر ملك بابل في سنة ٥٨٦ قبل الميلاد بعد عصيان اليهود عليه وكانوا خاضعين لملكه فأثخن في جيشهم فكان يقطع اجساد العسكر اربا اربا وسمل عيني ملكهم وأرسله الى بابل ودمر المدينة المقدسة (اورشليم) والهيكل وأحرقهما بالنار (وكان في الهيكل تابوت العهد وفيه توراة موسى بخطه وألواح العهد) وقتل جميع اهلها الا قليلا منهم ارسلهم الى بلاده عبيداً

ولما عاد بعضهم من السبي الى بلادهم سنة ٥٣٥ قبل الميلاد بأمر ملك بابل شرعوا في اعادة بناء الهيكل بمساعدة أهل الجوار فلم يتيسر لهم فتركوه سنة ٥٢٢ ثم عادوا اليه سنة ٥١٩ وأتموه سنة ٥١٥ قبل الميلاد. وحسنت حالهم بعد السبي اذ كان خير تربية لهم فمقتوا عبادة الاوثان، ثم أحسن معاملتهم الاسكندر المقدوني وفي أيامه خلصوا من سلطة الفرس. ثم وقعوا بعده تحت سلطان مصر تارة وسلطان سورية أخرى، ولم يكن المصريون يعرضون لهم بشيء من أمور دينهم. ولكن بطليموس الرابع غضب عليهم فأهانهم ودخل قدس الاقداس في هيكلهم فنجسه وأهان الدين فيه سنة ٢١٧ فدخلوا في حماية ملك سورية باختيارهم فراراً من ظلمه، وكانوا متقلبي الاحوال مع هؤلاء الحكام المجاورين حتى إذا ما استولى الرومان على هذه البلاد كلها كانت بلاد اليهودية ولاية رومانية فظلمهم الروم أيضاً ظلما شديداً لا يطاق

ولما عجزوا عن حمل أعباء الظلم يئسوا من الحياة وخرجوا على الروم مستبسلين طالبين للاستقلال، وذلك في سنة ٦٦ بعد الميلاد فضيق الروم عليهم الخناق وكانت البطشة الكبرى خاتمة هذا القتال إذ استولى (تيطوس) على اورشليم سنة ٧٠ وتبرها تتبيراً وتركها أكواماً من الرماد الاسود وأحرق الهيكل مع المدينة، ولم يبق من تلك الابنية الفخمة شيئاً الا بعض ابراج السور تركها مراصد للجيش الروماني وذلك بعد حصار خمسة أشهر يقال انه هلك في أثنائه ألف ألف نفس ومائة ألف نفس واسترق الباقي من اليهود فهاجر كثير منهم إلى ايطالية وجرمانية من أوربة واستوطنوها. وزال استقلال اليهود السياسي من الارض فلم يقم لهم بعد ذلك ملك مستقل، وقطعهم الله في أقطار الارض كما

أوعدهم على ألسنة أنبيائه الذين يؤمنون بهم والذين كفروا بهم — أي من داود إلى عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

إنما تم عز القوم وبلغوا ذروة المجد في الملك على عهد داود وسليمان عليهما السلام وكانا نبيين مؤيدين بوحي الله وتوفيقه ، وكان داود عليه السلام رجل حرب وهو الذي فتح مدينة الرب (القدس) ووطد دعائم الملك وبعد استوائه عليها جمع الذهب والفضة والنحاس وغير ذلك من أدوات البناء لاجل بناء بيت للرب تقام فيه شعائر الدين ، فأوحى الله تعالى اليه ـ كما في تاريخهم المقدس ـ بأن بيت عبادته لا يبنيه رجل سفك دماء عباده وانما الذي يبني بيته هو ابنه وخليفته سليمان ، وكذلك كان ، ذلك بأن الله لا يحب الفساد ولا سفك الدماء ولا يأذن بالقتال لرسله وعباده المؤمنين الا لضرورة الدفاع عن الحق والعدل، والادالة لهما من البغي والظلم، كما قال في كتابه العزيز (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) وكما قال في تعليل إذنه لنبينا ﷺ وأصحابه (أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ـ الا ان يقولوا ربنا الله ـ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

وكان داود وسليمان وغيرهما من الانبياء يوصون بني اسرائيل باقامة شريعة موسى ووصاياه ويقيدون كل وعود الرب لهم بالارض المقدسة والملك فيها وهم غرباء عنها باقامة هذه الوصايا كلها وينذرونهم فقد كل شيء باخلالهم بشيء منها وفاقاً واتباعاً لما جاءهم به موسى عليه السلام عن الله تعالى كما ترى في الفصل (٢٧ — ٣٢ من سفر التثنية خاتمة التوراة) ومن تلك النذر بعد النذر واللعنات التي تقشعر منها الجلود قوله بعده(٢٨ : ٦٣ وكما فرح الرب ليحسن اليكم ويكثركم كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الارض التي أنت داخل اليها لتمتلكها ٦٤ ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الارض الى اقصائها)

وتكررت هذه الوصية والنذر التي علق الرب عليها اطالة أيام شعب اسرائيل في الارض التي وعدهم اياها او عدم اطالتها ، فهو – تعالى عن الظلم والمحاباة – لم يهبهم اياها لذواتهم ولا لنسبهم بل لاقامة الحق والعدل فيها فكانت هبة مشروطة بشرط فسلبت بفقده

وفي الفصل التاسع من سفر الملوك الاول ان الرب تراءى لسليمان بعد أن اتم بناء بيت الرب (الهيكل) ووعده بأنه اذا سلك كما سلك أبوه داود بسلامة القلب والاستقامة وعمل بجميع الوصايا وحفظ جميع الفرائض والاحكام فانه يجعل كرسي ملكه على اسرائيل الى الابد كما وعد أباه داود ، وأنذره انتقامه منهم اذا كانوا ينقلبون هم أو أبناؤهم ولا يحفظون وصاياه وفرائضه ويذهبون فيعبدون آلهة اخرى قال (٧ فاني اقطع اسرائيل عن وجه الارض التي اعطيتهم اياها ، والبيت الذي قدسته لاسمي (اي الهيكل) انفيه من امامي ، ويكون اسرائيل مثلا وهزأة في جميع الشعوب ٨ وهذا البيت يكون عبرة) الخ وأعاد هذا بعينه في الفصل السابع من سفر الايام الثاني ، ومثله في أسفار اشهر أنبيائهم ، وكذلك كان ، ومرت على ذلك القرون بعد القرون ، وهم لا يزالون يزعمون أن ان أرض فلسطين ملك لهم بوعد ربهم ، فهم يحفظون وعده وينسون شرطه ولا يحفظون وعيده ، وهو الصادق في وعده ووعيده والشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود بل يجوز ، فهم لا حق لهم في هذه البلاد لا بنصوص كتبهم ووعد ربهم ولا بعرف سائر الشرائع وقوانين الامم.

ومن اغرب احوال هذا الشعب انه استحوذ عليه الغرور والعجب بكتبه وأنبيائه ورسله حتي صار يحتقر جميع البشر بل حتي صار يرى نفسه فوق الانبياء والكتب التي لولاها ولولاهم لم يكن شيئاً مذكوراً ، فقد خالف عقائد التوراة وأحكامها ووصاياها ونذرها وتهديدها ، ووصايا سائر أنبيائهم ونذرهم ، وقد حل بهما انذروه من العقاب والشقاء المرة بعد المرة ، حتى قضي عليه القضاء الاخير الذي لا مرد له . واننا نفصل ذلك بعض التفصيل

ان القوم ألفوا الشرك وعبادة الاوثان في مصر فأخرجهم الله تعالى منها

ليعبدوه وحده مع نبيه موسى عليه السلام ، خرجوا وجاوزوا معه البحر فراراً من فرعون وقومه بعد أن رأوا من آيات الله ما رأوا (فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ! قال انكم قوم تجهلون) ولما ذهب موسى لمناجاة ربه في الجبل اتخذوا العجل الذهبي وعبدوه حتى عاد وحرّقه (سحقه بالمبرد) ونسفه في اليم نسفاً . ثم ان سلائلهم الذين نشئوا في حجر التوحيد والمعجزات لما رأوا ما عليه اهل البلاد التي أعطاهم الله إياها ونصرهم على أهلها ليقيموا التوحيد مقام الشرك، أعجبهم عبادتهم للاوثان فعبدوها مثلهم وبنوا مذابح لصنمهم [بعل] وبعد أن ضعفت عبادة بعل وغيره في زمن صموئيل وداود عليهما السلام عادت في ايام سليمان حتى جاء في سفر الملوك الاول (١١: ٤) ان سليمان نفسه مال وراء الآلهة الغريبة ، وكان لنسائه مذابح وثنية خاصة لانهن كن وثنيات (برأه الله مما قالوا) ولما انقسمت المملكة بعده إلى مملكتين ليهوذا واسرائيل كان تاريخها جهاداً مستمراً بين عبادة الله وعبادة الاصنام ، حتى قيل انه لم يكن في زمن ايليا النبي في جميع اسرائيل من لم يسجد لبعل الا بضعة آلاف

بشارة الانبياء بالمسيح والنبي

كان أنبياء بني اسرائيل ينذرونهم سخط الله عليهم وعقابه على كفرهم وتركهم لوصاياه، وكذلك كانوا يبشرونهم برفع عذابه عنهم اذا تابوا من ذنبهم ، وأنابوا الى ربهم ، ومما بشروهم به أنه تعالى سيرسل فيهم مسيحا ملكا يجمع شملهم ، ويعيد للمملكة صهيون مجدها ، وانه سيبعث نبيا رسولا من بني اخوتهم (أي العرب) كموسى أي صاحب شريعة وسيف(*) يجدد ملة ابراهيم وينصر التوحيد وأهله على

(*) في الفصل ١٨ من سفر تثنية الاشتراع يقول موسى (ع م) للشعب (١٧ قال لي الرب قد احسنوا فيما تكلموا ١٨ اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيتكلم بكل ما أوصيه به) ولم يقم الرب من بعد موسى نبيا مثله صاحب شريعة مستقلة غير محمد ﷺ فجميع انبيائهم كانوا تابعين لشريعته حتى عيسى عليه وعليهم السلام وانما نسخ الله تعالى على لسان عيسى قليلا من احكام التوراة) وفي الفصل ٣٣ منه) جاء الرب من سينا واشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران » وفاران مكة كما يعلم من سفر التكوين ٢١ : ٢١ اذ يقول في اسماعيل « ٢١ وسكن في برية فاران »

الشرك وأهله ، فكانوا ينتظرون مسيحا مبشرا به يعبرون عنه بالمسيح معرّفا ، ونبيا مبشرا به يتناقلون خبره معرّفا أيضاً . وفي آخر نبوة ملاخي آخر انبيائهم قبل المسيح ان الرب سيرسل اليهم «ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والخوف» وايليا عندهم هو الياس عليه السلام وكان قد خفي عليهم ما آل اليه أمره

فكان اليهود ينتظرون ايليا والمسيح والنبي ، ففي انجيل يوحنا أنه لما ظهر يوحنا أي الذي يلقبونه المعمدان (هو يحيى عليه السلام) أرسل اليه اليهود من أورشليم بعض الكهنة واللاويين ليسألوه من هو ؟ فسألوه : أأنت المسيح ؟ قال لا . أإيليا أنت ؟ قال لا . آلنبي أنت ؟ قال لا . قالوا اخبرنا من أنت لنجيب الذين أرسلونا ؟ قال: انا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب كما قال أشعيا النبي (١ : ٩ - ٢٣)

اما ايليا فلم يأت ولكن النصارى يقولون ان الوعد بمجيئه رمزي وقد حصل ، وأما المسيح فقد ظهر مؤيداً بالآيات البينات فكذبه أكثرهم وطعنوا في والدته الطاهرة وحاولوا قتله كما قتلوا زكريا ويحيى من خيار انبيائهم، فنجاه الله تعالى منهم واشتبه امره عليهم وعلى غيرهم . وكذلك النبي الأعظم (محمد ﷺ) الذي بشر به اشهر أنبيائهم وفاقا لبشارة التوراة ، ومن اوضحها بشارة انجيل عيسى عليه السلام في كثير من الآيات والامثال التي ظهر مصداقها فيه دون غيره - جاء مؤيداً بالكتاب العزيز الذي هو آية في نفسه ، متضمنة للآيات الكثيرة في نظمه واسلوبه وأخباره وعلومه وتشريعه ، فكذبوه كما كذبوا عيسى وقاتلوه بعد أن حاولوا قتله اغتيالا كدأبهم في قتل الانبياء من قبله، فنصره الله عليهم وفاقا لاخبار التوراة والنبوات أيضا [تراجع نصوص البشارات التي اشرنا اليها في تفسير قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) في الجزء التاسع من تفسيرنا (ص ج ٩)

ذلك بانهم صاروا قوما ماديين لايهمهم من أمر الحياة الا الغنى والملك فلما رأوا ان المسيح ليس هو الملك الذي يطلبونه كذبوه ورأوا أن ماذكره الانبياء عن (مسيا) من الملك والسلطان لاتصدق نصوصه بحملها عليه ، اذ كان يقول

إن ملكه ليس من هذا العالم ، وإنما يريدون ملكا من هذا العالم ، كما هو ظاهر بشارات داود وأرميا وزكريا وغيرهم . ولولا الآيات الباهرة التي أيد الله بها عيسى عليه السلام لكان تأويل المسيحيين لتلك البشارات مردوداً بالبداهة كما قال السيد جمال الدين في مقام الاحتجاج على بعض النصارى انهم فصلوا من قطع متفرقة من العهد العتيق قميصا وألبسوه ليسوعهم .

وقد كانت نذره النبوية عليه السلام أوضح من نذر غيره من الانبياء ومتأخرة عنهم اذ قال كما في انجيل متى في سياق توبيخ الكتبة والفريسيين (٢٣ : ٣٧ ياأورشليم ياأورشليم ! ياقاتلة الانبياء وراجمة المرسلين ، كم مرة اردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ٣٨ هوذا بيتكم يترك لكم خرابا) - يعني الهيكل - ... وقال أيضاً (٢٤ : ١ ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه ابنية الهيكل ٢ فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم انه لايترك ههنا حجر على حجر لاينقض) ثم أخبرهم بأنه سيظهر كثيرون كل منهم يدعي انه هو المسيح ويضلون كثيرين وتكون فتن كثيرة وتقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة الخ ومثله في لوقا (٢١ : ٥) الخ

وقد صدق قوله عليه السلام بما فعله تيطس بعد اجتماع الاسباط في اورشليم من تدميرها وإحراق الهيكل (سنة ٧٠م) كما تقدم ، وصدق أيضاً فيما أخبر من قيام المسحاء الكذبة وكان أشهرهم (ياركوكبة) الذي قام سنة ١٣٥ ب م فثار معه اليهود فقاتلهم الرومانيون حتى روي انهم قتلوا منهم نصف مليون أو ٦٠٠ الف نفس وخربوا أورشليم وجعلوها مستعمرة رومانية ، وبقي آخرهم وهو المسيح الدجال الاكبر الذي ينتظرون البلاد له

وقوله عليه السلام : انه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض — يقتضي صدقه أن تيطس لم يبق من بناء الهيكل شيئا وان الذين يزعمون انه قد بقي شيء من بعض جدران السور الخارجي له كاذبون ، وكل من صدقهم يكون مكذباً للانجيل

وقد كانت أحداث الزمان مؤيدة لقوله عليه السلام وزيادة في إيمان المؤمنين به وأعظمها ان الامبراطور يوليانس أراد إعادة بناء الهيكل سنة ٣٦٣ بعد الميلاد

ونشط اليهود في تنفيذ إرادته فلماحفر الفعلة الاساس فاجأتهم براكين جهنمية مزعجة أظلم المكان بما أحدثته من الدخان والغبار، وتكسرت أدوات العمل بما أثار الانفجار من قذائف النار، فولوا الادبار، ولم يعقبوا بعد ذلك الفرار. وحاول اليهود العمل ثانية فشمروا بقوة خفية تدفعهم بعنف عظيم ذعروا له فولوا مدبرين، وتركوا أدوات العمل يائسين

ومن ثم اعتقد النصارى أن جميع بشارات أنبياء بني اسرائيل انتهت بظهور المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وانه لن يعود لليهود ملك مستقل، ولا هيكل تقام فيه شعائر دينهم المنسوخ. وان جميع تلك البشارات المخصصة لتلك النذر والتخويفات قد انحصرت بمن اتبع المسيح الحق منهم إذ لا مسيح بعده، وصار أتباعه هم شعب الله الخاص والكافرون بهم أعداء الله

ثم جاء الاسلام فكان أعظم مظهر لبشارات المسيح ونذره من الوجوه التي فهمها أتباعه الاولون قبل البدع والتقاليد التي أيدها ونشرها ونصرها الامبراطور قسطنطين ومن بعده. فأورث الله أهله البلاد المقدسة وبنوا مسجد الله المسمى بالاقصى في مكان الهيكل المدمر لاقامة عبادة الله تعالى وحده فلم يصدهم عنه من الموانع الخارقة للعادة التي صدت الامبراطور يوليانس واليهود لان الاسلام جاء مصدقا لموسى وعيسى والنبيين الذين بشروا به، لا مكذبا كاليهود

ومما أخبر به الله تعالى في كتابه القرآن انه جعل الذين آمنوا بالمسيح واتبعوه فوق الذين كفروا به إلى يوم القيامة وانه ضرب على اليهود الذلة بفقد الملك إلى يوم القيامة، ومما أخبر به خاتم النبيين ﷺ أنه سيظهر دجالون يكون آخرهم الدجال الأكبر الذي يدعي انه هو المسيح الموعود به فيتخذه اليهود ملكا ويحاربون تحت رايته في البلاد المقدسة وان الله تعالى يظهر المسلمين عليهم فيقتلونهم تقتيلا، ويظهر المسيح الحق بما شاء الله فيقضي على المسيح الدجال، وتظهر لجميع الامم حقية الاسلام وبعد ذلك تقوم الساعة العامة الكبرى كما أنبأ القرآن، دون ماينتظر الاقوام

ونتيجة ما تقدم كله ان اليهود الصهيونيين والمؤيدين لهم من المغرورين يحاولون نقض عقائد المسلمين والنصارى وتكذيب عيسى ومحمد عليهما الصلاة

والسلام وهم زهاء نصف البشر في الارض وأصحاب الملك والملك في الشرق والغرب وكان من أعظم أسباب غرورهم تمكنهم من استخدام عظمى الدول المسيحية في الارض على التمهيد لهذا التكذيب وهي الدولة البريطانية

إننا نعلم ان الانكليز استخدموا اليهود لاضعاف العرب بايجاد عدو لهم في بلادهم يقطعون صلة بعضها ببعض ويشغلون كلا منها بالآخر متكلا على الانكليز وأقل فائدة لهم في ذلك ان يحولوا مقاومة العرب لاحتلالهم بلادهم إلى اليهود ، كدأبهم الذي ضربنا له مثل السيل يقذف جلموداً بجلمود، وانما عجبنا من سكوت الدول والامم المسيحية لهم على إيواء أعداء المسيح إلى بلده،وهو يستلزم تكذيب نذره

وأعجب من ذلك ان دسائس اليهود تمكنت من إغواء كثير من نصارى أوربة وأمريكة وإقناعهم بأن الايمان بالكتاب المقدس يقتضي مساعدتهم على العودة إلى فلسطين وامتلاك أورشليم الخ تصديقا للانبياء وتحقيقا لظهور المسيح الذي يختلف الفريقان في شخصه وعمله، فاليهود يعنون مسيحهم الملك الدنيوي الذي يعيد ملك سليمان لهم،والنصارى يعنون المسيح عيسى بن مريم الذي يجيء في ملكوته ليدين العالم

وقد بلغ الهوس بجمعية تلاميذ التوراة ان نشرت في سنة ١٩٢٠ كتابا عنوانه (ملايين من الذين هم أحياء اليوم لن يموتوا أبداً) ملخصه ان نبوات العهدين القديم والجديد تفسر بأن استعمار اليهود الصهيونيين لفلسطين تمهيد لتفسيرها كلها باقامة (مملكة مسيا) على حساب نظام اليوبيل اليهودي وان هذا الامر يتم سنة ١٩٢٥ فيقوم الاموات من قبورهم ويرجع ابراهيم واسحاق ويعقوب وقدماء الانبياء المؤمنين إلى أورشليم ويتم الامر فلا يموت بعد هذا احد!!

وسننشر بعض نصوص هذا الهوس المسيحي الذي كذبه الزمان بعد خمس سنين من نشره . وانما غرضنا هنا التنبيه لهذه الدسائس اليهودية والاوهام الدينية وإعلام الانكليز بأن حكومتهم قد فتحت باب فتنة دينية دنيوية تكون عاقبتها شراً عليهم وعلى البشر عامة مما يظنون ويقدرون ، فاتفاق العرب مع الذين يريدون سلب وطنهم وتقطيع روابط أمتهم ، والجناية على دينهم ودنياهم ضرب من المحال وانه لا علاج لهذه الفتنة إلا القضاء على هذه المطامع ،وقد أعذر من أنذر

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ الجزء الثالث من كتاب الاعلام ﴾ سبق لنا تقريظ لهذا الكتاب بعد صدور الجزأين الاول والثاني منه وقد بدىء هذا الجزء بحرف الكاف وأتم بحرف الياء فبلغت صفحات الأجزاء الثلاثة به ١١٨٧ صفحة . فحق على جميع كتاب العربية ولا سيما المصنفين والمؤرخين ومحرري الصحف أن يشكروا لمؤلفه أديب الشام وشاعرها الاستاذ (خير الدين الزركلي) الشهير هذه المنة التي لا يستغني عنها أحد منهم فلعمري ان حاجتهم إلى هذا الكتاب كحاجتهم إلى معجم من معاجم اللغة، وينبغي أن لا يخلو منه مكتب، وأن يكون بين الأيدي بجانب أساس البلاغة والقاموس ونحوه . كذلك خزائن الكتب العامة والخاصة ينبغي أن يكون في كل منها عدة نسخ من هذا الكتاب لانه كما ادعى واضعه في فاتحته وصدق قد ملأ فراغا في الخزانة العربية قد ترك له مدة هذه القرون الطويلة بجمعه أسماء أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين من عهد الجاهلية وأول الاسلام إلى هذا العصر - ما عدا الاحياء من أهله - وضبط الاسماء والالقاب وحدد سني الوفاة لمن عرفت سنة وفاته وهم الاكثرون بالتاريخين الهجري والميلادي، وبين أهم المزايا والكتب التي صنفها المصنفون منهم مع الرمز إلى ماطبع منها ومالم يطبع ، وانه قد لخص ترجمة أعظم رجل ذكر فيه بل أعظم رجل خلقه الله (محمد رسول الله وخاتم النبيين) في ٣ صفحات وبضعة أسطر فقط

وقد وعد بوضع جزء رابع يستدرك به ما فاته في هذه الاجزاء . ولما كان قد دعا قراء الكتاب إلى نقده فالمرجو من قرائه من أهل العلم وأصحاب الاطلاع على المطبوعات أن يبينوا له مايعثرون عليه من سهو أو غلط ليدونه في جزء المستدرك ليتم به ضبط الكتاب بالدقة اللائقة به

وأذكر من ذلك انه غلط في ترجمة الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) فذكر انه ولد في عين شمس وهو انما سكنها في بضع السنين الاخيرة من عمره ، وذكر من مؤلفاته «تفسير القرآن الحكيم» وقال انه لم يتمه والصواب انه ليس له الا تفسير

(جزء عم) فقط، وله كتب أخرى لم يذكرها أشهرها كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) و (رسالة الواردات) ومنها حاشيته على عقائد الجلال الدواني وكلها مطبوعة

وقد راجعت أخيراً ترجمة الحافظ الذهبي فرأيته يضع عند ذكر كتابه (ميزان الاعتدال) حرف خ للاشارة إلى انه مخطوط لا مطبوع والصواب انه قد طبع في الهند ثم في مصر ولعل هذا من غلط الطبع ولا بد من تصحيحه في المستدرك

صحف اسلامية عربية

يسرنا ان تكثر الصحف الاسلامية الرشيدة في أوطاننا العربية في هذا العصر الذي طغى فيه طوفان الالحاد، واستشرى وباء الفساد، وكثرت صحفهما في البلاد، وجهر كتابهما بالدعوة، مساعدة للمبشرين على نكث فتل الامة، وتقطيع روابط الملة، واننا نذكر المهم من هذه الصحف

﴿مجلة الشبان المسلمين﴾ «مجلة إسلامية علمية تهذيبية تصدرها جمعية الشبان المسلمين مرة في الشهر ويحررها نخبة من أعضائها. رئيس التحرير المسؤول: الدكتور يحيى احمد الدردير» وانه ليسرنا أن يوفق الله تعالى هذه الجمعية النافعة لاصدار مجلة إسلامية تكون أكبر عون لها على ما تقصد من تأسيسها وهو التهذيب الاسلامي مع العلم العصري والتربية الملية الوطنية. وهذا ضرب من التجديد النافع المطلوب، المقاوم لتجديد الالحاد والفسق والفجور، الذي تنحله أفراد مكنتهم فوضى الآداب وحرية الفساد من انتحال لقب التجديد لأنفسهم وهم لا يبغون منه إلا الكسب، بافساد الشعب

وانه ليسرنا أن يكون صديقنا الدكتور احمد يحيى الدردير رئيس التحرير لهذه المجلة النافعة فقد عرفناه من اختلافنا إلى نادي الجمعية — لالقاء بعض المحاضرات أو رد الشبهات أو لسماع مثل ذلك، أو لمحض الزيارة والمذاكرة — انه خير اهل لهذه الخدمة بما له من الاطلاع الواسع على العلوم والفلسفة، ولاسيما علم النفس والتربية، مع البصيرة والوجدان في الدين واليقين فيه. والغيرة عليه، وانه ليسرنا أيضا أن تبارى

أقلام خيار الكتاب المسلمين في تحرير هذه المجلة : في العلوم والاعمال المختلفة . فهي بذلك قد استكملت الاسباب العلمية الادبية لها وقيمة الاشتراك السنوي في مصر ٢٥ قرشاً لعضو الجمعية و ٣٠ قرشاً لغير العضو وفي غير مصر ٣٠ لعضو الجمعية و ٤٠ لغير العضو وهو مبلغ قليل فنحث المسلمين كافة وطلاب العلوم وطوالبها خاصة على الاقبال على هذه المجلة والاشتراك فيها وعلى الاشتراك في جمعيتها ايضا

وبهذه المناسبة يسرنا أن نعلن للعالم الاسلامي انه صار لدينا بمصر ثلاث مجلات لجمعيات إسلامية ، تؤازرها مجلات أخرى في سائر الاقطار وهي

﴿ مجلة مكارم الاخلاق ﴾ وهي اقدمها لانها تناهز عمر المنار في نشأتها الاولى وقد جدد شبابها تولي الاستاذ الشيخ محمود محمود من استاذي مدرسة المعلمين العليا رياسة تحريرها وناهيك به علماً وفضلا وغيرة ، فهي الآن خير مما كانت منذ وجدت ، و (مجلة الهداية) ولدينا في خارج مصر (مجلة الاصلاح) الحجازية و (مجلة الكويت) وقد دخلتا مع مجلة الهداية جميعاً في السنة الثانية فنهنئهن بذلك ، و (مجلة الشهاب) الجزائرية و (جريدة الاصلاح) الجزائرية

﴿ الجامعة الاسلامية ﴾ « صحيفة إسلامية : علم . أخلاق . أدب . تاريخ » تصدر في حلب مرتين في الشهر موقتاً . مديرها ومحررها الاستاذ محمد علي الكحال ، قيمة الاشتراك السنوي فيها اربعون قرشاً مصرياً ولطلاب العلم وطوالبه ٣٢ قرشاً وإنا لنتمنى لهذه الجريدة النجاح والفلاح

﴿ المستقبل ﴾ « صحيفة نقد وأدب وفن ودعاية — لصاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ ابراهيم صالح شاكر » تصدر مرتين في الشهر في مدينة بغداد ، وعسى أن يقبل عليها قراء العربية في جميع البلاد ، فانها تعنى بالدعاية العربية ، بلغة فصيحة عربية ، يتغلغل الاخلاص للوحدة العربية في أحشائها ، ويفيض من جميع جوانبها ، وعسى أن تجد من الاقبال ومن الحرية ما يمكن صاحبها الغيور من جعلها أسبوعية ، ثم من تكبير حجمها مع بقائها أسبوعية ، ومن إبقاء اشتراكها على ما هو الآن : عشر روبيات في العراق و ١٥ روبية في سائر الآفاق

﴿المجمع المصري للثقافة العلمية﴾

بيان عام

صحت عزيمة طائفة من المشتغلين بالعلم ونشره في هذا القطر على تأسيس مجمع علمي يدعونه « المجمع المصري لثقافة العلمية » تكون اغراضه :

(أولا) نشر الثقافة العلمية باللغة العربية

(ثانياً) ترقية اللغة العربية بكتابة المباحث العلمية بها ونشرها

(ثالثاً) إنشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من أبناء اللغة العربية

والطريقة التي ينوي ان يجري عليها لتحقيق أغراضه هذه هي :

(اولا) عقد مؤتمر سنوي لالقاء الخطب العلمية وتلخيصها ونشرها ملخصة في الصحف السيارة والمجلات ثم طبعها كاملة في مجموعة توزع وتباع

(ثانياً) القاء خطب علمية دورية

(ثالثاً) عدم تعرضه للسياسة والدين

أما لغته فاللغة العربية وأما مركزه فالقاهرة عاصمة المملكة المصرية

وفيما يلي أسماء الفضلاء الذين قبلوا حتى كتابة هذه السطور أن ينتظموا في هيئة مجلسه التأسيسي :

الدكتور علي ابراهيم بك — رئيس المجمع لسنة ١٩٣٠
الدكتور محمد شاهين باشا
الدكتور فارس نمر
الدكتور خليل عبدالخالق
الدكتور عبدالعزيز احمد
الدكتور علي مصطفى مشرفه
الدكتور حسن بك صادق
الدكتور محمد شرف

الدكتور محمد رضا مدور
الدكتور كامل منصور
الدكتور جرجي صبحي
الدكتور علي حسن
الدكتور أحمد زكي ابو شادي
الدكتور شخاخيري
الاستاذ اسماعيل مظهر
الاستاذ سلامه موسى
الاستاذ فؤاد صروف سكرتير عام دائم
الاستاذ كامل كيلاني مساعد سكرتير

وقد اجتمع المجلس التأسيسي وقرر أن يعقد مؤتمره السنوي الأول في الثاني من فبراير الذي يبتدىء في يوم الجمعة ٧ فبراير وينتهي في ١٤ منه . وسيعلن عن برنامج هذا المؤتمر وأسماء الخطباء وموضوعات خطبهم ومكان القائها في أواسط يناير القادم

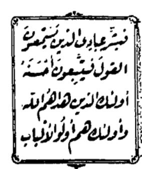
فؤاد صروف

السكرتير العام الدائم

﴿ المنار ﴾ استغربنا تأليف إدارة المقطم والمقتطف لهذا المجمع من الدكاترة الكرام وبعض الملاحدة المفسدين للأديان والآداب الذين جهر بعضهم بالدعوة إلى الالحاد، ولاسيما الطعن في الاسلام، وإلى إفساد الآداب الدينية والمدنية بما يسميه الادب المكشوف ، وأما الاطباء فالخدمة التامة الخاصة بهم موضوعها حفظ أبدان البشر من الامراض ومعالجة ما يعرف لها منها ، ويقل فيهم من يجد وقتاً للعناية بالثقافة التي هي موضوع هذا المجمع إن كان مستعداً لها من قبل

وكان يجب أن يكون أكثر أعضاء هذا المجمع من كبار المدرسين في المدارس العالية ومنها الازهر الشريف ، ومن كبار الكتاب المحرزين والعلماء المؤلفين للكتب النافعة ، وأن يكون فيها من يمثل الجمعيات الادبية والأخلاقية ومنها جمعيتا الشبان المسلمين والشبان المسيحيين، ولا يعقل أن تبحث اللجنة المؤسسة لهذا المجمع عن عقائد من تعرف فيهم الصفات المؤهلة له وتشترط فيها شيئاً ، ولكن يجب أن لا تقبل من يكون داعية للالحاد والفوضى الاباحية في الآداب مشهوراً بالطعن في رجال الدين ولا من يكون معروفا عنه انه يبغي بالثقافة العامية نسخ الثقافة الدينية وإقامتها مقامها ولا يكفي في تأمين المتدينين على أديانهم أن يشترط في خطب المؤتمر عدم التعرض فيها للسياسة والدين فان أشد المتعرضين للدين وقاحة وطعناً يدعي عدم التعرف له

ثم ان المقاصد التي ذكرت في البيان مجملة مبهمة وحاصلة بدون تأليف مجمع خاص لاجلها إلا مسألة المؤتمر وهي مسألة قد سبقت جمعية الرابطة الشرقية إلى درسه والسعي له فما معنى افتئات هؤلاء عليها فيه؟ ولماذا لم يشتركوا معها في سعيها حتى إذا ما اجتمع المؤتمر اقترح عليه تأسيس المجمع اللغوي الادبي المطلوب إن لم تسبق إلى تأسيسه الحكومة المصرية ؟ وكذلك الرابطة بين رجال العلم هو من موضوعها



المنار

أنشئ سنة ١٣١٥



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣ رمضان سنة ١٣٤٨هـ ١٠ برج الحوت سنة ١٣٠٨ هـ ش ١ مارس سنة ١٩٣٠

المعروف عندهم دون غيره وهو حديث أسامة المرفوع المتفق عليه « لا ربا إلا في النسيئة » هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم « إنما الربا في النسيئة » و (الثاني) نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن البيوع التي قد تؤدي إليه لسد الذريعة دون ارتكابه (كنهيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله عن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية سد الذريعة الزنا المحرم بنص كتاب الله تعالى) وهو حديث عبادة وغيره الذي كرره المفتي الهندي وهذا هو الذي سموه « ربا الفضل »

ولما حرم الله الربا في كتابه وتوعد عليه قرن تحريمه بحل البيع وحل التجارة التي هي أعم من البيع ، فعلم من ذلك أن حقيقة الربا المحرم غير حقيقة البيع والتجارة المحللين ، وذلك أن البيع والتجارة معاوضات في الاعيان والمنافع بين طرفين يتراضيان باختيارهما على المبادلة فيها - وأما الربا المنصوص في القرآن فليس فيه معاوضة بين متعاقدين في شيئين بل هو عين يأخذه أحد الطرفين من الآخر بغير مقابل له من عين ولا منفعة بل لأجل تأخير قضاء دين مستحق عليه إلى أجل جديد لعجزه عن قضائه حالا

وقد بين بعض العلماء المستقلين في الفهم هذه المعاني كلها ولكن الذين أولعوا بتكثير الاحكام في الحلال والحرام وضعوا لأنفسهم قواعد الاستنباط ومناطات للتشريع أدمجوا بمقتضاها الربا المحرم القطعي بالنص الالهي - المتوعد عليه فيه بالوعيد الشديد لما فيه من الضرر الفظيع والظلم العظيم - في البيع المنهي عنه لسد الذريعة إذ لا ضرر فيه يقتضي الوعيد الشديد بحسب أصول الشرع وحكمة الحكيم الرحيم فيه ، ومنهم من سوى بينهما . ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا بآرائهم أحكاما جديدة في الربا ليس فيها نص من الشارع قطعي ولا ظني ولا تتفق مع أصول الدين ولا حكم التشريع ولا تعليل النص لتحريم الربا بقوله عز وجل (وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) كقولهم ان علة الربا هي كون ما يتبايع به الناس مكيلا أو موزونا ، فكثروا بذلك مسائل الربا وخرجوا بها عن محيط المعقول والمنقول معا فجعلوها من التعبديات التي لا تثبت إلا بنص صريح قطعي من الشارع وخالفوا بهذا أئمتهم وسلفهم الصالح الذين كانوا يتقون الجرأة على التحليل والتحريم بالاجتهاد والرأي لما ورد فيه من الوعيد الشديد في كتاب الله تعالى

قاعدة السلف في التحريم الديني

قال الله تعالى (١٦ : ١١٦ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) وقال عز وجل (٦ : ٥٩ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ؛ قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) وقال جل جلاله (٧ : ٣٣ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وقال تبارك اسمه (٤٢ : ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) يعني ان شرع الدين هو حق الله تعالى وحده حتى ان جمهور الائمة المحققين على أن رسول الله ﷺ لم يحرم على الأمة شيئاً برأيه وان ما ثبت عنه من تحريم شيء غير منصوص في القرآن فهو استنباط من القرآن بما أراه الله تعالى فيه باذن الله له فيه بمثل قوله (٤ : ١٠٥ إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقوله (١٦ : ٤٤ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) مثال ذلك تحريمه ﷺ الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح اخذه ﷺ من تحريم الجمع بين الاختين لعلمه بأن علتهما وحكمتهما عند الله تعالى واحدة وتحريمه الشرب والأكل في آنية الذهب والفضة أخذه من قوله تعالى (٨ : ٣١ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) بجعل الاسراف فيما يلابس الاكل والشرب كالاسراف فيهما. كما يظهر لنا. وأما نهيه ﷺ عن أكل ذوات الناب والمخلب من الوحش والطير المخالف لنصوص القرآن من حصر محرمات الطعام في اربع فهو للكراهة لا للتحريم كما فصلناه في تفسير (٦ : ١٤٥ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه) الآية فكل ما زاده الفقهاء على ما ذكر بقياس جميع أنواع استعمال الذهب والفضة على الاكل والشرب ينافي هذا الاستنباط على مخالفته للنص فمن اعتقده فله ان يعمل به في نفسه ولكن ليس له جعله حكما عاما للامة فيكون تشريعا لم يأذن به الله ، وهو مما عده الله تعالى شركا في آية (٤٢ : ٢١) وفي معناها قوله تعالى في أهل الكتاب (٩ : ٣١ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) روى أحمد

والترمذي وابن جرير في حديث اسلام عدي ابن حاتم وكان نصرانيا أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية فقال له انهم لم يعبدوهم فقال ﷺ « بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم » وله ألفاظ أخرى. وقال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل ؟ قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله مايخالف قول الاحبار فكانوا ياخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى

وقال الرازي في تفسيره بعد ذكر هذا الحديث والاثر في تفسير الآية : قال شيخنا ومولانا خاتمة المحققين والمجتهدين (رض) قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالي في بعض المسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وبقوا ينظرون إلي كالمتعجب ، يعني كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع ان الرواية عن سلفنا وردت عن خلافها . ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء ساريا في عروق الاكثرين من اهل الدنيا اه

واقول قد ذكرت في (رسالة اختلاف الامة وسيرة الائمة) التي بينت فيها مزايا كتابي المغني والشرح الكبير في الفقه الاسلامي ثم جعلتها خاتمة لكتاب (يسر الاسلام وأصول التشريع العام) ان أئمة الامصار وغيرهم من علماء السلف لم يكونوا يجزمون بتحريم شيء على سبيل القطع وجعله تشريعاً عاماً إلا اذا ثبت عندهم بنص قطعي الرواية والدلالة . وأوردت الشواهد من سيرتهم في ذلك ثم إنني وجدت نصا لفظيا صريحا في الموضوع اعم مما ذكرت وهو مافي كتاب الام للامام الشافعي (رض) فانه قال في مسألة (سبايا الملاك) من (كتاب سير الاوزاعي) مانصه (ص ٣١٩ ج ٧)

« قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى اذا كان الامام قد قال من اصاب شيئا فهو له ـ فأصاب جارية لايطؤها ما كان في دار الحرب. وقال الاوزاعي له ان يطأها وهذا حلال من الله عزوجل بأن (واملاه قال فان) المسلمين وطئوا مع رسول الله ﷺ ما اصابوا من السبايا في غزاة بني المصطلق قبل ان يقفلوا ، ولا يصح للامام ان ينفل سرية ما اصابت ولا ينفل سوى ذلك إلا بعد الخمس فان رسول الله ﷺ اسوة حسنة كان ينفل في البدأة الربع وفي الرجعة الثلث

« قال أبو يوسف : ما أعظم قول الأوزاعي في قوله " هذا حلال من الله " أدركت مشايخنا من أهل العلم يكرهون في الفتيا أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام إلا ما كان في كتاب الله عز وجل بينا بلا تفسير : حدثنا ابن السائب عن ربيع ابن خيثم وكان أفضل التابعين أنه قال : إياكم أن يقول الرجل إن الله أحل هذا أو رضيه ، فيقول الله له : لم أحل هذا ولم أرضه . ويقول إن الله حرم هذا (١) فيقول الله كذبت لم أحرم هذا ولم أنه عنه . وحدثنا بعض أصحابنا عن ابراهيم النخعي أنه حدث عن أصحابه أنهم كانوا إذا أفتوا بشيء أو نهوا عنه قالوا هذا مكروه، وهذا لا بأس به ، فاما أن نقول هذا حلال وهذا حرام فما أعظم هذا ؟ اه

هذا مانقله الشافعي عن أبي يوسف ثم نقل عنه أن ماقاله الأوزاعي من حل السبية فهو مكروه . وهو تفسير لقول أبي حنيفة « لا يطؤها ما كانت في دار الحرب » ولم يستحل أحدهما أن يقول هذا حرام . وقد رد الشافعي هذا القول وصحح قول الأوزاعي ولكنه لم ينكر مانقله أبو يوسف عن السلف في التحليل والتحريم وانما صحح قول الأوزاعي بأن دار الحرب لا تحرم ماأحل الله من السبي والغنائم في أول سورة الانفال وفي آية الخمس منها ثم قال « فان الخمس في كل ماأوجف عليه المسلمون من صغيره وكبيره بحكم الله الا السلب للقاتل في الاقبال الذي جعله رسول الله ﷺ لمن قتل اه وتراجع عبارته هنالك فانما غرضنا هنا أن الشافعي موافق مقر فيما يظهر لما نقله أبو يوسف من سيرة السلف في اجتناب التحليل والتحريم إلا ما كان في كتاب الله بينا بنفسه لا يحتاج إلى تفسير، والشافعي ممن قالوا ان النبي ﷺ لم يقل في الدين شيئا الا من كتاب الله تعالى. على انه لا يضيره ان يخالفه هو أو غيره بالتحريم الديني بالقياس فالحق أن القياس غير حجة في التعبديات ولا إثبات عبادة ولا تحريم ديني لم يرد به نص صريح من الشارع كما بينا في التفسير وغيره ولا سيما كتاب (يسر الاسلام وأصول الشرائع العام)

وبهذا أخذ علماء الاصول في تعريفهم للفرض أو للايجاب بأنه خطاب الله المقتضي

(١) لعله سقط من هنا : أو نهى عنه بدليل ما بعده

للحرام بأنه خطاب الله المقتضي للترك اقتضاءاً جازما وقد مثلنا لهذا في تلك الرسالة وغيرها بأن آية البقرة في الخمر والميسر تدل على طلب تركهما دلالة ظنية راجحة ولكن رسول الله ﷺ لم يجعلها تشريعاً عاما موجبا لتركهما على الامة حتى اذا ما أنزلت آيات سورة المائدة الصريحة في الامر باجتنابهما تركهما جميع الصحابة (رض) وصار رسول الله ﷺ يعاقب من شرب الخمر وكذلك خلفاؤه من بعده .

(فان قيل) ان ما ذكرت مخالف لقول جمهور علماء الامة من أن الأدلة القطعية انما تشترط في العقائد وأصول الدين وأن الاحكام العملية تثبت بالادلة الظنية وإن علماء الاصول أدخلو القياس في تعريف الايجاب بأنه خطاب الله المقتضي للفعل اقتضاء جازما وتعريف التحريم بأنه خطاب الله المقتضي للترك اقتضاء جازما بقولهم إنه دليل على خطاب الله تعالى المقتضي لذلك

(قلت) ان القياس الاصولي المعروف ليس من خطاب الله تعالى الذي ذكره الامام ابو يوسف وغيره في موضوعنا ولا مما هو أعم منه، وليس دليلا عليه أيضا واما ما أدخلوه في القياس الجلي من الاحكام التي نص الشارع على علتها أو قطع فيها بنفي الفارق فمنكرو حجية القياس شرعا لا يسمونه قياساً بل يدخلونه في معاني النص من منطوق أو مفهوم ويجد القارئ تفصيل هذا البحث في كتاب (يسر الاسلام وأصول التشريع العام) وانما ذكرناه هنا مقدمة تمهيدية وسيعاد عند ذكر المسائل العملية المتعلقة بالربا في آخر هذا البحث. اذا تمهد هذا أقول

ربا الجاهلية المحرم بالقرآن

كان الربا معروفا عند العرب في الجاهلية بالمعنى الذي ذكرناه وسننقل الشواهد عليه فليس هو من الاصطلاحات الشرعية الحادثة في الاسلام وقد ذكره تعالى في سورة الروم المكية التي نزلت قبل الهجرة ببضع سنين بالذم مقرونا بمدح الزكاة قبل فرض الزكاة الذي كان في السنة الثانية من الهجرة وقبل تحريمه (الربا) بالنهي الصريح عنه في أواخر سني الهجرة ثم بالوعيد الشديد عليه في آخر ما نزل من القرآن . وإنما جاء في السور المكية بيان أصول الواجبات والمحرمات بوجه إجمالي (كآية ٧: ٣٣.)

قال تعالى في سورة الروم (٣٠: ٣٩ وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو

عند الله . وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون)

ثم قال في سورة آل عمران (٣: ١٣٠ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال بعض العلماء ان تحريم الربا كان سنة ثمان او تسع من الهجرة واسقط النبي ﷺ ربا الجاهلية في حجة الوداع سنة عشر

ثم نزلت آيات سورة البقرة المشتملة على الوعيد الشديد قبل وفاة النبي ﷺ بقليل فكانت مع آية الوصية العامة بالتقوى المتصلة بها آخر ما نزل من القرآن كما رواه البخاري في كتاب البيوع وكتاب التفسير من صحيحه . وقد روي أنه ﷺ مكث بعدها سبع ليال وقيل تسعا وقيل ٢١ كما ذكره الحافظ في الفتح ، وروى أحمد وابن ماجه نحو هذا عن عمر (رض) وزاد عليه أنه ﷺ لم يقل فيها شيئا

هذا — وان ومن أصول التشريع ان الوعيد الشديد لا يكون إلا على كبائر الاثم والفواحش التي يعظم ضررها ومفاسدها ولكن المفتي الهندي الحنفي اعتمد في فتواه قول من قال من فقهاء مذهبه وغيرهم ان لفظ الربا فيها مجمل بينه النبي ﷺ بنهيه عن بيع الاجناس الستة إلا يدا بيد مثلا بمثل كما تقدم شرحه ، ومقتضاه أن من صرف قطعة الريال من الفضة بالاربع القطع المساوية لها في الوزن مع تأخير القبض يكون ظالما محاربا لله ولرسوله بنص القرآن وملعونا مرتكبا لاحدى كبائر المؤبقات بنص الاحاديث الصحيحة الواردة في حظر الربا — فهل يعقل هذا في دين الرحمة وسنة نبي الرحمة ؟ فنحن نورد ما يخالف رأيه والأقوال التي احتج بها ثم نلخص الموضوع في مسائل معدودة فنقول

﴿ أقوال أئمة الفقه والتفسير والحديث في الربا والبيع ﴾

قد تقدم أن الاساس الذي بنى عليه المفتي الهندي الفاضل فتواه هو أن لفظ الربا في آية البقرة مجمل لا يعلم المراد منه إلا ببيان الكتاب أو السنة وأن هذا البيان هو حديث عبادة وأبي موسى وغيرهما في بيع الاشياء الستة كما تقدم ، ولذلك كان ربا القرآن هو عين الربا المراد بهذا الحديث لا معنى له غيره ،

والحق أن القول بأن لفظ الربا في الآيات مجمل قول ضعيف مرجوح وأن أكثر علماء الامة المجتهدين والمنتسبين إلى المذاهب المشهورة على خلافه فزعمه

اتفاقهم عليه باطل ، بل ذكره بعضهم احتمالا ورد الآخرون هذا الاحتمال وجزموا ببطلانه ، وأنه على فرض كونه مجملا لا يصح أن يكون حديث عبادة في بيع الاشياء الستة يداً بيد مثلا بمثل بيانا له لان هذا الحديث في الصرف وما في معناه ولا تنطبق عليه نصوص الآيات في أحكامها ولا في حكمتها ، ولا في تعليلها ، ولا في وعيدها ، فهو قد خرج بها عن موضوعها من كل وجه. وجمهور علماء السلف والخلف على أن الربا في جميع الآيات مراد به ربا الجاهلية وأنه كان في تأخير الديون المؤجلة ، فان شمل غيرها فانما يشمله بعموم اللفظ . ونحن نورد الشواهد على صحة قولنا من الكتب المشهورة المعتبرة حتى كتب بعض الحنفية أنفسهم الذين اعتمد المفتي الهندي على أقوال بعضهم دون بعض ، ثم نحقق أصل الموضوع كما وعدنا وإن كنا قد سبقنا إلى هذا التحقيق في تفسيرنا للآيات من زهاء ربع قرن كما يراه القارىء في الجزء الثالث من تفسير المنار فعسى أن يكون ما نحققه أتم وأبين بما فيه من التطبيق ورد الشبهات والرجوع إلى أصول التشريع

(١) ماقاله الامام الشافعي في البيع

ذكر بعض العلماء عن الامام الشافعي ان لفظ البيع في القرآن مجمل بينته السنة وقالوا عنه ان لفظ الربا مجمل مثله نقل ذلك المفتي الهندي عن الرازي وانه اختاره . ولكن الشافعي ذكر في الأم ان لفظ البيع عام أريد به الخاص ويحتمل أن يكون مجملا وترجيحه للأول هو المصرح به في كتب فقهاء الشافعية . وهذا نص عبارته في كتاب البيع (ص ٢ ج٣)

أخبرنا الربيع قال أخبرنا الشافعي رحمه الله قال قال الله تبارك وتعالى (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) وقال الله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) (قال الشافعي) وذكر الله البيع في غير موضع من كتابه بما يدل على إباحته فاحتمل احلال الله عز وجل البيع معنيين أحدهما أن يكون أحل كل بيع تبايعه المتبايعان جائزي الامر فيما تبايعاه عن تراض منهما وهذا أظهر معانيه

(والثاني) أن يكون الله عز وجل أحل البيع إذا كان مما لم ينه عنه رسول الله ﷺ المبين عن الله عز وجل معنى ما أراد فيكون هذا من الجمل التي أحكم الله فرضها بكتابه وبين كيف هي على لسان نبيه او من العام الذي أراد به الخاص ، فبين رسول الله ﷺ ما أريد باحلاله منه وما حرم ، او يكون داخلا فيهما ، او

من العام الذي أباحه إلا ما حرم على لسان نبيه ﷺ منه وما في معناه كما كان الوضوء فرضا على كل متوضيء لاخفي عليه لبسهما على كمال الطهارة ، وأي هذه المعاني كان فقد ألزمه الله تعالى خلقه بما فرض من طاعة رسول الله ﷺ وأن ماقبل عنه فمن الله عز وجل قبل لانه بكتاب الله تعالى قبل . (قال) فلما نهى رسول الله ﷺ عن بيوع تراضى بها المتبايعان استدللنا على أن الله عز وجل أراد بما أحل من البيوع ما لم يدل على تحريمه على لسان نبيه ﷺ دون ما حرم على لسانه

(قال الشافعي) فأصل البيوع كلها مباح إذا كانت برضا المتبايعين الجائزي الامر فيما تبايعا إلا مانهى عنه رسول الله ﷺ منها ، وما كان في معنى مانهى عنه رسول الله ﷺ محرم باذنه داخل في المعني المنهي عنه ، وما فارق ذلك أبحناه بما وصفنا من اباحة البيع في كتاب الله تعالى اهـ

(٢) ما نقله الحافظ في عموم لفظ البيع :

قال الحافظ ابن حجر في شرح أول كتاب البيع وقول الله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) وقوله (الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) من صحيح البخاري ما نصه :

« والبيوع جمع بيع وجمع لاختلاف أنواعه والبيع نقل ملك الى الغير بثمن والشراء قبوله ويطلق كل منهما على الآخر وأجمع المسلمون على جواز البيع ، والحكمة تقتضيه لأن حاجة الانسان تتعلق بما في يد صاحبه غالبا وصاحبه قد لا يبذله له ففي تشريع البيع وسيلة إلى بلوغ الغرض من غير حرج والآية الاولى أصل في جواز البيع وللعلماء فيها أقوال أصحها انه عام مخصوص فان اللفظ لفظ عموم يتناول كل بيع فيقتضي اباحة الجميع لكن قد منع الشارع بيوعا أخرى وحرمها فهو عام في الاباحة مخصوص بما لا يدل الدليل على منعه ، وقيل عام أريد به الخصوص ، وقيل مجمل بينته السنة وكل هذه الاقوال تقتضي ان المفرد المحلى بالالف واللام يعم والقول الرابع أن اللام في البيع للعهد وأنها نزلت بعد ان اباح الشرع بيوعا وحرم بيوعا فأريد بقوله (وأحل الله البيع) أي الذي أحله الشرع من قبل ومباحث الشافعي وغيره تدل على أن البيوع الفاسدة تسمى بيعا وان كان لايقع بها الحنث لبناء الايمان على العرف والآية الاخرى تدل على اباحة التجارة في البيوع الحالة وأولها في البيوع المؤجلة اهـ

(للبحث بقية)

نظرية داروين والاسلام

جواب إشكال ألقيناه في نادي الخطابة لجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وكنت اردت ان أكتب في موضوعه محاضرة طويلة فلما لم أجد فراغا لذلك اخترت نشره لأنه مفيد في موضوعه بالاجمال وهذا نصه :

أعطاني أحد الشبان في الليلة التي تكلمت فيها على مسألة القدر في موقفي على هذا المنبر ورقة وضعتها في جيب جبتي ثم قرأتها بعد عدة أيام إذ كنت نسيتها فاذا فيها مقدمة فيما يسمى مذهب داروين يتلوها بضعة أسئلة يرى كاتبها أنها من أقوى الحجج والبراهين القطعية الناقضة الهادمة لما عبر عنه « بنظرية الخلق الالهي » والحق المقرر عند علماء الكون المحققين من المتلقين لمذهب داروين بالتسليم وغيرهم انه نظرية أو مجموع نظريات قابلة بذاتها للثبوت والبطلان ، أي بصرف النظر عما يعارضها من نصوص الأديان المستندة عند أهلها على أصول قطعية مؤيدة بالبراهين،ومن مذهب الروحانيين الذين لايقتصرون في تعليل أمور الخلق والتكوين على سنن المادة ونواميسها وحدها

وأما خلق الله لكل شيء فليس مسألة نظرية إلا عند ملاحدة الماديين وهم شرذمة قليلة من مجموع الشعوب . والسواد الاعظم من علماء الكون والفلاسفة وغيرهم من البارعين في جميع العلوم والفنون ، ومن العوام السليمي الفطرة يوقنون بأن للعالم خالقا عليما حكيما، ويقيمون على ذلك الدلائل العقلية والعلمية اليقينية . والمليون من أهل العلم والفلسفة يؤيدون بهذه الادلة نصوص مللهم ، وغير المليين منهم وهم قليل فريقان،أحدهما ينكر بعض نصوص الاديان والآخر لايثبتها ولا ينفيها . ومن هؤلاء عالم كبير من علماء الانكليز نقل الينا المقتطف عنه أنه سئل قبل موته هل يؤمن بالاله الخالق ؟ فقال ما معناه : ليس عندي أدنى شك في وجود إله الطبيعة ، فانه لا يمكن لعاقل أن ينظر في هذا الكون العظيم وما فيه من دقائق النظام وعجائب الابداع ويعتقد انه وجد بالمصادفة أو أنه يستند

الى مبدإ ضرورة، فالمعقول الذي لا أعقل غيره ان للطبيعة مادتها وقواها خالقاً قادراً ذا علم وحكمة، وربما قال عاقلا. وأما إله الكنيسة فليس عندي ما يثبته ولا ما ينفيه اهـ

ولقد سبق هـذا العالم الانكليزي الى مثل كلمته في إثبات وجود الخالق عالم من كبار علماء الكلام في الاسلام لا أذكر الآن أهو النسفي صاحب العقائد المشهورة أوغيره؟ قال اتفق البشر على الايمان بوجود صانع خالق للعالم ماعدا شرذمة قليلة ذهبت الى أن وجود العالم أمر اتفاقي وهو ـ أي زعمهم هذا ـ بديهي البطلان

وقد انقسم علماء الغرب في نظرية داروين الى أنصار يؤيدونها بمقالاتهم ومصنفاتهم بمعنى انها أقرب ماوصل اليه علم البشر من التعليل المعقول لاختلاف الانواع ونظام الخلق، لا بمعنى انها حقائق قطعية كالقواعد الرياضية لا يمكن نقضها، وكم نقض تقدم العلوم نظريات كانت مسلمة مثلها لانها كانت أقرب ماعرف في موضوعها الى العقل ـ والى خصوم يردون عليها ويوردون الشكوك والاحتمالات في أصولها وفروعها ، وقد كان الرجحان العلمي لأنصارها الى عهد قريب، إذ دخل العلم المادي في طور جديد، واتسعت دائرة علم النفس، وكثر أنصار الروحيين الذين يثبتون بالاختبار ماأثبتته جميع الاديان من أقدم عصور التاريخ، من ان للبشر أرواحا مستقلة لهـا أعظم التأثير في خلقهم وتكوينهم وعلومهم وأعمالهم

إنني بعد قراءة تلك الورقة ذكرت هذه المسئلة في أول مرة حضرت هذا النادي فلخصت المسألة وذكرت بالاجمال الموجز رأي علمـاء المسلمين فيها وصرحت بأنني مستعد لالقاء محاضرة مفصلة فيها ، فكان أن ادارة جمعية الشبان المسلمين جعلت هذه الليلة موعدا المحاضرة بدون استشارتي، وطبعت ذلك وآذنتني به أول من أمس ، وأنا في شغل شاغل عن المراجعة والتفكر في الموضوع ، وعن كتابة ماينبغي فيه لانه ليس من الموضوعات التي يكتفي فيها الجواب عن الاسئلة التي كتبها صاحب الورقة والجواب عنهـا في غاية السهولة بل هنالك أصول وفروع تتعلق بها أهم من تلك الاسئلة أرى ان شباننا في أشد الحاجة الى تمحيصها ولما لم أجد فراغا في هذين اليومين لكتابة محاضرة حافلة كافلة لذلك رأيت أن اكتفي الليلة بذكر نص الورقة المشار اليها والاجوبة عن مسائلها بالاجمال، وما لا يدرك كله لا يترك قله .

نص الورقة

« لقد غفل المسلمون واستهتروا بدينهم حتى تركوا الملحدين يأخذون منه ما آربهم ، وينالون منه ويتطاولون عليه بحججهم الناصعة الواضحة القوية يريدون هدم صرحه . أولئك الذين غفل عنهم المسلمون وتركوهم يعملون بنشاط حتى تغلبوا على الاسلام . وذلك مما دفعني لأن أقف موقفي هذا راجياً من حضرة الاستاذ أن يدلي بواضح حججه وبيانه مجيبا على ما سأقدمه من الاسئلة ، ولا أريد تخاصا من الاجابة فقد تخاص مني الكثيرون لقلة اطلاعهم

« هنالك نظرية علمية حديثة ظهرت في القرن الماضي وشاعت الآن في جميع أنحاء العالم لما لها من حجج وأدلة لا يمكن أن يخطئها احد . تلك هي نظرية التطور التي تقول ان جميع الاجناس ترجع إلى اصل واحد . قامت هذه النظرية وناقشت نظريتنا وهي نظرية (الخلق الالهي)

(١) هل خلق الله جميع الكائنات في عصر واحد أم استمرت عمليته إلى عصور متفاوتة ؟ وهل لا يزال الخلق مستمراً ؟

(٢) ما معنى وجود حفريات جيولوجية مشابهة لحيوانات موجودة الآن مثل (اوفبوس) Evobeppus التي تشبه الحصان ، والهومتدرتال التي تشبه الانسان الحالي ؟ وهل هناك صلة مابين هذا الحصان مثلا والحيوان الذي يشبهه مثل الصلة بين الحصان والبغل ؟

(٣) مامعنى وجود أعضاء في جسم الحيوان أو النبات لا وظيفة لها مطلقا بل قد تكون هذه الاعضاء مضرة في الانسان أكثر مما تفيده ؟

(٤) مامعنى قدرة بعض الناس على حركة آذانهم وعجز الآخرين عن ذلك ؟

(٥) ما فائدة العضلات الصغيرة التي في نهاية الشعر ؟

(٦) لماذا يمر الجنين بأطوار مختلفة من الحياة : تراه في حداثته جرثومة ، ثم يصير مثل الاسماك ، ثم مثل الزواحف ... الى أن يصل الى شكله النهائي ؟ وهل

هذا يدل على ان هناك علاقة بين الانسان وتلك الحياة التي مر بها الجنين؟ وان صح ذلك كان هذا أقطع دليل على صحة نظرية التطور . اه بحروفه

انني قبل الجواب أنصح لاخواني وأبنائي في السن من السامعين على حفظي لدرجاتهم في العلم والفضل أن يكون غرضهم من السماع لما أقوله هو التعاون بيني وبينهم فيما أوتينا من علم وبيان على تحقيق ما بين هذه النظرية وما بين نصوص ديننا من خلاف ووفاق على قاعدتنا التي نقررها دائما وهي أن من معجزات الاسلام أنه قد جاء به نبي أمي مر على بعثته ١٣ قرنا ونصف ولم تقم حقيقة علمية قطعية تنقض نصا من نصوصه القطعية ، ولا تنفي أصلا من أصوله الاعتقادية . وإياكم ثم إياكم أن تعدوا الكلام الذي ألقيه من قبيل المناظرات العلمية أو المذهبية بين خصمين يكون هم كل منهما الظهور على خصمه، وتتبع عثراته ومؤاخذته في تقصيره ، وسيعلم من لم يكن يعلم أنه ليس بين نظرية الخلق التدريجي ونصوص الاسلام تعارض حقيقي كما يوجد بينها وبين نصوص التوراة وان اليهود والنصارى الذين يدينون لله تعالى بقداسة التوراة لم يكبروا أمر هذه النظريات ودلائلها كما كبرها حضرة الفاضل الذي كتب هذه الورقة ولا عدّوها قطعية ولا أبطلت ثقتهم بالتوراة

ولعله ما كبرها هذا التكبير إلا لحفز الهمة للعناية بها وإقامة الحجج البالغة على تأييد الدين الذي هو مناط سعادتنا في الدنيا والآخرة ، بعد هذا أقول

(أولا) ان الملحدين لم ينالوا من المسلمين ما نالوا « بحججهم الناصعة الواضحه القوية » كما قال، بل لانهم يتلقون الكفر عنهم قبل أن يعرفوا الاسلام معرفة صحيحة وبدون أن يتربوا عليه تربية عملية تغذي المعرفة الصحيحة ، فمنهم من يتعلم ويتربى في مدارس دعاة النصرانية التي أسست لاجل هدم الاسلام وتحويل أهله عنه الى النصرانية أو الى الالحاد ، وقد قال موسيو جول سيكار الفرنسي في كتابه الحديث (العالم الاسلامي في الممتلكات الفرنسية) ما معناه: ان المسلم يتعذر أن يتحول عن الاسلام الى النصرانية فالطريقة المثلى لتنصير المسلمين ايقاعهم في الالحاد والتعطيل أولا حتى إذا ما أصبحوا بغير دين وزال ما للقرآن من السلطان على عقولهم سهل حينئذ تنصيرهم لان البشر لا يستطيعون أن يعيشوا بغير دين .

ومنهم من يتعلم في المدارس المصرية وأمثالها مدارس وزارة المعارف وليس فيها من التربية الدينية شيء حتى ان الصلاة لا تقام فيها، وقد قل من يصلي فيها حتى ان الذين يناط بهم تعليم الدين فيها وهم خريجو مدرسة دار العلوم صاروا يتركون الصلاة الا قليلا، ولاسيما الذين استبدلوا الزي الافرنجي بالعمامة والجبة والقباء

(ثانيا) ان الملاحدة ماتغلبوا على الاسلام كما قال وانما تغلبوا على بعض التلاميذ والاحداث من المسلمين الجغرافيين فانتزعوهم من حظيرة الملية الاسلامية لما لهم في هذا من المقاصد الدينية والسياسية التي يجهلها هؤلاء التلاميذ وآباؤهم الاغبياء

(ثالثا) ان قوله ان الحجج والادلة على نظرية التطور لا يمكن أن يخطئها أحد مخالف للواقع فقد خطأها كثيرون بحق وبغير حق.

الاجوبة المجملة عن أسئلته

أما السؤال الاول فجوابه ان النصوص تدل على أن الله تعالى خلق الخلق بالتدريج على نظام مقدر في علمه ، مثاله ان الله تعالى قال في سورة الانبياء (٢١ : ٣٠ أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي؟) الرؤية هنا علمية معناها أو لم يعلموا ، والرتق المادة المتصل بعضها ببعض وهي التى عبر عنها في سورة فصلت بالدخان وهو اسم المادة الرقيقة الخفيفة التي دون الماء ومنها بخار الماء ودخان النار وغيره مما يسمى في الاصطلاح العلمي بالسديم والغاز . ومنه قوله تعالى (٤٤ : ١٠ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ١١ يغشى الناس هذا عذاب أليم)

والفتق هو الفصل بين اجزاء المادة ، فهذه الآية توافق رأي علماء الكون في هذا العصر كما هو ظاهر، ولم يكن رأيهم هذا مما يخطر في بال أحد من العرب الأميين ولا من غيرهم في ذلك العصر ، وهي جديرة بأن تعد من معجزات القرآن العلمية عند الذين استنبطوا هذا الرأي من مباحث علمية دقيقة بعد بطلان نظرية قدماء علماء الهيئة من اليونان وغيرهم

وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة بأنه خلق السموات والارض في ستة أيام وفي بعضها زيادة (وكان عرشه على الماء) واليوم في اللغة العربية هو الزمن الذي

يعرف أو يحد بوقوع شيء فيه طال أو قصر ، وقد قال الله تعالى (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقال (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ومنه أيام العرب المشهورة في وقائعهم وحروبهم كيوم ذي قار ويوم اوارات الخ . فالمراد بأيام خلق السموات والارض عصور تم في كل عصر منها طور من أطوار خلقها وقد فصلت بعض التفصيل في سورة فصلت. وهذه الآيات تتفق مع مذهب النشوء دون نص التوراة الذي أذكره إن شاء الله في البحث التفصيلي ان قدر لي كتابة محاضرة فيه، ويقول الله تعالى في خلق الانسان(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) وقال(وقد خلقكم أطوارا) فهو تعالى لا يزال خلاقا عليما حكيما

وأما السؤال الثاني فجوابي عنه انني لا أعلم سبب التشابه بين الحيوانات الجيولوجية بعضها مع بعض ولا مشابهة بعضها لبعض الحيوانات الباقية ، كما انني لا أعلم سبب التشابه بين الحيوانات التي لم يوجد ما يدل على وجودها في عصور طبقات الارض القديمة ، وسبب التشابه بين النبات الذي من فصيلة واحدة أو فصائل مختلفة كالتشابه بين ورق الزيتون وورق الرمان ، ومذهب داروين في تعليل امثال هذا التشابه لا يقوم دليل قطعي ولا قريب من القطعي على صحته وان كان أكثر مافيه من تعليل يعد الى الآن أقرب من غيره الى اثبات حكمة الله تعالى في نظام خلقه ، واذا فرضنا وصوله الى درجة اليقين لم يكن ناقضاً لنص من نصوص الدين القطعية مادام لا ينافي كون الله هو الخالق لذلك بهذا النظام

.وانه ليوجد بين بعض الجماد وبعض النبات من التشابه وبين بعض النبات وبعض الحيوان من التناسب ما تحار العقول في سببه ويمكن استنباط أسئلة لا تحصى من هذه الامور لا يمكن الجواب العلمي عنها (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

ومما يقال فيه على غير طريقة داروين ان الخالق الحكيم المختار جعل من آيات النظام في خلقه هذا التشابه وهذا الاختلاف بين أنواع المخلوقات وجعلها درجات بعضها أعلى من بعض في الاجناس والانواع الدنيا والوسطى والعليا تشترك في بعض مقوماتها ومشخصاتها وتختلف بالفصول التي تميز بعضها من بعض كما يقول علماء المنطق ، وقد قال بعض علمائنا من قبل وجود داروين ان المخلوقات في جملتها من جماد

ونبات وحيوان وانسان وملك تقوم بنظام متناسب ذو درجات ترتقي من الادنى الى الأعلى فأعلى أفق الجماد يتصل بأدنى أفق النبات، وأعلى أفق النبات يتصل بأدنى أفق الحيوان ، وأعلى أفق الحيوان يتصل بأدنى افق الانسان ، وأعلى افق الانسان يتصل بافق الملائكة الذين هم الواسطة بين الخالق تعالى وبين عباده في الخلق والامر ، ولكن هذا التشابه والتناسب بين هذه الدرجات لايقتضي أن يكون بعضها قد تحول عن بعض ، وانما تقتضي هذه الوحدة في نظام الوجود أن يكون صادرا عن خالق واحد عليم حكيم (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت)

وأما الجواب عن السؤال الثالث وهو مامعنى وجود أعضاء في أجسام الاحياء ليس لهـا وظيفة؟ فاقول فيه أولا: انعدم علمنا إلى اليوم بانه ليس لها وظيفةولا فائدة لايقتضي عدم وجود ذلك وإمكان الوقوف عليه في وقت من الاوقات وان يكون غير قول داروين بانها اعضاء أثرية وقد كان مجهولا الى القرن الماضي ،وثانيا ان العلم بسبب وجود هذه الاعضاء وحكمتها ليس من علم الدين الذي يسئل مثلي عنه، واني لاعلم مما اقرأ من مباحث علماء الكون في الكتب والصحف انهم يعترفون بأن مايجهلون من اسرار هـذه الموجودات اضعاف اضعاف ماعلموا منها ، وانهم كلما ازدادوا علما بكشف شيء جديد منها علموا من جهلهم مالم يكونوا يعلمون ، كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه :

كلما أدبني الدهـ ـر أراني نقص عقلي
وإذا ماازددت علما زادني علما بجهلي

ويعجبني قول الدكتور يعقوب صروف في مقالة له في أعجب ما وصل اليه علماء العصر من عجائب علم الفلك وغيره انهم لايزالون مع هذا يجهلون كنه حبة الرمل ، ومخ النمل ،علم واسع وجهل مطبق، يدل على سعة علم الخالق عز وجل

(وثالثا) يقولون انها كانت أعضاء تؤدي وظيفتها في طور من أطوار الحياة للحاجة اليها فيه ثم زالت هذه الحاجة فزالت الوظيفة كما يقولون في المعى الذي لا يهضم الا النبات،وهذا - وان صح - لا ينقض عقيدة من عقائد الاسلام ولا يعارض نصا من نصوصه القطعية ، كما انه ليس برهانا قطعيا على تحول نوع من أنواع

الحيوان الى آخر ، ولا سيما الانسان الذي هو سيد عوالم هذه الارض ، وان داروين وأمثاله من العلماء الذين عرفوا كثيراً من أسرار خلقته الجسدية الحيوانية ، قد جهلوا ماهو أعظم منها من أسرار حياته الروحية والعقلية ، وكذا مزية النطق الذي عدها الحكماء الاولون هي الفصل الظاهر المميز له على جميع الحيوانات حتى القريبة الشبه الحيواني منه ، ويصدق عليهم قول المتنبي في الخيل

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وأما الجواب عن السؤال الرابع وهو ما معنى قدرة بعض الناس على تحريك آذانهم دون بعض؟ فجوابه ان معناه انه يوجد في الناس من يتمرنون على تحريك بعض أعضائهم بأعمال بما يعجز عنه من لم يتفق له ذلك ، والاقرب أن مسألة تحريك الأذان من هذا القبيل ، وقد يكون سبب سهولته على بعض الناس دون بعض أن بعض أجدادهم كانوا يعيشون عيشة يحتاجون فيها إلى إصغاء شديد يؤثر في الأذن والاستدلال به على كون الانسان كان حماراً أو حصانا أو قردا ثم صار انسانا وقد بقيت في بعضه هذه المزية من مزايا أصوله السابقة استدلال ضعيف وسخيف ، فاذا لم تصل تلك التعليلات المعقولة في نفسها والمبينة من نظام الكون وحكمة الخالق فيه ماليس في غيرها الى كونها دليلا على نظرية التحول فهل يصح أن تدعم بتحريك بعض الناس لأذنيه ؟ ولماذا لم يكن هـذا التحريك عاما اذا كان سببه ماذكر ؟

وإنني لما علمت بهذه المسألة منذ سنين كثيرة حاولت أن أمرن أذني على الحركة فصعب علي ذلك ولكنني كررت المحاولة فحركتهما .

وأما جواب السؤال الخامس عن فائدة العضلات الصغيرة التي في نهاية الشعر فهو ماقاله بعض أئمة سلفنا : من قال لا أدري فقد أفتى ، وإنني لست من علماء هذا الشأن وقد قلت فيهم مانقلته عن جمهورهم من ان ما يجهلون من أسرار خلق الانسان وغيره حتى حشرتي النمل والنحل أضعاف مايعلمون ، ولكن من استطاع أن يقيم لي من جوابه عن هذا السؤال حجة أو شبهة على بطلان نص من نصوص كتاب الله فانه يجدني مستعداً لدحض حجته ، أو بطلان شبهته ، ان شاء الله تعالى

الانتداب في البلدان العربية

(بقلم الكبتن غوردون كاننج)

آراء حرة حكيمة في امكان الجمع بين مصالح الانكليز والعرب. ترجمت بالعربية ونشرت في جريدة العهد الجديد البيروتية خادمة القومية العربية منذ أشهر فاخترنا نقلها الى المنار مع توجيه أنظار الدولة السعودية العربية اليها وهذا نصها:

كان من أعظم أسباب سقوط الامبراطوريات القديمة إسراف القوة الرئيسية تدريجاً بالتوسع المطرد في الممتلكات ، ونرى في عصرنا هذا ان الامبراطورية الفرنسوية في خطر الانحلال لهذا السبب نفسه ، ان مستشاري الامبراطوريتين ويلوح انهم من طراز قديم (سابق لتاريخ البشر) ممن لهم خبرة بفنون الحرب يصرحون ان الضرورة تقضي بصيانة الممتلكات الموجودة بضم ممتلكات أخرى

معلوم ان زيت البترول بات من أهم مطالب العالم في هذه الايام فأصبحت موارده من الضرورات الاولية لكيان الدول العالمية . فالبترول اذاً كان من العوامل التي اجتذبت انكلترا الى العراق وفلسطين وايران التي اضطرت بحكم أحوال خصوصية الى الانسحاب منها ، ومتى كانت انكلترة موطدة في العراق وفلسطين ففرنسا لايمكنها أن تتخلى عن بقعة مجاورة ترتكز اليها وتتخذها قاعدة لحماية مصالحها ، وهذا مابعث على عقد اتفاق « سيكس — بيكو » وتنفيذ هذا الاتفاق كان مضراً بالاتفاق الذي عقد بين الملك حسين والحكومة البريطانية مع انه كان في تاريخ سابق لاتفاق « سيكس - بيكو » ومما يدل على ان انكلترة قد سلمت أنها حنثت (في يمينها ونقضت) عهدها مع الملك حسين انها أوجدت عرش العراق للملك فيصل بعد ما طردته السلطات الفرنسيه من سورية

وقد أثر ذلك تأثيراً سيئاً في سمعة انكلترا وهيبتها في الشرق الأدنى والشرق الاوسط لان العناصر العربية أدركت أنها بيعت لمشتر أقوى وأقدر ، فقد كانت مقتضيات مواصلة الحرب أهم من كل شيء وفوق كل شيء حتى ان

الشرف البريطاني ترك جانباً وعد من سقط المتاع، وكانت هذه الاتفاقات الحربية المختلفة هي السبب الاكبر الذي جعل معاهدة فرساي وغيرها من المعاهدات شؤما وهولا وأسبابا للقلق الحالي

والغاية من مقالتي هذه ان اقترح علاجا لمسألة بلدان الانتداب في الشرق الادنى في الشرق الاوسط التي عانت هول تلك المعاهدات وفي أي علاج يتناول مصالح عدة أمم لا يمكن لاية أمة منها ان تكون راضية كل الرضاء . ولا بد من مراعاة مبدأ الاخذ والعطاء من كل جانب

وللبحث في هذه المسألة لا أرى من الضرورة الدخول في تفاصيل ادارة شؤون بلدان الانتداب خلال السنوات الثمان الاخيرة، لان هذه الوجهة من المسألة كانت موضوع البحث في عدة جرائد ومؤلفات، فالغلطات التعسة والاخطاء المحزنة التي ارتكبتها فرنسة وانكلترة قد اعترف بها، وليست المصاعب التي جابهها كلاهما مما يستحق العطف لانها من المصاعب التي أوجدتها انكلترا وفرنسا، وقد أصلحت انكلترة جانباً عظيما من أخطائها ولا سيما علاقاتها مع العراق، وأخذت فرنسا بارشاد المسيو بونسو تحاول اصلاح عواقب اداراتها الوضعية في سورية

ان الغلطة الرئيسية التي ارتكبها كل من انكلترة وفرنسة هي عدم العمل بمقتضى البند الثامن والعشرين من عهد جمعية الامم، وقالت المس هويت في كتابها عن الانتداب مايلي :

« أما اذا كانت هذه الرغائب قد نفذت فأمر مبهم غامض، وأما اذا كان هنالك لأولئك الناس رغائب جلية فأمر أغمض وأكثر إبهاما، وبالحقيقة وواقع الأمر ان أهل بلدان الانتداب لم يستشاروا » والاسلوب الذي اتبع في هذه البلدان في تقسيمها الى دويلات أوجد على سطح الكرة الارضية بلقانا آخر، وهو أسلوب سقيم من الوجهة الاقتصادية نظراً للتعريفات الجمركية بين تلك الدويلات وعرقلتها لحركة التجارة

وبلدان الانتداب المعروفة بحرف (ا) هي كما يلي :

١ — العراق : وضع انتدابه في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ ووافقت عليه جمعية الامم في سبتمبر سنة ١٩٢٤ ويبلغ عدد سكانه ثلاثة ملايين نسمة

٢ — سوريا : وضع انتدابها في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ ووافقت عليه جمعية الامم في يوليو سنة ١٩٢٢ ويبلغ عدد سكانها ٢،٢٥٠،٠٠٠ من المسلمين و ٤٠،٠٠٠ من الدروز و ٤٠٠،٠٠٠ من المسيحيين منهم ١٥٠،٠٠٠ ماروني

٣ — فلسطين : وضع انتدابها في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ ووافقت عليها جمعية الامم في شهر يوليو سنة ٢٢ ويبلغ عدد سكانها ٧٥٠،٠٠٠ نفس ٨٧ في المئة منهم عرب

٤ — شرقي الاردن — ويبلغ عدد سكانه ٢٠٠،٠٠٠ نفس،

وفي شبه جزيرة العرب بلدان تحت الحماية البريطانية وهي عدن وعمان والكويت ، وبلدان مستقلة وهي نجد والحجاز والعسير واليمن وحضرموت ، ومجموع عدد سكان هذه البلدان كلها يتراوح بين خمسة عشر مليون نسمة ، (هي لا تقل عن ٢٥ مليونا)

أما اذا كان اصلاح الانتداب قد وضع على قاعدة المثل الأعلى أو ابتكر كمرادف للضم والتملك فليس من موضوع البحث في مقالتي هذه ، ولكن الارجح ان جانبا عظيما من عدد السكان المبين آنفا متحد في مطالبه ورغبته في التخلص من الوصاية الاجنبية وإن كان مختلف الاجزاء غير متفق على شكل الحكومة التي يجب أن تحل محل حكومة الانتداب أو دولة الحماية

فهل مقتضيات الامبراطورية البريطانية تتطلب أن تكون انكلترة في فلسطين والعراق وشرقي الاردن ؟ وهل من الضروري أن تكون فرنسة في سورية ؟ ان جواب البلدين[1] هو « نعم » فاذا كانت إحدى الدولتين في سورية لا بد أن

(١) يعني ان جواب الدولتين معا أن وجود كل منهما في موضعها يقتضي الاخرى لان مقتضى الشركة في الحرب الاشتراك في الغنيمة وفي انفراد احداهما غبن وخسار الاخرى. وذكر بعد هذا الجواب المشترك ما تقوله كل منهما في الاحتجاج لنفسها ومنه ما تدعيه أو توجده من الشقاق بين الاقلية والاكثرية من الاهالي =

تكون الأخرى في فلسطين والعكس بالعكس ، وتقول انكلترة نعم لأدافع عن قناة السويس ضد مهاجميها من الشرق ولأدافع عن مصالح بريطانيا في بترول الموصل والمحمرة . وتقول فرنسا نعم لا دافع عن خط أنابيب البترول وسكة الحديد المزمع مدها الى الموصل وبغداد ومن كل منهما الى حيفا.وهذه الفكرة الثانية لتنمية التجارة ومصالح الصناعات،ويتبعها ويترتب عليها الحماية العسكرية ، وهكذا تظل الدول الاوربية الادارية تثير كتلة متجمعة من الرأي المدائي في تلك البلاد التي قد تصبح بقوة الاتحاد قوة خطرة خطيرة ، فالافضل والحالة هذه الاعتماد على عقل سكان البلاد وعلى عهد صداقة يقوم على قاعدة التعاون التجاري والكسب المتبادل .

ب الاول يمكن درؤه باتفاق متبادل يعقد بين انكلترة وفرنسة للانسحاب في وقت واحد من سورية وفلسطين وشرقي الاردن ، ولكن فرنسة تقول : محال عليَّ أن لا أحمي الاقلية المسيحية. ونحن نرى اليوم ان هذه الاقلية المسيحية هي أيضاً تطلب جلاء فرنسة عن البلاد .

وتقول انكلترة : ان ذلك مستحيل،لا يمكننا أن ننسحب وندع الاسرائيليين تحت رحمة العرب ، والحال أن اليهود والعرب كانوا في عهد تركية عائشين معاً في وفق تام، وان تصريح بلفور هو سبب الاضطراب الحالي بين العرب واليهود وتأسيس هذا الوطن القومي لليهود لم يلق تعضيداً حقيقياً من زعماء اليهود فقد أيدوا الفكرة عن غير طيبة خاطر مالياً وأدبياً ، ولم يوافقوا قط على فكرة مغادرة مواطن إقامتهم للاقامة بذلك الوطن القومي .

وكان معظم المهاجرين من اليهود القاطنين في شرقي أوربا الذين ذاقوا

= لتبني عليه أن العدل والرحمة توجب عليها ان تبقى في البلاد لمنع القوي بكثرته من ظلم الضعيف بقلته ! والحال ان هذه الدعوى ان صحت تكون من دفع الظلم القليل المحتمل بالظلم الكثير العام المحقق وهو ظلم جميع أهل البلاد باستذلالهم وسلب استقلالهم والتصرف في رقبة بلادهم !!

الذل والهوان وعانوا الشيء الكثير من الاضطهاد والظلم ، وقد برهنت الايام على ان الصهيونية صناعة خائبة عقيمة وجناية سياسية ، فالصهيونيون المقيمون الآن بفلسطين قد وجدوا هناك بمساعي انكلترة وجهودها، ولا بد من الاعتراف بهم وحمايتهم ومساعدتهم

يعتقد معظم الناس أن العرب يعجزون عن إظهار مقدرتهم بتقديم خطة انشائية وأما أنا فاعتقد أنهم قادرون، ليس بناء على تاريخ عنصرهم الماضي فقط، بل لما يحرزه ابناء العرب المهاجرون من النجاح الباهر في المراكز الصناعية والتجارية العصرية في بونيس ايرس ونيويورك وغيرها من أنحاء العالم المتمدن . وليس من الضروري الرجوع بالقاريء الى الحكومات العربية السديدة الخطوات في العهود الغابرة، وحسبي أن أقول إنه في القرن الثامن بعد الميلاد في عهد الخلفاء الراشدين[1] ببغداد كان في وسع التاجر المتجول أن يسافر من البصرة إلى دمشق مثقلا بالسلع والنضار بغير أن يعتدي عليه أحد، وفي عام ٩٨٠ ميلادية كان المسافر يقطع الشقة بين المهدية[2] والقاهرة بلا خوف ولا وجل من قطاع الطرق ، فاذا كان العرب قد استطاعوا في تلك الايام تأمين الطرق بهذه الكيفية فمن الاكيد المحقق انهم قادرون على ذلك في هذه الايام[3] ولا بد لنا من تسليم أنهم يحرزون هذه المقدرة بالارث ،ولكن هل يحرزون الارادة والعزيمة على اظهار هذه المقدرة ؟؟ ان على العرب أن يبرهنوا على ذلك الآن ، ولا يكفي أنهم شديدو الرغبة في طرد المعلم من بلادهم فهذا لا يعدو سياسة الهدم ، ولكن يجب عليهم أن يظهروا مقدرتهم على التعمير والانشاء

أما فيما يتعلق بالمخاوف التي قد تتطرق الى قلوب الانكليز بان الاقليات المسيحية واليهودية لاتطيق الاغلبية الاسلامية فلا بد من قول شيء في ذلك : ان الاقليات المسيحية واليهودية كانت تعامل على الدوام خير معاملة في

(١) لعل الاصل العباسيين لانه هو الصواب (٢) بلد بتونس (٣) هذا الدليل القياسي الصحيح مستغنى عنه الآن بتأمين الملك السعودي ما بين خليج فارس الى الاحمر مثل ذلك التأمين أو أشد وأكمل وهو مالم تصل الى مثله فرنسة ولا انكلترة

البلدان الاسلامية الى أن تأتي دولة أوربية وتستخدم تلك الاقليات لقلب الحالة كما حدث في مسألة الارمن والاتراك(١) نعم إنه في الانحاء البعيدة المنعزلة من العالم الاسلامي قد لايخلو الامر من تعصب ضد المذاهب الاخرى ولكن هذا كان كذلك بين مختلف الطوائف المسيحية ،على ان زعماء العرب في هذا العصر وفي العصور السابقة كانوا دائما يعملون على تلافي هذا التنافر واصلاح ذات البين، فاذا كان التعصب الديني قد أخذ مجراه في زمن من الازمنة فقد كان المسلمون من غير مذهب الحاكم ينالهم من الاضطهاد ماينال المسيحيين ومن الواجب أن تتخذ مبادىء نجران كالمثل الاعلى للزعيم المسلم، وكلمة الامام علي: « ان دم الذمي كدم المسلم » هي أيضا خير مثال

واليوم نرى الموارنة في لبنان والمسيحيين العرب في فلسطين ومسلمي الشام وفلسطين والعراق قد أخذوا يعرضون عن الفوارق في المذاهب والعقائد ويجنحون الى المثل الاعلى والمذهب العميم وهو اننا جميعا اخوان في الانسانية وأول خطوة في هذا السبيل هي السعي الى توحيد بلاد العرب، وقد أخذ أبناء العرب المثقفون المتنورون في هذه الايام يتطلعون الى هذه الغاية ويبثون الدعوة اليها في عدة أنحاء . وزعماء العرب أدرى مني بالمنهج الذي يجب أن ينهجوه للحصول على الوحدة العربية والتخلص من وصاية الأجنبي والتقدم الحثيث في التعاون مع خير الطبقات الاوربية وإني أقترح مايلي على سبيل التجربة :

أولا — المبادرة الى عقد مؤتمر في القاهرة يدعى اليه مندوبون من جميع البلدان العربية

ثانياً — ينتخب هذا المؤتمر مجلسا دائما يكون مقره في القاهرة أو جدة أو الشام (ولما كانت القاهرة مركزا حسناً تتوفر فيها أسباب المواصلات مع جميع بقاع الارض العربية قد تكون لائقة لان تصبح بمثابة جنيف للغرب)

(١) مازلنا منذ أنشأنا المنار نبين أن هذا التعصب لم يكن العرب يعرفونه في عصور الدول العربية وإنما أوجده الاعاجم ولا سيما الافرنج وكل ماجهربه نصارى لبنان وحكومتهم من ذلك في هذا العهد فالفرنسيون هم الداعون لهم اليه

ثالثاً — على هذا المجلس الدائم أن يظل على اتصال وثيق بالبلدان العربية وأن يعمل على عقد مؤتمر كل سنة أو سنتين

رابعاً — على هذا المؤتمر السنوي أن يتخذ الاجراآت اللازمة لايجاد اتحاد عربي وأن ينتخب زعماءه ويتفق على زعيمه الأكبر

خامساً — تكون مهمته توحيد الامة العربية ببث دعوة مبنية على الفطنة والحصافة

سادساً — يجب وضع خطة للتعليم تمكن كل دولة في خلال الخمس عشرة سنة القبلة من الحصول على سبيل مطرد من الشبان المتدربين على فن الادارة الحكومية والعلوم والفنون والشؤون الصحية وما الى ذلك

فاذا استطاع العرب أن يصلوا الى هذا التوحيد فيحتمل ان تتمكن انكلترة من رفع حمايتها عن جميع البلدان العربية عدا عدن، وان تعقد معاهدة ومحالفة بين سلطات الاتحاد العربي والامبراطورية البريطانية. واني اعتقد ان حلا كهذا يكون أفضل ضمان لسلامة المواصلات الامبراطورية ، وتوطيد أركان القوة في هذه البلدان من الشرق الاوسط وتوحيدها بتخليص الامبراطورية البريطانية من انفاق عدة ملايين من الجنيهات كل عام

ويغلب على ظني ان العرب يجب ألا يتصوروا وهم يتصورون انه يتسنى لهم الوصول الى هذه الغاية بغير مساعدة من الغرب ، ويجب ألا يغرب عن بال انكلترة وفرنسة ان أمة تحت التدرب والتعليم لا يمكن أن تحرز المسئولية اللازمة إلا بالممارسة والاختبار وبهما دون سواهما تتعلم هذه الامة اجتناب الاخطاء والوصول الى مستوى مرض من الحكم الذاتي

وزعامة الدعوة الى الوحدة العربية يجب أن تخرج من دمشق، وربما قبل مضي وقت طويل يعود العالم العربي الى ازدهاره ويناعته ويدهش العالم بثقافته وعلمه كما كان في سالف الاحقاب

وما هو تأثير هذا كله في انكلترة فيما يتعلق بالامبراطورية البريطانية ؟ الجواب عن ذلك من الوجهة السلبية انه يوجد القوة العسكرية في مركز واحد، ويقلل من تبعة التورط ، ويؤدي الى اقتصاد المال ، ومن الوجهة الايجابية

الا بتكارية يضم جميع العنصر العربي الى دائرة الصداقة الخالصة ، ويوجد زبائن أقوياء اغنياء بالتقدم في المعيشة العصرية وبالتعاون التجاري الوثيق مع الغرب ، وحيث كان زبون واحد في الماضي يقوم اثنا عشر زبونا جديداً محله

ان مشروعا هكذا يتطلب وقتاً للنضوج ،ولكن الوقت لايجدي ولا يغني فتيلا اذا كان زعماء العرب في هذا العصر لايعدون التربة ويتعهدونها بسماد العقل والفطنة وينثرون فيها بذور الاتحاد والوئام

لا نعاش هذا المشروع وابلاغه طور الازهار والايناع يجب أيضاً أن تنقى أرضه من الاعشاب البرية، وان يروى ويسقى ليس بمساعي زعماء العرب الشجعان فحسب، بل بمساعي الاوربيين أيضاً ولا سيما رجال الانكليز ذوي البصيرة النيرة والنية الحسنة

ولكي ينتج هذا المشروع خير النتائج من الضروري الحصول على تعضيد انكلترة ومعاونتها، فللعرب أن يقتبسوا العلوم عن الالمان والفنون عن الفرنسويين ولكن العلوم السياسية وفن معاملة المذاهب المختلفة وتحمل الفوارق الدينية وواجبات الشرف والنزاهة يجب أن يتعلموها من انكلترة ومن الرجال الانكليز

وقد يطول العمر على ثقافة انكلترة وتبقى مكرمة محترمة مرغوبا فيها خلال اجيال كثيرة مقبلة ويكون مثلها في هذا العصر مثل ثقافة الرومان والعرب من قبل وأختم مقالي هذا بكلمات اوناموتو : اني أقصد الحث واذكاء وطيس الحماسة والاقتراح لا الارشاد والتعليم

نعم يجب الوصول الى اتفاق متبادل بين فرنسا وانكلترة تتفقان فيه على سحب كل شيء فيه شبهة للعسكرية من سورية وفلسطين وشرق الاردن،وأن تقدما للبلاد خبراء لتنمية فن الادارة الحكومية والفنون والصناعات عند مايطلب منهم العرب ذلك بانفسهم

والحامية البريطانية التي تسحب من مصر وفلسطين يمكن ان تعسكر لمدة ١٥ سنة في جوار بورت فؤاد بعد استئذان الحكومة المصرية فتكون منها قوة مركزية متأهبة في أية لحظة للدفاع عن مصالح بريطانيا العظمى في شرقي البحر

الابيض المتوسط وللتعاون مع الحكومة المصرية على حماية القناة ودرء الاعتداء على حرية الشعب المصري

ولكن قبلما يتسنى نقل هذا الاقتراح الى حيز الفعل يجب على العرب أن يمدوا أيديهم للعمل ويقدموا برهانا حاسما على استطاعتهم إيجاد مشروع ابتكاري يتسنى به ملافاة حدوث الفوضى عند ما تنسحب القوات البريطانية والفرنسوية من البلاد فعلى نواب العرب أن يقدموا مشروعاً يبينون به مايلي :

١ — أنهم أهل لادارة شؤون بلادهم بأنفسهم وان الانتداب غير لازم

٢ — ان جميع المشروعات التجارية مثل سكك حديد بغداد — حيفا ومنابع البترول في الموصل والمحمرة تقدم لها التسهيلات اللازمة لترقيتها وانمائها وان يسمح للمشروعات الاوربية بالاشتراك مع المشروعات العربية ان ترقي مؤهلات البلاد التجارية والصناعية تحت شروط عادلة مرضية للجميع

٣ — أن تستطيع الحكومات العربية تقديم الضمان الوافي لتأدين معاملة الاقليات المسيحية في سورية والاقلية اليهودية في فلسطين وتنفيذه وان تمنح الوطن القومي اليهودي قسطا معينا من الحكم الذاتي وهذا الوطن القومي يجب أن يكون مثالا مصغراً لمركز روحي تثقيفي فقط

٤ — أن يستطيع زعماء نواب العرب أن يقدموا برهانا حاسما على موافقتهم على انشاء اتحاد دول عربية تحت سيطرة ابن سعود اذا كان ذلك ممكنا

(المنار) هذا كلام كله حسن لوايده العمل من جانب انكلترة وفرنسة ، واما زعماء العرب فانه يسهل عليهم كل مااقترحه الكاتب المنصف عليهم ولعلهم عندماقرءوه تبادر الى اذهان اكثرهم المثل « اقرأ تفرح جرب تحزن » وان كانوا يعلمون أنه خير لهم وللدولتين معا لان الوحدة العربية المشار اليها لابد ان تكون لان جميع أهل الرأي والمكانة في الاقطار السورية والعراقية والحجازية والنجدية متفقون على بذل الانفس والنفائس في سبيلها ، فاذلم يوجد في عقلاء الدولتين احداهما أو كلتيهما من يواتيهم على ذلك بالسلم والمودة فسيكون سببا لسفك دماء غزيرة واضاعة ملايين كثيرة (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

مناظرة

في مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات

(في كلية الحقوق من الجامعة المصرية)

— ٣ —

رأي الآنسة هانم محمد

نهضت الآنسة هانم محمد الطالبة في كلية العلوم لتأييد الاستاذ محمود عزمي في وجوب المساواة* فصفق لها الجمهور تصفيق الترحيب والتكريم . فشرعت في قول كان مكتوبا واضطرت الى الخروج عنه أو الزيادة فيه الرد علي ، فكانت مظهر الانوثة المهذبة في خشوع الصوت ولين القول وضعف الحجة ، وحكاية الاقوال المشهورة في الموضوع كقولهم : ان النساء نصف الامة فاذا منعن من العلم والعمل ، كالرجال كان هذا المنع قضاء على نصف الامة بالشلل ، وحينئذ يتعذر عليها العمل وضربت مثلا قول الغربي للشرقي « محال يا صاحبي أن تلحقني وأنا أسير الى المحطة متكئاً على ذراع زوجتي وأنت تسير حاملا زوجتك على ظهرك »

واحتجت أيضاً بمساواة نساء الفلاحين لرجالهم في جميع الاعمال الزراعية ، ومثل هذا وذاك ليس في شيء من وجوب المساواة التي هي موضوع المناظرة وإن أُخِذ على ما صوّرته به فجعل من القضايا المسلمة ، فلا آنسة كانت بحالها ومقالها وجدالها آية بينة على تفاوت استعدادي الذكر والانثى وعدم جواز تساويهما في جميع الحقوق والواجبات

وأحسن ما قالته بداهة . وألطفه في الجدال موقعاً ، ودله على ثبات الجأش

---

*) يجب أن تعلم هذه الفتاة هي وأمثالها أنها اذا كانت تعتقد ما اعتقده عزمي في هذه المساواة وتنكر حقية ما قرره الاسلام وحسنه فهي مرتدة لا يجوز لمسلم أن يتزوجها ولا ترث المسلمين ولا يرثونها

وتعود محاورة الرجال، كأنَّ لها أزالت بهاءوء تأثير كله قبلها استنكرها السامعون منها فابتدروها يتنادرون عليها ، فصاح بهم رئيس الجلسة صيحة منكرة ورفع عقيرته بعذلهم والتثريب عليهم ، وإننا نشير الى هفوتها ألطف إشارة، ليدرك القارئ حسن موقع تلك العبارة

ذلك انها أرادت أن تحتج على وجوب المساواة في الحقوق والواجبات بالمساواة في القوى والحواس والملكات ، فذكرت المساواة في الاعضاء ، بعبارة ساذجة تسيغها غرارة العذراء ، دون أبناء البلد من الادباء ، الا ان تكون بحضرة النساء، وكأن الذين اضطربوا لها، وتهامسوا يتنادرون عليها ،قد راعوا عقيدتها ومذهبها في مساواتهم ،فجعلوها كواحد منهم ، ولكن رئيس الجلسة خالفهم في ذلك واشتد في الانكار عليهم كما تقدم ، وهذا دليل على انه لا يرى وجوب المساواة المطلقة ولا جوازها

وبعد أن سكنت الزعازع ، وسكت المنازع ، جهرت الفتاة بكلمتها ملقية إياها بهدوء وسكينة وهي « لو كنتم معتادين على الاختلاط لما حدث مثل هذا الضجيج » وانما يصح هذا القول في الرجال الذين اعتادوا مخالطة النساء وهم يعتقدون ان ما بينهم وبينهن من الفرق بل الفروق في المدارك والعواطف وغيرها لا يبيح لهم من الحرية في حضرتهن ما يستبيحونه عادة فيما بينهم ، ولعمري ان الرجل الذي يتفق له حضور مجلسهن وهو غير معتاد له لأجدر بالادب والحياء فيه من غيره ، وانما ترجل المرأة ومزاحمتها للرجل فيما يعده من خصائص الرجال هو الذي يذهب بكرامتها النسائية من نفسه حتى يظهر ذلك في معاملته لها وقد حدثونا عن ظهور هذه المعاملة لهن في أوربة في هذا العهد الذي قوين فيه على مباراة الرجال في الكسب وزاحمنهم بالمناكب بما اضطرتهم اليه ضرورات الحرب وللضرورات أحكام تقدر بقدرها ،ولا يجوز أن تتجاوزها فتجعل أصلا دائما

كتب بعضهم مقالا في استقلال المرأة الغربية الاقتصادي الذي انتزعت به حق الاستقلال السياسي فصارت ترى نفسها مساوية للرجل في كل شيء قال فيه

« يدهش الرجل الشرقي منا إذا زار أوربة وكان يسمع أن المرأة عندهم محل

كل تبجيل واحترام — يدهش إذ يرى في قطار مزدحم امرأة تفتش عن محل خال فلا تراه ، والرجال من دونها قعود لا يخلون لها محالهم» أي خلافا للمعهود منهن من قبل ولا يزال معهوداً عندنا من إيثار الرجل المرأة على نفسه في مكان جلوسه

ثم ان الآنسة طفقت ترد علي حتى في إنكار سباحة النساء مع الرجال ورقصهن معهم ، وكان خيراً لها لو لم تفعل بل كان خيراً لها وأليق بها أن تقول ان هذا إسراف من الفريقين في الشر ، ونحن انما نريد المساواة في العلم الصحيح والعمل النافع للامة ، وان أطاقته وجماته عاما

وأما الطلاق فقد ذكرت في الرد علي ان الرجل كثيراً ما يرسل الى المرأة كتاب طلاقها وهي لا تدري له سبباً ، وأنا لا أنكر وقوع هذا وقبحه ولكني أقول لو أعطيت المرأة حق الطلاق أيضاً وهي أكثر من الرجل انفعالا ، وأسرع هرباً مما يسوءها إذا استطاعت اليه سبيلا ، فان هذا الطلاق القبيح الضار يتضاعف أضعافا ، وهو مخرب البيوت ، ومقطع سلك النظام

رد شوكت افندي التوني

ولما انتهى وقت الآنسة هانم محمد نهض الشاب الاديب شوكت افندي الطالب في كلية الحقوق فاستقبله الشبان بتصدية الفتوة والقوة لانه من أفصحهم لسانا ، وأقواهم جنانا ، فاستهل رده عليها بأسجاع فصيحة بدأها بذكر ما كان من عادته وآدابه في تكريم النساء ومقابلاته لمن تلقاه منهن بالاحترام والود ، ونثره بين يديها زهر النرجس وورق الورد ؛ (وكأنه ذكر ورقه دون زهره اجتنابا لشوكه وان كان هو نفسه شوكة وردية) وأنه لما رآهن قد شببن عن طوقهن ، وخرجن من قرارة ضعفهن وضؤولتهن ، اضطر ان يصارحهن بحقيقة حالهن

وما كاد ينطق بهذه الالفاظ حتى استشاط الرئيس غضباً ، وألقى عليه من سماء الرياسة شهباً ، وحرم عليه ان ينطق بمثل هذه الالفاظ التي تخدش منهن ملمس الكرامة ، فاعترض عليه كثير من الشبان ، وعدوا هذا المنع تحكما منافياً لحرية الكلام ؛ فأجاب بانه يحترم الحرية كل الاحترام ، بشرط أن لا تمس الكرامة ، وتمد .. الاهانة

ثم عاد الخطيب الى سياق دفاعه ، مصرحا بطاعته لحضرة الرئيس في اسلوبه مع إصراره هو على رأيه، وطفق يرد على الدكتور عزمي أولا فبين ان العلماء والاطباء متفقون على ان المرأة أضعف من الرجل جسما وعقلا وأعجز عن اتقان الاعمال ولا سيما الشاقة، وان النابغات منهن لا يبلغن شأو النابغين من الرجال ولا يقربن منهم . ولما شرع في التفصيل بدأ بذكر من تولين الملك والحكم فعارضه الرئيس بما بدأ به من وصف مذموم لهن، رأى أنه لا يليق ذكره في ذلك المجلس الذي يحضره جماعة المقائل والاوانس ، وهذا مبني على عدم جواز المساواة بين الرجال والنساء ، فهو يتضمن ترجيحه لرأينا ، وان استنبط بعض الحاضرين من جملة مسلكه انه كان علينا لا على الحياد ، وقد كلمني بعضهم في ذلك فلم أوافقه عليه، فانا موافق الرئيس شعوراً ووجدانا على تقييد حرية اللسان في مجالس النساء ، بحيث لا يذكر فيه كل ما يذكر عادة في مجالس الرجال ، وان كان النساء يقبلن مثله وأكثر منه في مجالسهن الخاصة .

وأرى مع هذا الشعور الذي مكنته في نفسي التربية والعادات أن النساء اللواتي يدعين مساواة الرجال ويناظرنهم في ذلك ويزاحمنهم بالمناكب ، لا يكرهن أن يقال على مسامعهن كل مايقال على مسامعهم ، وان من تكره منهن ذلك أو ترى فيه امتهانا لها لا ينبغي لها أن تكون مترجلة ولا طالبة مساواة، ولا تعذر في مطالبة الرجال بهذا الادب معها ، ولا في لومه على تركه وحسبانه اهانة لها .

وجملة القول ان شوكت افندي ما جاء شيئاً فريا في مناظرته، ولا خرج عن حد المعقول في نظريته ، ولا تعدى قوانين علمه (الحقوق) في مرافعته ،وانما خالف فيها شعور الذين يبالغون في التفرقة بين الرجال والنساء ،ومذهب الذين يحرمون تمزيق الحجاب بينهما ولا يبيحون المخالطة المطلقة حتى في الرقص والسباحة والسياحة والخلوة عملا بحكم الدين فيهن وصيانة لامزجتهن الرقيقة وعواطفهن الدقيقة عن مهاب الاهواء التي يخشى عليهن من عواقبها ماهو شر وأدهى وأمر مما يخشى على الرجال ، وانما خالف هذا الشعور وهو من أهله ،وخرج عن جادة هذا المذهب وهو مذهبه ليقنع طوالب المساواة المطلقة وأنصارهن ، أنها شر

لاخير لهن ، وان أنصارهن لا يطيقون احتمال عواقبها فضلا عنهن ، والا فلماذا أنكروا على جمهور الشبان انتقاد هفوة الفتاة وهم يعترفون بانها هفوة ولم يعذروا الفتى فيما أداه اليه اجتهاده من جفوة ؟

وأختم هذا الوصف الاجمالي للمناظرة بانتقاد لجنة المناظرات في الجامعة على تقصير وقت المتناظرين في الموضوعات الكبيرة ، ذات القضايا الكثيرة ، مع عدم حصر الموضوع وبيانه لكل منهما قبل الدخول فيها . وقد اضطر الرئيس الحافظ للنظام في مناظرتنا الى منع السامعين من بيان آرائهم في تأييد كل منا لضيق الوقت ، وضياع طائفة كبيرة منه في الاخلال بالنظام ، وسأتكلم في سائر فصول هذا المقال في تفصيل ما أجملت من المسائل كما وعدت .

(٤)

تأثير المناظرة والآراء فيها

لخصت في مقالاتي الثلاث الاولى ما دار في مجلس المناظرة ثم عرض لي من الشواغل ما صرفني عن الشروع في التحقيق التفصيلي الذي اقترحه علي بعض طلاب الجامعة النجباء ولا سيما طلاب كلية الحقوق منهم ، وقد زارني في هذه الايام بعض الافاضل من أستاذي المدارس الثانوية والعالية وغيرهم شاكرين ومهنئين بالفلج والظفر في نصر الحق على الباطل ، والدين على الالحاد ، ومستحسنين لنشر الموضوع في جريدة كوكب الشرق ، ومقترحين لنشره في المنار أيضا . وجاءتني مكتوبات وبرقيات في ذلك في بعضها اطراء لي واغراق في الطعن والزراية على مناظري ، ورأيت من المتكلمين معي في ذلك من يعتقدون أن هذه المناظرة كانت ممالأة مدبرة من دعاة الالحاد والاباحة على الدين ورجاله ، أعدوا لها عدتهم ، ولم يخبروني بها قبل موعدها بيوم واحد الا لاخذي على غرة . حتى لا أجد وقتاً للاستعداد ، ولا للاستشارة ، ولا لدعوة من اعلم أنهم على عقيدتي ورأيي ، وهذا خلاف للمعروف والمألوف والأدب أيضاً ، وأنه لولا « طيبة القلب » لما قبلت ، وأنه كان ينبغي لي أن أدعو اخواني وتلاميذي لحضور المناظرة لتكثير الانصار

وان كان الوقت الذي أعطي لي قصيراً لا يتسع لرؤية كثير منهم أو مخاطبتهم بالتيلفون — وأن أشترط اخراج الفتاة من المناظرة الخ

قلت لاخلص أصدقائي من هؤلاء الذين كلموني في مكتبي : اما إجابة الدعوة بالقبول فلم يكن منه بدولا عنه مندوحة بعد طبع اللاجنة لرقاع الدعوة ونشر خبرها في الصحف، لما يتوقع لردها من سوء التأويل، وكثرة القال والقيل

وأما ما ذكرتم من التدبير والسعي من جماعة الملاحدة فمعقول، ومن دلائله ما علمته علم اليقين من توزيع بعض أركانهم لرقاع الدعوة على من يختارون قبل أن أراها وان أعلم بموضوعها وموعدها، ومن براهينه ما صرح به مناظري بعد انتهاء المناظرة لبعض أصحابه من ان فلانا من غلاة دعاتهم الى ترك الشريعة الاسلامية هو الذي لقنه ما قاله في مجلس المناظرة من ان بعض علماء الاسلام - ويعني نفسه - يقولون ان جميع أحكام المعاملات الشرعية يجوز للمسلمين تركها إذا رأوا ذلك من مقتضيات الزمان والمكان. وأما الذي لا بد منه في الاسلام فهو العبادات فقط . ولا يبعد أن يكون من آيات ذلك أنهم لم يرسلوا لي الاعشر رقاع من رقاع الدعوة، بناء على أن حضور المناظرة مباح لا يتوقف على حملها، وقد أعطيت بعضها لبعض من قبل من أعضاء مجلس ادارة الرابطة الشرقية عندما ألقيت الي (وعلمت ان بعضهم كان يحمل طائفة منها !!) وبقي سائرها عندى إلى الآن

هذا وانني بعد ان عدت من نادي الرابطة الشرقية الى الدار رأيت فيها ورقة من بعض طلبة الاقسام العالية في الازهر الشريف يطلبون مني أن أضع لهم في مكتبة المنار طائفة كبيرة من تلك الرقاع ليحضروا المناظرة مؤيدين لي لعلمهم بانني أنصر الدين وما شرعه الله تعالى للناس — وكانوا قد أرسلوا إلى المكتبة بعض اخوانهم لطلب الرقاع قبل أن أعلم بخبرها ، على أنني لم أترك لهم شيئاً من القليل الذي بقي معي

ولعل من آيات ذلك التدبير ما ظهر عند أخذ بطائق التصويت ممن حضر المناظرة من الازهريين على قلتهم وغيرهم ان أكثرهم لم يعطوا عنها شيئا، ويمكن الرد على هذا الاحتمال بأن رئيس الجلسة خاطب جمهور الحاضرين على مسمع منا بأن من لم يكن

أخذ منها قبل المناظرة يمكنه أن يأخذ بعدها ، ولكن تبين أن هذا لم يكن ممكنا
وأما طعن من ذكرت آنفاً على محمود عزمي أفندي نفسه بالالحاد وسوء النية فقد شاركهم فيه كثيرون من طلبة الجامعة الذين مشوا معي بعد الخروج من مجلس المناظرة وطعنوا في استاذ آخر من اخوانه ومدرسي الجامعة وناقشهم في ذلك بعض الطلبة من القبط وأنكروا عليهم رميهم للاستاذين بسوء النية وكونهما يتقاضيان على الطعن في الاسلام أجرا ، فرد عليهم الطلبة المسلمون بقولهم: وماذا يعنيكم منا في دفاعنا عن ديننا وأنتم أقباط لا علاقة لكم بذلك ؟

مع هذا كله ومع العلم بأن بعض الجرائد الافرنجية انتصرت للاستاذ محمود عزمي افندي علي وطعنت على الجمهور الذين أيدوني بما يطعن به الافرنج على كل مسلم معتصم بدينه — مع هذا وذاك — لا أزال مصراً على ما كتبته من اعجابي بحرية الرجل وصراحته وانصافه فيما صرح به امامي وامام غيري من الثناء علي والاعجاب بما قلت في الرد عليه، ومنه قوله لي على مسمع من صاحب جريدة كوكب الشرق وعبد الخالق باشا مدكور وعبدالله بك البشري في ادارة الكوكب : اننا نبالغ فيما نطالب للنساء من الحقوق في مقابلة ما نعلم من مبالغة رجال الدين في هضم حقوقهن لنصل إلى الاعتدال الذي يقول به مثلك . أونحن نعلم أنه لا سبيل إلى اجابتنا إلى كل ما نطلب لانه من المحال ـ وما هذا مؤداه

نعم لقد أكبرت من انصافه في هذا المقال ، وزاد اعجابي به ما علمته من أنه قال هذا أو ما يقرب منه في مجالس أخرى ، ومنه ما كتبه عنه صديقه صاحب جريدة الشورى الغراء فقد كتب في العدد الذي صدر في ١٥ شعبان (وينايو) خبر المناظرة وكان من حاضريها ثم قال في آخر ما كتبه:

« وجاء الاستاذ عزمي ثاني يوم الاجتماع الى ادارة الشورى مسرورا مبتهجا فقلنا وكيف تسر وقد انتصر عليك السيد رشيد بالامس ؟ فقال انني لم استغرب هذا وكنت أتوقعه ، ولكنني طلبت للمرأة كل شيء ليصرح رجال الدين الاسلامي للمرأة ولو ببعض الشيء . وقد رأيت ان السيد رشيد كان عظيما جدا في رده علي إذ أنه أجاد وأحسن ، وكان مثلا لمشايخ المسلمين . ولولا الضجة

التي قامت في النهاية لألقيت كلمة في الثناء عليه » اهـ فأنا أثني على نيته هذه كما اثنيت على كلماته المنصفة ، وما رأيت له شبهاً في دعاة الالحاد الا زعيمهم السابق الدكتور شبلي شميل فقد كان يعترف بما يظهر له من الحق في المسائل ولو كان مخالفاً لرأيه . وأما الالحاد فهو مجاهر بشر أنواعه وهو التعطيل المطلق لا نبذ الشرائع الالهية فقط ، ويروى أنه لما سأله رجال الاحصاء عن دينه قال ا كتبوا «لا ديني» ويقال ان زوجه اليهودية الاصل مثله.

وقد كثر كلام الناس في رئيس الجلسة النائب المحترم توفيق أفندي دياب أيضاً فانتقدوا شدته وحدته في الانكار ، وضعفه في حفظ النظام ، ورموه بالمحاباة للفريق الموجب لمساواة النساء بالرجال بما حباه من عطف ، على الفريق السالب بما قابله به وقابل مظهري الميل له من عنف .

فأما الشدة والحدة ، فقد اعتذر هو عن بوادرها في الجلسة، وأما الضعف في حفظ النظام الذي أثار الشدة والحدة ،فسببه شذوذ كثير من حاضري المناظرة في اظهار ما استحسنوا وما استهجنوا بما لا يبيحه النظام في أثناء المناظرة ، وعدم طاعتهم له بما به أمر من معروف، وما نهي عنه من منكر ، فمن لم يسمع منهم نغم جرس المدرسة الصغير الذي كان يدقه بيده ، فقد صخ سمعه جرس صوته الخارج من حنجرته ، وانما سبب هذا الشذوذ كثرتهم وقلة حضور بعضهم لامثال هذه المناظرات في مثل هذا المكان ، وعدم تعود ما يلزم فيها من نظام

وأما المحاباة لخصمنا علينا واظهار ضلعه معه فلا أوافق لا مزيه بتوخيه له ، وإنما كان الذي أظهره علنا هو ما بينته من قبل من استنكاره الشديد لاي مغمز أو ملمز للنساء جنسهن وأفرادهن، كالائي ولين أمر الملك في غابر التاريخ فيما حظاره علي شوكت افندى حظراً باتاً لا هوادة فيه ، وهذا أدل على انكار فطرته وذوقه لمساواة النساء بالرجال منه على وجوب المساواة المطلق كما بينته في المقالة الثالثة ، وكنت أريد الاقتصار على ما تقدم في شان المناظرة ورئيسها وخصمي فيها بيد أن كثرة كلام الناس فيها وكتاباتهم أيضا اوجبا على هذا البيان وساشرع غداً في التحقيق التفصيلي في الموضوع ان شاء الله تعالى

التحقيق التفصيلي في موضوعات المناظرة

— ٥ —

معنى الحق وموضوعه وأقسامه

كتبت منذ أربع وعشرين سنة مقالة طويلة عنوانها (الحق والباطل والقوة) نشرتها في (ج ١ م ٩ من المنار الذي صدر في غرة المحرم سنة ١٣٢٤) قلت فيها : الحق عبارة عن الشيء او الامر الثابت المتحقق في الواقع ، والباطل هو مالا ثبوت أو لا تحقق له في نفسه ، وما لا ثبوت له ولا تحقق لا يمحق ما كان ثابتاً متحققاً ، كما هو الشأن في الموجود والمعدوم ، والمعلوم والموهوم ، وهذا مما لامجال فيه لاختلاف العقلاء . إن يختلفون إلا في الحقوق العرفية والوضعية ، والدينية والشرعية ، وما تحكم فيه الشرائع من الامور الاجتماعية . وفي كل ذلك حق وباطل . .

ثم بينت ان الحق والباطل يتنازعان في الفلسفة والنظريات العقلية والوجود والسنن الكونية (أي الطبيعية) والسنن الاجتماعية والقوانين والمواضعات العرفية والدين والشريعة الالهية ، وفصلت القول في هذه الامور الكلية تفصيلا بالبينات والدلائل

والذي يقتضيه المقام من الكلام في الحقوق هنا ان ماجعله الله تعالى حقا بالخليقة والفطرة لايدخل في موضوع بحثنا ولا مناظرتنا لانه لانزاع فيه كما بيناه في ردنا على ماسماه مناظرنا « حق الوجود واستنشاق الهواء » ومنها ماجعله الله تعالى حقاً فيما شرعه لنا من الدين ، وهذا لا يتنازع فيه اثنان ممن يدين الله بالدين الذي جعله حقاً ماداموا يؤمنون به ، وانما يجوز لهم التنازع فيما تختلف فيه أفهامهم من أدلته اذا لم تكن قطعية كما سنبينه . ولهذا قلنا ان المناظرة التي دعينا اليها مناظرة بين الدين والالحاد ، وما أجبنا الدعوة اليها على ما كان من شذوذ لجنة المناظرة والخطابة معنا فيها الا للدفاع عن الدين ، وبيان علو حقه على باطل الملحدين والمعطلين (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين

ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) سورة الانفال ٨ : ٨٧

وأما مايسمى حقا بالعرف العام أو الخاص أو القوانين الوضعية فان أهله يلتزمونه مادام الاصطلاح والعرف متبعاً والقانون نافذا ، وقد يكون في نفسه حقا بموافقته المصلحة واقامة العدل ، وعدم منافاته لهداية الدين وقطعيات الشرع ، وقد يكون باطلا باشتماله على شيء من المفاسد أو الظلم، فتحسن المناظرة فيه للتمييز بين الحق والباطل ، واقناع أهل العرف أو الحكومة الواضعة للقانون بالرجوع الى مايقوم الدليل على أنه هو الحق ، إذ لايمكن تقرير الحق فيه إلا بارجاعهما عن اقتناع ، فاما الحكومات فيسهل اقناعها على العالم بالاصول التشريعية التي تعتمد عليها في وضع قوانينها ، وأما الامم فلا بد في اقناعها من معرفة عقائدها وتقاليدها ومراعاتها في ذلك، على ان إرجاعها بالعقل عن عرف عام بمجرد اقامة الدليل على كونه باطلا أو ضاراً غير ممكن فلا بد من الاستعانة على ذلك بالتربية والتعليم

وأما الحق في النظريات العقلية والفلسفة فسبيله أدق ومسلكه أعسر ، والاتفاق عليه أعز ، والذين يقتنعون به أقل ، وإنما تفيد هذه النظريات في التقوية عند بعض الناس دون جمهورهم لما فيها من الخلاف وكثرة المذاهب ، وكدورة المشارب .

الحقوق العشرة المدعاة للنساء

بعد هذا التمهيد أقول إننا إذا لفتنا نظرنا عن تعبيرات مناظرنا الضعيفة ، ومؤيدته النحيفة فيما سماه حق الوجود واستنشاق الهواء وحق الحياة في المجتمع، وحصرناه في الحقوق الشرعية والعملية التي تقابل الواجبات ، الفيناه قد ادعى للنساء الحقوق العشرة الآتية لتحقيق مساواتهن للرجال التي يدعي وجوبه ، وهي : (١) رفع الحجاب وتمزيق الاستار (٢) الاختلاط بالرجال بلا شرط ولا قيد (٣) تعلم المرأة ما تثقف به وتثقف غيرها (٤) الاشتراك مع الرجل في تربية الاولاد (٥) الامتلاك بالارث والكسب (٦) المساواة بين الذكور والاناث في الميراث (٧) وجوب الاعتراف بما تشاء (٨) جميع أعمال الحكومة ومصالحها

(٩) التصويت في انتخاب المجالس البلدية والتشريعية وغيرها (١٠) عضوية هذه المجالس ورياستها . هذا ماقرره محمود افندي عزمي ولكنه أجمل القول في الحقوق الانتخابية والتشريعية لانتهاء الوقت المحدد له كغيره

ان بعض هذه الامور حق لانزاع فيه . وبعضها منكر ديناً وشرعا وعقلا وأدبا وقانوناً وعرفا ، وبعضها منكر في بعض هذه الناطات للحقوق دون بعض، ومن العجيب ان مناظرنا الموجب للمساواة بين الجنسين ومؤيدته فيه لم يذكرا الوظائف الطبيعية التي تخالف فيها المرأة الرجل فتكسبها من الحقوق ما ليس له، وتفرض عليها من الواجبات مالا تفرضه عليه كالحمل والولادة والرضاعة، ولم يلما بالسنن الاجتماعية التي هي قوام تكوين الاسرة التي هي قوام تكوين الامة، وهي تقتضي توزيع الاعمال المنزلية وغيرها بين النساء والرجال

ولكن الشرع الاسلامي الذي هو نظام دين الفطرة لم ينسهما ، فأعطى كلا من الرجل والمرأة من الحقوق وفرض عليه من الواجبات ما يناسب فطرته وقواه البدنية والعقلية ، وهما وأمثالهما من النساء الثوائر والرجال الثائرين على الدين المطلق ، يجهلون هذا الدين القويم وهذا الشرع العادل أصوله وفروعه

ألم تر أن محمود عزمي افندي وهو من حملة لوائهم يقول إننا نطلب المرأة كل شيء ليسمح لها رجال الدين ببعض الشيء ،ويقول بعبارة أخرى إننا نبالغ ونغلو في حقوقها في مقابلة مبالغة رجال الدين في هضم حقوقها ؟ وهو يخص علماء الازهر في هذا بالذكر وان لم ننقله عنه ، وعلماء الازهر لا يقولون إلا بما في كتب المذاهب الاربعة المتبعة المشهورة ، وهذه الكتب تبالغ في حقوق النساء مبالغة لا يعد ما يقابلها من الواجبات عليهن فيها شيئاً . وسنشير الى ذلك في محله..

وجملة القول ان الشرع الاسلامي قد أبطل كل ما كان عليه جميع أمم الارض من هضم حقوق النساء واهانتهن واحتقارهن واعطاهن من الحقوق مالم يسبق له نظير في دين ولا شرع ولاعرف أمة من الامم . وما لم يبلغ شأوه فيه قانون مدني إلى هذا العهد ، وان هذا الغلو فيهن الذي ابتدع في هذا العهد شر لهن، سيظهر فساده الكبير وضرره الخطير بعد حين .

وإننا قبل بيان الحق التفصيلي في ذلك نقول كلمة في معنى الدين ووجه حاجة البشر اليه ، وما في الاعتصام به من المصالح وما في ترك هدايته من المفاسد ، وما يهدد مصر من الخطر في دعاية الالحاد والاباحة التي فشت فيها في هذا العهد ، وموعدنا المقالة الآتية .

(٦)

هداية الدين وجناية الالحاد

لا شك في أن الذين يدعوننا الى المساواة المطلقة بين النساء والرجال حتى في أحكام المواريث والطلاق ، وإلى اباحة الاختلاط بينهما في كل شيء حتى الرقص والسباحة في البحر — يقصدون بهذه الدعوة أن نترك ديننا وننبذه وراءنا ظهريا ، وربما كان هذا هو المقصد الاصلي لهم وكان ذلك وسيلة له أو مقصداً ثانويا ، فان هذه الدعوة ليست كدعوة أحد الفساق صاحباً له الى شرب الخمر أو لعب القمار معه ، أو دعوة أحد الاشقياء لآخر منهم الى مساعدته على سرقة دار او قتل نفس ، فان كلا من هذين الفاسقين يعلم أنه يدعو الى شر محرم له فيه منفعة متوهمة أو مظنونة وقد يتوب من العودة اليها في يوم من الايام ، وربما تلومه نفسه أو يحيك في صدره استقباح فعله في أثناء اقترافه له ، وهو على كل حال لا يدعي أنه يعمل حسناً أو أنه يدعو الى خير

وأما أولئك الدعاة إلى مخالفة الدين حتى فيما هو قطعي من نصوصه ، ومجمع عليه بين أهله ، فيدعون أنهم يدعون الامة لى ما هو خير لها وأصلح لأمورها ، وانهم لا يريدون على ذلك جزاء ولا منفعة ، ولا يصدقهم احد من العقلاء في هذه الدعوى ، فانهم يعلمون انه لا توجد امة من الامم مجردة من الدين بل يعلمون ان الامم الافرنجية التى يوهمون الاغرار من الشبان والشواب أنهم يقلدونها ويتبعون خطوات حضارتها هي أشد أمم الارض عصبية لدينها وعناية تنشره ، وأنهم ما أسسوا المدارس الكثيرة في بلادنا إلا لأجل دعوتنا اليه وادغامنا فيه ، وهم يبذلون في سبيل ذلك الملايين من الجنيهات على جمعيات الدعوة اليه والتبشير به

الدين هداية روحية لا تتم تربية الانفس على الاخلاق الكريمة والفضائل وصدها عن الرذائل وتثقيفها بالعمل الصالح بدونه ، لما سنشير اليه في هذا المقال وطالما بسطناه في التفسير والمنار ، وهم يبغون حرماننا من ذلك كله

الدين رابطة من أقوى الروابط البشرية ، وجامعة من أعظم الجامعات السياسية ، وفصل من الفصول المنطقية المقومة للشعوب التي يتألف منها أو ينقسم اليها نوع الانسان ، ودين الاسلام أقواها في هذه الروابط والجوامع والمقومات ، فهو يهب كل فرد من أفراده ملايين من الاخوة الروحيين يعطفون عليه ويحنون اليه في كل قطر من الاقطار التي يقيمون فيها كما جربنا ذلك في سياحاتنا الواسعة ، وهؤلاء الدعاة إلى الالحاد يريدون حرماننا من هذا كله

الدين حاجة من حاج الفطرة البشرية ، بل ضرورة من ضروراتها الاجتماعية ، بل غريزة من غرائزها النفسية ، فان اختلف بعض الحكماء في بعض هذه الثلاث فلن يتفقوا على انكارها كلها ، وقد قال حكيمنا الاسلامي المصري الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه في رسالة التوحيد : « فبعثة الانبياء صلوات الله عليهم من متممات كون الانسان ومن أهم حاجاته في بقائه ، ومنزلتها من النوع ، منزلة العقل من الشخص »

وجد أفراد من البشر في أمم مختلفة اهتدوا بعقولهم إلى كثير من الفضائل والآداب ودعوا اليها وهم الذين يسمون الحكماء ، ولكنهم لم يبلغوا من القداسة والهداية أدنى ما بلغ الانبياء ، ولم تهتد أمة من الامم وتصلح وتتهذب بعلوم أحد منهم وفلسفته كما اهتدت كل أمة باتباع رسول الله اليها مادامت متبعة له ، وهؤلاء الملاحدة يتوخون ابعادنا عن هذه الهداية

ان من أصحاب العلم الناقص كثيرا من المعجبين بعلوم هؤلاء الحكماء القاصرين عن ادراك علو رتبة الانبياء عليهم ، اذ لم ينقل عن الانبياء من العلوم والفنون الكسبية ما نقل عنهم ، ولكن الحكماء المهتدين بالدين الذين يعقلون ماله من العلو والسلطان على العقول وعلومها الكسبية يدركون ذلك

كان للفيلسوف الاسلامي الاكبر الرئيس أبي علي بن سينا (الذي لقم ،

بالمعلم الثاني عند من يلقبون فليسوف اليونان الاكبر اريسطوا بالمعلم الاول) خادم ذكي لزم خدمته في السفر والحضر لاعجابه بعلومه ومعارفه الواسعة ، حتى إنه كان يفضله على الرسول الاعظم ومصلح البشر الاكبر محمد ﷺ ، وكان لا يخجل من مصارحته بذلك ومكاشفته بتعجبه منه لاتباعه لمن يزعم هو أنه دونه ، فصبر عليه الفيلسوف إلى أن وجد فرصة لاقناعه بضلاله

ذلك أنه كان في أصفهان في ليلة من ليالي الشتاء الشديدة البرد فأيقظه من نومه ليأتيه بماء يتوضأ به ، فاعتذر لكسله وتألمه من البرد بان الليل لايزال طويلا ، فأيقظه مرة ثانية فاعتذر، فايقظه الثالثة في وقت آذان الصبح اذ كان المؤذن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله . وسأله : ما هذا الذي نسمع ؟ قال الاذان ، قال ماذا يقول المؤذن ؟ قال : أشهد ان محمداً رسول الله . قال له الرئيس حينئذ ما معناه : لقدآن لى أن أفهمك الفرق بيني وبين محمد رسول الله ﷺ فاستمع لما أقول . إنني لم أر أحداً من الناس معجباً بي كاعجابك وأنت خادمي وانا ادعوك في داخل الدار لا تياني بالماء المرة بعد المرة وانت تخالفني وتعتذر لي وهذا المؤذن الفارسي يقف في هذا البرد القارس في اعلى المنارة يشيد بالشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة احتسابا لوجه الله تعالى بعد وفاته بزهاء اربعمائة سنة فتاب ذلك الخادم المغرور وأناب ، ولكن ملاحدة زماننا لايتوبون بمثل حجة الرئيس ابن سينا ولا بما هو أنصع منها ، ولا يعقلون سر سلطان النبوة على الانفس

وأراني ههنا قد وجدت مناسبة قوية لبيان حقيقة يجهلها هؤلاء المغرورون ببعض قشور الفلسفة التقليدية لبعض علماء الافرنج ، وهي أن الدين لم يكن له من التأثير في هداية البشر واصلاحهم ماليس للعلوم والفلسفة البشرية إلا لان مصدره السلطان الالهي الاعلى الذي هو فوق قوى البشر العقلية والحسية ، ذلك بان الانسان يشعر بغريزته ان كل ما هو تحت ادراك عقله ومشاعره فهو دونه وهو لا يدين لما هو دونه ولا لمن هو مثله ، وانما يدين لمن هو فوقه لا في شخصه فقط ، بل في نوعه وجنسه الاعلى ذي السلطان الغيبي الذي يشعر به وجدانه ، ولا يحيط به عقله وجنانه ، وهو لا يتم تهذيبه وصلاحه باقناع أمثاله من البشر له

باتباع الحق والهدى وترجيحها على الباطل والهوى ، ان أمكن هذا الاقناع ، ووقع عليه الاجماع ، فكيف إذا اختلفت فيه الآراء ، وعصفت باهلها الاهواء ، كدأب البشر في كل آرائهم ونظرياتهم في الآداب والسياسة وشؤون الاجتماع ، قلما يتفقون وقلما يعملون بما يتفقون على حسنه إذا خالف شهواتهم النفسية ، أو عارض مصالحهم القومية أو الدولية ، وانما تذعن الانفس البشرية للحق اذا كان ايمانا وجدانيا ، وتقف عند حدود الفضائل اذا كان وضعها وحيا الهيا ، وتطيع الامر بالخير والنهي عن الشر اذا كان الوازع فيهما نفسيا . ولا معنى للدين الا هذا ، ولهذا لا يكون إلا وضعاً الهياً ، وقد وضع بعض فلاسفة اوربة قواعد جميلة معقولة سموها الديانة الطبيعية ولكن لم يتدين بها أي شعب من شعوبهم ولا فرد من أفرادهم .   (للمقالات بقية)

باب المراسلة والمناظرة

تفسير الشيخ طنطاوي

حضرة الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار

قرأت ما كتبتموه تحت عنوان تفسير الشيخ طنطاوي جوهري وشكرتكم على حسن ظنكم بما أفضتم من الثناء كقولكم ويعتقد بحق أن المسلمين ماضعفوا وافتقروا واستعبدهم الاقوياء إلا بجهلهم العلوم الخ

فهذا بعض ما أشكركم عليه ولكنني لا يتسنى لي أن أغض الطرف عما جاء مخالفاً لما ذكرتم كقولكم انه لا يعول عليه في حقائق التفسير فانه انما يذكر شيئاً مختصراً منقولا من بعض التفاسير المتداولة الخ ما ذكرتم بعد ما قلتم ويعتقد حقا أن الاسلام يرشدهم إلى العلوم بل يوجبها عليهم وقلتم: وجملة القول أن هذا الكتاب نافع من الوجهين اللذين أشرنا اليهما في أول هذا الجواب وصاحبه جدير بالشكر عليه والدعاء له

وإذن أقول : يظهر لي أن الاستاذ إذ جمع بين الثناء والنقد رمى لثلاثة أغراض

﴿ الغرض الاول ﴾ انه يهيج بالأول أذكياء الامة وعقلاءها لقراءته

﴿ الثاني ﴾ أنه يثير بالنقد حمية الجامدين الذين هو يجاهدهم إذ يطمعون أن يجدوا فيه مواطن ضعف أو نقص فيقرأوه وتكون النتيجة انتشار العلم عند الطائفتين لان الحقيقة يخدمها الضدان من هولها ومن هو عليها

﴿ والغرض الثالث ﴾ أن يخشي أن أكتب في المنار مقاصد الكتاب بدليل أنه صرح فيه بأنه ما قرأ إلا بعض أوراق في بضع دقائق

ولا ريب أن الذي انتشر الآن من تفسير الجواهر خمسة عشر مجلداً انتهت إلى آخر سورة السجدة فاذن وجب عليَّ أن أبين ما في الكتاب فاذا وسع المنار ما أسطره في صحائفه كنت شاكراً للاستاذ ولذلك أقول ان صاحب الدار أدرى بما فيها والضيف الذي لا يمكث فيها بمقدار زمن يشرب فيه الشاي له العذر فيما يصفها به. ولذلك أقول إن طريقتي في التفسير أن أقسم كل سورة أقساماً كل قسم منها تذكر آياته أولا مشكلة ، ثم أقفي بالتفسير اللفظي ملخصاً مستوفياً مفصلا جميع الاحكام وهي قليلة في القرآن ومبيناً التفسير المأثور وقد نبذت خلاف الفرق الضالة والجدل المقوت فهذا لا سبيل اليه لانه ضياع لوقت هذه الأمة بل أوفق بين الاقوال بقدر طاقتي ولست أذكر من الاعراب إلا ما تمس الحاجة اليه باسلوب يوافق ذوق العقلاء المسلمين في زماننا وعدلت عن الطريقة العتيقة إلى طريقة مدرسية صالحة لفهم المسلمين ، وإنما نهجت هذا المنهج ليكون الاسلوب سهلا يسر القارئين ، لا معقداً يقعد بهمم الكثيرين

ثم بعد ذكر التفسير لكل قسم أبين ما يشير اليه من الحقائق العلمية الصادقة وأبين كيف يكون تكذيب الخرافات ليرتقي الشعب الاسلامي مراقي الفلاح ، وإنما اخترت ذلك ليأخذ كل قارىء من التفسير ما شاء فمن شاء التفسير المتداول فاديه خلاصته منقاة مصفاة ، ومن أراد العلم وجماله فانه يجده في مكان خاص غير ملتبس بالتفسير اللفظي

وأنا أحمد الله عز وجل إذ وفقني أن أبين للمسلمين في مشارق الارض ومغاربها أن العلوم التي غفل عنها المتأخرون وامتلأت بها الاقطار ونبذها المسلمون

وكرهوها ظنوها ضد الدين وهذه هي المصيبة الدهياء التي حلت بديار الاسلام كما ذكره الاستاذ ووافقني عليه أليس هذا بعينه هو فقه التفسير؟

أفلم يقل بهذا المتقدمون مثل الامام الغزالي ونصه « ان من زعم أنه لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطيء في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم قال علي رضي الله عنه : إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن ، فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟ وقال أيضا :إنه ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك؟

وقال ايضا : أعظم علم القرآن تحت اسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا اموراً لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها ، واما افعاله فكذكره خلق السموات والارض وغيرها - إلى ان قال - ولهذا اذا قرأ التالي (افرأيتم ما تحرثون؟ افرايتم ما تمنون ؟ أفرأيتم الماء الذي تشربون؟ أفرأيتم النار التي تورون؟) لا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني فليتأمل في المني وهو نطفة متشابهة الاجزاء، ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والكبد والعصب وكيفية تشكيل أعضائها بالاشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها، ثم إلى ما ظهر منها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والتكذيب والمجادلة - إلى أن قال - فليتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى أعجب العجائب وهو الصفة التي صدرت منها هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع .٠. أقول ولقد استوفيت هذه المباحث وأمثالها في التفسير واضحة بالصور الشمسية ظاهرة للعيان مورثة لليقين ... ثم ذم من يقتصر من فهم ملكوت السموات والارض على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب فقال وذلك مما تعرفه البهائم ...(وأقول حرام علي أن أسمع

هذا القول ولا أرفع هذا العار والجهل عن هذه الامة التي هي خير أمة أخرجت للناس) .. ثم قال ولله تعالى في ملكوت السموات والانفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من أحب عالماً فانه لا يزال مشغولا بطلب تصانيفه اهـ وقال أيضا رحمه الله تعالى انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعم إلا بعد معرفتها ثم انهم إذا عرفوا النعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله الخ)

انا لا اود ان اطيل النقل فاكابر العلماء المتقدمون في القرون الاولى لما رأوا صغار علماء زمانهم ليس لهم إلا حفظ الروايات والجدل والفتاوى والاقتصار على علم الفقه وانهم اتخذوه سلما لتولي القضا والافتاء في ذلك الزمن تبرؤوا منهم وأخذوا يقولون للمسلمين . كلا . ايها المسلمون .·. ان هؤلاء يقصدون الدنيا .·. هم طلاب مال .·. لا تقفوا عند حدهم .·. هنالك اجتمع صغار العلماء وكادوا لهم ، وسلطوا عليهم ضعاف الملوك حسدا وبغيا فأمر الخليفة العباسي في بغداد رجلا يسمى (ابن المارستانيه) فأحرق كتب الفلك والنبات والحيوان وغيرها في الرحبة ببغداد فأزال الله ملك اولئك الجاهلين بدخول التتار لما جهلوا علوم القرآن

ولما حسد علماء المغرب — الامام الغزالي اذا نتشرت كتبه في بلادهم ايام حكم المرابطين — أمر علي بن تاشقين فأحرق تلك الكتب فمزق الله ملكهم وخلفهم الموحدون ، فلما امر الله بغروب شمس الدولة لهولاء ايضا في القرن السادس نفى امير المؤمنين العلامة ابن رشد لانه قال ايها المسلمون هذه العلوم يطالبها القرآن وهي تفسير لآياته فحسده فقهاء زمانه فصار الامير يقرأ كتبه سرا ويأمر جهراً ألا تقرأ . فلهذه الاسباب نشر تلاميذ ابن رشد بعد اضطهادهم هذه العلوم في ألمانيا أولا ثم في سائر أوروبا وصارت بلاد الاسلام قفراً منها وحوشا يبابا (اقرأ ما كتبه العلامة سديو الفرنسي والاستاذ سنتلانه التلياني الاول في كتابه خلاصة تاريخ العرب، والثاني في كتابه تاريخ الفلسفة العربية)

ومن عجب أن دولة العباسيين بالمشرق ودولتي المرابطين والموحدين بالمغرب كانوا على وتيرة واحدة فهم جميعا في أول الدولة أحرص الناس على العلوم فترتقي الدولة، وفي

آخرها أزهد الناس فيها فيزول الملك ، تشابهت قلوبهم ، ومثلهم في ذلك دولة الترك البائدة كما جاء في كتاب كشف الظنون نقلا عن رسالة الخبايا في الزوايا

يقول طنطاوي الذي احترق فؤاده أسفا على الامة المحمدية: لقد قرأت هذا التاريخ في كتب مختلفة فتقطع قلبي اسى وحسرة وعرفت ان الناس يسارعون الى الجهل كابرا عن كابر، وهم يتلاحقون غافلين، ويظن قوم ان العلم شيء والدين شيء آخر وهذا جهل فاضح وهذا هو الذي جهل المسلمين- في مصر وفي غير مصر- أقل الامم علما بهذه العلوم، فالمتعلمون من المسلمين القراءة والكتابة في بلادنا يعدون على الاصابع في كل قرية من القرى، وهذا الان وعاظنا لم يحثوهم على ذلك كما يحث الواعظون من الامم الاخرى في سائر الاقطار. ولقد وفقني الله عز وجل وسهل لي تعلم هذه العلوم في المدارس أولا ثم قرأتها في كتب عربية ، وأخرى أجنبية، افلا يجب علي نشرها ؟ ألم يكن ظهور التصوير الشمسي آية كبرى في زماننا ؟ حتى تمكنت به من إظهار عجائب تشريح الانسان وتبيان الاعضاء الباطنة مصورة كالكبد والطحال والبنكرياس وهكذا عجائب النبات واللقاحه المصور المفسر لآية (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وآية (وأرسلنا الرياح لواقح) وبهذه الصور ظهر في تفسير الجواهر معجزات جمة في هذا الزمان مصداقا لقوله تعالى (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم؟) افلاترى صوراً جميلة من العجائب في تفسير قوله تعالى (ان في ذلك لآيات للعالمين) بكسر اللام فان هذه لم تظهر حتى ظهورها الخاصة الا في هذا الزمان

ومن ذا كان يظن ان جبال الثلج تظهر مرسومة في الجو ومعها الطيارة في زماننا وترسم في الجواهر تفسيراً لقوله تعالى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد)؟ وقد كان المفسرون قبلنا يؤولونها، اليست هذه معجزة اسلامية لم تعرف عيانا إلا الآن في تفسير الجواهر ؟ اليس هذا وأمثاله من أسرار القرآن كانت خافية فظهرت؟ فانا احمد الله وأقول وجب علي نشرها وعلى كل من قرأ هذا التفسير

ولما رأى المسلمون في الاقطار صور النبات وأوراقه الموضوعة وضعا هندسيا بدرجات محددة، مرسوما على هيئة دوائر افقية تارة ورأسية تارة أخرى لآية

(وانبتنا فيها من كل شيء موزون) ورأوا الوزن ظاهراً في الكيمياء العضوية للذرات الداخلة في تركيب النبات في جداول موضحة في الجواهر طلبوا المزيد من هذه العجائب فهل يتسنى لي ان انام عن نشر هذه العلوم التي انعم الله علي بها وجعل أفئدة من المسلمين تهوي الى تفسير الجواهر ووفقني ان أكون على منهج السلف الصالح وان أكسر هذا الجمود المخيم على العقول واتباعد عن المناقشات اللفظية والمجادلات المخزية التي انحطت بها المدارك في الامم الاسلامية، وان افسر القرآن باليقين لا بالظن، ولا اضيع على المسلمين أوقاتهم بتضارب الروايات، وان أرجع بالامة الى سبيلها أيام مجدها وانا واثق بما أقول؟ واذا لم يكن هذا أسرار القرآن وفقه القرآن فهل يكون فقهه في آيات الفقه المعروف وحدها وما هي الا مائة وخمسون آية من نحو ستة آلاف ؟ كلا والله كلا، الفقه علم واحد والعلوم تعد بالعشرات موزعة على آي القرآن وتركها بجهل جميع المسلمين آثمين

اني اذا ما كتمت هذا العلم خوفا من حاسد أو جاهل متبلد فاني اخاف الله رب العالمين، ومن نكب عن هذه الطريقة فذلك لانه مقتصر على ما غلب عليه ونافع بوجهته (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) هذا ما أشهد الله عليه واشهد خواص المسلمين . ان هذه الطريقة قد أرضت الخواص في الشرق والغرب حتى إنهم في الهند وبلاد جاوى وسومتره وشمال افريقيا والفرس وبلاد العراق وبلاد البوسنة والهرسك ببلاد النمسا حفزوني ان أزيد هذه المباحث إيضاحا فلبيت طلبهم وقرأت (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة) الآية فهي هدى وشفاء للذين اوتوا العلم والمقلدون والجهال لايعلمون، وها هوذا الاستاذ صاحب المنار فتح لهم الباب بالاسلوب الحكيم الذي لاجله كتبت هذا المقال وسأتبعه بآخر متى اتسع لي الوقت واتسع صدر المنار ان شاء الله تعالى .

طنطاوي جوهري

[المنار] إنني لا أبخل على هذا الكتاب بنشر هذا الاعلان الطويل له حبا في العلم، ومن حق العلم علي أيضا أن أقول إنني قد راجعت هذا التفسير بعد إعطاء مؤلفه صديقي هذه الرسالة حتى إنني سهرت إحدى الليالي في تصفح الجزء الأول الذي ذكرته في

الفتوى فرأيتني قد ازددت علماً بصحة ما كتبته ولم يظهر لي أنني أخطأت في شيء منه، وإنما ذكرت أحسن ما علمت من فائدة ورأيت كل ما ذكره من المزايا هنا تفصيلا لما أجملت . واقتصرت في انتقاد ما قصر فيه على كلمة وجيزة لئلا أكون منفراً عن كتاب صديق أكرمه وأحسن الظن بعمله وإخلاصه ورأيت أن ما كتبه في انتقادها أو الجواب عنها لا ينقض حرفاً منها، وبياناً لهذا أقول الآن ما يوضح تلك الكلمة في هذا التفسير

الجزء الأول منه يحتوي تفسير الفاتحة والبقرة وهما زهاء جزئين ونصف من أجزاء القرآن الثلاثين وفيها من أصول الدين وفروعه ما ليس في عدة أجزاء منه . وصفحات هذا الجزء ٢٣٨ صفحة كبيرة أكثر ما فيها لا يصح أن يرجع إليه في حقائق تفسيرها ولكنه نافع في نفسه، ومنه ما ليس له مناسبة قوية بالموضع الذي وضع فيه ولبعضه مناسبات قوية في سور أخرى . فأول ما ذكره في تفسير البسملة أنه جعل متعلق الظرف في « بسم » التبرك وفسر (الرحمن) بالمنعم بجلائل النعم و(الرحيم) بدقائقها وهذا هو المشهور الذي يذكره شراح الكتب لخطبها وليس من التحقيق في شيء، وقد بينا التحقيق في الظرف ومعنى الاسمين الكريمين في تفسير المنار ، ولم يذكر حقيقة معنى صفة الرحمة أيضاً . هذا مثل للتقصير في تفسير أول آية في كتاب الله تعالى

ثم إنه شرع بعد هذا التفسير المختصر المنقول في الكلام على عجائب الحشرات من الاكسيلوكوب والنحل والنمل والعنكبوت وغيرها... وكان المناسب أن يؤخر الكلام في عجائب النحل والنمل إلى السورتين المسماتين باسميهما

وأما تفسير سورة البقرة فكان يجب أن نجد فيها البيان المفصل الأوفى لتفسير آيتي التحدي باعجاز القرآن منها وهي قوله تعالى (٢ : ٢٣ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) الخ ورأيته قد اقتصر من تفسيرها على كلمة وجيزة ثانوية في موضعها تقل عن سطر واحد فقال

« ولما لم يكن من المعاندين من العقل والمعرفة ما به يعرفون نظام هذا العالم ويدركون أن الأصنام لا تستحق العبادة أخذ يصف لهم ما جاء على لسان الرسول من البلاغة ويتحدى بما يعجزهم كأنه يقول : إذا اعجزتم عن ادراك ما أبدعته في الارض والسماء ولم تبلغ عقولكم كنهه وغلبت عليكم الجهالة ولم تفهموا إلا

مادار في أنديتكم من أحاديث البلاغة وآيات الفصاحة فاسمعوا لهذا القرآن وإلا فأتوا بمثله . فلما عجزوا أوعدهم بالنار ووعد المتقين بالجنة اه

فهل يصح أن يعد هذا من حقائق تفسير الآيتين اللتين هما أهم آيات السورة بل أهم آيات القرآن كلها في إثبات حقية الرسالة وصدق خاتم النبيين فيما جاء به عن الله تعالى بالبرهان القطعي ؟ اللهم لا ، بل ليس هذا مبينا لمعنى ألفاظ الآيتين ونظمهما ولا مما يفهم منه معناهما الاجمالي فضلا عن بيان مابه كانت سورة من القرآن معجزة وبيان القطع بأنهم لن يأتوا بسورة من مثله .

ولما كان هذا التحدي بالقرآن قد ذكر في سورتي يونس وهود أيضاً راجعت ماكتبه في تفسيرهما لعله استدرك فيه مافاته في تفسير آيتي البقرة فلم أجد فيهما غناء.

ولو شئت أن أورد كثيرا من الشواهد على قولي بانه لايرجع اليه في حقائق تفسير الآيات لفعلت ولا محاباة في العلم والدين

وأما مايورده في التفسير من الاحاديث والآثار فهو ينقله من أي كتاب رآه فيه لايلتزم كتب أئمة الحديث ولا يلتفت إلى تخريجهم وتصحيحهم فيكون منها ماليس بحديث أصلا كالموضوعات ومنها الضعاف والواهيات ولا حاجة إلى إيراد الشواهد على ذلك الا إذا أنكره الاستاذ علينا

واذا كان الاستاذ لم يعن بالتزام الأحاديث الصحيحة والحسنة فيما يورده في تفسيره مع سهولة ذلك بالرجوع الى كتب الصحاح والسنن وكتب الجرح والتعديل فأجدر به أن لايعنى بتمحيص التفسير المأثور عن التابعين ومن بعدهم ولا باجتناب الأسرائيليات الباطلة منها أو التنبيه على بطلانها ، كما ترى في تفسيره لقصة البقرة وهاروت وماروت والذين قال لهم الله موتوا ثم أحياهم والذي أماته الله مائة عام ثم بعثه .

ومما أشرنا إلى انتقاده بعض التأويلات التي انفرد بها ونذكر منه تأويله لمسألة الشفاعة في الجزء الاول فهو قد ذكر تأويلا لابن عربي في غير محله ووعد بأن يرد اليه الآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ولم يفعل ، وقد حررنا هذا في تفسيرنا غير مرة ولا حاجة الى بسطه هنا ، وأما تأويله لنزول المسيح فلم ينفرد به وكان حسبه منه أنه ليس مما ثبت في القرآن

وجملة القول أن مزية هذا التفسير الصحيحة هي ما بينا في الفتوى التي ينتقد صديقنا بعض ما فيها ، وكنت أظن أنه يتعمد ذلك لما كتبه في تقريظ الجزء التاسع من تفسير المنار وهو أن من المفسرين من جعل جل عنايته في مباحث اللغة والبلاغة ومنهم من جعلها في الأحكام الفقهية أو الكلامية وما يتعلق بها الخ ، فاراد هو أن يجعل جل عنايته في التذكير بعجائب صنع الله تعالى في الخلق وحث المسلمين على العلوم التي تتوقف على اتقانها سيادة الدنيا وعزة الامة وقوتها فيها ، ويدل على هذا ما يضعه من الفهارس للاجزاء فان المؤلف يكتب في فهرس كتابه أهم مسائله عنده ، وأنت تجد أول فهرس الجزء الاول الحث على العلوم الكونية في الخطبة وعجائب الحيوان والحشرات والنبات في تفسير الفاتحة الخ ولكن لا نرى فيه ذكرا لاعجاز القرآن والتحدي به، ولا لهدايته، ولا لأهم أصول التشريع التي بيناها بالعدد في أول تفسير السورة من الجزء الاول من تفسيرنا .

ثم إنه ذكر انه اقتدى في طريقته هذه في التفسير بالامام الغزالي أي ما قاله في كتابه جواهر القرآن وكتابه الاحياء — ونقول إنه قد فاته منه غرضه الاسمى ، وهو ما يسميه الغزالي فقه الدين وهو غير فقه الفقهاء الذي يعنون به الاحكام العملية من ظواهر العبادات ووسائلها والمعاملات التي هون صديقنا أمرها تبعا له، وظن أنه عني بما فضله عليها وهو الفقه الحقيقي عنده ، ولكنه لم يعط هذا حقه فيما نرى ، ذلك ان الذي اشربه قلبنا من كتب الغزالي من نشأتنا العلمية الاولى هو ان فقه الدين ولبابه هو ما شرع الله الدين وأنزل القرآن لاجله وهو الهدى والتقوى وتزكية النفس بمعرفة الله تعالى وخشيته والزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة ، وتفسير صديقنا لا يعنى بهذا كما يجب ، وما ينقله من كتب علماء الكون من عجائب المخلوقات جله غير موجه الى هذا الغرض الاسمى وانما هو موجه الى الترغيب في هذه العلوم من جهة كونها وسيلة الى ترقي الحضارة والعمران وأسباب الاستقلال والملك ، ولعمري ان هذا من فروض الكفايات وهو مطلوب في الاسلام كعلم الاحكام العملية ولذلك حمدناه منه وشكرناه له . وحسبنا هذا التذكرة وعسى ان يكون سببا لاستدراك اخينا الاستاذ المفسر لما قصر فيه فيما بقي منه .

أنباء العالم الإسلامي

عيد الجلوس لملك الحجاز ونجد

احتفلت الحكومة الحجازية والشعب الحجازي في شهر شعبان الماضي بذكرى مبايعة الحجاز للملك عبد العزيز آل سعود احتفالا رسميا دعيت اليه كبرى صحف مصر اليومية فأرسلت كل منها مندوبا من محرريها إلى الحجاز حضر الاحتفال وعاد ينظم عقود الثناء على مارأى وسمع في جدة ومكة من الاصلاح المدني والديني وعلى شمائل الامير فيصل نائب ملك الحجاز (والده) وفضائله وقد كان هذان الثناء آن اللذان اتفق فيهما أولئك المندوبون الذين تختلف آراؤهم ومذاهب جرائدهم في كل شيء ذا قيمة عظيمة وتأثير حسن جدا في مصر وفي قراء هذه الجرائد في غير مصر بالطبع بسبب الاتفاق من المختلفين في الرأي والسياسة عليه من ناحية وعدم شبهة المصانعة والمداهنة من الناحية الاخرى، فكان من الدعاية المفيدة التي جاءت من نفسها

وقد أنكر بعض اخواننا السلفيين من هذه الحكومة الشرعية السنية مجاراة الحكومات الدنيوية في ابتداع الاعياد السياسية لذاتها ولما يلزمها من المنكرات عادة كانفاق المال في غير المصارف الشرعية وتكليف الرعية بعض النفقات والاعمال التي ربما لايفعلونها مختارين، وقد رأى القراء الاستفتاء الذي نشرناه عن بعضهم في الجزء الماضي وان بعضهم أسرف فقال بتحريمه مطلقا فأنكرنا هذا الاطلاق الذي يتجرأ على مثله كثير من المتدينين بغير علم وفيه من الخطر على الدين فوق مايدعون تحريمه (كما يعلم مما نقلناه عن الامام أبي يوسف في باب الفتاوى من هذا الجزء) ولا يتضمن انكارنا هذا أننا لم ننكر ذاك بل أنكرناه وان لم نحرمه تحريما، وكتبنا إلى بعض رجال الحكومة بذلك وخصصنا انفاق المال بالذكر، ولو كان لنا رأي فيه لنهينا عنه لأننا نعلم أن جماهير أهل الدين والرأي من المسلمين ومن غيرهم من العقلاء يرون أن التزام هذه الحكومة الاسلامية السذاجة

والقصد واجتنابها للفخفخة ومظاهر العظمة الدنيوية وتقليد المفتونين بها ، هو خير لها ولشعبها ، وأرجى لما يحب جميع المسلمين من قوتها وعزتها ،

وأقول على سبيل الاستطراد انني أحب لهذه الدولة وامامها وآله ورجال دولته ان لا يعنوا بسائر الاحتفالات الدنيوية وما يكون فيها من المدائح الشعرية فوالله ان عمر بن الخطاب كان أعظم في أنفس العرب والعجم من جميع الامم من معاوية وغيره من ملوك الامويين والعباسيين الذين فتنتهم زينة الحياة الدنيا

واننا نقرأ في أخبار العالم عن العلماء والكتاب الذين لقوا الامام عبدالعزيز آل سعود أنهم قد أكبروا من أخلاقه وشمائله التواضع والسذاجة العربية التي تقرب من البداوة مع عنايته بأسباب الحضارة النافعة للشعب كالعمران وتسهيل المواصلات ومراعاة الصحة ونشر التعليم ، وما نحن في نصيحته بمتهمين

فتنة نجد ـ عاقبتها

كتبنا في الجزء الخامس الذي صدر في سلخ جمادى الاولى من هذا العام مقالة عنوانها (الفتنة في نجد — أسبابها ونتائجها) بينا فيها ما ينبغي ان يعتبر به المسلمون منها ، وما للناس ولا سيما أصحاب الصحف من الآراء المختلفة فيها ، وان الذين كبروها في نظر غير العارفين بكنه قوة ملك الحجاز ونجدهم (دعاة الهاشميين) كمحرري جريدة القبلة للملك حسين من قبل عبد الرؤف الصبان وطاهر الدباغ فالأول تولى كبر الارجاف في مصر والثاني تولى كبره في سنغافورة وجاوة ، وكان لسان حالهم في مصر جريدة الاهرام وفي جاوة جريدة حضرموت ، وكانت الاهرام تنشر مقالات بامضاء (عربي مطلع) فلما كتب أحد في الاختلاق ومكابرة الحقائق مثلها .وقد انتهت الفتنة وقبض على فيصل الدويش وجريدة حضرموت تنشر مقالات لدباغ الخبيثة

وفي أثناء هذا النصر المبين نشر مراسل الاهرام (عربي مطلع) ان كل ماينشر من أخبار انهزام فيصل الدويش ومن قرب استيلاء ابن السعود عليهم كذب وارجاف وان الفتنة قد عمت نجد كلها ووصلت الى الحجاز !! فيالله العجب

من جرأة هذا الجاهل ولكن من نشر عجوز الصحف العربية له هذا البهتان المفضوح الذي لا يخفى على محرريها

وكان من أهم مقاصد هؤلاء الناشرين صرف قلوب المسلمين عن أداء فريضة الحج بايهامهم أن أعراب الحجاز قد شرعوا في التألب على الحكومة السعودية وإيقاد نار الثورة عليها بالتبع لقبائل نجد وأنه لا يجيء موسم الحج في آخر سنة ١٣٤٨ الا وقد تقلص ظل الحكومة السعودية عن الحجاز ونجد معا وربما بقي للحرب والقتال بقية تحول دون أداء الفريضة !!

ثم نشرنا في الجزء السادس الذي نشر في سلخ جمادى الآخرة استفتاء من عدن ذكر مرسلوه ان بعض دعاة الفتنة من اعداء ابن السعود شرعوا في نشر فتاوى زعموا فيها أن الحج لا يجب في العام على المسلمين ـ أو ما دام عليه ـ علم التوحيد منشورا في الحجاز، وقد فندنا زعمهم وبينا ان من يستحل صد الناس عن أداء فريضة الحج يكون مرتدا عن الاسلام .

وقد كثر سؤال الناس إيانا في أثناء الفتنة بالمشافهة والمكاتبة عن حقيقة الامر فيها وما نرى من عاقبتها؟ ومما كنا نقوله ان الله تعالى يقول (والعاقبة للمتقين) وستعلمون لمن تكون هذه العاقبة ؟ ومما كتبناه من الاجوبة في المنار اننا لا نظن كما يظن الكثيرون ان الانكليز ينقضون عهدهم مع ملك الحجاز ونجد وكذلك كان

ألف الملك عبد العزيز جيشا من حضر نجد يبلغ زهاء أربعين ألفا فطاردوا العصاة حتى فروا الى حدود الكويت والعراق ثم اضطر فيصل الدويش وابن مشهور من زعماء الدولة وابن حثلين أكبر زعمائهم الى تسليم أنفسهم للانكليز حماة الكويت والعراق وطلبوا أن يكونوا تحت حمايتهم ومن رعيتهم ، وهكذا يكون أهل الدين الخارجين على امامهم بدعوى منعه اياهم من جهاد الكافرين والمشركين !! وكان من هنالك من رجال الانكليز يريدون حمايتهم وجاء في البرقيات العامة أنهم قرروا ارسالهم الى الهند وجعلهم ضيوفا سياسيين في جزيرة سيلان . ولكن ملك الحجاز ونجد ألح في طلبهم ولم يمكن اقناعه بما دون ذلك فجاءت الاوامر من حكومة لندرة باسلامهم له ، فحملوا الى معسكره لدى الحدود في طيارة عسكرية فتسلمهم معتقلين ،

أذلاء صاغرين مخذولين ،وكان ذلك اليوم يوما مشهودا أعز الله فيه عبده وهو العزيز المقتدر الذي وعد بنصر من ينصره ، وكانت العاقبة للمتقين ، كما كنا نقول بهداية الكتاب المبين . وكان تأثير ذلك في معسكره ثم في سائر نجد وغيرها من بلاد العرب عظيما جداً

﴿ الاتفاق العربي بين مملكة الحجاز ونجد ومملكة العراق ﴾

قد كان بدء خروج فيصل الدويش على ملكه وإمامه اعتداؤه على نجد بغزو القبائل والسلب والنهب كدأب قبائل الاعراب في كل حياتهم البدوية ، وكان كثير من الناس يظنون أن ذلك العدوان بايعاز خفي من الملك عبد العزيز وإن أنكره وتنصل منه في الظاهر ، ثم ظهرت الحقيقة فكانت عاقبة نجاح الملك في تأديب الخارجين وما خسره في ذلك من المال وما أدت اليه الفتنة من سفك الدماء النجدية من الجانبين حجة حسية قطعية على حسن نية الملك عبد العزيز ورغبته في الاتفاق وحسن الجوار بين الممالك العربية ولاسيما العراق ، وبذل السعي من قبله وقبل الحكومة العراقية ، في أثناء وجوده بقرب الحدود لعقد مؤتمر عربي يضع قواعد لهذا الاتفاق وأوعزت الحكومة البريطانية الى ممثليها في العراق والخليج الفارسي أن يدخلوا في ذلك وأن يجتمع ملك الحجاز ونجد وملك العراق ويعقدا رابطة الاتفاق بحضرتهم بل في بارجة بريطانية حتى لا يفوتهم شيء مما يجري بينهما، بل يكون كل شيء بموافقتها وكذلك كان ، فالتقى الملكان العربيان في بارجة إنكليزية في ثغر الكويت فتعانقا وتبادلا عبارات الود والاخوة ، واجتمع رجالها فوضعا بمراجعتها مواد مكتوبة لتكون أساساً لكتابة معاهدة رسمية بين الحكومتين مبنية على اعتراف كل منها بالاخرى وتبادل المفوضين الرسميين بينهما ومنع تعدي قبائل كل منهما على الاخرى وتبادل تسليم المجرمين وتنقل العشائر وحل ما يقع من المشكلات على الحدود بالتحكيم ، وأما المشكلة الكبرى ومنشأ كل خلاف وتنازع بينهما وهو ما بنته حكومة العراق من المخافر أو المعاقل العسكرية في المنطقة المختلف عليها بين العراق ونجد فقد تقرر ارجاؤها

ستة أشهر لتأليف لجنة تحكيم من الفريقين يكون حكمها فيه قطعيا يقبله كل منهما . ان لم يتفق كل منهما فيها بالمفاوضة وقد سر جميع زعماء الامة العربية وأهل الرأي فيها ومحبيها من غيرها هذا الاتفاق، وكانوا يودون أن لا يكون للاجنبي شأن في ذلك ولكن هذا فوق الامكان

﴿ كلمة شيخ الازهر السابق في حوادث فلسطين ﴾

نوهنا في مقالنا الذي نشرناه في جزء المنار السادس في موضوع ثورة فلسطين أن أعظم رجال الاسلام في الحكم والعلم قد أيدوا مسلمي فلسطين تجاه عدوان اليهود عليهم ولا سيما ملك الحجاز ونجد وشيخ الازهر وانا نسجل هنا حديثا الثاني نشر في المقطم الذي صدر في ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٤٨ تحت عنوان (رأي ناضج) في حوادث فلسطين وهذا نصه

كتب أحد مندوبي المقطم في الاسكندرية يقول :—

رأيت اهتمام الناس في مصر شديداً بما هو واقع في جارتنا فلسطين من الحوادث الجسام الموجبة للاسف فخطر لي أن أقصد حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر، الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر، وأكبر رأس بين مسلمي الشرق لأستطلع رأي فضيلته في الحوادث المذكورة

قصدت وزارة الاوقاف ببولكلي حيث يشتغل فضيلة الاستاذ من أوائل هذا الصيف في أعماله الخطيرة فلما دخلت مكتبه وكان مكبا على ما بين يديه من الاوراق المكدسة رفع رأسه وقابلني بابتسامته العذبة الخلابة

ولما كنت أعلم أن وقت فضيلته ثمين لا يتسع للتحيات المألوفة بادرته باعلان الغرض الذي جئت لأجله، ثم وجهت الى فضيلته ما عن لي من الاسئلة التي أجابني عليها بصراحة وبلا تردد، وقد دونت ما دار في شكل حديث استأذنت فضيلته في نشره على صفحات المقطم فتفضل وأذن لي بذلك خدمة للمصلحة العامة

وإظهاراً لرأي يمثل الرأي العام في مصر في هذا الشأن وهذا نص الحديث:—

س — ما رأي فضيلتك في حوادث فلسطين ؟

ج — ان حوادث فلسطين مأساة تدعو الى أشد الاسف والحزن

س — هل ترى أن سبب هذه الحوادث يرجع الى الدين ؟

ج — لا أعتقد هذا فان المسلمين وسعوا مخالفيهم في الدين في جميع العصور الماضية وعاملوهم بمنتهى الكرم حتى كانت هذه المعاملة من أهم الاسباب الباعثة على انتشار الدين الاسلامي . ولكن أرى ان أسبابا مدنية خلطت أو سترت بأسباب دينية فأثارت كوامن الحقد . والخلاف الديني سواء كان حقيقاً أم مصطنعا يفعل في الجماهير ما لا تفعله الاسباب المدنية وحدها

ويظهر ان العرب والمسلمين في فلسطين يرون نفوذهم يتقلص في بلادهم ويخشون عاقبة خروج البلاد من أيديهم ووقوع الآثار المقدسة والمسجد الاقصى تحت سلطان غيرهم وهذا في نظرهم موت مادي وأدبي

س — ما هو طريق استئصال هذه الفتن ؟

ج — لقد عهد الناس في الدولة البريطانية المحافظة على التقاليد واحترام العقائد والعواطف والرجاء معقود بأن تعمل بريطانيا العظمى على استئصال أسباب الخلاف ليعيش الناس في سلام وتهدأ تلك النفوس الثائرة، والمسلمون لا يحتملون أي اعتداء كان على المسجد الاقصى ومن شأن ذلك أن يستفز عواطفهم في جميع الاقطار الاسلامية

س — قيل ان العلماء يريدون بحث الحالة والاحتجاج على حوادث فلسطين

ج — لا شك أن علماء الازهر يشاركون اخوانهم العرب في مصائبهم وآلامهم ويستنكرون الاعتداء عليهم ولكنهم لا يريدون الاسراع في حكمهم ويفضلون انتظار نتيجة التحقيق الذي نؤمل أن يتم بطريقة منزهة عن الغرض بعيدة عن التحيز وأن يؤدي آخر الامر الى اصدار حكم في مصلحة العرب والمسلمين

﴿ تهنئة المنار لجريدة الفطرة الاسلامية ﴾

لما وصلت الينا الاعداد الاولى من جريدة الفطرة بعد جعلها يومية بادرنا الى تهنئتها بكتاب خاص ولم نحب ان نؤخر التهنئة الى ان يصدر جزء من المنار يفتح فيه باب التقريظ ، فنشرت كتابنا مع مقدمة له تتضمن ذكر التعاون بين الصحيفتين فرأينا ان ننشر ذلك لهذا الغرض نفسه ، وهذا نص ما جاء فيها .

كتاب كريم من علامة أكرم

ورد علينا الكتاب الكريم ، الذي سنتشرف بنشره في هذه الصحيفة ، من حضرة العلامة المفضال والفهامة الاسنى الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة « المنار » الاسلامية وصاحبها التي نشاركها في بث الدعوة الاسلامية جهارا ونزامها في قطع دابر الزندقة والزنادقة والالحاد والملحدين من بني قومنا وسواهم ، ويرى حضرة القارئ شدة تيتظ الاستاذ الرشيد الجليل الى صحيفتنا وشدة طربه بظهورها يوميا وتقديره قدرها من الجهاد في تعزيز المبادئ الاسلامية ، والغاية التي فيها مجد هذه الملة الحنيفية ، ما لو شاركه فيه بقية العلماء لـكان في مصر اليوم صحيفة يومية اسلامية تتفوق على اكبر جريدة في العالم

على انا نحن أعرف الناس بما يقيم حضرة الاستاذ من اقامة الدين الحق والجهاد في تعزيزه ، وما يكابده في تلك الشرعة العظمى من الجهاد الدائب والنصب ما هو من شمائل أولي العزم الذين لا تلويهم لاوية عن نصرة هذا الدين الذي كثر محاربوه اليوم حتى ممن يدعون الانتساب اليه

على أن ما يلاقيه جناب الاستاذ الاكبر من مثالب عباد الوسطاء والشفعاء ، وأهل الغلو في الدين ، والمبتدعة من نابتة التفرنج ، وعشاق التبرج الجاهلي المسمى بالتجدد العصري للخنا والفجور ، لا يمكن أن يكافحه ويجالده إلا من كان مثله صابراً مرابطا معتمدا في جهاده على العزيز العليم . وقد اندمجنا في طريقته (طريقة أهل اليقين) ونحن على وثوق في أننا سنكون الغالبين ان شاء الله ، لان هذا هو وعد الله وإن وعد الله حق وهو أصدق القائلين (ألا إن حزب الله هم الغالبون)

ننشر كتاب جناب الاستاذ الذي رفعنا به بفضله ومحض كرمه ونحن نحض جميع الغيورين على التضافر في الاشتراك بمجلة (المنار) التي يجاهد فيها الاستاذ ويناضل عن الدين

وفضائله والاسلام ومجددو آدابه في سائر مرافق الحياة الراقية. ونأمل من كل من يستلمها من قبل ، أن يكون عند الحد المفروض على كل شهم ذي مروءة فيبعث لجنابه بالاشتراك فورا ويسلفه به وبكل متأخر في الذمة ، إيفاء بالحق وقياما بالواجب

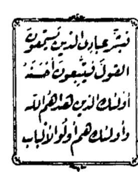
وهذا هو كتاب فضيلته حقق الله له ولنا كبار الآمال، أمدنا بروح منه ، انه هو الكبير المتعال، قل حضرته لا فض فوه ولا كل في الحق قلمه

مصر في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٨ هجري الموافق ٢٢ تشرين ٢ سنة ١٩٢٩ م

حضرة الزميلين الكريمين خادمي الملة الاسلامية والامة العربية صاحب ورئيس تحرير صحيفة الفطرة الغراء .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد فانني أهنئكما بما وفقتما له وما صادفتماه من الفوز بجعل الفطرة جريدة يومية، وأشكر لجاليتنا الكريمة في الارجنتين مساعدتها الثمينة على ذلك ولا سيما المتبرعين بالدراهم وأتمنى للفطرة دوام التوفيق والارتقاء ،وأحمد الله تعالى أن رأيت اخواننا المسلمين قد تنبهوا لما كانوا غافلين عنه من أسباب ضعفهم في دينهم ودنياهم، وما بين سعادتي الدارين من الارتباط والاشتراك في الاسلام على فشو الالحاد والفسق في هذا الزمان ، ولقد شرعت في ايقاظ المسلمين ودعوتهم الى الاصلاح الديني والمدني والسياسي منذ ثلث قرن فلقيت منهم مقاومة وايذاء شديدا ،وبقيت الى السنة الخامسة من انشاء المنار مدينا لبعض الاصدقاء بشيء من المال، ولم ألق من أحد من أغنيائهم وكبرائهم مساعدة مالية تذكر، فالحمد لله ثم الحمد لله ان أحياني حتى شاهدت الصحف التي تخدم الاسلام تؤيد وتعضد، وان كانت الفطرة لم تصر جريدة يومية إلا بعد سلخ سبع سنين كاملة في مضيق الأسبوع ، فان هذا ليس بكثير في جالية قليلة لا يبلغ عدد المسلمين فيها عدد مدينة كبيرة من مدن القطر المصري ، وقد عجز مسلمو مصر الى اليوم عن انشاء جريدة يومية تخدم الاسلام وتناضل دونه وان لم تمكن دينية محضة كما كانت جريدة المؤيد. والسلام عليكم وعلى من لديكم من الاعوان والاخوان من الزميل المخلص منشيء المنار

محمد رشيد رضا







قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٤٨ هـ ٨ برج الثور سنة ١٣٠٨ هـ ش ٢٩ إبريل سنة ١٩٣٠

فتاوى المنار

تتمة البحث في حقيقة ربا القرآن

اقوال أشهر المفسرين في ربا القرآن

(من المجتهدين والمنتسبين الى المذاهب المشهورة)

ما قاله ابن جرير

قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ في تفسيره (جامع البيان) في الكلام على قوله تعالى (الذين يأكلون الربا) الخ ما نصه :

« يعني بذلك جل ثناؤه الذين يربون . والارباء الزيادة على الشيء يقال منه : أربى فلان على فلان — إذا زاد عليه — يربي إرباء ، والزيادة هي الربا . وربا الشيء إذا زاد على ما كان عليه فعظم فهو يربو ربواً . وانما قيل الرابية لزيادتها في العظم والاشراف على ما استوى من الارض مما حولها من قولهم ربا يربو ومن ذلك قيل فلان في ربا قومه ، يراد انه في رفعة وشرف منهم . فأصل الربا الانافة والزيادة ثم يقال أربى فلان أي أناف صيره زائداً [١] »

« وانما قيل للمربي مرب لتضعيفه المال الذي كان على غريمه حالا أو لزيادته عليه فيه لسبب الاجل الذي يؤخره اليه فيزيده الى أجله الذي كان له قبل حل دينه عليه . ولذلك قال جل ثناؤه (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) وبمثل الذي قلنا قال اهل التأويل »

ثم روى عن مجاهد انه قال في الربا الذي نهى الله عنه : كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول لك كذا وكذا وتؤخر عني ، فيؤخر عنه . وعن

(١) كذا في الأصل المطبوع في المطبعة الاميرية ويظهر أنه سقط منه مرجع الضمير المنصوب في « صيره » ولعله المال

قتادة قال ان ربا الجاهلية يبيع الرجل البيع الى أجل مسمى فاذا حل الاجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخر عنه[وهنا ذكر تفسير الوعيد بتشبيه آكلي الربا بمن يتخبطه الشيطان من المس] ثم قال في تفسير (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) مانصه:

يعني بذلك جل ثناؤه ذلك الذي وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم كقيام الذي يتخبطه الشيطان من المس من الجنون ، فقال تعالى ذكره هذا الذي ذكرنا انه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ما حل بهم من أجل انهم كانوا في الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون انما البيع الذي أحله الله لعباده مثل الربا . وذلك ان الذين يأكلون الربا من اهل الجاهلية كانوا اذا حل مال احدهم على غريمه يقول الغريم لغريم الحق زدني في الاجل وأزيدك في مالك . فكان يقال لهما إذا فعلا ذلك هذا ربا لايحل فاذا قيل لهما ذلك قالا سواء علينا زدنا في اول البيع اوعند محل المال فكذبهم الله في قيلهم فقال (وأحل الله البيع)إلى آخر الآية ذكرها ، وقال في تفسيرها مانصه :

يعني جل ثناؤه وأحل الله الأرباح في التجارة والشراء والبيع ، وحرم الربا يعني الزيادة التي يزاد رب المال بسبب زيادة غريمه في الاجل وتأخير دينه عليه يقول عز وجل وليست الزيادتان اللتان إحداهما من وجه البيع والاخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الاجل سواء الخ

فأنت ترى انه حصر الربا المراد من الآية في ربا الجاهلية وبين ان ربا الجاهلية خاص بأخذ الزيادة من المال لاجل تأخير اجل الدين بعد استحقاقه ، وهذا يشمل ما كان من الدين قرضاً وما كان ثمن مبيع على قول قتادة ومن المفسرين من يقول ان كل ديونهم في الجاهلية كانت قروضا ولم يكونوا يعرفون البيع الى أجل كما ستراه في النقول الآتية . ولم يفهم المفتي الهندي هذا مع شدة ظهوره لما تمكن في نفسه من تقليد الحنفية وما فهمه منه فجعله أصلا يرد اليه غيره فان وافقه وإلا رده من أصله وحكم بأنه خطأ

ماقاله الجصاص

قال العلامة ابوبكر احمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠ في تفسيره (أحكام القرآن) بعد ان بين في تفسير آيات البقرة لفظ الربا في اللغة وإطلاق النبي ﷺ اياه على ربا النسيئة في حديث اسامة بن زيد وجعل عمر منه السلم في السن وقول جماعة الحنفية انه مجمل بينته السنة وبينه ﷺ نصاً وتوقيفا ـ بعد هذا قال

« والربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله انما كان قرض الدراهم والدنانير الى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على مايتراضون به . ولم يكونوا يعرفون البيع بالنقد وإذا كان متفاضلا من جنس واحد (؟) هذا كان المتعارف المشهور بينهم ولذلك قال تعالى (وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله) فأخبر أن تلك الزيادة المشروطة انما كانت ربا في المال العين لانه لاعوض لها من جهة المقرض . وقال تعالى (لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) اخباراً عن الحال التي خرج عليها الكلام من شرط الزيادة اضعافا مضاعفة ، فأبطل الله الربا الذي كانوا يتعاملون به ، وأبطل ضروبا اخرى من البياعات وسماها ربا فانتظم قوله تعالى (وحرم الربا) تحريم جميعها لشمول الاسم عليها من طريق الشرع ، ولم يكن تعاملهم بالربا إلا على الوجه الذي ذكرنا من قرض دراهم ودنانير الى أجل مع شرط الزيادة اه وقد ذكر بعده مايدخل في عموم اللفظ من المعاني بناء على قول اصحابه بأنه مجمل بينته الاحاديث

ماقاله الكيا الهراسي (*)

قال العلامة الكيا الهراسي من محققي الشافعية في تفسيره لآيات سورة البقرة

(*) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري وكان لقبه عماد الدين ثم اشتهر بلقب الكيا الهراسي والكيا بكسر الكاف وفتح الياء المثناة ومعناها باللغة العجمية الكبير القدر المقدم بين الناس قاله ابن خلكان ولم يذكر الهراسي الى أي شيء ينسب . ولد سنة خمسين وأربعمائة وتوفي سنة اربع وخمسمائة . قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الامام شمس الاسلام أبو الحسن الجويني الكيا الهراسي الملقب عماد الدين احد فحول العلماء ورءوس الائمة فقها وأصولا وجدلا وحفظا لمتون احاديث الاحكام . ثم ذكر انه تخرج بامام الحرمين وقال ـ كابن خلكان ـ وكان ثاني الغزالي بل أملح وأطيب في النظر والصوت، وأبين في العبارة والتقرير منه، وان كان الغزالي احد وأصوب خاطرا وأسرع بيانا وعبارة منه. ومما قاله فيه: وكان يحفظ الحديث ويناظر فيه وهو القائل:
اذا جالت فرسان الاحاديث في ميادين الكفاح ، طارت رءوس المقاييس في مهاب الرياح .

من كتابه (أحكام القرآن)المحفوظ في المكتبة المصرية العامة مانصه :

الربا في اللغة الزيادة وربما لاتعرف العرب بيع الدرهم بالدرهم نساء إلا أن الشرع أثبت زيادات جائزة وحرم أنواعا من الزيادة ، فجوز الزيادة من جهة الجودة ولم يجوز (الزيادة) من جهة المدة . وإذا اختلف الجنس يجوز بيع بعضه ببعض متفاضلا نقدا متماثلا نسيئة . وكل ذلك لايقتضيه لفظ الربا . ولكن ذلك لايمنع التعلق بعموم اللفظ ، وعموم اللفظ يقتضي تحريم الزيادة مطلقا إلا ماخصه الشرع

قال:(وأحل الله البيع) يقتضي جواز ما لا زيادة فيه الا ماخصه الشرع فنحن نحتاج الى البيان فيما لم يرد باللفظ ، وفي تخصيص بعض ماأريد باللفظ ، والله تعالى حرم الربا ، فمن الربا ماكانوا يعتادونه في الجاهلية من إقراض الدنانير والدراهم بزيادة ، والنوع الآخر اسلام الدراهم في الدراهم والدنانير من غير زيادة

(قال) ورأى ابن عباس أن سياق الآية يدل على أن المذكور في كتاب الله ربا النساء لاربا الفضل فانه قال (فله ماسلف * وذروا ما بقي من الربا) وقال (وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) وقال تعالى (وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون) وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع «كل ربا موضوع ولكم رءوس أموالكم ...(وذكر الحديث)

(ثم قال) واذ كان الربا ينقسم أقساما فالذي في القرآن يدل على تحريم الزيادة من غير نظر في جنس المال لان ذلك يعد زيادة في الشيء ولا يقال كل الربا (؟)

ومن أجل ذلك جوز بعض العلماء وهو مالك الأجل في القرض إلا أنا منعناه من ذلك لامن جهة الآية بل من جهة أخرى . والذي كان في الجاهلية كان القرض زيادة وما كانوا يؤجلون الا [1] ة في نفس الشيء

ونقل عن الشافعي أن لفظ الربا لما كان غير [2]معلوم أورث إجمالا في البيع . والصحيح ان الربا غير مجمل ولا البيع كما ذكرناه فان مالا زيادة فيه جار على حكم عموم البيع . نعم خص من الربا زيادة أبيحت وخص من البيع بياعات نهي عنها وعموم اللفظ معتبر فيما سوى المخصص

(١)ههنا كلمة مطموسة أيضا ولعلها نسيئة (٢) قد طمس أول هذه الكلمة

ورد الله تعالى على المشركين في قولهم (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) وذلك أنهم زعموا بأنه لافرق بين الزيادة المأخوذة على وجه الربا وبين الارباح المكتسبة بضروب البياعات من حيث غاب عنهم وجه المصلحة وتحريم الزيادة على وجه دون وجه فأبان الله تعالى أنه عز وجل إذا حرم الربا وأحل البيع فلابد أن يشتمل المنهي على مفسدة والمباح على مصلحة وان غائبا عن مرأى نظر العباد فعلى هذا كل ماوجد فيه حد البيع فيجوز أن يحتج فيه بعموم البيع اه ماقاله الكيا الهراسي في الموضوع ، وقد علمت ان الامام الشافعي رجح ان لفظ البيع عام لامجمل

(٢) ماقاله القرطبي

قال العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن أحمد الانصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ وهو من محققي المالكية في مسائل آيات البقرة من تفسيره المشهور (جامع أحكام القرآن) وهو المتعلق بموضوعنا

(الرابعة عشرة) قوله تعالى (إنما البيع مثل الربا) أي ان الزيادة عند حلول الاجل آخراً كمثل أصل الثمن في اول العقد . وذلك ان العرب كانت لاتعرف ربا إلا ذلك ، فكانت إذا حل دينها قلت للغريم اما أن تقضي واما أن تربي — أي تزيد في الدين . فحرم الله سبحانه ذلك ورد عليهم قولهم بقوله الحق (وأحل الله البيع وحرم الربا) وأوضح ان الأجل إذا حل ولم يكن عنده مايؤدي أنظر إلى الميسرة . وهذا الربا هو الذي نسخه النبي ﷺ بقوله يوم عرفة « الا ان كل ربا موضوع وأول ربا أضعه ربا ناربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله» فبدأ ﷺ بعمه وأخص الناس به

(ثم قال) (الخامسة عشرة) قوله تعالى (وأحل الله البيع) هذا من عموم القرآن والالف واللام للجنس لا للعهد إذ لم يتقدم بيع مذكور يرجع اليه كما قال تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر) ثم استثنى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) واذ ثبت ان البيع عام فهو مخصوص بما ذكرنا من الربا وغير ذلك مما نهي عنه ومنع العقد عليه كالخمر والميتة وحبل الحبلة وغير ذلك مما هو ثابت في السنة واجماع الامة النهي عنه . ونظيره (اقتلوا المشركين) وسائر الظواهر

هي التي تقتضي العمومات ويدخلها التخصيص. وهذا مذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم هو من مجمل القرآن الذي فسر بالمحلل من البيع وبالمحرم من الربا فلا يمكن أن يستعمل به إحلال البيع وتحريمه الا أن يقترن به بيان من سنة الرسول ﷺ وان دل على اباحة البيوع في الجملة والتفصيل . وهذا فرق مابين العموم والمجمل فالعموم يدل على اباحة البيوع في الجملة والتفصيل ما لم يخص بدليل ، والمجمل لايدل على إباحتها في التفصيل حتى يقترن به بيان . والاول أصح والله أعلم

(المسألة الثامنة عشرة) قوله (وحرم الربا) الألف واللام هنا للعهد وهو ماكانت العرب تفعله كما بيناه. ثم تناول ماحرمه رسول الله ﷺ ونهى عنه من البيع الذى يدخله الربا وما في معناه من البيوع المنهي عنها اه

(٤) ما قاله الطبرسي

قال العلامة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطبرسي المتوفى سنة ٥٦١ في تفسيره (مجمع البيان) وهو من محققي الامامية :

(ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) معناه بسبب قولهم انما البيع الذي لا ربا فيه مثل البيع الذي فيه الربا قال ابن عباس كان الرجل منهم إذا حل دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه : زدني في الاجل وأزيدك في المال، فيتراضيان عليه ويعملان به، فاذا قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء يعنون بذلك أن الزيادة في الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الاجل عند محل الدين سواء ،فذمهم الله به وألحق الوعيد بهم ، وخطأهم في ذلك بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) أي أحل الله البيع الذي لا ربا فيه وحرم النوع الذي فيه الربا، والفرق بينهما أن الزيادة في احدهما لتأخير الدين وفي الآخر لاجل البيع وأيضا فن البيع بدل لبدل ، لان الثمن فيه بدل المثمن ، والربا زيادة من غير بدل للتأخير في الاجل أو زيادة في الجنس. والمنصوص عن النبي تحريم التفاضل في ستة أشياء الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وقيل الزبيب قال (ع) « الا مثلا بمثل يدا بيد من زاد أو استزاد فقد أربى »لا خلاف في حصول الربا في هذه الاشياء الستة وفي غيرها خلاف بين الفقهاء اه

اقوال المحدثين فى ربا القرآن

روى مالك عن زيد بن أسلم في تفسير آية آل عمران قال كان الربا في الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل حق الى أجل فاذا حل قال أتقضي أم تربي ، فان قضاه أخذ وإلا زاده في حقه وزاد الآخر في الأجل . ذكره الحافظ في الفتح . وذكر الحنابلة عن أحمد مثله وانه سئل عن الربا الذي لايشك فأجاب بمثله

وروى الطحاوي محدث الحنفية في أول باب الربا من كتابه (معاني الآثار) حديث ابن عباس عن أسامة بن زيد (رض) «انما الربا في النسيئة» (وسيأتي) ثم قال:

(قال أبو جعفر) فذهب قوم الى أن بيع الفضة بالفضة والذهب مثلين بمثل جائز اذا كان يداً بيد . واحتجوا في ذلك بما رويناه عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ وخالفهم في ذلك آخرون فقالوا لا يجوز بيع الفضة بالفضة ولا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل سواء بسواء يداً بيد

وكانت الحجة لهم في تأويل حديث ابن عباس عن أسامة (رض) الذي ذكرناه في الفصل الاول ان ذلك الربا انما عنى به ربا القرآن الذي كان أصله في النسيئة ، وذلك ان الرجل كان يكون له على صاحبه الدين فيقول أجلني منه الى كذا وكذا بكذا وكذا درهما أزيدكها في دينك ، فيكون مشتريا لاجل بدل فنهاهم الله عز وجل عن ذلك بقوله (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا إن كنتم مؤمنين) ثم جاءت السنة بعد ذلك بتحريم الربا في التفاضل في الذهب بالذهب والفضة بالفضة وسائر الاشياء المكيلات والموزونات على ماذكره عبادة بن الصامت (رض) عن رسول الله ﷺ فيما رويناه عنه فيما تقدم من كتابنا هذا في باب بيع الحنطة بالشعير فكان ذلك ربا حرم بالسنة وتواترت به الآثار عن رسول الله ﷺ حتى قامت بها الحجة ، والدليل على ان ذلك الربا المحرم في هذه الآثار هو غير الربا الذي رواه ابن عباس عن أسامة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ رجوع ابن عباس رضي الله عنهما الى ماحدثه به أبو سعيد (رض) عن رسول الله ﷺ مما قد ذكرناه في هذا الباب فلو كان ماحدثه به

ابو سعيد (رض) من ذلك في المعنى الذي كان أسامة (رض) حدثه به إذاً لما كان حديث أبي سعيد عنده بأولى من حديث أسامة (رض) ولكنه لم يكن علم بتحريم رسول الله ﷺ هذا الربا حتى حدثه به أبو سعيد (رض) فعلم ان ما كان حدثه به أسامة (رض) عن رسول الله ﷺ كان في ربا غير ذلك الربا اه

أقول أما حديث أسامة فقد رواه الشيخان وغيرهما كما تقدم ومنهم الطحاوي من طريق ابن عباس وكان ابن عباس يفتي به وروى مسلم ان أبا نضرة سأله عن الصرف فقال أيداً بيد ؟ قلت نعم قال فلا بأس — ورووا ان ذلك ذكر لأبي سعيد الخدري (رض) وان أبا سعيد سأل ابن عباس عن قوله ؟ أسمعته من النبي ﷺ أم وجدته في كتاب الله تعالى فقال كل ذلك لا قول وأنت أعلم برسول الله مني ولكن أخبرني اسامة ان النبي ﷺ قال «لا ربا إلا في النسيئة» هذا لفظ البخاري وذكر الطحاوي ان أبا سعيد قال له : أشهد إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما» وذكر انه نزع عن هذه الفتوى. وروى الحاكم من طريق حيان العدوي ان أبا سعيد ذكر له حديث التمر بالتمر الخ فاستغفر وتاب عن ذلك . وحيان ضعفه غير واحد

قال الحافظ في الفتح : واتفق العلماء على صحة حديث اسامة واختلفوا في الجمع بينه وبين حديث أبي سعيد فقيل منسوخ ، ولكن النسخ يثبت بالاحتمال - وقيل المعنى في قوله « لا ربا » الربا الاغلظ المتوعد عليه بالعقاب الشديد كما تقول العرب : لا عالم في البلد إلا زيد — مع ان فيها علماء غيره وانما القصد نفي الاكمل لا نفي الأصل . وأيضاً فنفي تحريم ربا الفضل من حديث اسامة انما هو بالمفهوم فيقدم عليه حديث أبي سعيد لان دلالته بالمنطوق ويحمل حديث اسامة على الربا الاكبر كما تقدم والله أعلم اه

وهذا الاخير هو الصحيح المعتمد كما وضحه الطحاوي والقول بأن دلالة حديث اسامة على نفي ربا الفضل دلالة مفهوم غير صحيح فان قوله «لا ربا» نفي لجنس الربا فيدخل في عمومه ربا الفضل بالنص ، وقوله « إلا في النسيئة» استثناء من العموم فبقي غيره منفياً ، وهل يقول الحافظ ان نفي كلمة التوحيد لألوهية غير الله تعالى بالمفهوم ؟

تحقيق معنى السنة

وبيان الحاجة اليها

﴿ ترجمة مقال للعلامة السيد سليمان الندوي الهندي ﴾

﴿ كلمة للمترجم ﴾ من المصائب التي ابتلي بها المسلمون في هذا العصر انتشار فرقة دعواها أن قانون الاسلام هو (القرآن وحده) وان السنة انما كانت أحكاما مؤقتة لأهل عصر النبي عليه السلام، والآن أصبحت عديمة الجدوى ، فهي تنكر الاحتجاج والعمل بالحديث مهما بلغت درجته من الصحة والشهرة والقبول عند علماء المسلمين ، وهذه الطائفة توجد في سائر الممالك الاسلامية ولكنها في الهند أخذت شكلا منظما وسمت نفسها (أهل القرآن) وألفت كتبا ورسائل كثيرة ، ولا زالت تنشر المقالات في المجلات الهندية ، وقد رد عليها علماء الهند أحسن رد جزاهم الله خيراً ومنهم حضرة الاستاذ السيد سليمان الندوي فانه كتب مقالة نفيسة في مجلته الشهيرة (معارف) الهندية في الرد على هؤلاء بكلام معقول ،فأحببت ترجمتها بتصرف يسير لعل الله ينفع بها من لا يمكنه الاطلاع على أصلها ، والله الموفق

المترجم

عبد الوهاب بن عبد الجبار الدهلوي

بمكة المكرمة

قال الاستاذ حفظه الله :

تمهيد

يسرنا ويسوءنا معا حال بعض شباننا المتعلمين ،يسرنا أنهم وجهوا قسطا من عنايتهم إلى البحث عن المسائل الدينية ولم يعتبروا ذلك تضييعاً لأوقاتهم ،ولم يعدوا الدين شيئا عبثا لا يستحق العناية والاهتمام ، فمن هذه الجهة يستحقون المدح والشكر. ويسوءنا أنهم ينشرون آراءهم ونتيجة أبحاثهم ويدعون المسلمين اليها قبل التحقيق التام ، وعرضها على العلماء الاعلام ، وهذا يؤدي الى إضلال كثير من العوام واشاعة الحق وان كانت واجبة يجب على من يقوم بها ان يتثبت ويتحقق اولا كون ذلك الشيء حقا ثم يسعى في نشره والا كان اثمه أكبر من نفعه

هؤلاء الشبان يدعون أنهم قادرون على استنباط كل شيء من القرآن الشريف بدون رجوع الى بيان صاحب الرسالة الذي أنزل عليه القرآن فتراهم يكثرون من ذكر المسائل العجيبة التي استنبطوها بزعمهم من القرآن ، ويردون كل ما ثبت بالسنة ولم يجدوه في القرآن .ومن الغريب أن كثيراً من الاحكام التي يردونها نجد أصلها موجوداً في القرآن عند امعان النظر ،وأغرب من ذلك تناقضهم واختلافهم في ما يستنبطون من القرآن فكل واحد منهم مستقل بنفسه مخالف للآخر

كيف نفهم القرآن

قد كتبت مراراً ان البحث في هذه المسائل الجزئية — التي يستنبطونها والتي يردونها — لا تجدي نفعاً بل يجب ان نبحث في المسائل العامة ، والقواعد الكلية التي تشمل هذه الجزئيات كلها ، فاول مايجب تمحيصه من هذه المسائل هو : كيف نفهم القرآن ؟ أو بعبارة أعم من هذه : كيف نفهم مراد القائل من كلامه ؟ لايخفى ان علم أصول الفقه جل مباحثه تدور حول هذه المسئلة أعني طريقة فهم معنى الكلام والاستنباط منه مثلا اذا وردت في القرآن الكريم كلمة لها معاني متعددة عند العرب، أو كلمة لها معنى حقيقي ومعنى مجازي، فكيف نعين المعنى المراد بتلك الكلمة ؟ أو ورد لفظ عام فكيف نعلم ان المقصود منه جميع

أفراده أو بعضها ؟ أو ورد حكم مطلق فكيف نعرف هل هو باق على إطلاقه أم استثني منه شيء ؟[1] الى غير ذلك من المسائل

وهناك أمر آخر وهو ان المعاني المفهومة من الكلام على انواع فمنها ما يفهم من ألفاظه صراحة ، ومنها ما يفهم منه بطريق الاشارة والكناية، ومنها ما يفهم من سياق الكلام ، فلا يقال لشيء منها ان هذا الكلام لا يشمله فكذلك الامر في القرآن أعني اذا كان الشيء غير مذكور فيه صراحة ولكنه يفهم من سياقه أو اشاراته فلا يقال إنه ليس في القرآن مطلقاً

النبي كان مأموراً بتبيين القرآن

قال الله تعالى مخاطبا لنبيه عليه السلام (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون) فلاجل هذا كان الصحابة يرجعون اليه في فهم كل ما اشكل عليهم فهمه أو استنباطه من القرآن ، ويستفتونه فيما يقع لهم من الحوادث، فيبين لهم النبي عليه السلام ما أشكل عليهم ويعلمهم ماخفي عليهم، مثلا نزلت آيات الصيام ولم يذكر فيها حكم الاكل والشرب بالنسيان في الصوم فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال يارسول الله أكلت ناسياً في الصوم فافتاه النبي ﷺ بان صومه صحيح ، لأن الخطأ والنسيان معفو عنهما مستنبطا من قوله تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) فهل يقال ان هذا الحديث مخالف للقرآن لانه ليس فيه ان الصوم لا يفسده الاكل بالنسيان أو يقال إنه لم يكن للنبي عليه السلام ان يستنبط هذا الحكم من الآية الاخرى التي لا تتعلق بالصوم ؟

وهنا نريد ان نسأل هؤلاء المنكرين على الحديث . اذا كان يجوز لكم ان تستنبطوا من القرآن كل ما تريدون ؟ وتفسرونه كما تفهمون ، مع بعدكم عن العصر والمحيط اللذين نزل فيهما القرآن ،ومع كونكم أعجاما من غير أهل

---

[1]) المنار : الذي يقابل الاطلاق هو التقييد ، والاستثناء مما يخصص العام ، ولا ندري هل عبر الاستاذ باللفظ الاصطلاحي فيهما وتصرف فيه المترجم أم هو الذي تعمد ترك الاصطلاح لافهام الجمهور .

اللسان ، أفما كان يحق هذا لمن نزل عليه القرآن وأمر بتبيينه وكان أفصح أهل اللسان؟ بلى هو أحق الناس بالبيان والاستنباط من القرآن.

تفاوت الأفهام

ثم لايخفى على أحد أن كل النـاس ليسوا سواء في الاستعداد والفهم، وصفاء الذهن ، ولهذا السبب يقرأ القرآن الحكيم كل أحد ولكنهم يختلفون في فهم معانيه ، فالعالم يفهم منه مالا يفهمه الجاهل ، والعلماء أيضا متفاوتون في الفهم والعلم — (وفوق كل ذي علم عليم) وقد أمرنا الله تعالى بالرجوع إلى العلماء في قوله (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) وبين اختلاف الناس في درجات الفهم بقوله (هل يستوي الذين يعـلمون والذين لايعـلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)

كيف وجدت الأحاديث

إذا سلمنا هذين الامرين أعني أن النبي عليه السلام كان مأموراً بتبيين القرآن وأحق الناس به وبالاستنباط منه ، وأن الناس متفاتون في الاستعداد والفهم فلنتصور أنه إذا نزل حكم في القرآن في واقعة ما ثم بعد ذلك حدثت حادثة أخرى مثلها أو تشابهها أو تختلف عنها قليلا في الظاهر واشتبه على بعض الصحابة أن ذلك الحكم هل ينطبق على هذه الحادثة الجديدة أم لا ؟ فما الطريقة المعقولة لحل هذا الاشكال ؟ أليست الطريقة المعقولة أن يرجعوا إلى صاحب الوحي ويسألوه عن ذلك ؟ فاذا سألوا النبي عليه السلام فماذا كان يجب عليه أن يعمله ؟ أيسكت عن جوابهم ويتركهم حيارى ؟ أم يكتفي بتلاوة الآية التي مافهموها تماما ولم يظهر لهم وجه انطباقها على الواقعة الجديدة ؟ أم يوضح لهم ماأشكل عليهم بحيث يطمئن اليه الخاطر ؟ لاشك أن الصورة الأخيرة هى المتعينة ؟ فاذا أجاب على سؤالهم وبين لهم مااشتبه عليهم فهل كان يحرم عليهم أن يخبروا غيرهم بتلك القصة ، أو اذا وقعت تلك المسئلة لغيرهم فهل كان محظوراً عليهم أن يعلموه كما علمهم الرسول عليه السلام ؟ لا أظن أن عاقلا يقول بهذا ، بل كل عاقل يقول انه كان الواجب

عليهم تعليم الجاهل وهداية الجيران وكذلك فعلوا فهذا هو (الحديث) في اصطلاح المسلمين —

الرواية أمر ضروري

لامندوحة لعلم من العلوم ولا لشأن من شؤون الدنيا عن النقل والرواية — لأنه لايمكن لكل انسان أن يكون حاضراً في كل الحوادث فاذاً لايتصور علم الوقائع للغائبين عنها إلا بطريق الرواية شفاهاً أو تحريراً ، وكذلك المولودون بعد تلك الحوادث لايمكنهم العلم بها إلا بالرواية عمن قبلهم . هذه تواريخ الأمم الغابرة والحاضرة والمذاهب والاديان ونظريات الحكماء والفلاسفة وتجارب العلماء واختراعاتهم هل وصلت إلينا إلا بطريق النقل والرواية ؟

فهل كان الدين الاسلامي بدعاً من الحوادث حتى لاتنقل أحكامه وأخباره بهذا الطريق ؟ أم كان الواجب اتخاذ طريق آخر لنقل أقوال الرسول عليه السلام وأخباره غير الرواية ؟

لنفرض ان هؤلاء المنكرين على رواية الحديث أصبحوا زعماء لمن كان على شاكلتهم فهل هناك طريقة — غير الرواية — لتبليغ استنباطاتهم وتحقيقاتهم لافراد جماعتهم البعيدين عن حلقات دروسهم أو الذين سيولدون بعدهم ، خصوصا إذا كانوا في بلاد لا توجد فيها المطابع ووسائط الاستخبار الحديثة مثل البريد والبرق وتكون صناعة الورق معدومة والامية منتشرة (كما كان الحال في جزيرة العرب عند ظهور الاسلام)؟

القرآن أيضا منقول بالرواية

ثم نسأل هؤلاء أليس القرآن الكريم أيضا منقولا بالرواية ؟ نعم ان هناك فرقا بينه وبين الحديث ، وهو ان القرآن منقول بالتواتر والحديث منقول برواية رجال معدودين ، ولكنهم ليسوا مجاهيل بل رجال مشهورون ، أحوالهم معلومة ، واسانيدهم محفوظة ، وهذا الفرق يقتضي التفاوت في درجات اليقين والوثوق ، لافي نفس القبول والاعتبار — وهذا الفرق مسلم عند كل مسلم لا يقول أحد منهم بانهما متساويان من كل جهة .

اصول الحديث :

ولما كانت الاحاديث أخبارا وجب ان نستعمل في نقدها وتمييز الصحيح من غيره أصول النقد التي نستعملها في سائر الروايات والاخبار التي تبلغنا ، اعني اذا سمعنا خبراً فماذا نعمل ؟ ننظر اولا في حال الراوي الذي سمعنا منه هذا الخبر هل هو ممن يعوّل على روايته ام لا ؟ ثم ننظر في حال من روى عنه هذا الرجل وهكذا الى ان تنتهي الوسائط ، ثم نتحقق ان الراوي الاعلى كان حاضر الواقعة ام لا ؟ وهل كان بامكانه فهمها وحفظها ؟ ثم ننظر في الأمر المروي هل يلائم أحوال الرجل الذي نسب اليه وهل يمكن وقوعه في ذلك العصر والمحيط املا ؟

فهذه القواعد واشباهها استعملها المحدثون في نقد الاحاديث وسموها. (أصول الحديث) وبذلك ميزوا الاحاديث الصحيحة من غيرها ،ولا زال الباب مفتوحا لمن أراد ان يأتي البيوت من أبوابها .

الحديث تاريخ الاسلام .

لايخفي ان القرآن الحكيم أنما نزل لهداية البشر الى مصالحهم الدينية والدنيوية ولهذا بين لهم طريق العمل وسبل النجاح ، وأعلن ان الامة التي تعمل بهذا القانون تكون لها الخلافة في الارض وتنال من السعادة والسيادة مالامزيد عليه ، وتكون خير أمة اخرجت للناس ، وكل من لم يعمل بهذا القانون يكون ذليلا مهانا في الارض وشقيا في الدنيا والآخرة .

فاذا سألنا أحد هل وجدت أمة في زمن من الازمان عملت بهذا القانون ؟ وهل نالت به ما وعدت ؟ ومتى كانت تلك الامة وكيف كانت طريقة عملها بهذا القانون واين التاريخ الصحيح لاعمالها ؟ نقول له نعم وجدت امة عظيمة عملت بهذا الكتاب الحكيم واتخذته قانونا اساسيا لها مدة كبيرة فصدقها الله وعده ، وأنعم عليها بالخلافة والسيادة في الارض ، وأمتد سلطانها الى مشارق الارض ومغاربها ، وكانت امة لانظير لها في تاريخ العالم ، وتاريخ أعمالهم المجيدة وطريقة تنفيذهم لاحكام القرآن وكيفية عملهم بها كل ذلك ثابت ومحفوظ بصورة عديمة المثال ، فانه لا يوجد تاريخ لامة من الامم يبين عملها وتمسكها في

كل شؤنها بقانونها مثل تاريخ هذه الامة ، وهذه الامة هي الرسول عليه السلام وأصحابه والتابعون لهم باحسان، وهذا التاريخ هو الحديث ! — فبالحديث يعلم كيف عمل الرسول وأصحابه بالقرآن، وبه يعرف ان القرآن قانون قد عمل به ونجحت أصوله الادارية والسياسية والمدنية والاخلاقيـة الخ وليس هو مجموعة نظريات محتاجة للاثبات بالتجربة والتطبيق. واما إذا عملنا برأي المنـكرين للحديث فيضيع تاريخ الاسلام الذهبي ولا يقدر أحد ان يثبت ان القرآن قد عملت به أمة من الامم ونجحت في تأسيس حكومة مدنية مطابقة لتعليماته ، فهل يرضى المسلمون بهـذا ؟ لا والله لا المسلمون يرضون بهذا ولا العلم ولا التاريخ يرضيان به (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) ؟

اقسام الحديث

ولننظر ماذا يوجد في الحديث وأي مقـدار منه يصلح ان يكون مجالا للبحث والمناقشة :

(١) لا يخفي ان القسم الاعظم من الحديث هو تاريخي اعني أنه يشتمل على أخبار الرسول عليه السلام وأصحابه الـكرام ووقائعهم وبيان جليل أعمالهم ، وهذا القسم غير قابل للبحث والمناقشة عند كل ذي عقل سليم لانه عبارة عن جزء من تاريخ العالم مثل سائر تواريخ الامم الا أنه يمتاز عنها بصحة المأخذ ، وضبط الرواية وتسلسل الاسانيد ، ومطابقتها لاصول النقد ، بحيث ان هـذا الوصف لا يشاركه فيه تاريخ امة من الامم ، لا الرومان ولا الفرس ولا اليونان ولا الهند ولا مصر الخ

(٢) والقسم الثاني أخلاقي تهذيبي يحتوي على الحـكم والآداب والنصائح مثل مدح الصدق والعدل والاحسان والاتحاد والتعاون وسائر الفضائل والحث عليهـا ، وذم الـكذب والظلم والفسق والفساد وسائر الرذائل والصـد عنها . فهذه الامور تؤيدها الفطرة الانسانية ، وأصولها موجودة في القرآن فهل فيها شيء يستحق الرد ؟

(٣) العقائد — أصول العقائد مذكورة في القرآن مثل التوحيد والصفات

الالهية والرسالة والبعث وجزاء الاعمال ، ولا يوجد في الحديث الصحيح الاما يؤيد هذه الاصول ويوضحها ويقررها أو يكون من جزئياتها ونظائرها، ولا يوجد فيها ما يكون مخالفا لعقائد القرآن أو زائداً عليها بحيث لايكون له أصل في القرآن ، وكل ما يستشكل من الاحاديث الصحيحة في العقائد تجد مثلها في القرآن ويجري فيها ما يجري في القرآن من التفويض أو التأويل حسب اختلاف مدارك الافهام والطبائع الانسانية ، فمنها ما يقبل التسليم والتفويض ، ومنها ما لايقنعه الا التأويل الموافق لعقله والذي يطمئن به قلبه. واما الاحاديث التي فيها مخالفة للقرآن أو العقل السليم فلا تجدها الا من الموضوعات(١) والواهيات ومثلها لايجوز ذكرها فضلا عن التمسك بها ، وهذا باجماع المسلمين ، وفوق هذا العقد أجمع المسلمون أيضا على ان العقائد لا تثبت الا بالقرآن لان مبنى العقائد على اليقين واليقين لايحصل الا بالوحي المتواتر وهو القرآن أو الحديث المتواتر ، ولكن الحديث المتواتر حسب تعريف الاصوليين وشروطهم غير موجود فرجع الامر في العقائد الى القرآن وحده ، وهذا الاجماع أنما حصل لعلمهم ان الاحاديث الصحيحة ليس فيها ما يعارض العقائد القرآنية أو يكون زائداً مستقلا عليها .

(٤) الأحكام — هذا القسم أكثره ثابت بالأحاديث المستفيضة المشهورة وهي مارويت بطرق كثيرة صحيحة ولكنها لم تبلغ حد التواتر ، وبعضه بالآحاد ولكنها صحاح ، وأما الاحاديث الضعيفة فقد أجمع المحدثون والفقهاء أنها لاتقبل في الأحكام(٢) والمحققون لايقبلونها في غير الاحكام أيضاً —

فأما الاحتجاج بالخبر المستفيض المشهور فلا يتصور وجود عاقل ينكر ثبوت الحكم بمثل هذا الخبر ولزوم العمل لمن يبلغه ، وإلا بطل نظام العالم، فهذه قوانين الحكومات

---

(١) المنار : هذا غير مسلم إلا إذا أريد بالصحيح صحيح المتن والاسناد معا وبالموضوع ما يجزم بوضعه لمخالفة معناه للقطعي في الدين أو في الوجود والحس أو في العقل ، ومنه بعض ما استشكله شراح الصحيحين وغيرهما وأجابوا عنه حتى بما لايرضاه المستقل الفهم في بعضه (٢) هذا الاجماع غير مسلم على اطلاقه أيضاً

إذا نشرت في عدة جرائد معتبرة يلزم العمل بها لكل أحد من رعايا تلك الحكومة ولا يسعه الاعتذار بأنها لم تبلغه بالتواتر —

وأما الآحاد الصحاح فكذلك العمل بها جار في سائر أنحاء العالم مثلا إذا أتانا رجل معتبر وبلغنا أن فلانا يطالبك فالا نلبي طلبه ولا نسأله أن يأتينا بالشهود على صحة قوله إلا إذا وجدت هناك قرينة مانعة عن قبول خبره فحينئذ نتثبت قبل الذهاب،

وهكذا الامر في الاحاديث الآحادية الصحيحة: تقبل في الاحكام ويعمل بها مالم يوجد أمر مانع من قبولها مثل كونها مخالفة لقرآن أو الحديث المشهور أو كونها متروكة العمل في زمن الخلفاء الراشدين والصحابة ففي هذه الحالة يحق لكل عالم ان يتوقف عن العمل بها ، وأن يبحث عنها الى ان يزول الاشكال ويطمئن اليه الخاطر — وأما ترك العمل بالآحاد الصحاح مطلقاً من غير وجود علة مانعة من قبولها فغير معقول ومخالف لما هو جار في سائر المعاملات الدنيوية

السنة مأخوذة من القرآن .

على اننا نعتقد مثل كثير من العلماء المحققين ان الاحكام التي توجد في الاحاديث الصحيحة هي مأخوذة ومستنبطة من القرآن الكريم ، استنبطها النبي عليه السلام من القرآن بتأييد الهي ، وشرح رباني ، ولذلك يجب علينا قبولها والعمل بها بشرط ثبوتها الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .وهذا الفهم والاستنباط يسمى في اصطلاح القرآن تارة (تبيينا) وتارة (إراءة) قال الله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وقال جل شأنه (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)

تقصير العلماء في خدمة القرآن .

الحق يقال ان علماءنا قصروا في خدمة القرآن من هذه الناحية أعني أنهم لم يؤلفوا كتبا كافية في علوم القرآن — اعني عقائد القران وفقه القرآن واخلاق القرآن وسياسة القرآن إلى غير ذلك — بل نبذوه وراءهم ظهريا وصدقت علينا الآية (وقال

الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القران مهجوراً) والحال أن الصحابة رضى الله كانوا يقدمون القرآن على كل شيء في استنباطاتهم واستدلالاتهم ولكن عصرهم لم يكن عصر تدوين وتأليف ولهذا لم يؤلفوا فيه الكتب وإنما كان هذا من فرائض الذين جاءوا بعدهم ، ولكنهم غفلوا عن أداء الفرض واشتغلوا بآراء الرجال والحكايات الاسرائيلية والمسائل الخلافية والجدل ، والسبب في ذلك أن القرآن الكريم ليس مرتبا على الابواب فيصعب على كثير من الناس البحث عن مطلوبهم فيه ، حتى المسائل المنصوصة فيه ، فضلا عن الاستنباط منه ، والعلماء الذين الفوا الكتب في أحكام القرآن أيضا تبعوا ترتيب التفاسير ولم يرتبوها على الابواب فبقيت الصعوبة كما كانت ، ولما كانت كتب الحديث والفقه والفتاوى مبوبة مرتبة انصرف الناس بسهولة الى الاخذ منها وتركوا النظر والتدبر في القرآن ، والرجوع اليه قبل كل شيء حين الاستنباط والاستدلال ، والخلاصة ان الحاجة داعية الى ان يوجه علماؤنا عنايتهم الى تأليف كتب مبسوطة سهلة مبوبة في علوم القرآن (١) ويبينوا وجه التوفيق والارتباط بين الآيات والاحاديث الثابتات ، ويقربوها لافهام أهل هذا العصر ، وبذلك يخدمون الدين خدمة كبيرة ويكون ذلك أكبر باعث لاتحاد كلمة المسلمين، وصيانة الشبان عن الالحاد والمروق من الدين وما نظنهم الا فاعلين ذلك ان شاء الله —

معنى السنة والفرق بينها وبين الحديث :

كنا عقدنا مقالنا هذا لبيان السنة والدعوة اليها ولكن اقتضت الحال ان نبحث اولا عن الحديث الذي هو أعم من السنة واذ انتهى ذلك فلنبحث في معني السنة ولنذكر الفرق بين السنة والحديث فان كثيراً من الناس لا يفرقون بينها ويجعلونهما في منزلة واحدة وينشأ من ذلك ضرر كبير —

الحديث كل واقعة نسبت الى النبي عليه السلام ولو كان فعلها مرة واحدة في حياته الشريفة ولو رواها عنه شخص واحد واما السنة فهي في الحقيقة اسم

(١) المنار : هذا ما ننوي به ووعدنا به منذ عشرات السنين على وجه أوسع مما اقترحه صديقنا الكاتب ونسأل الله التوفيق

للعمل المتواتر اعني كيفية عمل الرسول عليه السلام المنقولة الينا بالعمل المتواتر، بان عمله النبي عليه السلام ثم من بعده الصحابة ، ومن بعدهم التابعون وهلم جرا ، ولا يشترط تواترها بالرواية اللفظية ، فيمكن ان يكون الشيء متواتراً عملا ولا يكون متواتراً لفظا ، كذلك يجوز ان تختلف الروايات اللفظية في بيان صورة واقعة ما فلا يسمى متواتراً من جهة السند ولكن تتفق الروايات العملية على كيفية العمل العمومية فيكون متواتراً عملياً ، فطريقة العمل المتواترة هي المسماة بالسنة وهي المقرونة بالكتاب في قوله عليه السلام (تركت فيكم أمرين ان تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله) وهي التي لايجوز لاحد من المسلمين كائنا من كان تركها أو مخالفتها والا فلا حظ له في الاسلام —

مثلا : اذا علمنا ان النبي عليه السلام من حين فرضت الصلوات الخمس واظب عليها مدة حياته الشريفة في هذه الاوقات المعلومة وبهذه الهيئة المعروفة، وكذلك الصحابة بعده ، والتابعون بعدهم، ثم المسلمون الى يومنا هذا سواء منهم الذين وجدوا قبل تدوين كتب الحديث والذين وجدوا بعدهم ، واتفق المسلمون قرناً بعد قرن مع اختلاف اعصارهم وبلدانهم وأفكارهم ونحلهم على ان النبي عليه السلام والصحابة كانوا يصلون خمس مرات في اليوم والليلة في هذه الاوقات المعلومة بهذه الصورة المخصوصة وبهذه الاركان، فهذا هو التواتر العملي وانكاره مكابرة وجنون لايتجرأ عاقل ان يقول ان تعيين هذه الاوقات للصلاة او هذه الاركان هو من وضع المحدثين أو الفقهاء وقلدهم فيها المسلمون ، لاننا لو فرضنا ان كتب الحديث والفقه ما وجد منها شيء ففي تلك الادلة أيضاً كانت الصلاة تكون معروفة بهذا الشكل منقولة الينا بالتواتر العملي ، وكذلك الامر في الزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض والمحرمات —

وتدوين كتب الحديث انما كان بمنزلة تسجيل لما بلغ هذا العمل المتواتر بصورة صحيحة محفوظة ، فهل هذا التسجيل لكونه وقع في القرن الثاني أو الثالث يحط ذلك التواتر العملي عن درجة الاعتبار أو ينقص من قيمته؟ كلا بل زادت قيمته ودرجته بهذا التسجيل التاريخي الخالد الذكر العديم المثال —

حقيقة السنة .

قد ظهر مما تقدم ان بين الحديث والسنة فرقا كبيراً فالحديث هو الرواية اللفظية لاقوال الرسول عليه السلام وأعماله وأحواله، وأما السنة فهي الطريقة المتواترة المعمول بالحديث بل بالقرآن أيضا مثلا ورد في القرآن الامر باقامة الصلاة وبين فيه بعض تفاصيلها أيضا فالرسول عليه السلام صلى بموجب ذلك وقال لنا « صلوا كما رأيتموني أصلي » واستمر على تلك الكيفية وكذلك الصحابة والتابعون وسائر المسلمين وهكذا الأمر في الصيام والزكاة والحج وسائر الاوامر القرآنية، فالصورة العملية التي رسمها الرسول عليه السلام لالفاظ القرآن هي السنة، وهي في الحقيقة تفسير عملي للقرآن، وهي من هذه الحيثية أعلى من الروايات اللفظية بمراتب كثيرة

الالفاظ المرادفة للسنة .

وردت في القرآن الكريم وكلام الرسول وأقوال الصحابة كلمات أخرى مؤدية لمفهوم السنة مثل السبيل ، والصراط المستقيم ، والاسوة الحسنة . وكلها تفيد معنى الطريقة المسلوكة ومعنى الاتباع، يعني ان الطريق الذي سلكه النبي عليه السلام وأصحابه والمؤمنون هو السنة ، هو السبيل ، هو الصراط المستقيم ، وهذا المفهوم هو الذي وضع له امام أهل السنة مالك رحمه الله كلمة (الموطأ) وسمى به مجموعة رواياته[1] ومعنى الموطأ في اللغة الطريق الممهد الذي وطئه الناس كثيراً ، فكأنه يعني به الطريق الذي مهده ووطأه النبي عليه السلام وأصحابه الكرام ، وهو طريق الاسلام والتفسير الصحيح للقرآن —

(١) المنار : هذا غير مسلم ففي الموطأ كثير من الاحاديث القولية الآحادية من مرفوع وموقوف ومرسل ومنها ما لم يبلغ أن يكون سنة متواترة بعمل جميع الصحابة وهذا يبين ما في مقاله الكاتب في معنى السنة . ولأجل ما فيه من المسائل المختلف فيها أبى الامام مالك ما عرضه عليه هارون الرشيد من تعليق الموطأ في الكعبة وحمل الناس على ما فيه وعلل إباءه بقوله له : لا تفعل فان أصحاب رسول الله (ص) اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب اه وإنما سماه الموطأ لان علماء المدينة واطؤه ووافقوا عليه

الكتاب والسنة .

كثيراً ما ترد في الحديث كلمتا (الكتاب والسنة) مقرونتين كما وردفي الوصايا النبوية الشريفة قبيل وفاته (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله) فالمراد بهذه السنة المقرونة بالكتاب هو عمل الرسول المتواتر ، وطريقه المسلوك الممهد الذي هو التفسير العملي الصحيح للقرآن ، وليس المراد بها كل رواية رويت بالسند اللفظي فلان عن فلان —

السنة والبدعة .

لعلك فهمت الآن حقيقة السنة التي ورد الامر باتباعها والوعيد الشديد لتاركها المخالف لها كقوله عليه السلام (عليكم بسنتي) وقوله (من رغب عن سنتي فليس مني) فهذا الشيء اعني السنة يقابلها (البدعة) ومعناها اللغوي (الامر المستحدث) والشرعي مابينه النبي عليه السلام بقوله (من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) وهاتان الكلمتان تستعملان دائما ككلمتين متضادتين، لان السنة هي الطريق الذي كان عليه الرسول وأصحابه، والبدعة هي ترك ذلك الطريق والانحراف عنه وسلوك طريق آخر مخترع [1] فلهذا كانت الاولى هداية والثانية ضلالة —

أثر السنة في جمع كلمة المسلمين

المسلمون متفقون في أشياء كثيرة ومختلفون في أشياء أخرى، وهذا الاختلاف يرجع ابتداؤه إلى القرن الاول ، ولكن إذا دققنا النظر وجدنا أن المسائل التي اختلفوا فيها هي من قبيل النظريات التي لا يمكن فيها التمسك بالشهادة العملية ، مثلا اكبر المسائل النزاعية بين أهل السنة والشيعة هي مسئلة الخلافة هل هي بالنص أو بشورى المسلمين ؟ وأهم المسائل الخلافية بين المعتزلة والاشاعرة والماتريدية هي

(١) المنار : لا يشترط في تحقيق البدعة ترك شيء من السنة فكل ما أحدثه الناس من قول وعمل في الدين وشعائره مما لم يؤثر عنه (ص) وعن أصحابه فهو بدعة وضلالة . فبين ترك السنة والابتداع عموم وخصوص يجتمعان في بعض الامور ويوجد كل منهما وحده

رؤية الله تعالى يوم القيامة هل تكون بهذه الابصار أم لا ؟ فهذه وأمثالها كلها أمور نظرية أعني أنها ليست من الامور العملية المحسوسة ولا يتأتى فيها شهادة العمل[١] وأما المسائل العملية كالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد فلم يختلف المسلمون فيها اختلافا كبيرا والسبب في ذلك أن سنة الرسول عليه السلام كانت دائما نصب أعينهم ، ومثلا أعلى لهم ، وهذا من الخصائص الكبرى للاسلام

وأما الاختلاف في مثل الفاتحة خلف الامام ووضع اليدين في الصلاة ورفع اليدين فاذا طرحنا الغلو والتعصب من الفريقين رجع الامر إلى المناقشة في الافضلية ، وكذلك الامر في المسائل الاجتهادية والامور المتجددة في المعاملات والقضاء والسياسة الاسلامية فلاختلاف فيها انما هو في اختيار الجانب الراجح حسب اختلاف الازمنة والامكنة وعقلية الشعوب الاسلامية

معيار السنة والبدعة

من القواعد المسلمة في جميع الاديان والمذاهب ، أن أحسن العصور لكل دين ومذهب انما هو عصر صاحب المذهب نفسه ثم عصر خلفائه وأصحابه الذين أخذوا منه الدين ولازموه في السراء والضراء ثم يطرأ عليه الضعف شيئاً فشيئاً ويتسرب اليه الخلل وتختلط فيه الاشياء الدخيلة المنافية لروحه وتعاليمه — فاذا طبقنا هذه القاعدة الكلية (التي هي موافقة للعقل وللناموس الطبيعي أيضا) على الاسلام وجب أن يكون عصره الذهبي الخالي عن التحريف والشوائب ، هو عصر الرسول عليه السلام وخلفائه الراشدين ، فكل أمر وجدناه معمولا به في ذلك العصر علمنا أنه من الدين ويقال له سنة ، وكل ما حدث بعده عرفنا أنه دخيل في الدين ويسمى بدعة . فهذا هو المعيار للسنة والبدعة ، أو بعبارة أخرى لما هو من الدين ولما ليس منه — فكل من يدعي أن الامر الفلاني من الدين والامر الفلاني

(١) فيه أن الخلافة من الامور العملية ولكنها من عمل جماعة المسلمين لا من سنة الرسول (ص) فلا يكفر مخالفها ، واجماعهم العملي دليل على عدم وجود نص قطعي فيها. وسيدنا علي وآله عليهم السلام لم يحتجوا على ما يعتقدون من أولويته بالنص بل وافقوا الجمهور وبذلك كان اجماعاً عملياً

ليس منه فعليه أن يزن دعواه بهذا الميزان ويثبت أن الشيء الذي يزعم أنه من الدين كان موجودا في زمن الرسول وأصحابه، وأن الشيء الذي يعده دخيلا فيه لم يكن في ذلك العصر

مثلا : ادعت طائفة في زماننا أن الصلوات المفروضة على المسلمين في اليوم والليلة إنما هي مرتان أو ثلاث ، وان طريقة الصلاة كذا وكذا لا كما يصليها المسلمون ، فالواجب على هؤلاء أن يثبتوا أن النبي عليه السلام وأصحابه ما كانوا يصلون في اليوم والليلة إلا مرتين أو ثلاثا ، وأنهم ما كانوا يصلون إلا بالطريقة التي يدعيها هؤلاء ، وأنه بعد تدوين كتب الحديث صار المسلمون يصلون خمس مرات، وزادوا فيه كذا وكذا من الاركان تبعا للمحدثين والفقهاء ، فان لم يستطيعوا اثبات ذلك — ولن يستطيعوه إلى يوم القيامة — يكون مآل دعواهم أن النبي عليه السلام أخطأ في فهم الوحي الذي أنزل عليه (حاشاه من ذلك) وأن هؤلاء الاعاجم الجهلة وفقوا لاصلاح ذلك الخطأ وبيان الصواب فهل يمكن لمسلم بل لعاقل أن يتفوه بهذا الكلام الجنوني ؟ أعاذنا الله من ذلك

اشتقاق كلمة السنة

زعم بعض الجهلة من أعداء السنة أن كلمة السنة مأخوذة من كلمة ״مسناة״ العبرانية وعلل دعواه بأنه كما أن اليهود تركوا التوراة وعملوا بمجموعة الروايات الاسرائيلية وسموها ״مسناة״ فكذلك المسلمون لما تركوا القرآن وعملوا بالاحاديث اشتقوا لها اسما من ״مسناة״ اليهودية وسموها (سنة) ؛ وهذا زعم باطل ، وادعاء فاسد ، ويكفي في الرد عليه أن كلمة السنة ، وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة بهذا المعنى أعني معنى العادة والطريقة المستمرة مثل قوله تعالى في سورة الاسراء (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) وقوله في سورة الانفال (فقد مضت سنة الاولين) وفي سورة فاطر (فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا) فالمسلمون اقتبسوا كلمة السنة من القرآن وخصصوها في الاستعمال بسنة الرسول وأصحابه

هذا ما أردنا بيانه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

تعليق المنار

نشكر لصديقنا العلامة السيد سليمان الندوي هذا المقال النفيس في الرد على أعداء السنة المبتدعين ، وهذه البدعة قديمة العهد ، ولكن لم نعلم أنها صارت مذهبا يدعى اليه في الهند الا من مقاله هذا . وقد كنا فتحنا باب المناقشة في هذه البدعة في المجلدين التاسع والعاشر من المنار أي منذ سنة ١٣٢٤ (الموافق سنة ١٩٠٦م) فكانت موضوع مناظرة وكان حكم المنار فيها في الجزء ١٢ من ذلك المجلد ان الاسلام هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومما قلناه في الحكم «وانما السنة سيرته ﷺ في الهدي والاهتداء بالقرآن وهو أعلم الناس به وأحسنهم هديا ، وإطلاقها على ما يشمل الاحاديث اصطلاح حادث — إلى ان قلنا — فما مضت السنة على أنه حتم في الدين فهو حتم ، وما مضت على أنه مستحسن مخير فيه فهو كذلك في الدين وفصلنا ذلك ثم أعدنا هذا البحث مراراً آخرها مانشرناه في فتاوى الجزء السابع من المجلد التاسع والعشرين

ومن الغريب أننا نرى أمم العلم والحضارة تعنى بحفظ ما ينقل عن علمائها وادبائها في التشريع والحقوق والحكم والآداب ويفاخر بعضها بعضا بهم وبآثارهم ونرى هؤلاء المخذولين من مبتدعة المسلمين لايكتفون بهضم حقوق علماء ملتهم ومؤسسي حضارتها ومجددها بالعلم والعمل والسياسة والآداب ، بل يهدمون سنة الرسول الذي يدعون اتباع ملته وما روى سلفهم عنه من التشريع والحكم والآداب ، ومنهم من يدعي اتباع سنته العملية التي تلقاها عنه أصحابه بالعمل دون ما ثبت عنه بالاحاديث القولية وان كانت صحيحة المتون والاسانيد لا يعارضها معارض من القرآن ولا قطعي آخر يثبته العلم والعقل ، ويدعون أنهم يتبعون نصوص القرآن كأن فهمهم وبيانهم له وحرصهم على العمل به فوق فهم من أوحي اليه وكلفه الله تعالى بيانه بالقول والعمل وعصمه من الخطأ في كل ما يبلغه عنه من نصوصه ومن المراد منها أي من كل ما هو دين وشرع .

وإذا كان السيد الندوي يعجب من صدور هذا الضلال عن بعض الاعاجم في الهند فنحن أحق بالعجب منه عند ما نرى بعض هؤلاء المعادين لهديه ﷺ من الناشئين في البلاد العربية الذين تلقوا شيئا من فنون لسان العرب كان يحسن ان

يكونوا به اصح فهما للقرآن من اولئك الاعاجم الذين عناهم أخونا السيد الندوي، واغرب ما رأيناه من تأويل هؤلاء لآيات القرآن بما تتبرأ منه لغته وما مضت به السنة النبوية وإجماع الامة سلفها وخلفها من قول وعمل ـ هو زعم بعضهم ان القرآن يدل على بطلان التسري ، وتأويله بل تحريفه لمثل قوله تعالى (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) وقوله (ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) بأن المراد بما ملكت الايمان الخوادم الحرائر !! ونحمد الله تعالى أنه لم يوجد في هذه البلاد أتباع لهذا الرجل كما وجد أمثاله في الهند في هذه الاثناء ومن قبلها حين قام مرزا غلام أحمد القادياني يدعي أنه هو المسيح ، وحرف الآيات القرآنية والاحاديث النبوية بما تتبرأ منه اللغة العربية حقيقتها ومجازاتها وكناياتها

وقد علم الاستاذ الندوي وغيره أنه كان قام في هذه البلاد من زعم أن الاسلام الذي يجب على الناس الاهتداء به هو العبادات فقط ، أي كما يفهمه هؤلاء المبتدعة الذين لا يقيم أكثرهم لها ركنا ، وأما ما في القرآن والسنة من الشرائع والاحكام السياسية والاجتماعية والمدنية والعقوبات فلا يوجب الله بزعمه عليهم اتباعها !! بل يبيح لهم ان يتبعوا أي قانون بشري يخالفها !

والذي نعلمه بالاختبار ان بعض هؤلاء الدعاة إلى هدم الاسلام جاهل غبي قد فتن بحب الظهور ، وبعضهم ملحد يدعو المسلمين الى الالحاد لهوى في نفسه ، أو خدمة لبعض الدول الطامعة في بلاد الاسلام واستعباد المسلمين التي علمت بالاختبار أنهم لا يقبلون الاستعباد ماداموا مستمسكين بعروة الاسلام دين السيادة والعزة والملك ، الذي نسخ جميع الشرائع وجعله الله الدين الآخير الكامل للبشر كلهم الى أن تقوم الساعة. فيجب على جماعة المسلمين في كل قطر ان يقيموا الحجج المعقولة على ضلالة جميع هؤلاء المبتدعة ووجوب الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدي سلف الاسلام الصالحين . وعدم الاعتداد باسلام من لا يهتدي بالسنة ولا بمن يحرف القرآن بتفسير يخالف قواعد اللغة وضروريات الدين واجماع السلف الصالحين ومن غايتهم ان لا يبقى من الاسلام شيء خذلهم الله اجمعين

مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات

الرد التفصيلي في موضوع المناظرة

— ٧ —

سلطان الدين الاعلى

ان الشعور بقوة فوق قوى الطبيعة ، وسلطان غيبي أعلى من نواميس الخليقة ، وجدان غريزي في أنفس البشر ، لذلك كانوا ولا يزالون يخضعون خضوع التعبد لكل ما يظهر لهم أنه صادر عن ذلك السلطان الغيبي الاعلى لمخالفته السنن الطبيعية ومجيئه على غير نظام الاسباب والمسببات ، وانما يخطئون أحيانا في التمييز بين الحقيقي والوهمي من خوارق العادات ، فلاول كالآيات التي أيد الله تعالى بها انبياءه المرسلين ، والثاني كالمصادفات والسحر وشعوذة الدجالين ، وأشهر الامثلة لهما الآيات التي أيد الله بها نبيه موسى (ع . م) والتخيلات الصناعية التي جاء بها سحرة فرعون .

ولما كانت تلك الآيات الكونية لا يؤمن بها الا من شاهدها مدركا للفرق بينها وبين السحر والشعوذة ومن ثبت عنده الامران بالتواتر القطعي ، ولما كان اجتماع الامرين عزيزاً نادراً بعد طول الزمان ، وكان ذلك محتملا للشك والتأويل والاحتمال ، جعل الله تعالى آية خاتم النبيين حسية عقلية ، دائمة باقية ، وجعل دلالتها على رسالته علمية برهانية ، ألا وهي ظهور أعلى العلوم الالهية ، والقواعد الادبية ، وأرقى الاصول التشريعية ، من سياسية ومدنية وشخصية ، وأنفع الوصايا الصحية ، وأصلح السنن الاجتماعية ، والارشاد إلى العلوم الصحيحة ، وأبلغ الحكم العقلية ، والمواعظ التاريخية ، في كتاب معجز للبشر باسلوبه ونظمه وتأثيره وهدايته وبلاغته ، واشتماله على أخبار الغيب الماضية والحاضرة والمستقبلة — وكون هذا كله جاء على لسان نبي أمي لم يقرأ قبل هذا الكتاب سطراً ، ولا نظم شعراً ، ولا ارتجل خطبة ، ولا نطق بحكمة . وقد جاء هذا كله دفعة واحدة بعد بلوغ أشده

واستكماله للاربعين من عمره ، ثم كان من تأثيره في قلب نظام الكون كله، واستيلاء قومه الاميين بهديه وتأثيره على أعظم أمم الارض ودولها علما وحضارة وقوة وثروة،حتى صاروا يدخلون في دينه أفواجا الخ . فأي برهان على الوحي الالهي والتشريع السماوي أظهر وأبهر وأنور وأقهر للقلوب والعقول من هذا ؟

من أعظم ما انفرد به هذا التشريع الالهي دون سائر الشرائع السماوية والارضية — إبطال ظلم جميع البشر وتحقيرهم للنساء وهضمهم لحقوقهن فيما سنبين نماذجه العليا في مقالاتنا هذه ، ولو لم يكن منه إلا قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) وإلا قول نبيه صلوات الله وسلامه عليه في تربيتهن وتعليمهن «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن إلا أبا داود من حديث أبي موسى الاشعري (رض) وإلا قوله ﷺ في تكريمهن « ما أكرم النساء إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم » رواه ابن عساكر من حديث علي كرم الله وجهه — لولم يكن إلا هذا وذاك لكفى تفضيلا للاسلام على جميع الشرائع والقوانين ،وإذا لم يكن هذا الاصلاح العظيم وحيا لذلك النبي الامي فمن أين جاء ؟

ولكن هؤلاء الملاحدة يدعوننا إلى نبذ هذا الاصلاح الذي تخضع له أنفس المؤمنين سراً وجهراً متى علموه وتربوا عليه ، وإلى تقليد البلاشفة وأمثالهم من الملاحدة الافرنج وممن سرت اليهم عدواهم وهم يئنون منها ، ويود حزب تجديد الالحاد والاباحة لو يزجوننا فيها .

مع هذا كله نرى السواد الاعظم من شعوب أوربة كلها يخضعون لغير المعقول من الدين مما ليس له نظير في الاسلام كالتثليث والوهية المسيح واستحالة الخبز والخمر الى لحمه ودمه حقيقة لامجازاً، بل يخضع الملايين منهم للخرافات الوهمية باسم الدين كالعين المقدسة التي يزعمون أنها تشفي المرضى في فرنسة

نعم ان هذه العقائد وأمثالها كانت سببا لكثرة الالحاد في أوربة ولرواج الافكار المادية التي أفسدت الاخلاق وقوضت أركان الفضائل حتى في المتدينين،

كما كان سلطان البابوات الشديد الوطأة على العقول والابدان والحكام، سبباً لما نجم في القرون الوسطى من قرون الالحاد ، ولحدوث ما يسمى مذهب الاصلاح . وقد بلغ طغيان الافكار المادية والاسراف في الشهوات البدنية حدهما الاقصى في أثناء حرب المدنية الاخيرة وبعدها ، ثم طفق الناس هناك يتلمسون هداية الدين للخروج من هذه الفوضى التي دمرت تلك القيصرية الروسية الواسعة بالحكم البلشفي أو كادت ، فالحكومة البلشفية هي الدولة الوحيدة التي تكره الشعوب المقهورة بقوتها على ترك أديانهم واباحة الفجور لنسائهم ورجالهم، وقطع أسلاك عقود الزوجية ، ونثر ما كان يجمعه نظامها من أفراد الاسرة ، وجعل القول للمرأة فيمن تلصق به ولدها ، فالقانون البلشفي يجبر كل رجل على نفقة من تلصقه به من أولادها [١] فعظمت الخطوب ، وتفاقمت الكروب . واستشرى الفساد ، وخرب كثير من البلاد ، وهلك الملايين من العباد، وحل الرعب في كبريات الدول ، أن تسري إلى شعوبها عدوى هذا الخلل. وصارت كل حكومة من حكومات الارض تضرب الحجر السياسي لمنع هؤلاء الناس من دخول بلادها ، وتخشى من عاقبة تفلت أحدهم أشد مما تخشى من المصاب بأشد الامراض الوبائية أن يندس فيها ، اذ لا عاصم من عدواها إلا الاعتصام بالدين، وقد كادت تنفصم عروته بالفوضى الادبية ، وشعر العلماء والحكماء وكذا الحكام بوجوب تجديد هدايته، وطفقوا يؤلفون الجمعيات ويصنفون الكتب في ذلك، وقد ذهبوا فيه خمسة مذاهب : مذهب العصريين ، ومذهب الاصوليين ، ومذهب الروحانيين ، ومذهب العلم المسيحي ، ومذهب الكاثولوكية البابوية

يجد القارىء بيان هذه المذاهب في الجزء الثالث من مجلد المنار الثلاثين (أي مجلد هذا العام الهجري) وإنما نقول بالاجمال إن العصريين يرجحون استقلال العقل في العقائد ويلتزمون تعاليم الكنيسة في الامور الادبية والمواعظ، وقد كثروا بعد الحرب في بلاد الانكليز ، وأما الاصوليون فيرجعون في الدين إلى عقائد أهل القرن السابع عشر وهو التسليم والاذعان لنصوص التوراة

---

(١) أثبت هذا كاتب أمريكاني وانتقده الامير شكيب وسننشر انتقاده

بظواهرها حتى التاريخية ورد كل ما يخالفها من أحكام العقل ومقررات العلم ولا سيما مذهب النشوء والارتقاء، وأكثر اتباع هذا المذهب في الولايات المتحدة ، وأما الكتب التي يؤلفونها فمنها ما هو مدح في الاسلام وكتابه ونبيه ﷺ ومنها ما هو في التنفير عنه خوفا من انتشاره ، ومنها ما هو نفي لالوهية المسيح . وتفصيل هذا كله في المنار

أفلسنا نحن المسلمين أحق وأجدر باتباع نصوص ديننا القطعية ، وكلها موافقة للعقل والعلم والمصلحة ، وباتباع الراجح من نصوصه الظنية الاجتهادية أيضا ، وهي واقية لنا من مفاسد البلشفية ، ونزغات المادية . ومفاسد الاباحية، وحافظة لصحتنا الجسدية ، وفضائلنا النفسية ؟

أو ليست مصر أولى البلاد الاسلامية بالاعتصام بهذا الدين القويم من سائر الاقطار الاسلامية لان لها فيه من الفوائد والمصالح الدينية والادبية والسياسية والاقتصادية ما ليس لغيرها . . ؟

بلى، ان مصر مرشحة بل مرجحة بعد سقوط الدولة العثمانية لزعامة العالم الاسلامي من مشرقه الى مغربه ، وهؤلاء الملاحدة يريدون حرمانها من هذه الزعامة بما يبثون فيها من دعاية الالحاد الذي يضرها ولا يفيد الا الاجانب الطامعين فيها .

بلى ، إن مصر كانت مع وجود الدولة العثمانية زعيمة الامة العربية في لغتها وعلومها الادبية والدينية ، وهؤلاء الملاحدة يريدون اسقاطها من هذه الزعامة بالطعن في اللغة العربية والآداب العربية والثقافة العربية والمدنية العربية والديانة العربية، ويحاولون ان يبتدعوا لها ثقافة أوربية ، ومدنية فرعونية، ولو كان للفراعنة لغة حية مدونة لقلدوا الترك بوجوب استبدالها باللغة العربية، وتحريم تعلم اللغة العربية فانظروا أيها المسلمون الغافلون فيما يريده منكم هؤلاء الملحدون الاباحيون، وما يظاهرهم به اخوانهم المنافقون (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء ، ـ أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) وان حزب الله هم المفلحون

﴿ حكم الله في المساواة بين الرجال والنساء ﴾

— ٨ —

أبدأ هذا الرد التفصيلي بالكلام العام في موضوع المساواة الذي فسرت به الآية الكريمة التي ذكرتها في المقالة السابقة وقد كنت نشرته في الجزء العاشر من مجلد المنار الثامن الذي صدر في جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ (يوليو ١٩٠٥) أي قبل أن تخلق الآنسة هانم محمد وقبل أن يصير محمود عزمي كاتباً. وهذا نصه نقلا عن الجزء الثاني من التفسير مع اختصار قليل ، قال تعالى :

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيهِنَّ بالمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيهِنَّ دَرَجَة)

هذه كلمة جليلة جداً جمعت على ايجازها ما لا يؤدى بالتفصيل إلا في سفر كبير ، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمراً واحداً عبر عنه بقوله (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى (٤ : ٣٤ الرجال قوامون على النساء) الآية وقد أحال في معرفة ما لهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهم ، وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم . فهذه الجملة تعطي الرجل ميزاناً يزن به معاملته لزوجه في جميع الشئون والاحوال ، فاذا هم بمطالبتها بأمر من الامور يتذكر أنه يجب عليه مثله بازائه ، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما « اني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لهذه الآية . »

وليس المراد بالمثل المثل لأعيان الاشياء وانما أراد أن الحقوق بينهما متبادلة وانهما أكفاء . فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا للرجل عمل يقابله لها إن لم يكن مثله في شخصه ، فهو مثله في جنسه ، فهما متماثلان في الحقوق والاعمال ، كما أنهما متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل ، أي أن كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه ، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ، ويكره ما لا يلائمه وينفر منه ، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويتخذه عبداً

يستذله ويستخدمه في مصالحه ، لاسيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه

قال الاستاذ الامام قدس الله روحه : هذه الدرجة التي رفع النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق ،ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل اليها أمة من الأمم قبل الاسلام ولا بعده ، وهذه الامم الاوربية التي كان من تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالغت في تكريم النساء واحترامهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون ، لا تزال دون هذه الدرجة التي رفع الاسلام النساء اليها ، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون اذن زوجها ، وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف ، وقد كان النساء في اوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء في كل شيء كما كن في عهد الجاهلية عند العرب او أسوأ حالا ، ونحن لا نقول ان الدين المسيحي أمرهم بذلك لاننا نعتقد أن تعليم المسيح لم يخلص اليهم كاملا سالما من الاضافات والبدع ، ومن المعروف أن ما كانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وانما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الجديدة في القرن الماضي

وقد صار هؤلاء الافرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا في اعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهمجية في معاملة النساء،ويزعم الجاهلون منهم بالاسلام أن ما نحن عليه هو أثر ديننا . ذكر الاستاذ الامام في الدرس ان أحد السائحين من الافرنج زاره في الازهر وبيناهما ماران في المسجد رأى الافرنجي بنتا مارة فيه فبهت وقال ماهذا ؟ أنى تدخل الجامع !!! فقال له الامام وما وجه الغرابة في ذلك ؟ قال اننا نعتقد أن الاسلام قرر أن النساء ليس لهن أرواح وليس عليهن عبادة . فبين له غلطه وفسر له الآيات فيهن . قال فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا ،وإلى جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة فما بالكم بعامتهم ؟

إذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل مالهم عليهن إلا ماميزهم به من الرياسة ، فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة ان يعلموهن مايمكنهن من

القيام بما يجب عليهن ، ويجعل لهن في النفوس احتراما يعين على القيام بحقوقهن ويسهل طريقه ، فان الانسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدبا عالما بما يجب عليه عاملا به ، ولا يسهل عليه أن يمتهنه او يهينه ، وإذا بدرت منه بادرة في حقه رجع على نفسه باللائمة فكان ذلك زاجراً له عن مثلها

خاطب الله تعالى النساء بالايمان والمعرفة والاعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما خاطب الرجال ، وجعل لهن عليهم مثل ماجعله لهم عليهن ، وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة ،وبايع النبي ﷺ المؤمنات كما بايع المؤمنين ، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما امرهم ،واجمعت الامة على مامضى به الكتاب والسنة من انهن مجزيات على اعمالهن في الدنيا والآخرة ، أفيجوز بعد هذا كله ان يحرمن من العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولاولادهن ولذي القربى وللامة والملة ؟

العلم الاجمالي بما يطلب فعله شرط في توجه النفس اليه إذ يستحيل ان تتوجه الى المجهول المطلق ، والعلم التفصيلي به المبين لفائدة فعله ومضرة تركه يعد سببا للعناية بفعله والتوقي من اهماله ، فكيف يمكن للنساء ان يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها إجمالا وتفصيلا ؟ وكيف تسعد في الدنيا او الآخرة أمة نصفها كالبهائم لا يؤدي مايجب عليه لربه ولا لنفسه ولا للناس ؟ والنصف الآخر قريب من ذلك لانه لا يؤدي إلا قليلا مما يجب عليه من ذلك ، ويترك الباقي ومنه اعانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه او إلزامه إياه بما له عليه من السلطة والرياسة .

ان ما يجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدود ،ولكن مايطلب منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كأحكام المعاملات — ان كانت في بيت غني ونعمة — يختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال ، كما يختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال ، إلاترى الفقهاء يوجبون على الرجل النفقة والسكنى والخدمة اللائقة بحال المرأة ؟ ألا ترى أن فروض الكفايات قد اتسعت دائرتها فبعد ان كان اتخاذ السيوف والرماح والقسي

كافياً في الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفاً على المدافع والبنادق والبوارج وعلى علوم كثيرة صارت واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالامس ؟ ألم تر ان تمريض المرضى ومداواة الجرحى كان يسيراً على النساء في عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء رضي الله تعالى عنهم ، وقد صار الآن متوقفاً على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة ؟ أي الامرين أفضل في نظر الاسلام ؟ أتمريض المرأة لزوجها اذا هو مرض أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع على عورته وتكتشف مخبآت بيته ؟ وهل يتيسر للمرأة أن تمرض زوجها أو ولدها اذا كانت جاهلة بقانون الصحة وباسماء الادوية ؟

نعم يتيسر لكثيرات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الادوية السامة أو بجعل دواء مكان آخر .

(وقد ذكرنا في التفسير هنا كلاما للمحدثين والفقهاء في حقوق كل من الزوجين على الآخر كقول الاكثرين ان المرأة لا يجب عليها للرجل غير الطاعة في نفسها دون خدمة الدار ورده بأمر النبي ﷺ بنته فاطمة بخدمة البيت وبأمر علي بما كان في خارجه وجزم بعض المحققين من الحنابلة ان ذلك يرجع الى عرف الناس. ثم قلنا)

وما قضى به النبي ﷺ بين بنته وربيبه وصهره (عليهما السلام) هو ما تقضي به فطرة الله تعالى وهو توزيع الاعمال بين الزوجين : على المرأة تدبير المنزل والقيام بالاعمال فيه ، وعلى الرجل السعي والكسب خارجه ، وهذا هو المماثلة بين الزوجين في الجملة .وهو لا ينافي استعانة كل منهما بالخدم والاجراء عند الحاجة الى ذلك مع القدرة عليه ، ولا مساعدة كل منهما للآخر في عمله أحياناً إذا كانت هناك ضرورة . فانما ذلك هو الاصل والتقسيم الفطري الذي تقوم به مصلحة الناس وهم لا يستغنون في ذلك ولا في غيره عن التعاون (٢ : ٢٨٦ لا يكلف الله نفساً الا وسعها — وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله) وما قاله الشيخ تقي الدين وما بيناه في الانصاف من الرجوع الى العرف لا يعدوما في الآية الشريفة قيد شعرة

وإذا أردت أن تعرف مسافة البعد بين ما يعمل أكثر المسلمين وما يعتقدون

من شريعتهم فانظر في معاملتهم لنسائهم تجدهم يظلمونهن بقدر الاستطاعة لا يصد أحدهم عن ظلم امرأته إلا العجز ، ويحملونهن ما لا يحملنه إلا بالتكلف والجهد ، ويكثرون الشكوى من تقصيرهن ، وإن سألتهم عن اعتقادهم فيما يجب لهم عليهن يقولون كما يقول أكثر فقهائهم إنه لا يجب لنا عليهن خدمة ولا طبخ ولا غسل ولا كنس ولا فرش ولا ارضاع طفل ولا تربية ولد ولا اشراف على الخدم الذين نستأجرهم لذلك ، إن يجب عليهن إلا التمكث في البيت والتمكين من الاستمتاع ، وهذان الامران عدميان ، أي عدم الخروج من المنزل بغير اذن وعدم المعارضة بالاستمتاع ، فالمعنى أنه لا يجب عليهن للرجال عمل قط بل ولا للأولاد مع وجود آبائهم

وأما قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجال أشياء ، ذلك ان هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى(٤ : ٣٤ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لان المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الامور ، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف ، لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام ، والرجل أحق بالرياسة لانه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله ، ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها ، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف (انتهى ما أردنا نقله من تفسيرنا للآية

﴿ مسألة المساواة في الميراث ﴾

— ٩ —

اول من ابتدع الدعوة إلى المساواة بين الذكران والاناث في الارث وغيره شاب قبطي اسمه سلامه موسى اشتهر عنه شدة البغض والشنآن للاسلام وتعصب لاجرم فسدوا بلاده وحدها السلامية عربية ، وكان يفضل على ذلك ان نطل

خاضعة للرومان المسيحيين على ظلمهم لقومه القبط ، وما هو معلوم بالتواتر من عدل العرب فيهم الذي لولاه لم يدخلوا في الاسلام افواجا بمحض اختيارهم حتى كان هذا سبباً لتبرم بعض عمال المسلمين بذلك وشكواه منه للخليفة الاموي العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بتقليله مال الجزية فأجابه عمر بتلك الكلمة المأثورة التي تشبه كلمات جده لامه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي « ان محمداً ﷺ بعث هاديا ولم يبعث جابياً » فلهذا البغض والشنآن للعرب والاسلام — ولسبب آخر يتعلق بالمبشرين كما يقال ـ أخذ سلامه موسى عهداً على نفسه أن يطعن فيها ، وينفر مسلمي مصر ويصدهم عنهما ، بالدعوة الى الالحاد تارة والى الاندغام في الانكليز تارة ، وآخر ما رأيناه له دعوتهم الى دين البابية البهائية الذين جعلوا أساس دينهم القول بالوهية بهاء الله المدفون في عكا، وعبادته . وغرضه من هذا تحويل المسلمين عن الاسلام ، ولو الى عبادة الشيطان ، وقد راجت دعايته الالحادية عند بعض الملاحدة من المسلمين بعنوان التجديد فشايعوه عليها عدة سنين[1] ولكننا نراهم في هذه الايام قد شعروا أنهم مخطئون خاطئون ، إلا قليلا منهم لايزالون مخدوعين .

منذ سنتين القى سلامه أفندي موسى محاضرة في جمعية الشبان المسيحيين ! بدعوى وجوب مساواة المرأة للرجل في الارث أينما كان مصدره بناء على ان الاسلام ظلمها بتفضيل الرجل عليها ، ثم تمكن من نشر هذه الدعاية الباطلة في مجلة الرابطة الشرقية في العام الماضي حتى اضطر رئيس الجمعية الى الرد عليه فيها ، وكاد هو وأمثاله يحدثون في الجمعية شقاقا يقضي عليها . وقد رد عليه كثيرون في ذلك الوقت وأخلفت ظنه (جمعية الاتحاد النسوي المصري). اذ حاول اغواءها باغرائها بالمطالبة بهذه المساواة فكتبت هدى شعراوي هانم يومئذ رداً عليه نشرته في الجرائد صرحت فيه بانه ليس من موضوع هذه النهضة النسائية الخروج عن الشريعة أو عليها بتغيير أحكام الارث في الاسلام

---

(١) ان جريدة السياسة قد عنيت بنشر الدعاية الالحادية وسلامه موسى يصرح ان عقيدته وعقيدة صديقه محمد حسين بك هيكل رئيس تحرير السياسة واحدة

ثم أن محمود عزمي افندي من زملائه أعاد هذه الدعاية في مناظرته لنا في كلية الحقوق من الجامعة المصرية ، واستند فيها الى شبهات عاطلة، ودعاوى باطلة ، بينا فسادها هنالك بالبرهان ، وأيدنا فيها الرأي الاسلامي العام ، وأنكر الامير عمرطوسون باشا الشهير على الحكومة السماح للملاحدة بمثل هذا الجهر في الطعن على الاسلام والدعوة الى ترك نصوصه القطعية في مدارسها الرسمية وهي حكومة إسلامية ، وكتب بذلك الى سعادة وزير المعارف وهو وزير متدين ولله الحمد، لا يسمح بما كان يسمح به غيره من قبل .

بيد أننا رأينا بعد هذا كله قبطياً آخر كاثوليكياً يقدس نصوص الكتب السماوية سواء أكانت معقولة أم غير معقولة ، وهو لم يشتهر بالالحاد ، ولم نعرف عنه قبل اليوم طعناً في الاسلام ، قام يعزز سلامه موسى ومحمود عزمي في الغلو في مسألة مساواة النساء للرجل فجهر بمسألة وجوب مساواة الميراث في محاضرة ألقاها في الجامعة الاميركانية التبشيرية محتمياً بما لها من الامتيازات الاجنبية ، فكان أشد قذعا وفحشاً في الطعن على الاسلام وعلى المتدينين به، واستهزاء بمن ينكر حق النساء في هذه المساواة منهم من أمير ووزير وعالم نحرير (وهو الدكتور فرج ميخائيل)

ولم يكتف بالجهر بهذا السوء باللسان ، بل طبعه لتعميم الدعاية في البلاد ، وقد بدهه بعض الشبان المسلمين بالانكار في وجهه عند التصريح بهذه المسألة ، ثم ذهب أفراد منهم الى مكاتب جميع الجرائد اليومية فأخبروها بما كان ،ومنهم من كتب اليها بالرد والانكار ،فأجمعت على استقباح ذلك واستفظاعه ، ثم دعته النيابة العامة للتحقيق معه تمهيداً للحكم عليه بما يستحقه جرمه ، وكانت فعلته داعية لسؤال بعض نواب الامة حكومتها في المجلس : ماذا فعلت في مقاومة هذا الهجوم على دين الامة وحكومتها، الذي يخشى ان يكون موقداً لنار الشقاق الديني فيها ؟

اننا ندع هذا المتهور وشأنه مع الحكومة فلا نتصدى للبحث في العقاب القانوني الذي يستحقه ، ونختص بكلامنا ما يجب علينا شرعا من الدفاع عن ديننا ورد هجماته ، وتحذير المسلمين من دسائس الطاعنين به ، ومن تفنيد شبهاتهم على

مايدعون من ظلم الاسلام للنساء في هذه المسألة وغيرها

أول ما أقوله في الواجب الاول ان أمر الدين ليس كأمر القوانين والعرف القومي في جواز وضع نصوصه موضع البحث والنظر لنترك مالا نستحسنه منها ونبقي ما نستحسنه ، بل مقتضى الدين عند جميع الامم ان يخضعوا ويدينوا الله تعالى بقبول كل ماهو قطعي منه كما هو ، سواء أدركوا وجه حسنه ومنفعته أم لا فشأنهم فيه كشأن المريض مع الطبيب النطاسي الماهر يقبل قوله في مرضه وما يصف له من الدواء من غير ان يقيم له الدلائل والبراهين على فائدة الطب وعلى وجوب جعل الدواء مركباً من أجزاء معدودة ، على نسب بينها محدودة . هذ مع القطع بان الاطباء كثيراً ما يجهلون حقيقة المرض ، وكثيراً ما يخطئون في وصف الدواء له ، وان طبيب الارواح والاجتماع بهداية الدين وأصول الشرع هو الله المنزه عن الجهل والخطأ ، وانما يجوز للناس ان ينظروا في أدلة الاحكام الدينية للتمييز بين القطعي منها وغير القطعي وعن حكمة التشريع والمصلحة التي ناط بها الشارع الحكم .

حضرت منذ ثلاثين سنة ونيف مجلسا من أرقى مجالس أركان النابغين من هذه الامة في دار المرحوم سعد باشا زغلول في حي الظاهر كان منهم أحمد فتحي زغلول وقاسم امين ، وكان واسطة عقدهم الاستاذ الامام رحمهم الله أجمعين وبقي من الاحياء الذين حضروا تلك الجلسة الشيخ محمد زيد بك الفقيه المشهور ، دارت المذاكرة بينهم كعادتهم في الاحكام الفقهية والقانونية والمقابلة بينها وما ينتقد منها ، فجري على لسان أحدهم التمثيل بمسألة الربا ، فقال المرحوم قاسم امين : هذه المسألة منصوصة في القرآن الكريم فيجب علينا أن نأخذها قضية مسلمة بدون بحث وإلا كنا غير مسلمين ، وانما نبحث في الاحكام الشرعية الراجعة إلى اجتهاد المجتهدين فوافق الجميع على قوله هذا

وللفيلسوف ابن رشد حكيم الاسلام في الاندلس الذي كانت فلسفته من أعظم أسباب نهضة أوربا العلمية كلمة في هذا الموضوع وهي ان الفيلسوف لايستبيح لنفسه جعل الدين موضع بحث ونظر في قبوله والحاجة إلى الاهتداء به

أم لا ؟ (أو قال كلمة بهذا المعنى) وعلل ذلك بقوله : لان هـذا بمعنى التشكيك في الفضيلة هل هي حاجة من حاج البشر أم لا ؟

وسأبين تفنيد مازعمه عزمي من جواز ترك جميع أحكام الاسلام الدنيوية ومنها الارث واستبدال غيرها اذا ظهر بمقتضى تغير أحوال الزمان والمكان عدم صلاحيتها، وافصل ما أجملته في الجامعة من انقسام نصوص الدين الى قطعي الرواية والدلالة لامجال للاجتهاد فيه، وما هو غير قطعي فيجوز الاجتهاد فيه، وما يبيح ترك كل منهما باذن الشارع من اضطرار وغيره وحكمة هذا التقسيم ومصلحة المكلفين فيه.

وإنما أقول هنا بالاختصار ان مثل هؤلاء الثلاثة الجاهلين بنصوص الاسلام ومعانيها وأصولها وحكمها ، والكافرين بكتابه ورسوله ، ليسوا أهلا لأن يأخذ المسلمون بآرائهم وأقوالهم في شيء مما ذكر ، حتى ان ما يتعلق من ذلك برأي الاطباء كالمرض المبيح للفطر في رمضان وترك استعمال الماء في الوضوء والغسل ؛ والاضطرار المبيح لأكل المحرم أو شربه — لايجوز الاخذ فيه بقول مثل الطبيب فخري ميخائيل في تعصبه وتهور تحامله على الاسلام واهانته للمسلمين

وماجرأ هؤلاء على هذا العدوان واحتقار المسلمين وحكومتهم معا إلا الاسراف في حرية الالحاد والفسق في هذه العاصمة الذي لا نظير له في أوربا ولا أمريكة حتى صاروا يعتقدون ان المسلمين لم يبق عندهم مسكة من الغيرة الدينية والحمية الملية ، وهم يعلمون أنه لا يستطيع أحد في مدرسة من مدارس أوربا ان يجاهر بالطعن في الانجيل ولا في التوراة من الجهة التي يؤمن النصارى بها ، وقد بلغ من تعصب طلبة العلم في الولايات المتحدة ان أقاموا النكير على استاذ مدرسة قرر فيها نظرية دارون المشهورة المخالفة للتوراة حتى اضطرت حكومة تلك الولاية الى اخراج الاستاذ من المدرسة وتحريم تقرير هذه النظرية في مدارسها كلها

انني لا أعقل أن تكون هذه المسألة التي اضطرب المسلمون كلهم لها (مسألة الارث) هي المقصودة بالذات من هذه الدعاية ، ولا ان المقصود بالذات اعطاء النساء ما يعتقد هؤلاء الدعاة أنه حق لهن حبا بالعدل وكراهة للظلم ، ولا اعقل انهم يعتقدون ان استحسانهم لهذه المساواة واستقباحهم لما هي مخالفة له من حكم

الله يقنع المسلمين أمة وحكومة برفع هذا الظلم المزعوم، وتقرير ذلك العدل الموهوم، كيف وهم يدعون النساء دعاً الى مهاوي الهلكة لهن ولبيوتهن (عائلاتهن)

وانما المقصود بالذات صدهم للمسلمين عن الاسلام نفسه وتحويلهم عنه بابطال ثقتهم به وغيرتهم عليه ، وتقطيع الروابط التي تربطهم بالامة العربية العظيمة ، وفصم عروة الجامعة التي تضم اليهم ٣٥٠ مليونا من البشر لايرون لملتهم زعيما بعد الدولة العثمانية أولى من مصر ، ولا يخفى ماوراء ذلك وما يلزمه من الفوائد لهم ولمن يستخدمهم ..

وما أطمعهم في هذه الامنية إلا اخوانهم من ملاحدة المسلمين الذين كانوا أجرأ منهم وأسبق الى الجهر العريان بالطعن في الثقافة الاسلامية والحضارة العربية والآداب العربية كما تقدم في مقال سابق ، والا ماعلموا من حرمان النشء الاسلامي الحديث من التعليم الاسلامي والتربية الاسلامية في البيوت والمدارس معا ، وما يشاهدون من ثورة النساء وخروجهن إلى الاباحة لا إلى التبرج فقط ، فأرادوا أن يجعلوا جندهم في تجديد الالحاد من الشبان والنساء وكذلك يكثرون اللهج بالثقة بهما

والدليل على أن هذا غرضهم ماصرحوا به في الاستدلال على وجوب قبول المساواة بين المرأة والرجل في الميراث وهو ان المسلمين قبلوا ورضوا بترك حكومتهم لاقامة حدود القرآن على السارقين والزناة ، وبحكم المحاكم الاهلية في الدماء والاموال وترك حكم الشريعة ، فلماذا لايرضون اذاً بترك أحكام الاسلام في الامور الشخصية ؟ وأما أحكام العبادات فهم يشاهدون درجة التهاون بها ، ولا يشكون بقرب زوالها

وقد فندتُ هذا القياس الشيطاني الفاسد في محاضرتي الاخيرة في الجمعية الجغرافية الملكية من بضعة وجوه . وضربت له مثل من قصر في حفظ ماله وصيانته لغصب بعضه ولم يسع لرده فقيل له انك عرضت بعض مالك للزوال فيجب عليك أن تعرض الباقي حتى تبقى معدما !!

وسأذكر في الفصل الآتي تلك الادلة بل الشبهات التي أوردها كل من عزمي وفخري مع تفنيدها وأحذف ذلك من المحاضرة

﴿ تفنيد شبهات المساواة في الميراث ﴾

— ١٠ —

ان لنا في الكلام في هذه المسألة مسلكين (احدهما) ماهون به دعاة الالحاد على المسلمين ترك حكم الله في المسألة (وثانيهما) ما يرجحون به حكمهم على حكم الله عز وجل ، ويحتجون به على تفضيله عليه ،مع علمهم بان أعظم شعوب أوربة وأعدلها في نظرهم وعرفهم ــ كالدولة البريطانية ــ لا تورث النساء البتة، ومن هؤلاء الملاحدة من دعا أهل هــذه البلاد الى تسليم أمرهم اليها ، وترك قوميتهم الى قوميتها ، ووطنيتهم الى وطنيتها

اما المسلك الاول فاننا نبدأ القول فيه بتفنيد ما زعمه عزمي أفندي من ان بعض علماء المسلمين قال انه يجوز لهم ترك جميع أحكام الشريعة الدنيوية حتى الثابت منها بالنصوص القطعية الى مايرونه خيراً منها لانها أحكام تختلف المصلحة فيها باختلاف الزمان[1] ومنها الاحكام المالية كالميراث وغيره وانما الذي يجب المحافظة عليه أحكام العبادات فقط ثم نفند ما اشترك فيه معه غيره كالدكتور فخري ميخائيل فرج فنقول .

تفنيد دعوى كون الاحكام الدنيوية في الاسلام اختيارية .

ان هذا الزعم الذي جهر به عزمي في مجلس المناظرة لم يقل به عالم من علماء المسلمين المتقدمين ولا المتأخرين ، ولا يتجرأ عليه الا بعض الزنادقة الذين لا يبالون ما يقولون ، فانه مخالف لنصوص الكتاب والسنة وللاجماع والقياس، فالقول به كفر صريح يعد صاحبه به مرتداً عن الاسلام بالاجماع

(١) قد رأينا هذا الزعم الباطل مكرراً في كتاب (السفور والحجاب) الذي نشر في بيروت باسم الآنسة نظيرة زين الدين فرد عليه كثير من علماء المسلمين وكتابهم وكان جل ماعنوا بالرد عليه مسألة الحجاب وهذا الزعم شر ما فيه لأنه هدم لنصف الاسلام سيلزم هدم النصف الآخر

لا فرق عند علماء المسلمين بين أحكام العبادات وأحكام المعاملات في أدلة ثبوتها ووجوب العمل بها، الا مايقوله بعض أئمتهم من ان مدار ثبوت العبادات كالتحريم الديني على نصوص الكتاب والسنة دون الرأي والاجتهاد وانما يختص الاجتهاد بصفة العمل بها كالاجتهاد في القبلة مثلا — ومن أن المعاملات المالية والسياسية وغيرها هي التي فوض الشارع الى الامة الاجتهاد فيها واستنباط الاحكام للمصالح التي لانص له فيها . ومن القواعد المسلمة عند جميع الفقهاء أنه لا اجتهاد في مورد النص ، وعلماء القوانين الوضعية يوافقون علماء الشرع على ان الاجتهاد المخالف لنص القانون باطل ، وانما محله تفسير القانون وتطبيقه على القضايا ، وفي هذه المسائل تفصيل يتوقف بيانه على ذكر مذهب الظاهرية ومذهب أهل الرأي ومذهب فقهاء الحديث ، وليس هذا المقام بالذي يتسع لهذا كله ولا بالذي يقتضيه . وحسبنا ان نفند ذلك الزعم الالحادي باثبات الاجماع الذي لانزاع فيه على ان نصوص الشارع القطعية الرواية والدلالة تجب المحافظة عليها ولا يجوز رد شيء منها، ولاتركه بدون عذر شرعي، وان من جحد شيئا منها عالما به فهو مرتد عن الاسلام خارج من الملة .

وأما ما كان غير قطعي الرواية أو غير قطعي الدلالة فهو محل للاجتهاد عند من كان أهلا له من العلماء ، وقد ضربت له المثل في مجلس المناظرة بآية البقرة في تحريم الخمر والميسر وهي قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) فانها تدل على التحريم دلالة ظنية راجحة ولكنها غير قطعية ، والحكم في مثلها ان من فهم منها الدلالة على التحريم وجب عليه العمل بمقتضى فهمه كما وقع من بعض الصحابة رضي الله عنهم فانهم تركوا الخمر والميسر عقب نزولها ، وبقي بعضهم يشرب الخمر ولم ينكر النبي ﷺ عليهم ذلك لانه اجتهاد في موضعه ، حتى اذا ما نزل النص القطعي الدلالة على التحريم في آيات سورة المائدة أهرق الصحابة كلهم ما كان عندهم من الخمر حتى صارت تجري كالسيل في شوارع المدينة وصار النبي ﷺ يعاقب من ثبت عليه شربها .

هذا حكم المسائل الظنية التي يجوز فيها الاجتهاد ، أعني حكمها في حق الافراد من الناس ، وأما ما كان منها متعلقا بالمصالح العامة والحقوق فاذا ثبت منها شيء عند أولي الامر وأمر به الامام وجبت طاعته فيه ، فلا يجوز لأحد أن يخالف الحكومة في أمور المصالح العامة ولا في الحقوق عملا باجتهاده

ومسألة الميراث التي هي موضوع مناظرتنا مع الملاحدة وبعض النصارى المعتدين على ديننا من المسائل القطعية الرواية والدلالة ، أما الرواية فهي آيات القرآن وكلها متواترة قطعية بغير خلاف ، وأما دلالتها على ما ذكر فهي قطعية أيضا لانها لا تحتمل في لغة القرآن معنى غير المعنى المتبادر منها،ولا يشتبه في هذا أحد له أدنى المام بهذه اللغة . وأولها قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) ويلي هذا النصوص في الاخوة والاخوات والازواج وكلها صريحة قطعية ، وإنما يوجد في مسائل الارث قليل من الاحكام الاجتهادية الاخرى .

والدليل من نص القرآن على أن أحكام الارث محكمة لا اختيار لأحد في تركها وأن الله تعالى يعاقب من عصى أمره فيها يوم القيامة ويثيب من أطاعه قوله عز وجل عقبها (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)

فأي مسلم يؤمن بالله وكتابه وبرسوله يرضى بأن يعرض نفسه للحرمان من ذلك الفوز العظيم بمثوبة الله بتلك الجنات الخالدة الدائمة ، ولصليّ تلك النار الخالدة والعذاب المهين فيها ، بايثاره للنظريات الفاسدة التي يدعوه اليها أفراد من الملاحدة والقبط المساعدين لدعاة النصرانية (المبشرين) على افساد عقائد المسلمين وتحويلهم عن شريعتهم، ليسهل عليهم استعباد الاجانب لهم ؟؟

حسبنا في المسلك الاول هذا التفنيد الموجز لزعم عزمي أنه يوجد في علماء المسلمين من يبيح لهم ترك ما شرعه الله تعالى من أحكام المعاملات الدنيوية المالية والشخصية والسياسية وهو ما صرح به الا لأن هؤلاء الملاحدة يبغون غش الصحيحي العقيدة من المسلمين وخداعهم لهدم الاسلام كله فانهم إذا تركوا

قسم الاحكام المذكورة من شريعتهم يسهل عليهم أن يكون جميع حكامهم من الملاحدة والافرنج ، فلا يبقى للاسلام حكومة في هذه الارض ، فيكونون كاليهود بل أذل ، فان اليهود استعاضوا عن عزة الملك بعزة الثروة التي لها الشأن الأكبر في ادارة أمور الدنيا ، على انهم على قلتهم وتفرقهم لا يزالون يسعون لاعادة ملكهم ، فان كان اكثر الناس يجهلون سعيهم فقد ذكرتهم به ثورة فلسطين الاخيرة ، وهم يعتقدون أن اقامة دينهم لا تتم بدون ملك ، لأنه دين تشريع وحكم ، والمسلمون أحق منهم بهذا الاعتقاد ، وان أكبر الجهاد الذي يجاهدهم به أعداء دينهم موجه إلى هدم سيادته الحكمية التشريعية ، وهم يعلمون أن القسم التعبدي الروحي لا يلبث بعد ذلك أن يزول معظمه ، ويبقى قاصراً على عدد قليل في كل بلد أو قطر

هذا ما انفرد به عزمي بوحي شيطاني من أحد أركان حزبه . وأما ما اتفق عليه عزمي وفخري فهو محاولة اقناع المسلمين بترك أحكام دينهم في الميراث وكذا في الطلاق وغيره من أحكام الزوجية بقياسه على ترك الحكومة المصرية لاقامة الحدود الشرعية وغيرها من أحكام العقوبات والمعاملات المدنية

والفرق بين هذا وما قبله في ايذاء المسلمين واحتقارهم أن هذا دعوة لهم إلى ترك ما يؤمنون بأنه من أحكام الله التي وعد من أطاعه فيها بسعادة الدنيا والآخرة ، وأوعد من عصاه فيها بالعذاب المهين ، أي إلى نبذ عقيدتهم ، وتوطين أنفسهم على سخط ربهم وغضبه وعقابه بدعوى أنه لا مندوحة لهم في هذا العصر عن ذلك ، فهذا احتقار لهم وسخرية منهم ما بعدها غاية في الايذاء المعنوي . واننا قد اطلعنا على كثير مما كتبه أعداء الاسلام والمسلمين في الدين والسياسة فلم نرهم على تعصبهم وتشويههم لمحاسن الاسلام يدعون أن تفضيل الذكور على الاناث في شريعته كان سببا من أسباب ضعفهم المدني أو الاجتماعي ، بل هذا مما انفرد به هذان القبطيان وأعوانهما من ملاحدة مصر

وأما ما قبله فهو خداع يتضمن رمي مسلمي مصر بالجهل بدينهم وأنهم بلغوا من ذلك ما يؤهل مثل عزمي في مجاهرته بالالحاد بل التعطيل التام ، لأن يقبل

قوله في الصد عن أكمل هذه الاديان ، وأقواها حجة وأعظمها أثراً في الحضارة والعمران ، ويصدق بان بعض علماء المسلمين قال بجواز ترك أحكام القرآن الدنيوية، لانها بزعمه اختيارية

وقد بدا لهم من هذا التهور ما لم يكونوا يحتسبون ، فصاح شبان المسلمين المتعلمين في وجوههم الصيحة بعد الصيحة في الجامعة المصرية ، ثم في الجامعة الاميركية، وكانوا يظنون أنهم جندهم الذي يدين لهم بالطاعة العمياء والتقليد لخدعة التجديد ، وتبارت أقلام الكتاب المرهفة في حلبة الصحف في تفنيدهم والازراء بهم

نعم غر فخري ميخائيل قول راوية الاهرام في مناظرة الجامعة « ان الشباب صفق لمحامي الشباب» اذ لم يقرأ أو لم يصدق مما كتب في الصحف عن تلك المناظرة الا شهادة الزور التي رواها للاهرام (أحمد الصاوي) من أنصار التجديد الالحادي، غره هذا وصدقه فصرح في محاضرته المنكرة بانه يعتمد على الشباب المسلمين في مناقشة الذين يتحكون بالشريعة الاسلامية في هذه المسألة دفاعا عن حق المرأة — فجبهه من حضر من أولئك الشبان الاباة الضيم في وجهه، ودمغوه بالانكار في أثناء إلقائه لسخفه، ولكن كان قد طبعه ووزعه على الناس ، وإننا ننقل نص عبارته ، لانها أوسع وأوضح من عبارة عزمي في مناظرته ، ثم نقضي عليها بتفنيدها من الوجوه التي أجملناها في محاضرتنا في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية كما وعدنا . وهذا نص عبارته الركيكة المسلطة :

عبارة الدكتور فخري في المساواة في الارث .

« وإذا تحكك المدافعون عن نظرية حق البنت في الميراث فاننا نتركهم يتحككون باحكام الشريعة في هذه المسألة ، ونتركهم يصرخون ويستصرخون وزير المعارف وغيره لحماية الاسلام كما يدعون ، نترك عليهم المفكرين الحديثين من شبان المسلمين يناقشونهم الحساب دفاعا عن حق المرأة ،ولكن قبل تركهم نسألهم سؤالا واحداً في خشوع واحترام لاشخاصهم بغض النظر عن ادعاءاتهم.

« أيها السادة : لماذا لا تطالبون بتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية في مسائل السرقة والزنا والقتل ؟ ولماذا تجيزون للقاضي الاهلي ان يحكم على أي

واحد منا بالاعدام ولا يحكم في مسألة نفقة شهرية ؟

«ولما تجيزون للقاضي الاهلي ان يحكم على أي واحد منا بتجريده من ثروته وإعلان افلاسه ، ولا يحكم في مسألة طلاق بسيطة ؟ لا تتذمرون من ان القاضي الاهلي أصبح مختصاً في الحكم على كل ما يتعلق بكرامتنا وبشرفنا وباعراضنا وبثروتنا وبحريتنا وباعدامنا أو تخليصنا من الاعدام ، وتعرضون لمجرد مناقشتنا في مسألة بسيطة وهي حظ الانثى في الميراث . . حقا ما أكثركم غيرة على الشريعة ، وما أحركم هياما بالدين ..

« أيها السادة . ان كنتم غيورين على الشريعة فنادوا — ان كنتم شجعاناً بتطبيق أحكام الشرع الشريف في كل شيء

« وأما كنتم لاتغارون على الشرع أو الدين ، بل إنكم تغارون على «ميراث العمارات والافدنة والطين »، فسيروا في طريقكم ، ودعوا المفكرين الحديثين في طريقهم كل يعمل بعقيدته وايمانه ، والله ولي التوفيق » اهـ

وهذا الكلام يتضمن الطعن على جميع المسلمين بجعلهم فريقين أحدهما منافق وهو الذي يدعي الغيرة على الدين والمحافظة على أحكامه وهو فريق الشيوخ والكهول ، وغير المفكرين الحديثين من الشبان . وفريق مارق ملحد وهو فريق الشبان المفكرين الذين هم محل أمله وأمل أمثاله في القضاء على البقية الباقية من الاسلام اتباعا لاهوائهم وشهواتهم . وانخداعا بأوهامهم التجديدية ، ولولا سوء اعتقاده بغرارة هؤلاء الشبان ، وانسلاخهم من كل وجدان وغيرة على شرف دينهم ، لما تجرأ على التهكم باستصراخ أمير من أكبر أمراء هذا الشعب(١) لوزير المعارف بان يمنع مثل هـذه التصريحات المنكرة في الاسلام على مسمع من طلاب العلم في مدارس هذه الحكومة الاسلامية

وما كررنا هذا المعنى في كشف عوار هذه الدعاية الالحادية إلا لتستقر في أذهان الشبان وغيرهم وليعرفوا قيمتهم عند هؤلاء الناس وما يريدون .

وموعدنا المقال الحادي عشر في الرد العلمي العقلي عليهم

(١) هو الامير عمر طوسن باشا المشهور

أنباء العالم الإسلامي

مشروع فرنسي عظيم الشأن في الحجاز

رأينا في بعض الجرائد الفرنسية ان بعض مسلمي أفريقية الفرنسية طلبوا من الدولة الفرنسية ان تبني للحجاج منهم داراً فرنسية كبيرة في مكة المكرمة وأخرى في المدينة المنورة يأوون اليهما ويجتمعون فيهما مدة وجودهم في البلدين المكرمين لأداء مناسك الحج وزيارة النبي ﷺ فتلقت الدولة هذا الطلب بالقبول والارتياح وكان أول من تبرع له بالمال وزارة الحربية في باريس تبرعت بمائة ألف فرنك

نبأ عجيب غريب ، وتبرع أعجب وأغرب ، متى كان مسلمو المستعمرات الفرنسية يعتقدون ان فرنسة تحرص على تسهيل اداء فريضة الحج لهم وتهتم براحتهم ورفاهتهم في سفرهم الى الحجاز وإقامتهم فيه ، وهم يرون باعينهم ويسمعون بآذانهم ما كانت تضعه من العوائق في سبيل اداء هذه الفريضة، ومافعلته باوقافهم وبتعليمهم الديني وغيره في الجزائر وما تفعله الآن في المغرب الاقصى؟ وهل يعقل أن يطلبوا منها ان يكونوا في البلاد المقدسة الحرة مستظلين بعلمها وتحت مراقبة جواسيسها كما يكونون في بلادهم ؟ لايعقل بشر أن يحبوا هذا ويطلبوه

ثم ما شأن وزارة الحربية الفرنسية من هذا المشروع فتتبرع له ؟ أليس لان المرجع اليها في حفظ العلم الفرنسي وكرامته والدفاع عنه اذا أهين حقيقة او ادعاء عند الحاجة الى هذا الادعاء، وانه تمهيد لتدخلها في شؤون الحجاز ؟

لا يرتاب عاقل في ان هذا الطلب تدبير سياسي في هذه الدولة نفذه لها بعض صنائعها من المغاربة كالسي قدور بن غبريط ، وهي معذورة في السعي الى سبق دول أوربة كلها الى تأسيس مكان نفوذ لها في البلاد المقدسة التي لايبيح الاسلام لأحد من غير المسلمين ان يملك شبراً من ارضها او ان يدخلها زائراً او تاجرا او عابر سبيل ، ولكن يستغرب ان يطلب مثل هذا من الملك عبد العزيز

آل سعود مع العلم بصلابته في دينه وشجاعته وعدم امكان التسلط على ارادته بشيء من الترهيب أو الترغيب . لهذا نقول ان الذين دبروا لفرنسة هذه المكيدة لم يحسنوا التدبير ، ولو احسنوه لوضعوه في صورة غير مشوهة كهذه الصورة ، ولأقنعوها بان تقدم بين يديه توددا أمثل من التودد الذي كانوا شرعوا فيه مع الملك حسين لمثل هذا الغرض وهو ماحملته بعثة الحج المغربية من الهدايا

كان من المعقول ان تمهد فرنسة بالاعتراف لحكومة الحجاز بان سكة الحديد الحجازية هي وقف إسلامي على مصالح الحرمين لتسهيل الحج — وان الحق في ادارتها واستغلالها لهذه الحكومة ، وان تقدم لها حاصل ريع ما استولت عليه منها في سورية من عهد ادارتها له الى اليوم ، وأن تعترف لها ايضاً بحق صافي ريع اوقاف الحرمين في تونس والجزائر والمغرب الاقصى وتطلعها على حساباتها وتؤدي اليها مافضل منها ولو بعد ماأنفقته على مسجد باريز .

بعد مثل هذا التودد تطلب او تشترط على حكومة الحجاز أن تبني من ريع هذه الاوقاف معهداً صحياً لحجاج المغاربة في مكة المكرمة وآخر في المدينة المنورة يكون خاصاً بهم ، لا تباح الاقامة فيه لغيرهم بتقديمه عليهم اذا وجدوا ، وأن يكون الحق في ادارته لمصلحة الاوقاف الحجازية ، وحسب فرنسة من فائدته سهولة مراقبة حجاج المغاربة في الحجاز على من يتولون تدبير أمورهم في السفر الى الحجاز ، واستمالتها للمسلمين بالعناية المعقولة بأمرهم — مثل هذا يحتمل أن تقبله الحكومة السعودية لما يظهر فيه من أمارات حسن النية ، وأمن سوء العاقبة التي عرفت من الاوربيين وسائلها ومقاصدها ، ومنها ان التساهل معهم باباحة الانتفاع بشيء ما من بلاد الشرق يجعلونه حقاً لهم الى الابد ، ومن هذا القبيل مايسمونه بالامتيازات الاجنبية في مصر وسائر البلاد التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية بالفعل أو تحت سيادتها ، ومنه وجود قناصلهم في جدة . وأعجب منه مسألة زيارة اليهود لجدار المسجد الأقصى المسمى بالبراق ... كان تساهلا من المسلمين ورحمة باليهود الذين لم يرحمهم أهل ملة في الارض غيرهم ، والآن يحاولون أن يجعلوه بنفوذ الدولة الانكليزية حقا لهم ، ووسيلة الى ماهو أعظم منه . . .

﴿ تعليم البنات ونفقته على الوالد ﴾

تناقلت الجرائد في هذه الايام ان أحد قضاة الشرع في مصر حكم لامرأة على رجل بنفقة ابنته منها إلا أجرة تعليمها في المدرسة ، فقد أثبت في الحكم انها عليه شرعا — فكان هذا الحكم مدعاة الاستغراب والقيل والقال لان تعليم البنات صار في هذا العصر من أهم الواجبات عند جميع طبقات الناس فترى بعضهم يقدح في هذا القاضي وبعضهم وهم الملاحدة يقدحون في الشرع نفسه ، وكل منهما جاهل مسيء . ولا يمكن العلم بخطأ هذا القاضي إلا من نص الحكم الذي كتبه ونطق به فان من تعليم البنات ماهو واجب مفروض شرعا ، ومنه ماهو فضيلة مندوب شرعا ، ومنه ماهو محرم أو مكروه شرعا ، وما يدرينا لعل هذا القاضي علم ان تلك الوالدة تعلم بنتها في مدارس الراهبات أو غيرها من مدارس دعاة النصرانية التي يلقن فيها التلاميذ عقائد دين أهلها ويجبرون على حضور عباداته في كنيسة المدرسة ، فهل يقول مسلم يؤمن بالله وبما جاء به رسوله ﷺ ان التعليم في هذه المدارس شرعي يوجب الشرع نفقته على والد البنت ؟ كلا انه لا يقول هذا إلا ملحد في الاسلام اوجاهل لعقائده واحكامه كالذين يعلمون بناتهم وابنائهم في هذه المدارس ولا يبالون ماتجنيه على دينهم

واذا بحث المسلم العالم بدينه عن كثير من مدارس البنات التي تسمى إسلامية يجد في تعليمها من المنكرات الشرعية مالا يسعه ا قول باباحته ، وقد بلغنا ان خير هذه المدارس في أصل وضعها وهي مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية لايمرن فيها البنات على صلاة الفريضة فماذا يقال في غيرها ؟

احتج بعض الجرائد على حكم هذا القاضي بحديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وزادوا فيه نقلا عن أمثالهم من الجاهلين بالحديث «ومسلمة» وما هي منه ولكنها مرادة كسائر نصوص الشرع العامة التي يذكر فيها المسلمون أو المؤمنون من باب التغليب ، فالأصل في جميع احكام الشرع أن تكون للمؤمنين والمؤمنات إلا ماخص بأحدهما كأحكام الحيض والنفاس الخاصة بالنساء وأحكام الجهاد الخاصة بالرجال مثلا . وقد بينا ذلك في مواضع آخرها مقالات (المساواة بين الرجال والنساء) التي تنشر في جريدة كوكب الشرق وفي المنار

مسألة مصر والسودان

ومشروع المعاهدة بين مصر والانكليز

علم الانكليز بما علمتهم ثورة مصر سنة ١٩١٩ أن قولهم اننا ندير الاحكام في مصر برجال - أي بآلات - من اهلها قد بطل وتعذر بقاؤه ، فوطنوا أنفسهم على الاعتراف باستقلال مصر المقيد بما علمنا والاستقلال بالحكم في مملكة السودان الشاسعة الواسعة وطرد المصريين منها مع الاستمرار على أخذ المال الكثير من خزينة مصر باسم السودان في كل سنة ، فانتهزوا الوقت المناسب لتنفيذ ذلك فنفذوه ، وأما مصر فسلكوا في معاملتها مسالك المضايقة لحكومتها في كل تصرف والمعارضة لما يقرره (برلمانها) حتى في الامور الداخلية حتى رموها بالشلل ، وكان ما كان من إفضاء ذلك الى إلغاء حكومة الدستور وتعطيل البرلمان وتأليف وزارة محمد محمود باشا سليمان زعيم الحزب الدستوري الذي يعتمدون عليه بمصر ، وفي إثر ذلك سقطت وزارة المحافظين البريطانية المثيرة لهذه الشاغبات ، والمدبرة لهذه المضايقات ، والمديرة لهذه المكايدات - وتبعها إلجاء المندوب السامي البريطاني المنفذ ما أشرنا اليه من السياسة السوءى الى الاستقالة من منصبه ، ثم وضع أساس الاتفاق على حل عقد المشكلة المصرية بمعاهدة تعقد بين الحكومتين كما بينا ذلك كله في أجزاء منار هذا العام (الهجري) الثاني والثالث والرابع

ورأى الانكليز ان المعاهدة التي عرضوا مسائلها على محمد محمود باشا وتراضوا معه عليها لا تكون شرعية الا اذا وافق عليها برلمان مصري ومن ثم سعوا الى تغيير الوزارة (الدكتاتورية) وإعادة الحكم الدستوري الى مصر بعد أن آنسوا من رئيس الوفد المصري ميلا الى الاتفاق معهم على هذا الاساس في الجملة وقد كان ذلك أمراً مفعولا - فتألفت وزارة موقتة برياسة عدلي باشا يكن لاعادة انتخاب النواب المصريين فكان ذلك وكانت الاكثرية العظمى في مجلس النواب الجديد للوفد المصري وكذلك مجلس الشيوخ ، ومن ثم تألفت الوزارة الدستورية الجديدة برياسة مصطفى باشا النحاس رئيس الوفد وتلا ذلك تأليف وفد من وزارته لمفاوضة الحكومة البريطانية في المعاهدة الجديدة على ذلك الاساس بعد الاتفاق على مايعرضه الوفد

من التحوير والتعديل الذي أشرنا اليه في جزء المنار الرابع (ص ٥ ٣ م ٣٠) بقولنا في المشروع : «ومن الناس من يظن كما نظن ان البرلمان الوفدي لا يرده ردا ، ولكنه يتوخى خدمة البلاد بما يبين به ما فيه من إجمال، ويوضح ما فيه من إبهام ، ويقيد ما يخشى مغبته من اطلاق » وقد كتبنا هذا قبل تأليف البرلمان الجديد

ذهب وفد المفاوضة الى لندن للمفاوضة فتلقته الحكومة البريطانية بالحفاوة والاكرام والأدب وكان من اكرامه مقابلة « الملك صاحب الجلالة البريطانية » له بالمجاملة ثم دارت المفاوضات بينه وبين حكومة العمال وتواترت الانباء البرقية اليومية بأن الفريقين المتفاوضين حريصان على الاتفاق لم يظهر منهما إلا حسن النية التي تبشر بكل خير ، حتى إذا ماجاء دور البحث في السودان تصادما فيه تصادماً كاد يحبط كل ماتقدمه من تساهل، ويعيد مصطفى باشا النحاس بخفي حنين كما عاد سلفه سعد باشا قبله

ظهر للوفد المصري أن الانكليز يريدون الانفراد بالحكم في السودان أي جعله بريطانيا محضا لا حظ لمصر من الشركة الفعلية فيه ، وان يكون ذلك باقرار الوفد وتصديق البرلمان المصري على الحالة الحاضرة فيه، ويأبون أن يكونوا شركاء لمصر فيه بالمساواة الفعلية ، وهو حق مصر وحدها وليس لهم أدنى حق قانوني بهذه الشركة التي عقدوها سنة ١٨٩٩ مع بطرس باشا غالي الذي كان وزير الخارجية المصرية ، إذ لاحق له بعقد هذه الشركة ، وكان لورد كرومر أراد يومئذ أن يحمل مجلس النظار المصري على عقد تلك الشركة فكلم رئيسه مصطفى فهمي باشا في ذلك فأجابه ان الفرمانات السلطانية بالاستقلال الاداري لمصر لا تبيح للحكومة المصرية ذلك فهو حق السلطان العثماني وحده ، فلما لم يمكن جعل عقد الشركة بقرار من مجلس النظار بناء على انه لا حق له في عقدها رضوا بما دونه وهو عقدها مع وزير الخارجية

وقد قلنا في آخر الجزء الثالث (ص ٤٢٠ م ٣٠) بعد بيان مشروع الاتفاق الذي حمله محمد محمود باشا مانصه « مسألة السودان أهم مسائل هذا الاتفاق على الاطلاق لان مصر لاحياة لها بدون السودان، فهو منها بمنزلة القلب من البدن، والنيل الآتي منه بمنزلة الدم الذي يغذي الجسد ويحفظ حياته»

فأي خزي أخزى من أعطاء مصر السودان العظيم الشأن للانكليز بصفة رسمية تتفق عليها الحكومة والامة الممثلة في برلمانها ؟ وحرمان نفسها من هذه المملكة العظيمة التي هي أصل وجودها ولا بقاء لها الا بها ؟

نعم ان الانكليز مستولون على السودان بالقوة التي مكنها فيه اهمال مصر السابق من عهد ارسال اسماعيل باشا اليه (غوردون) الانكليزي واعطائه حق التصرف فيه واعانته على ذلك بالمال - ولكن هذا الاستيلاء غصب همجي لا حق قانوني ، فاذا لم يقره البرلمان المصري فلمصر الحق في كل وقت بالمطالبة به بلسان القانون الدولي والحق الطبيعي ، ثم بالقوة عند سنوح الفرصة ، ولا ييأس من فرص الزمان إلا الجبناء الجاهلون، كما انه (لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

لا يخفى على أحد من رجال الوفد ولا غيرهم أن هذه المعاهدة التي تدور المفاوضة بشأنها مقيدة لاستقلال مصر بقيود ثقيلة فيها خطر كبير ، وأن النص فيها على انتهاء الاحتلال لا معنى له في الواقع إلا انتقال الجيوش المحتلة من القاهرة إلى منطقة الاسماعيلية وما وراءها الى السويس من أهم المواقع العسكرية في البلاد - وانها تتضمن خطراً آخر هو شر من التحفظات الاربعة التي قيد به تصريح فبراير سنة ١٩٢٢ المشهور وهي القيود العسكرية المعروفة. وما عدا ذلك من المزايا فيها كالدخول في عصبة الامم وحماية الاجانب وإلغاء المحاكم القنصلية فهو قليل ضئيل حقير ، اذا بيع به السودان العظيم الضخم الكبير

لذلك نجزم بأن قطع المفاوضات وفشل مشروع المعاهدة خير وأبقى على مصر وأضمن لحياتها في المستقبل من إعطاء السودان للانكليز عطاء رسميا

ان طبيعة الاجتماع البشري سائرة سيراً سريعا الى القضاء على استعباد أقوياء الشعوب لضعفائها باسم الاستعمار ، وغيره من الاسماء الخادعة كالحماية والانتداب، وإذا كانت الهند مصدر ثروة الانكليز وعظمتهم وهيكل امبراطوريتهم قد هبت تطلب الاستقلال المطلق وهي تسير اليه سيراً طبيعيا لاشك في وصولها الى الغاية منه - فهل يليق بمصر أن تهب السودان لهم هبة رسمية ؟

ان هذا لا يعقله أحد أوتي مسكة من العقل والشرف

﴿ مصر والحجاز — ومفسدة عالم جريدة الاهرام ﴾

كل مسلم مخلص لدينه في الحجاز ومصر يتمنى الاتفاق والاتحاد والتعاون بين حكومتيهما ، وكذلك غير المسلمين من سكان مصر المخلصين لها يتمنى ذلك ، وقد أظهرت هذا التمني جميع الجرائد المصرية المعتبرة وأكثرت من التساؤل عن المانع للحكومة المصرية من الاعتراف بحكومة الحجاز السعودية وقد اعترفت بها الدول الاوربية العظمى والدول الشرقية وهي التركية والايرانية والافغانية وآخرها العراقية

بعد هذا كله رأينا مقالا كليالي الشتاء في ظلمتها وبردها وطولها ينشر تباعا في أعداد الشهر الماضي من الاهرام بامضاء (عالم حاج) يشهد على كاتبه بأنه جاهل لا عالم، ومنافق لا صادق، وأما وصف نفسه «بحاج» في غير زمن الحج فلا معنى له ولا وضعه في الامضاء مما يجعل شبهاته حججا ، بل مقاله حجة على أنه ما حج إذ سافر الى الحجاز ولكن حجت العير ، وما كل من حج بيت الله مبرور

من أدلة جهله بعقائد الاسلام ، وبسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، جعله بدعة « المحمل المصري » من شعائر الاسلام ، واباحته لحرس المحمل ترك لباس الاحرام، وحمل السلاح بمكة وغيرها من الحرم بغير ضرورة ، بل مع ما علم من اثارة أمير الحج لتلك الفتنة ، ولكن مع جهله طبعا بما رواه مسلم في صحيحه من قوله ﷺ « لا يحل لاحدكم أن يحمل بمكة السلاح » وما في معناه

وأما الدليل على نفاقه وابتغائه الفتنة بين الحكومتين فهو تذكيره للحكومة السعودية بما كان من قتال محمد علي باشا لسلفها في الحجاز ثم في نجد وتهديدها باعادة هذه الحرب سيرتها الاولى، مع علمه أو جهله بعدم إمكانها ، وبأنها اذا أمكنت كانت أعظم الشرور والمفاسد بين المسلمين ، وكانت ثمرتها للاجانب غير المسلمين، وأولهم الانكليز المحتلون لمصر المانعون لها من استقلالها ومن انشاء قوة تدافع بها عن نفسها. فمثل عالم الاهرام وحاجها فيما نشرته له وهي أعلم منه بأنه مفسدة كمثل ذلك المفسد الذي كان يكتب لها المقالات بامضاء (عربي مطلع)

في تأييد خروج فيصل الدويش على امامه وملكه، والتوسل به الى الصد عن الحج ، ثم تبين كذبه في كل ما كتبه.

كنت شرعت في كتابة رد مفصل على مقالة (عالم حاج الاهرام) لتنشر في بعض الجرائد اليومية لازالة مايمكن أن يكون لها من الأثر الافسادي السيء في أنفس بعض العوام ثم كففت عن اتمامه لانني رأيت أن بسط الحقائق فيه قد يسوء أناسا لانحب أن نسوءهم ، وان الامساك عن نشرها قد يكون أرجى لنجاح السعي في التوفيق والتأليف بين الحكومتين .

ولكنني أشير عن بعد الى مسألة تكلم فيها بغير علم غير هذا (العالم الحاج) ممن لانتهمهم بمثل مانتهمه به من سوء النية ، وهي المن على الحجاز وحكومة الحجاز وأهل الحجاز باحسان حكومة مصر وتفضلها عليهم قديما وحديثا بالصدقات والبرات والاحسانات التي منها كسوة الكعبة المعظمة والتكيتان اللتان تطعمان بعض الفقراء في البلدين المكرمين

ربما يجهل بعض هؤلاء مالا يجهله عالم الاهرام وحاجه من انه ليس لحكومة هذا المصر منة على بيت الله ولا على حرمه وحرم رسوله ولا على أهلهما فضلا عن حكومتهما، بل هذه الحكومة المصرية هاضمة لحقوق شرعية موقوفة على ماذكرنا من الملوك السابقين وغيرهم من أغنياء المسلمين تقربا إلى الله تعالى - فهي لاتؤدي منها إلا قليلا من كثير ، (أو من الجمل أذنه كما يقول المثل العامي)

ان هذه الحكومة تتصرف بألوف الجنيهات من ريع أوقاف الحرمين الشريفين فتنفقها في مصر وغير مصر من دون الحجاز ، ومن هذا التصرف مايعده الناس في محله ولو كان من جيوبهم أو من الاوقاف الخيرية المطلقة التي ليس لها جهة صرف معينة ، ومنها مايعدونه في محله بصرف النظر عن كونه من أوقاف الحرمين، ولا نعرف منها الا صرف خمسة آلاف جنيه من أوقاف الحرمين للمساعدة على عمارة المسجد الاقصى

ان حكومات مصر الاخيرة قد أضاعت كثيراً مما وقفه المحسنون من أغنياء مصر وغيرهم على الحرمين الشريفين ،ومابقي معروف وضبط حسابه بالنظام المصري

لا يؤدي كله الى الحرمين ، ولو كان الواقفون له أحياء لما استباحوا لانفسهم إيذاء جيران الله وجيران رسوله بالمن عليهم به، لانه انما وقف قربة واحتسابا لوجه الله تعالى فكيف يستبيح هذا المن والاذى لله ولرسوله ولجيرانهما من لا حظ لهم من هذا البر الا كراهته وحض الحكومة على منعه وتهديد أهل الحرمين بذلك .؟

من شاء أن يعرف شيئا عن الكسوة الشريفة وما وقف عليها وعن بدعة المحمل ومفاسدها فليراجع كتاب (مرآة الحرمين) لأفضل من تولى امارة الحج من قبل حكومتنا المصرية في عصرنا هذا وهو اللواء ابراهيم رفعت باشا ، ومنه يعلم أن هذه الاوقاف الواسعة قد ذهب أكثرها ...

كان أكبر خطأ جناه عبد الخالق ثروت باشا على مصر منعه إرسال كسوة الكعبة المشرفة الى مكة المكرمة وحرمان مصر من هذا الشرف العظيم لها وللجلالة ملكها الذي تطرز الكسوة باسمه ، وإلجاؤه ملك الحجاز إلى إنشاء دار جديدة لنسج الكسوة فيها فأحسن اليه من حيث أراد أن يسيء ، وأغرب من جنايته هذه اعتذاره عنها في مجلس النواب بأنه خشي أن لا تقبلها الحكومة السعودية وتعتذر عن ذلك بأن الوهابيين يعدونها بدعة كالمحمل وأغرب من هذا الاعتذار قبول المجلس له بعد العلم بأن ملك الحجاز صرح رسمياً بقبول الكسوة اذا أرسلت ومع علم الكثير من أعضائه بأن كسوة الكعبة قديمة لا يقول الوهابيون ولا غيرهم ببدعيتها، وان المحمل بدعة سيئة ابتدعتها شجرة الدر لا يختلف عالمان بقبحها، وان استحسنها عالم الاهرام وحده .

باب المراسلة والمناظرة

« الكتابة بالحروف اللاتينية في جاوه »

جاءنا من الاستاذ صاحب الامضاء من جزيرة سمبس برنيو في جاوه ما يأتي:

إنني لا أعلم ما فائدة استعمال الدولة التركية الكمالية للحروف اللاتينية أو استبدالها لها بالحروف العربية في كتابة لغتها ، ولعلها ترى أن تعلم الكتابة بالحروف اللاتينية أسهل من تعلمها بالحروف العربية . وانتا نكتب لغتنا الملاوية بالحروف العربية واللاتينية معاً ولكن استعمال اللاتينية الآن في جزائر جاوه

وسومطرة وبورنيو من المستعمرات الهولاندية أكثر من استعمال الحروف العربية (الملاوية) تبعاً للحكومات الهولاندية والتجار الاجانب . ولهذا لانجد جرائد ومجلات هذه الجزائر الملاوية مكتوبة بالحروف العربية (الملاوية) إلا قليلا جدا بالنسبة الى الجرائد والمجلات التي تكتب بالحروف اللاتينية

وأما فوائد استعمال الحروف اللاتينية عندنا فمنها ان لغتنا الملاوية يعرفها الملايين ممن ليسوا من اهلها كالأوربيين (لا سيما الهولانديين والانكليز) والصينيين وغيرهم، وانها يتخاطب بها فيما بيننا وبينهم من أمور الحكومات والتجارات وغيرها ، وهم لايقرءون ولايكتبون اللغة الملاوية إلا بالحروف اللاتينية. ومنها اننا اذا اردنا أن نفهمهم حقيقة الدين الاسلامي وأن نبين لهم آدابه ومحاسنه بالكتابة مثلا فلا يفيدهم ذلك إلا باستعمال الحروف اللاتينية فيها . ولهذا طبعوا ترجمة تفسير سورة « والعصر » للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده باللغة الملاوية وترجمة سورة «الفاتحة» من تفسير المنار بالحروف اللاتينية ، واظن ان ذلك بأمر الاستاذ الشيخ احمد سوركتي زعيم الارشاديين في جاوة. وهل توجد مثل هذه الفوائد عند الدولة التركية الكمالية باستعمال الحروف اللاتينية في كتابة لغتها ؟

ومع ذلك اقول ان ضرر استعمال الحروف اللاتينية دون العربية (الملاوية) ظاهر بين بسوء تأثير الاستعمار الذي احاط بالبلاد من كل جانب ، فان من تعلموا في مدارس الدولة الهولاندية قلما يكتبون لغتهم الملاوية بالحروف العربية (الملاوية) وهم أكثر من يقرءون ويكتبون، بل يكتبون ويقرءون باللاتينية وإن كانوا يعرفون الملاوية. ولو تركت الحروف العربية الملاوية بالمرة كتابة وقراءة لكان ضرره اكبر على اهل ملايو فان جميع الكتب الدينية والآداب المحمدية وغيرها مطبوعة بالحروف العربية (الملاوية) وان اللغة العربية يتعذر أن تكتب باللاتينية إلا قليلا ، فكيف تكتب إذن آيات القرآن والاحاديث النبوية باللاتينية ؟ ثم ان ذلك خسران عظيم على اهل ملايو فانه يضيع عليهم علم ورثوه من آبائهم الاولين، وهو علم الكتابة بهذه الحروف العربية (الملاوية) الذي هو من أكبر العلوم ،وبه يخرج الانسان من الامية

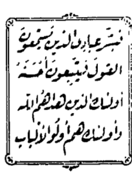
هذا واني أرى انه ينبغي لنا اهل ملايو أن نعرف ونستعمل الحروف اللاتينية

في ضرورياتنا كما نعرف ونستعمل الحروف العربية الاصلية والملاوية، ولكن لايحسن بل لايجوز لنــا أن نترك الحروف العربية (الملاوية) مستبدلين اللاتينية بها ، كما لايحسن لنا أن نستعمل الملاوية فقط دون اللاتينيــة فان ذلك ضروري لبعض أمورنا الدنيوية التي تكون عونا لأمورنا الدينية ، وخير لنا أن نأخذ عن اهل أوربا أوغيرهم ماهو نافع لنا في ديننا ودنيانا وأن نترك ماهوضار لنافي ديننا ودنيانا

سمبس ١٤ رمضان سنة ١٣٤٨ الموافق ١٣ فبراير سنة ١٩٣٠

محمد بسيوني عمران

(المنار) ما كان لكاتب هذه الرسالة وهو ممن يقرءون المنار منذ سنين كثيرة أن يظن ان الترك الكماليين قد آثروا الحروف اللاتينية على الحروف العربية في كتابة لغتهم لاجل سهولة التعليم بها، فقد بينا في المنار ان سبب هذا الايثار إبعاد شعبهم عن دين الاسلام وقطع كل صلة كانت تربطهم به مهما يكن في ذلك من المضار الأخرى كاضاعة ماتعب فيه علماؤهم وأذكياؤهم في ترقية هذه اللغة وتأليف المصنفات الكثيرة بها في جميع العلوم والفنون العصرية في مدة ثمانين سنة، ودفن الدفتر والسجلات الكثيرة التي تحفظ تاريخهم السياسي والاجتماعي والحربي - ومحاولة مالا يستطيعون من خلق شعب جديد ملحد بما يشبه التكوين الذاتي الذي لا ثبوت له في أي نوع من أنواع الحيوان أو الحشرات ، ليس له من العلاقة بالماضي إلا لفظ (تورك) والحروف اللاتينية لاتعبر عن لغتهم تعبيراً صحيحا فهي مضيعة لها لا مسهلة لتعلمها . والامر على خلاف ذلك في لغة الملايو. واننا نجزم مع هذا بأن أهل هذه اللغة اذا عملوا برأي الكاتب في الجمع بين كتابتها بالحرفين العربي واللاتيني فانه ينتهي الامر باماتة الثاني للأول ويضيعون دينهم الذي هو خيرلهم في الدنيا والآخرة من لغتهم بأي حرف كتبت . وما ذكره من فائدة نشر الدين وغيره مما يريدون اطلاع حكامهم وغيرهم عليه فهو يحصل بقيام أفراد به في كل مدينة كبيرة ، ولا يتوقف على تعليم هذه الحروف لجميع أولادهم. نعم اذا كان يمكنهم ان يجعلوا تعليم اللغة العربية اجباريا ويعمموها فان كتابة الملاوية حينئذ بالحروف اللاتينية لا تضرهم ، فليتدبروا الامر قبل أن يغلبوا عليه







قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

١٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ ٦ برج الجوزاء سنة ١٣٠٨ هـ ش ٢٨ مايو سنة ١٩٣٠

فتاوى المنار

تتمة البحث في حقيقة ربا القرآن

نموذج من أقوال الفقهاء المحققين

موضوع علم الفقه أحكام الفروع العملية فمن الفقهاء من يذكرها مقرونة بأدلتها المعتمدة في مذهبه ومنهم من لا يعنى بذكر الدليل مطلقا ومنهم من يذكر دليل ترجيح بعض أقوال علمائه على بعض . ولكنهم يعنون بذكر الأدلة في كتب الخلاف العام أو الخاص ببعض المذاهب دون بعض ككتب الحنفية التي تعنى بترجيح مذهبهم على مذهب الشافعي وحده لما كان بين علماء المذهبين من التنازع على المناصب في الدولة ، وليس من مسائل هذه المذاهب تحقيق مسألة ربا القرآن وحده والتمييز بينه وبين الربا الوارد في الاحاديث أو المستنبط بأقيسة الفقه وانما يأتي ذلك في كلام بعضهم دون بعض ولا سيما المحققين منهم فننقل شيئا مما ذكروه في مسألتنا

ماقاله بعض الحنفية

أما الحنفية فقد نقلنا في فصل كلام المفسرين والمحدثين ماقاله الامام الجصاص في بيان ربا القرآن من تفسيره ـ وما قاله الامام الطحاوي في ذلك وهما من أئمة فقهائهم أهل الدليل . وأما فقهاؤهم الاقحاح فكلامنا كله في الرد عليهم

ماقاله بعض المالكية

وأما المالكية فقد تكلم بعضهم في المسألة في كتب الفقه فنذكر أهم ما اطلعنا عليه منه :

قال الامام قاضي الجماعة أبو الوليد بن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ في كتابه (المقدمات الممهدات ، لما اقتضته رسوم المدونة من الاحكام الشرعيات) يعني مدونة الامام مالك (رح) وذلك بعد (فصل ماجاء في تحريم الربا) قال مانصه

وأصل الربا الزيادة والانافة يقال ربا الشيء يربو اذا زاد وعظم . وأربى فلان على فلان اذا زاد عليه — يربى ارباء . وكان ربا الجاهلية في الديون أن يكون

للرجل على الرجل الدين فاذا حل قال له أتقضي أم تربي ؟ فان قضاه أخذه وإلا زاد في الحق وزاده في الأجل، فأنزل الله في ذلك ما أنزل . فقيل للمربي مرب للزيادة التي يستزيدها في دينه لتأخيره الى أجل. فمن استحل الربا فهو كافر حلال الدم يستتاب فان تاب وإلا قتل : قال الله عز وجل (ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله – الى قوله – فأذنوا بحرب من الله ورسوله) الخ

ثم عقد فصلا للخلاف الاصولي في لفظ الربا في القرآن هل هو عام أو مجمل واستدل بحديث عمر في عدم تفسير النبي ﷺ له على انه مجمل — وهذا الاستدلال مردود بالبداهة لانه لايجوز أن يترك النبي ﷺ هذا المجمل بغير بيان مع الحاجة اليه وانما اختلف علماء الاصول في تأخير البيان لا في تركه فان الله تعالى قال (ثم ان علينا بيانه) وقال لرسوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) على اننا إن قلنا بجوازه وتركه للاجتهاد صارت المسألة اجتهادية ولم تكن مما ثبت بالنص. وما اعتمده أخونا المفتي الهندي من كون حديث عبادة في بيع الاصناف الستة بيانا له فقد بينا بطلانه بالاجمال وما نحن فيه من التفصيل

ثم ذكر هذه المسألة في كتابه (بداية المجتهد) فقال الباب الثاني من كتاب البيوع (ص ١٠٦) مانصه :

واتفق العلماء على ان الربا يوجد في شيئين في البيع وفيما تقرر في الذمة من بيع أو سلف أو غير ذلك . فأما الربا فيما تقرر في الذمة فهو صنفان صنف متفق عليه وهو ربا الجاهلية الذي نهي عنه. وذلك أنهم كانوا يسلفون بالزيادة وينظرون (أي يؤخرون) فكانوا يقولون: أنظرني أزدك . وهذا هو الذي عناه عليه الصلاة والسلام بقوله في حجة الوداع « ألا وان ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب» والثاني «ضع وتعجل» وهو مختلف فيه وسنذكره بعد[1]

(قال) وأما الربا في البيع فان العلماء أجمعوا على انه صنفان : نسيئة وتفاضل إلا ماروي عن ابن عباس من إنكاره الربا في التفاضل لما رواه عن النبي ﷺ

---

(١) المعتمد انه ليس بربا لانه نقص مما في الذمة لتعجيل الدفع والربا زيادة فيه

انه قال « لا ربا إلا في النسيئة » وانما صار جمهور الفقهاء الى أن الربا في هذين النوعين لثبوت ذلك عنه ﷺ اهـ

فهو قد صرح بأن ربا الجاهلية خاص بتأخير ماثبت في الذمة مهما يكن سببه الى أجل بزيادة في المال، وانه هو الذي وضعه النبي (ص) في حجة الوداع انهي الله تعالى عنه. وان ربا التفاضل الذي أثبته جمهور الفقهاء انما ثبت بحديث رسول الله (ص) أي لا بنص القرآن

ونقفي على هذا بكلمة أخرى لبعض محققي المالكية وهو الامام الحافظ الاصولي الفقيه أبو اسحاق ابراهيم الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ صاحب كتاب (الموافقات) في أصول الدين ومقاصده و(كتاب الاعتصام) وهما الكتابان اللذان لم يسبقه بمثلهما سابق، ولم يلحق غباره فيهما لاحق، وقد ساعده على الاستقلال فيه وفي غيره انه لم يكن ينظر في كلام الفقهاء المعاصرين، بل يعتمد على كتب المتقدمين. وقد ذكر هذه المسألة في الشواهد التي جاء بها في مبحث الاصول الكلية من الموافقات وهي التي تدور عليها أحكام القرآن في جلب المصالح ودفع المفاسد من الضروريات والحاجيات والتحسينيات وكون كل ما في السنة يرجع الى القرآن وبيان له في الضروريات الخمس الكلية وهي حفظ الدين والنفس والمال والعقل والعرض، وأورد الأمثلة على ذلك في كل منها فقال في أصل المال ما نصه (ص٢٠ ج٤ طبعة تونس)

« أحدها ان الله عز وجل حرم الربا. وربا الجاهلية الذي نزل فيه (انما البيع مثل الربا) هو فسخ الدين في الدين، يقول الطالب: إما أن تقضي وإما أن تربي. وهو الذي دل عليه قوله تعالى (وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) فقال عليه السلام «وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله» واذا كان كذلك وكان المنع فيه انما هو من أجل كونه زيادة على غير عوض، ألحقت السنة به كل ما فيه زيادة بذلك المعنى فقال عليه السلام «الذهب بالذهب» الخ

فهو قد أثبت أن الربا المحرم بنص القرآن هو ربا الجاهلية فقط. وان السنة ألحقت به ربا الفضل بالقياس عليه على قاعدته التي قدمها. وأصرح منه ومما قبله قول القرطبي من كبار فقهائهم وقد تقدم

ماقاله بعض الشافعية

قال الامام الحافظ الفقيه أبو زكريا محيي الدين النووي محرر فقه الشافعية المتوفى سنة ٦٧٦ في شرح المهذب وهو أجمع كتب الفقه والخلاف مانصه (ص ٣٩١ ج ٩)

قال الماوردي اختلف أصحابنا فيما جاء به القرآن من تحريم الربا على وجهين (أحدهما) انه مجمل فسرته السنة وكل ماجاءت به السنة من أحكام الربا فهو بيان لمجمل القرآن نقداً كان أو نسيئة (والثاني) ان التحريم الذي في القرآن انما تناول ما كان معهوداً للجاهلية من ربا النسأ وطلب الزيادة في المال بزيادة الاجل . وكان احدهم إذا حل أجل دينه ولم يوفه الغريم أضعف له المال وأضعف الاجل، ثم يفعل كذلك عند الاجل الآخر ، وهو معنى قوله تعالى (لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة)

قال ثم وردت السنة بزيادة الربا في النقد مضافا إلى ماجاء به القرآن .قال وهذا قول أبي حامد المروذي اه وأقره النووي على هذا النقل

أقول ان القول الاول احتمال أخذه القائلون به من الشافعية من عبارة الشافعي في الام في آية (وأحل الله البيع وحرم الربا) وقد ذكرنا عبارته في الام وان المعتمد عنده رضي الله عنه العموم لا الاجمال في الآية. وقد ذكر الشمس الرملي ذلك في شرح المنهاج وان المعتمد عندهم عدم الاجمال وهو الذي حققه الكيا الهراسي من فقهائهم

وقد أطال في أول كتاب البيع من شرح المهذب في كلام الشافعية في الآية من جهة العموم والاجمال وذكر لهم فيها أربعة أقوال، فيراجعها من شاء

وقال العلامة فقيه الشافعية في عصره احمد بن حجر المتوفى سنة ٩٧٣ في الكلام على كبيرة الربا من كتابه (الزواجر . عن اقتراف الكبائر) بعد افتتاح الكلام بآيات سورة البقرة وذكر أنواع الربا عند الفقهاء وهي اربعة مانصه (ص ١٢٤ ج ١ طبعة سنة ١٢٩٢) «وربا النسيئة هو الذي كان مشهوراً في الجاهلية لان الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره الى أجل على أن يأخذ منه كل شهر قدراً معيناً ورأس المال باق بحاله فاذا حل طالبه برأس ماله فان تعذر عليه الأداء زاد في الحق والاجل . وتسمية هذا نسيئة مع انه يصدق عليه ربا الفضل أيضاً (اي لغة) لان النسيئة هي المقصودة فيه بالذات . وهذا النوع مشهور الآن بين الناس وواقع

كثيراً، وكان ابن عباس (رض) لا يحرم الا ربا النسيئة محتجاً بأنه هو المتعارف بينهم فينصرف النص اليه، لكن صحت الاحاديث بتحريم الانواع الاربعة السابقة من غير مطعن ولا نزاع لأحد فيها، ومن ثم أجمعوا على خلاف قول ابن عباس على انه رجع عنه الخ

فهو قد بين ان ربا الجاهلية هو المحرم بنص القرآن وان ماعداه قد حرم بما ورد من الاحاديث فيه كما تقدم عن غيره

ماقاله بعض علماء الحنابلة

قال العلامة المحقق المفسر المحدث الاصولي الفقيه الحنبلي صاحب التصانيف المتفق على جلالتها أبو عبدالله محمد شمس الدين بن قيم الجوزية المتوفى ٧٥١ في كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين مانصه :

الربا نوعان : جلي وخفي (فالجلي) حرم لمافيه من الضرر العظيم (والخفي) حرم لأنه ذريعة الى الجلي ، فتحريم الاول قصداً وتحريم الثاني وسيلة . فأما الجلي فربا النسيئة وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية مثل ان يؤخر دينه ويزيده في المال وكلما أخره زاد في المال حتى تصير المائة عنده آلافا مؤلفة، وفي الغالب لا يفعل ذلك الا معدم محتاج ، فاذا رأى ان المستحق يؤخر مطالبته ويصبر عليه بزيادة يبذلها له تكلف بذلها ليفتدي من أسر المطالبة والحبس ويدافع من وقت إلى وقت ، فيشتد ضرره وتعظم مصيبته ، ويعلوه الدين حتى يستغرق جميع موجوده، فيربو المال على المحتاج من غير نفع يحصل له ، ويزيد مال المرابي مع غير نفع يحصل منه لأخيه، فيأكل مال اخيه بالباطل ويحصل أخوه على غاية الضرر . فمن رحمة أرحم الراحمين وحكمته وإحسانه إلى خلقه أن حرم الربا ولعن آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه ، وآذن من لم يدعه بحربه وحرب رسوله ، ولم يجيء مثل هذا الوعيد في كبيرة غيره ولهذا كان من اكبر الكبائر

وسئل الامام احمد عن الربا الذي لاشك فيه فقال هو أن يكون له دين فيقول له أتقضي ام تربي ؟ فان لم يقضه زاده في المال وزاده هذا في الاجل . وقد جعل الله سبحانه الربا ضد الصدقة فالمرابي ضد المتصدق قال الله تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وقال (وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله، وما

آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقال (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التي اعدت للكافرين) ثم ذكر الجنة التي اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء، وهؤلاء ضد المرابين فنهى سبحانه عن الربا الذي هو ظلم للناس وأمر بالصدقة التي هي إحسان اليهم

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن أسامة بن زيد ان النبي ﷺ قال « انما الربا في النسيئة » ومثل هذا يراد به حصر الكمال وان الربا الكامل انما هو في النسيئة كما قال تعالى (انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون — الى قوله — أولئك هم المؤمنون حقا) وكقول ابن مسعود :انما العالم الذي يخشى الله

(فصل) وأما ربا الفضل فتحريمه من باب سد الذرائع كما صرح به في حديث أبي سعيد الخدري (رض) عن النبي ﷺ «لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فاني اخاف عليكم الرماء » والرماء هو الربا . فمنعهم من ربا الفضل لما يخافه عليهم من ربا النسيئة وذلك انهم إذا باعوا درهما بدرهمين ولا يفعل هذا الا للتفاوت الذي بين النوعين إما في الجودة وإما في السكة وإما في الثقل والخفة وغير ذلك تدرجوا بالربح المعجل فيها الى الربح المؤخر وهو عين ربا النسيئة ، وهذه ذريعة قريبة جداً فمن حكمة الشارع أن سد عليهم هذه الذريعة ومنعهم من بيع درهم بدرهمين نقداً ونسيئة ، فهذه حكمة معقولة وهي تسد عليهم باب المفسدة ،فاذا تبين هذا فنقول

الشارع نص على تحريم ربا الفضل في ستة أعيان وهي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ،فاتفق الناس على تحريم التفاضل فيها مع اتحاد الجنس وتنازعوا فيما عداها فطائفة قصرت التحريم عليها ، وأقدم من يروى هذا عنه قتادة وهو مذهب اهل الظاهر واختيار ابن عقيل في آخر مصنفاته مع قوله بالقياس قال لان علل القياسيين في مسئلة الربا علل ضعيفة ، واذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس. اه المراد منه ههنا

(وسنذكر في الجزء الاول من المجلد الحادي والثلاثين نتيجة هذه النقول وتحقيق الربا المنصوص القطعي بنص القرآن والربا الوارد في الحديث - وربا الفقهاء ، مع تحقيق الحق في ذلك كله والانتقال منه الى المعاملات الربوية وغيرها في هذا العصر)

مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات

المحاكم الشرعية الاهلية وعلاقة كل منهما بالدين

— ١١ —

كان الحكم في البلاد الاسلامية كلها بالشريعة الغراء لانها كاملة كافلة لجميع مصالح البشر على أساس العدل والمساواة بين الناس لافرق فيهما بين مؤمن وكافر، وبر وفاجر، ولا بين غني وفقير، او ملك وسوقة، كما يرى الناس من نصوصها إذ يدخلون المحاكم حتى الاهليـة في الالواح المعلقة فوق رؤس القضاة من نص قوله تعـالى (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وهو معطوف على قوله قبله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها)

وفي القرآن الحكيم آيات أخرى في إيجاب العدل والمساواة، كقوله تعالى في أهل الكتاب ٥ : ٤١ (فان جاءوك فاحكم بينهم او أعرض عنهم – إلى قوله – وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) وقوله عز وجل ٤ : ١٣٥ (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) فهذه الآية تأمر المؤمنين بالمبالغة في القيام بالقسط أي العدل في الحكم والشهادة التي يستند اليها الحكم بالمساواة كما تقدم . وفي معناها قوله جل شأنه ٥ : ٨ (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء القسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى . واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) تعبدنا الله بالعدل في الحكم والشهادة حتى بيننا وبين الاعداء والمبغضين بقوله (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن تعدلوا) اي ولا يحملنكم عداوة قوم وبغضهم على عدم العدل فيهم، فان العدل حق الله أوجبه لجميع الناس نصار حقاً لهم بحكمه واحقاقه تعالى

ولما كان بعض القضايا يتعلق بأحكام الاديان في الحلال والحرام التعبديين

بلغ من حرية الاسلام ومراعاته للوجدان أن سمح للداخلين في حكمه من غير أهله أن يتحاكموا إلى علماء دينهم في ذلك ، وكل من هذا السماح وذلك العدل بالسواء مما امتاز به الاسلام على جميع الشرائع والاديان ، ولما كان المسلمون ينفذونه كما أمر الله تعالى دخل أهل الملل التي فتحوا بلادها في دين الله أفواجا باختيارهم واقتناعهم ، ومن بقي منهم مطمئناً بدينه كانوا يفضلون أحكام المسلمين على أحكام أهل دينهم في الغالب

ولما صار الملك والحكم في المسلمين الى الجاهلين بهذه الشريعة العادلة وغير المربين على التدين باتباع الحق والعدل كلاً ولين — ولما صار الوقوف على أحكام الشريعة عسراً وعر المسالك بسوء تأليف الكتب كتعقيد عباراتها وكثرة الخلاف في أحكامها — ولما جمد فقهاؤها على الاقوال التي اختارها للحكم بعض من قبلهم من علماء الترجيح والتصحيح ، وحرموا الاستقلال في الفهم والاستنباط في الاقضية التي تتجدد بأطوار الازمنة والامكنة ، واختلاف العرف والمصالح المرسلة — لما كان ماذكر كله كما ذكر صار بعض حكام المسلمين يضعون لبلادهم قوانين عرفية للامور المدنية والسياسة التي لا تمس الوجدان الديني فيما أحل الله وما حرمه من أحكام الزوجية والارث والوقف بل تركوا ذلك كله للشريعة وقضاتها وخصوه به محاكم الشرعية دون غيرها

ثم بلغ من ضعف المسلمين وسيطرة الافرنج على بعض حكوماتهم، ونفوذهم السياسي والادبي في بلادهم، وتوليهم أمر التعليم والتربية في مدارسهم، وما كان وراء ذلك من زلزلة العقائد ، وزعزعة قواعد العبادات والفضائل ، ان طمع الطامعون من الاجانب وأعوانهم في إلغاء المحاكم الشرعية وهدم هذه البقية الماثلة من التشريع الاسلامي . وحدث من الشكوى من اختلال هذه المحاكم ماحمل وزارة الحقانية بمصر على اقتراح وسيلة الاصلاح استنكرتها العقول لغرابتها وهي أن يعين مستشاران من محكمة الاستئناف الاهلية عضوين في المحكمة الشرعية العليا ، فهاج المسلمون لهذا الحدث هيجة عامة ، وحملوا على الحكومة في الجرائد حملة

منكرة، واجتمع علماء الازهر أول مرة في هذا العصر للانكار على الحكومة فاضطرت الى الاحجام عن تنفيذه

يومئذ سألت الاستاذ الامام رحمه الله عن واضع هذا المشروع وعن سببه وكنت دهشت لصدوره عن وزارة الحقانية في عهد ذلك الوزير الفقيه المسلم (ابراهيم باشا الناسترلي) ؛ فقال الاستاذ: ان الواضع له غير مسلم (وهو بطرس باشا) وان الغرض منه التمهيد لالغاء المحاكم الشرعية وجعل الحكم في الامور الشخصية من خصائص المحاكم الاهلية لان طلبة الحقوق يتعلمون الفقه الاسلامي ، فهو يريد أن يتعود المسلمون بالتدريج حكم لابسي الطرابيش في القضايا الشرعية حتى لا يبقى لهم في الحكومة المصرية شيء من المشخصات الملية ، هذا ماقاله الاستاذ الامام يومئذ وعلمت انه قاوم المشروع سراً بالوسائل المؤثرة

ولا يزال خصوم الشرع الاسلامي والكارهون للصبغة الاسلامية في هذه البلاد التي يدين سوادها الاعظم بالاسلام يجددون الحملات الظاهرة والدسائس الباطنة لمحو كل ماهو اسلامي فيها، ولعل غرضهم من هذه المناظرات والمحاضرات الآن التمهيد لمطالبة البرلمان بالغاء المحاكم الشرعية باسم (توحيد القضاء) فبدا لهم من الشعب الاسلامي عامة وشبانه العصريين خاصة مارأوا أثره في الحكومة وفي البرلمان أيضاً ، وأما نحن علماء الاسلام فنجيبهم عما سألونا عنه وتحدونا به في هذا الموضوع وظنوا أنهم أقاموا به علينا الحجة — وقد تقدم نصهم فيه — في المقالة التي قبل هذه فنقول :

الفروق بين الاحكام الشخصية والمدنية

(أولا) ان بين حكم المحاكم الاهلية في الدماء والاموال وبين الاحكام الشخصية في المسائل الزوجية من ثبوت عقد نكاح وطلاق وفسخ وعدة ونفقة وفي المواريث فروقا بل فروقا يكفي واحد منها لبطلان قياس أحدها على الآخر (أهمها) ان أكثر احكام العقوبات والاموال في الاسلام اجتهادية لا نصوص قطعية ثابتة في كتاب الله أو سنة رسوله القطعية الرواية والدلالة التي يجب أن يلتزمها كل مسلم علم بها في

نفسه وفي حكمه ان كان حاكما كما تقدم شرحه ، بخلاف حكم الميراث فانه قطعي بالنص كما تقدم أيضاً ، فلا يقاس أحدهما على الآخر

(ثانيا) ان الحدود القطعية المنصوصة قال بعض الفقهاء انها منوطة بالامام الاعظم (الخليفة) أو نائبه ، والحكمة في شدتها الارهاب المانع من الجرأة على ازهاق الارواح وانتهاك الاعراض بالفاحشة الكبرى وابتزاز الاموال والاخلال بالأمن العام ، وهي تدرأ بالشبهات، ولو كانت الحكومة المصرية تقيم هذه الحدود كما أمر الله تعالى ورسوله لما نشأ في هذه البلاد مايشكو منه جميع الناس من اختلال الامن وكثرة القتل وفشو الفحش وأمراضه، كاهو الشأن في نجد وفي بلاد الحجاز الآن، وكذا غيرهما من بلاد العرب وان لم يبلغ شأوهما في عموم الامن، ولصارت السنون تمر ولا يثبت على أحد إقامة حد .

حكي لنا ان والي عدن الانكليزي سأل مرة سلطان لحج : هل تقطعون يد السارق حقيقة كما يقال ؟ قال نعم . قال الوالي : أليست هذه قسوة فظيعة ؟ قال السلطان انها قسوة عادلة ترهب الجناة فتمر السنون ولا يسرق أحد في بلادنا شيئاً وأما أنتم فان سجونكم مكتظة باللصوص والمجرمين

واني لأعجب من تقليد الناس بعضهم لبعض في استهجان قطع يد السارق المجرم واختصاصهم إياه بالرحمة والرأفة والرقة واللطافة (والنزاكة والجنتلمانية أيضاً) دون القاتل ، مع ان قطع اليد من الكوع الى الكرسوع أهون عند المجرمين من قطع الرقبة ، ومن عساه يخشى الفضيحة الدائمة برؤية يده مقطوعة لبقية من شعور الشرف في نفسه يكفيه هذا وازعا يزجره عن الاقدام على السرقة على ان كثيراً من هؤلاء المجرمين يقطعون أيدي النساء وأرجلهن لسلب أسورتهن وخلاخيلهن اذا تعذر أو تعسر عليهم نزعها بدون قطع، فما معنى هذه الرأفة والرقة المدنية في مجازاة هؤلاء القساة الوحشيين بوضعهم في سجون هي خير لهم من بيوتهم؟ وقد اشتهر عن بعض المجرمين في مصر انهم يرتكبون الجرائم أحيانا لأجل أن يسجنوا فيتمتعوا بمعيشة السجن . وان سرق ذو مروءة مرة واستحق الحد فلا يعجزه أن يجد شبهة تدرأه عنه، وللقاضي العادل الرحيم أن يتساهل في قبولها منه،

وقد قال بعض الفقهاء ان السارق اذا ادعى ان المسروق ملك له وقد استرده بالسرقة كانت هذه الدعوى شبهة دارئة لحد القطع ، فان لم يثبت دعواه حكم عليه بالتعزير الذي يراه القاضي لا بقطع اليد

(ثالثا) ان ما تحكم به المحاكم الاهلية من قتل أو مال مخالفا لنصوص الشرع القطعية أو لما يعتقده القاضي من أحكامه الظنية فانما اثمه عليه دون أفراد الامة الذين لايملكون منعه من هذا الحكم ، وليس هذا كأحكام النكاح والطلاق والميراث متعلقا بوجدان الدين للافراد الدين يحكم لهم أو عليهم . فاذا أعطت الحكومة للمرأة حق الطلاق تستقل به وطلقت زوجها ، فان طلاقها هذا يكون باطلا في عقيدته وعقيدتها إن كانا مسلمين كما هو المفروض ، وعصمة الزوجية بينهما باقية ، فلا يباح لها أن تتزوج بغيره فان تزوجت كانت زانية ، وان استباحت ذلك كانت مرتدة عن الاسلام ، ويقال مثل هذا فيما تعطيها الحكومة من الميراث مخالفا لحكم الله تعالى ، لايحل لها أخذه والتصرف فيه ــ لهذا قلنا ان دعوة المسلمين الى هذا النوع من المساواة دعوة لهم الى ترك دينهم لان من يستجيز ذلك يكون كافراً مرتداً عن الاسلام

(رابعاً) ان الذين يدعون المسلمين إلى هذا يبنون دعوتهم على انه هو العدل والحق والصواب، وان حكم الله باطل وظلم وخطأ . ومن اعتقد هذا كان مرتداً عن الاسلام أيضاً وإن لم يعمل به (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) قال هذا في المنافقين الذين يرغبون عما أنزل الله إلى حكم الطاغوت (راجع تفسير الآيات ٥٩ — ٦٥ من سورة النساء)

(خامساً) إن الحكومة المصرية لما قررت العمل بقوانين فرنسة المقتبس أكثرها من الشريعة الاسلامية ولا سيما مذهب المالكية لم يكن للامة المصرية التي يدين سوادها الاعظم بالاسلام قول ولا رأي في شئون الحكومة وكان من أسبابه تقصير علماء الازهر في القيام بما يجب عليهم من إغنائها باحكام الشريعة الغراء عن سواها، ومن المشهور أن اسماعيل باشا طلب منهم ذلك فلم يستجيبوا له

حدثني علي باشا رفاعة قال حدثني والدي ان اسماعيل باشا الخديو استحضره وقال له يارفاعه بك انك أزهري تعلمت وتربيت في الازهر فأنت أعلم الناس بعلماء الازهر وأقدرهم على اقناعهم بما ندبتك له : إن الافرنج قد صار لهم حقوق ومعاملات كثيرة في هذه البلاد ، وتحدث قضايا بينهم وبين الاهالي ، وهم يشكون إليّ انهم لا يعلمون بماذا يحكم لهم أو عليهم في هذه القضايا ليراعوه ويدافعوا به عن أنفسهم ، لان كتب الفقه التي يحكم بها علماؤنا معقدة وكثيرة الخلاف فاطلب من علماء الازهر أن يضعوا كتابا في الاحكام المدنية الشرعية مثل كتب القوانين في تفصيل موادها وعدم وجود خلاف فيها يترتب عليه اختلاف القضاة في أحكامهم ، فان لم يفعلوا فانني أضطر إلى العمل بقانون نابليون الفرنسي — أو ماهذا مؤاده .

قال علي باشا رفاعه فأجابه والدي بقوله : ياأفندينا إنني سافرت إلى أوربة وتعلمت فيها ، وخدمت الحكومة وترجمت كثيراً من الكتب الفرنسية باللغة العربية ، وقد شخت ووصلت إلى هذه السن ولم يطعن أحد في ديني ، فاذا أنا اقترحت الآن هذا الاقتراح على علماء الازهر بأمر أفندينا فانني أخشى أن يقولوا إن الشيخ رفاعه قد ارتد عن الاسلام في آخر عمره برضاه بتغيير كتب الشريعة وجعلها كالقوانين الوضعية، فأرجو أن يعفيني أفندينا عن تعريض نفسي لهذا قبل موتي لئلا يقال انه مات كافراً اه . فلما يئس الخديو منهم أمر بالعمل بالقوانين الفرنسية وتأسيس المحاكم الاهلية ، ولم يبال بالعلماء ولا بغيرهم

أما وقد صارت الحكومة المصرية دستورية نيابية . وقد دخل كثير من علماء الازهر والمعاهد الدينية في طور جديد من استقلال الفكر ومعرفة حال العصر . — وقد قرب زوال السيطرة الاجنبية التي كانت السبب الاول في ترك التشريع الاسلامى في الاحكام المدنية والعقوبات ـ فقد تمهدت الاسباب الاصلية لاعادته سيرته الاولى. واظهار عدالته العليا. وما على العلماء المجددين الآن يقوموا بما اقترحناه مراراً من تصنيف كتب شرعية في الاحكام المدنية والتأديبية موافقة للمصالح العامة في هذا العصر وكافلة للعدل والمساواة بين جميع الناس

وانتظار الفرص لتقرير البرلمان المصري لها . بما يظهر له من وجوه تفضيلها على غيرها

وليس في القوانين الحاضرة ما يخالف المجمع عليه بين علماء المسلمين من الاحكام الثابتة بالنصوص القطعية إلا أحكام قليلة كاباحة الفاحشة والخمر والربا الذي قال الامام احمد وغيره انه لاشك فيه — لا كل ما يسميه الفقهاء ربا بالقياس غير الجلي (وهو ماحققناه من قبل في تفسير آيات الربا من الجزء الثالث والرابع ونعيد تحقيقه في هذه الايام)

ولو وجدت حكومة اسلامية تقيم الشريعة السمحة الرحيمة العادلة كما أنزلها الله تعالى حتى منع الربا المخرب للبيوت الذى يجعل المال الكثير دولة بين الاغنياء الذى كان سبباً لحدوث هذه المذاهب البلشفية التي تدفع الفاسد بالفاسد — لو وجدت حكومة اسلامية بهذا المعنى لكانت قدوة للعالم المدني الذى يئن ويتوجع من مفاسد المدنية المادية « الرأسمالية » من جهة ومن اسراف البلشفية في معارضتها من جهة أخرى

دع مفاسد الاسراف في الشهوات البدنية وخروج النساء من حظيرة الزوجية والامومة الى الاباحة المطلقة أو ما يقرب منها . وفي الشريعة الاسلامية علاج لجميع هذه المفاسد اذا وجدت حكومة غنية قوية تقيمها بالقسطاس المستقيم الذي شرعه الله تعالى

نعم إن هذا يتعذر الآن على مصر — وهي على مانعلم — ولهذا يتحدانا الدكتور فخري وملاحدته بان نطلب العمل بجميع أحكام الشريعة . وإننا نطلبه غير هيابين . ونقول انه ممكن . فان تعذر على مصر اليوم فلا يتعذر على حكومة اسلامية أخرى تسبقها اليه، ومتى وجدت القدوة وظهر أثرها المنتظر في العالم المدني تيسر لحكومة مصر أن تخطو خطواتها الواسعة اللائقة بمكانتها العلمية وما ذلك على الله بعزيز .

(للمقالات بقية)

احمد تيمور باشا

﴿ وفاته وملخص ترجمته ﴾

في صبيحة ٢٧ من شهر ذى القعدة الماضي انتهت حياة رجل لا كالرجال وفرد لا كالافراد — إلا أن يراد بالافراد نحو مما يريده الصوفية — الا وهو صديقنا وأخونا في الله عز وجل الاستاذ العالم المؤرخ الاديب السلفي احمد تيمور باشا المشهور باخلاقه العالية وعلمه وأدبه ، ولكنه على شهرته يكاد يكون مجهولا عند الاكثرين بخصوصيته ، فهو من شهداء الله وحججه على خلقه في دينه وفضائله ، ونادرة من نوادر الزمان هذا الزمان في مجموعة مزاياه ، رحمه الله تعالى وأكرم مثواه ، وقد خسرت الامة العربية بفقده ركنا من أركان علماء لغتها الخادمين لها بما تقتضيه حال العصر ، وخسرت الامة الاسلامية مسلما مخلصاً لدينه وأمته مدافعاً عنهما غيوراً عليهما

ذكر في بعض الصحف انه ولد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٨ وانه لما دخل في سن التمييز اختار له والده اسماعيل باشا تيمور رئيس الديوان الخديوي من المعلمين من يلقنه مبادىء القراءة والكتابة في داره . وانه تلقى التعليم الابتدائي العصري في مدرسة مارسيل الفرنسية ، وان نفسه جنحت بعد ذلك لدراسة الفنون العربية والعلوم الدينية فأخذ أولا عن الشيخ رضوان محمد المخللاتي ، ثم عن الشيخ حسن الطويل الشهير الذي كان جامعاً بين العلوم الشرعية والعقلية والتصوف ، وانه كان يتردد على الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي الكبير فيتلقى منه ماشاء من اللغة العربية وآدابها

ثم أقول ان الفقيد رحمه الله تعالى قد اشترك في صحيفة المنار من أول العهد انشائها ثم عرفته معرفة شخصية منذ شهر رمضان سنة ١٣١٦ إذ كان يحضر كل يوم درسي الذي كنت ألقيه في المسجد الحسيني في عقائد الدين وأصوله صلاحية العالية باسلوب خطابي اهتزت له مصر وكاد يحدث فيها ثورة دينية بما ت أفنده فيه من البدع والخرافات التي شوهت تعاليم الاسلام الصحيحة حتى

كنت كثيراً من الايام ألقاه عند خروجي من المسجد فنمشي في خان الخليلي ثم في السكة الجديدة نتحدث في موضوع الدرس ، وحال المسلمين في هذا العصر ، فوجدته موافقاً لي في كل ما كنت أنكره من تغلغل نزغات الشرك في القلوب وانتشار البدع والخرافات في الاعمال وفيما يجب من الاصلاح الاسلامي، وجدته موحداً خالا ، لا مخنثا بين مخولة التنزيه وأنوثة التشبيه، يتفصى من النصوص بخلابة التأويل

ثم كان يحضر معنا دروس الاستاذ الامام في الازهر وفي أثناء ذلك اقترحت على الاستاذ أن يعقد مجلساً خاصا لبعض اخواننا المستعدين لتلقي حكمة الاسلام العليا من خريجي دار العلوم وأساتذة المدارس الاميرية وغيرهم يتخولنا بها في بعض أوقات الفراغ ، فقبل الاقتراح ، واخترنا دار احمد بك تيمور في درب سعادة لهذه الدروس العالية اذ كان هو أحد الراغبين فيها ، فاجتمعنا فيها مراراً ، وكنا نذهب في بعض الايام إلى (عين شمس) فنتلقى الدرس أو المحاضرة في دار الاستاذ الامام نفسه هنالك . ثم ابتاع فقيدنا اليوم داراً في عين شمس تقرب دار الامام فأقام فيها

تسنى لي في تلك المدة معاشرة احمد تيمور وكثرة مجالسته فرأيت منه شابا غنياً توفيت زوجته عن أولاد صغار فأبى أن يتزوج على كثرة البيوتات التي تتنافس في صهر مثله في كرامة بيته وسعة ثروته وحسن سيرته ، وانما أبى خوفا من كراهة زوج الجديدة لأولاده ومضايقتهم اه في تربيتهم، فاختار العزوبة مع العفة والصيانة التامة لأجلهم على حين نرى أمثاله من الاغنياء لاتحصنهم الزوج الواحدة ولا الزوجان ولا الثلاث ، ولا يبالون في طاعة شهواتهم مايكون من سوء تأثيرها في الاولاد، وأما الآخرة فلا تكاد تخطر لأكثرهم في بال

وكانت لذته من الدنيا أو في الدنيا جمع الكتب العربية النفيسة، ولا سيما المخطوطات القديمة النادرة ، وجرى في هذا على عرق وراثة ، وجد في دارهم مكتبة صغيرة فلم يزل يزيد عليها حتى أسس خزانة لها احتوت عشرين ألفا من الاسفار في جميع العلوم والفنون؛ منها مالا يوجد او لا يوجد مثله في غيرها حتى دار الكتب المصرية العامة؛ ولم يكن حظه منها مجرد الجمع والتلذذ بالاحتواء والملك كما يعرف

عن بعض عشاق الكتب الذين ينظرون اليها نظرهم الى غيرها من أعلاق العاديات والآثار التاريخية ، بل كان يقضي جل أوقاته في المطالعة والمراجعة ، وبعضها في كتابة المقالات والرسائل وتصنيف الكتب، وكان يتروى فيما يخطه ويكثر التأمل والمراجعة حتى يكون محرراً منقحاً كما يحب وأكثر مايعنى به التاريخ واللغة

وله مصنفات مفيدة منقحة لعل نجليه الكريمين يطبعانها كلها إحياء لذكره الحميد،فلا سبيل لها الى بره مثل هذه السبيل . فما علمنا من أسماء مصنفاته:

(١) كتاب معجم اللغة العامية . استقصى فيه ماعلمه بالبحث الطويل من الالفاظ العامية وبين ماله أصل عربي وماورد في معنى ماليس له أصل . وغرضه من هذا دحض شبهة بعض ملاحدة أدعياء التجديد ، الذين يدعون إلى جعل اللغة العامية لغة العلم والتعليم ، ويدعون انها أصلح وأوفى بحاجة العصر من العربية الصحيحة ،وكان يمقت هؤلاء المتفرنجين ويحتقر دعواهم التجديد

(٢) ذيل لهذا المعجم في الامثال العامية

(٣) كتاب معجم الفوائد . وهو كتاب كان يجمع فيه مايعثر عليه من الفوائد المهمة في الفنون العربية والتعبيرات البليغة والمسائل الشرعية وغيرها مما حققه بعض العلماء ويحتاج اليه أهل العلم وقلما يهتدون اليه بالمراجعة لخفاء مظانه فكان يرتب ذلك على حروف المعجم لتعبيد طريقها لمن يريدها . ومن المعلوم بالبداهة أن هذا الكتاب لم يتم ولكن الموجود منه لايتوقف على غيره،لانه فوائد متفرقة ، لاابواب علمية متسقة، فلانتفاع بها، ليس مرهونا باستيفاء مباحثها

(٤) ترجمة إبي العلاء المعري ، والمرجو أن يكون فيها فصل الخطاب في كل مااختلف فيه الناس من أمره ولا سيما عقيدته لان فقيدنا رحمه الله قد اطلع على مالم يطلع عليه غيره من أقوال المعاصرين والغابرين فيه

(٥) كتاب وفيات القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة ، وقد استعان عليه بمكاتبة من عرفهم من أهل العلم في الاقطار المختلفة ولم يقتصر على مااطلع عليه في الكتب الكثيرة ، وكان هذا التصنيف ديناً على علماء التاريخ العربي قام به من هو أجدر به، والظاهر انه كان يتوقع فيه المزيد من العلم كمعجم الفوائد ، وانه لذلك لم يبيضهما

(٦) مفتاح الخزانة ـ وهو ١٣ فهرساً لخزانة الادب الكبرى للبغدادي لاتتم الاستفادة من هذا الكتاب النفيس الجامع في آداب اللغة وتاريخها وتراجم رجالها بدونها، لمن يريد مراجعة المسائل والتراجم عند الحاجة اليها

(٧) نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الاربعة في فقه أهل السنة وانتشارها في الاقطار وأين يكثر كل مذهب منها

(٨) تاريخ اليزيدية وأجدر به أن يكتب حقيقة تاريخهم

(٩) رسالة في العلم العثماني ـ أي علم الدولة العثمانية ـ بين فيها أصله ومأخذه وتاريخه وأخذ العلم المصري منه وهي مطبوعة

(١٠) رسالة في قبر الحافظ السيوطي وهي مطبوعة

(١١ و١٢) رسالتان في تنقيح لسان العرب والقاموس المحيط وهما مطبوعتان

وله مقالات في بعض المجلات آخرها ما كانت تنشره مجلة الهداية الاسلامية في (الآثار النبوية)والمراد بالآثار هنا مايسميه بعضهم المحفوظات وبعضهم المخلفات النبوية كشعره ﷺ وبردته وغير ذلك وكذا مايذكر من الاحجار التي فيها أثر الكف او القدم ، وقد نشر في الهداية بضع مقالات من ذلك يظهران لها تتمة ، ومع هذا يمكن طبعها مستقلة

وقد جعل خزانة كتبه وقفاً وبنى لها داراً في ضاحية (الزمالك) من ضواحي القاهرة ووقف عليها أرضاً (أطيانا) يكفي ريعها لنفقاتها والزيادة فيها . ولكن وجودها هنالك يحول دون الانتفاع العام بها .

ولم أر له ميلا في صباه إلى شيء من اللهو المباح فضلا عن المحظور او المكروه إلا أنه كان يرتاح الى شيء من سماع الاقوال الشاذة المستغربة من رأي او خبر وكان هذا من أسباب ارتياحه إلى مجالسة الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله تعالى فقد كان لديه من ذلك الجم الكثير ، وأما أول أسباب عشرته وحبه له فهو كونه من علماء الدين الميالين الى الاصلاح العارفين بحال العصر، وماله من الاطلاع الواسع على نفائس الكتب العربية في خزائنها المشهورة في الشرق والغرب مع العلم بقيمتها العلمية والتاريخية، وهو الذي دله على الكثير منها، وكان الشيخ طاهر جمع كثيراً

من هذه الكتب المخطوطة النادرة وقد اضطر إلى بيع بعضها عند الحاجة إلى الدراهم في مدة إقامته بمصر ، فاشترى صاحب الترجمة كثيراً منها فيما بلغني ، ولو كان الشيخ طاهر يقبل من أحد مواساة مالية لكان له من صديقه الوفي المخلص احمد تيمور مايكفيه وفوق مايكفيه مع الاخفاء والكتمان، ولكن كان له من عزة النفس بالعلم وشرف البيت ومن العفة والقناعة بأدب الدين ما يربأ به عن ذلك ، رحمه الله تعالى

ومما عرفناه وشاهدناه من ترويح فقيدنا الكريم نفسه بسماع الآراء الشاذة أنه كان يختلف اليه في داره بدرب سعادة شيخ كبير السن سبق له اشتغال بطلب العلم، ثم صار له خواطر في التصوف والمهدي المنتظر، بل كان يعتقد أنه هو، فكان الفقيد يكرمه ويسمع له ماينطلق به لسانه من الخواطر الغريبة والافكار الشاذة ويضحك كثيراً ، وربما فتح له هو او من حضر من أصدقائه أبواب الحديث

ومما سمعناه منه مراراً في تلك الدار الانتقاد على الاستاذ الامام باغراء المجلس أن اسماعيل باشا صبري قال له مرة ان الشيخ محمد عبده المفتي يضع الشال الكشمير أحياناً على ذراعه كما يفعل الافرنج بوضع أرديتهم ومعاطفهم على أذرعتهم، وقال له مرة إن المفتي يدخن بالسجاير الافرنجية دون السجاير الاسلامية!! فكان يرفع عقيرته في الانكار والاستعاذة بالله تعالى من هذا الزمان الذي صار فيه مفتي الاسلام يفعل فعل النصارى، ويستعمل سجاير النصارى !! وتارة يستبعد تصديق ذلك ويقول لاسماعيل باشا أو لتيمور بك : بالله العظيم ياباشا، بالله العظيم يا بك، مفتي الاسلام يشرب سجاير نصرانية ؟ فيقولان نعم نحن رأيناه بأعيننا ، فيقول أعوذ بالله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، فسد الزمان ... وكنا كلنا نضحك من هذه السذاجة والغفلة ، وتصديق الرجل بانه يوجد سجاير اسلامية وسجاير نصرانية !!

كان الفقيد يرتاح الى هذا ولكنه كان يفهم ذلك الشيخ المجذوب بعد ذلك حقيقة المسألة ، وانها ممازحة ، وما كان يقبل من أحد دون ذلك طعنا في الاستاذ الامام وقد زعم بعض الذين كانوا يدينون بافتراء الكذب عليه انه لايصلي فرد عليهم بلطف وهم في داره وقال مايعلمه من قوة دين الامام وعبادته ، ولم يلبثوا أن دخل عليهم خادم كان يتردد عليه للخدمة مدة وعلى علي باشا رفاعه أخرى بالتناوب لخدمة

خاصة ، فلما دخل عليه في غير موعده سأله عما جاء به فأجاب بما حاصله انه جاء الباشا ضيف اسمه الشيخ محمد عبده فوكلني بخدمته فاذا هو يقوم بعد نصف الليل بقليل فيتوضأ ولا يزال يصلي الى قرب طلوع الفجر ولا ينام إلا قليلا بعد صلاتها . وأنا مضطر لانتظار خدمته مادام مستيقظ فلم أطق صبراً على ذلك ففررت من هذا الضيف الثقيل . فقال الفقيد لمن حضر : الحمد لله الذي أظهر لكم الحق بما لا شبهة فيه لأحد . فوالله انني لم أر هذا الخادم منذ كذا من الايام .

وأقول : ان الامام رحمه الله كان يتردد أحيانا على صديقه علي رفاعه باشا في داره بدهشة بالقرب من ادارة السكة الحديدية للمطالعة والمراجعة في كتب والده المرحوم الشيخ رفاعه ، وأما قيام الليل فلم يكن يتركه في إقامة ولا سفر .

ذكرت هذا لأبين لقراء المنار أنني ما عهدت من هذا الرجل في شبابه شيئاً من اللهو والهزل للتسلية غير هذا ، وقد تركه كما أظن في كهولته ، وقلما يوجد في الدنيا شاب غني وجيه يترك جميع لذات الدنيا وشهواتها المباحة غير المعتاد من الطعام اللائق ببيته ويصرف جميع أوقاته في الدارسة والمطالعة والكتابة ، ثم انه في السنين الاخيرة توجه إلى بعض الاعمال النافعة للامة وأهمها مساعدة الجمعيات الاسلامية كجمعية مكارم الاخلاق وجمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الاسلامية وهو صاحب الفضل الاول في تأسيس الجمعية الاخيرة ، وفي انشاء مجلتها وجريدة الفتح بماله وبنفسه وبقلمه

وجملة القول فيه انه كان موحداً سلفي العقيدة ، مهذب الاخلاق ، عالي الآداب ، محباً للاصلاح ، ومبغضاً للتفرنج والالحاد ، وقد تجدد له أمل في نهضة الاسلام بالدولة السعودية ، وما عزته اليه بعض الصحف من ارتيابه في حقيقة الوهابية ، وقوله في شيخي الاسلام ابن تيمية وابن القيم انهما كانا عالمين لا زعيمين ينافيه علمه الواسع بالتاريخ فهو افتراء عليه أو سوء فهم من الناقل عنه .

وذكر لي بعض أصدقائي وأصدقائه ان له صدقات سرية كان يتحرى فيها أن لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، وحسبه من الصدقة الجارية وقف كتبه الثمينة وما وقف للنفقة عليها . قد يقال إنه لو كان يظهر زكاة ماله للاقتداء به لكان أفضل من اخفائها ، ولكنه كان أعلم بحال نفسه وحال وقته وما هو أفضل له

توفي رحمه الله تعالى فجأة بسكتة قلبية، وكان عرض له ضعف القلب من سنين مع مرض الصدر واشتدت عليه وطأته بمصابه بنجله الكبير محمد بك . ثم انه ترك التدخين فحسنت حاله الصحية بعد ان انقطع عن العمل زمناً طويلا فعاد اليه بنشاط

واذكر أنه كان يشكو الضعف وسوء الهضم من أوائل عهدي بمعرفته أي منذ ثلث قرن و كانت سنه دون الثلاثين ، وان الاطباء كانوا يقولون له انه ليس مصابا بمرض يخشى منه . واذكر اني قلت له مرة ان هذا الضعف لاسبب له إلا الافراط في الراحة والترف ، وأنه لا علاج له بالادوية وانما علاجه في شيء واحد وهو أن تحدث لنفسك مايحملها على التعب الجسدي بالرياضة البدنية العنيفة وعلى التعب النفسي والعقلي أيضاً في وقت آخر، وجميع الاطباء يوافقون على هذا الرأي ويقولون به ، ولكن الذي يعمل به باختياره من غير باعث نفسي اضطراري أو متكلف بحيث يكون كالاضطراري قليل من الموسرين

وجملة القول أن هذا الرجل كان في مجموعة فضائله ومزاياه وجده وغيرته على الدين وعلمه وعمله ونأيه عن الهزل واللهو أمة وحده ، فهو من نوادر هذا العصر، وشهداء الله وحججه على الخلق، ولا سيما الاغنياء والمتفرنجين في مصر، فان أكثر أغنياء مصر وكذا غيرهم من مسلمي هذا العصر شر من أغنياء سائر الأمم في جهلهم وبخلهم، مع إسراف أكثرهم في شهواتهم. وأكثر المتفرنجين مصيبة على بلادهم، يزعمون ان التهذيب العصري لا يتفق مع الدين، فليأتونا بمثل أحمد تيمور من كبراء ملاحدتهم إن كانوا صادقين؟

كان له ثلاثة أبناء نجباء عني بتعليمهم وتربيتهم فاحتسب أكبرهم في حياته لآخرته، وترك اثنان يحيا بهما ذكره من بعده : اسماعيل بك من رجال التشريف في خدمة جلالة ملك مصر كما كان جده وسميه اسماعيل باشا وجد أبيه من قبله في خدمة أبي جلالته وجده - ومحمود بك الذي فاق أدباء العصر في انشاء القصص التمثيلية وغير التمثيلية ، فنعزيهما بل نعزي الامة الاسلامية عنه ، وندعو له بالرحمة والرضوان، ولهما بطول البقاء مع طاعة الله، وللامة بأن يعوضها عنه بالرجال العاملين المخلصين. وستقيم له جمعية الهداية حفلة تأبين حافلة وأول من رثاه بالشعر صديقنا وصديقه الاستاذ عبد الله بك الانصاري وكنا جعلنا مرثيته خاتمة لهذه الترجمة ثم اضطررنا الى تأخيرها الى الجزء الآتي

تقاريظ للجزء التاسع من التفسير ﴿ تأخر نشرها ﴾

﴿ الاول لصاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت ﴾

حضرة العلامة الجليل المفضال السيد محمد رشيد رضا المكرم زاده الله تعالى فضله

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد فقد وصلتني هديتك أيها الاستاذ الكريم وتلقيتها شاكراً لك مثنياً على فضلك وهي الجزء التاسع من تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار . ولما تصفحت هذا الجزء المبارك وتأملت في مباحثه ومسائله الجليلة ، وما حواه من فرائد الفوائد الجزيلة ، لم أجد له نظيراً في سهولته وبلاغته وطلاوته ، واتقان أسلوبه وترتيبه وحسن ارشاده ، فهو من أفضل كتب التفسير التي ألفت في هذا العصر لحفظ الدين وتأييده ، ولبيان ماترشدنا اليه الآيات القرآنية من العقائد والعبادات والآداب ومكارم الاخلاق والعمل للدين والدنيا ، والتعاون على البر والتقوى ، وما فاز السلف الصالح وساد إلا باقامة الدين ، واتباع سبيل المؤمنين ، فعلى المسلمين أن يقتفوا أثر هذا السلف ان أرادوا ارتقاء صحيحاً وتقدما لاتأخر بعده : وبالجملة فان تفسير مبارك ياذا الفضل فيه للامة نفع عظيم ، وارشاد الى طريق الاصلاح القويم ، فعلى أهل العلم والمعلمين وغيرهم أن يقتنوه ويعتنوا بمطالعته ليتفهموا به وينفعوا ، ويصلحوا به مااختل من أحوال المسلمين بسبب تقليد أكثرهم للاغيار وتهاونهم بالدين . وبالختام أسأله سبحانه وتعالى أن يجزيكم عن المسلمين خير الجزاء ويوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه :

٢٧ رمضان سنة ١٣٤٧ أخوكم المخلص مصطفى نجا

مفتي بيروت

﴿ الثاني لصاحب الفضيلة والسيادة الاستاذ الكبير السيد عبد الفتاح الزعبي الجيلاني نقيب السادة الاشراف بطرابلس الشام والخطيب المدرس بجامعها الكبير المنصوري ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
من الفقير اليه سبحانه وتعالى عبد الفتاح الزعبي الجيلاني إلى السيد الشريف ،

والامام الغطريف ، السيد محمد رشيد آل رضا ، حفظ الله من سوء القضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فانه وصلني ماتكرمتم به من الجزء التاسع من تفسيركم المفيد فاذا هو مظهر لقوله تعالى (ثم ان علينا بيانه) وقد غدوت شاكراً فضلكم وممنونا، وقد نذرت لله تعالى متى شفا الباري عيني أقرأه درساً وندعو لكم وللمسلمين بخير . أدامك الله مرشداً ومجدداً كما أشار الى ذلك المرحوم الاستاذ الامام في آخر أيامه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نقيب أشراف طرابلس

في ٨ شعبان سنة ١٣٤٨ السيد عبد الفتاح الزعبي الجيلاني

(الثالث لجريدة أم القرى الغراء بمكة المكرمة في ٨ شوال سنة ١٣٤٧)

تفسير القرآن الحكيم

نجز الجزء التاسع من تفسير القرآن الحكيم للعلامة الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، من أول (قال الملأ) في الاعراف إلى قوله تعالى (واعلموا انما غنمتم) وهو ذلك التفسير الجليل الغني عن التعريف الذي تقصر العبارة عن وصفه غير أننا نشير إلى بعض ما امتاز به عن سائر التفاسير على كثرتها .

فأول ما امتاز به ذلك التفسير أنه راعى الزمان ونبه فيه على ماأغفله المفسرون من تطبيق الآيات القرآنية على الآيات الكونية (ثانيها) اتباع طريقة القرآن في الوعظ والارشاد فان الاستاذ بعد أن يفرغ من تفسير المفردات وبيان الاساليب يرشد المسلمين إلى مافي الآيات من العبر، ويريهم مواضع الضعف ، ويقفهم على أسباب المرض ويرشدهم إلى العلاج (ثالثها) الرد على الملحدين والمبتدعين (رابعها) رد الخرافات التي راجت على كثير من المفسرين والحكايات الاسرائيلية ونقد الاحاديث (خامسها) حل مشكلات كثيرة وتحقيق مسائل لم يسبق اليها كبيان الحكومة في الاسلام وكون القرآن صالحاً لكل زمان ومكان ، (سادسها) التزام طريق السلف في آيات الصفات، واشباع كل موضوع بما يليق به من البيان، هذا الى تحقيق في مفردات اللغة وأساليبها وتناسب الآيات والسور، واجمال ماورد فيها بعد تفصيلها مما لم تكد تجده في تفسير آخر . وبالجملة فهذا

التفسير لايستغنى عنه مسلم في هذا العصر ، وحسبك بصاحبه صاحب المنار وحيد دهره ، ونسيج وحده ، الذي ينم تفسيره ومناره عن غزارة علمه وعلو كعبه ، ومن قرأ تصانيفه ولا سيما هذا التفسير عرف عجز واصفيه ، وكان حسبه تعريفاً مايراد فيه ، وانا نسأل الله تعالى أن يبارك في عمره حتى يتمه ، وينفع الامة به

كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية

طالما كنت أتمنى العثور على كتاب في الآداب الشرعية ، والاخلاق الدينية ، حافل الري بالمسائل النفسية والانسانية والاجتماعية والصحية ، حاو للصحيح من الاخبار النبوية ، والآثار السلفية ، خال من البدع والخرافات ، وحكاية غرائب الاسرائيليات ، ومن المجون والخلاعة ، والفحش والرقاعة ، ينتفع بقراءته الرجال والنساء ، ولا تخجل من الاطلاع عليه ذوات الخفر والحياء ، فيكون جامعاً لفوائد العلم الصحيح ، والقدوة بأهل الكمال ، من أهل العلم والصلاح ، مازلت أتمنى هذا وأرقب العثور عليه حتى ظفرت بهذا الكتاب (الآداب الشرعية والمنح المرعية) تصنيف العلامة الفقيه المحدث الواسع الاطلاع الشيخ محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي المتوفى بصالحية دمشق سنة ٨٨٥ فاذا هو الضالة المنشودة ، قد جمع مؤلفه فيه خلاصة مصنفات عديدة ، وزاد عليها زيادات مفيدة ، إلا انه أطال في المباحث الطبية وما يتعلق بها ومنه أمور الوقع مما كنا نود أن يجعله كتابا مستقلا

أرسله إلي الامام العادل محيي السنة وناشر علوم الملة ، ومقيم شريعة الاسلام بالحكم والعلم والعمل ، عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد ، ليكون مما أطبعه له من الكتب النافعة التي يوزعها في الحجاز ونجدا بتغاء وجه الله تعالى . ولما كان من المحال أن تصل صدقات الامام الى جميع بلاد الاسلام ، زدت على ماطبعته لجلالته نسخاً أخرى لمكتبة المنار ، تبيعها بثمن معتدل لتعميم نفعه في الاقطار ، ويكون له حظ عظيم من الثواب

ويتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء تم طبع الجزء الاول منها وهو يدخل في ٥١١ صفحة أصلية وجعلنا ثمنه خمسة عشر قرشا مصريا يضاف اليها أجرة البريد والتجليد لمن أراد

أهم حوادث الشرق في هذا العام

ثورة الهند

من حسن حظ الهند أنه يوجد فيها عدة زعماء في كل من طوائف الهندوس والمسلمين، وانه نبغ فيهم زعيم كبير أذعنوا له بالقداسة الدينية والسياسة العصرية، تدين له شعوب الهند كلها بالزعامة العامة. وهذا من النوادر التي حرم منها الأمم منذ قرون كثيرة، ألا وهو (مهاتما غندي) الذي يقدسه الوثنيون، ويجله المسلمون، لأنه لم يوجد في الوثنيين من ينصفهم ويعترف لهم بحق المساواة في المصالح الوطنية مثله، وقد كان رضي من الدولة البريطانية بأن تمنح الامبراطورية الهندية نظام الممالكات المستقلة، وكانت وزارة العمال الحاضرة وعدت بذلك ولكنها المعارضة سائر الأحزاب لها ولا سيما المحافظين غلاة الاستعمار وعشاق الاستعباد البشري اضطرت الى المراوغة والتسويف وتعليل البلاد بدرس اللجان لحالها، ووعدها بتأليف مؤتمر في لندن ينظر في شأنها، ولم تعتبر بامتناع بلاد الهند من الاحتفال بولي عهد الامبراطورية عند زيارته لها، حتى شاهد مدنها العظيمة كالمقابر خالية من الزائرين غيره وغير من معه من قومه. ولقد أنذرها الزعيم الأكبر غاندي ثورة العصيان المدني عليها والبدء فيها بعصيان قانون احتكار الملح الذي يألم من حيفه كل فرد من أفراد الأمة، وضرب لهذا العصيان أجلا، وجعل له موعدا، فتمارى رجالها في الهند وفي لندن بانذاره، واستكبروا عن الاستجابة له، لعدهم ذلك مخلا بالعظمة البريطانية، التي لا تقل كثيراً عن دعوى الربوبية، وخيل لها احتقارها للبشر، عجزه عن تنفيذ تلك النذر، ولكنه شرع في التنفيذ وشرعت هي في المقاومة، فكان فوزها جزئيا موضعيا، وفوزه عاما كليا، فقد امتدت الثورة وانتشرت، واستشرت وتفاقمت، وهي تدنو من العصيان العام، والامتناع من دفع الضرائب الزراعية والعقارية، أعني أنها تدنو من الثورة الدموية العامة بتدريج منتظم ثابت، بدئ بمقاطعة البضائع الانكليزية والمواد الكحولية، وسحب الاموال الوطنية من المصارف الانكليزية، ثم بمقاومة رجال البوليس بالقوة، ثم بتهييج القبائل على

الحدود الافغانية ، حتى شعرت كبرياء الحكومة البريطانية بالخطر، ولاتزال في حيرة من تلافي الخطب المنتظر ، وسنرى مايخبيء لها القدر

المفاوضة المصرية البريطانية

نوهنا في الجزء الماضي بخبر هذه المفاوضة وما اعترض في سبيلها من عقبة مسألة السودان وإصرار الحكومة البريطانية على اعتراف الوفد المصري المفاوض لها باقرار الحالة الحاضرة فيه، أي امتلاكها السودان كله امتلاكا شرعياً باقرار الحكومة المصرية و لامة المصرية،ورضاهما بان تكون حياة مصر الاقتصادية والزراعية بل حياته الحقيقية التي يقابلها الموت والخراب في قبضة الحكومة البريطانية القهارة الجبارة... وقد امتنع الوفد المصري من قبول ذلك بالطبع ،فانقطعت المفاوضة مع الاتفاق بين الفريقين على بقاء بابها مفتوحا ، وعد كل ماتقرر فيها مقبولا، الى أن يرجع أحدهما الى رأي الآخر في مسألة السودان

وكان الجمهور يخشى أن تنقطع المفاوضة على جفاء ومشاكسة ، فيعود الانكليز الى العبث بالحكومة وإلغاء الدستور ثانية،ولكن كان من علم مصطفى باشا النحاس وحلمه ، وكياسته وفهمه، ودهاء أعضاء وفده ،مامكنهم من تمكين المودة بينهم وبين الحكومة الانكليزية ، بحيث لايخشى أن تتدخل في أمور هذه الحكومة النيابية، وهي براعة لم تتح لوفد من الوفود السابقة ، لذلك أكبرت البلاد أمر وفدها،وازدادت استمساكا بعروته، وثقة بخدمته،وقد انصرفت همة الحكومة الوفدية الآن الى النهوض بالمصالح الوطنية الداخلية بلا معارض ولا منازع .

الوفد الفلسطيني

سافر الوفد إلى لندن برياسة شيخ الشعب صاحب السعادة السيد موسى كاظم باشا الحسيني، وكان من أركان أعضائه في هذه المرة روح النهضة الفلسطينية صاحب السماحة السيد محمد امين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الشرعي الاسلامي الفلسطيني الأعلى، وكان قد سبق الوفد الى لندن رائده الشاب الذكي البارع السيد جمال الدين الحسيني ،فمهد له السبيل بما ألقاه من الخطب في المحافل المختلفة، ومن المقالات في الجرائد الكبرى،ومن الاحاديث مع كبار الرجال في المسألة الفلسطينية ،فكان ذلك موضع

الاعجاب والتقدير، ولولا أن نفوذ اليهود في بلاد الانكليز لا يعلوه نفوذ آخر لنجح الوفد في سعيه الى تأليف حكومة نيابية في البلاد، فانه مطلب يقتضيه النظام المسمى بالانتداب؛ ولم يوجد أحد من الانكليز حتى أعوان اليهود منهم يصف العرب الفلسطينيين بما يصفون به الوطنيين من الهنود والمصريين والعراقيين من التطرف اوعداوة الحكومة البريطانية؛

وقد ثبت للفلسطيين الآن بعد خيبة الوفد أنهم كانوا مخطئين في نوط أملهم بالحكومة الانكليزية وغرورهم بكلام بعض المنصفين من الانكليز الذين يكرهون اليهود - وأن خصمهم الحقيقي في وطنهم هو الدولة الانكليزية، وان اليهود ليسوا إلا جنداً من جنودها تستعين بهم على نزع أرض هذه البلاد منهم حتى لا يكون لهم حق في حكومتها من بعد، وإن من مقاصدها أن تقطع اوصال الامة العربية فتفصل بين مصر والعراق بشعب أجنبي تخرج به البلاد عن كونها عربية واسلامية، فالواجب يحتم عليهم أن يوجهوا كل قواهم الى مقاومة الاستعمار الانكليزي في بلادهم بالاتحاد مع جيرانها العرب - من أهل شرق الاردن وسورية والعراق وكذا نجد والحجاز - على استقلال هذه البلاد كلها وتأليف الوحدة العربية التي وطن الانفس عليها جميع المفكرين من العرب. وعليهم مع ذلك أن يستعينوا على خطتهم بمسلمي سائر الاقطار كما يفعل اليهود ولا سيما مسلمي الهند الذين لم يقصروا في إظهار العطف عليهم، ومخاطبة الحكومة الانكليزية في وجوب اجابة مطالبهم، لانه يعز على كل مسلم في الارض أن يستولي اليهود على بيت المقدس ويجعلوا المسجد الأقصى ثالث الحرمين هيكلا يهوديا، وهم يحفظون ماورد في أخبار مسيح اليهود الدجال؛ ومحاربة اليهود للمسلمين تحت رايته وماوعدهم رسول الله وخاتم النبيين من نصرهم عليهم

مؤتمر شرق الاردن

لا حاجة بنا الى وصف ما كان من نبأ ذلك المؤتمر الشريف وهو الثالث، ولا الى نشر مقرراته بالتفصيل، وقد نشرتها جرائد مصر وسورية وفلسطين، وحسبنا منها تقريره تأليف حكومة نيابية مستقلة وعدم اعترافه بشيء مما قررته حكومته الحاضرة مع الانكليز وقصاراه جعل البلاد منطقة بريطانية عسكرية محضة !! وانما نقول ان عرب شرق الاردن أقدر من غيرهم من أهل فلسطين وسورية على تنفيذ

مايقررونه وإلزام حكومتهم العمل به اذا جدوا وعرفوا قيمة قوتهم بالوحدة وبالسلاح ، وعرفوا ماينذرهم من الخطر اذا طال العهد على الاركان الذي عليه البلاد ، فهم لابد أن يجردوا من القوتين في يوم من الايام اذا لم يظفروا في هذه الفرصة بجعل حكومتهم نيابية شعبية ، خالية من قوة الاحتلال الاجنبية ، بل الخطر على كل بلاد العرب حتى الحجاز كامن في بلادهم، فليستيقظوا من رقادهم .

القانون الاساسي لسورية

وضع موسيو بونسو العميد الفرنسي لسورية قانونا أساسياً لسورية سماها به جمهورية نيابية، وحصرها في مضيق عدة حكومات أو دويلات من ملحقاتها مستقلة بالاسم كاستقلالها وهي لبنان الكبير وجبل الدروز والعلويين أو اللاذقية وانطاكية والصحراء أو البادية... وقيدها بكل ماتعرف به سلفه المندوبون السامون من المظالم قبله، وبكل ماتفرضه عليهم فرنسة باسم الانتداب في الحال والاستقبال، وخلاصة هذا القانون الذي يفرضه على سورية أن يبقى الاستبداد الفرنسي فيها كما كان إلا أن رئيس هذه الحكومة السورية التي لاتتجاوز دمشق وحمص وحماه وحلب يسمى رئيس جمهورية ويكون لها مجلس نيابي لايستقل بشيء من التشريع إلا ماتريده فرنسة

جزيرة العرب والعراق

خمدت نيران الفتن في جزيرة العرب وظفر إماماها يحيى وعبدالعزيز باخضاع العصاة لهما في بلادهما . وانتهى موسم الحج في هذا العام بصحة وأمن وسلام ، وقد اعترفت دولة بولونية بمملكة ابن السعود بما نبينه في الجزء الآتي ان شاء الله

ومن أكبر الحوادث فيه اجتماع ملك نجد والحجاز بملك العراق ووضع أساس الاتفاق بين حكومتيهما وقد كان ذلك في أواخر رمضان ولما يظهر لذلك أثر فعلي في تنفيذ مواد الاتفاق .

مملكة الافغان

وأكبر الحوادث التي فرح بها المؤمنون، واغتم بها الملحدون باستواء الشاه محمد نادر خان على عرش الافغان، واقامته للاحكام والاصلاح على قواعد الاسلام، وجعل التجديد الالحادي الذي ابتدعه امان الله خان مادخل في خبر كان

خاتمة المجلد الثلاثين

باسم الله وبحمده نختم المجلد الثلاثين من المنار كما بدأناه ، وقد تمكنا بحول الله وقوته من إصداره في سنة كاملة ، إذ جعلنا شهري الراحة فيها متفرقين لا متصلين كعادتنا ، واستدار الزمان فعدنا الى جعل صدور المجلة في السنين الهجرية القمرية كما كان من قبل ، فلا محل لشكوى أحد من قرائه بتأخير صدور بعض أجزائه ، وعسى أن لا ينسى المقصرون منهم في أداء حقه ما يجب عليهم منه ، وأن يتقوا الله فيه ، وأن يفكروا فيما نبذله من حياتنا وصحتنا ومالنا في سبيل هذه الخدمة ؛ وأن لا يرضى المفكر في ذلك أن يكون هو الهاضم لحق العامل ، المعرقل للعمل بالباطل ، ولا أن يكون غيره من القراء المؤدين لما وجب عليهم خيراً منه ...

وقد بدا لنا في أواخر هذه السنة أن نجيب الملحين علينا بوجوب الاسراع في إنجاز تفسير المنار الى اقتراحهم فأكثرنا منه في الاجزاء الاخيرة حتى كان أكثر من ستة أعشار هذا الجزء منه فان كان قد نشر نصف الجزء العاشر من التفسير في سنتين ونيف فارجو أن يتم النصف الثاني منه في هذا العام وحده الذي يصدر فيه المجلد ٣١ وقد سبق لنا الوعد للمقترحين بعزمنا على اختصار التفسير من أول الجزء الحادي عشر ، ونرجو حينئذ أن يوفقنا الله تعالى إلى كتابة تفسير جزءين في كل عام

وسيكون أهم مواد المجلد الآتي بعد التفسير إتمام تحرير مسألة الربا التي كانت وما زالت أعقد مسائل الاحكام المدنية في الاسلام ، وقد عم الحرج والبلوى بها جميع المسلمين في جميع الأمصار ، ولدينا كثير من المسائل المهمة في باب الفتوى أرجأنا الافتاء فيها على إلحاح مرسليها بها ، وسنجيب عنها إن شاء الله تعالى ونقدم أهمها فأهمها

ولدينا بعد اتمام مقالات (المساواة بين النساء والرجال) التي من فروعها مسألة السفور والحجاب محاضرتنا التي ألقيناها في شهر رمضان في مسألة (التجديد والمجددين) وهي مهمة جداً ألقمنا فيها أدعياء التجديد الالحادي الحجر ، وكان لمجددي الاصلاح الاسلامي بها الظفر ، وقد حضرها بعض علماء أوربة من المستشرقين فاستحسنوها ، وشهدوا لنا بالاعتدال فيها .

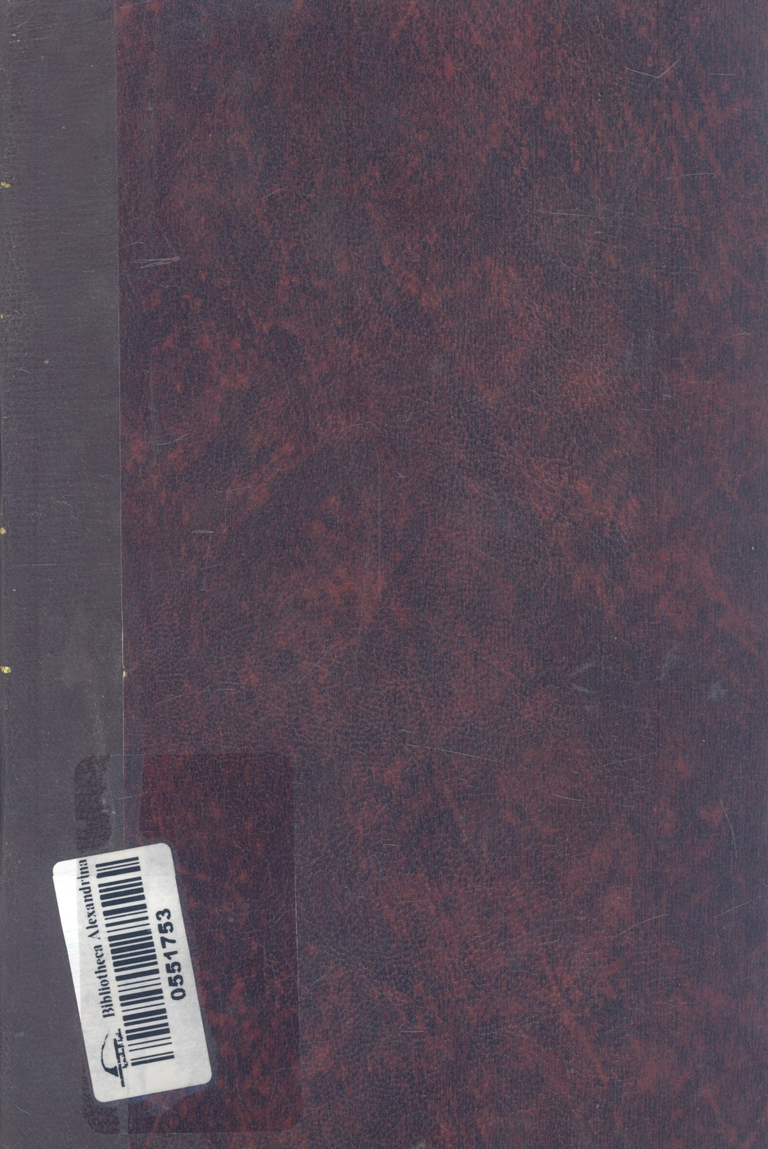
وسيرى القراء فيه رداً على بعض الجامدين على التأويل والتقليد من الشيوخ

المعاصرين إذ تصدى منهم شيخ تركي شايعه آخر مصري لتشويه مذهب اسلاف والطعن في بعض كبار حفاظ السنة وفي المهتدين بها في هذا العصر ، لان هذا أضر على الاسلام من طعن المبشرين والملحدين فيه

وقد اضطرنا في هذا العام إلى الرد على كتاب آخر جديد من كتب شيعة سورية ولبنان بما حرف فيه من آي القرآن، للطعن الفظيع في جميع من رضي الله عنهم من المهاجرين والانصار، ورميهم بالجبن وخذلان الرسول ونكث ماعاهدوا الله عليه . . والغلو في علي كرم الله وجهه بجعل المنة له وحده في حياة الرسول الاعظم ﷺ وبقاء الاسلام، اذ أقسم أغلظ الايمان بانه لولاه لقتل النبي ﷺ في حنين ولذهب الاسلام وأطفيء نوره بالرغم من وعد الله تعالى باتمام نوره، واظهاره على الدين كله، ونصر رسوله الخ

وقد اطلعنا في مجلة العرفان على رد علينا للسيد عبد الحسين صاحب هذا الكتاب وهذه اليمين أخلف فيه ما كنا نظنه فيه من النزاهة وحسن الادب في الرد وامتيازه فيه على خصمنا القديم السيد محمد محسن ، فاذا هما سيان في المراوغة والمراء والمجادلة في الحق بعد ما تبين، وفي القذع والسباب، والنبز بالالقاب، ولو رأينا في ردودهما شيئا من الاعتراف ولو ببعض الحق ، والتزام الصدق ، لدخلنا معهما في المناظرة وحكمنا لجنة من أهل العلم واستقلال الرأي فيها، وانما نقول مع الاسف والحزن انهما ليسا أهلا لذلك لأن المقلد المتعصب الذي تربى على الجدل والتأويل لا يطلب الحق في شيء من جدله، ووالله انه ليعز علينا أن يكونا كذلك، وان الشاب الشيعي الاستاذ مصطفى جواد أحد محرري مجلة لغة العرب، لأدنى منهما الى مراعاة قوانين العلم والادب على تعصبه المذهب، وقد انتقد الجزء التاسع من التفسير في تلك المجلة بما سنراجعه وننصفه فيه عند سنوح أول فرصة ان شاء الله تعالى فاننا انما لحناه في أثناء مرضنا لحا

أنا لا أجادل فيما أنكر السيد محسن على السيد الآلوسي في مسالة فتاوى المهدي المنتظر، ولا في المتعة الدورية التي هي أقبح فضائح البشر، ولكنني أتحداه وأتحدى مجلة العرفان بأن ينشرا فيها صورة الكتاب الذي يزعمان ان السيد محمود شكري الالوسي قرظ فيه كتاب السيد محمد بن عقيل (النصائح الكافية) ... بعد أخذها عن الاصل (بالزنكوغراف) فاننا نعرف خط السيد محمود ونعلم انه كان لا يداهن ولا يتكلم


Bibliotheca Alexandrina
0551753